

بقره الحكيمة من ينشأ من يؤتى الحكمة فقد واثق بها
تجرا وبها يفسر الاولو الالباب

المجلد

١٣١٥

بقره الحكيمة من ينشأ من يؤتى الحكمة فقد واثق بها
تجرا وبها يفسر الاولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الثلاثاء - ١٣٣٦ - ١٩١٥) ٣ مارس (آذار) ١٩١٥

فاتحة السنة الحادية عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولي الالباب ،
والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، الذي بعث في الاميين ليعلمهم الكتاب
والحكمة ، محمد النبي الامي ، العربي الحجازي ، وعلى آله وأصحابه خير الال
والاصحاب ، ومن تبعهم واهتدى بهداهم الى يوم المآب ، ٢٩ : ١٣ الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا رَبَّ
أما بعد فان المنار بحمد الله وعنايته ، وتوفيقه وهدايته ، قد أتم عشر

سنين كاملة ، وتجاوز الاعداد المفردة الى الاعداد المركبة ، وهو في نحو طبيعي ، وارتقاء تدريجي ، لم تظهر به مساعدة الكبراء ، كما ظهرت بكثير من العالمين ، ولم تظهر به مكيدة الرؤساء ، كما ظهرت ببعض المصلحين ، بل سار لطيفته على استقلاله ، في جميع أعوامه وأحواله ، سلاحه تحرّي الحق ، وعدته التزام الصدق ، وجنته الاخلاص لله ، وحصنه تقوى الله باتباع سنن الله ، هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ، جَنَّاتٍ عَذَبٍ مُنْتَهَى لَهُمْ الْأَبْوَابُ ،

جاهد في سبيل الإصلاح بقدر الامكان ، وما تقتضيه حال الزمان والمكان ، فهاجته السياسة بدسائسها فالت من قريه وصديقه ، ولكنها لم ترحزه عن طريقه ، ووائتبه الخرافات بوساوسها ، فالت دون سرعة تشاره ، ولكنها لم تقو على صدياره ، وصادمته الثقاليسه واجسها ، فصدت الكثيرين من متقليها عنه ، ولكنها لم تل منه ، بل عز هؤلاء وأولئك في الخطاب ، ٣٨ : ١١ جَنَّاتٌ مَاهَنَّاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

نم قد انهزم من أمامه الدجالون فلا يجدون قوة ولا حولا ، وانهزم كذلك المقلدون فلا يرجعون اليه قولا ، وأنى للمتوكل على عكاز القال والقيل ، ان ينافع متغني سيف الدليل ، تحت لواء السنة والتنزيل ، ألا انهم لا يصدونه بل يصدون عنه ، ولا يقولون له ولكن يقولون فيه ، وكذلك كان يقول المقلدون ، اذ دعوا الى غير ما كانوا يستقدون ، ٣٨ : ٥ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ - ١٧ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ *

الحق أبلج، لا ينجيل سبيله، ولا تخفى على الناظر البصير غرته وحجوله، فلا يضره ضعف الداعي وغبته، إذا قويت عارضته وعرفت حقيقته، والباطل للجلج، وإن كثرت قبيله، ودعمت فروعه وأصوله، فلا تنفعه قوة الداعي وعصبته، إذا ضعفت مريرته ودحضت حجته، وإنما يثبت المقلدون، حيث لا يوجد المستدلون، ويسود المتواكلون، ما سكت عن معارضتهم المستقلون ٩:٣٩
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ *

لا خوف على الحق إلا من الاستبداد، بمنع حرية العلم والارشاد، فالحق لا يوجد إلا حيث توجد الحرية والاستقلال، وتظهر آثار مواهب الناس في الأقوال والأعمال، لهذا لا تخاف على دعوة الإصلاح في هذه البلاد، أو تمرد اليها سلطة الاستبداد، نعم إن سيره قد يسرع وقد يبطئ، وإن الداعي إليه يصيب في رمية ويخطئ، ولكنه يستفيد من الخطأ كما يستفيد من الإصابت، وقد يزداد مضاء في الرفض والإجابة، حتى يعمل الاستعداد للإصلاح عمله، ويبلغ الكتاب أجله (١٣ : ٢٨ لكل أجل كتاب ٣٩ يَمْحُوُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنَّمَا تُرْيِكُ بَقِصَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَآتِنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ *

إن للإسلام ثلاث مظاهر أو مراتب التقليد وعليه أكثر المسلمين المتقدين، والبصيرة وعليها نفر من العلماء المحققين، والجانسية وهي تشمل حتى المارقين من المنفرنجين، وقد هوجم أولاً في تقاليدته لتحويل العامة عنه، وهوجم في كتابه وسنته لئلا زال الخاصة فيه، وهوجم في جنسيته لحل رابطة المتصمين به،

على انه لا يخشى عليه من مهاجمة الاجانب عنه ، وانما يخشى عليه من مهاجمة الدين يمدون منه ، فالتفرنجون منهم يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية ، وشبه العلوم والقنوق المصرية ، ويحاولون جنسيتهم الاسلامية ، بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وهم لا يهتمون في ذلك بالايقاع بالدين ، لانهم يأتون العامة عن اليمين ، ويدعون الى ما يدعون ، معتقدين انهم مصلحون ، فتعين على اهل البصيرة والعرفان ، ان يناخواعن هذا الدين بالبرهان ، واقفين عند حدود السنة والقرآن ، فان كلا من مسلمي التقليد والجنسية ، يعترفون بأن مرتبة البصيرة هي المرتبة العليا ١٣ : ١٨ أَفَن يَقُولُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَذَبٌ هُوَ أَغَى ؟ إِنَّمَا يَذَكِّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ *

ألا وان من المحال حفظ تقاليد المقلدين ، من غارة اخوانهم المتفرنجين ، فانها من قبيل العادات ، التي يبروها (كما نشاهد) المحو والاثبات ، ألوان مصارعة الجنسية الوطنية ، للجنسية الاسلامية ، بمجولة العواقب ، الاحيث يساعدها الحكام مع الاجانب ، فهناك يرجع ان تكون آية الوطنية هي المرفوعة ، والراية الاسلامية هي الموضوعة ، ويتبع ذلك سرعة تسلل العوام ، من هذه التقاليد المزوة الى الاسلام ، ويمود الاسلام في مثل هذه البلاد غزيبا كجاءا ، لان اهل البصيرة هم الاقلون عددا ، والاضعفون ساعدا وعضدا ، اذا غلبوا بالبرهان ، يُلبون بالسلطان ، فهم امام مضطهدون جبراء ، وامام مهددون سراء على انهم لا يقتلون من رحمة الله ، ولا يأسون من روح الله ٣٩ : ١٠ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

ها اناذا أقول على رؤوس الاشهاد، ان طالب الاصلاح الديني مهده حتى في هذه البلاد ، ورب مقاومة خفية، شر من صدمة علنية ، ورب اصطدام أحدث ظهوراً ، خير من اهمال أوجب فتوراً ، (٢: ٢١٦) وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، فما ظهر حق الابد اضلهاد ، ولا خذل باطل الابد عناد ، فلا يفررك قلب الظالمين في البلاد ، ٣٩ : ٢١ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زروعاً مختلفاً ألوانه ، ثم يهيجُ قَرَارُهُ مُصْفَرّاً ، ثم يجعله حطاباً ؟ لَآ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ •

فيا أيها الكاثدون الظالمون ، انما كيدكم على ملتكم ان كنتم تعقلون ، ويا أيها المقلدون الجامدون ، ان تقاليدكم تحول عنكم تحول الظل وأنتم لا تشعرون ، ويا أيها العاشون بالجنسية انكم لبنائكم تهدمون ، وتبنون لغيركم من حيث لا تعلمون ، ويا أيها المصلحون المستبصرون ، اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ٣ : ١٠٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون • لا تفرقنكم عوامل المدينة فان دينكم عون لكم عاينها ان كنتم تفقهون ، ولا تقتننكم سلطة الامم الاوربية فتقلدوها فيما لا تعلمون ، فان روح المدينة والسلطة هو الدين والآداب ،

وقد انعم الله عليكم من ذلك باكل مما انعم به على أهل الكتاب، ٢٠٠:٢
فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ
٢٠١ ومنهم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ٢٠٢ اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب *

ان الفساد قد طرأ على جسم هذه الامة من زمن بعيد ، فهو يحتاج الى
تكوين جديد، ومن المبشرات ان نرى المسلمين، قد تلبهوا الى الحاجة الى هذا
التكوين ، ولكن اختلفت فيه الآراء، وعبثت به الاهواء ، ولا زعيم
يرجع اليه ، ولا امام يقتدى به ، وما على طلاب الاصلاح الآن ، الا اقامة
الحجة والبرهان ، وتربية استعداد الامة ، الى ان ينهض زعيم من الائمة ، ولا
بد من مسألة الفرق والحزاب ، واحاطة استقلال الرأي بسياس الآداب ،
٣٩ : ٨ قَبَشِرْ عِبَادِي الَّذِينَ يُسْتَنبِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ • مثني المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

الدعوة الى انتقاد المنار

انا نكرر الدعوة الى انتقاد المنار في كل عام ونعد بنشر ما ينتقده
على ما نشر من المسائل الدينية والعلمية لعدة أمور
(١) انا نتحرى في كل ما نكتب الحق والارشاد الى الخير ونعتقد
انا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد في تحري الاصابة ففرصنا الاول
من دعوة العلماء الى انتقاد ما نكتبه هو تكميل نفسنا ومساعدتنا على ما تنوخواه
من الارشاد

(٧) حرصنا على تكميل غيرنا من قراء المنار بما نحب ان نكمل به
نفسنا من معرفة الحق والخير والمصلحة وكراهة ان يطق ما يحى ان نطم
فيه من الخطأ بنفس القراء فلا يجدوا عنه مصرفاً

(٨) اقامة فريضتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان كثير آمن
أهل العلم يستندون عن تركهم لذلك بأن الناس لا يقبلون أمراً ولا نهياً
بل يبادون من ينصح لهم ويرشدهم الى الحق وربما آذوه بالقول او الفعل
فها نحن أولاء نؤمهم من العدا والايذاء ونقدم بقبول النصيح والارشاد
(٩) فتح باب المناظرة التي تعلم كل واحد من المتناظرين ما لم يكن
يعلم وتدفعه الى بذل الجهد والعناية في استكناه الحقائق والاحاطة بأطراف
المسائل وترك الحكم للقراء

(١٠) قطع السنة أهل الدعوى ، والمتبعين للهوى ، الذين يقولون هذا
حق وهذا باطل ، وهذا حلال وهذا حرام ، وفلان خاطيء او ضال ، أو
نافع او ضار ، وهم على غير بينة فيما يقولون ، أو على غير اخلاص فيما به
يحكمون ، فالمنار يقول لمن يخوض فيه منهم ان كنتم تقولون الحق
فأبرزوه للقارئ ، وهاتوا برهانكم ان صادقين ، والا فاثم بأكل لحم
أخيك بالفيية ، وبجسدكم الذي زين لكم هذه الوقعة ، تقولون ما لا تعملون ،
أو تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق واثم تعملون ،

هذا واثنا نشترط على المتقدم الذي نعد بنشر انتقاده أن يوجه انتقاده
الى ما كتبنا من المسائل العلمية الدينية أو غير دينية مينا موضع المسألة من
المنار بأن يقول ذكرتم في صفحة كذا من مجلد كذا ما هو كيت وكيت

وهو خطأ: ويبين ذلك بالدليل. ولا نعد بنشر الانتقاد المبهم «نحو انتم تقولون كذا» مما لعلنا لم نقله ولم يخطر ببالنا وانما جاءه من وقية بمض الكاذبين او من سوء الفهم - ولا الانتقاد الغفل من الدليل - ولا ما كان موجها الى الاعمال الادارية أو الشخصية أو اختيار المباحث والمسائل أو أسلوب الكتابة. فكل هذا ما نترك لنفسنا الخيار فيه، مع الشكر عليه، لان فائدة في الغالب خاصة بنا وعدم العلم بها لا يضر القراء شيئا

شرط الاشتراك

- (١) كل من قبل الجزء الأول من مشتركي المنار السابقين يمد مشتركا فيه الى آخر السنة ويجب عليه دفع سبتين قرشا ان كان من مصر أو السودان وثمانية عشر فرنكا ان كان من سائر الاقطار وان رد المجلة في أثناء السنة لان ضياع بعض أجزاء السنة علينا كضياع جميعها
- (٢) يجب على من يطلب الاشتراك ان يرسل القيمة سلفا وان يكون اشتراكه من أول السنة (الحرم) أو من منتصفها (رجب)
- (٣) اذا لم يصل الى المشترك أحد الاجزاء فان الادارة ترسله اليه بنفي ثمن اذا هو طلبه في مدة لا تتجاوز شهرا واحداً من موعد وصوله اليه في بلده . واذا طلبه بعد ذلك كان عليه ان يرسل ثمنه كمن قدّم الجزء وطلب بدله وثمن الجزء الواحد ستة قروش مصرية

﴿ تلييه ﴾

لم تنشر في هذا الجزء شيئا من التفسير لسبب عارض

القرآن ونجاح دعوة النبي

عليه الصلاة والسلام

وآراء علماء أوروبا في ذلك

ألف القسيسون وأعوانهم من المتمصين للنصرانية كتباً كثيرة في القرون المتوسطة يمثلون بها الاسلام في أقبح صورة ينتزعها خيال الكاتب منهم على حسب تمكنه في الكذب والبهتان ولما ارتقت العلوم والفنون في أوروبا وضعف التعصب الأعمى على المخالف بقدر ذلك كثر الباحثون من علماء الأفرنج في شؤون الشرق بالانصاف فتغير لذلك اعتقادهم في الاسلام والمسلمين وألقوا في يارب مزاياء هذا الدين التي كانت محمولة وفضائل أهله التي كانت مبسوطة كتباً كثيرة . ومن هؤلاء المؤلفين البرنس كابتاني الأيطالي فإنه ألف كتاباً في تاريخ الاسلام يقال به كتبه بحرية وانصاف بحسب ما وصل اليه علمه . وقد زار مصر في هذا الشتاء فاحتق به نادي المدارس العليا وأكرم مثواه وأثنت عليه جرائد المسلمين ثناء حسناً . وقد ترجم المؤيد في أوائل هذا الشهر تقرير جريدة التيمس لتاريخ البرنس كابتاني ومنه هذه العبارة :

« ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب الشريعة الاسلامية ان مزية النبي هي كفاءته المحيية كسياسي حنك أكثر منه كنبى موحى اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق إهماله حتى الآن وهو ان حنكته وحسن

سبأسته افادا في تأييد سلطته أكثر من إفادة القرآن أو أي حجة دينية» اه
نص ترجمة المؤيد لمبارة التيمس
وهذا الذي قاله كاتباتي هو اعتقاد الافرنج المارفين بنشأة الاسلام،
وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، أي أنهم يستقدون ان النبي (ص) قام
بما قام به بحنكته وسبأسته، لا بتأييد الله تعالى له بوحية وعنايته، ولو لا هذا
لما كان لهم مندوحة عن الدخول في الاسلام، ومثل الافرنج في هذا
الرأي كل من لا يدين بالاسلام من علماء المشرق. فدعوى ان نجاح النبي
(ص) كان بسياسة وحنكته أي تجاربه هي أكبر شبههم على الاسلام
ومن الشواهد على ذلك من كلام علماء بلادنا غير المسلمين الاسطر
والايات الآتية التي كتبها الي الدكتور شميل الفيلسوف المشهور
بعدم التدبين . حمله عليها قراءة المنار. وهي :

« الي غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

« انت تنظر الى محمد كنبي وتجمله عظيمًا وانا أنظر اليه كرجل واجمله
أعظم ، ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين او المبدأ الديني) على طرفي
تقيض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا
لمرى المودة من صديقك الدكتور شميل

(الحق اولى أن يقال)

دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نحاه للحمية النيات (١)

« ١ » يريد بالديات معناها القضي وهي المقاصد من الدينيه ويعني بالامر بنوعها
تركه البحث فيها أي انه يبحث في القرآن من حيث هو كتاب اجتماعي لا من حيث
هو كتاب ديني كما قال لنا مشافهة

اني وان اك قد كفرت بدينه هل اكفرت بمحكم الآيات
او ما حوت في اصبع الالفاظ من حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ما قيدوا الممران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجار جل السيادة والدها بطل^(١) حليف النصر في الفارات
يبلاغة القرآن قد خلب النهي وبسيفه أنحى على الهامات
من دونه الابطال في كل الورى من سابق او لاحق او آت



(المنار) كتب الله كتور الي بهذا لا لينشر بل ليقرأ على انه خواطر
جاشت في صدره ثم بعد ان نشر المؤيد مانشره عن التيمس ورددت
عليه في الجريدة استأذنت الله كتور بنشر ما كتبه فاذن وهو كما يرى
القارئ اكثر من البرنس كاي تاني تعظيما للبي صلى الله عليه وسلم وكذا القرآن
الحكيم الذي لم يدرك البرنس كاي تاني تأثيره لانه لا يفهمه كالد كتور شمبل.
ونحن - على كوننا نشكر لشمبل ما اعترف به من مزايانا نبينا وكتابتنا
ونسأل الله ان يهديه للباقي منها وهو المهم الاعظم - لا نقول انه اعترف
بنبوته ولا بحقية كرون كتابه بلهيا . ونشكر عليه اشد الانكار قوله ان النبي
صلى الله عليه وسلم من حيث كونه رجلا أعظم منه من حيث كونه نبيا على
انهم لا يمتنون بمثل هذا التعبير الذي قاله شمبل وكاي تاني انه نبى وسياسي
وان نبوته اقوى من سياسته بل يمتنون انه نجح بسياسته لا بنبوته التي
ادعاها ولكن المؤيد غفل عن هذا وادعى ان ما قاله كاي تاني حق ولو كان
حقا لكان هو وجميع علماء أوردوا وعلماء اهل الكتاب والوثنيين الطرفين

بتاريخ الاسلام كلهم على الحق واستلزم ذلك كون المسلمين على غير الحق فيما يتعلق بأصل دينهم لانهم يقولون بخلاف هذا القول ١١
 نهت « الجريدة » المؤيد الى هذه الهفوة وقالت ان مآرجه عن التمس من قول كاتباتي كفر ما كان لصاحب جريدة تفتخر بأنها اسلامية ان ينقله ويقره . فرد عليها صاحب المؤيد بقوله الاتي فخلا عن عدده الذي صدر في ٣ المحرم والعنوان منا فقط :

رأي المؤيد في القرآن

« أما نحن فنقول للجريدة . اننا قلنا عبارة البرنس كاتباتي عن التمس ونحن نعتقد انها ليست كفرا فلا نلام اذا لم نرد عليها وأما الجريدة فقد نقلها وهي تمتعها كفرا ولم ترد عليها فهي المقصرة والمالومة
 « ان غرض البرنس كاتباتي من عبارته ظاهر وهو الاعجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له . والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لعل خلق عظيم » فلم يرد البرنس كاتباتي بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيرا للقرآن الكريم وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على اخلاق غير الاخلاق العالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم : بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظا غليظ القلب لاتفضوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله واتصارهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من الميوب المنفرة . فلو كان فظا غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل ويعرف . وهو الاسلام الذي

جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها
البرنس كاتاني

«وليس المقام مقام مقارنة بين القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وأيهما
أفضل لان هذا لا يؤخذ من عبارة البرنس كاتاني ولا هو غرض مؤرخ
كبير كهذا بل هذه المباحث العقيمة الآن تليق بجريدة مثل «الجريدة»
لا يذوق محررها طمعا لكلام مؤلف ولا يعرف وزناً بقيمة رأي مؤرخ
«أليس القرآن يثبتنا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم حتى الآن ؟ فهل يستطيع مسلم ان يقول ان قوة الاسلام
الحقيقية كانت في عهد مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهل لذلك
سبب سوى الاخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه
وسلم وهل اخلاقه الفائقة الا موهوبة من عند الله وهي معجزة من
معجزاته فهل يكون كافراً بالله من قال ان قوة هذه المعجزة بخصوصه
كان لها دخل في فتوحات الاسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من
كل معجزة دينية أخرى

ان للقرآن الكريم وظيفة أخرى لا يشاركه فيها مشاركوهي كونه
شريعة الهية جمعت بين مصالح الدين والدنيا ففاق بهذه المزية كل الكتب
الالهية الاخرى كما فاتها في الاسلوب والبيان فهل ينقص من فضل
القرآن ومزيته ان يقال ان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كانت قوة
تأثيراً في فتوحاته وبسطة سلطانه

« هذا ما أردنا بيانه وتترك للجريدة المشاغبة واللفظ والثوب من
خطأ الى غلط » اه كلام المؤيد

(المنار) ان المؤيد جرى في الرد على الجريدة في هذه المسألة على طريقة المراء المتأ في المناقشات السياسية خرف كلام كائتاني عن موضعه وجعله من باب الاعجاب بالاخلاق التي أكرم الله بها نبيه وتفضيل تأثيرها على تأثير القرآن وانما كلام كائتاني في غير ذلك اذ زعم ان جل نجاح النبي (ص) أوكله بسياسة وحكته أي تجاربه - لا اخلاقه الموهوبة من الله - كما قال فيه الدكتور شميل انه رب السياسة والدهاء . وكان للمؤيد مندوحيه عن تأييد شبهة كائتاني وتقولتها بأن يقول للجريدة انه سكت عليها لانه لا يطالب غير المسلم بأن يقول في الاسلام أكثر من ذلك مع العلم بأن المسلمين لا يأخذون عقيدتهم عن مؤرخ نصراني . ولكنه لم يوفق لذلك فاضطررنا الى كشف الشبهة بالمقالة الآتية في الجريدة

رد شبهة المؤيد على القرآن *

يقول المنكرون لنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سواء كانوا من الأوربيين أو غيرهم ان ماتم على يديه من جمع كلمة العرب وكذا وكذا مما هو ثابت في التاريخ انما كان بالدهاء والسياسة وسمو الافكار وعلو الاخلاق الذي يكون عادة لكثير من الرجال كالبرنس بسمارك ونابليون الاول . وان ما ادعاه من النبوة وما جاء به من القرآن لا تأثير لهما في نفسه وانما التأثير له هو بنفسه وبهما لانه استخدمهما في تنفيذ

(*) كتبنا هذه المقالة في ادارة الجريدة على عجل . ولم ننس في يدنا مصحف نراجع فيه عدد السور والآيات للشواهد التي أوردناها فيها فوضنا لاعداد الآن ولم نرد في اقلية شيئا سواها بل قلقت عن الجريدة بمروفتها

سياسته (١٨: ٥) كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)
 ويمتقد المسلمون ان انبي (صلى الله عليه وسلم) بشر كسائر البشر
 لا يمتاز على غيره الا بالنبوة وما تستلزمه كما هو نص قوله تعالى (١٨: ١١٠)
 قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي (الآية . وقوله تعالى (١٢: ١٠٩ و ١٦: ٤٣)
 وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم)

ويمتقدون ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى سن الشباب وبلغ
 الأربعين ولم يعمل عملا اجتماعيا ولا سياسيا وان ماتم على يديه بمذ ذلك
 انما كان بالنبوة التي اختصه الله بها وبإقرآن الذي أوحاه اليه فكان
 روحا أحياء به حياة جديدة وأحياء به من اتبعه فكان اعتداء الجميع
 بالقرآن لا بتأثير صنات النبي الشخصية كما قال تعالى (٤٢: ٥٧) وكذلك أوحينا
 اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
 جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا) فالله تعالى هو الذي هدى
 المؤمنين بكتابه ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي هدام بصفاته
 البشرية وكفاءته الشخصية ولذلك أنزل الله عليه قوله (٢٨: ٥٦) انك لا تهدي
 من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (٨: ٦٣) لو أنفقت مافي
 الارض جيما ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

بل يمتقد المسلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتقي في أفكاره
 وأخلاقه بالقرآن نفسه فكما أنزل الله عليه شيئا منه ازداد كمالا به ولذلك
 قالت عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن أخلاقه كان خلق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم القرآن رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما
 وما هداه الله تعالى اليه بكتابه مشاورة أصحابه في الامر فكان

يستشيرهم ويعمل برأي الجمهور وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد
وكانوا يسألونه اذا أشار بأمر هل هو وحي فيطاع بلا بحث ولا تردد
أم هو الرأي ليعلموا ما عندهم فاذا قال هو الرأي ذكروا ما عندهم كما كان
يوم بدر وقد ترك صلى الله عليه وسلم رأيه الى رأيهم

فمن هذه المجالة يعلم ان القرآن هو الاصل في هداية الرسول صلى
الله عليه وسلم . هداية أصحابه عليهم الرضوان الى كل ماتم على يديه
وأيديهم معه وبعده مما أدهش التاريخ اذ لم يجد له نظيراً . ولو شئنا لاثنين
بأكثر مما أتينا به من الشواهد على ذلك من الآيات والأحاديث ووقائع
السيرة النبوية وتاريخ الراشدين ولكن ما جئنا به كاف في التذكير بما
يؤمن به كل مسلم

هذا هو اعتقادنا نحن المسلمين وذلك الذي ذكرنا في أول المقال
هو اعتقاد من ينكر صحة ديننا ونبوة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ويرغمون ان
الاسلام وما فيه من المزايا وما تم له من النجاح كان منشؤه سياسة النبي
صلى الله عليه وسلم وحنكته كما يمد من الرجال العظام عادة ؟

وقد نقل المؤيد في يوم الاحسد الماضي عن جريدة التيمس عبارة
للبرنس كاتاني الايطالي مؤلف تاريخ الاسلام في ذلك الاعتقاد الذي يراد
به هدم الاسلام وهي « ومن رأي المؤلف على إعجابه الفائق بصاحب
الشرعة الاسلامية ان منزية النبي هي في كفاءته العجيبة كسياسي عظيم
أكثر منه كنبي . وحي اليه . ويؤيد قوله بدليل سبق اهتمامه حتى الآن
وهو ان حنكته وحسن سياسته أفاد في تأييد سلطته أكثر من أفادة القرآن
وأنه حجة سنية » ؟

نقل المؤيد هذه العبارة وأقرها فأكرت عليه (الجريدة) ان ينقل الكفر ويقره على غفره بكون جريدته اسلامية وكونه من أبناء الازهر . فبماذا أجاب صاحب المؤيد على هذا الانكار؟ أجاب بأنه يمتد ان تلك العبارة (التي تنيط بنجاح عمل النبي صلى الله عليه وسلم بالحنكة والسياسة لا بالنوّة) ليست كفرآ وبين ذلك بما هو العجب العجائب . قال في العدد الذي صدر أسس (يوم الاربعاء ثالث المحرم) مانصه : « ان غرض البرنس كائتاني من عبارته ظاهر وهو الايجاب باخلاق النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها فوق كل قوة دينية أخرى كانت له والله تعالى يقول في كتابه الكريم « وانك لملى خلق عظيم » فلم يرد البرنس كائتاني بقوله هذا خطأ من شرف الدين الاسلامي ولا تحقيراً للقرآن الكريم . وماذا يفعل القرآن وحده اذا كان الداعي به على أخلاق غير الاخلاق الدالية التي اشتهرت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بل القرآن نفسه يقول « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نعصوا من حولك » فجعل مناط قوة ارتباط المؤمنين به والتفافهم حوله واتصافهم له وفدائهم اياه بالنفس والمال سلامة أخلاقه من العيوب المنفرة فلو كان فظاً غليظ القلب ما نفعه قرآن ولا حمية دينية . وهذا كلام يقوله كل مسلم يعقل يعرف ما هو الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وروحه الاخلاق الشريفة التي أعجب بها البرنس كائتاني »

ونحن نقول له انه لا يوجد مسلم يعقل ويعرف ما هو الاسلام يقول ما يزعم صاحب المؤيد ان كل مسلم يقوله . وانما يقول كل مسلم ان روح

الإسلام هو القرآن الذي به بلغت أخلاق من أنزل عليه. تلك الدرجة العالية كما قالت عائشة وهذه هي العقيدة التي صرح بها القرآن في الآية التي أوردناها آتفا وهي «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» ولولا القرآن لما اجتمع خوله صلى الله عليه وسلم أحد ولما فعل شيئاً ولما فداء المؤمنون بالنفس المال فقد صرح الله تعالى بأن كل عمل له كان بالقرآن فعل تبعه أم تتبع كما يتأني واضربه الذي يقولون أن كل ذلك كان بمزاياه الشخصية البشرية

كاد قمع بين الأوس والخزرج العدوان وتصلى نار الحرب المناظرة وتمت فنزل قوله تعالى (١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) الآيات فرجموا وتابوا وأتابوا وحبل الله هو القرآن ولم يقل أن سياسة النبي ومنكته وأخلاقه هي التي ألفت بين قلوبهم . على أن أخلاقه هي القرآن فهو أصل كل شيء

قال صاحب المؤيد بعد ذلك في الاستدلال على عدم كون القرآن هو منبع قوة المسلمين «أليس القرآن بيننا الآن كما هو بين المسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن؟ فهل يستطيع مسلم أن يقول إن قوة الإسلام كانت في عهد مثله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهل لذلك سبب سوى الأخلاق العالية التي وهبها الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم» وقول في دفع هذه الشبهة أن المسلمين كانوا في قوة وعزة ما كانوا عاملين بالقرآن في عهده صلى الله عليه وسلم كانوا أشد استمساكاً بحبله المين وعروته الوثقى لصفات النبي الشخصية البشرية بل لنبوته وما لها من المزايا والقدوة به في تمسكه بالقرآن التي عاتبه الله تعالى على مبالغته فيها بمثل

قوله (٢٠:١) طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قالوا في زمن أبي بكر وعمر مقربة من ذلك ثم صاروا يدلون بترك القرآن . ويمتد كل مسلم عاقل عارف بحقيقة الاسلام انهم اذا عادوا الى الاعتصام به تعود اليهم قوتهم وعزتهم فهم ليسوا حجة على الاسلام (يا صاحب السعادة) بل القرآن حجة عليك وطبهم

فادعوك الى التوبة والرجوع عما كتبت في أيدي أقوى الشبهات على الاسلام والقرآن والنبوة وأن تمان توبتك في جريدتك وتصرح بأنك تؤمن بأن القرآن هو روح الاسلام وبوجهه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهتدائه به عمل بناية الله ماعمل، وبرد قول كاتباني ان حنكته وسياسته أكثر فائدة من القرآن ومن كل حجة دينية حياه الله هو ومن اتبعه اياه»
فان ذلك كفر وهدم للاسلام

محمد رشيد رضا

صاحب المنار

وقد أجاب المؤيد عن هذه المقالة بما يأتي بنصه نقلا عن عدد المؤيد الذي صدر في سادس المحرم وهو :

ما علما مما بلى

قال اللورد كرومر أسس « ان الجامعة الاسلامية تسلمت السعي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضمت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة وهذه المبادئ منها ما يميز الرق ومنها ما يتضمن سفا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء تناقضه لآداب أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أسرا أهم من ذلك كله وهو افتراف

القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام »
وقال البرنس كياتاني اليوم « ان مزينة النبي هي في كفايته العجيبة كسياسي عنك أكثر منه كنبي موحى اليه - ان حنكته وحسن سياسته أفادا في تأييد سلطته أكثر من افادة القرآن أو أية حجة دينية »
فلماذا اتسع صدرنا لعبارة اللورد ورأينا من اللياقة وحسن الادب تأويلها مع انها كادت تكون مريحة في ان الدين الاسلامي دين وضحي - ولم يتسع صدرنا لما قاله البرنس مع ان عبارته تشمر بأنه معترف للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه نبي موحى اليه وان قرآنه مفيد ؟

اذا كانت هناك بواعث حملت الشيخ رشيد على التفرقة بين الاثنين وتشنيع احدي العبارتين - فان الحق الذي لا تتلاعب به البواعث يشهد بان عبارة البرنس لا توجب اللرم ولا التمييز بله الضليل والتكدير !!
بل الانصاف يتقاضانا الثناء على جناب البرنس والاعجاب بحجة ضميمه لاعترافه بصدق النبوة كما أشرنا اليه آنفا .

أما كون البرنس جعل التأثير في تأييد سلطة النبي صلى الله عليه وسلم للمزايا التي انطوت عليها نفسه الشريفة أولا ثم للقرآن ثانيا كما هو نص عبارته - فهذا لا يقدح في قوله ولا يجعله من باب الكفر . نعم اذا كان للبرنس رأي خاص في النبي صلى الله عليه وسلم كما رآه بعض رجال أوروبا فيه على ما أشار اليه الشيخ رشيد في مقدمة كلامه فهذا لا يلزمنا مناقشته فيه ما دام انه مستور في نفسه بل رآه قد صرح بضده في عبارته حيث قال انه « نبي موحى اليه » فهل لا تكون تلك العبارة قرينة

على ان البرنس ليس على رأي أولئك المنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم
واذا راجعنا ما قاله المفسرون في تفسير آية «ولو كنت فظا غليظ القلب
لا نفضوا من حولك» رأينا مفسرونها بكلام يألف مع ما قاله البرنس
كأبائي . فلم تكن عبارة البرنس اذن كفرة بل هي الحقيقة الدينية التي علم
بها القرآن الكريم .

«قال الطبري في تفسير هذه الآية احتملت (يا محمد) اذى من نالك
منهم اذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه واغضيت عن كثير ممن لو
جفوته واغلظت عليه لتركك فيفارقك ولم يتبعك . ولا (أي ولم يتبع) ما
بمث به من الرحمة» قوله الاخير نص في أن مزاياء النبي الذاتية كانت
السبب في أن يتبعه العرب ويصدقوا بالقرآن الذي أتى به . وقال الالوسي
«لا نفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك وتفرقوا منك ولم يسكنوا اليك
وتردوا في مهاوي الردى ولم ينظم أمر ما بمث به من هدايتهم وارشادهم
الى الصراط» فعدم فظاظته وغلاظته اللتين لو كانتا فيه لذهبتا بكفاءته
وحنكته وسياسته هو السبب الاول في انتظام أمر بمثته . وقال بعض
المفسرين ما هو أصرح من كل ذلك كله قال «وكل واحد من الامرين
(أي الفظاظه والغلاظة) لا يليق بمنصب النبوة : لان المقصود من البعثة
ان يبلغ الرسول تكاليف الله الى الخلق وذلك لا يتم الا بميل قلوبهم اليه
وسكون نفوسهم لديه وهذا لا يتم الا اذا كان رحيبا بهم كريما يتجاوز عن
ذنوبهم ويعاملهم بالبر والشفقة» فلو لا كفاءته الذاتية التي هي عبارة عن
مجموع مواهبه ومزاياه وخصاله الكريمة لما تم أمر البعثة فلم يلتفوا حوا اليه
صلى الله عليه وسلم ولم يعوا القرآن الكريم الذي أنزل عليه فالكفاءة اذن

هي العامل الاول في تأييده أو تأييد سلطته الذي أراده البرنس
 فهل تكون بعد هذا كله عبارة البرنس كفرا وطمنا في الدين الى
 حد لا نسمه صدورنا كما وسمت كلام اللورد ويكون المصريون مخطئين
 في اقامة الاحتفال له واعلان التناء عليه - أم لا يكون شيء من ذلك
 وانما للشيخ رشيد حكمة من وراء صنيعة هذا يطمها هو والواقفون على
 أطواره . وخفي أسرارهم اه كلام المؤيد
 وقد ردنا هذا التمرية والمغالطة بمقالة أخرى نشرناها في عدد الجريدة
 التي صدر في اليوم السابع من المحرم وهي :

جواب المؤيد عن شبهته

﴿ على القرآن ﴾

لا يترك المؤيد شفتته في الجدال فهو يشاغب ويكابر في أصول
 الدين وعقائده كما يفعل في المناقشات السياسية والشخصية فقد انكرنا
 عليه ما كتبه في قيام الاسلام وثبات سلطته وعزوه اياه الى المسلمين
 وقوله انه اعتقادهم وهو ان السبب الاول والعمدة فيه هو كما يقول
 البرنس كايثاني سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته أي ما أفادته اياه
 التجارب . انكرنا عليه هذه الدعوى وبيننا له بالآيات اليينات أن ذلك
 كان بما آتاه الله من النبوة وانزل عليه من القرآن
 فرد علينا أمس باتنا أولنا طعن لورد كرومر في الاسلام فلماذا
 تنكر على البرنس كايثاني ونشنع عليه ونخطئ المصريين الذين قاموا له
 بالاحتفال فاصل جواب الشيخ علي يوسف عما انكرناه عليه هو اننا

فلما مضى فعلاً كان يجب علينا ان نعيده الآن واننا شنعنا على البرنس
كايتاني وذلك يتضمن تخطئة المصريين القديين احتفلوا به .
ولقد رأى القراء انه ليس في عبارتنا تشنيع على كايثاني واكثر ما يفهم
من ردنا على صاحب المؤيد ان ما قرره عن البرنس كايثاني مخالف لعقيدة
المسلمين في القرآن والتبني عليه الصلاة والسلام وليس هذا بتشنيع عليه
لانه ليس بمسلم فيطالب بأن يكون كلامه مطابقاً لاعتقاد المسلمين . واما
احتفال المصريين به فلم يأت له ذكر في كلامنا لاتصريحاً ولا لتوبيخاً وهم
لم يحتفلوا به لانه مسلم بل لانه كتب تاريخاً صرح فيه باعتقاده من غير
تحامل ولا تعصب . وقد صرح لورد كرومر باعتقاده فرأيت كما رأى
المؤيد ان كلامه كاد يكون طمناً في أصل الاسلام فكبت اليه كتابة كان
أثرها انه كتب يريء القرآن والسنة من الطمن . وقد صرح صاحب
المؤيد يومئذ بان ما كتبه لي اللورد هو رجوع عما كتب في تقريره . فإنا
الآن اطلب من صاحب المؤيد كما طلبت من اللورد تبرئة القرآن مما
كتبه فمضى ان لا يكون لورد كرومر خيراً منه في الرجوع الى الحق
بعد ما تبين له

وغرض صاحب المؤيد مما كتبه ظاهر وسببه بين وهو انه عجز
عن رد الججج التي دمننا به دعواه في القرآن وصب عليه الاعتراف بالحق
الذي طالبناه به فانتقم منا بتحريض من احتفلوا بالبرنس علينا وهم أعلى
فهما وآداباً من ان ينخدعوا بمثل ما كتب . ولم يذكر انكارنا عليه
حتى لا يدري به من يقرأ المؤيد ولم يكن اطع على الجريدة يوم الخميس الماضي
تلك شغشته وذلك مبلته من العلم ولولا انه عاد الى تأييد قوله

الاول - بأن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل قوة دينية كانت له أي فوق اصطفاء الله له بالتبوة وتأيد به بالقرآن وان العمدة في نفوذه هي السياسة والحكمة - واحتج بقوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك» لما كتبنا اليوم شيئاً في اعادة دعوته الى التوبة مما كتب والرجوع عنه كتابة في المؤيد

أقما الدليل في المقالة الاولى على ما قلنا انه اعتقاد المسلمين وأيدناه بالآيات والاحاديث ومنه ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) العليا وسياسته المثلى مستمدة من القرآن فصرف الشيخ علي نظره عن ذلك وعاد ينقل لنا ما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك» ولم يذكر الآية بتمامها لانها حجة لنا عليه فكان مثله كمثل من استدلل على تحريم الصلاة بقوله تعالى «يا أيها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة» وسكت عن قوله «وانتم سكارى» الخ

هذا نص الآية (١٥٩:٣) فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فهل تدل هذه الآية على ان تلك الاخلاق العالية والمعاملة الحسنة كانت بتأييد الله اياه وتأديبه له بالقرآن كما نعتقد نحن المسلمين أم كانت بسياسته وحكمته أي تجاربه صلى الله عليه وسلم كما يقول الشيخ علي يوسف تأييداً لسكلام البرنس كآيتاني ٢٢

ألم يصرح جهاذة المفسرين بأن قوله تعالى «فبما رحمة» يفيد ان هذا كان برحمة الله وتوفيقه اياه وان تأكيد السببية هنا بلفظ «ما»

يدل على الحصر كما في الكشف ومعنى هذا انه لم يكن ذلك بكسبه واجتهاده ولا سياسته وتجاريه وانما هو بتأييد الله وتوفيقه . وذلك من آثار النبوة التي هي غير مكتسبة بالتجارب والسياسة ؟؟ ويؤيد ذلك بقية الآية وبامثالها هي وامثالها بموتة تلك الرحمة كان رؤوفاً رحيماً لا فظاً ولا غليظاً . ويدعم ذلك قوله في اخرها « فاذا عزمت فتوكل على الله » ولم يقل توكل على سياستك وتجاربك

ومن أمثلة هذا في القرآن قول تعالى (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الاغنى) والآيات وسببها معروف ملخصه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عظماء قريش الى الاسلام في أول الاسلام فجاءه عبد الله بن أم مكتوم الاغنى وهو من السابقين الاولين يسأله ان يعلمه فعبس (ص) وأعرض عنه ثلاثين مرة من اقباله عليه أولئك الكبراء وكان من اجتهاده (ص) يومئذ ان الكبراء اذ دخلوا في الاسلام أولاً لا يلبث ان يتبعهم الناس فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً ونهاه عن مثل ما فعل فقال (٨٠:١ عبس وتولى ٢ ان جاءه الاغنى ٣ وما يدريك الا ان يركى ٤ او يدرك فتنفعه الذكرى ٥ اما من استغنى ٦ فانت له تصدى ٧ وما عليك الا يركى ٨ واما من جاءك يسعى ٩ وهو يخشى ١٠ فانت عنه تلهي ١١ كلا » فعمل صلى الله عليه وسلم بهذا التأديب والتعليم الالهي من أول الاسلام فكان ذلك عوناً على استمرار دعوته التي كان روحها والمؤثر الاكبر فيها هو القرآن لا السياسة والحنكة كما يدعي الشيخ علي يوسف

اما الدلائل الثقلية على تأثير القرآن في جذب العرب الى الاسلام

فهي كثيرة وأذكر لسعادة صاحب المؤيد منها اسلام عمر رضي الله عنه وهو الذي أعز الله به الاسلام كما ورد . كان عمر في الجاهلية فظاً غليظاً ولا سمع باسلام اخته وختنه (زوجها) عظم عليه الامر فجاءها وضربها حتى أدماها وكانت تقرأ هي وزوجها صحفاً من القرآن الكريم فأخفتها عنه فما زال حتى أخذها وقرأها فجذبه الى الاسلام جذباً وكان بعد ذلك من رحمته أن كان يطوف بالليل يتفقد المحتاجين وقصته في حمل الدقيق ليلاً الى موضع تلك المرأة البائسة وطبخه مشهورة

وحسبك من تأثير القرآن ان كان النالون في العناد والجحود من كفار قريش يهربون من سماعه نثلاً ينجذبهم الى الاسلام بقوة تأثيره (٢٦:٤١) وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون

فأدعو سعادة الشيخ علي يوسف بعد هذا البيان الى الرجوع عما كتبه من قبل والتصريح بان قوة النبي الدينية ، كانت فوق كل قوة له بشرية ، وكل سياسة وحنكة عادية ، وان القرآن الحكيم هو منشأ آدابه واخلاقه وسياسته عليه الصلاة والسلام وان سيادته وبجائه كآيا بذلك قبل كل شيء وفوق كل شيء والسلام على من اتبع الهدى

محمد رشيد رضا

مانشئ المنار

وبعد ان نشرنا في الجريدة ما تقدم رأينا كثيراً من اهل العلم والنفرة مرتاحين مسرورين مما كتبناه وقالوا ان هذا الرد من فروض الكفاية قت به فسقط الحرج عن كل عالم قادر عليه . وكتب اليانا عبدالله اخندي الانصاري مدرس العلوم العربية في المدرسة التوفيقية ما يأتي :

حضرة العلامة المفضل صديقنا الصادق في الله تعالى السيد محمد
رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فلقد اطلمت في صحيفة المؤيد
على ما نشرته من رأي البرنس كاتاني في محمد صلى الله عليه وسلم
ومجادلتها عنه وعلى ما جاء في الجريدة عن ذلك وردكم هو الحق الصراح ،
والنور الوضاح ، والبيان القضاح ، لـدائس الملحدين ، لنور رب العالمين ،
بغزائكم الله خيرا عن الاسلام واهليه ، والشرع وحامله ، ولما رأيت
مجادلة صاحب المؤيد عن ذلك الرأي ، واصراره على عدم رتق هذا الفتق ،
والانصياع الى سلطان الحق ، محابة في الرد ، ومدارة للقصد ، اختلست
ساعة من أوقاتي المملوءة بالاشغال المدرسية ، كما لا يخفى لتحرير هذه المقالة
تأييدا للرأيكم الاصيل ، وتسديدا لقولكم النبيل ، فأرجو نشرها ان
استحسنتم في مناركم الرفيع والسلام عليكم اولا وآخرا وباطنا وظاهرا
من أخيك عبد الله الانصاري

وهذه هي مقالة الاستاذ الانصاري المقيمة بنصها

لاهواة في الدين

لقد جاء انتقاد الجريدة وردودها على ما نشرته صحيفة المؤيد من
رأي البرنس كاتاني في مبلغ الرسالة الاسلامية واعجابها به مطلقا لما اتقد
في صدور ذوي النيرة على الدين بنفثات الذين يريدون المحابة في الاسلام
والتساهل الذي قد اتخذته كثير من دعاة المدينة العصرية من المسلمين
وسيلة الى احداث شأن جديد في الدين عند من اكبرتهم نفوسهم ممن

من لا تروج لسيهم بضائع اهل الملل والاديان ولا يروق في نظرم ان ينسبوا ما جاء في الشرائع الالهية، وعلم من آداب الاديان السالوية، الا الى مجرد فطنة ودهاء واضمها بصفة كونهم ساسة عقلاء لارسلا وأنبياء

ذلك ما تفرع الاسماع كثيرا من بعض المخالفين في كنه العقيدة الاسلامية وما القصد من ذلك الا ان يفيض اعتقاد المسلمين في قرآنهم القائم بين أيديهم الى الآن وتنفصم عراء من قلوبهم فلا يتمسكون به حتى يضعوا ايديهم في يد اهل المدينة القرية، ولو آل الامر الى المجازاة في مثل ذلك الرأي ونبد عقيدة ان الدين وضع الهي وان الكتاب وحي سماوي لم يكن للرسل فيه ولا للالتفاف الناس حولهم الا التبليغ والتبيين « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا » هو ان ذلك التساهل على سعادة صاحب المؤيد أن ينشر على ملا المسلمين ذلك الرأي بصورة رائقة ويجادل عنه وكله كما لا يخفى على بصير مغامر مخالفة لصريح القرآن، هادمة لمبنى الايمان، اذ يجعل نجاح الدعوة المحمدية، بما كان له صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق البشرية والحنكة - التي ربما يقولون بهد «إنها كما تكون له تكون لتغيره من البشر قبله وبعده من العقلاء المجريين، والساسة الحنكيين» - اكثر من كونه نبيا مرسلا، وصاحب كتاب منزل

هكذا قال آباء الحق من العرب ومكابروهم فيه وقد خصصهم الله وألزمهم الحجة واتهى الامر باعتراف المؤمن وغير المؤمن بسمو مكانة القرآن الكريم عند من يدرك معناه وتصور مبناه من حين نزوله الى اليوم ، أما الآن وقد مضى على التنزيل اكثر من ثلاثة عشر قرنا فقد

اصبحنا نزوج هذه الدعوى ونرضاهها على لسان المسيو كايثاني ليقال انا متساهلون متسامحون، او مشورون متمدنون

لست اقصد رمي سعادة صاحب المؤيد بما رمته به الجريدة من المروق لنشر هذا المعتقد وترويجه بين المسلمين وانما اقول أولاً لانصدق ان سعاده لا يصل ذهنه الى اعماق هذا الرأي وما وراءه ولا نسي الظن فيه بكونه يرضاه عقيدة له فلم يكن هناك الا ذلك التساهل الذي ما ساق كثير من الناس اليه الآن إلا اعظام كل ما جاء على السنة متقصبين من وفاق ومخالف، والزهد فيما لدينا من تالد وطارف، وإلا فليس ما رضىه الشيخ اليوم عن كايثاني بأهون مسا ولا اخف وخزا في احشاء الاسلام من ذلك الرأي الغابر الذي ارهف له قلبه وجرده يقطر غيرة وحمية، ام هي الالهواء، تقيح وتحسن ما تشاء،

ما أخسرنا واضيعنا في كل حال لو بذلنا في اغراضنا ومقاصدنا الدينوية إسلامنا وطوحنا بقرآنا في مهاوي التساهل الماحي والتسامح المالحق لدرك كلمه تعالى فينا أو جذب عاطفه تشهد لنا بانآرقينا وادركنا من شأوا المتقدمين ما تشرئب اليه الأعناق وما نحن ببالغي ذلك منهم ولو صرنا لعبادتهم خاضعين

نشأ محمد صلى الله عليه وسلم أميا بين اميين ليسوا اهل ملك وسياسة حتى بلغ الاربعين ولم يكن له من شؤون دنياه في اكثر حالاته الا الاشتغال بعبادة ربه والاتقطاع عما فيه الناس حيثئذ فهو الى ذلك الحين أبعد عن مجاري السياسة، وموالمج حيل الرئاسة، حتى صدع بالدعوة بلا هوادة فيها وسار بها من أول امرها وفي جميع اطوارها برعاية ربه وعناية مرسله

سيراً حثيثاً كان له فيه القلب من أوله الى آخره بين جدال وجلاذ، وبلاء واجتهاد، والقرآن لا غير مصدره ومورده، ومرشده ومعتمده، في كل شيء. ولقد كان برجى الامر حتى يتلقى فيه قرآناً ونحن نخطب بذلك من يتصورون أطوار الرسالة المحمدية ويتخيلون حالة الامة العربية حيثئذ ويمضون في فهم كتاب الله ويقدرون قدره وما كان عليه العرب من النزول على حكم البيان الذي بلغ في القرآن مبلغ الاعجاز فكان عليه وحده في الهداية ونجاح الدعوة المول اكثر من كونه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم او ذا سياسة وحكمة

(وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا واماك تهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور)

لم يذق أحد من نبهاء المسلمين اليوم ولا قبل اليوم قرون فضلاً عن المسيو كائتاني حتى سعادة الشيخ علي يوسف ما ذاق أصحاب النبي في عهده من القرآن وعم في حجور الوثنية، واحضان الحمجية، فانتشلهم وطهرهم فكان موقع القرآن منهم. وقع الزلال من ذي الغلة، والدواء من ذي العلة، والا فما كان يفعل محمد صلى الله عليه وسلم بدون تأييد الوحي المنزل الذي هو حجته الكبرى وآيته العظمى القائمة عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فلا يقال حيثئذ « والا فالقرآن بين أيدينا ولم يعمل عمله فينا » (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون)

لم يرتض اصحاب رسول الله ما قاله أبو سفيان وقد أقبلت جموع الفتح قبيلة قبيلة وهو قائم بين جمع من الصحابة وفيهم (العباس) أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل مع أبي بكر وعمر في كتيبته الخصراء يقولون الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فقال أبو سفيان (لثمان) صار لابن أخيك ملك عظيم. فقال له يا أبا سفيان انما ذلك الوحي والرسالة. فكيف رضي او تقبل ان يكون ما وصل اليه - نبينا من الظفر والقلب في أمر دعوته الى الله بسياسته وحكمه، أكثر من نبوته ورسالته؟ اللهم انما نبرأ اليك من هذا براءة الحق من الباطل. فليصن سعادة صاحب المؤيد غيرته على الاسلام من ان يغمض طرفه على اذى فيه قرب تلميح انكأ من تصریح، ومدح ألم من تجريح، وليحفظ مكاتبة في قلوب أهل ملته، من ان يجابى في دينهم، على مرأى ومسمع منهم، فانه لاهوادة في الدين

عبدالله الانصاري

(المنار) هذا وان الموضوع يتسع لإطالة القول وايراد الشواهد الكثيرة من الآيات الكريمة والسيرة النبوية وانما اكتفينا بما كتبناه على عجل في ادارة «الجريدة» لانا نقصده تذكير المسلمين، لا إقامة الحجة على المخالفين، وقد سكت صاحب المؤيد بعد نشرنا المقالة الثانية ونقلب على ظننا انه ندم على ما فرط منه ولكن كان يجب عليه ان ينشر حقيقة العقيدة الاسلامية في ذلك بالمؤيد ليطلع عليها من قرأوا كتابته الأولى اذ ما كل من يقرأ المؤيد يقرأ الجريدة (وبالعكس) ولو فعل لما نشرنا شيئاً من هذا البحث في المنار.

ماهي اللغة

خطبة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية
في نادي دار العلوم

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون به الكلام . وعليه فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبثقة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتعبير عن حركة من حركات النفس . ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعية وصناعية

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في المباديات الخارجة عنه وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الرسم والحفر والكتابة ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونه مفهوماً بذاته مع جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانه عبارة عن مجموع

الالفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب والصيغ الناتجة من تأليف هذه الالفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الالذن او العين معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأني ان يكون الكلام الصناعي عاما اي ان كل الناس يدركون المراد منه كالرسم مثلا وعلى هذا يتضح خطأ تعريفهم اللغة بأنها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموعة العادات المخصوصة التي تجري عليها كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الا اذا كانت النسبة تامة بين اللفظ ومدلوله لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان الالذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارئ صورة المدلول كما هي ولا يتم ذلك الا باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول ان يكون لكل مدلول علامة خاصة به تدل عليه دائماً ولا تدل على غيره ابداً

الشرط الثاني ان تكون هذه العلامة قابلة للتعبير بتغير المدلول وتبعا له

الشرط الثالث ان تكون قابلة للاشتقاق لمدلولها فاذا اشتق منه

مدلول اشتق منها علامة دالة عليه بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقة بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تعبيرها محكما وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين

الدال والمدلول ولا سبيل الى هذا الا اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجله وهذا الشرط صعب التوفر فإ وقت لغة حتى الآن لنيل هذه المزية اللهم الا لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تالها ابداً

الثاني الملابس وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ . تلك الخاصة التي يدرك بها الفاعل نظائر المدلول ونقائضه والملابس تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الاندرا

الثالث الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً يتني معهما الابهام ويرفع الشك والالتباس ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير وهذا هو السبب في ظلمتها وتسر فهمها وكما كان القول طبعياً اي بسيطاً ازداد وضوحاً بالبساطة هي امثل طرق الكلام على انها طريقة العلم والواقع وهي التي يسهل بها التعبير عن الافكار وحركات النفس كما ينبغي . وكأني بحضراتكم وقد استنتجتم مما ذكرته الى الآن خطر مذهب التجوز او الاشتراك في اللغة وذكرتم انه يذهب بجماله ويحني من وضوح دلالتها ويجعلها ثقيلة على اهلها بسيدة المنال على طلابها من الامم الاخرى سمعت في الاجتماعين الماضيين كلاماً كثيراً في اللغات الاجنبية وان لها اصلاً او اصولاً ترجع اليها وتستمد روح التجدد منها فاهلها في حل بما يفعلون واما نحن فلا اصل للفتا وينون على هذه المقدمة نتيجة هي انه يجب علينا ان لا نعرف كلمة اعجمية لنضيفها الى لغتنا العربية

الحق آتي ما فهمت النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فإني
انظر الى اللغة اللاتينية التي هي اصل لغات ام اوربوا المعروفة بهذا
الاسم من فرنساوية وتليانية واندلسية وغيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً
عن ذلك الاصل بل اجد فرنساوي من حيث هو لا يعرف كلمة واحدة
من اصل لغته وكذلك بقية من ذكرنا وأرى ان كل لغة حية هي لغة
مستقلة قائمة بنفسها لها قواعد خاصة بها وتراكيب وصيغ تميزها عن اصلها
تماماً فاذا استعاروا لحدث جديد اسماً من ذلك الاصل قائماً يستمرونه
من لغة العجمية بالنظر الى لغتهم . الا ترون انهم لا يقصرون الاستمارة
على اللغة اللاتينية ويمتدونها الى اليونانية القديمة وأحياناً يستمرون كلمات
من كل لغة كلمة وينعتونها ويدمجون هذا المزيج في لغتهم فيصير جزءاً
منها ويفسحون له في كتب اللغة محلاً بين كلمتين اصليتين بحسب ترتيب
حروفه الابدائية

انهم يعملون اكثر من هذا : ان لكل بلد عادات في اكلها
وسكنائها ولباسها واطوارها ويتبع ذلك وجود اسماء عند قوم
لمسميات لا يعرفها قوم آخرون الا ان التجارة وطرق المواصلات تنقل
هذه المسميات او نجعلها تشاهد في اماكنها من النازحين اليها فيرى اهل
البلد ما يروق لهم من بعض تلك المخصوصيات لاهل البلد الآخر ولا
يجدون من لغتهم نصيراً على التعبير عنه تماماً لكنهم لا يختارون ولا يقصدون
الاجتماع نلو الاجتماع ولا يفترون شيئاً واحزاباً بل يقدمون على تناول
المسمى واسمه ويدرجون عليه من ساعتهم فيمزج بلغتهم ويعرفه الكل
ويتحرون في حديثهم ان يفتروه كلهم في نطقهم به من اهله والامثلة

على ذلك لا نحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبية . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكيم الفرنسي وهو يقرر مذهبه عند ما يأتي على ما يخالفه من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يذكر ان يعبر عنه بغير لفظه الالمانى وهكذا ثم يذكر بهامش كتابه معناه ما كان هذا لفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الختان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغتهم بهذا الاطلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الاسم الغربية عامة لتكون الالفاظ الغربية عن لغتهم برهانا عن سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد وتكون دليلا على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمته

قالوا ان ذلك جائز عندنا لثمائل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست أرى في هذا الاعتراض الا انه دليل أحد امرين فاما شعورهم بجزنا عن المجازاة لفتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي أيضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كلمات الغير باشكال وصور تجملنا تنطق كلماتهم كما ينطقون ونقل ضمهم كما هم عن بضمهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيه مصباحنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا ليس لأحد ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لأبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فن له يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد

في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم وبحكم علينا بالجلود واعتقال اللسان
أخذ العرب العلوم عن أهلها وتعلوها الى لتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها للاحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجلود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ماطلبوا من نور وعرفان

نسيتا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والاثراء على اتمهم في عزم وبعد تغارم وتمكنهم من انفسهم لم يعتزوا بلغتهم فينفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيننا للتهم وحذراً من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجارة تيار التقدم وهم اولو الرأي فيه وخوفاً من ان يميتهم الجلود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تماصرهم . أيجوز لنا أن نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقهم بحجة انهم اقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نخطوا بدمهم خطوة الى الامام ! لكن من الذي استأجرنا حراساً من الخرس على هذه الودية ؟ وبأي قوة اخضعتنا الى الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم انقص في الافهام ، ام قصر في الاجسام ، ام جهل بنا من البشر لنا كل حقوق الانسان ؟

ليس لنا ان تمسك بالتقديم لقدمه وان اصبح عديم الجدوى ، والا فاولى بنا ان نكف عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما وراثنا

عن الالباء لنميش كما عاش الاولون . غير اني ارجوكم ان تتعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم، ولا تحزنوا اذا هصرتكم عوامل الرقي فننتم بن يقف متفرجا عليكم وانتم كالصور المتحركة الناطقة لكنها تحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانه وتنطق بلغة دائرة قد دخلت من العلم الذي اصبح دارجاً على ألسنة المتفرجين جزع خصوم مذهبناعلى اللغة العربية وحسبوها طعماً سهلاً للتناول والمضم في معد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا انا لا نطبق اسماً اعجمياً يدخل عليها

اليست هي تلك اللغة الحافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول القصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي لن تأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد أزرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطعم الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما أسد ما اجاب به عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلاخوف على القرآن مادام في الوجود مسلم . الا ترون أن القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربية من المسلمين اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك امم تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امته وهو مع ذلك يحرص على القرآن أشد من حرص الجبان على دمه

أيبجزكم ان تحافظوا على القرآن يمينكم وتفسحوا المجال في لتكم للتقدم باليسار لتألا السعادتين وتكونوا من الناجحين في الدارين؟

قالوا العلم نافع قالوا كثير منه يخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا فلتقم بها قالوا هي تخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جراء هذا قال الفرنج عنا انا قوم جامدون وما جودنا الا من الدين فصعنا مع هذا وقتلنا لم بل انتم قوم ظالمون . مالنا وللدين نجمة في كل امر وتقيمة حاجزا في وجه كل باحث حتى في الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان يسير على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار بمدىها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابه المفتحة امامكم ولا تأخروا فلستم وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الا بقلوبكم فاعتنوا بها وأصلحوها وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما يتفنون لكن لا تذكروا من الاشتقاق الخارج عن حد القياس المقول ولا تشوهوا صورتها الجميلة بمدد الاشتراك او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمة تهددها على السنة العامة وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة . اقيموا في وجه هذا السيل الجارف سدا من الاشتقاق المقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند الضرورة لتكونوا من الناجحين اه

(المنار) أتني أحمد فتحي باشا هذه الخطبة في الاجتماع الثالث لنادي دار العلوم وزاد عليها ما جادت به البديهة ارنجالا من القوائد والنصائح . وخطب بعده حفني بك ناصف رئيس النادي خطبة مطولة في اللغة وفنونها . واتفق الجمهور بمدد ذلك على وجوب التماس الالتفاف العربية للمستحدثات بالترجمة والتجوز والاشتقاق ثم لبعا الى التعريب ان لم يتيسر ذلك

وقد كتب الينا النادي صورة هذا الاتفاق بالعبارة الآتية وأرسلها الى جميع الصحف المشهورة :

❖ قرار نادي دار العلوم في الترجمة والتعريب ❖

هذه صورة القرار الذي صدر بنادي دار العلوم في الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة فقرر ان يكون العمل على النحو الآتي: يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لنة فاذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يتمده المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض رئيس النادي حفي ناصف

(المار) قد تباحى رئيس النادي في عبارته اللفظ الذي اتفق عليه جمهور من حضروا الاجتماع الاخير من اعضاء النادي وغيرهم وهو لفظ (التعريب) فقال « يستعار اللفظ الاعجمي » وهو يري بذلك الى عدم تسمية ما يؤخذ من الكلم الاعجمي مراً بحافظة على اصطلاح المتقدمين. ولكنه عبر بلفظ اصطلاحى آخر من الاستعارة وهو لا يقصد به معنى الاستعارة في فن البيان وانما يقصد معناه اللغوي المرافق للاصطلاح الشرعي والمتبادر انه يري بذلك الى ان هذا الاخذ يجب ان يكون من قبيل العارية التي تستعمل زمنا ثم ترد ولكن هذا خلاف ماوافق عليه الجمهور كما تقدم ولله قرار خاص لمجلس ادارة النادي . وعلي هذا يكون الخلاف في المسألة على حاله

الدين الاسلامي والملك نبي

رسالة لصاحب التوقيع اقتبس بها بعض شهادات علماء الأفرنج للإسلام والعرب نشرناها ترغيباً لئله في هذا الموضوع وان سبق لنا نشر هذه الافكار في المنار

(فهرس) حالة العالم قبل وجود الديانة الاسلامية - حقيقة الديانة الاسلامية - أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته - الدين الاسلامي دين الفطرة - الدين الاسلامي دين المدنية والترقي - سديو ودروي - اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم - قول العمرانيين فيه - حكم المؤرخين عليه - الاسلام ليس بدين جديد - الدين الاسلامي ليس بالدين الضيق - كل رقي في العلوم الطبيعية يدعو الى التقرب من الديانة الاسلامية - الدين الاسلامي هو أنشودة الفلاسفة في المستقبل

اني أكتب ما أكتب عالمًا علم اليقين ان الديانة الاسلامية ليست بالشيء العويص الذي لا يمكن للانسان استكناه مجاهيله، أو استشفاف مسائره، بل هي مما يمكن تحقيقها بالاختبار والتجربة اذا صعد الانسان بمنطاد بجته الى سماء الحقيقة فيبر متمصب لفريق دون آخر فهذا يطل الانسان على كبد حقيقتها ويعرف كنهها من سمو ترتيبها ومتانة قواعدها وإحكام نظامها فيحكم بأنها ليست بالديانة التي أوجدتها قريحة آدمي مهما حاز الصفات والكمالات ولكنها هي هداية الآسية، يخالف جوهرها جوهر الافكار البشرية -

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب وقد كانت قومه في هوة الانحطاط يبعدين عن التمدن والرقى الفكري بذلك على ذلك وأدهم لبناتهم وهن على قيد الحياة وعبادة الاوثان وغير ذلك من الاخلاق الذميمة التي تفضي بمتبعها الى الخسران والهلاك المبين وليست بلاد العرب فقط هي التي كانت في تلك الحالة بل ما جاورها ايضا من بلاد الرومان في الغرب وبلاد العجم في الشرق فان هاتين الدولتين كانتا يتنازعا على الحياة وناهيك بما حصل في شأن ذلك من الفتن والقلاقل التي لم تدع قلبا سليما في البشرية يتمتع بالراحة الا واسقته بما هو أمر من الصاب والعقم - كل هذه القلاقل المزيج والكوارث المدهمة جاء الاسلام ليحوها من على ظهر الوجود وليؤيد السلام العام والوئام التام وليكون واسطة بين التمدن الحديث وبين التمدن القديم فلم يمض غير قليل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم الا ورأينا بلاد العرب في وقت واحد ترسل جيشين أحدهما لمحاربة القياصرة والثاني لمحاربة الاكاسرة ففتحوها وانهاكت عليهم خيراتها وظلوا ناهجين في التقدم الى ان بلغوا في ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان في ظرف ثمانية قرون واستخرجوا كنوز اليونان والاعاجم والهنود في العلوم والمعارف وبلغوا الطبقة الثالثة من الرقي في العلوم الطبيعية وهي طبقة الامتحان والتجربة واليك شهادة عالم من كبار علماء الطبيعة

قال: «يجب علينا معاشر الباحثين ان نهم بالكنوز التي تركها العرب فان فيها حقائق وأفكارا سامية تدعو الى الاكتشاف والاختراع لان العرب تقدموا في العلوم الطبيعية تقدما مذهشا للغاية حتى بلغوا الطبقة الثالثة من الرقي فيها الا وهي طبقة الامتحان والتجربة وناهيك ان نظرية الانحراف في

الضوء لم يكن ترقيها الا بواسطة ما عثرنا عليه في مؤلفات الخازن «
وقال العلامة سدي في البحث السادس عشر من تاريخه في اشتغال العرب
بالعلوم الرياضية « لما اشتغل العرب بالعلم التفتوا الى المعلوم الرياضية فأثروا
بالمعجب العجيب في الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والميكانيكا
وترجموا من ابتداء خلافة المأمون هندية أفيليس وتيودوس وأبولونيوس
و..... وشرحوا مؤلفات أرشميدس في الكرة والاسطوانة وغيرها
واشتغلوا قرونًا بدقائق الهندسة وظهرت سميتهم في المناظرات العلمية
خصوصاً في المراسلات الرياضية وطبقوا الجبر على الهندسة وترجموا
كتب هيرون الصنير في الآلات الحربية وقطيزيوس وهيرون الاسكندري
في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه وألف حسن بن هيثم في استقامة
النظر وانعكاسه في المرايا التي تحدث النار وألف الخازن في علم الضوء
والنظر كتاباً في انكسار الضوء وفي الحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية
ومقدار الاشياء الظاهرة وكبر صورتي الشمس والقمر اذ رثيا على الافق
عند الشروق أو الغروب «

وقال أيضاً دروي في تاريخه « بينما أهل أوروبا تائهون في دجى الجهالة
لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوي من جانب الملة
الاسلامية من علوم ادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك حيث
كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وقرطبة وقرطبة
مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم وانتم منها أهل
أوروبا في القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وقنونا عظيمة
وهذه هي احوال الفلاسفة وكبار المؤرخين في الديانة الاسلامية شهادة

دلتية على ان الدين الاسلامي دين الترقى والمدنية . هذه هي آثار الدين
 وآثار امله الذين تمسكوا به واما حقيقة الدين فهي كما قال مسيو مسمير
 رئيس الارسالية المصرية رداعلى الفيلسوف ارنست رينان في خطبة له في
 جمعية العلماء « نحن معاشر المحققين من الفلاسفة نقول ان من تأمل كلام
 القرآن رأى ان محور الاسلام الوجدانية وقطبيه المؤاخاة وتحسين شؤون
 العالم بالتدريج بواسطة العلم وهذه هي حقيقة اسباب نصرة الاسلام »
 وقال كاتب آخر من مشاهير كتاب الغرب في مجلة (الكوارترلى رفيو)
 في مقالة عنوانها (الاسباب الحقيقية في ارتفاع وانحطاط الامم الاسلامية)
 « لما كان الدين الاسلامي جامعا بين الدين والدنيا كان ذلك من ام اسباب
 كثرة الواردين اليه فان الرجل عند ما يسلم يصبح اخا لثلاث مئة مليون
 من النفوس له مالم وعليه ما عليهم ولعمري ان ذلك مما يزيد علائق المحبة
 ويربط الهيئة الاجتماعية ثم استدلل على ذلك بكلام كتبه بوسويرث سميث
 في كتابه المسمى (محمد والديانة المحمدية) لا حاجة لنا بسرده في هذا المقام
 يرى القارئ الكريم من خلال هذه السطور التى كتبناها عن
 الديانة الاسلامية مستنديين على أقوال الفلاسفة والحكماء وكبار المؤرخين
 والكتاب ان الديانة الاسلامية تزدد كل يوم في الحجج ويشهد العلماء
 المحققون بروحانياتها حتى أن المسيو ارنست رنان الذي حمل حملته على
 الديانة الاسلامية والعلوم العربية كتب بعد ان زجروا واعدوا وبرق وارعده
 « ان في دين الاسلام احكاما رفيعة المقام وما دخلت جامعا الا وحصل
 لي انجذاب لدين الاسلام وتأسفت على عدم كوني مسلما لولا ان هذا
 الدين آخر العقل البشري وحجبه عن التأمل في حقائق الاشياء » ولكن

عبارة مسيو رنان الأخيرة ليس لها أدنى نصيب من الصحة وقد علم من كلامنا القدي أسلفناه الجواب الشافي من علة المسيو رنان. والى هنا نمسك عنان اليراع عن الخوض في هذا الموضوع فإن في ذلك القدر الكفاية، لأرباب العقول والهداية،
علي سيد يوسف

(المنار) ان حكيمي الاسلام السيد جمال الدين والاستاذ الامام قد ردا في اوربا على رنان، وقطعا ما جاء به من الزور والبهتان، بسيف الحجة والبرهان، حتى اضطر الى الاذعان، فرحبا الله وجههما الروح والريحان



كلمات عن العراق وأهل

(لعالم غيور على الدولة . ومذهب أهل السنة)

العراق ولا ازيدك به علما من افضل الاقطار تربة وطيب هواء وعذوبة ماء وبه أنهار عظيمة كدجلة والفرات ورياله وقارون تنساب فيه انسياب الافوان، وتحترق منه كل مكان، غير ان اكثره خراب، ينق في اليوم والغراب، لسر المواصلات وقد الامن وحرمانه من نور المعارف والمدنية . والحكومة فيه كما هي في غيره: عبارة عن شركة سلب ونهب وفساد، تعمل في خراب البلاد وهلاك المبادع وهم في غمرتهم سامعون، وعن السياس الاجنبية عمون، حتى أصبح بر العراق كله

متسلحا بالسلاح المارتين، مما ترسل به انكثرا كل حين، بوسائل متوفرة لديها ووسائل سهلة عليها

ومن البلاء العظيم انتشار مذهب الشيعة في العراق كله حتى أصبح ثلاثة ارباع أهله شيعيين وذلك بفضل جد مجتهدي الشيعة وطلبة العلوم منهم، وموازرة الحكومة لهم، بأخذها على يد أهل السنة عن مقاومة سعيهم، وخفض كلمتهم، وفي النجف مجتمع مجتهدي الشيعة وفيه من طلبة العلوم ستة عشر ألفاً. وداهمهم انهم ينتشرون في البلاد، ويجدون في إحلال المباد، ولذلك يحسب عقلاء العراق أن القطر قد انسلخ من الدولة ولم يبق لها فيه من الرسم الا الاسم. ولقد استحكمت النفرة منها في قلوب الجميع فلا يذكرونها بلسانهم، وقلما يراجعونها في شؤونهم، ولقد استطلعت وأنا أتعلم في البلاد طوايا النفوس من أمير ومأمور، وعالم وجاهل، فوجدت الكل في ضجرو وسخط، وملل وهم من صلاحها يا تأسون، وبسوء ادارتها ساخرون، وذوو العقول والفضل منهم في كمد، قد اهرق منهم الجسد، وهم شاعرون بضرورة الاصلاح، وان لاهية للإسلام بدونهم ولا نجاح، وقد اعدتهم الحوادث والمبرات تحسس هذه الروح وتلهس المخرج مما هم فيه، وترام مع غلبة اليأس منه لا تزال تتناجى به نفوسهم، ونحن اليه أرواحهم، وتلهج به ألسنتهم. ولكنهم في محيط مظلم وضغط مؤلم، لا يهتمدون الطريق، ولا يجمدون الرفيق، ولا يصل اليهم من آثار دعاة الاصلاح الا النزر القليل، لشدة المراقبة على هذا الأمر الجليل، ولقد تطلبت المنار، فلم أجده أثر في تلك الديار

ولقد اجتمعت بكثير من علماء بغداد وعقلائها واشرفها ولم أرفهم

أجمع لقنون الفضل وصفات الكمال كشكري افندي الآلوسي وابن عمه الحاج علي افندي فلقد رأيت من سعة اطلاعهما وقوة دينهما وسلامة عقيدتهما السلفية واستنارة عقولهما ووقوفهما على حكمة الدين واسرارها ، واطلاعهما على أمراض الاسلام ، والتهابها غيرة وحمية على الدين ومجاهدتهما في سبيله فرقا من الجامدين من المقلدة وعباد القبور ما بهرني وعشقتني فيهما . ولقد اودوا في هذا السبيل وامتحنوا ففاضفوا وما استكانوا ولا يزالان يصدعان بالحق ويهتنان بضرورة الاصلاح مع منازعة اليأس لهما . واعدائهما من عبدة القبور والأوهام وانصار التقليد والخرافات يبنذونهم باسم الوهاية لينفروا منهم ، ويحرضوا الحكومة على اضطهادهم غير أن حزبهم من ذوي العقول النيرة وطلاب الاصلاح أخذ ينمو عدده ويكثر عضده ، وكلهم أو جلهم من الاعيان ، وذوي المسكاة ورفعته الشأن ، ولم أر احدا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرها مثلما ولهما تمسق غريب فيها وقد سعي في طبع الكثير منها وممتها مصروفة وراء تتبعها والسعي في طبعها لا طمع لهما في ذلك سوى خدمة العلم والدين فله درهما وعلى الله أجرهما

ولشكري افندي قوة على التأليف عجبية وقد ألف في رمضان ردا على الشيخ يوسف النبهاني في سبعين كراساً يياضاً من دون تسويد وقد تكفل بطبعه أحد تجار جده فارسه اليه وهو كتاب نفيس يقضي على النبهاني قضاء لا يسمع له صوت من بعده . والسبب في ذلك انه ألف رسالة في تضاليل ابن تيمية وابن القيم وانتقضا ما شاء ثم عدمن مصائب الدين امتداد بعض الزائعين في زعمه لنشر مؤلفاتهما وتمثيلها للطبع وندد

بالشيخ نعمان افندي الآلوسي رحمه الله لتأليفه كتاب (جلاء العينين في عاكمة الاحمدين) وذمه وذم عائلته وذكر انهم أصيبوا بالحن فلم يعتبروا ولا اتعظوا. ويزعم انه من مجددي الدين في هذا العصر. وهكذا بلغ به الضرر الى هذا المبلغ والجنون فنون» اهـ ما أردنا نشره من هذه الرسالة ويليهِ كلام حسن في الاستاذ الامام والمنار وصاحبه يتعلق بالاصلاح أضربنا عن ذكره مع حمد كاتبه وشكره

ونقول قد ذكرنا هذه الرسالة بما كنا كتبناه في المجلد الثاني من المنار (في رمضان سنة ١٣١٧) من نشر مذهب الشيعة في العراق وهذا نصه :
 قرأنا في بعض الجرائد ان الدولة العلية قد عزمت على ارسال بعض العلماء الى سناجق البصرة والمتفك وكر بلا لارشاد القبائل الرحالة هناك وقرأنا في بعضها انه قد صدرت الارادة السنية بذلك فصلا ونحمد الله تعالى ان الدولة العلية قد تنهت لهذا الامر قبل ان يخرج من يدها بالمرّة فقد سبقها الشيعة وبشوا الوعاظ والمرشدين في هذه القبائل وغيرها من العربان الضارين على ضفاف الدجلة والفرات فادخلوا معظمهم في مذهب الشيعة. يذهب الملاً الشيعي الى القبيلة فيمزج بشيخها امتزاج الماء بالراح بما يسهل عليه من أمر التكاليف الشرعية ويحمّله على هواه فيها كإباحة التمتع بالعدد الكثير من النساء الذي له الشأن الاكبر عند أولئك الشيوخ وغير ذلك حتى يكون وليجته وعيية سره ومستشاره في أمره فيتمكن الملاً بذلك من بث مذهبه في القبيلة بأقرب وقت وبكثي من السياسة غالباً بأفهام القوم ان رئيس طائفة الشيعة المحقة شاه المعجم ورئيس الطائفة الاخرى المسماة بالسنية السلطان عبد الحميد ولا شك ان هؤلاء

يكونون عوناً لرئيس مذهبهم اذا وقع نزاع (لا قدر الله) بينه وبين رئيس المذهب الآخر وان كانوا في بلاد الآخر ويمكن للدولة العلية ان تتدارك الامر بمض التدارك اذا كان الدين تحتارم للارشاد والتعليم أهل حكمة وغيره حقيقية يهيمهم الاصلاح والارشاد بحيث يقدمونه على منافهم الشخصية على ان الذي يدعوا بالحكمة والموعظة الحسنة لا يحرم من أجر الدنيا بل ربما كان نجاحه أتم وقد استغنى جميع دعاة الشيعة في تلك القبائل مع حصولهم على غرضهم في نشر المذهب . وليبدأ دعاة الدولة العلية بمن على القرات فان فيهم عدداً كبيراً لم يزل على مذهب أهل السنة ، والله الموفق اهـ (من ص ٢٨٧م)

هذا ما كتبناه من نحو تسع سنين . ونقول الآن أن أكثر من اجابوا دعوة علماء الشيعة هناك لم يكونوا على شيء من مذهب أهل السنة فاذا كان اولئك الدعاة يشون فيهم الوعاظ يطعونهم القرائض واحكام الحلال والحرام فان ذلك يكون خيراً لهم في دينهم من الحالة التي كانوا عليها . فنحن لا نعد الامر من الجهة الدينية بلاء نازلاً كما عده الاستاذ كاتب الرسالة ولكن الامر منهم من الجهة السياسية فان السياسة هي التي كانت ولا تزال مثار الخلاف بين أهل السنة والشيعة ولولاها لما كان خلاف وما أضاع الدين والدنيا علينا الا الخلاف . وقد كان طلاب الاصلاح بالوحدة الاسلامية مقتبطين بما حصل في هذه السنين الاخيرة من التآلف والتعارف بين الفريقين حتى وقع أخيراً ما وقع من التعدي على الحدود فباتوا يخشون ان تهدم السياسة السوءى في سنة واحدة ما بناه دعاة الاصلاح في عشرات من السنين . فاسأل الله ان يقي الاسلام شرها ويكفي المسلمين فتنها وضرها

(المنار ج ١) (٧) (المجلد الحادي عشر)

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

نحن هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج طالبا ورعا فمما نأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا نل هذا ، وان يفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا نقضه

أسئلة من الحجاز

﴿ القطب والابدال والانجاب والخضر وسند أهل الطريق ﴾

(س ١-٧)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
حضرة الاستاذ الحكيم والمصلح العظيم علامة الزمان سيدي الزبير
السيد محمد رشيد رضا مفتي المنار حفظه الرب المنان

أحييكم تحية تليق بمقامكم الكريم واسأل الله تعالى ان يحفظكم بحفظه
السرمدى وان يهدي الله بكم الضالين . وها أنا ذا مقدم لمقامكم الكريم
أسئلة ذات بال نرجوكم الجواب عنها على صفحات مناركم المنيرة

ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١)
أحاديث استدلل بها على وجود الاقطاب والابدال والانجاب والاوتاد
والنقباء ووجود الخضر عليه السلام وهذا لفظها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تعالى في الارض ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم وله أربعين قلبهم

على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكايل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله سبحانه وتعالى مكانه من الثلاثة . الخ
عن علي رضي الله عنه انه قال البدلاء بالشام والنجباء بمصر والمصاب بالعراق والقباء بخراسان والواتاد بسائر الارض والخضر عليه السلام سيد القوم الخ

ولم يذكر النهائي سنداً ولا من أي كتاب من كتب الحديث أخرجها فأرجوكم أن تفيدوني هل تصح هذه الاحاديث وهل الخضر عليه السلام حي الى هذا الزمان وما قولكم فيمن يكذب بوجود الخضر وغيره من الاقطاب أرجوكم الجواب الكافي الشافي

وفي كتاب النهائي شواهد الحق ص ١٣٢ يقول ان الشيخ الامير أجازته بثبته وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ومن معقول ومنقول وذكر سنده من الامير الى الحسن البصري عن سيدنا علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكايل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم عن الرب الجليل جل جلاله وتقدس صفاته وامماؤه

ارجوكم ان تفيدوني عن هذه الاجازة بهذه الصيغة المذكورة هل هي معتبرة عند المحدثين ويعمل بها ام هي ضرب من الخرافات وما على من من انكرها وهل يصح اجتماع الحسن البصري بسيدنا علي ام لا أفيدوني ولكم الاجر سيدي

في كتاب النهائي صفحته ١٣٠ قال ومن كتب الامام ابن تيمية

كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى
يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في التهر في قوله سبحانه وتعالى «وسع
كرسيه السموات والارض» وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش
لاحمد بن تيمية ماصوره بخطه : انتهت عبارة كشف الظنون ثم نقلها من
طريق آخر عن السبكي وحط على الشيخ ابن تيمية ونسبه الى القول بالتجسيم
وهو براء من ذلك . فلما رأيت هذه العبارة بحثت عن كتاب العرش
ووجدته عند بعض الاصدقاء فقرأته مرارا ونسخته بيدي من النسخة
وما وجدت لهذه العبارة راحة والنسخة التي قرأتها ونسختها هي بخط يمني
بدون نقط الظاهر انها كتبت من عهد قديم وكادت ان تمزق من قدمها
ولحقتها الارضة . فاقولكم في هذه العبارة يجوز نسبتها الى هذا الامام
بعد ان بحثنا عنها فاما وجدناها في كتابه؟ افيدوني ولكم الاجر سيدي

عجبكم بالحجاز

م ح ن

﴿ أجوبة المنار ﴾

تقول قبل كل شيء ان الشيخ يوسف النبهاني لا يوثق بعلمه ولا بتفقه،
ولا ينبغي لكم ان تحفلوا بكتبه، وقد سئلنا غير مرة عن بعض الخرافات
التي ييشها في كتبه المنققة فلم نجب السائلين بشيء . اذ كان يتوقف ذلك على
مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها وأي عاقل يسمح باضاعة وقته
في مراجعة تلك الكتب . اما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ماسألتكم عنه
فاليكم الجواب والله المهادي الى الصواب

أما الجواب عن السؤال الاول فاعلم انه قد ورد في الأبدال عدة روايات لا يصح منها شيء، وان اشار في كنز العمال الى تصحيح حديث علي عند احمد، الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلمات رجل أبدال الله مكانه رجلا يستقي بهم الفيت ويتعصر بهم على الاعداء ويصرف من أهل الشام بهم العذاب، وفي رواية عنه أنهم ستون. وفي رواية عن عبادة عند أحمد وأخرى عن أبي هريرة أنهم ثلاثون أخرجه عنه ابن حبان في تاريخه. ولم أر أحدا من المحدثين الحفاظ خرج ما ذكره التبراني عن علي ولكن ذكره ابن حجر الميمني في الفتاوى الحديثية على أنه من كلام علي كرم الله وجهه لا من روايته المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث ابن مسعود لم أر من أخرجه عنه باللفظ الذي ذكره. ولكن ابن حجر أورده في فتاواه بعد أثر علي عازيا اياه الى اليافعي (وذكر في نسخة الفتاوى المطبوعة بمصر الزايفي وهو غلط مطبعي) ولم يقل عن ابن مسعود ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم. وكان أبي ابن حجر نقل عن اليافعي ان الأبدال سبعة على الاصح ولذلك قال بعد ان أورد حديثه «والحديث الذي ذكره ان صح فيه فوائد خفية (منها) انه مخالف للعدد السابق قبله. (ومنها) انه يقضي ان الملائكة أفضل من الانبياء؟ يعني خلافا لجمهور أهل السنة» الى آخر ما قاله على تقدير صحة الحديث وما هو بصحيح فلا حاجة الى التنب في استنباط الفوائد والمباحث فيه. ثم قال ابن حجر بعد بحثه فيه «واعلم ان هذا الحديث لم أر من أخرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ولكن وردت أحاديث تؤيد كثيرا مما ورد فيه

وذكر ما ورد وحاول تقويته بالحديث الصحيح الذي رواه الشيخان

وغيرها من طرق كثيرة وهو « لا تزال طائفة من امتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس » ثم نقل عن الامام احمد ان الابدال هم اهل الحديث وعبارته « ان لم يكونوا اهل الحديث فنهم » واعتمد ابن حجر ان الخلاف في العدد من قبيل الاصطلاح

ثم ذكر واقعة له مع مشايخه في ذلك نذكرها هنا لما فيها من الدلالة على انهم كانوا يقلدون المتصوفة في هذه المسائل من غير ان يقوم عليها دليل من النقل قال

« ولقد وقع لي في هذا البحث غريبة مع بعض مشايخي هي اني انما ريت في حجور بعض اهل هذه الطائفة أعني القوم السالمين من المذخور واللوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبي خالياً فتمكن . فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني نحو اربعة عشر سنة (كذا) قرأت مختصر ابي شجاع على شيخنا ابي عبد الله الامام المجمع على بركته وتسلحه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فأنجز الكلام في مجلسه يوما الى ذكر القطب والتجباء والنجباء والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بنقله وقال « هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم » فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لاسرية فيه لان اولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب ومن نقل ذلك الامام البيهقي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة . فزاد انكار الشيخ واغلاظه عليّ فلم يسخني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرني عليه الا شيخنا

شئخ الاسلام والمسلن وامام التفهاء والمرفن ابو عىى زكربا الانصارى
 وكان من عااقى ائى اقوا الشئخ مءمء الجوبى لانه كان ضريرا واذهب
 انا وهو الى شئخنا المءكور اعنى شئخ الاسلام زكربا بسلام عله . فذهبت
 أنا والشئخ مءمء الجوبى الى شئخ الاسلام فلما قربنا من عله قلت للشئخ
 الجوبى لابس ان اذكر لشئخ الاسلام مسألة القطن ومن ءونه وتنظر
 ماعنده فها . فلما وصلنا البه اقبل على الشئخ الجوبى وبالع فى اكرامه
 وسؤال الدعاء منه ثم ءعا لى بعواا منها « اللهم قهه فى الءن » وكان
 كئرا ما بءعو لى بءلك . فلما تم كلام الشئخ واراء الجوبى الانصراف
 قلت لشئخ الاسلام با سبءى القطن والاواء والنجباء والابتنال وعرم
 ممن بذكره الصوفى هل م موجودون حقهة ؟ فقال نم واهه باولءى .
 فقلت له با سبءى ان الشئخ - واشرت الى الشئخ الجوبى - بئكر ذلك
 وبالع فى الرءعلى من ذكره . فقال شئخ الاسلام هكءا فعل با شئخ مءمء ؟ وكرر
 ذلك عله حتى قال له الشئخ مءمء با مولانا شئخ الاسلام آمنت بءلك
 وصدقت به وقء بئت . فقال هءا هو الظن بك با شئخ مءمء . ثم قنا ولم
 بعابنى الشئخ الجوبى على ما صدر منى « اه

فىؤخذ من هءه الواقعة أمور (منها) ان ابن حجر الهئبى روى فى
 حجر بعض أهل الطرىق وصار قلىءم وجدانا له لا بقبل فىه قول مشائخه
 وان كانوا عنده من أمة العلم والعمل والنسك كالشئخ الجوبى وهءا هو السبب
 فى انكاره الشءىء على شئخ الاسلام ابن ءعمىة الءى كان لا بقبل فى
 الءن شئئا الا اذا بئت فى الكتاب او السنة نصا أو ءلالة . ومن ابع
 وجدانه وشعوره النفسى فى الأمر لا بقبل فىه ءللا وقد قال الاساء

الامام « ان غاية التصوف جعل الدين وجدانا للانسان الذي يتربى عليه لا يقبل فيه مناقشة ولا جدالا » وهذا حسر اذا لم يدس في الدين ما ليس منه . (ومنها) بيان انه كان يوجد في علماء الازهر الاعلام الصالحين الى ذلك العصر من ينكر جهرا على من يقول بوجود القطب والابدال واضرابهم (ومنها) ان سؤال شيخ الاسلام زكريا عن المسألة كان مبنيا على ان ما يقوله الصوفية في القطب والابدال صحيح ام لا لا على ان ذلك هل صح في الاحاديث ام لا . وكذلك كان جواب ابن حجر لشيخه الجويني فقد قال له ان الاولياء اخبروا بذلك وحاشاهم من الكذب ولم يقل ان ذلك قد صح في الحديث . وهذا يوافق قوله الذي اشرنا اليه آنفا في الاختلاف في عدد الابدال انه من الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح (ومنها) ان شيخ الاسلام لم يحتج على الشيخ الجويني بحديث في ذلك . ونحن نقول ايضا ان الصوفية اصطالحوا على وضع هذه الاسماء لمسميات اعتبروا فيها صفات خاصة ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال ابن حجر

وجملة القول ان حديث ابن مسعود الذي أورده النبياني لم يروه الحفاظ عنه فهو مختلف عليه وان حديث علي لم يرد ايضا باللفظ الذي أورده النبياني بل ورد بالفاظ أخرى أقواها ما أخرجه الامام أحمد وقد تقدم . ومن هنا تعلم ان النبياني لا علم له بالحديث وانما هو حاطب ليل لا يوثق بنقله كما لا يوثق برأيه ولا يستد باختياره فانه مقلد للمقلدين الذين يروجون الخرافات وكل ما يحظى صاحبه عند العامة : فهذا هو الجواب عن السؤال الاول

وأما الجواب عن الثاني وهو هل الخضر في الاحياء الى اليوم ؟ فاعلم

ان العلماء قد اختلفوا فيه فتفاه بعضهم وأثبته آخرون ولكن لم يقل أحد إنه يجب على الناس الإيمان به والنفي هو الاصل وليس عند المتبتين دليل من كتاب الله ولا من الاحاديث التي يحتاج بها ولا من الاجماع الاصولي (كيف والمسألة خلافية) والقياس لا مدخل له في المسألة فدعوى وجود الخضر في الاحياء لا تقوم لها حجة شرعية وانما تبع القائلون بها الصوفية لثقتهم بهم في كل شيء حتى أنهم لا ينكرون عليهم ما يخالف الشرع مخالفة صريحة بل يؤولونه ان لم يؤولوا النص الشرعي . على أن بعض الصوفية يقولون ان الخضرية مقام أو مرتبة لبعض الصالحين يطلق لفظ (الخضر) على كل من يصل اليها . فاذا ذكر من اجتماع بعض الصوفية بالخضر يفسر بذلك . ومنهم الشيخ الاكبر صاحب الفتوحات المكية فانه يذكر انه اجتمع بالخضر كثير أو يذهب بعضهم الى ان مراده بذلك الاجتماع الروحاني كما يقول انه اجتمع بغلان وقلان من الانبياء وغيرهم ممن علم موتهم باليقين كالسبتي ابن هارون الرشيد فاني قرأت له في الفتوحات انه رأى انسانا يطوف بالبيت مع الطائفين فينفذ من بين الرجلين المتلاصقين من غير ان يفصل بينهما أو يشعر به فلم انه روحاني فتبعه حتى كلمه وعلم انه السبتي ابن هارون الرشيد . وقد أطلال السيد الآكوسي الكلام في هذه المسألة في تفسيره روح المعاني فكتب فيها عدة أوراق لعله أودعها كل ما قيل فيها وخرج منها على انه لا دليل على وجود الخضر حيا لامن الشرع ولا من العقل

وأما الجواب عن الثالث وهو ما حكم من يكذب بوجود الخضر وغيره من الاعتطاب؟ فقد علم مما مر أنه لا يطالب مسلم بأن يؤمن بذلك ولم يقل أحد من أئمة الاصول والكلام إن ذلك من عقائد المسلمين فلا شيء على

من كذب ذلك وقد رأيت أن الشيخ الجوني كان ينكر ذلك وهو معدود من أئمة العلماء الصالحين بالازهر ولولا واقعة ابن حجر معه التي استتبع معاتبة شيخ الازهر أو شيخ الاسلام زكريا لبقى على انكاره ككثير من العلماء وأما الجواب عن الرابع وهو هل إجازة اهل الطريق التي ذكرها النهائي معتبرة عند الحديثين وعن الخامس وهو هل أخذ الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه فجوابها «لا» قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة عند الصوفية باطل لأصل له. قال ابن حجر «لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحد من أصحابه ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك. وكل ما روى في ذلك صريحاً فهو باطل» وقال «من المقتضى أن علياً ألبس الخرقه الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقه» وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطي والذهبي وابن حبان والعلاني والمراقي وابن ناصر اهـ

وأما الجواب عن السادس - وهو «ما على من أنكرها» أي إجازة الصوفية بنحرفهم عن الحسن عن علي - فقد علم جوابه بما قبله وهو أنه ليس على النكر لذلك إلا ما على كل من ينكر الأحاديث الموضوعة المغزوة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا واقتراء عليه وهل عليهم الاثناء الحسن؟ وأما الجواب عن السابع وهو أن يجوز نسبة تلك العبارة في التجسيم إلى شيخ الاسلام ابن تيمية بعد ما وجد ككتاب العرش التي قيل إنها فيه فتبين أنها ليست

فيه فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، وبحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشعرا في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لنيره . كيف لا وان بين ايدينا كتباً كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لمذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تعدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد (*)

أيها الاخوان : نخبركم بمزيد الاسف ان الدستور الايراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الايرانية المستبدة لضعيفة امام حزب المجاهدين الايرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد الفقراء واستئصال المطالين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الايراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

أيها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فاذا يكون اذا نحن معاشر الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاشر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد
العثمانية وغير هامن البلاد باسم الانسانية والحرية والنصيحة للنوع البشري
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستياءهم من الحكومتين
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا
على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحيى جميع الاحرار والناصحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحيى
الجمهورية الديموقراطية ولتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الاغبياء الظالمون
حزب الديموقراطيين الاشتراكيين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى كامل ﴾

ما لنا لا ننتهي من نبيّ الا الى نبيّ، ولا نفرغ من ترجمة مبكي الا ونعجباً
بتأيين مبكي، وما بال أم لهيم تلهم من المسلمين، أشهر الكتاب والسياسيين،
فهاهي ذي قد اغتضرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً، وأبعدم
في عالم السياسة صيتاً، وأشدّهم في ذمّاء بلده تأثيراً، وأكثروا لوليا ونصيراً،
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية، ومدير جريدتي اللواء
الفرنسية والانكليزية، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض مماته،
واختاره رئيساً له مدة حياته،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً قضى نصفها في السياسة،
ونصف هذا النصف في الصحافة، بأذلا فيما أخذ فيه جميع أوقاته، مفرغاً

فيه انتهى وجدانه وشعوره ، وما زال الشعور والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئین ، ثم تحزبت له نابتة كبيرة من المتعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقاء ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر غريب ، ماروي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أثرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استمبرت القل الجامدة ، وسمرت الاقدسة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك سلطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان بينه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابله ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يعد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يلوها السواد ، وقد عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأى بعضهم انهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا لينا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يتحدث نفسه بالسياسة ، ويمتينا بالرياسة ، فيحدو به ذلك الى مثاقفة الكبراء ، ويرزجه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتحت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزيفت له بأن يكون طلابها ، فأثر لحبها التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوذعة وجراة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى العالي ، جرى الجنان ، طلق اللسان ، تموي الشعور والوجدان ، متلافا للمالك ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

القطرية، التي أهلته لتلك الناية الكسبية، بافتراض الحوادث، ومواتاة
الوقائع، ومساعدة الزمان، واستعداد البيئة والمكان،
أما استعداد البيئة فمنشؤه انه كان قد سبق لهذا الشعب حركة ديوية،
ونهبضة اجتماعية ادبيه، فلها نقطة وطنية، أتتجث ثورة شعبية عسكرية،
وعقب ذلك احتلال الانكاييز للبلاد، وايقاف حركة ذلك الاستعداد، فسكنت
الاسنة وسكنت الافلام، وغلت الايدي وقيدت الاقدام، ولكن هذا
الوقوف كان في الظاهر، دون مانتطوي عليه السرائر، من ضفائن
مضطربة، وحفاظ مضطربة، وأوهام منزعجة، وأحلام مزعجة، مع مجازاة
الامير توفيق للاحتلال، ومواتاه له في كل حال،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد
جديد من الحركة الوطنية، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكلية، فكان تجليها
الاول هو التجلي العام، الذي ظهر في الخواص والعوام، وكان لسانه الناطق
جريدتنا المؤيد والاهرام، ثم قتر التجلي في جميع الطبقات، ثم ظهر في طبقة
الضباط وقتنا من الاوقات، ثم قتر طائفة من الزمان، ثم ظهر في مظاهرة الذي
هو عليه الآن، بأن تفجعت روحه في الناشئين، فعملت فعلها في غير أصحاب
المأم من المتعلمين، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين، وقد كان
مصطفى كامل (رحمه الله) هو المحلي، في ميدان هذا الطور من احوار التجلي،
ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديا، أو سائقا وحاديا، وهي هي
فوق المدعو والمهادي، وامام المسوق والحادي،

وقد كنت اعجبت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكتبت
فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية ، ثم رأيت الدعوة موجهة الى
جمل الوطنية جنسية للمسلمين ، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين ، واكثر
من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن ، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان ،
عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجرتي لهذه البلاد وكنت
أراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان
محبباً بالمنار حتى كان يهتني احياناً ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على
خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب
من الشيخ محمد عبده ان يجعلك خطيباً في أحد المساجد الكبيرة فان له
نقوداً يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت
لك منه ذلك ، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له
في تقريرها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته
ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه
من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفاً فساء ذلك ولكنه علم
بعد التجربة انه لباب النصيحة . وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة
العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسعى لها سعيها وينت له وجه الضرر
في ذلك الارجاف . فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه
وانحى علينا بمد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالقه
ولو مهنوماً ، ونصر من واقفه ظالماً كان او مظلوماً ، وكان الاول من اسباب
بطء انتشار اللواء ، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء ، كالمبالغة في
ذم المحتلين ، وانتقاد الحكومة ، ومدح الامة ، وتحامي الانتقاد عليها ، والتنويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب نحو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله مؤسسه وعفائه ولعلنا نوفق بعد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في حياته وموته ،

تاريخ العرب والاسلام (في سلك القصص والروايات)

لاسلوب القصص المعروفة بالروايات تشويق السطالة لا ينال منه الملل ، وجذب الى القراءة لا يخشى معه السأم ، فاذن هي اودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أقوى ذوائع تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى تكون الامة كسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر . وانه ليجزنا ان نرى اكثر القصص او الروايات كما يقل خالية من هذه العوائد ، مشتتة على كثير من المفاسد ، تفري القتيان والفتيات بالقرام ، وتجري الحي على ارتكاب الحرام ، وتعلم الاغراء ، حيل الشطار ،

هذا واتنا نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك النشأة الصالحة لملتنا ، وينايع تلك الآفاب ، التي أخضعت أم المدينة لشرارهم من الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأنما بقي روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ، كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فتحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ، والى إيداعه في اسلوب قصصي سهل متاوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر عمل توجهت اليه . حمة الاستاذ الامام ، وفي هزنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهلتنا الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الاسلامي والكاتب الاجتماعي . وقد سمي الرواية الاولى (خديجة ام المؤمنين) وسنشرها في المنار بالتدريج ، وهاك مقدمتها في هذا الجزء

خديجة أم المؤمنين

(مقدمة)



قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دوي قوي وأثر
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وخلفه انقلاب عظيم في ممالك الارض
وتغير جسيم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب
بعقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالمحجوم على الممالك وفوزهم بهذا
المحجوم وانتصارهم وغلبيتهم على الأمم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم
وتكون ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطلانتى شرقاً وغرباً
ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر فزوين شمالاً وجنوباً في
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريعة

هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بنظر تفكر كأنه معتاد الحدوث
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من
التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيه أولئك القوم بسرعة

جديرة أن نشبهها بلحم البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم انه حادث من أكبر الاحداث التي حدثت في الدنيا ويراه جديرا بالبحث والتأمل وامعان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الاول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي ان أول مؤمن به هو صاحب الفضل الاول بمد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الامور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء ان هذا الفضل الاول أي السبق بالايمان به والمواقفة له كان نصيب سيدة من أشراف قومه هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الاحجار الاولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداهة من فوائد جسيمة أزممت ان أقدم في هذه الاوراق لحجي القوائد الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جدا قبل دخولي بالقارئ على سيرتها ان أمرّ به مرة على قومها العرب طامة ثم قريش خاصة فان تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



العرب

العرب كسائر الامم أوائلهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفة ، نقف الآن عند هاتين الكلمتين وثلثت قليلا الى مبحث لطيف نختصر فيه الكلام ثم نعود الى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون أصول أممهم الى أبي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل أصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع أن يجزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يشابه عليه الامر فيحار في تصديق المتناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المسرفة الى الاستئناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة أسلافهم الى أول أصل ؟ لاندرى ولكن يلوح لنا انه لذت للاكثرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في يابأ صلهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يتسوا من هذه المعرفة قنعوا بأن تكون لهم معرفة ما بأصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من الميزات وقد اتسوا من كثرة البحث والاستئناس بالمنقول ان البشر المعروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء للاصول القليلة التي تفرعت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقول بعض ما تلقى في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة غليل المحققين ولا غليل الخياليين فسيظل المحققون صابرين على جهل مثل هذا، ويبقى

الخياليون مستمسكين بما قد حكى لهم من قبل وربما تسلى بحب الحقيقة عن احتجاجها برؤية تماثيلها وماتماثيلها الأساطير الاولين
 اما نحن فترى انه لا حاجة للتسلي بتلك الاساطير لانا اذا اشتبهنا المعرفة فأماننا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ مراحل أعمارنا من غير ان نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً ، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما يجوز ان نطمع فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فليتنا قبل كل شيء ان نريح أنفسنا من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما قطعنا طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فهذا لا حاجة الى ما يذكره علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال اني لهم العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف يبني أهل الفن مبادئ على شيء غير معروف بالطرق التي تقيد العلم اليقيني ؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣) مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرم الاولى ، واما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، والعرب المستعربة هم ولد اسماعيل بن ابراهيم

هذا قولهم وهو لا يجنبني لان البائدة ليست موجودة حتى تمد وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبد . وقد

ذكروا في هذا التقسيم حرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكروا لنا ممن هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه تفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج بامرأة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها ، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلاثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فتفر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يجبني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزه ويقول «كذب للنسابون»^(١) ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي اُعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لديها وتمسك عما وراءه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن أصلاً آخر ، وللقبائل بعد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتسميه : قال الله تعالى

«وقروا بين ذك كثيرأ»

وعرب العراق والشام ترجع الى أحد هذين الاصلين أيضا ، فمدنان هو أبو عرب الحجاز غالبا ، وقحطان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتتون متفرقون ، متقاتلون متذابحون ، لا ملك لهم جامع ، ولا شرع فيهم وازع ، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية ، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية ، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم ، وتذكر فيه مآثرهم وآثارهم ، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام ، فالاسلام قد جمع الازواع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة التزو ، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأنسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا جمهورين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأخبارهم المحفوظة المتولة هي ديوان سيرهم ، واذا لم نثق بنقل أشعارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين ، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب ، والديانة المجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس ، والكنائس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قسيسين ورهبانا ، ويبيع اليهود ما جهلهم ، والناسفة ما أنكرتهم ، والحضارة قد ألمت بمساكنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم ، فكيف يكون هذا الجيل مجهولا بمد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على
وحدة القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب
واتصال الديار والعصبية عند التناصر فاذا رجعوا الى ما بينهم كانوا قبائل شتى
تتمي كل قبيلة الى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا .
ولا يستبعد من أمة محتاجة الى التناصر وليس لها كسائر الامم كتاب يجمع
أخبارها وسير أبطالها أن يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم
وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من
العرب اذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرده بأهله وانتمت اليه الثروة ووضعوا
لأنفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيعوا عظمتهم من الارتباط بالنسبة
الاولى لان لهم عند التناصر - ظاهرا عظميا

يذكر أحد علماء هذا الشأن ان العرب كانت قبائلهم ارحاء وجاهم
فالارحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلالها ولم
تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالارحاء على أقطابها الا أن يتجمع
بعضها في البرحاء وعام الجذب . والجاهم هي القبائل التي يتفرع من كل
واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الالتساب اليها فصارت كلها
جسد قائم وكل عضو منها مكثف باسم معروف بموضعه

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية
أول كل شيء . . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن
شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك انه رأى في منى رجلا على
راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم الحاجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: بمن الرجل؟ فقال «اني رجل من مهرة بمن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحلتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من - ضر» قال «فن الفرسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالفرسان قيسا وبالارحاء خندفا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الحماجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزيمه وبالحماجم بني اذ بن طابخة . قلت «بل من الحماجم» قال «فانت امرؤ من بني اذ بن طابخة» قلت «أجل» قال «فن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب وضرينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فأنت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وبأخوانهم الآخرين بني عمرو وبني تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فأنت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فن البحور أنت أم الدرا أم من النماذ؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالدرا بني مالك بن خنظلة وبالنماذ اصراء القيس ابن زيد . قلت «بل من الدرا» قال «فأنت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طهية وبالشهاب نمشلا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فأنت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قلت « من البيوت » قال « فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زراوة بن عدس وقد كان لا ييك امرأتان فأيهما أمك ؟ »



ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا على شيء مما عليه الامم من الروابط كلاب كان لهم حضارات وملوكهم التابعة في اليمن معروف أمرم عند المشتغلين بالتاريخ . وملوك الحيرة (في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل تاريخ العرب أولهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن سلانة الازد من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعده عمرو ابن أخيه جذيمة الابرش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث المشهور مع الزباء (زوييا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما احتالت عليه الزباء وأطمعته في نفسها حتى اغتر وقدم اليها فقتلته وأخذت ثأر ابها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد ابن اخته عمرو الاخفي جد الملوك المناذرة اللخمين .

والملوك الفسائيون في الشام مشهورون أيضا لا يحفلهم من عرف تاريخ الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الازد ابن الغوث ، قهرقوا من اليمن بسيل الرمم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فانسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من سديح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

(المأثور ١) (١٠) (المجلد الحادي عشر)

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة ، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بأربع مئة سنة و قيل أكثر من ذلك ، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليج داف ، له قضاة ومن بالشام من الروم ، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة ، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند ، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح القرير في أطراف حوران بمائلي البلقاء . ثم ملك الحارث بن ثعلبة ، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل ، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبقاء فبني بها الخفير ومصنعه ، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول ، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الإيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة . ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر ، وهو الذي أحرق الحيرة ، وبذلك سموا ولده آل محرق . ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر ، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ لعمر و نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان ، وهو الذي قابل المنذر اللخمي بن ماء السماء . ثم ملك بعده النعمان بن الإيهم بن الحارث بن ثعلبة ، ثم ملك أخوه الحارث بن الإيهم ، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصاح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بمض

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده
أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوها حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه
الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث
ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الابهيم بن جبلة
ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى
له قصرآ بالبرية عظيما ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك
بعده أخوها شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك
بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن
الابهيم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني غسان ، وهو الذي اسلم في خلافة
عمر ثم عاد الى الروم



ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس
الشاعر المشهور أولم حجرآ كل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه
عمرو المقصور سمي بالمقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده
ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لانه وافق كسرى
قباذ بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباذ المنذر
ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فقطم
شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرده الحارث
المذكور فهرب وتبعته ثقاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وأربمين نقصآ
من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث الى ديار
كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حجر قد ملكه أبوه على بني أسد بن خزيمه فبقي أمره متمسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم ودخلوا في طاعته ثم هجموا عليه بنفته وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أيا ناكاً منها بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد أبيه فاستنجد بيكر وتغاب على بني أسد فأتجده وهرب منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت عنه بكر وتلب وتطاه المنذر بن السماء ففرقت جموع امرئ القيس خوفاً من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على قبائل العرب ، ويتقل من أناس الى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا اليهودي فأكرمه وأثزله وأقام عنده ثم سار الى ملك الروم مستنجدا به وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره الى ملك الروم قال قصيدة تشمر بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب البابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقات بقيصرا
قلقت له لاتبك عينك انما نحاول ملكاً أو نموت فنمئذرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر فبأنه كيف تكون مجرلة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت أمام الامم والاجيال سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرئ ان القول بأن هؤلاء النعم كانوا مجبولين وانهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع، ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكلف نفسه بحثاً وهو لما يحط بذلك خبراً

ومتى كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا مزيد -
 كانوا هم أحق بمعرفة أنفسهم وحفظ مفاخرهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شهادة ،
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، وإذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار
 لم يكن غيرها أحق بالثقة لعمر الحق فان تزوير الاساطير لا يستبعد وقوعه
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق
 من القرائن للشاهدة والنظائر الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمقول البتة لا يصري رأيه ولا ينس التاريخ والمنقول
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيراً وإنما يضره وحده . يقال
 استفادته من المنقول ، ويكثر وساوسه وغروره ، ثم يصل الى درجة لا يثق
 معها أحد بمقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب
 لا أناقشه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية

ولا أزيد شياً على ما أوضحته به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي نروي هنا
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجدها النفس
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفاً ان لهؤلاء العرب المعروفين أصليين معروفين عندهم
 ومجهول ما وراءهما وهما عدنان وقحطان ، فلما قحطان قد أخذت خريجه

بخطها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته وأما
عدنان فإن حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان له ظمه متجاوز النسبة أي
أنه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطفئ
عجدهم وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبين بهر العالمين أجمعين
فلذلك نلم هنا بذكر النرية العدنانية دون النرية القحطانية لانتنا
نريد أن نتعرف القاريء بقوم خديجة الخصوصيين . ﴿ فعدنان ﴾ ولد له
﴿ معد ﴾ ومعد ولد له ﴿ زار ﴾ وأولا ذرار أربعة ﴿ مضر ﴾ وإباد
وربيعة وأغار وقد فارق إباد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق .
ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجوذ وقس بن ساعدة
الايادي المشهور بالقصاحة . ومن ذرية ربيعة بن زار قبائل غزاة وبكر
ووائل وتغلب ومن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت
لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب . ومن بني بكر
ابن وائل بنو شيان ومن مشهور بهم مرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة
ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم . سليمة الكذاب
وولد لمضر بن زار ﴿ إلياس ﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس
هذا فن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم
مريضعة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر ومصصة
وخفاجة وبنو هلال وثقيف وبنو غمير وباهلة ومازن وغطفان وبنو عبس
الذين منهم عترة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فرارة وكان
بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين علماء . ومن
بني ذبيان الثابتة الذي يأتي الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة
بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة

وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمه ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب
جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور

وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والمون وولد لكنانة
ابن خزيمه ﴿ النضر ﴾ وملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فن
ملكان بنو ملكان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهورهم أبو ذؤ ، وبنو
بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهورهم أبو الاسود الدئلي وبنو
ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة

وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواء وولد لمالك
هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر
وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ وعارب والحارث فن عارب بنو عارب ومن
الحارث بنو الخليج ومن مشهورهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري
فهر يقال لهم قرشيون

وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وقيم الادرم ومن تيم المذكور بنو
الادرم ومعنى الادرم ناقص الدن

وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر
وأسماء . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله
علي بن أبي طالب

وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فن هصيص

بنو جح ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنوسهم ومن عدي بنو عدي
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرة بن كعب ﴿ كلاب ﴾ وتيم وبقطة فن تيم بنو تيم ومن
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن بقطة بنو مخزوم ومن مشهورهم
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لـ كلاب بن مرة ﴿ قصي ﴾ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد
ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو
الذي أثل مجدهم

وولد لـ قصي بن كلاب ﴿ عبد مناف ﴾ وعبد الدار وعبد العزى
فن بني عبد الدار بنو شية حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر
ابن الحارث كان من أشداء أعداء النبي ، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا
خديجة بنت خويلد التي نروي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿ هاشم ﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل
فن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي
سفيان مؤسس الملك الأموي . ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن
ذرتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لـ هاشم ﴿ عبد المطلب ﴾ ولم يعلم له ولد سواء . وولد لعبد
المطلب ﴿ عبد الله ﴾ وحزرة والعباس جد الملوك العباسيين
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿ محمد ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام

بقرتها الحسنة من يشاهد من يؤت الحسنة قدواتي
خيرا كثيرا وملايد حكر الا اولو الابواب

المشجعا
١٣١٥

بقر عادي الذين يستعملون القول يلبسون أسنة
أولئك الذين هدام أقدوا أولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ٥ منارا ، كثار الطريق

(مصر الارساء - ٢٩ صفر ١٣٢٦ - أول ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨)

كتاب مصر الحديثة للورد كرومر

نظرة إجابة في الكتاب

أقام لورد كرومر في مصر نحو ربع قرن متصرفا بنفوذ الحاكم المطلق فمرف من أحوال حكمونها وسيرها الاجتماعي ما يميز على غيره من حكام البلاد أو زلائها من الأوربيين ان يعرفوه ثم أودع زبدة ما عرفه في كتاب يدخل في ثلاثة مجلدات طبع اثنان منها وأوصى هو بطبع الثالث عقب موته لانه خاص بحال مصر في عهد الامير الخال عباس باشا الثاني والظاهر أنه أشد الاجزاء وطأ وأثقل قيدا على مصر والمصريين على ان الجزء الثاني لا تستغف وطأه ، بل لا تطاق كلته ، فهو قد حكم (المارح ٢) (١١) (المجلد الحادي عشر)

لكل الشعوب التي تتبوأ ارض مصر وعليها ولكنه حكم على المصريين
لا لهم ولم يحكم عليهم بالمساواة بل فضل القبط على المسلمين تفضيلاً من
حيث دينهم ونا فيه من المرونة التي تساعد على مجارة المدينة ما لا يساعد
الاسلام أهله على زعمه

ولم يكف بالحكم في قضايا الشعوب من حيث هو حاكم سياسي
اجتماعي بل حكم ايضاً في قضايا الرجال المشهورين الذين عرفهم من بعض
الوجوه وكان حكمه عليهم من غير الوجه الذي عرفهم به اذ حكم على مطويات
العقائد ومكونات الضمائر وخطرات القلوب

ولم يرضه هذا حتى رفع نفسه الى مستوى الحكم على الاسلام من
حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعي فحكم من الحيثية الاولى
له وعليه ومن الحيثية الثانية عليه لا له وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على
أهله عامة حتى في مستقبل أمرهم فكان حكمه هذا صاخة تصخ المسمع
وقارة تصدع القلوب بل هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمصريين
وسائر المسلمين

رأيت حديث الناس في هذا الكتاب يدور على قطبين (أحدهما) الحكم
على شعور الكاتب حينما دون حكمه على المصريين وعلى الاسلام والمسلمين
فأرأيت بينهم خلافاً في كونه كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام
من المصريين بما فوقوا اليه من سهامهم ، وصوبوا اليه من أسنة اقلامهم ،
في وقت مفارقتهم لديارهم ، وهو وقت ضاق فيه ذلك الصدر الواسع
عن احتمال الانتقاد ، بله الشتمة والازراء ، على أنه قد ظهر ضيق صدر
الورد قبل ذلك في تقريره الاخير ، ثم في خطبته التي خطبها قبيل الرحيل ،

هذا وأما القطب الثاني لحديث الناس في الكتاب فهو غرضه منه وقد رأيت أهل الفهم والذكاء يقولون من غير مواطاة ولا تقليد ان غاية اللورد من هذا الكتاب هي ان يستل من قوس أحرار قومه فكرة توقيت الاجتلال ، والخروج من مصر في يوم من الايام ، ويقنعهم ويرفع أودبهم بأن لاضمان لحفظ مصالح الاوربيين في مصر بل ولا مصالح المصريين الابقاء الانكاي في مصر لان المصري شديد التمسك بدينه الذي لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع هذه المدنية كما يحب الاوريون ويبنون كانت مدينته تقليدية لا حقيقة وكان بذلك شرا من المسلم المتدين وأشد عداوة للاروبي والمسيحي ولو غير أوربي

ويرون ان تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انكلترا وما أظهره من الميل الى اعداءم للاستقلال هو من التعميه وذو الرماد في العيون وإلهاء المصريين بالاماني والاحلام. وأصحاب هذا القول غافلون عن طرق الاستثمار الجديدة ومنها حكم البلاد باسم أهلها والرضى بالسلطة الفعلية بدلا من السلطة القولية وقد سبق لنا بيان لهذه الطرق في السنة الاولى من المآثر وفي غيرها أيضا

هذه صفوة الآراء التي دارت بين الناس في شؤرمؤلف كتاب مصر الحديثة وفكره المستولي عليه عند الكتابة وفي غاية منه وذلك ضرب من ضروب انتقاد المصنفات مطروق الابواب ، مهود عند الكتاب ، ومما ينتقد على هذا الكتاب وهو من أصول الانتقاد استنباط القواعد لسلكية ، من شواذ الحوادث الجزئية ، ولم يسلم اللورد من ذلك فانه في المقابلة بين عقل الغربي والشرقي اورد الامثلة لعقل الشرقي الضعيف

التنظيم والادراك « لا اعتقاده بالقضاء والقدر ورضوخه لكل سلطة تتولى أموره » فانه بعد ان دعم الحكم على عقل الشرقي بهاتين الملتين مثل للحكم الكلي العام بما نص ترجمته

(قال اللورد) « حدث أكثر من مرة ان المفتحي في مصلحة الحديد المصرية حول الخط والقطار عليه لم يمر الانصفه الى الخط الآخر فادى ذلك الى انقلاب القطار وحدث ايضا ان سائق قطار نسي احيانا اي مفتاح يجب ان يحرك لكي يوقف القطار وحدث مرة ان عمال السكة الحديدية قتلوا لانهم ناموا بعد ان وضوا رءوسهم على الخط الحديدي وانما فعلوا ذلك لينقوا بأنهم يستيقظون على صوت القطار الآتي »

ونقول ان أمثال هذه الجزئيات تقع في أوروبا وفي جميع البلاد من جميع الشعوب وناهيك بالطبقة الدنيا من المال فان ذكي القطرة عالي النفس لا يرضى لنفسه بأن يكون من أحقر عمال سكة الحديد، وناهيك بالمبتدئين من أهل هذه المهنة بها والقالب ان يكون أصحاب ذلك الشذوذ الذي ذكره منهم . فغال أمثال هؤلاء لا يصح ان يكون مناط المقابلة بين الشعوب في ارتقاء العقل وملكية النظام فيه . وانما ينظر في حالهم من جهة النشاط في العمل والصبر عليه ولعله لو قابل بين فعلة الاوربيين وفعلة المصريين في هذه المزايا لما قدر ان يبخس المصريين حقهم، وان ظن ان القضاء والقدر قد فتك باستعدادهم لكل عمل ١١ ونسي ان أكثر المستخدمين في سكة الحديد من القبط الذين هم على شاكلته في عدم الايمان بالقضاء والقدر واني أذكر له شيئا من بلادة بعض الاوربيين وغفلتهم هو أبعد عن العقل والنظام مما صدر عن صنار فعلة السكة الحديدية في مصر ناقلا إياه عن

كتاب صفوة الاعتبار لصديقه الشيخ محمد يرم الثقة المدبر رحمه الله تعالى
فانه كتب في الفصل الذي عقده لبيان عادات أهل فرنسا وصفاتهم مانصه :
« ومع ذلك (أي انتشار المعارف) فلا يزال في فرنسا خلق كثير
على السذاجة والجهل . ودونك حكاية ظريفة تقيس عليها ما يقرب منها .
ففي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل باليد مشتتلاجة
« بارس » وكان له ابن مشتتل جهة « بردو » فلم يوفر الابن من كسبه
ما يشتري به حذاء فأرسل الى أبيه يشتكي له القل ويطلب منه شراء حذاء
له فاشتراه له وحمله في الطريق وهو مفكر في كيفية إيصاله اليه فينبأه
ماش اذ مر عاذباً للسلك الكهربائي فقال هذا أيسر طريق !! إني أحمله
الحذاء وهو يوصله لابني . فجاء الى عود السلك وعلق فيه الحذاء وأسرَّ
الى العود بقوله « أوصل هذا لابني فلان في المكان التالي » وذهب
مسروراً باطلاعه على مسلك سهل بلا مصروف . ثم مر من غد متفقدآ
ما فعل السلك بالحذاء فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقا أفناه اللبس
ففرح وقال « ان ابني لما قل حيث أرسل لي القديم لاستعين به على ثمن
الجديد » فانظر الى هذه البلاهة التي لو صدرت من أحد المشرقين
لشنوا بجميع الجنس بأنه وحشي يبعد عن المعارف وتهذيب الاخلاق ،
(وقد صدق ظنُّه صديقه لورد كرومر فانه شنع على الشرقيين كافة بما
وقع من بعض فقلة سكة الحديد بمصر)

(ثم قال يرم) « واعلم ان مثل هذا الرجل كثير سيا في القرى الصغيرة
والجبال بل وفي أهل المدن كثير ممن يمتدّ بالخرافات الباطلة ويمتد
التأثير لا جوار جهادات ، ويتشام بالآوقات ، فقدر أيت في كثير من بلدانهم

وبلدان الطليان وكذا الانكليز طاقات في حيطان فيها منارات توقد ليلا بالزيت أو بالشمع العسلي تقرب الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول المتقرب اليه بتلك الطاقة . ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم ان شمع الشعن أو النازن البدع التي لا يتقرب بها . وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جادات أو أما كن اعتقاد حلول ارواح فيها . وقد ذكر من هذا النوع في كشف الخبايا فنون أوروبا ما يتعجب منه السامع مما ترى الاورباويين ومن تشكل بشكهم وتباهى بتقليد يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويحطونها سخرية وينزهون أوروبا عن مثلها مع أنها حاوية لشبهها ولاشد منها . بل ربما أسند ذلك الجاهل أو المتجاهل الى دياتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد لثل ذلك بل انها هي المهدبة والمنقذة من ذياهب الجهل الى نور المعارف الحاتمة على العلم وفتح البصائر » اهـ بحروفه

هذا ما قاله عن اهل فرنسا وم أسبق الاوربيين الى العلم والمدنية واذا كان أذهاءا . على أنه قال ان الانكليز كذلك بل قال في كلامه من عادات الانكليز وصفاتهم مانعه :

« وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هيج الفرانسيس سواء كان . من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فيطيطرون من أشياء كادت ان لا تحصى وينقادون الى السعرة والدجالين بما يخرج عن حد المقول وكاد التلم ان يكون عديم مجهول الاسم فضلا عن المسمى سوى ما برطان لهم القسوس في الكنائس » الخ
أقول اما خرافات القبور والاولياء التي قال انهم يعيرون الاسلام

بمثلا وهو منها بري قد أخذها المسلمون عنهم وهم أخذوها عن اجدادهم
أو مجاورهم من الوثنيين فالاسلام والنصرانية الحقيقية برثان منها وقد
قال صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع »
قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ - قال « فن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما
وان تعجب فحجب مقارنته في هذا المقام بين الاوربي مطلقا والعالمي
المصري في الحساب قد قال بعد ما تقدم ما ترجمته كما في المؤيد :

« وقارن أيضا بين تقدير الاوربي للحساب وبين للمصري العالمي
الذي يشكل عليه إشكالا كاملا كل أمر يتعلق بالارقام أو الكمية فان عددا
قليلًا من عامة المصريين يعرفون عمرهم . فاذا سألت المصري من عمر
رجل متقدم في السن يكون جوابه غالباً « ان عمر الرجل مئة سنة »
ويقول في نفسه ماذا بهم التدقيق في هذا الامر أو أي أمر آخر علمي »
قلت ان هذا من مواطن العجب لان المقارنة فيه بين الاوربي
المتعلم والمصري العامي ولماذا لم يقارن في الحساب والارقام بين المتعلم من
الفرقتين ؟ لعله لانه يعلم ان المصريين من اقوى الشعوب استعداداً للبراعة
في الحساب وسائر العلوم الرياضية وقد أراد الانكليز منذ بضع سنين ان
يجعلوا ترقية المهندسين منهم على المهندسين من المصريين مبنيًا على قاعدة
عادلة لظنهم أن الانكليز اعلم وأبرع فامتحنوا الفريقين فاسفر الامتحان عن
فوز المصريين وتخلف الانكليز عنهم وسكت الفريقان على ذلك الامتحان
فلم يعلموا به الجرائد . اما الانكليز فلما هو ظاهر واما المصريون فلخوفهم
ان يخفق عليهم رؤسائهم ويستقمو منهم

ومما يستفد عليه في كتابه تقليده لغير واحد من كتاب الاوربيين في

آرائهم في الاسلام وكان أجدر من كثير من أولئك الكاتين بمعرفة حقيقة الاسلام لو أراد أن يعرفه وينصفه فإنه عاش في مصر عمراً طويلاً وعرف أشهر علماء نابال أشهر علماء الاسلام المعروفين في العالم كله الآن وناهيك بالاستاذ الامام وطول بابه في علوم الدين ورسوخه في فهم القرآن وهو الذي لم يكن يحتاج في مخاطبته لإياه وفهمه عنه الى ترجمان كما كان يحتاج في مخاطبة غيره من شيوخ الازهر . ولكنه لم يكن يسأله عن أصول الاسلام وحكمه وأحكامه ولا الاستاذ الامام كان يبتدئه بشيء من ذلك وانما كان يقصد اليه لاجل الكلام في المسائل المصرية لاسباب الحاكم الشرعية . وماذا كر لي عنه انه كان يذاكره مرة في اصلاح هذه المحاكم ومعارضة قاضي مصر وبعض المشايخ ومقلديهم في ذلك كما حصل في مجلس شورى القوانين وذكر اللورد كثرة شكوى الاهالي من الظلم وضياح الحقوق في هذه المحاكم ولما بين له الاستاذ الامام انه ليس في اصل الشرع شيء يناقض الاصلاح المدل قال له اللورد هل تصدق ياأستاذ انه يخطر في بالي ان شريعة قامت على أساسها مدنية عظيمة تكون غير عادلة ؟ كلا اني أعلم ان كل هذه المفاسد مسائل « الكيركية » اي من تقاليد المشايخ التي تشبه تقاليد رجال « الاكليروس » عند النصارى

أقل هذا بالمعنى كما اخفظه عن الاستاذ الامام واستطرد من ذلك الى انتقاد ما كتبه اللورد عنه ثم أخلص كلامه في الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة وأبين خطأه وخطئه فيه وانتقل من ثم الى المقصد الاعظم وهو مستقبل الاسلام والمسلمين ومراد اللورد وامثله من أساطين السياسة وامانيهم في ذلك وما يجب علينا من العبرة

والعمل في هذا المقام ، مع تعدد السبل واشتباها الاعلام ،

قول اللورد في الشيخ محمد عبده

لم يسلك اللورد مسلك اصحاب التراجم من المؤرخين فيذكر ما للرجال الذين ترجمهم من الصفات والمزايا وما عليهم من التصير وإنما ألمّ بذكر بعض كبار الرجال المشهورين للمأما ولم ينظر الى أحد من المسلمين بعين الرضى كأنظر الى الشيخ محمد يريم التونسي على أنه مدحه بشئ يراه هو مدحا ويراه جميع المسلمين ذما إذ قال فيه «علمه ذكاؤه الفطري ان النظامات التي تعلق بها أسلافه (يعني الشريعة التي جرى عليها المسلمون السابقون) لا بد أن تلاشى اذا قابلتها المبادئ السامية المرقومة على راية الانكليزي ١١ رأى كل هذه الامور بعين النافذ البصير» وقال بمس ذلك ان مثله اذا ناقش المسيحي في الامور العامة يكون من النتيجة المحزنة أنه «يكتفي بنذب مصير ذلك الدين الذي يحبه وذلك النظام المؤذي الذي اوجده دينه» ثم ذكر انه لا يوجد عند أمثال يريم من خيار المسلمين طريقة قادرة على احياء الاسلام الذي هو في حالة الموت السياسي والاجتماعي ١١ ونحن نعلم فيما رأينا من مؤلفات الشيخ محمد يريم وما سمعنا عنه ممن لقيه أنه كان متمسكا بهذا الفقه ويراه أحسن نظام ويستمد انه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا كان مع ذلك يفضل عليه المبادئ والقوانين الانكليزية او يرى انه نظام مؤذ فكيف يكون راسخا ذلك الرسوخ في الاسلام ؟ أرى انه على أطرائه ليبرم في الدين قد ذمه من

حيث أراد مدحه ولم يعرف حقيقة الدينية كما هي ولا يرضي مرادي الشيخ محمد عبده أن يكون مثله مرضيا للورد في ذلك وأن كانوا يعلمون أنه لا يمد جميع هذا الفقه ولا أكثره من الدين . وانا نذكر الآن رأي اللورد في الاستاذ الامام في تقريره لسنة ١٩٠٥ ثم نشفعه برأيه في مصر الحديثة وبين سبب الاختلاف بينهما

قوله فيه بتقرير سنة ١٩٠٥

احتفظت النية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر أرادت به الشيخ محمد عبده فأحييت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب طيبهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العراية . غير أن المنفور له الخديوي السابق صفع عنه طبقا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بمعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة تضلله من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذكر مثالا على تقع عمله القوي التي أفتاها في ما اذا كان محل للمسلمين تمييز أموالهم في صناديق التوفير وقد وجد لهم بابا به محل لهم تمييز أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء أما الفئة التي يقتضي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الإصلاح في الاسلام فمروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ

الجليل السيد أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً . والناية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشرائع التي لا تخلو من أساس ديني . فعملهم شاق وقضاؤه عسير لانهم يستهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطمع الطاعين من الذين يخلص بعضهم النية في التقدير يقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع واثناك حرمة الدين

أما مریدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة الملية بمنزلة الجير وندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتطوعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالاضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين، غير ان معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تخطل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءه ما على توالي الايام اذ لا رب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشده اليه المرحوم الشيخ

محمد عبده هو السبيل. الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين . ولعلمهم يجدون بعض التنشيط من قولي قولاً لرجل من اهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة علي كده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة التي تطلبوا بها على تلك المعارضة » وهنا ذكر عبارة عن كاتب هندي اسمه السيد محمود تضاهي عبارته في المقدار

ومما كتب في اواخر الفصل الذي يتكلم فيه عن الحاكم الشرعية ما ترجمته « هذا واتي أوافق السر ملكولم مكثرت على ما قال عن الضربة الثقيلة التي أصابت الإصلاح من هذا القليل بروت الرحوم الشيخ محمد عبده فقد أشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فابسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا يتخور عزائهم بفقده بل يطهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار برقية المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته » اهـ

اما ما قاله السر ملكولم مكثرت وصرح به اللورد بموافقته عليه فهذا نص ترجمته

قول المستشار القضائي في الشيخ محمد عبده

« ولا يعني ختم ملاحظاتي على سير الحاكم الشرعية في العام الماضي بنفي أن أكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل الرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يولييه الفائت وان أبدي شديد أسنى على الخسارة العظيمة التي أصابت هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق

بالشرعة الاسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيراً للزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام فى المسائل الدينية أو الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة فى الفكر كثيراً ما كانت خير معوان لهذه النظارة فى عملها . وفوق ذلك فقد قام لنا بمخدم جزيلة لا تقدر فى مجلس شورى القوانين فى معظم ما أحدثناه أخيراً من الاصلاحات المتطلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضى الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظراً لاسمو مداركه وسعة اطلاعه وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التى اكتسبها أثناء وظفه فى محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريدان تكل اليه امر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . اما الآن فانه يتعذر وجود احد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحفائية ستظل زمناً طويلاً تشمر بخسارتها بفقدته ، اه كلام المستشار

قول الورد فيه بكتاب مصر الحديثة

أما الشىخ محمد فكان عالماً من طراز فضل كثيراً طراز اخوانه الذين أشرت اليهم (كالسادات والبكري) وكان أحد زعماء الفتنة المرائية فلما جئت مصر سنة ١٨٨٣ كان منضوباً عليه ولكن الخديوي توفيق عفا عنه بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واقبأداً لتشبهه بالانكيزر عليه فى ذلك وعينه قاضياً فاحسن العمل وأدى الامانة حقها . وكان متوسعاً فى آرائه وعلى علم وباهة فلم

ينكر المساوي الناشئة في الحكومات الشرقية وعرف انه لا بد من الاستعانة بالاوربيين للاصلاح الا انه لم يكن من عداد المصريين المنفرجين وكان يقول انهم لم يحسنوا تقليد ما حاولوا تقليده من الاخلاق الاوربية وكان عدوا للغديين والباشاوات وأريد بذلك انه لو عثر على باشاوات صالحين لما عرض عنهم ولا عارضهم ولكنه لم يوفق الا الى عدد قليل من خيارهم مع اختباره الطويل . وحقيقة الامر ان الرجل كان مفطورا على الخيال ويرى آراء لا يمكن الجري عليها الا انه كان مع ذلك مصريا وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكون أمثاله كثرا ولكن اذا نظرنا الى نسج محمد عبده والذين يطمون تعاليمه من جهة امكان اتخاذهم ساسة للمستقبل نجد ان هناك بعض اوجه الضعف وقد قال المستر ستافلي لاين بول ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون أحد اثنين « اما متعصب او ملحد في سره » فمثل هذه الحيرة على شكل مختلف قد أوجدت عقبات في سبيل المسيحيين الذين يؤمنون بحرفية تعاليم المسيح دون منهاها أنها عقبات أعظم للمسلم الاصيل الذي يبذل عناية كلية بحرفية تعليم دينه دون منهاها وأخشى ان يكون صديقي محمد عبده في حقيقة امره « لا أدريا » ولو انه يستاء من هذه النسبة لونسبت اليه . وكان معاشروه ومخالطوه يسلون بمقدرته ولكنهم كانوا يرمقونه شزرا ويقولون انه « فيلسوف » وكل من يدرس الفلسفة اي كل من يدرك الفرق بين القرن السابع والقرن العشرين هو في أعين المتسكين بالقديم سائر الى الهلاك لاعماله . هذا وان أهمية محمد عبده السياسية هي في أنه أسس مدرسة فكرية في مصر على مثال ما أسس في الهند سيد احمد

منشئ كلية عليكرة وغاية الدين يتسول الى تلك المدرسة هي تركية طرق الاسلام في عين الانسان او بالحري في عين الرجل المسلم ولكن شدة اشتباه المسلم المحافظ فيهم واتهامه ايام المروق من الدين بمنائه من السير معهم طويلا وزاهم من الجهة الاخرى غالبا غير متفرجين الى حد ان يجذبوا اليهم المصري المقلد للطرق الاوربية فهم أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وادنى من المصري المتألي في تفرجه ولذلك ترى مهمتهم عسيرة جدا ولكنهم جديرون بكل تشجيع ومساعدة يمكن امدادهم بها لانهم حلفاء المصلح الاوربي الطيبون وسيري كل مصري محبولوطه ان في تقدم اتباع محمد عبده خير رجاء له في اتقاذ برجرامه الا وهو جعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتياً حقيقياً»

وقد علق الورود في ذيل هذه الصحيفة قوله - اني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة ولكنه عمل شاق قفصلا عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو ولم يتمكن من البقاء في منصب الاقواء لولا ان الانكليز أيدوه بقوة . وقد اثبتت عليه في تقارير السنية ثناء عظيما وأنا أعظم الناس أسفاً حقيقياً على وفاته على اني في الوقت نفسه لا أرى بدا من الاعتراف بما عراني من الدهشة عند ما طالمت بعض الانباء الجديدة في كتاب المستر ولفرد بلنت فيظهر ان المستر ولفرد بني آراءه في المسائل المصرية على ماسمعه من محمد عبده فقال عنه في كتابه التاريخ السري انه فيلسوف كبير ووطني عظيم . وقد قرأت بدهشة وأسف مما ما يأتي بلسان محمد عبده .

« عرض على الشيخ جمال الدين الفتك بإسماعيل يوما عند مروره
عمرته يوميا علي كوبري قصر النيل فاستحسنت رأيه وواقفته ولكن الامر
اقصر على الكلام بيننا ولم نوفق الى شخص يتولى تنفيذ هذا العمل »
فكفاني أن أقول بمد هذا ان العالم المتمدن عموما ينظر شزرا الى الوطنيين
ويعتبر بالاكثرا اولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم
السياسية بمثل ارتكاب القتل » اه من ترجمة المؤيد

المقابلة بين القولين

من قابل بين ما قاله اللورد في تقريره وما كتبه في كتابه مصر الحديثة
يرى فرقا عظيما بين القولين فان عبارة التقرير لاذم فيها ولا تعريض وعبارة
التاريخ فيها ذم صريح ، وتعريض ظاهر بل المدح الذي فيها بمعنى ما في
التقرير ضئيل مبهم يحتمل صرفه الى القدم في بعض المواضع فانه لما وصفه
بالعلم فضله على السادات والبكري وهما ليسا من العلماء ولما ذكر انه منهم
بالفلسفة فسر ذلك بالفرقة بين القرن السابع والقرن العشرين . وقد قال
المؤيد في هذا التفاوت ما يأتي

« قفى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو
صديق غلص للورد كرومر وقفى هذا اللورد زنه الذي صادق فيه
هذا الشيخ وهو يساعد في الوظائف ويدافع عنه فيها . ويقول الآن
بصرح العبارة انه لولاه ما بقي في منصب الافتاء طويلا . كان اللورد
يطربه مدحا في حياته كلما ذكر اسمه في مجلسه وكلما جاءت مناسبة لذكره

في تقاريره وبخيل لقارئ كتاب مصر الحديثة الآن ان اللورد يحاول ان يطمئن عليه أكثر من كل انسان في مصر لولا ما سبق له من المصح فيه . فلم هذا ؟؟

رأى المؤيد في صداقة اللورد للشيخ

« ان جواب هذا السؤال موجود بين سطور اللورد كرومر فيما كتب عن هذا الرجل في كتابه الاخير . »
ثم ذكر المؤيد في بيان ذلك انه كان من زعماء الثورة العرابية وأوضح ذلك وأكده وذكر قول اللورد ان الخديوي السابق عفا عنه بتشديد الانكليز عليه في ذلك ، وانه كان على خلاف كبير مع الخديوي ثم بين صاحب المؤيد رأيه وأضاف اليه كلمة طالما حاكت في صدره ونوه بها حتى نفضها اليوم فأراحنا وراح الناس قال مانصه:

« من خلال هذا الكلام يظهر الجواب الحقيقي وهو أن اللورد كرومر لم يكن صديقا للمرحوم الشيخ محمد عبده كما كان هذا صديقا مخلصا له ولكنه كان متمسكا بصداقته الظاهرية لأنه كان يريد أن يضع في يده رجلا قوي المارضة لدود الخصام عدواً لتوفيق باشا أولاً ولخلفه ثانياً ولا سماعيل باشا قبل ذلك . ولا سرا في أن المرحوم الشيخ محمد عبده كان يكره طائفة الباشوات كما يقول عنه اللورد من جهة وكان وطنيا صادقا من جهة أخرى . فكان اللورد يحبه من الجهة الاولى ولا يستطيع أن يخلص له الحب من الجهة الثانية . لذلك كان يطريه وهو يتنعم باطرائه . أما الآن وقد مات الشيخ محمد عبده وفارق اللورد كرومر

مصر فلم تكن ثمت حاجة لان يداري اللورد فيه كل المداراة وانما لاحظ
أن يداري نفسه لما كتب عنه أولا فيما كتب عنه ثانيا فجاءت كتابته هكذا
خليطا من المدح والقدح وثوب الرياء يشف عما تحته

قول المؤيد في الشيخ نفسه

«وعندنا ان المرحوم الشيخ محمد عبده كان رجلا عالما فاضلا ذا خلال
محمودة كثيرة من صفات النجدة والوفاء والمروءة ولا نقول كما قال اللورد
عنه انه كان ملعداً أو لا أدرياً أو ضعيف الايمان لان الايمان من أعمال
القلوب التي يستأثر الله بطمها وأما ظواهره فكانت مجال مقال كثير لاصدقائه
من جهة ولاعدائه من جهة أخرى ولكنه كان على كل حال عالما مصلحا
يحاول ما استطاع اصلاح الفاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل
لذلك بنيرة لا تقتر وفي آخر عهده من الدنيا كان يمتد في نفسه اعتقادا
ملا جوامحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك
جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك . وأضنف الجوانب في
أعمال وآراء الشيخ محمد عبده كان الجانب السياسي منه فكان فكره السياسي
خياليا غالبا كما قال اللورد لانه كان في كثير من الظروف يخيل له أن
يقبض بكلتا يديه على اللورد كرومر من جهة وعلى الجانب الخديوي من
جهة فيفشل في الامرين مما حتى يقول الجانب الخديوي من جهته ما يقول
فيه وحتى يضحك اللورد من هذا الضعف السياسي فيه

« هذه كلمتنا في المرحوم الشيخ محمد عبده قلناها بحرية تامة في هذه
المناسبة لنقول : ان كان اللورد أصاب في بعض ما قاله عن المرحوم الشيخ

محمد عبده فقد أخطأ في حقه مرتين الأولى في حياته لأنه لم يكن يعصده
ويساعده الا لترض واحد وهو أن يكون عدواً حقيقياً دائماً للخديو
فكان يدفعه دائماً الى الامام في ذلك والثاني أنه تعرض الآن للطن على
صقيدته والمقيدة مسكنها القلب خصوصاً وان الطاعن مسيحي على عالم
مسلم فيما هو مسلم به

ولكن اللورد أراد من هذا الطعن شيئاً آخر وهو ان المسلم ان صار
مصلحاً يوماً ما لم يستطع أن يكون كذلك الا وهو ملق من الدين حتى
انه لما مدح الشيخ يريم وذكر من صفاته انه كان يحاول أن يطبق أحكام
الاسلام على المعلومات المصرية قال عنه انه كان كمن يحاول أن يربع الدائرة.

قولنا فيما كتب المؤيد

اذا تنازع الكاتب فكران أو شعوران عند الكتابة في موضوع
هو أصل في أحدهما والآخر فرع له فيوشك ان يذهله الفرع عن ام
أركان الاصل كما وقع للمؤيد فوجب ان نبين ما ذلط به المؤيد هنا
حتى خفي عليه به خطأ اللورد الحقيقي لنفي الموضوع حقه فنقول

(١) ان الاساس الذي بنى عليه المؤيد تفرقه بين كلامي اللورد
في هذا المقام غير صحيح وهو ان اللورد كان يطري الشيخ في حياته اذ
كان يتنعم باطرائه في دفعه لمداء الخديو، ثم ذمه بمد موته وخروجه هو
من مصر لروال هذه الحاجة . فان هذا التناء العظيم في تهريره الذي ليس
عندنا مدح منه سواء قد كتبه بمد موته واذا كان عند صاحب
المؤيد رواية لسانية عن اللورد فهي لا تقوم حجة عليه ولا يصح مقابلاتها
بما كتبه اليوم الا ان يكون على سبيل التبع

(٢) ان كون الاستاذ الامام كان من زعماء الثورة العرابية لا يصلح

سببا ولا جزء سبب لمساعدة اللورد إياه والا لمساعد سائر زعمائها

(٣) ان اللورد فسر بنقض الشيخ محمد عبده للباشوات بأنه قلما وجد

فيهم صالحا وانه متى وجد الصالح لا يمرض عنه ولا يمارضه لصدق وطنيته

فوافقه صاحب المزيّد على كونه كان يكره الباشوات وعلى كونه كان

صادق الوطنية . ثم مثل بنقضه للباشوات بمداوة الخديو الحال وايه وجده

ونحن لا نوافقه على هذا التمثيل الذي يوم الحصر . أما كرهه لاسماعيل

فمومعقول مهما كانت سنة ومعارفه السياسية في ذلك العهد وسنين ذلك .

واما توفيق فقد كان هو وأستاذة جمال الدين من حزبه وشيعته على أيه وقد نعم

منه اخراج استاذة من البلاد ونفيه هو الى بلده وكان راضيا منه أم الرضى

عند مساعد الوزارة الرياضية على الاصلاح في البلاد . ولما حدثت مبادي

الثورة العرابية كان الشيخ مقاوما للرأيين ولما استفحل الامر كان مرشدا

معتدلا بحسب علمه وقد ظهر له في أثناء ذلك استعانة توفيق باشا بالانكليز

على الرأيين فكرهه في أثناء ذلك كراهة شديدة كما يعلم من مذكراته

في شأن تلك الحوادث ومنها ان مذبة الاسكندرية كانت بايعاز من الخديو

ليثبت لا انكلترا وسائر الاوربيين بحز عرابي عن حمايتهم وقد كتب

برودلي الحامي عن الرأيين شيئا من هذا في كتابه نقلا عنه . وأما

العباس أيده الله بتوفيقه وعنايته فقد كان في اكثر مدة ولايته على مودة مع

المرحوم وهو الذي اقترح من نفسه جعله مستشارا في الاستئناف وهو

هو الذي اختاره بنفسه مفتيا للديار المصرية ولم يكن للورد دخل في ترقى

الشيخ محمد عبده في الوظائف الاعدم المارضة والفضل الایجابي في ذلك

للأمير وحده كما كان يصرح به الشيخ مراراً. ولكن حدث في السنين الأخيرة بينهما شيء من سوء التفاهم بسعاية بعض المفسدين الذين يعرفهم صاحب المؤيد أكثر من غيره. إذا كان يحاول سعادتهم ومفسداهم إلى أن غضب هو أيضاً. وزاد سوء التفاهم تلك المسألة التي أشار إليها المؤيد في ترجمة حسن باشا عاصم فقال ما معناه أنها مسألة كان يرى نفسه فيها قائماً بواجب تفرضه عليه القمة وكان يراه مولاه فيها متعتاً. — وله أن يقول مثل ذلك في صديقه وشريكه فيها الشيخ محمد عبده —

فمن هذه الخلاصة الوجيزة يعلم أن إظهار اللورد الصداقة للشيخ بضم عشرة سنة لا يتأتى أن يكون المراد به دفعه في عداوة الخديو كما قال المؤيد. على أنه كان أثبت من أن يندفع بيد اللورد أو غيره. فقد كان في الثروة العليا من الاستقلال في فكره وإرادته وناهيك أيضاً بوطنيته وديارته. حقا أقول أنني كنت أراه حتى في المدة الأخيرة التي قوسيه فيها سوء التفاهم بينه وبين الأمير يتنى لو يكون الأمير موقفاً مؤيداً في كل شيء يرفع شأن البلاد ويفيدها مصوناً من كل شيء ضار وأنني سمعته غير مرة يقول إنا كلنا معلقون برجليه فإذا اهبطه الانكليز درجة هبطنا تحته لأمه، وإنا كنا مرة نتحدث في استرضائه فأقسم بأنه لو أمره أن يخرج من البلاد لامتثل. ولكنه كان ينكر على المعية أموراً كثيرة وتضمنى الوفاق الممكن الذي لا يصحبه ضرر من جهة أخرى. على أن المؤيد استنبط من عبارة اللورد أنه يحاول أن يطمئن على الشيخ أكثر من كل إنسان في مصر لولا ما سبق له من المدح فيه فهل يكفي أن يكون سبب هذا هو الاستثناء عنه بموته وخروجه هو من مصر ??

(٤) توجه المؤيد قول اللورد في الاستاذ الامام انه كان خيالاً غير وجهه فانه جعل تأويل ذلك بعد التسليم به ان الاستاذ كان يحيل له ان يقبض بكتايديه على اللورد من جهة وعلى الخديو من جهة فيفشل في الامرين . وهذا الاستنباط من خيال المؤيد ما أظن انه طاف بخيال اللورد اذا البعد بين الخياليين شاسع جداً . وخیال المؤيد وجه ودليل من الخارج فان الشيخ رحمه الله كان يقرب من الامير للاستعانة به قبل كل شيء على خدمة دينه في نحو اصلاح الازهر ثم إبداء النصيحة للواجبة اذا عرض موجبها وكثيراً ما كان يعرض ذلك وقد سمعت من فم الامير في قصره بالقبة انه يستشير الشيخ ويسجبه رأيه ويشق به . وكان أيضاً يختلف الى اللورد للاستعانة به على خدمة وطنه وما كان يطلب منها شيئاً لنفسه . ومن مصلحة البلاد ان يكون فيها رجال يثق أمير البلاد وعميد الاحتلال مما يكفاهمهم وصدقهم وذلك من الحقيقة لا من الخيال

(٥) ذكر المؤيد في مواضع ان اللورد طعن في دين الشيخ محمد عبده وجعله لا أدرياً أو ملحداً حتى ان من قرأ عباراته ولم يكن عارفاً بكلمة اللورد يظن انه جزم بهذا الطعن واللورد لم يجزم بذلك وإنما قال « أخشى » كما في ترجمة المؤيد نفسه ، أو « أظن » كما في ترجمة بعض الجرائد فوجب علينا ان نبين ذلك

(٦) قال المؤيد انه لا يظن في ايمان الشيخ لان الايمان عمله القلب وان غلواهره كانت مجال مقال كثير لاصدقائه ولاعدائه !! فنقول انا نحن نوافق المؤيد على قوله ان الايمان من أعمال القلوب التي يستأثر الله بطمها ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح « هل شققت عن قلبه » لمن

قال يارسول الله اعط فلانا فانه مؤمن . ولكن المؤيد وقع في الحكم على القلب الذي انكره على اللورد اذ قال « قضى المرحوم الشيخ محمد عبده من عمره بضع عشرة سنة وهو صديق مخلص للورد كرومر » فلا خلاص كالايمان عمله القلب ولا يمكن ان يطلع عليه الا الله تعالى فكيف أجاز المؤيد الحكم على القلب مرة ومنه اخري ؟

أما الظواهر التي تدل على قوة ايمانه فهي انهوي من الظواهر التي تدل على اخلاصه في صداقة اللورد مع العلم بانه كان ابعد الناس عن النفاق والرياء فانه لم يعمل للورد عملا خاصا به أو بدولته ولكنه وقف حياته على خدمة مصر والاسلام ابتغاء مرضاة الله . والمؤيد وان كان قد ادخل في مسألة الظواهر كلمة محتملة ككلمة ابي سفيان لم يقل انها كانت مجال مقال كثير - قد قال من نفسه مقالا جازما هذا نصه :

« ولكنه كان على كل حال عالما بمحاول ما استطاع اصلاح القاسد من الشؤون التي طرأت على الدين ويعمل لذلك بنيرة لا تهر . وفي آخر عهده من الدنيا كان يمتد في نفسه اعتقادا ملا جوانحه أنه رسول اصلاح من عند الله فكان يجاهد في سبيل ذلك جهادا حقيقيا وان لم ينل حظ الثقة العامة بذلك » فالذي يمتد هذا الاعتقاد لا يمكن ان يكون ملحدا او لا ادريا اي شاكا في وجود الله يقول لا أدري أهو موجود ام لا ؟

صدق المؤيد وان كان في تعبيره بلفظ « رسول اصلاح » غرابة لما لها من المعنى الشرعي الذي ليس بمراد هنا . فان الاستاذ الامام كان يمتد ان دين الاسلام لا يبد ان يعود اليه مجده ونوره الذي حال دونه

ظلام البدع والمخافات والتقاليد والمادات وانه هو عالم بحقيقته وبكيفية
تسرب البدع اليه وقادر على بيان ذلك وازالته بالحجة وان هذا العمل فرض
عظم عليه . وقد غمر هذا الاعتقاد عقله وقلبه وملكت جنانه ووجدانه
فبذلك كان يرى انه كان ملهم ومسخر من الله تعالى لهذا العمل ليس في
استطاعته ان يتوانى فيه . وقد ذكر قاسم بك امين في تأييده ان بعض
اصدقائه كانوا يلومونه على تقريظه في صحته وتعبه في بعض الاعمال التي
قلما تأتي بما يتوخاه من الفائدة فيها فيمدم بالتخفيف ولاكنه يصبح في الغد
اشد اهتماما وعناية مما كان عليه بالامس . وصدق المؤيد في قوله انه لم يزل
حظ الثقة العامة باصلاحه اذ لولا هذا الحظ لما قال لورد كرومر في الاسلام
ما قاله اليوم لأن الاصلاح العملي كان يمنعه من ذلك

رأينا في سبب اختلاف قولي اللورد

قال المؤيد ان الجواب عن التفاوت بين كلامي اللورد مذكور في
كتابه وقد صدق في هذه ولكن اخطأ اجتهاده فيما بينه به اذ لا اجتهاد
في مورد النص . اما هذا النص فهو في موضعين ذكر أحدهما المؤيد
فيما ترجمه من كلام اللورد في الشيخ وأهله في الرد وأغفل أحدهما في
الموضعين . اما الذي ذكره وأهله فهو هامش اللورد^(١) الذي يذكر فيه
دهشته من استمداد مستر بلنت اخبار تاريخه السري للاحتلال من محمد عبده
وفي هذا الكتاب من التشنيع على اللورد وسياسته ما فيه . واما الذي اغفله المؤيد
فدونك ترجمته قلا عن حاشية ص ٥٢٤ من المجلد الثاني في سياق الكلام عن
المعارف : لقد دهشت بل اعترتني خيبة أمل عند ما قرأت في كتاب ألقه

(١) راجع الاسطر الاخيرة من ص ٩٠ من المنار

مسيو جورفيل رسالة للشيخ محمد عبده أعطي فيها ذلك الرجل الشهير رجاحة اسمه «أوقرة اسمه» لتهمة أو ترخيصات من هذا النوع ولا بد أنه كان على يقين من أنها لا أساس لها . وكنت أرجو منه أفضل من هذا « اه
خلق هذا على هامش معناه هل نظر الانكليز الى انحطاط المصريين السياسي أو الاجتماعي نظر المتعطفين يحاولوا ترفيتهم كما يزعم بعض سفلة الناقدين ؟
ونحن نقول ان الرجل لم يبط اسمه لترويج التهم أو التريصات كما ظن اللورد ولما أراد الموعظة والتبیه الى الصواب الذي يستقده ولكن صاحب الكتاب استخدم اسمه لترويج كتابه وهو ما كان يقول الاما يعلم تمام العلم ان أنه صحيح كل الصحة . واذا كان اللورد يرجو منه يوم كتب تلك الرسالة الى جورفيل أمرا أفضل من هذا فهو أيضا ربما كان يرجو من اللورد قيل ذلك أمرا أفضل مما رأى منه عند الحاجة الى مساعدته في أمه وأفضل غرض له من حياته . وانا نورد الآن ما جاء في رسالة الاستاذ الامام عن المعارف وهو :

ما كتبه الاستاذ الامام لجورفيل عن المعارف

(التعليم العام) لا تنفق الحكومة المصرية على التعليم العام الا مبلغ مئتي ألف جنيه مع ان في وسعها اتفاق اكثر منه لان دخلها قد بلغ في الميزانية اثني عشر مليوناً من الجنيهاً وهي لا تنفق عن زيادة اجور التعليم التي تقاضاها من الناس على تعليم اولادهم من حين الى حين وقد بلغت من ذلك الى حد ان صارت تربية الاولاد عبأ ثقيلاً حتى على أوساط الناس واذا استر هذا التزايد أسمى التعليم زخرفاً لا يتسنى التحلي به الا في بيوت

الاغناء فقط ومن المبادئ التي يجري عليها القابضون على ازمة امورنا ان لاحق لاولاد الفقراء في نوع ما من التعليم فهم يجاهرون به كل المجاهرة ويبدو منهم على الدوام في حديثهم وتقاريرهم وكتبهم .

نم انه من المسلم الى حد محدود ان الوالد الذي يخصص جزءا من دخله لتربية اولاده يهمل ان يحصل من التربية على مقابل هذا الجزء وانه يراقب ولده في التعلم مراقبة فطية ليحمله على الاستفادة من تعليم يكلفه كثير آمن النفقات ولكن الذي لا يسلم به أحد ولا دليل عليه من التجربة هو ان يستتج من هذا ان كل تعليم مجاني يكون عقيما فانه مما تبني ملاحظته ان التعليم في المدارس المصرية من عهد محمد علي (باشا) الى سنة ١٨٨٢ كان مجانيا في كل هذه المدة ولم يمنع هذا ان تنتج تلك المدارس عدداً من الرجال المتعلمين تعلما حقيقيا ومعظمهم من الفقراء ولم يضر اوربا ان التعليم مجاني في كثير من البلدان ولكن أي فائدة لنا من الاستشهاد بما غبر من الاختبار في مصر وما حضر من الاعتبار باوربا مادام الذين يقدم مقاليد حكومتنا مصممين على ان لا يقبلوا الا ما يهديهم اليه فكرهم

يشق على الانسان ان يرى كل سنة مشهد توارد الآباء والامهات على نظارة المعارف يقودون صفارهم اليها سائلين التصديق عليهم بقبولهم مجانا في مدارسها معتذرين بفقرهم ومدلين بما يكون بعض افراد أهلهم قد أدوه الى الحكومة من الخدم مؤملين على الدوام ان الصناية الالهية والرحمة القلبية تلين صلابه ذلك المبداء ولومرة واحدة ولكهم يضطرون في آخر الامر الى الرجوع الى يوتهم أو الى قرام خائبين خائري العزائم غير راضين لا يدرون ماذا يفعلون بهؤلاء الابناء الاعزاء الذين تمنوا لهم اماني كثيرة

ما حيلتنا؟ يقولون لنا «ان بين ظهرانيكم من أبناء وطنكم اغنياء في وسعهم
لإنشاء مدارس مجانية للفقراء»

آه وأأسفاه! نعم ان أبناء وطننا في وسعهم القيام بهذا العمل وبأحسن
منه ولكن مصر لما يوجد فيها عجوب للانسانية وأخص من بينهم محبي
الانسانية المستعيرين، قد يوجد أحيانا بعض منهم يشيدون مساجد لا
حاجة اليها لكثرةنا عندنا ولبعض آخر يقف جزءا من عقاره على وليه
ولكن همه الناس وانبعثوا الى العمل لم توجه نحو التعليم فأمتنا أقامت
زمننا طويلا تعتمد على الجماعة في كل شيء ومن أجل كل شيء

أما اذا نحن نظرنا الى هذا التعليم الذي تقوم به الحكومة المصرية
من جهة قيمته فالتا نضطر الى القول بأنه قليلا يكون رجلا في قدرته ان يمارس
حرفة تقوم بمعيشته ويستحيل ان ينشئ عالما أو كاتباً أو فيلسوفا فكيف بالنواين
في شيء من هذا

وليس للتعليم العالي بمصر سوى مدرسة الحقوق ومدرسة الطب
ومدرسة المهندسخانة . اما جميع العلوم الاخرى التي تألف منها معارف
الانسان فالمصري قد يأخذ منها بعض معلومات سطحية في المدارس التجريبية
ولكن يكاد يكون من المنذر عليه ان يدرسها دراسة وافية بل يقضى عليه
غالباً ان يجهلها - فلم الاجتماع بفروعه التاريخية والاخلاقية والاقتصادية
وعلم الفلسفة القديمة والحديثة وعلم آداب اللغة العربية واللغات الاوربية
وكذلك الفنون الجميلة لا تعلم بالكلية في مدرسة ما من المدارس المصرية
فكان فينا القضاة والمحامون، والاطباء والمهندسون، من تختلف
درجاتهم في العلم ولكننا لا نجد في طبقة منهم ذلك الباحث ولا ذلك المفكر

ولا ذلك الفيلسوف ولا ذلك العالم ولا ذلك الانسان الذي يمتاز بعمد
الفكر والنظر وبشهادة القواد وكرم السجايا الذي أوقف حياته كلها على
السمي وراء مطلب من مطالب الكمال

وصفوة القول ان خطة الحكومة التي رسمتها لنفسها ويظهر انها
مصممة على ان لا تحيد عنها تلخص في أمور ثلاثة (أولها) مساعدة
التعليم الابتدائي في المدارس الصغيرة المسماة بالكتائب حيث تعلم الكتابة
والقراءة وقواعد الحساب الرابع (ثانيها) التقليل من نشر التعليم في الامة
ما أمكن (ثالثها) حصر التعليم الثانوي والتعليم العالي في اخصى الدوائر
المصريون موقنون بأن من يبدعهم مقاليد ورمح العمومية لا يعملون
كل ما في وسعهم لترقية الناشئين اخلاقا وعقولا وهذا الرأي مما يدعو
الى الاسف والاسى من جميع الوجوه فانه سيحدث في الرأي العام تياراً
من الاستياء ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وليت شعري ماذا يربح الانكليز
من التماذي في ترك هذا الاعتقاد راسخا في النفوس ! واذا كان ثمة أمر
يصح ان يتلاقى فيه الطرفان ويكون قاعدة للاتحاد فتمامها هو التعليم العام اذ لا يمكن
ان يوجد تناقض بين مصلحة الانكليز ومصلحة المصريين في هذا المقصد
فمن أراد استدار ما في مصر من المنافع والخيرات فسيبيله في ذلك
ان يبنى بتعهد كل ما فيها من موارد الثروة وان يبدأ بالانسان بكل ما فيه
من معاني الانسان فلا بد من امتزاج المنصرين الاوروبي والوطني واخذها
على التكتاف في السير نحو هذه الغاية يدا بيد

ولعمري ان الانكليز ليسيثون الى أنفسهم اذ اوهنوا الاهلين وارخصوا
من قيمتهم وصنّفروا من شأنهم فتمام مصالحهم في ان يكون بناء هذا الوطن

اعزاء اغنياء احراراً فان موارد الثروة والخير للانكليز منوطة بما يصيبنا من ثراء ورخاء .

هذا ما جاء في رسالة الشيخ محمد عبده لجورفيل عن المعارف وفيه كلام عن الحقانية ومعاملة للانكليز للموظفين المصريين ملخصه انهم يلتزمون ضميم الارادة الذي يخضع لهم في كل شيء ولا يناقشهم في عمل ما ويقصون المستقلين في الفكر والارادة . وان كل رئيس منهم يمد نفسه مشترعا فكلما خطر له استبدال قانون بقانون وضع قانونا جديدا وأنفذه لان مجلس النظار لا استقلال له فيناش أو يمارض ومجلس شورى القوانين ليس له الا حق بيان الرأي والحكومة غير مكلفة الاخذ بقوله على ان فيه من الضعف ما فيه لان الافراد الذين يصاحون فيه للبحث قليلون

فأي شيء من هذه الرسالة ينكر اللورد لنثبت له ؟ اما انه لا ينكر منها شيئا ولكنه عز عليه ان يرى في كتاب أوربي كلاما في عيوب ادارة مصر لرجل معروف بالصدق وعلو المكانة عند الاوربيين ولقد قال انه أعطى رجاحة اسمه لجورفيل الخ

ان اللورد نفسه قد اعترف كتابة بأن المعتدلين الذين سماهم حزب أو أتباع محمد عبده لم يشجعوا كما ينبغي وقال في تقرير سنة ١٩٠٥ ان تعيين سعد باشا زغلول في الوزارة وهو أشهرم انما هو تجربة . فهل له ان يقول مع ذلك ان ما كتبه الشيخ لموسيو جورفيل لا أساس له في اعتقاده ؟ لقد كان هو وجميع اهل الرأي في مصر يمتدنون حقة ما كتبه وهذا الاعتقاد لا يزول الا بعمل يتقضه فاذا كانت الحكومة الاحتلالية غلصة فيما فلت وتعمل لمصر وكان ما ذكره الشيخ من عيوب ادارتها غير متعمد

منها فلتتدارك بمساعدة المستقلين من المصريين ولا يسر عليها الاهتداء اليهم
أما ما قاله الشيخ في رسالة عن المعارف فنه ما هو حكاية عن
اعتقاد المصريين واستيائهم وهو مؤيد بما تذكره جميع الجرائد أنا بعد أن
وبما ظهر في مجلس الشورى والجمعية العمومية فكيف يقول اللورد انه
لأساس له؟ ألم ينبأ بما جرى في هذا العام - حتى بعد ان قام ناظر المعارف
بهذه النهضة الجديدة في ترقية التعليم من جهات متعددة - من قيام قيامة
التلاميذ والجرائد والناس على ستر دنلوب بما كان قد ازدحم في مراكز
الفكر والشعور من سوء حال الماضي . ان لم يكن قد ظهر به مصداق قول
الشيخ انه سيحدث في الرأي العام تيار استياء عام من حال التعليم عاجلاً أو
آجلاً فان ما ظهر قريب منه ولولا هذا الاصلاح الجديد لظهر اتم الظهور
اما باقي كلام الشيخ فهو حكاية عن سياسة المختلين في التعليم وهو
مؤيد بما كتبه اللورد في تقرير تلك السنة فانه قال (كما في ص ١٣٣ وما بعدها
من النسخة العربية لتقريره عن سنة ١٩٠٥)

«يراد بهذه السياسة ابطال التعليم المجاني تدريجاً من المدارس الاميرية
التي هي فوق الكتاتيب وزيادة الاجور فيها .» ثم احتج على ذلك بكون
الفرض منها تعليم التلاميذ تعليماً أوريا لكي تمد جمهوراً من الشباب
المصريين لخدمة الحكومة ولتعاطي بعض الفنون . ثم ذكر ان محمد علي
انشأ هذه المدارس لفرجة البلاد وان عباس الاول ألغىها بعد ان خرج
منها ما يزيد على عدد الوظائف وأعادها امما عيل لفرجة البلاد كما كانت
وانها كانت مجاًبل كان التلاميذ فيها يأكلون ويأخذون مرتبات واطهر
استحسان ذلك من قبل والاستغناء عنه الآن ثم قال «ويجب على الحكومة

ان تتوخى جعل اجرة التعليم في كل مدارسها المتفرجة مقارنة للنفقات التي تنفقها عليه . والاموال التي تنفقها على هذه المدارس تصير تنفقها على التعليم الاهلي اللازم لحاجة الامة » وبني بالازم لحاجات الامة لتعليم الكتائب والصنائع فقط وهذا ما لا يسلم به مصري قط

ثم ذكر ان الانكليز لما احتلوا البلاد وجدوا ان كل ما تنفقه المعارف العمومية « انما تنفقه على تعليم أولاد فئة صغيرة أكثرها من اغنياء السكان ولا تعلمهم الا تعليما أوربيا فأخذوا في تغيير تلك الحال وبذلت الجمة منذ سنة ١٨٨٤ لآخذ الاجور من التلامذة ولا بطل التعليم المجاني تدريجيا ولكن بقي النجاح في هذا السبيل بطيئا جدا الى عهد قريب » ثم استدل بذلك على « ان ابطال التعليم المجاني وازدياد اجرة التعليم ليسا من دلائل التأخر ولا هما مضران بمصلحة البلاد الحقيقية بل هما بمثابة ابطال امتياز » الخ فكيف يقول اللورد مع هذا ان الشيخ كتب ما يعلم انه لا أساس له ؟ سبحانه الله كأن الشيخ كان يكتب سنة ١٩٠٥ لجورفيل في الوقت الذي كان اللورد يكتب فيه لناظر خارجيتهم ما يؤيد قوله ألم تر ان الشيخ قد كتب انهم يعني ولاية الامور يقولون لنا ان فيكم أغنيا يجب أن ينشئوا المدارس المجانية للفقراء ، وان اللورد كتب في تقريره (ص ١٣٥ و ١٣٦) « واذا أريد تمهيد السبل للتلامذة الذين تبدو عليهم تخايل التجارة الفاتكة لكي يدخلوا المدارس العليا ووسائطهم المالية لا تكفي لذلك وجب ان يقف المحسنون اموال تلك المدارس التي يعلم بها من كان مثل أولئك التلامذة ووقف هذه الاموال لتعليم التلامذة الفقراء الذين يستحقون ان يساعدوا انعم جدا من تكثير المدارس الابتدائية المتفرجة » (للكلام بقية)

دعاسليم افندي سر كيس السوريين بمصر وغيرها الى الاكتاب للاحتفال بحافظ افندي ابراهيم الذي ذوه بفضلهم ليكون هذا الاحتفال تودد من شعب الى شعب ما بنزلة الصفيين . فلي الدعوة كثيرون وبساتها مدة الا كتاب اقيمت الحفلة بفندق شبرد وحضرها مع جمهور المكتبتين كثيرون من وجهاء وادباء المصريين واصحاب الجرائد وكان ترتيبها هكذا

افتتح الاحتفال سليم افندي سر كيس ببيان الغرض منه ، خطب سليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء انشد قولاً افندي رزقاً قصيدة «مصر وسوريا» ، خطب سليم بك باخوس في اكرام انرجال للرجال : تلث قصيدة للامير شكيباوسلان ، خطب اسماعيل بك عاصم انشد امين افندي البستاني قصيدة له خطب رفيق بك العظيم تلث قصيدة لاسعد افندي رسم قرى كتاب في بحمة الصحافة للشعراء المرسل من ادارة جريدة صرارة الحرب بنويورك انشد الدكتور ابراهيم افندي شادوي قصيدة له وقدم سليم افندي سر كيس لحافظ افندي هدية روائع المعري في البرازيل وهي فلم من الذهب بشكل الريشة ثم الهدية الاكرامية من مجموع السوريين وهي دواة ومقلمة من الفضة . وختمت الحفلة بقصيدة الفكر من حافظ وهي

لمصر ام لربوع الشام تنسبُ هنا الملى وهناك المجد والحسبُ
 ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجب
 خدران (الضاد) لم تهتك ستورها ولا تحوّل عن مفاتها الادب
 أم اللغات غداة الفخر أمها وان سأت عن الآباء فالعرب
 ايرغبات عن الحسنى وبينها في رائعات المعالي ذلك النسب
 ولا يمتان بالقربى وبينها تلك القرابة لم يقطع لها سبب
 إذا أمت بوادي النيل نازلة باتت له راسيات الشام تضطرب
 وان دعا في ترى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان متعجب
 لو أخلص النيل والأردن ودهما تصالحت منهما الأمواه والعشب
 بالواديين تمشي الفخر مشيته يحثُ ناحيته الجود والدأب
 فسال هذا سخاء دونه ديمٌ وسال ذاك مضاء دونه القضب
 نسيم لبنان كم جادت ك حاطرة من الرياض وكم حياك منسكب

في الشرق والغرب انقاس مسرة
 لولا طلاب الملا لم ينتغو بدلا
 كم غادة برزوع الشام باكية
 يغفي ولا حاية الا عزيمته
 يكره صرف الليالي عنه متقلبا
 بارض (كولب) ابطل غطارفة
 لم يحمم علم فيها ولا عدد
 اسطولهم امل في البحر مرغل
 لهم بكل خضم مسرب نهج
 لم تبد بارقة في أفق متجع
 ما عيهم اثم في الارض قد ثروا
 ولم يضرهم سراء في مناكبا
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
 أو قيل في الشمس للراجلين متجع
 سموا الى الكسب محمودا وما فتئت
 فأن كان الشاميون كانت لها
 هذي يدي عن بني مصر تصافحكم
 فما الكتاة الا الشام عاج على
 لولا رجال تفاوا في سياستهم
 ان يكتبوا لي ذنبا في مودتهم

تهفو اليك واكبادها لها
 من طيب ريك اكن الملا تعب
 على أليف لها يرمي به الطلب
 وينتهي وحملاه المجد والذهب
 وعزمه ليس يدري كيف ينقلب
 اسد جياح اذا ما ووثبوا وكتبوا
 سوى مضاه تحاي ورده النوب
 وجيشهم عمل في البر مغرب
 وفي ذرى كل طود مسلك عجب
 الا وكان لها بالشام مرتقب
 فالشهب مشورة منذ كانت الشهب
 فكل حي له في الكون مضطرب
 الى الهجرة ركباصعدا ركبا
 مدوا لها سببا في الجو واتدبوا
 أم اللغات بذلك السعي تكتسب
 عيش جديد وفضل ليس يحتجب
 فصافحوا تصافح نفسها العرب
 ربوعها من بينها سادة ب
 منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
 فاعما القفر في الذنب الذي كتبوا

أنجيل برنابا — مقل متنا لم

قد تم طبع أنجيل برنابا كما قلنا في الجزء الثاني عشر من السنة الماضية وقد كتب له مترجه الدكتور خليل سمادة مقدمة ذكر فيها ملخص ما قاله علماء الافرنج فيه ورأيه في ذلك فنشرناها وقفينا عليها بمقدمة منا هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وعلى عيسى الموهوب بروح الله ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين
أما بعد فانا نرى موهبي النصرانية قد أجمعوا على انه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي . فلقد دون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أشغالهم الى ما شاء الله

وأما من يجب العلم ويجنب التقليد من كل أمة فهو يود اذا اراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطلع على جميع تلك الاناجيل المرفوضة ويقف على كل ما يمكن الوقوف عليه من أسرارها ويبنى رجب بعضها على بعض بمدا المقابلة والتظهير على الدلائل المرجحة التي تظهر له هو وان لم تظهر لرجال الكنيسة

لوقيت تلك الاناجيل كلها لكنت أغزrinaيم التاريخ في بابها ما قبل منها أصلا للدين وما لم يقبل ولرايت علماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة اصوة بسياج الحرية والاستقلال في الرأي والارادة ما لا يأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلك الأربعة ورفضوا ما سواها لأنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واحدهم عبارة عن هديه وبشارته من مجي بعده ليم دين الله الذي شرعه على لسانه وألسنة الانبياء من قبله فكان كل منهم يبين للناس منه ما يقتضيه استمدادهم ولما كثرت الاناجيل

لان كل من كتب سيرته عليه السلام سماها لإنجيلاً لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس

من تلك الاناجيل (إنجيل برنابا) وبرنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقيهم وجمال الكنيسة بالرسول صحبه بولس زماناً بل كان هو الذي عرف التلاميذ بولس بعد ما اعتدى (بولس) ورجع الى اورشليم (١) فلعل تلاميذ المسيح ما كانوا ليتقوا بإيمان بولس بعد ما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا الذي عرفه أولاً وعرفهم به بعد ان وثق به . ومقدمة هذا الانجيل الذي تقدم ترجمته لقراء العربية اليوم ناطقة بأن بولس انفرد بشليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح . ولكن تعاليمه هي التي غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية . ويذهب بعض علماء الافرنج الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما في دائرة المعارف الفرنسية . فلا غرو اذا عدت الكنيسة لإنجيل برنابا لإنجيلاً غير قانوني أو غير صحيح

لم نقف على ذكر لانجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي يحرم قراءتها فقد جاء في ضمنها لإنجيل برنابا . وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بضة نينا صلى الله عليه وسلم على أن بعض علماء أوربا برنابون اليوم في ذلك المنشور كما ذكر الدكتور سمادة في مقدمته والمثبت مقدم على الثاني مرت القرون وتماقت الاجيال ولم يسمع أحد ذكراً لهذا الانجيل حتى عروا في أوربا على نسخة منه مندمتي سنة فسدوها كنزاً ثميناً ولو وجدها أحد في القرون الوسطى قرون ظلمات التمهيب والجهل لما ظهرت وانى يظهر الشيء في الظلمة والنور شرط الظهور ؟

ظهرت هذه النسخة في نور الحرية المتألق في تلك البلاد وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم وموضوع بحثهم واجتهادهم وابهرى بعض فضلاء الانكليز في العام الماضي لترجمتها بالانكليزية وتمم نشرها وقد أهدت البانسخة منها

عند نشرها فأينما أنه يجب ان لا يكون حظ قراء العريية منها أقل من حظ قراء الانكليزية فكشفنا بذلك صديقنا الدكتور خليل سعادة فواقت رغبته ورغبتنا وتوهم النسخة بالعريية ترجمة حرفية وبأشرنا طبعها بعد معارضتها على الاصل لاجل الدقة في تصحيحها

بحث علماء أوربا في هذه النسخة وكتبوا في شأنها فصولاً طويلة لحصنها الدكتور سعادة في مقدمته فن مباحثهم ماهو علمي دقيق ككلامهم في نوع ورقها وتجليدها ولقنها ومنها ماهو من قبيل الخرص والتخبين كأقولهم في الكتاب الأول لها والزمن الذي كتبت فيه وتبهم في مثل هذا البحث أصعاب محلي المقتطف والمخالف

ويجب ان ننبه في هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفة ، وأصل من أصوله العقلية ، وهي قاعدة إطلاق البحث أو بنائه على أسه ولو مفروضاً . فان كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرض يتخذونه قاعدة مسلمة وربما كان فاسداً فيجبي كل ما بني عليه مثله لأن ما بني على الفاسد فاسد حتماً . مثال هذا ما امتحن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو انه عند الى جرة كانت في الشمس قلبها من غير ان يروه ودعاهم فقال اني أرى وجه هذه الجرة المقابل للشمس ياردا ثم قلبها ولمس الجانب الآخر معهم فاذا هو سخن فطالبهم بعله ذلك فطفقوا ينقلون المل وهو يرددها ولما سألوه عن رأيه في ذلك قال انه يجب أن يثبت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن علته . وكون الجانب المقابل للشمس من هذه الجرة بارداً والجانب المقابل للأرض سخناً غير صحيح بل قلبها انالاختبر فطنتكم وكذلك فعل بعض الباحثين في إنجيل برنابا ففرضوا أنه من وضع بعض المسلمين ثم حاروا في حزر تعيين واضمه هل هو غربي أم شرقي عربي أم عجمي قديم ام حادث . وما قال أحد فيه قولاً الا وجد من الباحثين من يفنده حتى رأى الدكتور سعادة بعد الاطلاع على تلك الأقوال ان الاقرب الى التصور أن يكون كاتبه يهوديا أندلسيا من أهل القرون الوسطى تنصر ثم دخل في الاسلام وأقن

اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حق المعرفة بعد الاحاطة بكتب العهد القديم والجديد . واستدل على هذا الفرض بملء الواسع بأسفار العهد القديم وموافقة التلمود واحاطته بالعهد الجديد وغفل عن عزوه الى كتب المهديين ما لا يوجد في نسخها التي عرفت في القرون الوسطى وهي التي بين أيدينا الآن كزوجة قصة هوشع وحجي الى كتاب دانيال ، وعن مخالفته لها احيانا في مسائل أخرى ولو كان من أهل القرون الوسطى وما بعدها لما وقع في هذا النقص الظاهر مع ملء الواسع

واستدل أيضاً بموافقة بعض مباحثه للقرآن والاحاديث وما كل ما وافق شيئاً في بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه والا لزم ان تكون التوراة مأخوذة من شريعة حوراني لاوحيا من الله لموسي عليه السلام . على أن معظم مباحث هذا الانجيل لم تكن معروفة عند أحد من المسلمين وأسلوبه في التعبير بعيد جداً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة كما بين ذلك بعض القسيسين في مجلة دينية وأي مسلم يذكر الله ولا يشي عليه والانبياء ولا يصلي عليهم ويسمي الملائكة بغير الاسماء الواردة في الكتاب والسنة

وقد كانت مسألة البيويل أقوى الشبهات عندي على كون كاتبه من أهل القرون المتوسطة لا من قرن المسيح حتى بين الدكتور سعادة ضعفها بدقة نظره فلم يبق للباحثين دليل يعول عليه في هذا المقام فان موافقة بعض ما فيه لبعض ما ورد في شعر داني يمكن ان يملل بأن داني اطعم عليه وأخذ منه ان لم يكن ذلك من قبيل نوارد الحواطر

أما الهوامش العربية التي وجدت على النسخة فيحتمل ان تكون للراهب فرمزينو الذي اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله في الاسلام حمله على تعلم العربية حتى كان مبالغ علمه فيها ان يترجم بعض الجمل بعبارة سقيمة تغلب عليها العجدة وما فيه من العبارات الصحيحة على قلتها لا ينافي ذلك فان كل من يشلم لغة اجنبية في سن الكبير تكون كتابته فيها لا اول العهد من هذا القبيل؛ صواب قليل، وخطأ كثير، على ان أكثر العبارات الصحيحة في هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التي يمكن ان يكون قد اطعم عليها الكاتب . ويحتمل

أن يكون بعض القسوس أو من هم على شاكلتهم قد تعلم العربية ليتبين هل فيها مصادر لهذا الانجيل يمكن ارجاعه اليها . ويرجع هذا الاحتمال تسميته الفصول سوراً تشبيهاً له بالقرآن أما عزو هذه الهوامش الى مسلم عريق في الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب اذ لا يوجد مسلم عربي ولا عجمي يطلق لفظ السور على غرر سور القرآن أو يقول « الله سبحانه » كما جاء في مواضع منها هاش ص ١٤١ و ١٦ لان كلمة « سبحانه الله » مما يحفظه كل مسلم من اذكاريته ، أو يقول ميخائيل بدل ميكايل وبجبل اسم اسرافيل فيسببه اوريل أو رافائيل ، أو يقول ان السموات اكثر من سبع وان العدد لا مفهوم له كما قال علماء الاصول . ولذلك أمثلة أخرى أضف اليها عدم اطلاع علماء المسلمين في الاندلس وغيرها على هذا الانجيل كما حققه الدكتور مرجليوث مؤيداً بتحقيقه بخلو كتب المسلمين الذين ردوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بآبن حزم الاندلسي وآبن تيمية المشرقي فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعا كما يعلم من كتبها ولم يذكرا في ردّها على النصارى هذا الانجيل بقي أمر يستنكره الباحثون في هذا الانجيل بحثاً علمياً لا دينياً أشد الاستنكار وهو تصريحه باسم « النبي محمد » عليه الصلاة والسلام قائلين لا يعقل ان يكون ذلك كتب قبل ظهور الاسلام اذا المعهود في البشارات ان تكون بالكنايات والاشارات والمريوقن في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكراً في خبر الوحي وقد نقل الشيخ محمد يرم عن رحالة انكليزي أنه رأس في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الانجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل بعثة النبي (ص) وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئاً من هذه الاناجيل التي فيها البشارات الصريحة فيظهر ان في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الاناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره .

على انه لا يبعد ان يكون مترجم برنابا باللغة الايطالية قد ذكر اسم « محمد » ترجمة وأنه في الاصل الذي ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيد معناه كلفظ البارقليط

ومثل هذا الساحل معهود عند المسيحيين في الترجمة كما بينه الشبغ رحمة الله
الشواهد الكثيرة من كتبهم في الامر السابع من المسالك السادس من الباب
باسادس من كتابه اظهار الحق وزاده بعد ذلك ياناً في البشارة اثمثة عشرة
ولا يصحبن القارى المسلم ان علماء أوربا وبعض علماء بلادنا كالدكتور
سعادة وأصحاب المقتطف والهلل يظهرون الرب في هذا الانجيل الموافق في
أصول تعاليمه للاسلام تعصباً للنصرانية فان الزمن الذي كان التعصب فيه يجعل العلماء على
طمس الحقائق التاريخية وغيرها قدمضى . وقد بحث علماء أوربا مثل هذه المباحث
في الانجيل الاربعة فيبنوا انه لا يعرف متى كتبت ولا بأي لغة الفت وقال بعضهم
ان مولفها غير معروفين وانهم بعضهم يولس بوضع أكثرها كما ترى في دائرة المعارف
الفرنسية وغيرها بل منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الاديان الوثنية
أكثر العلماء في هذا العصر أحرار مستقفلون في مباحثهم الا من غلب
عليه التقليد الديني أو مصانعة المتدينين ألا ترى ان الدكتور مرجليوث
الانكليزي هو الذي دحض شبهة من قال ان لهذا الانجيل أصلاً عريباً وأنه من
وضع المسلمين ، وان الدكتور سعادة هو الذي فند رأي المشدل على كونه من
وضع النرون الوسطى بما فيه من ذكر كون اليوبيل كل مئة سنة ، وان أصحاب المقتطف
يجوزون أن يكون له أصل ترجعت عنه النسخة الايطالية ويحثون على البحث عنها .
فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وان لم يكن دليله واضحاً وتعليه ظاهراً
ومن لاحظ ان بعض القسوس يحملون العدة في اثبات الانجيل الاربعة
ما فيها من التعاليم الادية العالية ثم قرأ تعاليم انجيل برنابا يظهر له مكانه العالي في
تعاليمه الالهية والادية . فاذا صرفنا النظر عن فئدته التاريخية وعن حكمه لنا
في المسائل الثلاث الخلافية - التوحيد وعدم صلب المسيح ونبوة محمد (عمر) -
فحسبنا باعثاً على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواعظ والحكم والآداب
وأحاسن التعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٢٦

مفتى المنار



خطبة حقى بك ناصف

(رئيس نادى دار العلوم فى مسألة التعريب)

أكثر القائلون بتطبيق « سياسة الباب المفتوح » على اللغة العربية من ذكر جود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالا عراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الامم الغربية ونموا علينا تخرجنا قبول الدخيل فى لغتنا ورمونا « بالرجوع الى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند مآلاته الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التى قدر أهلها أن يتمتعوا بكل ما خلقه الله » الى آخر ما أتوا به من القضايا الخطاوية بقصد التأثير فى أفكار السامعين حتى تخيلوا ان الكلام الاعجمية واجبة الاستعمال فى اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضع فى انتفاء الفاظ عربية تسد مسدها وان قواعد الاقتصاد السياسى تقضى بصرفه فى اختراع آلة حرية أو معمل صناعى أو مصرف مالى ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة ان أضيع عليكم سانة يمكنكم فيها اختراع شقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الامة المستضعفة لاندري من أين تؤتى ولا تعرف لتأخر هاعلة فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه الى الآبار فاشتطنا، وخلصنا الازياء

الواسعة مانمتنا عن الحركة فاستبد لناها أزمضية فما عدونا. وحسبنا اقتماد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقتمدنا وما استفدنا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا التفازج (البالو) معارج فاصرجنا، وغيرنا العائم بالقلائس والدور بالقصور وظهور الصافقات يبطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضعاف ولا سبابنا الى الراقي الالمان، والانكليز واليابان

ان لارتفاع الامم وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددھا مسألة ثقيلة يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستقباح والاستحسان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يثلب الكبير لا يجوز في العربية أن تصبوا الفاعل وتقدموا خبرا على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان تقولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألقاظ مقتضبة وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا ليسوارجالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقة وخلع المذار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوبة في الاسفار فن شاء ان يحرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدال معه واذا شاء ان يتبع المنصوص فيها هو ياتيه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان عاد وعود وأميم وعييل

وطسم وجديس وعملق وجرم ووبار من أولاد إرم بن سام
وأول تنقيح دخلها كان بعمل يرب بن قحطان رأس العرب العاربة
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما اصهر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرم أدخل
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كريمة ومضر
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج ابتغابا من لغات قبائل العرب
التي كانت قد علمهم في كل عام وتعكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها
ثلاثة أيام بسوق ذي الحجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) قد قصروا اختيارهم على ست قبائل
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لخاطبتهم القطاهل
مضر، ولا عن قضاعة وغسان وإياد لخاطبتهم أهل الشام والروم وأكثرهم
نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا عن قنبل لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين
اليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وأزد
عمان لأنهم كانوا بالبحرين مغالطين الهنديين والفرس، ولا عن أهل اليمن
(حمير وهمدان وخولان والأزد) لخاطبتهم الحبشة والزيج والهنديين ولا
عن بني حنيفة وسكان النمامة وثلثيف والطائف لخاطبتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن - حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لتفسد لغتها بالاختلاط
 وعدوا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية عن عنفة تميم
 وهي إبدال الهمزة عينا نحو عَنَّتْ وَعِنَّا أي أنت وانك ، وعن ثلثة يهرا
 وهي كسر أول المضارع نحو تَلْعَب وتَلْهَو ، وعن كسكة ربيعة ومضر
 وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب رَأَيْتَكَسْ ، وعن كشكشة هوازن
 وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نَحْو رَأَيْتَكَشْ وعن فحضة هذيل وهي
 قلب الحاء عينا نحو عَتَى أي حتى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب
 بعد الياء الساكنة أو الكسرة نحو عَلَيْكُمْ وَبِكُمْ ، وعن وَهَمِي كلب وهي
 كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عَنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ
 وعن جمجمة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جima نحو الساعج يَدْعُجْ أي
 الساعي يدعي وعن وَتَمَّ أَهْلُ الْيَمَنِ وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو
 النَّاتِ أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سمر والازد وقيس وهو قلب
 اليمين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أَنْطَى أي أعطى ، وعن شنشنة اليمن
 وهي قلب الكاف شينا نحو لَيْشِ الْهَم لَيْشِ ، وعن الخنخانة أشعر
 وعمان وهي حذف الالف في نحو مَشَاءَ اللَّهُ أي ماشاء ، وعن طمطانية حمير وهي
 جعل أل «ام» نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وغممة قضاة وهي
 اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة الى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الانقاط
 التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة
 مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ المتكلم الا اذا خرج عنها كلها فلفظ المدينة
 لغة دوس (بطن من الازد) ولفظ السكينة لغة قريش فنقل اللغة اللفظين

وأباحوا لكل إنسان أن يتكلم بأيها شاء ولو لم يوجد في العرب من
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو
جمعوا لغة كل حي من العرب على حثتها لتكرر العمل وطال الزمن
ثم نظروا بمد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على ألسنة
العرب عدوه غريباً ووحشياً يمد استعماله بخلاف الفصاحة ولو كان معروفاً
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أو آخر
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير
مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فإذا لم يكن اللفظ
(مادة أو هيئة) قد سمع من العرب منعه بنانا وشنموا على مستعمله
ولاجل أن يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار
الانحطاط الذي كان يلحق بمن يخطئ منهم أروي لك قصة وفود سيديوه
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديوه
رئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:
تسألني أو أسألك؟ فقال سيديوه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب
«قد كنت أظن ان العترب أشد لسة من الزنور فإذا هو هي» أيجوز
«فإذا هو اياها» فقال - سيديوه لا يجوز النصب فقال الكسائي: العرب ترفع
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفتما وأتما رئيساً بلديكما فن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب يبابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرّون
ويُسلّون فقال يحيى وجعفر أنصفت وامرا باحضار أعرابي من أهل
البادية وسألوه فقال والقول قول الكسائي « فقال سيديوه ليحيى «مره أن
ينطق بذلك فان لسانه لا يطاوعه» فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وخجل
سيديوه وسافر بعد ذلك الى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة
سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء
البلدين متى اختلقوا في أمر تلمّسوه عند البدو وتسمّوه منهم

وعرفوا المربّ بأنه الاسم الاعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق
بمريتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبعمهم في ذلك كل من
كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم واللباب وأجمع
العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا
يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة
بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وتعلمت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي
وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعيثا النيث أي الكلام

والمسببية - نحو أمطرت السماء نبأ أي ماء

والكلية - نحو «يحملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الامير الميون أي الجواسيس

والعطالية - نحو «ففي رحمة الله» فيها خالدون « أي الجنة

والخطية - نحو سال الوادي وجرى الميزاب أي ماؤه
واللازمة - كاطلاق الحرارة على النار
والملزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعر كالشفة للانسان
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والريح والدابة
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبديلة - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الفا
والمبدلة - نحو « أكلت دما ان لم أرك بضرة » أي أكلت دية
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون - نحو « أراني أعصر خمرا » أي عبا
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولة - نحو « قرأت معناه مشفوما بتقبيل » أي قرأت لفظه
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي المزادة المجاورة للجمل وقد
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبة وقيصا
والآلية - نحو « واجمل لي لسان صدق » أي ذكرنا حسنا صادقا
والتعلق - كاطلاق لفظ المصدر على الفاعل أو المفعول كشاهد
عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلاتكم

والمصدرية - نحو «فرجعوا الى أنفسهم» أي آرائهم
والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته
والتضاد - كإطلاق البصير على الاعمي

ومنى اشهر اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم
الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التفتيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة
بمينها فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جربت عليه فلست
بمخطئ مادمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادقتك من العلاقات
السالفة الذكر توصلك الى تسمية ما لم تسمه العرب فلست مقيداً بلقظ
أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال
في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم
وتعبد حسبما يسمو اليه استمدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع
وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المديّة كما تقول دوس وان تقول
السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولقظ «ياري»
بست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر
وتنضبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والعين
على الباصرة والذهب والجاسوس وتصريح وتمني حيث تحتاج لذلك
وتقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس ضريبي في يد العدو فبسوه وأزموه أن يكتب
كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويومه بقلة عددهم وعددهم
غشا وتفريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السبي في تعرف احوالهم ، واني قد استضفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المابقة فقد تحققت انكم الفشة الغالبة باذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيّب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدوفاً وارسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فنظن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السبي وانه رآهم أضعافنا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » ولغتي الى الاناء اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كاهم عدو كبيرٌ عدو فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم إحكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وأبيح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج بشرط العلاقة والقرينة وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق الاستظهارها والعمل بها. وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها لبانة للعلم والسياسة وقرغت للفتوح والاستثمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فأنارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا. ولما ضعف أمرهم وزهم الثريون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من القوائد ما لم يكن في حسابنا ولعل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر عليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من النفي

ولما قدمت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس أن يكونوا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالفاظ وطلقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطائية وجدلية لا نفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: إن العرب أخذوا ألفاظاً من الأعاجم في أطوار تنقيح العربية واستعملها القصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فما لنا لا ننشئ مذهبا خامسا في التنقيح وفاتهم أن ما أخذوه العرب قليل جداً بالنسبة إلى ما نبذوه وتآخر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحه غداً بالاولى في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدأ وخبر أن ونشتق من الجوامد كلها ونعمل الألف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية ساقها ونحدث فيها الاحداث المائلة فتبطل فيها الالسنه وتفقد بمقد قليل من الزمن مع أن « أصحاب اللغات الحية » الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشروني ٨٤ أربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف
لا يكتب منها شيء.

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل
على غيره أبدا وتكون دلالة بنفسه لا بملاقة أخرى وان تسمية المحدثات
بلفظ عربي مهما كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما مالي الآلما:
وغيرهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرء أو عدم زيادته وفاتهم ان
الاشتراك اللفظي واقع لاحالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة
والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المسير الى
الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعمال مع القرنة، في الهندسة مثلا تستعمل
الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء
من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل المدسة والملح والبلورات
ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة
وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجيء في الخاطر معناه الأصلي
والذي يسمع جملة «سيارة الأمير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمل
فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما
خاليا من المشترك والمجاز؟ أنا أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم
في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز
والمشترك فله مني عشرة دنانير وأمرتكم شهرا. والحقيقة ان هذا الآلام
آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الالعبية أصرح لانها تدل على صنف
مخصوص بخلاف الكلم المرية فالتأنيب في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والداعة والمنطاد لا عموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي ويماني وفي الرمح أسمر ولعن وسمرري وردني وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعا: ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « اليرا » وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتمام الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها واللاحاح في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فاتهم بمجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بعناء حائكه وخائطه وقارئ الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يباثون الاعمال وآخرون يتفهمون بها ونحن لانكاف أفراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتعب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يموقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشر الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني أذكر كم أننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازته وأفوكاتو وكوليرا وواورد وتفضل جرنال ولما ابتدأ الصحافيون ينثرونها بلجنة وصحيفة ومحام

ووباء وقطار وممتمد كنا تنقرزها فلما ألحوا في استعمالها زال التقرز شيئا فشيئا حتى غفا الكلمات الأولى فجازا من الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي أمس ؟ ولم لا تساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسا : ليس لنا أن تمسك بالتقديم لمجرد قدمه : فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ التقديم لمجرد قدمه فإ كل قديم ينبغي ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في التقديم أن لا يتركه مالم تقم الأدلة على أصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئآت من السنين فقام بالكفاية ولم نزل لأن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر يحقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

ويمدفاني لم أفهم للآن وجهما للتشبث بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طباعتنا اخلاص الى الراحة والسكون فلا نريد أن نماني أعمالا جديدة لم تعودها فتخدعنا هذه الطبائع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نرب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرد كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك يحسب من التقرص والتفريق ولا يريد ان يترف بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على قسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذاك سبب هذا التثبيت يأتري؟
لقد وعيت كل ماسبق من الادلة فلم أجد فيها برهانا فلفل جهود قريحتي
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لاهو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والراق
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

ورى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو أبنا سار وحيثما ذهب مشتغل بها قترسخ في
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلم لغة الكتابة
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي
الصحيح شيء من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبينة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستند خمس عشرة سنة
كان ينبغي عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدها ويضيع على كل متعلم
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر
الامة كل سنة من أعمار افرادها . فاذا أخذنا الممثل السنوي للموايد وهو

٤٧٠٠٠٠ وطرحنا منه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (وفرض أنه النصف) ٢٣٥٠٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥٠٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠ سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعة ٢٧٥٠٠٠٠ فدان على فرض ان الفدان يزرع اثنا عشر وخسارة لا يحسن السكوت عليها * فياضيمة الاعمار تمشي سهلاً *

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصاد على تعلم احدى اللغتين واختلقوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين (باشا) بالاعتصار على الفصحى

واورد على الاول (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجعنا لفة اقليم تحكما منا نكون قد أزمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لفة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى أسهل لان كل شيء فيها قد ضبط ونقح ووضعت له كتب متعددة (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل العصور فلذلك زمان ألقاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك نرى في لفة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية والانكليزية (٣) وان التزام العامية يحدث حجبا كشيء دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فنذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الوبلي ككسي والاختذ بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرّب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويجب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لقيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك ألسنتهم دربتها ويكون أخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامية فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق إلى أن تهجر العامية وتحل الفصحى محلها

فاذا ضمّ إلى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على معاهد المعطات ومشاهد التمثيلات وواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحذاه أساليب المنشئين وطبع كتب البرزين فإن اللغة العامية تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتخلّفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي إلى عصر مجده وأيام سمعه

ولقد همّ ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بأزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم وأخذ يندب لهذا الأمر عدته وعتاده وسأني رأبي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت له إن الأمر ميسور والخطب سهل فطلب اليّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الأوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاء من المنفشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر
فصم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من
الماجزين، بأن التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ
على هذه المناظرة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان،
والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمتصرين لها يحال ان بين
الفريقين حربا عوانا وخلافا ما بعده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي
حي وطيسه واحتدم أوراها ان أدلة الفريق الاول تتنج أكثر من المدعى
ويجر التسليم بها الى افهاب اللغة العربية والاثيان بخلق جديد ولولا ذلك
لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى نتأهها اذا التقى الجمعان واليكم البيان
(١) تقسم أولا اللغة العربية الى لفتين لغة عامية ولغة فصحي
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم تقسم اللغة الفصحى الى أجزائها حرف وفعل واسم فالحرف
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آد» لوجود نعم ولا وحرف المطف
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»
لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول^(١) ما يفهم منه

(١) هو الشيخ محمد الحضري

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتمبل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدال والافا وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أبغل وأحمر وأفرس والبغل والحمار والقرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنبي عليها وهي أنه لا يصار الى التعريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى أترم كما لا حاجة الى أبغل لا مكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام ففعل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم قسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه ففعل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم قسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم تقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فاسماء المعاني كثيرة جداً في العربية حتى عدّها الباحث الاول روة واسعة فالنزاع في اسم القادات (٦) ثم قسم اسم القادات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول والى ما وضع لمعين وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها ، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصلي قبل الطمية وانها تبقى على ما وضع لها واضمحال الضرورة والفرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والقاف والحرف الذي بين القاف والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والنين وبمباراة أخرى كجيم القاهرة أو قاف الصعيد وهي قاف تميم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبمباراة أخرى كجيم المناربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والشين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حركات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية قاربهاما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لمة نجد وقيس وأسد كما نسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبدها بألف خالصة

وإما باشتغال العلم على ما لا تجزئه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المنطرفة بعد مدة همزة وهذا التنوير هو الذي يسمى صقلا أو وضعا في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضا

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما صرح الباحث الاول مرارا

(٧) ثم قسم اسم الجنس الى ما استعملت له العرب لفظا سواء

وضمته له من عندها أو عربته من لغة غيرها والى ما لم تستعمل له لفظا والاول يقبل ولا ينظر الى أصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جعله في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا (٨) ثم قسم ما لم تستعمل له العرب لفظا الى ما اصطلاح المولدون على اطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كنسافة وغواصة ودارعة وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، والى ما لم يصطلحوا على اطلاق لفظ عليه للآن ولا خلاف بين الباحثين في انه يجب البحث والتقيب في كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطلاح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة

ولم يقل أحدهما بمطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء وصحف الاخبار في مدة البحث والتقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ أعجبي واستعماله موقتا للضرورة كما يفعل الطالب الذي يقتل بالتعليم تدريجا من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا انتهى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها وهو ما لا يكون الا نادرا تفصل الكلمة وتستعمل وحيث يرى اها الباحث الاول بالمنظار الذي يرى به المبررات التي صفتها العرب ويقول قد احتطت وما فرطت فرحبا بالدخيل القديد ، وبعدا للاصيل الشريد ، وما لي أشغل آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة ، وان ذهبت فلا شيعتها غمامة ، ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المبررات فيحسبها كالزفة

في الثوب والحفاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وجبذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،
 هذا هو الخلاف الطويل المريض ضيق البحث حلقاه رويدآحتي
 تضاهل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلبة واستقبالها اما بالترحيب ،
 واما بالتعطيل ، وهو خلاف غريب ،
 خفني ناصف



باب المناظرة والمراسلة

﴿ السنن والاحاديث النبوية ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء النيودين
 في حمير اباد الله كن يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيها كتبه في
 النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين
 بعقدتها التمهيدية وهي :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،
 أما بعد فاني قد وقفت على رسائل لحضرة العالم الباحث الدكتور
 محمد توفيق افندي صدقي كان يري فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول (ص)
 وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله
 بل صراحته دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .

شاء بأي صورة شاء، وكأنه استشعر شناعة ذلك فأعلن رجوعه عن اطلاق القول في رد جميع السنن وخص منها قبول السنن القطعية التي قلها الامة بالاجماع او بالتواتر . ورد جميع السنة القولية زاعما أنها آحاد وما تواتر منها ليس فيه شيء من الاحكام

وقوله هذا - وان كان أهون من قوله السابق ظاهرا - مآله وحقيقته بعد التزامه ثم تطبيقه على ما في نفس الامر الواقع هو حقيقة قوله الاول من رد اكثر السنن القطعية بل لا يبعد اذا قلنا كلها لانه ما من فعل قل الينا من تلك الافعال الا وقد اختلف في هيأته وأحكامه المقومة لحقيقته . والمسلمون النافلون تلك الاعمال انما كان مستند اختلافهم في ذلك اما السنن القولية واما اجتهاد من يتأني له الاجتهاد منهم فاذا لم يجب أن تكون سنن الرسول (ص) القولية من الدين فلا أن لا تكون مجهودات غيره من الدين أولى وأحرى

واذا كان كل فعل من السنن القطعية قد اختلفت في صفاته وهيأته الطوائف والمذاهب بحيث يكون حقيقة هذا الفعل عند هؤلاء غير حقيقته عند أولئك - واذا كان المستند السنن القولية أو الاجتهاد وسلمنا أن كلامهم ليس من الدين - لزم أن لا يعلم المتعين أخذه وأن لا يجب عمل مخصوص للزوم انتفاء المدلول بانتفاء دليله والمسبب بانتفاء سببه اذ لا دليل ولا سبب لوجوب أو حرمة أو ندب أو كراهة الا السنن القولية المقررة للقرآن والخاصة على أحكام الاعمال فاذا انتفت اتقى كل ذلك وجاز لمن شاء أن يقول ان الواجب من الاعمال كذا وكذا وان معنى القرآن ومراذه ذا اوذا كيف شاء فعاد الامر في جميع أمور الدين

الى الاجال والابهام ولزم الانسلاخ عن دين الاسلام وهذا هو ما يتحاشا عنه كل من يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

والحقير قد نبه حضرة الدكتور في رسالة ارسلتها الى حضرة سيدنا منشى المنار الاغمر ولكنه ارسل الى مكتوب ايد ذكر فيه ان بعض تلك الرسالة ضاع عنه ويطلب ارسال ذلك اليه لطبع الرسالة ولكنني اعتذرت حيث لم يبق لدي منها شيء لاني ارسلت الى حضرة المسودة، ولما كتب حضرة الدكتور رسالته الاخرى التي طبعت في المنار (الجزء التاسع من المجلد العاشر) بعنوان (النسخ في الشرائع الالهية) رأيت صدر رسالته بالكلام على حقيقة النسخ واختار القول بمجوازه عقلا وشرعا ووقوعه في الشرائع الالهية والقوانين الوضعية البشرية وهذا شيء لا تنازعه فيه لكنه انكر وقوعه في القرآن فعلا وخص ذلك بالسنة النبوية ثم تدرج من مسألة النسخ الى تقسيم السنة الى قسميها فعلية وقولية وكل منهما الى متواتر وآحاد تمهيدا لما خلاصته ان القولية لا سيما الآحاد منها لا يجب العمل به بمد زمن رسول الله (ص) وزعم ان السنن القولية مطلقا انما هي شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية وعلل ذلك بالنهي عن كتابتها وزعم ان النبي (ص) واصحابه لم يعاملوها بالعناية التي عومل بها القرآن قصدا منهم لان تندثر وتزول من بين المسلمين فلا يعملون بها

هذه خلاصة قوله لكنه يظهر من تناقض كلامه وجوب العمل وقبول ما كان متواترا من ذلك لا ما قل آحادا سواء كان سننا أو صحيحا أو مشهورا أو مستفيضا

وحيث كان ذلك مخالفا لدين الاسلام فيما أعتقد بل

الآحاد الصحيح بجميع اقسامه مستلزم للطعن في القرآن وتكذيبه ومخالف
لجاهير المسلمين بل لجميعهم بل لجميع الاديان والملل وسائر متبعيها بل
مخالف لما عليه مدار الاجتماع البشري كل ذلك على ما أعتقد ولا احسب
ان احدا ممن عرف بالمسلم والمقل كحضرة الدكتور يخالفني وينازعني في
ذلك بعد التفكير وبشرط الانصاف - حيث كان الامر كذلك فيما أعتقد
بمشتي حب اظهار الحق والتعاون على البر والنصيحة الى مناقشة حضرة الاخ
الدكتور فيما كتبه في رسالته ممارأته خلاف الصواب لما عرفت من حسن
نيته ورجوعه الى الحق كما هي عادة

وأتمس من مولانا المرشد وسيدنا العلامة القدوة داعي الانام ،
لا تباع حقيقة الاسلام ، منثني النار مولانا حضرة السيد محمد رشيد رضا
وأرجوه أن يدرج هذه البضاعة المزجاة في مناره ، وان يسقط ما فيها من
الغلط بصائب أفكاره ، وان يشركننا في صالح دعواته ، ولنعلم اننا بصده
من الشروع في المقصود فنقول : (سيأتي المقصد)

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

اذا أراد المستفتي ان لا يتأخر نشر سؤاله والاجابة عنه فليكتبه على ورقة
مستقلة ولا يجعله في غمرة كتاب آخر فيكلفنا استخراج منه اذ ربما تمر الشهور
ولا نجد وقتاً لنسخه . ومن سأل في ورقة واحدة عدة أسئلة فليفصل بينها في الكتابة
فيتمدى كل سؤال بسطر جديد . وليكن الخط واضحاً . ومن علم ان في عبارته
غلطاً فليأذن لنا بتصحيحها ان شاء والا نشرناها على غلاتها أو أهملناها

الفصل الأول (*)

(مكة وحالة قريش الاجتماعية عند البعثة)

نشأت خديجة في بلد شأنه عجيب ، قصي عن الممران ، في واد غير زرع ، لا تنساب فيه الأمواه ، ولا تكتنفه الحدائق ، ولا تقوم الصناعات فيه دولة ، ولا يجد مبتغي الزخارف لديه مجالا ، ولكن أبداه الله جمالا مغنويا ، وكساه جلالات روحانيا ، فالأفدة تهوى اليه ، والاطايا تزجي له من كل فج عميق ،

هذه البلدة المقصودة هي « مكة » المكرمة الشريفة التي لا يهل اسمها وشهرتها أحد ، هي أم البلاد العربية واحة في القطعة المسماة الحجاز من شبه جزيرة العرب ، قائمة بيوتها في سفوح جبال محيطتها لم تقف على مقدار عدد نفوسها في تلك الأيام التي نشأت فيه خديجة ولكن عدد مقاتلها لم يكن يتجاوز الاثنين في الغالب فيمكننا ان نحزر أهلها اذ ذاك بنحو خمسة عشر ألفا كلهم أولاد أب واحد قد ورثوا باستعدادهم لا بنسبهم هذا المقام الكريم والبلد الشريف ممن كان قبلهم من القبائل . وذلك أن قصي بن كلاب استطاع ان يجمع جميع ذراري فهر بن مالك الى مكة ويزاحم بهم من كان فيها من القبائل فلم تلبث ان صارت لهم خاصة

(*) من رواية خديجة أم المؤمنين

وفي مكة هذه بيت مقدس قديم العهد يكاد يكون أول أمره مجهولا عند المشتائين بالتاريخ اسمه بيت الله أو الكعبة . وكان جميع عرب الحجاز يعظمون هذا البيت أكثر من كل البيوت التي شرفوها ويحجون إليه ، وتعارفون وتماطفون لديه

كانت هذه البلدة المشرقة تضم بين تلك الجبال المسية أمة صالحة الاستعداد للرقي متى أريت طريقه كما تضم الصدقة جوهرة لا يظهر بهاؤها ورواؤها حتى تعالج بعض المعالجة وتزال عنها القشور أما من حيث الحضارة فلم تكن كما ينتظر ابن حضارة هذا المصر من البلدان وإنما هي بيوت ساذجة مبنية بالحجارة والطين ومسقوفة بمجدوع النخل خالية من الزخرف

وهذا البلد الأمين باق الى يومنا هذا لم يزد على طول القرون الا تشريفاً وتكريماً ولم يتغير فيه الا أشكال الابنية وازدياد التجارة والبيت المشرف لم يتغير وضعه ولا وضع الشماثر التي حوله وإنما بقي هناك زيادات وتحسينات اقتضتها الدواعي

ومكة معدودة اليوم من جملة بلاد الدولة العثمانية بيدانها لم تحرم حتى الآن من أمير عربي يتصل نسبه بسيدتنا خديجة هذه ، وتقوده فيها وفيها حولها تقود تام يستمد من السلطان العثماني ومن احترام العرب لهذه السلالة

ومن الآثار المشهورة الباقية في مكة بئر زمزم ويقولون ان قبيلة جرم كانت دفنتها ثم احفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ص) وكان ذلك من مفاخر عبد المطلب لأنه لم يكن بمكة من ماء الا في آبار

بعيدة عن البيت المشرف فلما أخرج عبد المطلب زمزم في جوار البيت انصرف الحاج اليها . ولحق زمزم حديث طويل خلاصته تدل على شغل عبد المطلب بتسهيل الماء على الحاج فاذا تأملنا في حرص القوم على مثل هذه العناية بالبراء وابناء السبيل نعلم شيئاً من روح تربية الحمم ورتبة المواطن في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه «خديجة»

وكان من جيد أمر أهلها في مجتمعهم ذلك أنهم اقتسموا النظر في الامور العمومية فيما بينهم فكانهم كوتوا حكومة جمهورية من غير رئيس عام وكان أمر هذه الجمهورية العربية الوضع سائراً على متعنى النظام ولكن لم يكن هذا النظام لسراً في ترتيب هذه الجمهورية فاتها لا يؤمل منها في حد ذاتها ان تثمر نظاماً بالغاً متعنى الجودة والقوة وانما ذلك أثر من آثار تربيته العمومية فالأخبار كلها دالة على ان القوم بالجملة كانوا كأنهم مفطورون على التضامن التام فلذلك كان من مزايا ذلك الاجتماع الذي لا نهى له نظيراً ان كل فرد من أفرادها تام الحرية لا يشعر بقهر حاكم ولا يخشى سطوة جبار وكل منهم في أمن من فوات الحقوق واعتداء الحدود . الجنابات قليلة ، وكرامة الناس عفوفة ، والآداب سليمة ، والحدود غير متجاوزة ، والحقوق مصونة ، وذرائع الفساد مسدودة ، وسلامة القطر غالبية ، والمزايا التي بها كمال الانسانية راجعة .

فاذا أضفنا الى كل ذلك احترام التريب وتوقيره اياهم وتوقيه اذاهم نجد ان ذلك المجتمع لا يكاد يوجد نظيره ولكن مع كل هذا الجمال والحسن والصالح في هذا المجتمع كان فيه عيوب فاذا أزلت يصبح اول مجتمع

راقٍ في الدنيا وخليلاً أن يفيض على جيرانه من بركات العقول التي أشربت
بديع جماله، وأشرأت إلى عظيم كماله، ثم تأتت إلى تعريف العالم بما أكتنت
تلك البقعة التي لم تكن شيئاً مذكوراً من العقول المنيرة والأرواح العالية
وقد وقع ذلك فإن الذي منه تنشأ الأسباب وإلى ترجع الأمور قد
أتاح لهذا البلد الجمهوري من ينطقه من تلك الميوب التي أشرنا إليها فكان
بعد ذلك كما هو المتظر منه أي تم ظهوره فصار مشرقاً نور عظيم بلغ مشارق
الأرض ومغاربها فأخذ كل قوم منه بقدر استعدادهم

أما الجمهورية التي أشرنا إلى أنها كانت في هذا البلد فقد أقاموها على
على أساس يأمنون معه من الزلزال وذلك أنهم رأوا الشرف انتهى إلى
عشرة رهط من عشرة بلون لاشتهارهم بأعمال مجيدة، ثم أجمعوا أمرهم
على أن يكون النظر في الآور العمومية من خصائص هذه البيوت
العشرة وراضوا على أن يكون لكل بيت من هذه العشرة وظيفة يختص
بها تعد من مناهره فهم بهذا الصنيع قد أخذوا بشيء من أصول حكم
الإشراف وبذلك أعطوا الأعمال التي يجذبها الفرد أو الأسرة حقها من
التكريم والتشريف ليزداد نشاط أربابها وحرص غيرهم على التشبه بهم
وأخذوا أيضاً بشيء من أصول الحكم النيابي وهو أعظم الآيات على
وجود التضامن الذي هو أحد الأركان التي تحفظ بها سعادة الأمم .

أما الشورى فقد وفروا منهم حظها، وعظموا في أنفسهم حقها، وبها
كلوا يشرعون ما يشرعون من الأحكام والحدود، ويفصلون ما يفصلون
في بعض القضايا والحقوق

وقد ألتوا الرثالة العامة من بينهم كلهم عدوها لنوا إذا صدقوا

في تضامهم وصلحوا في تشاورهم وارايتهم الحق وقليلة الجدوى اذا مرض تضامهم ووهي نظامهم . أو أنهم خشوا أن يكون حب الرئاسة اذا وجدت مدعاة لكثرة تنازعهم وتنافسهم فلا يأمنون بمعد ذلك كثرة الفشل والشقاق وسقوط الهيبة من نفوس الغرباء ووقوع الفتور في نفوس الأقرين . أو أنهم أفتوا أن يملكوا عليهم أحداً لأنهم كلهم يحملون بين أضالهم نفوس الملوك وجمهوريتهم هذه لم يكن لها رئيس عام ولكن كانوا يقيمون واحداً في وظيفة رئيس عام مؤقتاً

أهل هذا المجتمع اللطيف لم يكونوا أولي شغف بالمحاربات فعلاقتهم الخارجية مع جيرانهم من القبائل وأهل القرى والبلاد كانت حسنة ولكن هذا لم يقمهم عن أن يكون استعدادهم تاماً لما ينزل بهم فإن نزل بهم ما يطيقونه كشفوا اللثم عن قوتهم وبرزوا من غير ترث وانزل بهم ما لا قبل لهم به تريثوا وعمدوا الى الاناة وفتقوا من الحيلة أبوا بايخرجون منها الى السعة من الضيق ومن قلّ الجيوش بالحسام الى فلها بالبيان وقد أعطوا من هذا حظاً عظيماً . ومن أشهر حوادثهم الخارجية التي ضائقوا بها ذرعا هجوم القائد الحبشي أبرهة الذي كان غالب على بعض بلاد اليمن فتددهمهم بجيش عظيم لم يروا لانفسهم طاقة به فقابلته عبد المطلب جد النبي (ص) وكان يومئذ رئيس قريش فأحسن مقابلته ولطف بمض الشيء من حديثه التي كان بها مسوقاً لهم « ييت الله » على زعمه لاسباب فصلها رواة الاخبار ثم أصابته داهية سماوية فقتل بجيشه ثانياً عزمه لانه رأى في أهل هذا البلد مالم يكن يخطر له في بال

نعم رأى في مقدمه هذا على هؤلاء القوم عجيباً من الأسمه وذلك

انه لما اتاهم أرسل اليهم رجلاً محمياً كان معه اسمه حناطة وأوصاه ان يسأل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها فيبلغه ان الملك لا يريد الحرب وانما جاء لهدم هذا البيت فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فدلوه على عبد المطلب بن هاشم فجاءه وبلغه ما أمره به أبرهة فكان جواب عبد المطلب اننا لا نريد حربه قال حناطة انه أوصاني ان يريد مواجعتك ان لم يريدوا الحرب فانطلق عبد المطلب مع حناطة اليه فلما رآه أبرهة رأى الوسامة والجلال فأعظمه واكرمه وأخذه الى جانبه وقال للترجمان سله أن يقول ما يدوله فلم يكن من عبد المطلب الا أنه صرف لسانه عن الخوض في عزم القائد على هدم البيت وجداله فيه بل أظهر الاقتناع بضرورة المسألة وعدم معارضة القائد في أمر هذا المبدء وقال له اذا لم يكن لك غير هذا الأرب فرد علينا أبلنا قال أبرهة للترجمان قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أنكلمي في الاموال وترك بيتا هو دينك ودين آبائك فأجابه عبد المطلب إننا نحن أرباب المال وأما البيت فله رب هو سينميه فقال له انه ما كان ليمتتع مني فأجابه أنت وذلك ورد ابرهة الابل على عبد المطلب وبقي مصرّاً على عزمه ورجع عبد المطلب على قريش فأمرهم ان يتصموا بالجبال ، ولا يأتوا أمراً حتى يروا ماذا يكون وقد أتى من لدن العناية النبوية ما لم يكن في الحساب فان أبرهة لما أصبح وتهيأ لدخول مكة برك القليل الذي كان يركبه وحرن واتوا كل باب من أبواب الحيل ليقوم ويمشي لقاء مكة فلم يبق ثم رأوا حجارة تسقط عليهم من أرجل صنف من الطير فتشام أبرهة وتذكر ما انذره به ذلك الرجل الجليل السني

الطلعة عبد المطلب من حماية هذا البيت بطريقة لا يلغها عقله تخمدت في صدره جذوة الحدة والتهور وخذل أمام هؤلاء القوم الذين حاربوه بالسلم ورموا عقله بسهم نافذ من يان عبد المطلب مع رمي الطير جيشه بحجارة من سجيل

وهذه أكبر حوادثهم الخارجية واشهرها . وفي عام هذه الحادثة ولد النبي (ص) وقد سموه عام القيل لما ذكرنا من قصته ورجال هذه الحملة قد عرفوا بمدىها باسم أصحاب القيل وقد أشير الى مجمل هذه الحادثة في القرآن المجيد

الفصل الثاني

(بيوتات قريش وخصائصها)

أما بيوت شرفهم المشرة فهي :

هاشم ، وامية ، ونوفل ، وعبد الدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدي ، وجمع ، وسهم ،

وأما الامور التي كان توليها من خصائص هؤلاء فهي : السقاية ، والمارة ، والعقاب ، والرفادة ، والحجاية ، والسدانة ، والتدوة ، والمشورة ، والاشناق ، والقبية ، والاعنة ، والسفارة ، والايثار ، والاموال المحجرة ، هذه الاسماء أكثرها اصطلاحية يحتاج الى تفسير يوافق العصر الذي نحن فيه حتى نفهم شكل ذلك المجتمع الذي سميناه جمهورياً على حسب اصطلاح عصرنا

فأما السقاية فقد تهم من اللفظ نفسه أي سقاية الحجاج الذين كانوا يأتون « بيت الله » من كل جانب ولا يخفى على أحد ان العناية بهؤلاء التبراء وتوزيع المياه عليهم من أهم الامور العمومية في ذلك الظرف وكان بنو هاشم هم أهل هذه الوظيفة

وأما العارة فهي منع من يتكلم في « بيت الله » بكلام فيه قبيح أو يرفع فيه صوته وكانت هذه الوظيفة أيضاً في بني هاشم الذين منهم العباس صاحبها

وأما المقاب فهي راية قريش كان من شأنهم فيها انهم يحفظونها في بيت من البيوت العشرة فاذا وقعت حرب أخرجوها فان اتفقوا على أحد منهم اعطوه راية المقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه وقد كانت هذه الوظيفة أي حفظ هذه الراية من خصائص بني أمية الذين منهم أبو سفيان صاحبها

وأما الرفادة فمنعها الاسفاف وكانوا يجمعون من أنفسهم أموالا لرغد المنقطعين من الحجاج وكانت الرفادة في بني نوفل الذين منهم الحارث بن عامر صاحبها

وأما السدانة والحجابة فمنعها خدمة « بيت الله » وحفظ مفتاحه والظاهر من هذه الوظيفة انها دينية ولكن متولي هذه الوظيفة الدينية مشترك مع عشيرته بتدبير الشؤون الاجتماعية وهذا العمل الديني نفسه قد كان عند القوم من أهم الامور العمومية في مدينتهم وجهورتهم

وقد نستطيع ان نشبهها من بعض الوجوه بوظائف كبار رؤساء الدين في الامم المتمتدة اليوم ولا يخفى ان وظائفهم من متمات مدينتهم، ولبن

يتولونها شأن يذكر عندهم . وقد كانت الحجابة والسدانة في بني عبد الدار
الذين منهم عثمان بن طلحة صاحبها
واما الندوة فمنها ظاهر من اللفظ نفسه وكانت دار الندوة في
بني عبد الدار ايضاً

واما المشورة فيريدون بها رئاسة الشورى وليس يعمدون الصواب
اذا شبهناها من بعض الوجوه برآسة الوزراء أو رآسة مجلس الاعيان وكانت
هذه الوظيفة من خصائص بني أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمة
ابن الاسود وكان من شأنهم في هذا الوظيفة ان رؤساء قريش كانوا لا
يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة فان أعجبه
واقفهم عليه والأتخبر وكانوا له أعواناً

واما الاشناق فهي الديات والمغارم فقد كانوا يساعدون من يستحق
المساعدة ممن حمل مغرمأ اودية وكان النهوض مع صاحب المغرم لجمع
المطلوب من خصائص بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق فكان أبو بكر
اذا نهض مع أحد صدقه قريش واعانوا من نهض معه وان نهض غيره خذله
واما القبة فأشبه شيء بنظارة الحربية ولكن كانوا يمدون اليها
وقت الحرب فقط ولعل ذلك لسداجة الحرب اذ ذاك أو لاستعدادهم
لها كل وقت اذا تأججت نيرانها وقد كانوا يضربون قبة فيجمعون اليها
ما يجوزون به العيش وكان ذلك من خصائص بني مخزوم الذين منهم
خالد بن الوليد صاحبها

واما الاعنة فمما رآسة الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومي
ايضاً وخالد صاحب هذه الوظيفة هو ذلك الفاتح العظيم القائد العام في
(المنار ٢) (٢٠) (المجد الحادي عشر)

الاسلام لجيوش أبي بكر خليفة النبي عليه الصلاة والسلام وما أظن تاريخ فنّ التعبئة اليوم يخلو من الاستثناس بذكر تلك التداير الخزومية التي كان لها شأن عظيم في الاسلام كما هو شأنها في الجاهلية (أو الجمهورية) وأما السفارة فالمراد بها ظاهر وقد كانوا يحتاجون الى السفارة في الحروب أي في أوائلها أو بعد شوب نارها وتماظم أوزارها ويحتاجون اليها اذا نافرهم حي للمفاخرة . وقد كانت هذه الوظيفة من خصائص بني عدي الذين منهم عمر بن الخطاب صاحبها وناهيك بذلك الخليفة الثاني الشهيد بكل منقبة صالحة اذا كان سفير قوم

وأما الايسار فهي الأزلام والقداح كانوا يضربون بها اذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرافاتهم وصوبهم ويحق لنا أن نبالغ في استهجان هذه الخرافة التي كالأوطيها الا أن يكون لهم شيء من النظر من وراء الخرافة كما هو الحال في كثير من الامور الباطلة التي تروج في الامم بسماح من العقلاء أو بترويج منهم لها وقد كانت هذه الوظيفة لبني جع الذين منهم صفوان بن أمية صاحبها

واما الاموال المحجرة فهي الاموال التي سموها لآلهمتهم ويصح أن تسمى هذه الاموال أم الاوقاف الخيرية اي ان ينهما تشابهاً . وقد كانت هذه الوظيفة أي تولي النظر في الاموال المحجرة من خصائص بني سهم الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها

هذا ما كان من حيث ترتيب التضامن واقتسام الاعمال المهمة .
واما الامور الجزئية التي كان الافراد يحتلقون فيها فتفصل فيها كبار أسرهم وعشائرم في الغالب على طريقة التحكيم ولم يكن للقوم من شريعة مكتوبة

واما كانوا يقتصون في الامر كما يبدو لهم الصواب فيه وقيسون
الامور باشباهها

وهنا يخاطر في بال القارئ أن يسأل عن الضيف الذي لا بأوي الى ركن
شديد من دمه كيف كان حاله اذا أهين أو ظلم في ذلك المجتمع الذي
لا شريعة فيه مكتوبة ولا قوة عمومية من شأنها وخصائصها دفع القوي
عن الضيف . وقد بحثنا في هذه المسألة المهمة فوجدنا القوم لم ينسوها
ولم يهملوا شأنها وذلك انهم قرروا في مؤتمر لهم حماية الضيف والذود
عنه وكان من حديث ذلك المؤتمر ان قبائل من قريش اجتمعت في دار
عبد الله بن جدعان الشهير وتماهدوا وتماقدوا على أن لا يجذوا في
مكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه
وكانوا على من ظلمه حتى رد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف
الفضول وكانت الارهاط المتعاقدة بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن
عبد العزي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة

فم كان من النقص في نظامهم أن لا تكون حماية الضيف من
خصائص الجمهور ولكن يظهر انهم كانوا يكتفون في الضيف بأن يجيره
واحد من بيوت العزة والقوة فانه يصير مثل مجيره في نظر الجمهور فلا
يجسراً حدان ينبغي عليه

ويمكن ان نستخلص من كل ما تقدم ان القوم كان لهم شبه قانون اساسي
الا انه غير مكتوب ولم يكن لهم قوانين مدنية أو جنائية قط . والامر
في الامور المدنية سهل في المجتمعات البسيطة الصغيرة فكل انسان يستطيع
فيها ان يحفظ بحقوقه أو يستعين عليها بالتحكيم وما أشبهه . واما الحوادث

الجنائية فلا يجوز إهمالها وتركها من غير أن يتولى الفصل فيها أناس مقيدون بقوة تنفيذية مخافة أن تكثر الجنايات ولكن تكافؤ القوى في المصارف والبطون المتساكنين في بلد واحد قد يكون مالمًا من كثرة الجنايات وإذا اضيف إلى ذلك صلاح الاخلاق والتربية العمومية كان هذا نم الظير على قليل المدوان وقد كان القوم يتواصون باجتنااب الظلم ولا سيما في البلد الامين ومن وصاياهم في ذلك قول إحدى نسايتهم توصي ابناها:

أبيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها أبيّ ولا يغرنك الفرور
أبيّ من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبيّ يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
أبيّ قد جربتها فوجدت ظالمها يور
الله آمنها وما بنيت برصتها قصور
والله آمن طيرها والمصم تأمين في ثير

وتواصيتهم بالنهاي عن الظلم يغرينا بتعرف فلسفة القوم التي كانت تحثهم على مثل هذا

الفصل الثالث

ديانة أهل مكة عند البعثة

ويظهر لنا أنهم طرقتوا كسائر الامم باب الضالة المنشودة وهي معرفة ما هي نفوسنا ومن أين مبدأها وإلى أين متنها وماذا يزكيا وماذا يدسبها نم طرقتوا هذا الباب ولكن يفتح لهم عن الطريق الموصل إلى

هذه الحقائق المكنونة بل كانت نصيبهم كنصيب الاكثرين ظنوناً ورجحاً بالنسب

أدرك القوم ان للعالم خاتماً ومديراً هو الذي خلق السموات والارض وما فيهن ، وهو الذي خلق السمع والابصار والافئدة ، وقالوا كما يقول سوام انه تستحب الرغبة اليه والرهبة منه ولكن في هذا السبيل تاهوا فتركوا ههنا العقل والتفكير وقلدوا الامم واتخذوا من الحجارة أوثاناً وقالوا ان تعظيم هذه الاوثان يقرب الى الله لان هذه الاوثان تماثيل أو كتماثيل لأناس صالحين محبوبين عند الله فتعظيمهم الى درجة العبادة يقرب الى الله

لقد غلطوا في ظنهم ان الله يحب هذه الحجارة . وأخطأوا بزعمهم ان تنزيل المقول الى تعظيم هذا الجماد (بهذه الصورة) تعظيماً قليلاً يرضي الله تعالى . وحادوا عن الحق بتخليهم ان هؤلاء يشفعون لهم عند الله تعالى وقد كان الواجب ان لا يكون في قلوبهم حب وعبودة الالهة القويم ولم يكن جائزاً ان يشرکوا به الجماد ،

وكان لهم أغلاط أخرى كثيرة في ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله فقد زعم بعضهم ان الملائكة بناته ، وزعم بعضهم ان الجن شركاؤه في الملك وظنوا جميعهم ان لن يبعث الله بشراً يعلمهم ويرزقهم ؛ غلطوا في كل هذا وتسفت في عقولهم ولكن اعتقادهم بأن للعالم صائناً مديراً عظيماً هورب الكل وانه يجب ان يتقرب اليه العبيد قدر حق على ما فيه من النقص والبعد عن الطريق القويم قلوب كثير منهم وكأنه أعدها لقبول حق سيظهر نوره فيمحق خطيئاتهم الاعتقادية

والمشهور ان القوم لم يكونوا يقولون بالمعاد والجزاء الاخروي ولكن الحقيقة أنهم كانوا في ريب وشك أي لم يكونوا جازمين بشيء في هذا الباب وكان أناس منهم تذهب بهم عقولهم الى وجوب المعاد والجزاء الاخروي ولكن عدم اعتقادهم بالجزاء الاخروي لم يكن مانعاً من ان تكون قلوبهم منجذبة الى الاخلاق والاعمال الطيبة التي تحت على مثلها الديانات من البر والاحسان والعدل والصدق والكرم وحماية الضعيف وترك العدوان والابتعاد عن الخيانة والبغي وما أشبه هذه المناقب وعقولهم انما طرأ عليها التسفل الى تعظيم الجداد لان الوثنية هي الغالبة في عصرهم ولا يمد عن الصواب من يقول ان الوثنية هي الغالبة على طباع البشر كلهم الا قليلاً

فاذا صرفنا نظراً عن تلوث عقولهم بثرغات الوثنية لا نجد من يمدحها هذه المقول مظلمة وهي التي اضاءت لهم فعرفوا بها الاخلاق الصالحة والفاسدة ولم يكن يوزم الا ان يقوم فيهم مرشد يهديهم للتي هي اقوم من طرائق الاعتقاد بالله وصفاته والتقرب اليه بتوجيه الوجه واسلام القلب اليه ولولا ان للقوم عقولا صافية لما رجي لحيي المرشد من فائدة لانه لا يظهر نور الارشاد الا في اللوح النقي ولكن الرجاء بالقوم في محله فانه لما جاء المرشد لقي اراضي في متهى الاستعداد لما اراد أن يلقى البذار والى جانبها اراض أخرى فيها من أعشاب التمسك بالقديم ما يحتاج الى زمن في معالجة ازالته وقليل من الاراضي كانت سبخة ليس في الامكان أن ينتج فيها البذار

لا يهولئك من القوم سقم عقولهم فيما كانوا يعتقدون فان البشر

كلهم الا قليلاً كانوا ولا يزالون يمتدنون أمثال معتقدات القوم فوا أسفاهان هذا المييب عام وراسخ في البشر ومن أصعب الاشياء استئصال جذوره ولا ندري السر في هذا . ولكن انظر الى هذه الجماعة القليلة كيف أقامت لها شأناً رفيعاً في العرب كلهم اذ غلبتهم على التوطن في جوار البيت المشرف وأحسنن المقام في هذا الجوار الشريف فقامت بحقوق حجاجه من سقايتهم ورفادتهم ، وقامت بحقوق المستضعفين فيه من حمايتهم وتأمينهم ، وقامت بسنن التضامن والتعاون والتواصي بالعدل والإحسان حتى رضي العرب بتقديمهم عليهم اذا تقدموا وياهم لأمر عظيم وشرف جسيم على انهم ليسوا في العرب أكثر عدداً ، ولا أقوى ناصراً . لا جرم قد خصهم الله بأفراد كانوا في لقاء القلوب آية ، وبلغوا في صفاء العقول الغاية ، والأهم والشعوب تحيي بأفراد وتموت بأفراد واذا سخر الإله سيداً لانا س فلتهم سعداء

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد حريتهم التي كانوا عليها فلتهم لما خلصوا من تملك أحد عليهم خلصوا من شرور كثيرة تتبع التملك فكانت معاشرتهم ساذجة خالية من عبارات الملق والخنوع وكانت مكاسبهم لا تقسم لا يشاركون فيها مشاركون ولا يعرفون المفارم المرتبة والاناوات المنزوعة

وهم في أمن من حيف القضاء لانهم انهم يتحاشون يوم يشاهدون الى من يرضونه من كبارهم ولا قانون لهم في المسائل الجزئية تركض من أحكامه فرائضهم وانما يخشون بأس بمضهم فيرتدصون عن الشر الذي يثار له العموم أو يثار له من أصابهم خاصة

وكان جائزاً لا حدم ان يتدين كما يريد بشرط ان لا يعيب دينهم
الذي كانوا عليه ولا يدعو الى ابطاله وقد كان لبعضهم فلسفة في النشور
والجزاء الأخرى ولبعضهم انصراف عن عبادة الاوثان ولبعضهم ميل
الى تقليد أهل الكتاب فلم يكونوا يحاسبون أحداً على مثل هذا
ولم يكن لديهم نوع من المبايعات حراماً بل يبيعون ويشتررون كما
يشاءون وكل منهم عارف بمصلحته ولهم همه في التجارة والرحلة فيها الى
الشام وغيرها في الصيف والشتاء
أما أهل الصنعة فيهم فلم يكن لهم من قيمة والتألب ان يكون
الصناع غرباء

ولهم ازاء حسنة الحرية سيئة كبيرة وهي امتنان الرقيق واحتقاره
وتكليفه الشاق من الامور ولم يكن بعضهم يأف من إكراه امائه على
البناء لياخذ ما يعطون في سبيله

أما نسائهم الحرائر فلم يكن جائزاً لهن الزنا ولا سيما اذا كان لهن
بعولة يبدانه لم ينقل لنا انهم رتبوا على الزواني عقاباً بل كان عقابهن الى
رأي أهلهن اذا شاءوا

وكان لنسائهم كثير من الحقوق ولهن ان يواجهن الرجال ويبرزن
أمامهم حاسرات ويمكن ان يقال بالاجمال ان حرية الرجال والنساء كانت
تامة ولذلك نجب من قوم هذا شأنهم اذا رأيناهم لم يرثوا لخال الرقيق
ولم يذكروا انه يستحق الرحمة لانه مسلوب أفضل كساء كساموه ربههم
الأعلى ، الذي خلق فسوى ،

بقر جادى الدين يستعمل القول فيقولون
أولئك الذين صداهم الله وأولئك هم أولو الألب

المسحاة

بقرى الحكمة من يشاهد من ثلثات الحكمة قد أتى
خبراً كبيراً وما يدرك إلا أولو الألب

١٣١٥

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام سوى و « متار » كثر الطريق ﴾

﴿ مصر الجمعة ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٦ — أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

(متجس في العروس التي كان يتبعها في الأهرام الاستاذ الامام الشيخ محمد عبد الله)
(١١٨ : ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ
لَا يَأْلُوَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا
تُخْفُونَ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(١١٩ : ١١٥) هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذْ لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأُفْعَالِ
مِنْ الْفَيْظِ، قُلْ مُؤْمِنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ بَدَتِ الصُّدُورُ (١٢٠ : ١١٦)
إِنْ تُحِبُّونَهُمْ حَسَنَةً تَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَإِنْ تُبْغُوا سَيِّئَةً يَبْغُوا إِلَيْهَا وَإِنْ
تُصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَمْشُونَ مُحِيطٌ •

قال الاستاذ الامام ان الآيات السابقة من اول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر ليان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات (١) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلوات كانت مدعاة الى الثقة بهم والإفضاء اليهم بالسر واطلاعهم على كل امر منها المحالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضا (٢) ان الفرقة من طياع المؤمن قانه يني أمره على السر والامانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليدا مالا يظهر له هو وان كان ذكيا (٣) ان المناصين للمؤمنين من اهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفاء نور الدعوة وابطال ما جاء به الاسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأييد الحق . فكان الهمان متباينين ، والتقصدان متناقضين ، (ثم قال) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكره في لاشك مقتضية لان يفضي النسب من المؤمنين الى نسيبه من اهل الكتاب والمشركين وكذا المحالف منهم لمخالفة من غيرهم بشي مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلوات بين المؤمنين وغيرهم حدا لا يتعدونه فقال

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ الى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة اثيوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الألو وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الأصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالأمرض التي تؤثر في المخ فيختل ادراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « الا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحا »

على معنى لا أملك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من الفت وهو المشقة
الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

اما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من
المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية فأنزل
الله فيهم ينهاهم عن مبايحتهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد
انها نزلت في المناقبين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي
وجهاً ثالثاً انها في الكافرين والمناقبين عامة قال « واما ما تمسكوا به من أن ما بعد
الآية مختص بالمناقبين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فانه ثبت في أصول الفقه ان
أول الآية اذا كان عاماً وآخرها اذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً
من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

واما المعنى فهو نعمي المؤمنين ان يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين
بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعت للبطانة هي قيود
لنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو ان النهي خاص
بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو انهم لا يألونهم خيالاً وإفساداً لأمرهم
ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي
تمنوا عثمكم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم
لكم من كلامهم . فهي لشدها مما يوزم كتابها ويمر عليهم اخفاؤها على أن
ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع
من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم
اليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك اذ لم يكونوا على علم
بطائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين
من يصح ان يتخذ بطانة ومن لا يصح ان يتخذ لخياسته وسوء عاقبة مبايحته . أي

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديه وأسى إرشاده؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليقات والقيود فظنوا أن النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلماً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسباب اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مفيدة بتلك القيود لان الله تعالى — وهو منزها — يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التنفير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فاتهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد اقبلوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم (كفتح الاندلس) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبداً لا يبدل؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ولا تروي غلته الرواية. فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قادة القاتل بأن الآية في المناهقين ويؤيد رأيه الموافق لما اخترناه مانصه: دان الله تعالى ذكره إيمانهم المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالنش للاسلام وأهله والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صحتهم . وإما باظهار الموصوفين بتلك العداوة والشأن والمناسبة لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهىهم الله عز وجل عن مخالته ومباطلته فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد ترميزهم إياهم إما باعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفهم بها . واذا كان ذلك كذلك وكان إبداء المناهقين بألسنتهم مافي قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار (أي كما قال قادة) خير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان يتنا ان الذين نهى الله عن

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بأنفسهم على ما وصفهم الله عز وجل به فرفهم المؤمنون بالصفة التي فنعهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار ممن ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل ء اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبنى النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء إتيانه لهم لمكان الهد والحفلة ويمنع ان يكون مراداً به جميع الكافرين أو المنافقين

فهذا حكم من احكام الاسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف انه في هذه القيود التي قيد بها يمد متحى التساهل والتسامح مع المخالفين ، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الايمن ظهرت عداوتهم وبغضاؤهم للمسلمين ، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر ، وطريق العذر فيها أظهر ، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الاسرار ويستمان برأيهم وعلمهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار انصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل (٦٠ : ٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ان تبرؤم وتسقطوا إليهم ان الله يحب المقتولين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

ومن يتولم فأولئك هم الظالمون) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى (٣: ٢٨) لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله (١)
هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفة ان الاخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك الى ان قتل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رمثي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الاستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي فسرناها نوردناها برمتها لانها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها (قلا من الجزء الثاني من تاريخه) :

« قالوا نعمان البلاد ومحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعه والجيش العاملة والاهب الوافرة والاسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا محرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة الا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولو رأي وحكمة يتعهدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الخلق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوطنون طرق الامن ويسيطون بساط الراحة ويرفمون بناء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها ينهوا بل يحملوها على أجنتها السياسة القويمة الى أسوأ مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طالحة بالمرحة والشقة على سكانها وحتى تكون

الحية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في انفسهم منها على ما يجب عليهم وزاجرا عمالا يليق بهم وغضاضة وألما موجعا عند ما يس مصلحة المملكة ضرر ويوجس عليها من خطر ليتسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليلا الى فساد كبير في الملك . فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة.

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بنقد النقود وبذل الثقات ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفاء تهتمهم حاجات الملك كما تهتمهم ضرورات حياتهم . لا بد أن يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة وراعي ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس يحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق وقبلا يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلا وجعل له من هديه مرشداً وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلفة وجرئية وطلب أسبابها لا يجد لها من غلة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

ومن أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والرحمة والحية والنعمة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ وشيخ يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرع بزاعي نسبته اليها ونسبتها اليه وبراهم لا تخرج عن سائر نسبة الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة فدفعه عن حوزته وحرمة (راجع رأيك فيما تشهد كثيرا حتى بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تاله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه خصوصا ان كان يسده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظها (حينئذ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة أو ينقشاه من المضرة

فعلى ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتمزيق موقرة في نفوس المتظلمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التغالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهم روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعه مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدين الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلا من الجامعتين (الجنسية على النحو السابق والدينية) مبدآن للحمية على الملك ومنشآن للغيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فمثلهم في المملكة كمثل الأخير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالى أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل . هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقضين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يسه شيء مما يحسب من الضعة لانه منفصل عنها اذا قد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم ببداهة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعث على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلى شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالهم هي لم يجتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرائتهم من أغراض أخر فافانك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والعاقبة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء قفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأمرهم يجهدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يخدمون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يخدمون منها الباعث على النفس والحياة) ومن تتبع التواريخ التي

تمثل لنا أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خليقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها يسد أجنبي عنها وإن تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول العنصر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء إلى الوظائف السامية في أعمالها، فإن ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً إذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الاخلاق والسجايا الطبيعية بسبب الموارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطرأ النقص على شفتهم ومرحمتهم فيقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك إذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضره أخف وأقرب إلى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجانب لمهام الأمور في البلاد لأن صاحب اللحمة في الأمة وإن مرضت أخلاقه واعتلت صفاته إلا أن ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فإذا أساء في عمله مرة أزعه من نفسه صائح الوشيعة الدينية أو الجنسية فيرجع إلى الاجسان مرة أخرى وإن ما شد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات إليها ويميله إلى المتصلين معه بتلك العلائق وإن بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الأسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكوا أعمالهم من كتابة وإدارة وحماية للأجانب عنهم بل زادوا في موالاة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون يوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بعد ما رأوا كثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضعائن والاحقاد الموروثة من أجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب أنهم إذا اتمنوا خانوا ، وإذا عززوا أهانوا ، يقابلون الاحسان بالاساءة ، والتوقيع

بالتحقير ، والنغمة بالكفران ، ويجازون على اللقمة باللطمة ، والركون اليهم بالجفوة ،
والصلة بالقطيعة ، والثقة فيهم بالخدعة

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لاتنقض ؟ ألم بأن لهم ان
يرجعوا الى حمهم ووجدانهم ؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم
الحوادث ودلتهم عليه الرزايا والمصائب ؟ ألم يحن لهم ان يكفوا عن تخريب
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم ، ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب
عنكم ؟ هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » قد علمت شأنهم ، ولم تبق رية في أمرهم ،
« ان تمسككم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » سارعوا الى ابناء أوطانكم
واخوان دينكم وملتكم وأقبلوا عليهم ببعض ما قبلون به على غيرهم تجدوافهم خير
عون وأفضل نصير ، اتبعوا سنة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين ،
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل
سافلين ، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تحجروا ؟ الى متى الى متى إن الله ولنا الزهر اجمعون » اهـ

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطاقة
للقائمين بأمر الملة ، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطاقة لرجال الدولة ، وان لم يكن هؤلاء
الغرائب متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك
ينبت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تبين حال المؤمنين معهم :
﴿ ها اتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من أثر الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وتغي غنهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي
منها اكبر مآخض . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم وفي طائفة منهم (٥ : ٨٢)
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود (الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا أولئك اليهود النادرين الكائدين وارقار القرآن
اياهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجدي في الناس من يترك عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتاناً بل تعصبا خروا عليه صما وعمياناً

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجبر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آتفا (ولتجدن اقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) بل هم قسوس اوربا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهم الاسلام — والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام — بالتعصب والبغضاء للمخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقصت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه لما اغتروا غرفة من بحر تعصب أوروبا ولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام أولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر يعض الكتب الالهية او التبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب قائم تحبونهم بمقتضى ايمانكم هذا : وذكر بعضهم ان جملة « تؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم ؟ فأنتم أحق بيفضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير : « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان ، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : قوله « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن ليجب المناق وياوي اليه ويرحمه ولو أن المناق يقدر على ما يقدر عليه المناق منه لأباد خضراءه . » حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراء » اه
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر وللمنافق منها له حباً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا تكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعتزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

وتدبر هذا كله ان الانسان يكون في السهول والمحبة والرحمة لا في الخواص البشري على قدر تمسكه بالايان الصحيح وقربه من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فهذا يحتاج على من يزعم أن ديننا يفرقنا بيننا يقض المخالف لنا كما يحتاج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطمنون ييمض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليم عدوى التعصيين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين ،

ثم قال تعالى شأنهم ميثاقنا شأن طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الامة
وكونها كشخص واحد (واذا هم قولوا آمنا واذا خلوا عوا عليكم الانامل من الفيظ)
كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقاً وخداعاً ومنهم من كان يظهرهم ثم يرجع عنه ليشكك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (*)
واذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الفيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سيلاً . وعرض الانامل كناية عن شدة الفيظ ويكنى به ايضا عن الدم
(قل موتوا بغيظكم) فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الاغرة وقوة وانتشاره قال ابن جرير « موتوا بغيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واثلاف

جامعهم» فليعتبر المسلمون اليوم بهذا لعلم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء
الابزوال هذا الاجتماع والاتلاف والتفرق بعد الاعتصام ﴿ان الله عليهم بذات الصدور﴾
فهو يعلم ما نضم صدوركم من شعور النيط والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف
يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بعضكم لبعض من ذلك. ويعلم كذلك
ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حسدكم وسوطي نهم ﴿ان تمسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها﴾ المس في الاصل كاللئس والمراد بتمسكم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ اللئس
في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشارة بان اولئك الكافرين يسوهم
ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما يس باليد وانما يفرحون
بالسيئة اذا اصاب المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يقادري فيهم ولكن
رأيت صاحب الكشف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل
منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع
تفسير أبي السعود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
للإيدان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة
السيئة . ولما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق
البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام
ودخول الناس فيه واتصاف المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال
قادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة
وحاية وظهورا على عدوهم غاظم ذلك وساءم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة
واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وانهجوا به »
فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحذوته وأوطأ عجلته وأبطل حجة وأظهر
عورته، فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من سكرهم الذي
يدفعهم اليه الحسد والبغضاء فقال ﴿ولان تصبروا وتمتروا لا يضركم كيدهم شيئا﴾

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتلقوا اتخاذهم بطانة وموالاتهم من دون المؤمنين لا يضرهم كيدهم لكم وهم بمنزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكليف وامثال الأوامر عامة وتلقوا ما نهيتهم عنه وحظر عليكم — ومنه اتخاذ البطانة منهم — لا يضرهم كيدهم . و« يضرهم » بتشديد الراء من الضر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويقوب « يضرهم » بكسر الصاد وسكون الراء الخفيفة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس ، وجس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعامله وقربيه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تقضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأس به فلا نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خطائهم وعشراتهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بفضائهم وكيدهم حسن ان يذكروا بالصبر على هذا التكليف الشاق عليهم وبقائه ما يجب اتاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وبقائه شرهم ولم يأمرهم بمقابلة كيدهم وشرهم بمشله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحجة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال (٤١ : ٣٤) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فان لم يمكن تحويل العدو الى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجيز دفع السيئة بمثلاً من غير بني ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني الضير الذين نزلت الآية فيهم أولاً بالذات فإنه حالفهم ووادهم فتمكثوا وخانوا غير مرة أعانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اغاوتهم الاحزاب الذين نهبوا لإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتمذرت موادهم واستمالتهم بالحجة وحسن المعاملة فكان اللجأ الى قتالهم وإجلائهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الاستاذ الامام ما مثله : المحيط بالعمل هو الزايفت تعالى دقاته فهو اذا دل على طريق النجاة لامل من كيد الكائدين والوسيلة

للخلاص من ضررهم قائما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتما ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعا ، فالكلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتقوى بالثقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعا — يعني على قراءة الحسن وإبي حاتم « تعلمون » بالثبوت الفوقية أو على الالتفات — ومن كان عالما بعمل فريقين متحادين محيطا بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائجه وغاياته ، فهو الذي يعتمد على إرشاده في معاملة أحدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يهاضه ويتأصبه هداية الله تعالى للمؤمنين خير ما ييلفون به المآرب ، ويتبنون به إلى أحسن العواقب ،

وأقول ان الإحاطة لإحاطان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلمها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التزيل كقوله تعالى (١٢ : ٦٥) احاط بكل شيء علما) وقوله (١٥ : ٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) واما الإحاطة بالشخص أو بالشئ . قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو أي اخذ منه جميع جوانبه بالفعل أو التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (١١ : ٨١) واحاطت به خطيئته) وقوله (١١ : ٩٢) إن ربي بما تعملون محيط) وقوله (١٠ : ٢٢) وفطنوا أنهم احيط بهم) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منعه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دللكم بامعشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فليكن بعد الامثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة بقدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله (٤٨ : ٢١) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها) فليكن بعد القيام بما يجب عليكم ان تتقوا به وتتوكلوا عليه ،

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله « ها أنتم أولاً » أصله انهم هؤلاء قد قدمت أداة التنبيه التي تلحق اسم الإشارة « وأولاء » على الضمير . ويقال في المفرد « ها أنا ذا » وعلى ذلك قس . واعرابه : ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء مخبره وتجبونهم في موضع النصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاء اسم موصول وتجبونهم صلته

العين

سبب فتنتها وامام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تتربص بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود ومن على بقاء مميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الغابرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرهما من الأقطار الإسلامية : لانزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوروبية التعصب للجنس كما علت الأتراك ولا للبلغة كما علت المصريين فهم يمتنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنازع قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين المدول السارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن امر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخرت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ما هي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضررت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجود إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك يمتنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فبالكثير منهم حاولت الدولة غير مرة أن تقيم المحجة الشرعية على هؤلاء بوجود طاعة

السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهض ، وحجة رسول السلطان أدهض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عمية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تقيد معها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مقي حماه المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

﴿ المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ﴾

(عصمني بالله وما توفيقي إلا بالله)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف يركبهم جهل الجاهلين ، وارفع بمحمد سميعهم غفله الغافلين ، فهم بحور العلم الزاخرة ، ونجوم الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب الثمر روضه الوريف ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، واعداد على محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابته الذين اتبعوه بعد مماته وفي محياه ،

أما بعد فأنحمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانه وافانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومسطور رائع نفيم ، افاد معرفة بحقوق العترة النبوية ، والسيالة العلوية ، بماورد فيهم من الآيات القرآنية ، والاحاديث الصحيحة المروية ، ودوان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

بهم صلاح الجمهور ، وأفاد أسعده الله أنه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاتلاف ، وأنه يرى الخير في إصلاح ذات البين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وأنه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وأنه مناط الرضارب الأرباب ، وإن السلطان الأعظم من أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومناذرة الأشرار ، وإن رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقمع الفجار المعتدين ، وإن القطر الباتني المحروس بالله محل الإيمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وإن سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة إيمانية

ف نقول نعم الأمر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقمع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نقول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على مانحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا بوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا إليها الناس باطراف التواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكبا الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الاكفراد والمجوس تحكم في البرية . لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهدا ، امثالاً لقول الله عز وجل « وقال لهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « ولئن كنتم إلا لظالمين » ولئن كنتم إلا لظالمين « وقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقوله « وخوفا مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأثرن بالمعروف وتنهين عن المنكر او ليلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصير لنفسه ولم ينزل تنوخي ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفضت اليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبائح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من اتباع شريعة سيد الانام ، فهات الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحجة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالمون لنفسهم ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالتكثيرات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابداء كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « ان عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لا اهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفية نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور آيين للصحة ، ووضح للمحجة ، لا ما خوفنا به من القتل والنكال ، فانا اهل بيت لا نزعزعا وكاذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نفرع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والاصال

على ان قومي تحسب الموت مغنا وان فرار الزحف عار ومغرم
« امَّنْ هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فن ذا الذي ينصركم

من بعده * ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم * ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين * الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور * فنحن من وعد ربنا على يقين ، «والعاقبة للمتقين» وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه ، او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا أطلع الفجر صباحه ، ومساجدنا مصورة بالعلم والعمل ، وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل ، ولا نفتخر كثيرا بالآلات الحرب الفاخرة ، ولا بالسيف المتكاثرة ، التي تحت امرنا عاترة ، بل تتبرأ من الحول والقوة ، وتمسك باذيال سيرة الامامة والنبوة

منارس طابت في ربا الفضل فالتفت على انبياء الله واخلفاء

اذا حل الناس اللواء علامة كفافهم مشار التمع كل لواء

قد اوضحنا لك ايها السيد طريقنا ، وأبلغنا اليك أفعال أعادتنا «فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون» ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال ، لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل ، ورفع جميع الأمور من الخطة اليمانية ، وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية ، ولنمنهم عن محاربة العترة النبوية ، التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية ، ولأوفى جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه «بقول لا أسألكم عليه» الآية . ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين «من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال» وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته «انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وثبتهم بقوله «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله واولئك هم الصادقون» قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين * يا قومنا احببوا داعي الله وآمنوا به ينفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب اليم * ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء * يا قوم مالي ادعوك الى النجاة وتدعوني الى النار فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من لواء

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالخوفاين كما قد قبل
جاء شقيق عارضا رحمه ان بني عمك فيهم رماح
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والا فهو عندنا من اعظم
المساالك ، حقنا للدماء ، ورفعا للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية السوء والحق ،
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرآنه اهل بيت النبي المومنين ، وان يميزنا من نزغات
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وكان اللاتق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة البنيانية من جملة الممالك
التي بأيدي الكفار وقد اضربوا عنها صفحا ، وطووا عنها كشحا ، وما سارعوا لنير
مملكة اليمن التي بأيدي اولاد رسول الله ، يحكون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم
الله ، فلا جعلوا آل الرسول كالکفار الذين تركوا لهم ممالكهم ؟ اللهم اشهد وكفى
بك شهيدا » اهـ

(المنار) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال
الجيوش الى اليمن فاذا توالى انكسارهم ارسلت من الرسل السليين من يقيم الحجة
على امام الزيدية ! لم تغتر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنطفئ نار الفتنة ، وتنحصر اليمن للدولة ، فاذا اعوز
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبج اليمن في الخروج عليها ، او
الخروج من سلطتها ،

المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي
القريني وقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين وقد جعلت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث «مواد» نذكرها بنصها وهي:

(المادة الرابعة عشرة) وظيفة المؤتمر هي البحث في الاسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية وما داخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رقيهم

(المادة الخامسة عشرة) لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

(المادة السادسة عشرة) لا يجوز العرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيا كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة مروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجود على كتب متبعتها محال ولذلك جريتنا في المنار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لان المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها (بحث في المؤتمر الإسلامي) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه (ص ٦٨٠ م ١٥)

«ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونعني بالسنة منهاها اللغوي الذي كان يفهم الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

» ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني السلفي وغير

السلفي والشيبي والأباضي . ومن السنية الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزبيدي ، فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنة العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به ، كبتنا هذا لتنيه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نخاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهري تهديد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلفتنا عنه انه ممن ينكرون على المتر الإبقاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأيناه الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء غياه الله تحية مباركة طيبة ،

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عتبة في سبيل الاصلاح ومواقفته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نظلمه شيئا من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهريين يعتقدون بطلان التقليد وجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولا ويندر من تجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشورة والدعوة الميلى رموس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة يتكرونها على قائلة ويضطهدونه ان استطاعوا ويالقون في ذلك مبالغة هي عندي من ماثرات العجب . افلا يحق لنا اذاً أن نكبر لإجازة الشيخ سليم البشري جعل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخبير جاء من هذه الناحية فأهل الحديث مازالوا أبعد الناس عن التقليد. ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجماله واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فانا سنحتاج الى تحديد ماهو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر ما فيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لاجنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يمدون هذا مما يملق بالدين وهذه المسئلة من اكبر المسائل التي ننظر من المؤتمر — ان اجتمع — حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكياً الترك يريد ان يلقى في المؤتمر خطاباً يبين فيه أن ارقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لفقدنا وسياسة !!! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها نابتة الترك من التفرنج هذا القول فيرونه عجيباً غريباً ولكن لا يعجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم مناقشات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتي غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية نحن نمد هذا شذوذاً وغلواً ويوافقنا على رأينا كثيراً من فضلاء الترك لاسيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخطر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل

الرد على (اللورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فعلم محمد علي
وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم
الحكومة في فريضة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت
الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على
خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح
ان يتبع في هذا العصر لكان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائماً
ولما ساء لانكثرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدم اوارقائها
فاتها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فبال اللورد يمثل
ظلمات الماضي الخالكة شرتمثيل هو يحملها أساساً يعني عليه سياسته في التعليم ؟
اللورد قد ذم المتفريجين في كتابه ذماً طيناً وبين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ
محمد عبده فكيف لا يذمهم اذا طلب لبلادهم تعليماً أرفع من هذا التعليم
الذي لا يقصد منه الا تكوين المتفريجين ؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء
لامتياز جائر لان الدين كالأبطالون مجاهم في الغالب اولاد الاغنياء ، فإن
المدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز
عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أراد
القائضون على أزمته

لو كانت الطريقة التي أزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد الفقراء في التعليم المجاني عادلة لكاف من المدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تززع منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض. لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حل ذلك الحكومة على الشروع في اصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة العراقية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبمعدودته رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمعيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة ^(١) فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه « المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة » ^(٢) ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها جفاء اللورد يذكره من بعده في تقرير ١٩٠٥ ويجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بعد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها . امرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

جرب طريق النصيحة فلم يجد موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا في مجلس الشورى حاول ان يجعل مجلس الشورى وسيلة الى غرضه وبرايه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين ولوائح التعليم في نظارة المعارف (بروجراماتها ومنشوراتها) علي المجلس ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية (وقد بينا ضيف اقوال الناظر يومئذ في النار ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥)

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح بام المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التحيزية . وقد ذكر في آخر تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية (دار العلوم) ضعف تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكرة - ان كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية : فمن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد ؟ اللورد يعرف ذلك اذا لم يكن السخط قد انساه تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج المدونة في المحاضر والدواوين الرسمية وكلها ناطقة بأن الشيخ محمد عبد لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول في السبب الاول لسخط اللورد علي الاستاذ الامام وتفسير كلامه فيه

افشاء الاستاذ الامام مستر بلنت ببوب الاحتلال

اما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من انه هو الذي لقن مستر بلنت جل ما في كتابه (التاريخ السري للاحتلال) من عيوب ادارة المحتلين بمصر^(١) فهو مما يندر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة . واي شيء يؤلم الانسان اكثر من بيان عيوبه واطهار سيئاته ؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يندر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتهم ومدونياتهم . واللورد في كتابه « مصر الحديثة » مؤرخ للاحكام فكان يجب ان يذكر ذلك . ثم اذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتحام القدح في اسرائها وعلمائها وعمالها وجميع أهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه اظهار الحقائق . اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق - فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن أعاناه على ذلك ؟ اليس من العدل العام ، أن يدين المرء كما يدان ؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاورين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
الا ان منتهى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد ، أن يؤاخذ الناس بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقائهم وعبيهم ،
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

ما يحدث صديقه ان كل ما يقوله سيحفظ ويدون وينشر بين الناس ولذلك
يتقدم بعض أهل الرأي على مستر بلنت ذكر مسائل وخواطر حدثه بها
الشيخ محمد عبده فنشرها وهي مما لا ينبغي نشره كتنقيح جمال الدين لويقتل
اسماعيل باشا واستحسان محمد عبده لرايه . على ان هذه المسألة اصغر من
القالب الذي وضعها لورد كرومر فيه كجاسنيته

بقي علينا وقد يتنا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب
هذا الاختلاف ان نين الحق فيما لمزه به فنقول انه ينحصر بحسب
ما اطلعنا عليه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

الاولى وصفه بأنه خيالي

قول اللورد في الشيخ انه كان مفطورا على الخيال^(١) لا يتفق مع قوله فيه من
الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا - ومن الجهة السياسية
والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا انجحوا وسعدوا
على ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم
كالجبرونديين في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما
لا يتفق مع قول المستشار القضائي الذي واقفه هو عليه - ومن الجهة العلمية
والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل
واستنارة الذهن

ماعي الآراء الخيالية التي كان يبديها للورد فيتعذر عليها تنفيذها لانه لا
خيالية لاعملية بل هي بها تلك اللائحة^(٢) التي اقترح بها عليه جعل التربية
الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب وبين له فيها انه لا يصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) تقدمت الإشارة الى هذه اللائحة

البلاد المصرية وتكون بآمن حتى من التعصب وفتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفة ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي أوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة (كاقتراحه في مجلس شورى القوانين تعليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية) فلماذا يسيء الظن بدينه وهل تكون هذه الفيرة على الدين لضعاف الايمان أو للأدريين ؟ للورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو متعفى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية^(١) ، والآخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه معها . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لمعيد انكسارا وأمله بأن ينفعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا المعيد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهو انه لما كان متعفى غرضه من حياته الاصلاح الديني بالتربية والتعالم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يعبدان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

« ١ » جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد

فان لم يكن التقرير نفسه خياليا فالجاح كاتبه على اللورد باسماح بالمال من خزانة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت من هذه المطالبة حين قال له اللورد «لاني لا أعطي قرشا واحدا للمعالم الآن» كما أخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال «انه هكذا قال لا أعطي بضئير المتكالم وهكذا يقول» فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يمد من الخياليات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريرا فيه اصلاح لحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير لليوت الاسلامية لان من سياسة انكلترا موت الشرع في مصر وإبطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يمد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح الحاكم الشرعية من الخيالات والاوهام، أو من الاماني والاحلام، ؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك؟ نعم انه كان للاستاذ الامام، آمال في حسن مستقبل الاسلام، قد قد يمدها حتى بمض المسلمين من الاماني والاحلام، فان منها أنه سيتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علم بها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ «لا أدرياء» فانها امال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الاديان وطبائع البشر ثانيا، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى «٥٥:٢٤» وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وللممكن لهم دينهم الذي ارتضى

١٩٢ آمال الاستاذ الامام في الازهر وأرلوه في الادارة والقضاء (المنازع ١١٣م)

لهم « الآية » ان هذه الآية لم يأت تأويلها بمد ولا بدان يأتي ولو بمدحين وان كان بعيدا « فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا (قيل انه قد حصل) من رجل لا أدري ؟؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لورد كرومر فانت اعرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا شيئا معدودة منها بعض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه المجلة من بطائنه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان مفطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية وإصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجه هتمته الى اصلاح الازهر ولكن كل ما نشيت به من اصلاح كان عمليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو ممدون بالانفصيل في كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين) ومالم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام بمحل لذكره

نم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما تشبت به من مبادئ الإصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرعون على بيانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهذا يهدون جميع طبقات أهله الى ما جعلوا امنه ، ولكن الموائى التي اعترضته في طريق الإصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الاولى ، وما أعلن ان اللورد كان مطلعا على هذا وبلا لما خطر في باله ان يكون الرجل لا أدريا ،

أما المسائل المتعلقة بالقضاء أو الإدارة فمهدي ان آراء الاستاذ الامام فيها كانت تجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن إنشاء النيابة العمومية عملاً برأيه أو لم يعمل بها كمشروع الجنابات الاخير الذي طالت فيه المناقشة بينهما ولكن بعد ان كان اللورد قد أشرب المشروع في قلبه وان أكثر النابغين من رجال القضاء كانوا على رأي الاستاذ الامام في معارضة المشروع

وما ذهب اليه المؤيد في تأويل كلمة اللورد من أن الشيخ كان يحاول القبض على السلطين فيجعل الامير وعميد الاختلال مما في يديه فهذا من آراء صاحب المؤيد التي لم تخطر للورد على بال فيما ينلب على ظني

الثانية ظن اللورد انه لا ادري

نيز اللورد الاستاذ الامام بلقب « اللأدري » (*) وهو قد أخذه من ستانلي على أنه لم يحزم به فقد ترجم المؤيد عبارته فيه بكلمة « واخشي » ان يكون كذا وترجمها بمض الجرائد « وأظن » ان يكون كذا . وهذا من الظن الذي قال الله فيه « إن بمض الظن إثم » وقد قال بمض العلماء النابغين من مردي الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لينفرنا من طريقة المرحوم الدينية ولكن لا تترك ما عندنا من اليقين فيه لاجل ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستانلي التي استنبط منها اللورد كلمته هي من المسلمات عندهم فينا وهي « ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان يكون احد

١٩٤ أهم العقلاء بالحداد . ورأى فاضل انكليزي في الاسلام (المراجع ٣ م ١١)

اثنين متصبا او ملحد في سره » وعندنا قاعدة مثالها كنت اسمها وانا تلميذ مبتدي ومهي « ان النصراني المتعلم ملحد لا دين له فان تعصب لقومه وأهل دينه قائما يتعصب لهم تعصبا جنسيا » وبما كنا نسمعه من آبائنا وبعض مشايخنا : « ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المبروكة ان المسلم يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصير للنصارى علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزحته عندهم » فالاسم والمثل تشابه في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى المجاهرين بالاحاد وكثير ما هم . ولما كان النصراني يعتمد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا واعتقادا نظريا ان كان ملحدا كان للملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري ان المسلم العاقل المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا ولا يعدمون من المسلمين المنفرجين من مجاهرون امامهم بالكفر ويسكرون معهم في نهار رمضان فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يملون ان هؤلاء الذين يظنون انهم قد ألدوا بعد اسلام لم يعرفوا يوما ما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكليز ذوي التربية العالية فيهم وجرى بيني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا عن شبهة من الشبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة يقول « ان ما قوله مقول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

يقولون به لو سئلوا هذا السؤال . وقال لي مرة « ان كان الاسلام ما تقرره فالأ مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « اثني أنا اعتقد هذا فالأ ان أكون مسلماً وأما ان تكون كافراً » وقال لي مرة « ما اظن ان احداً يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده » ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت في المنار سؤاله اياي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته له من حكمة الصيام وأعجابه به

وقد دمائي غير واحد من فضلاء النصارى للنداء في رمضان وعرضوا عليّ القهوة مراراً كثيرة فكنت أقول متعجباً أو نسيماً اتسا في رمضان؟ فيقولون أو أنت تصوم أيضاً ؟ فأقول : أي شيء يبيح لي الفطر ولست مريضاً ولا علي سفر ؟

ولكن اذا كان المحدث من النصارى هو الذي يظن ان المسلم المعامل لا بد ان يكون اسلامياً ظاهرياً وهو يسرّ الإلحاد في قلبه فهل اللورد ملحد ام هو مقلد لستانلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يرم بالايماز والمقل جيباً ؟

قال اللورد بعد ما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدرياً وان كان يستاء من هذه النسبة « قوله هذا يشعر بأنه ذكر أمامه ما يدل على انه يظن فيه هذا الظن تصريحاً او تلويحاً فاستاء وامتنع وتبرأ من ذلك وأنكره وكيف لا يتكره على اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأبوساً منها عنده فكان جل قصده من معرفة رجالها ومداراتهم الاستمالة بهم على خدمة العلم والدين

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستعين به على إصلاح الأزهر ويختلف إلى اللورد ليستعين به على إصلاح المحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها، كان يستجيبها مما لمصر وللإسلام وقد أعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب إذا جاءت كلمة اللورد في دين الأستاذ الامام فحة باردة تضاعل في طمر بال قاتما عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يرفه ،

الثالثة استحقاق قتل اسماعيل باشا

قل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا عند مروره على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمدا استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما ^(١) اي لم يكشفها به أحدا لاعتقادهما انها لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظمها ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجة « ان العالم المتدني كله ينتظر بعد هذا الى الوطنيين شزرا ١١ ويحتقر بالاكثرا أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على أضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على أضعف المصريين الذين يمدحهم من أضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفتدوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سأنا أحد

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الا فتاني في قتل
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستحسان تلميذه كمحمد عبده المصري لفكرته
وهو شاب في سن الطلب والتجصيل يتبع وجوب احتقار العالم المتمدين لها
وللوطنيين المصريين دائما لان تلميذاتهم استحسن من زهاء ثلاثين سنة قتل
أمير خرب بلاده ومهد للاجانب احتلالها ٢٢- لو سئل الثلاثة هذا السؤال
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر يجواب واحد وهو
ان الوطنيين لا يحقهم ذنب ولالوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة
تتاني المدنية ، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وقد السيد جمال الدين على مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد
عبده في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان ٢٠ من حياته ايجاد
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يد
من الغريب عند الامم الممدنة ان يتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم
الممدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشذر لان من علمهم
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة ٢٢

ياقته من هذا العالم المدني الذى لم يفكر في مثل هذا قط؟ ما هو
واين هو؟ أليس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرنان من الزمان (١) ونعني بالرؤساء رؤساء الجمهوريات الذين تبعتهم أقل من تبة الملوك ان خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطانة به قد يكون تمنيا لا يصل الى درجة العزم، وقد يعزم الانسان على الشئ حتى اذا ما هم بمباشرة راجع نفسه وثني عزمه فرجع عنه نادما، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ في تنفيذ ذلك الخطا ٢٢ اما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملا سياسيا فهذا مما لا يجمله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الوافقين على احوال مصر الاخيرة، وهم يعلمون انه اذا ترك السي لقتل اسماعيل باشا فانه قد سعى لنزله

قال الاستاذ الامام في كتاب تاريخ الثورة المصرية الذي صدر اليه بتأليفه الامير عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السي في عزل اسماعيل باشا وذكر إرسال فرنسا موسيو تريكو مأمورا فوق العادة ليتحد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق الى رؤيته (اي اسماعيل) بيدياً عن كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الاهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهر له الميل الى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت يته وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا الامر فسمى هو والكثير من الاعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

(١) ذكر ذلك في ص ٢٥٥ من جزئه المتوقف الرابع الصادر في ابريل الماضي

الاسبق بوجوب التنازل (عن الخديوية) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وإن الدولتين لابد أن تتالا ما تطلبان عاجلا أو آجلا والفكر في الحرب رأي طائش فإن الناس عموما في انحراف عنه فإذا حصل حرب خذله الجيش في أول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع، وإن أمس شيء بالصواب أن يحول الأمر على السلطان

«ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين إلى وكيل دولة فرنسا وأبناؤه أن في مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسعى إليه وأن الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم إلا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك في القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهي أول مرة عرف فيها اسم «الحزب الوطني الحر» اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن اشمل من اولئك الملوك الذين ظلموا العالم المتمدن وآخرهم ملك البرتغال بل ولا من اولئك الذين ناروا عليهم وقتلهم بحاكمية او بنير معاكمة ومنهم شاول الاول ملك الانكليز الذي قامت في وجه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله . وان اغتيال ملك او أمير غريب للبلاد ، ظالم للعباد ، مضيع للملك ، مهلك للحرث والنسل ، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بثورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب ، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقية ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر في تاريخ «مصر الحديثة» من فظائع اسماعيل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين نارت عليهم رحمتهم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسماعيل باشا لويس السادس عشر وشاول الاول

٢٠٠ تمثيل الاستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل (المارچ ١١٢٣)

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العربية حالة مصر التي تركها عليها اسماعيل باشا تمثيلا تلطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب ذلك لحفيده الامير الحال كتابة حاول فيها الاعلام مع توقي الإيلام قال:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دولتا فرنسا وانكلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة معهما بمقود ووعود عدت تموانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي للمالية والآخر فرنساوي للاشتغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا — وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلة تؤي بتنفيذها الى اشهار افلاس الحكومة ، وأدت بالفعل الى انتزاع املاك كثير من ذوي الثروة من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا — وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من النفلة عن مصالح البلاد الى حد لهم كانوا لا يفهمون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل النقود من الاهالي بأية طريقة ليكنس منها شيء في جيوب المباشرين للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض الحفنين به والمقرين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يقدر بها دفاع ولا حماية

وإنما يراد بها الظهور بعظمة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدرب
حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للنافع العامة
او الخلاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجاب كانوا
أركان حربها، وعليهم الممول في أغلب شؤونها

.. وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والزفة في المعيشة
تقليداً للمقربين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا
لنفقتهم ميزانا صحيحا يادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما ينفقون
في الذات

.. وبعد أن نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعايتهم
لما عليه الاهالي من غنى وقر واستمالهم اشد العقوبات في سلب ما
بأيديهم أن اضطر الاهالي الى التدين بالربا القاحش حتى كان صاحب
الارض يأخذ من المرابي المتهبئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا
ولا يخشى عاقبة فان أمانه القدوة المظلمة وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ
من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم
يرها بيمينه

.. وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم
فوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو
ذوات الحكومة وأمرائها، على أن يتالوا من الحكومة ما يشتهون في
الوقت الذي يريدون متى صادفوا مسكنا من رضى الخديو او بعض

المقرين اليه فكانوا يسغرون الاهالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتعود الاهالي على الشكوى الى الله وحده من ضيق الحال وخمود المزائم وانطفاء مصابيح الرشد في جميع الطبقات

- وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يهدأ على نفسه وما يديه ، اذا تكلم تتمتع في كلامه ، واذا قصد امرا خطأ اليه على غير هدى ، يتلفت وراءه خوف مفاجأة بما يكره

- وبعد ان كانت الثقافة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف القحط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة أخرى من الزمان

- وبعد أن صارت صيرون الناس بأسرهم شاخصة الى ما عساه ينزل من السماء ليبدعهم بالمعونة على الخروج مما هم فيه

- هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مهلكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، وتكثر فيها العزم الشديد ، ما المراد مما كتبه هناك

وقد استطرد منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكاهم الى ذلك العهد ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الافكار وقد سبقت الاشارة اليه - وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث الرأية ومقدماتها ، وان شئت قلت من ظلمات وأسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل القصد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلا

عن المبالغة في التقييد والتنكير، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، اذا مقت ذلك الامير، وتحنى لوفيقنا له احدهم اولئك المظلومين المهجورين او استحسنت من تحنى ذلك ؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدها بعض الناس قدحا من اللورد في الشيخ محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم انهم ما أدنى من المسلم المحافظ في اسلامهم وأدنى من المصري المغالي في قريجه، ^(١) والحق ان هذه العبارة لا يتقدم منها الا لفظها فهي مدح كتب في حال استياء وامتناع فجاء شيئا بالدم اذ توهم انهم دون الفريقين في علم او فضل ومعناها الحقيقي ان هؤلاء القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم والتقاليد القديمة باسم الدين وطرف المتغالبين في تقليد الافرنج الذين اصاعوا دينهم وروثهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه العبارة الا ما اوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من ان حزب الشيخ محمد عبده هو الحزب المعتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ في بيان المراد الا ان احدهما كتبت في حال رضى فثلث المعنى مضيا واضحا والثانية كتبت في حال السخط فتشي المعنى فيها فاشية من ظلمة الايهام

وقد زلّ قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله اذا ذكرها يعرق من الحجل وهي انه ذكر في التقرير ان توفيق باشا صنف

عن الشيخ محمد عبده « طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق »^(١) وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتبعاً لتشديد الانكيز عليه في ذلك »^(٢) فزيادة اتحياده لتشديد الانكيز تقضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتحياد لتشديد الانكيز لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكيز بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن يجعل من هذه العبارة اذا قابلها بعبارة تقريره في المسألة لأنها جملت كلامه متناقضاً او متعارضاً وأبانت ان يحايي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما معاً كرمًا وحلمًا وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئاً عن تشديد من الانكيز في طلبه لاعتن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنه أساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وادارته المستر بلنت . والمؤرخ الحايي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا بذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسع الرأي

(٣) كان على علم ونباهة

(٤) كان عدوا للخدوين والباشوات غير الصالحين

(٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثرا مثاله

(٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية

(٧) ان له في مصر حزبا معتدلا يجمع بين اصول الاسلام والمدنية

(٨) ان أتباعه هم حلقاء المصلح الاوربي الطبيعيون الجديرون بمساعدته

(٩) ان له برجرا ما لجل مصر مستقلة استقلال ذاتيا حقيقيا

(١٠) ان تقدم اتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا

فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه الشر ولا يضرنا معها ظنه انه كان لا أدريا ، ولا جزمه بأنه كان خياليا ، ولا لإيها عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما

نم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطا بين المحافظين الجامدين ، والمتفريجين المقلدين ، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك ، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكياه كل فريق من المتفريجين والجامدين يجلونه مع احتقار كل منهما للآخر . وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ١٩٥٧) مانصه^(١) :

« فأول مزينة امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من التفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما هندي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروهم غير ما جرى عليه

المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم . وكان قائدا للآراء ومديراً للأفكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان القديم لا ينفي عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال . وقول ولا نحتش في الحق لومة لائم ان التقييد قاطع الاقتران كلهم في هذه المزية حتى اقرء فيها او كاد ، الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لمجلة المقتطف ما نصه :
« وكان ذكي القواد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يتهيب الكبراء والمظالم لمجرد ما هم فيه او ما أدركوه من رقة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدي بنور علمه المحافظون الذين لا يروهم الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللغوية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم - وعصدا قويا لا بناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، ومرشداً صادقاً للذين يطلبون الاستشارة بها والسير في سبيلها ، » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقتطف سقناه الى اللورد لان مثبته غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده
واذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين (المحافظين والمنفردين) فليقرأ ما أثبت به الشيخ احمد ابو خطوة أرقى الازهريين علما وفهما وقاسم بك أمين أرقى المتدينين في أوروبا واللورد يشهد بنبوغه وقد اثبت عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا
حوالي هذا القبر الجليل الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاستاذ الشيخ
محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر وللمحاكم الشرعية تفصيلا

وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهما علينا النظر ودقنا في
البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يموض علينا ما خسرناه بفقد استاذنا
الشيخ محمد عبده». وقال انه «وصل الى أسى مقام يمكن ان يناله انسان في
هذه الحياة مقام الامامة بأوسع منها ما تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد
في مصر واحد يجراً على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال:

«سادتي: ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح، والجمال
المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال
أكثر من غيرها فتتموز زهرة الجمال فيها نحو عجيا وتتكافر فروعها وتمتد
طولا وعرضا ولا تترك محلا لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خيث
بجانها. ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز. نفس خلقت على
أحسن شكل، وزنها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالا في الجمال يجب ان
نضمه دائما أمامنا لنعلم منه «كذا وكذا» وذكر بعض مزايا الامام ثم قال
«وتعلم منها أيضا مبلغ ارتقاء الخلق في إنسان اجده نفسه وروباها حتى أرسلها
الى اقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال»

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق اللورد في الكلام
عن رجالنا وننتقل منها الى المقصد الامم وهو كلامه في الاسلام
والمسلمين فنقول

القرآن والعلم

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشبه بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفسير الخفية والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للطن في الكتاب العزيز ناسيين إليه الجمل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويري الفلة ، ولكن فاتي ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتي خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظريه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواحيه ، وقد رأيت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتبين السبيل ، فأقول والله أستعين :

﴿ المسألة الاولى ﴾

(الحجر)

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠) ولقد نذّب اصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا ينتحون من الجبال يوتاً آمنين) . اعلم

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شيرة عند السالمين تدعى باللغة اليونانية (بترآ) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالم» كما في سفر الملوك الثاني (١٤: ٧) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترآ» و«سالم» بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن يوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من أعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الأفريخ هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترآ» اليوناني فوجه انها فتح الحاء والجيم «الحجر» ونى على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالم» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالم هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها أهلكم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد قليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه اخطاءاً والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم لكاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجعلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم خير بترآ او سالم وان احدهما تبع عن الاخرى بمدا عظيماً فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «نمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالم ليرى بعيني راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالم . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالم» أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع مآثره فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يبق دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المآرج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تنبى على الارض والبعض الآخر ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تنخدون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فاخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكم وان لم تكن جميعا كذلك في اول أمرهم. ومن ذلك تعلم خطأ مقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى (محمد) في هذه المسألة

المسألة الثانية

(الاسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى ببيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لتريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت كان خربه تيطس الروماني ستة سبعم للبلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف إن النبي أسرى بهاليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او منحدر ذلك مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أمكنة بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يمدون الله فيه يسمونه مسجداً لم يل سى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً لصحة العبادة في أي جزء منها قال « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنياً مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى أورشليم وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

فهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خراباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي لأن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان يتنا النبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ. أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه.

ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذبائح (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه.

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما شاهدونه في زمنهم لم يكن في رس النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فياقلنا ملقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن نسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً ٥ فإذا جاء وعد أولاهما نبثنا عليكم عبداً لنا هم بختصر وقومهم الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاؤا خلال الديار) اليهودية أي

(١) المنار: في ص ٧٠١ م ٦ توجيه لهذه المسألة مبني على صحة الحديث

جالوا وترددوا فيها للتهب والقتل والسلب والسي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً ٦ ثم رددنا لكم الكوة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر مملكتهم وفتح بابل واقعد اليهود من أسرهم واكرم مشاهيرهم وأحسن اليهم ووردهم الى بلادهم فصاروا فيها أعزاً وسادوا على اعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد الى اليهود شيء كثير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصر وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (وامتدنا كم أموال وبنين وجعلنا كم أكثر فقيراً) فرجعوا من الاسر بأشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأتمة وبهائم ونحف وغيرها كما في سفر عزرا (١ : ٤ - ١١) (٧ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) العقوبة الثانية (بشتا عليكم عباد لنا ليسوموا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيروا) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل ونشئت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فإنه قال في أول القصة « بشتا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوريون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون انكليزاً وفي الأولى فرنسأويين ولاشترأكم في الوصف (وهو كونهم أوريين) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً ليهود العرب (٥٥ : ٢) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني اسرائيل في زمن موسى ولاشترأكم يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود .

وصاروا خاضعين للكلدانين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها نشأت اليهود في أنحاء
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليها
يقام هيكله فلولاً وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأمي العامي الثاني بين الوثنيين
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده
كتب يرجع إليها بل لا تيسر له اذا أراد ولم يقد على تربيته معلم وليس له مدارس
ومع ذلك قد خلص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الاعجاز وعبرة
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي
يضمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود إلى بابل من أكبر ما حل بهم من المصائب حتى
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس
المخلص الأكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا
كثير الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه أيام من الحزن والبلايا والزياب التي
حلت بهم في بابل التي اطنبت كتبهم في وصفها وتعيدها وانذرهم الانبياء بها قبل
وقوعها ثم صاروا يشيرونهم بالخلوص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص
ونحوه كثيراً في كتب العهد القديم ككتاب أشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون
أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم
ولموا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتى انهم كانوا ينسبون للمسيح
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها ببشارات في العهد القديم
كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح
٢٧ : ٩ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب
ذكرها بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله
متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك لإبطالاً لدعواهم العريضة ورداً لكيدهم وتجاهلهم

على القرآن الشريف مع الجمل والتعصب كما بيناه ونبينه
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانين صاروا يترقبون محي
مخلص لهم ككورش وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !!
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة
الاسراء ومنه نعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين
فلا يقال إنه أخطأ وجعل التاريخ كما يدعي جملة المسيحيين اختيائاً عليه ورغبة منهم
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو
روحانياً متامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (ها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

ببحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبدل اولنبر بدل» واقول ما ذكره
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا تفصيل بالمناقشة
فيما يتعلق بالمعارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو
صريح في اختياره النسخ بمناه عند المتأخرين — اما هو في عرف السلف فهو
زيادة على ما ذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او قيد او

حل على مقيد وتفسيره وتبينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا — وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيان ؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند اختلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالأحاديث الصحيحة ام يعضها دون البعض ؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جواز

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الاورام والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه « هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ » فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او المستقبل مما يؤذي نسخه الى كذب او جهل — بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الاخبار وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لإفشاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة البعث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه لانهم لم يشترطوا في النسخ منافاة المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بمذوقه تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما ننسخ من آية وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن أبي حاتم وروى عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء اما ما ننسخ فما نترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي ما ننسخ من آية نسخها قبضها قل ابن ابي حاتم يعني قبضها رفعها مثل قوله « الشيخ والشيخه اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بئى لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما موثقه اختيار مذهب المتأخرين في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما نقل عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام تارة ولظهوره في باقي معانيه الاخرى ولم يكونوا ليحدوا الأشياء بالحدود والتعاريف التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والقبض الذي هو اعم منه عند المتأخرين فانه جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام في جميع انواع الموضوعات والقصص والاخبار للاذعان والاعتبار وردا على الماندين الكفار فاذا قامت الحجة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم الفلج وعليهم الغلبة فالقول لا يوجب إبقاء الحجة مسطورة مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس وإبقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال المكلفين كذلك التاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضاً — فاذا أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لمقتضى والمصلحة ثم رفعها على ما لها من الاجلال فائزة بالنص وقهر الاعداء غير منقوضة بريب أو تكذيب لاسيما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فيأرى أيّ جهل وعبث يلزم فسبحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلست آمن يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون واستدل على ذلك باستزاه الجمل أو البعث وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يعبر لرسوله صلى الله عليه وسلم عن شؤونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمائد

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبر وابدلوا ثم يكررها ثانياً ليمتص في قالب عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالخال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكما قال تعالى « نأت بغير منها »

ومما يوضح ذلك ويقر به ما هو واقع في المحكم بين دفتي المصحف من ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغيرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة وقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف أحوال المتلقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه ومنهم من يميل الى الاختصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذا حسن ذكر القصة الواحدة بعبارة وألفاظ متغيرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى واحرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالأعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإساء ما هو كذا قد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي محفوظاً لأفراد لا يصبح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فاذ ذلك الا ليتحقق صدق قوله تعالى «مانسخ من آية أو نساها» الآية وليعرف ان البديل خبر من المبدل فيشكروا الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسخ لفظه وانما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت بروايتهم آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تبعنا المصحف وجدنا ما هو أولى وأظهر مثل قوله تعالى « وتحبون المال جاًجاً » الآية — اما ما يذكر في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحجته قال صلى الله عليه وسلم — في حديث عبادة رضي الله عنه « دخلوا عني فاجعل الله لمن سبيلاً للتب بالثيب جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والنامدية

بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله
ولنعد الى ما كنا بصده فتقول: اذا لم يشترط في النسخ المناقاة والمناقضة بين الناسخ
والمنسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق
النسخ والإلغاء — الآية — ولم يخص بذلك حكمها واذا جاز الإلغاء فالنسخ كذلك
قال تعالى « سترئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا قص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ
ورفع لفظ وإبقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو
خير منه لأنه اذا وعد بإعطاء أحد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها وأكملها « ولسوف يعطيك
ربك قترضى » او يقال نأت بخير منها او مثلها أي المنسية والله اعلم بمراده

فان قيل مال الحكمة في رفع ألفاظ وابدالها بألفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد
يتنا ذلك فيما تقدم ولكن نحن معها جهدا فلا نستطيع ان نفل ذلك باصح واحكم
بما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلها » اي لما كان
المنسوخ قبل نسخه مناسبة للمصلحة ومطابقا للحكمة فاذا نسخنا لمقتضى فإما هو لتأتي
بخير منه اي أكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدلل به حضرة الدكتور وعلل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فإيلاهم البشر في
زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرته عن
المكلفين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه
ناقص منه وما درى المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاغر

وكم من عائب قولنا صحيحا وأكفه من فهم السقيم
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المنسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة
البشر بحيث يكون نسبته اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قدعانوا ما قرب ان يكون خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة الدكتور؟ قدما ذلك تعلم ان النسخ لمقتض او لحكمة لاعيب فيه عند العقل الخ لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة متمتع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكرم عليه وهو تبديل ذي انخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح ابواب المعارف والرفي الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ماعسى ان ينجم من خير يقدم او يلاء يهجم

فا ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب ويضارع مانصبه الشارع مسوغا للترخص في المحكم لانه ألزم عباده باسئال ماشرعه محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ومرخصات فاذا عرض مانع او مرخص قد رفع عن العباد الاتم وجاز لم فعل او ترك ماقتضاه الحال وبذلك قد ينقلب الواجب محرما والحرم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف باختلاف المكلف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما احتف به من البشر، وبما له من صغر وكبر، واقامة وسفر، وضعف وقوة، وامن وخوف، وقد يختلف بالمواسم تبعاً للضرورات، او توقها ولو ظنا في بعض الحالات، وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل «عند الضرورات تباح المحظورات» قال تعالى « فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق بذلك ماصح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكلف او المكلفين — بحيث لا يقي ملائما لطباثهم بان تكون نسبتهم اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون علة النسخ بوحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر للترخص في الشريعة المحكم

الثابتة الباقية فكيف يحمل مناظراً ومبياً للنسخ وقت التشريع لاسمها وقد نصر الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك

ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهالة النقاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف ان منشأ ما أصولوه واصطلحوا عليه مما أوجب لهم الخبرة «وعلى نفسها جنت براقش» وما ضيقوه مما وسعه الله عليهم «لأعينا»

وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين الى آخر الابدولوم انه دين عامة البشر وانه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا رحم الراحمين (للكلام بقية)

الجامعة المصرية

« هبة حسن بك زايد »

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من الصرة المالية. ثم اختير للجنة التأسيس الأمير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً نجده واجتهدهم اللجنة فقبِلَ المشروع من نومه حتى قرّر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تيسر الشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخص للجامعة خمسة آلاف جنيه كل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيها) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطيانه الجيدة على الجامعة

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفة في داره ببلده فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجاء وأصحاب الصحف العربية والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي تتضمن الثناء على حسن بك زايد ويان أن الجامعة صارت قادرة بعد هبته هذه على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا خطبي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفة . وقاسم بك بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في قدم الأمم بالعلم والحش على التبرع للجامعة . ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لما بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل . ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه الأيام ، ولعلها آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد وافته منيته بعدها بأيام معدودات ، وانا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات للجمعيات الخيرية والمكاتب والمستشفيات وغير ذلك ولا يمد يديه لمساعدتها وتحمل جزء من مزارها الا عدد قليل من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن أسميهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء الامة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه راجعا على الاكثر الى سكان الارياف قاتم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم ينجحون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حيازتهم لتعريض الاعمال النافعة
طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستسمحكم اذا قلت
ان هذه الصفات كانت تنفد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تديرها أكثر
اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان
أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم
أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير
في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمنهم وتعظيم وطنهم أكثر من
اهتمامهم بشراء الزهور وتشيد القبور وإضاءة الاضرحة — لو كانوا يحدون للاعمال
بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأماثلها في البلاد الاخرى
أغنى جنية في هذا القطر . ولكنها أقرها جيباً

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف
من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب
الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجنب الخديوي أدركها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة

آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة

الوطنية وتمتغي فيه بمدح الشعور الوطني على نفقة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم
وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا
ونطلب أن نحقق فيه أمانتنا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركنا هذه العناية
العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا نستطيع ان امنع نفسي من التصريح
بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو
انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة
العاملين فيها لتحقيقنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تملن عن نفسها
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وطاربوا الأمم وفتحوا
البلاد ولم نسع انهم كانوا يتفخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقدي بهم ونهجر
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا أن ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر الى انفسنا ونعرف
قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالتنا
يجب علينا ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة او بتغير
بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان تكوين ونمو الجمعيات
الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة
وطرق التربية فتغير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل وقال في هذا الموضوع هو خير مبارك متبحر وما عداه
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم اسباب انحطاط الأمم وارتقائها طرق التعليم والتربية
وإذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد
موظفين او اصحاب فن يتصرفون به للقيام بمحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد
عن الناية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم
التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال
وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم
العام بجميع فروعه ودرجاته وإذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد ان القسم
الاكظم من التعليم في يد جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة
فيها محصور في تضيقها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حل الحكومة المصرية على استنهاض همه الاعالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يذلو ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافيا بجميع حاجات الامة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فتمه يكون مبدوها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أثنى فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على العلم بجميع ما يتعلق به . وفليسوا اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو متازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين الى حين لتكامل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها
فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المتزلية التي غفلت عن تربية
إحساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحتنا ماديين لأنهم إلا بالتأنيج في جميع
أمرنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كهلالات
الأقارب والأصحاب . وليس من المستظر أن تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت
أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي الثام انه وهم باطل .
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك
أنه مقود في بلادنا . حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب
التعلم كان ولا يزال ينبو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تصرف فيه لتستمتع
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليقى أثرها
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للتقدم العقلي والرقى الأدبي
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمة أجل خدمة . فشكراً للسابقين
وشكراً للأحقين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف
الحسين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجلين
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اهـ

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمِينِ

مصاب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيخلفهم مثلهم فتمسي الأمة وتصبح وكأنها لم تقدر أحداً . ولكن في الناس أفراداً امتازوا بالزاياء النادرة في قومهم فأولئك اذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصرة من أمهم بأنهم قدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من قدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بمحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس لإنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتالته المنية فجأة (في ٢١ من هذا الشهر) فلم تدره بمرض ولا سقم بل لم تنذر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطب عدته ، ويأخذوا للمصاب أهنته ، بتوطين النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد أو التجلد ، امتاز قاسم بك أمين بمعظم الزاياء التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

امتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجهته في السنين الأخيرة الى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتهذيبهن فلم يكنف بكتايه فيه بل جعله همه الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتمدينهن وتفي مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يمد رجالها على الأنامل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم ففكر

أكثرهم على أثره : مات الأستاذ الإمام ففلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المعية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثنيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تقامم بالرزية به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعم وقطع الرجال ، فلأمة ان تمثل اليوم بقول ابن التيه :

والموت قتاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

قد كنا نقول ان هذا الليث من الشرقيات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة الأزهر وإبراهيم بك الثاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لحلوله المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشأم قدومه على هذه البلاد فقد ذكرني بما تتابع بعده من قد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة قتل بعده عثمان وعلي (رضي الله عنهم أجمعين)

كل للأستاذ الإمام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه (أي من نفسه) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لجي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخييلات الشعرية ، فلذلك كان مكتوباً به من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله بغيرها ، وتحصيلها ، وما ذلك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيالاً متوهماً ، كان قاسم من المهتمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرضه أحياناً عن عالم المادة وما فيه التصب واللغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهن عليه

ما أصابه من ذلك وقيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي أن لو طال عمره ، وقل عليه ، واستراح باله ، لانتهى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وقيض من قلبه ، قروي أرض مصر بالحكم الجلييلة ، في غلاثل من الشريرات الجلييلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على أن مافي هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قديسرا انتزاعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعد عند المنطقي من الخياليات ، وهو يراها من الحداثيات أو الوجدانيات ،

كان قعيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولين ولكن خدمته لما كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو أن يؤسس ولو بماله — أن وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يحب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كنزا مخنيا لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتابا باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كهارة كتاب فرنسا البلاء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحماسة وقد بين فيه ما للحجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبا من التبذل والتهتك وتجارة الاعراض واخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلا عن حال النساء بمصر فاله ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد أن شفى غيظه وارضى غيظه بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلًا في نفسه انه لا ينفعا اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا ونسعى في ازالته . وطلق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

واتمى به البحث والتقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تقريره وقده زمناً طويلاً وبث همه غير واحد من حملة العلم والطرايش جميعاً الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صيت قاسم بك أمين في الأفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعبد من المصلحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتقنيده آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحيراً وتأثيراً على انه فوقه صراحة في المقصد وحرية في القول الخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في السنين الأخيرة من عمره الاشتغال بتأسيس « الجامعة المصرية » فلم يدخر وسعاً ، ولم يأل جهداً ، وكان مناط الأمل ، في إنجاح هذا العمل ، وأي مصاب ترزأ به البلاد أشد من قد رجالها عند ما يتم استعدادهم ، ويكمل رشادهم ، وتعرف الناس قيمتهم ، ويشرعون في الاعمال الكبيرة ، التي يرجى نهوضهم بها ، وينتظر نجاحهم فيها ؟ فهذا ما ضاع الحزن على فقيد مصر اليوم . حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاها بأصدقائه من رجال الاستقلال ، وما يرقى الامة من الأعمال ، وضاعه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم ، وأنشأت النابذة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الاهل ويندبه النساء ولكن قاسماً أبكى عظاما الرجال ، وأقدرهم على التجملد والاحتمال ، وندبه مثل سعد باشا زغلول وقضي باشا زغلول وإنما اراد ان يؤنبه فكان تأنيدهما ندبا وتعدادا ، وبكاء ونشيجا ، أبكى معها جميع من بلغ القبر من المشيعين ، وذلك ما لم يعد لسواه من الميتين وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الامام من أنه لا يوجد في الامة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه ،

مصافحة السوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والهندي والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعثماني من تركي وكردني وعربي ومن العرب الحضرمي والنبيني والحجازي والعراقي والسوري . ولم نر صفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري فهو جار له في بلاده وموافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله ولكننا على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأكله ومشربه وطوره وجده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر . ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلقاء ما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك

قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم ضعفت أو تلاشت وخلفتها المنافسة في الصحافة أو السياسة . كانت بين المقطم والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقيقة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من قارعهم فيه صاحب جريدة الاهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تطبيق الحكم بالمشق وهو كما قال علماء الاصول يؤذن بطلية ما منه الاشتقاق . أعني ان رد اللواء على أصحاب المقطم من حيث هم منسوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يرميهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين - فلو كان الامر كما يدعي - وهو ليس كذلك - لكان كل سوري خائناً لمصر اولاً وكان مجموع السوريين كذلك - وهذا باطل لانه مبني على اصل باطل ولكنه سرى في اوهام كثير من الناس لا سيما الاغرار - وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا اناس فقالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
ونحمد الله ان كلا من المقطم والواء اللذين يضيها حافظ قد رجع - مع اصراره على أنه كان حسن النية - عن الخطوة التي كانت تعدونها وكادت تجعل المنافسة بين جريدين سبباً للتعادي بين شعبي كل منهما صنولاً آخر وشريك له في كل مقومات الحياة حتى أوشك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيراً ما يكون اضر من سوء القصد قد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من خيار السوريين علماً وأدباً وجمع طائفة من الثقود منهم ومن غيرهم من السوريين بالاكساب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علماً وأدباً الى الاحتفال باسم السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشير

ولما كان الغرض من هذه الحفلة موادة السوريين للمصريين كانت الخطب والقصائد التي اشرنا اليها في الجزء الماضي بمثابة لذلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه الذي يستحقه فأثنت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين اللذين هما بمنزلة الاخوين

(تصحيح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ د، وعن « محله قبل كلمة « غنمة »
ينها وين الواو قصير د » وعن غنمة « قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص ١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه فضيلاً وما كان قليل النور ان على ألسنتهم » . وفي هذا الجزء أغلاط مطبعية أخرى مدرجة ككلمة « محله » في ص ١٧ ص ٩٣ وصوابه « محله » ومنها كلمة « اذا » في ص ٣ ص ١٠١ وصوابها « إذ »

الفصل الرابع (*)

(مقام النساء في قوم خديجة)

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاماً مميّناً بل كان لها لديهم مقام كريم وجلّ ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفنونهن أي يدفنونهن في التراب ومنّ على الحياة (٥٨: ١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيُنسِئُهُ عَلَىٰ هُوٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره وإطلاقه يستخف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره وإطلاقه ليس من شأن الذين يجوبون معرفة الحقائق

إن كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار، وفيها الحمقى وأولو الألباب، وفيها القساة وأهل الرحمة. فليس من العقل ولا العدل أن يجعل عمل بعض الحمقى أو القساة أو الفقراء في بلد مثلاً ومراًة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة قراء وحمقى وقساة كما هو الحال في سائر البلاد وكان

أَسْ قَلِيلُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ يَأْتُونَ هَذَا الْمَلْعُ الْفَطِيمَ لِنَفِي الْوَادِ
(دَفْنِ الْبَنَاتِ فِي الْحَيَاةِ فِي سِنِ الطَّقُولِيَّةِ) فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ بِدُونِ
تَقْيِيدِ إِنْ الْقَوْمُ الَّذِينَ نَشَأَتْ مِنْهُنَّ سَيِّدَتُنَا هَذِهِ كَلَّوْا يَثْدُونَ الْبَنَاتِ . إِنْ
قَوْمًا نَبَتْ فِيهِمْ مِثْلُ هَذِهِ السَّيِّدَةِ لَا يَمُوتُ إِنْ يَكُونُوا قَتَلُوا بَنَاتٍ كَلَّا
أَتَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقْتُلُونَ الْأَجْسَادَ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَقْتُلُونَ مِنْهُنَّ الْقَوْلَ
وَالْأَرَادَاتِ ، وَأَمَّا الَّذِي نَقَلَ عَنْهُمْ فَهُوَ عَمَلٌ قَرِيكَادُونَ لَا يَذْكُرُونَ
مِنْ قَرَانِهِمْ أَوْ حَقَائِمِ أَوْ قَسَلِهِمْ

وَلَمْ يَكُنْ الَّذِينَ يَثْدُونَ بَنَاتِهِمْ يَأْتُونَ هَذَا الْمَلْعُ الْفَطِيمَ تَغْيِظًا مِنْ
هَذِهِ النَّسَمَاتِ الْبَرِيَّةِ أَوْ احْتِقَارًا لِنَفْسِ الْمَرْأَةِ كَمَا يُلَوِّحُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ بَلْ
كَانَ يُسَوِّقُهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَسَادٌ فِي الْخَيَالِ وَضَمٌّ عَظِيمٌ فِي الطَّبِيعَةِ . وَإِنْ
الْخَيَالُ الْفَاسِدُ لِيَزِينِ الْمُنْكَرَ حَتَّى يَظُنَّهُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ كَمَا يَشَاهِدُ
كُلَّ وَاحِدٍ مَنَّا كَثِيرًا

كَانَ مِنْهُمْ قَرَاءٌ يَزِينُ لَهُمْ خَيَالَهُمُ الْفَاسِدَ إِنْ قَتَلَهُمْ إِذَا ظَلَّتْ فِي
مَيْدَانِ الْحَيَاةِ رُبَّمَا نَالَهَا ضَيْمٌ مِنْ قَرْمٍ وَرُبَّمَا عَجَزُوا عَنْ أَنْ يَكْرُمُنَّ بِنَفَقَةٍ
تُسَاوِيَنَّ بِأَنْزَارِهِمْ ، مِنْ ذَوِي قَرِيَّاهُنَّ أَوْ جَوَارِهِنَّ ، فَيُرُونَ مَوَارِثَهُنَّ فِي
الْتَرَابِ ، خَيْرًا لهنَّ مِنْ بَقَائِهِنَّ دُونَ الْأَرَابِ ،

لَا نَكُرُّ أَنْ لَلْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْخَيَالَ بَاطِلٌ وَلَا سِيَّامًا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ
هَذَا الْخَيَالُ الْبَاطِلُ لَمْ يُوحَ إِلَى صَاحِبِهِ أَنَّ الْقَتْلَ شَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ يَجِبُ اجْتِنَافُهَا
قَبْلَ النَّمُوِّ وَيُسْتَحْسَنُ حَرَمَانُ الْوُجُودِ مِنْ ثَمَرَاتِهَا وَإِنَّمَا زَيْنُ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ
هَذَا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى هِيَ كَرَامَةُ قَتْلِهِ

يتخيل ذلك المسكين ان فاته ان عاشت تميش مثله في غصص تذيب
 الفؤاد ولوقد من الجلود ، و كرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشعور
 السود ، فيزين له خياله ان يحمي كريمته فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي
 بلاها فحلاها وان يتقي بألم ساعة عند توديعها وتسليمها الى الابد آلام
 سنين يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصيب كما يتقي أحدهم بألم الكي
 آلام سقم مزمن

وكان منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن الفتاة ربما
 وقعت في يدمن لا يرعى له ولها حرمة. ولو قضى على كل البشر بمثل هذه
 الوسواس لآذنت الدنيا بالاقتضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسواس سلطانا
 على قلوب البشر الا قليلا ممن بلغنا شيء عنهم من هذا القليل

ساء ما يزين لهؤلاء الفقراء والحقى الذين كبر نصيبهم من التسوية مع
 نصيبهم من الفقر والحقى فلو علم المعدم ان اليسار ليس محتكراً في يوت معينة
 واشخاص مختصة وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة ، وان
 قيمة كل امرئ ما يحسنه ، وان ليس عليه الا ان يعمل بالمعروف عند
 قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه ، لما سهل عليه ان يقصف
 يديه غصناً منه أنبتته الله ولا لذة أكبر من تربيته وتميته

ولو علم الاحق ان القرار من توم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان
 ويشير أقصى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من
 ضعف النفس

وهيات ان يكون قوم « خديجة » على هذا النمط من ضعف النفوس

ومع المروفون بالشجاعة والاقدام . وأي قوم تطيب لهم الحياة اذا كانوا لا يرون سلامة حرمهم الا بافتائها ؟ وأنى يجد الشخص الطمأنينة اذا كان دأبه الحرب ، من غير ما طلب ؟

أما انهم كانوا يكرهون البنات اذا بشر أحدهم بها فلا يستطيع أحد انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى هذا الى قوسهم من شدة احتياجهم الى البنين الذين سيكونون المدافعين في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه ان البنات تظل طول دهرها مكرهة وان النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم . ما ذنب القوم اذا كان نفر من فقرائهم وحققهم قد ضعفت قوسهم فاستسلموا الى الاستراحة مما يلذ للكرام التمس فيه ؟ وما إجرامهم الى الانسانية من بعد ان يقوم أمجادهم باقتداء كثير من القتيات اللاتي تصدى أبائهن لوأدهن من الفقر ؟

ان العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يمزّون المرأة ولا يهينونها وقد أعطوا النساء كل ما هنّ من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا ان المرأة كالرجل هي انسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الانسان المؤنث نفساً كنفس ذلك الانسان المذكر تغضب وترضى وتتم وتشتق فأعطوا دماغها ونفسها حقهما

وقد رووا لنا ان هنداً بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا « خديجة » جاءها أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا الزواج بها فقالت صفها لي فقال « اما أحدهما في ثروة وسعة من العيش ان تابشيه تابك ، وان ملت عنه حطّ اليك ، تحمكين عليه في أهله وماله ، واما الآخر فوسم عليه ،

منظور اليه، في الحسب الحبيب، والرأي الارب، مدبره أرومته، وهن
عشيرته، شديد النيرة، لا ينام على ضمة، ولا يرفع عصاه عن أهله «^(٥)
قالت يا أبت الاول سيد مضياك للحره فاعست ان تلين بصد ابائنا،
وتضع تحت جناحه اذا تابها بلها فأثيرت، وخافها أهلها فأمنت، فساء
عند ذلك حالها، وتبع عند ذلك دلالها، فان جاءت بولد أحمت، وان
أنجبت فمن خطأ ما أنجبت، فطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد.
وأما الآخر فبعل الفتاة الخريده، الحره العفيه، واتي لاخلق مثل هذا
لموافقه، فزوجنيه، فزوجها الثاني وكان هو أبا سفيان بن حرب فولدت
منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشيرة وأحد نجباء العرب ودواهيهم
فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا «خديجة» لا يفتات أهلها
عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحجب والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمو
العمومية. وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من اربعين سنة
بين بني ذبيان وبني عيس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأه ولم تمكن
من اطفائها الا بلها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهسه بفت أوس
ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المرّي
وأراد ان يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يقتل بمضايضا نني بني
عيس وبني ذبيان قال لها ماذا تقولين قالت «اخرج الى هؤلاء القوم
فاصلح بينهم ثم ارجع الي» فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن
ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيا بالصلح ودفا الديات من أموالهم

وحسبك من اشتهر من العرييات في السياسية ممنين^١ اللاتي كن من شيعة
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشر الهمدانية،
وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان
بنت جشم بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رواحة، ودارمية
الحجوية ، وام الخير بنت الحريش بنت سرافة البارق . وأروى بنت
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة على معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشر؟ قالت بخير
يا امير المؤمنين . قال لها انت القائلة لآخيك :

شر كفعل أهلك يا ابن عمار يوم الطمان وملتي الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد^(*) علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بابيض صلم وستان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر القنب، فذع عنك تذكار
ما قد نسي » فقال « هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن
كما قالت الخنساء :

وان صغراً لتأتم الهداة به كانه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا امير المؤمنين اغفاني مما استغفيت » قال : قد فطمت
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأمرورم

مقلد، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا نزال تقدم علينا من
 يهض بمرزك، ويسيطر بساطناك، فيحصدنا حصاد السنبيل، ويدوسنا
 دياش البقر، ويسومنا النسيئة، ويسألنا الجليّة، هذا ابن اوطاة قدم
 بلادني، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز وممنة،
 فاما عزلة فشكرناك، واما لا فرفناك، فقال معاوية «أياي تهدين
 بقومك والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك»
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
 قد حالف الحق لا يبني به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال
 ما أرى عليك منه أرى قالت : بلى أتيت يوم ما في رجل ولا مصداقنا فكان
 بيننا وبينه ما بين النث والسمين فوجده قائما فاقتل من الصلاة ثم قال
 برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء
 فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك » ثم أخرج
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم
 قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، بَقِيَ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ
 بما في يديك حتي يأتي من يقبضه منك والسلام قال معاوية اكتبوا لها
 بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام تعوي عامة » فقال « ما

انت وغيرك» قالت «هي والله القحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً
والآ يسني ما يسع قومي» قال اكتبوا لها بحاجتها .

ووفدت بكارة الهلالية ايضا على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه
وكان يحضره عمرو بن العاصي ومروان وسعيد بن العاصي فجلسوا يذكرونه
بأقوالها التي قالتها في مشايمة علي ومعاودة معاوية فقالت «أنا والله قاتلة
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر» فضحك وقال ليس بمننا ذلك من برك
وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن
قيس الحمدانية مع ثمة من ذوي عارمها وعدة من فرسان قومها وان
يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال «مرحبا قدمت خير مقدم
قدمه وافد كيف حالك؟» قالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها «أأنت
الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفيين تحضين على القتال وتوقدين
الحرب فما حالك على ذلك؟» قالت يا أمير المؤمنين «مات الرأس وبثر الذنب،
ولا يمود ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تهرأ أبصر، والامر يحدت
بعده الامر» قال لها التحفظين كلامك يومئذ؟ قالت «لا والله لا احفظه» قال
لكني احفظه وثلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها
والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه» قالت «احسن الله شارتك
وأدام سلامتك، فثلك يبشر بخير ويسر جليسه» قال «أو يسرك ذلك؟»
قالت «نعم والله» فقال «والله لو فاؤكم له بعد موته، أعجب من حيكم له في
حياته، اذكرني حاجتك» فقالت يا امير المؤمنين آليت على نفسي ان لا
أسأل أميرا أعنت عليه أبدا . ومثلك من أعطى من خير مسألة . وجاد عن
غير طلبية ، قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بمجوائز .

ووفدت عليه ايضا ام سنان بنت جشمه وعكرشة بنت الاطرش،
ولما حج سأل عن دارمية المجرونية فجيء بها اليه فقل لها « بمث اليك
لا سألك علام أحييت عليا وابفضتي ، وواليتي وعاديتي ؟ » فاستعنت فلم
يفعل فقالت له « احببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ،
وأبفضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،
وواليت عليا على حبه المساكين ، وإعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟
قالت « أي والله » قال فكيف رأيته ؟ قالت « رأيته والله لم يفته الملك الذي فتتك
ولم تشغله النعمة التي شئتلك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صبدأ الطست » قال صدقت فهل لك
من حاجة قالت « نعم تعطيني مئة أقة حمراء » قال ماذا تصنعين بها قالت
« أغذو باللبان الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكنسب بها المسكرم ، وأصلح
بها بين المشائر » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي
طالب ؟ قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي حيا ما
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت
عليه أروى بنت الحارث وجرى لها معه حديث من مثل ما تقدم
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا
كان حظهن من النصيحة والحصافة ، ومبطلهن من المشاركة في الأمور
العمومية والاخذ بالاسباب ، والمشاغبة لبعض الأحزاب ، وما أتينا الا
بالسير توطئة لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

بوتى الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة فقد أوتي
نينا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فينبهوا سمع
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر السبت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٦ — ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ ﴾

فَتَشَاءُ فِي الْمُبْتَدَأِ

فدعنا عند الباب لاجابة أسئلة المشتريين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه وتلقبه ويذكر موطنه (وطيفه) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ونعاقدها من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً ما أحيانا غير مشترك لئلا هذا ، ولين يهدي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة قال لم تذكره كلنا ناعذر صريح لا نقاله

ترجمة القرآن

(س) من الشيخ حسن شاه افندي احمد (بروسيا)

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا

نرجو ان تمبروا جانب الاثبات لهذه المسألة المهمة :

ذكر الفاضل أحمد مدحت افندي من علماء الترك العثمانيين في كتابه « بشارت صدق نبوت » ما ترجمته :

ان ترجمة القرآن مسألة مهمة عند المسلمين وجميع المباحث التي دارت بشأن ترجمة هذا الكتاب المجيد لم ترس على نتيجة وذلك لوجوه (الاول) ان ترجمته بالغام غير ممكنة لا يعجزه من جهة البلاغة (والوجه الثاني) ان فيه كثيراً من الكلمات لا يوجد لها مقابل في اللغة التي يترجم اليها فيضطر المترجم الى الاتيان بما يدل عليها مع شيء من التفسير ثم اذا قلت هذه الترجمة الى لغة أخرى يحدث فيها شيء من التفسير أيضاً وهم جراً فيخشى من هذا ان يفتح طريق لتحريف القرآن وتغييره (الوجه الثالث) أن كلمات الكتب السماوية يستخرج منها بعض إشارات وأحكام بطريق الحساب فإدخالها بالترجمة يسد هذا الطريق. مثال ذلك أن سعدي جلبي كتب في حاشيته على البيضاوي عند تفسير سورة الفاتحة انه اذا اخرجت الحروف المكررة من سورة الفاتحة التي هي اول القرآن وسورة الناس التي هي آخر سورة تكون الحروف الباقية ثلاثة وعشرين. قال وفي ذلك إشارة الى مدة سني النبوة

المحمدية » فاذا ترجم القرآن لا يبقى في الترجمة مثل هذه الفوائد التي هي من جملة معجزاته انتهى « من بشر صدق نبوت »

أما أدبنا ممشر الترك الروسين فانهم مصرون على ترجمته ويقولون لامنى للقول بانه لايجوز ترجمة القرآن الا ايجاب بقائه غير مفهوم فلذا يذهبون الى وجوب ترجمته وهو الآن يترجم في مدينة قزاق وتطبع ترجمته تدريجا وكذلك تشبث بترجمته الى اللسان التركي زين العابدين حاجي الباكوي أحد فدائية القفقاز فرجو من حضرة الاستاذ التدبر في هذه المسألة حرره الامام الخير أحسن شاه أحد الكتّاب الديني الساري

(ج) ان من قصير المسلمين في نشر دينهم ان لا يبينوا معاني القرآن لاهل كل لغة بلقتهم ولو بترجمة بعضه لم لاجل دعوة من ليس من اهله اليوارشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة . وان من زلزال المسلمين في دينهم أن يتفروا الى امم تكون رابطة كل امة منها جنسية نسبية او لغوية او قانونية ويهجروا القرآن المنزل من الله تعالى على خاتم رسله المعجز بأسلوبه وبلاغته وهدايته المتعبد بتلاوته اكنهه بأفراد من كل جنس يترجمونه لم بلقتهم بحسب مايفهم المترجم هذا الزلزال أثر من آثار جهاد أوروبا السياسي والمدني للمسلمين . زين لنا ان تتفوق ونقسم الى اجناس ظانا كل جنس منا ان في ذلك حياته وما ذلك الا موت للجميع . ولا نطيل في هذه المسألة هنا ولسكتنا نذكر شيئا مما يخطر في البال اسدهجرا المسلمين للقرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استثناء عنه بترجمة أعجبية يفتنهم عنها تفسيره بلقتهم مع المحافظة على نصه المتواتر المحفوظ من التحريف والتبديل مع مراعاة الاختصار فنقول

(١) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متفردة كما يعلم من المسائل الآتية والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يتسد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة بالمعنى الذي تنكره (٢) إن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنة ليست

دينا الا من حيث انها مدينة له . فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم مافهم مترجم القرآن لهم لانفس القرآن المنزل من الله دلى رسوله محمد (ص) . والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص والترجمة ليست نصا من الشارع ، والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا . فعلى هذا لايسلم لمن يجادلون ترجمة القرآن قرآناً شئ من اصول الإسلام

(٣) ان القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لترجمه فهو إذاً خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها

(٤) ويلزم من هذا حرمان المختصرين على هذه الترجمة مما وصف الله به المؤمنين في قوله (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وامثالها من الآيات التي تجعل من مزايا المسلم استعمال عقله وفهمه فيما انزل الله (٥) وكما يلزم حرمتهم من هذه الصفات العالية يلزم منع الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم

(٦) ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالكسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه لأنه بذل جهده في الاهتداء بما أنزله الله هداية له . كما يعلم ذلك من معاملة النبي (ص) لاصحابه فيما فهموه من كيفية التيم اذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ومثله معاملته لم فيما فهموه من نهيه عن صلاة العصر الا في قريظة ولذلك شواهد أخرى . ولا إخلال مسلماً يجعل لعبارة مترجم القرآن هذه المزية

(٧) ان القرآن ينبوع للهداية والمعارف الإلهية لا تنحصر جودته ، ولا فتناً تتجدد هدايته ، وتفيض القارئ على حسب استعداده وحكمته ، وبما ظهر للتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقاً لموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تعيد القارئ بالمعنى الذي صوره المترجم بحسب فهمه . مثال ذلك ان المترجم قد يجعل قوله تعالى (١٥ : ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح) من المجاز بالاستعارة أي ان اتصال الريح بالسحاب وحدث المطر عقب ذلك يشبه تلقيح الذكر للأنثى وحدث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين . فاذا هو

جرى على ذلك بان فرضنا أنه لا يوجد في اللغة التي يترجم بها لفظ يقوم مقام «لواقع» العربي في احتمال حقيقته ومجازه اذا اطلق فان القارئين يتقيدون بهذا الفهم ويمتنع عليهم ان يفهموا من العبارة ما هي حقيقة فيه وهو كون الرياح لواقع بالفعل اذ هي محمل مادة القلاح من ذكر الشجر الى انائه . فان لم ينطبق هذا المثال على القاعدة لتيسر ترجمة الآية ترجمة حرفية فان هناك أمثلة أخرى وحسبنا أن يكون هذا موضحاً . والترجمة وقف بنا عند حد من الفهم يعوزنا معه الترتي المطلوب (٨) ذكر الغزالي في كتاب «إلجام العوام عن علم الكلام» ان ترجمة آيات الصفات الإلهية غير جائزة واستدل على ذلك بما هو واضح جداً وقد ذكرنا عبارته في تفسير (٣ : ٦) هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وبين ان الخطأ في ذلك مدرجة لكفر (١)

(٩) ذكر الغزالي في الاستدلال على ما تقدم ان من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها — أي ومثل الفارسية التركية وغيرها — فما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ وهو ان شرحها بحسب فهمه ربما يوقع قارئ ترجمته في اعتقاد مالم يردده القرآن

(١٠) وذكر في ذلك أيضاً ان من الألفاظ العربية ما لها فارسية تطابقها «لكن ما جرت عادة الفرس باستعانتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعانتها منها» فإذا أطلق المترجم اللفظ الفارسي يكون هنامو ديا المعنى الحقيقي للفظ العربي وربما كان مراد الله هو المعنى المجازي ومثل الفرس غيرهم من الأعاجم . وهذا المقام من مولات الأقدام اذا كان الكلام عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله

(١١) وذكر أيضاً في هذا المقام ان من هذه الألفاظ ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك . فقد يختار المترجم غير المراد لله من معني المشترك ولا يخفى ما فيه وقد مرّ نظيره آنفاً

(١٢) من المقرر عند العلماء انه اذا ظهر دليل قطعي على امتناع ظاهر آية من آيات القرآن فانه يجب تأويلها حتى تتفق مع ذلك الدليل . والفرق بين تأويل

ألفاظ القرآن وتأويل ألفاظ ترجمته لا يخفى على عاقل لا سيما في الآيات المتشابهات والألفاظ المشتركة

(١٣) ان نظم القرآن وأسلوبه تأثيراً خاصاً في نفس السامع لا يمكن أن ينقل بالترجمة وإذا فاتت نفوت بفته خير كثير فباطلاً كان جاذباً إلى الإسلام حتى قال أحد فلاسفة أوربا (وهو فرنسي نسبت اسمه) ان محمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة تجذب السامع إلى الإيمان به فكان تأثيره اشد من تأثير ما ينقل عن غيره من الانبياء من المعجزات . وحضر الدكتور فارس افندي نمرمة الاحتفال السنوي للمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة فافتتح الاحتفال بتليذ قراءة آيات من القرآن فقال لي الدكتور فارس افندي ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس ثم لما كتب خبر الاحتفال في جريدته (المقطم) كتب ذلك . فاذا كان لتلاوة القرآن هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به فكيف نحرّم منها المسلمين بترجمة القرآن لم (١٤) اذا ترجم القرآن التركي والفارسي والهندي والصيني الخ فلا بد ان يكون بين هذه التراجم من الخلاف مثل ما بين تراجم كتب العهد العتيق والعهد الجديد عند النصارى وقد رأينا ما استخرجه لم صاحب إظهار الحق من الخلافات التي كنا قرأها ومحمد الله تعالى ان حفظ كتابنا من مثلها فكيف نختارها بعد ذلك لأنفسنا (١٥) ان القرآن هو الآية الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآية الباقية من آيات النبيين وانما يظهر كونه آية باقية محفوظة من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذي قلناه عن جاء به من عند الله والترجمة ليست كذلك هذا مآثرأى لنا من الوجوه المانعة من ترجمته للمسلمين ليكون لم قرآن أصحبي بدل القرآن العربي وإذا كان بعض هذه الوجوه مما يمكن ادخاله في البعض وانما ذكر هكذا لزيادة الايضاح فان هناك وجوها أخرى يمكن استنباطها لمن تأمل وفكر في وقت صفاء الذهن وصحة البدن بل منها ما تركناه مع تذكره كاستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازته كما حققه بعض أهل الاصول كالشافعية اما دعوى القائلين بوجوب ترجمته أن عدم جواز الترجمة يستلزم ايجاب بقائه غير مفهوم فهي ممنوعة فاننا قول ان فهمه سهل ولكن ليس لأحد أن يجعل فهمه

(المآرج ٤١١٤) انتشار العربية مع الاسلام ثم عود الاعاجم الى الجنسية ٢٧٣

حجة على غيره فكيف يجعله ديناً لشعب يرمته . وإن لاهتداء المسلم الأعجمي بالقرآن درجتين — درجة دنيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لأجل قراءتها في الصلاة ويترجم لهم تفسيرها ، وقرأ إمامهم في مجالس الوعظ بعض الآيات ويدكر لهم تفسيرها بلغتهم كما جرى عليه كثير من الاعاجم حتى يبلاد الصين — ودرجة عليا للمستغنين بالعلم وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغته ويستقلوا بفهمه مستعينين بكلام المفسرين غير مقلدين لأحد منهم

ان الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام على أيدي الصحابة الكرام قد فهموا ان للاسلام لغة خاصة به لا بد ان تكون عامة بين أهله ليفهموا كتابه الذي يدنون به ويمتدون بهديه ويمجدون الله بتلاوته ولتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله فيه (٩٢:٢١) ان هذه امتكم امة واحدة) ويكونوا جديرين بأن يتصموا به وهو جل الله فلا يتفرقوا ولتكمل فيهم اخوة الاسلام التي حتمها عليهم بقوله (٩٠:٤٩) انما المؤمنون اخوة) ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد التي فتحها الصحابة بسرعة غريبة مع عدم وجود مدارس ولا كتب ولا اساتذة لتعليم واستمرت الحال على ذلك في زمن الامويين في الشرق والغرب وفي أول مدة العباسيين حتى صارت العربية لغة الملايين من الاوربيين والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم في ممالك تمتد من القاموس المحيط الغربي (الانلاتيك) الى بلاد الهند فهل كان هذا الاخير اعظما تأخت في شعوب كثيرة وتعاونت على مدينة كانت زينة للأرض وضياء ونورا لاهلها ؟

ثم هذا المأمون في الشرق هفوة سياسية حركت العصية الجنسية في الفرس فأنشأوا يتراجعون الى لغتهم ويوردون الى جنسيتهم ، وجاء الاتراك فقلوا بالعصية الجنسية ما فعلوا ، فسقط مقام الخلافة وتمزق شمل الاسلام بقوة ملوك الطوائف . ولكن لم تصل الفتنة بالناس الى ايجاد قرآن أعجمي للأعاجم وإبقاء القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب بل بقي الدين والعلم عريين وراء إمامها الذي هو القرآن فالواجب على دعاة الإصلاح في الاسلام الآن ان يجتهدوا في إعادة (المآرج ٤) (٣٥) (المجلد الحادي عشر)

الوحدة الاسلامية الى ما كانت عليه في الصدر الاول خير قرون الاسلام وان يستعينوا على ذلك بالطرق الصناعية في التعليم فيجعلوا تعلم العربية إجباريا في جميع مدارس المسلمين ويحيوا العلم بالإسلام بطريقة استقلالية لا يتقيدون فيها بأراء المؤلفين في القرون الماضية المخالفة لطبيعة هذا العصر في احوالها المدنية والسياسية. ولكتنا نرى بعض المثونين منا بسياسة أوربا ما نونونها على تقطيع بقية ما ترك الزمان من الروابط الاسلامية بتقوية العصبية الجنسية حتى صار بعضهم يحاول اغناء بعض شعوبهم عن القرآن المنزل : ألا إنها فتنة في الأرض وفساد كبير روى الله المسلمين شره . فهذا ما أقوله الآن في ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع قائه إماما لهم ودون ترجمته لدعوة غيرهم به الى الاسلام مع بيان ان المترجم بين المعنى الذي يفهمه هو

سد يأجوج ومأجوج

(س ٢) من أمين افندي الشباصي بهندسة عبره (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد صاحب مجلة المنار الغراء

كتنا في منزل يتلى فيه القرآن الكريم فلما جاء ذكر ذي القرنين ويأجوج ومأجوج والسد قال احد اخواني ان هذه القصة لم يظهر لها أثر تاريخي الآن مع انه صار اكتشاف ما على الارض من قبل ذلك العهد وبهذه . قلت له يا اخي لعل هذا الاثر التاريخي يظهر فيما بعد ليكون معجزة للقرآن على ممر الايام كما حصل في قصة فرعون فانه وعد بأن ينجيه ليكون لمن بعده آية وقد تحقق ذلك في هذه الايام . فقال يا اخي ان كلامك هذا هو جواب عليك إذ ان فرعون وخلافه آثار صغيرة جداً مدفونة تحت الارض وظهرت والسد ليس كذلك وهذا وجه استغرابي لأن سياق الآية يدلنا على انه بين جيلين كبيرين ومن حديد ونحاس ومن دونه امة كبيرة لو فتح لها ذلك السد لدوخت العالم بأسره ؟ فأين هي تلك الأمة وذلك السد ورسم الكرة الأرضية أمام نظري أقرب فيه فلا اجد تلك الأمة ولا ذلك السد . قلت يا أخوتي اني اعلم ان هذه الامة هي أمة التار والسد هو سد الصين المشهور وقد خرجت واخترقت آسيا والهند ومصر واوروبا واخذت الملك من المسلمين وأتذكر

لني رأيت حديثاً في بعض الكتب لا اعرف صحته جاء فيه ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ففرغ فلما سأله عن السبب قال ويل لأمي من السبل التهمل يشير الى قرب خروج يأجوج ومأجوج فلما خرجوا واخذوا الملك من المسلمين في عهد ملك التتر فسر علماء ذلك الوقت هذا الحديث بذلك. وبمدجال كبير حصل يتنا وعده بأن أفيد عن يد فضيلكم بالجواب القطعي فرجائي أن تقيدوا الجواب على صفحات المنار الاغرضي قنع المشاغب كاهل المشهور في فضيلكم من إيضاح الحقائق ولفضيلكم الشكر افندم

(ج.) سألتنا هذا السؤال غير واحد من مصر وروسيا وغيرها من الاقطار وقول قبل كل شيء ان دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلة فان بقعة كل من القطبين اسما القطب الجنوبي لا تزال مجهولة. وقد استدل بعض العلماء على ان السد بني في جهة أحد القطبين بذكر بلوغ ذي القرنين الى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطالماً وليس ذلك الا جهة الشمال او جهة الجنوب. ولا يمتنع على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة الى أحاد القطبين فان حالة مدينة ذلك العصر وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن فبني عليها اعتراضاً كهذا فاي دبرينا ان الاستطراق الى أحد القطبين او كليهما كان في زمن ذي القرنين سهلاً فكم من أرض رابسة قاضت عليها البحار فغمرتها بطول الزمان وكم من أرض انحصر عنها الماء فصارت ارضاً عامرة متصلة بغيرها او منفردة (جزيرة) وكم من مدينة طلست حتى لا يعلم عنها شيء ومن المعلوم الآن من شؤون المدينيات القديمة بالملاحظة او الاستدلال ما يجهل بعض اسبابه كالانوار والقوش والالوان وجر الاقال عند المصريين القدماء فالقرآن يقول في ذي القرنين « فاتبع سبياً حتى اذا بلغ » كذا من مطلع الشمس ومغربها وبين السدين فاي تلك الاسباب هل هي هوائية او كهربائية ؟ الله أعلم بذلك

هذا ما يقال بالايجاز في رد دعوى معرفة جميع اجزاء الارض التي بني عليها الاعتراض. ثم ان ما بقي على هذه الدعوى باطل وان فرضنا انها هي مسئلة وذلك أنه يوجد في الأرض موضعان معروفان يحتمل ان السد كان فيهما أحدهما الموضع الذي يسمى الآن « جزيرة » بروسيا ومعناه السندوفية موضع يسمى « مرقبو » اي باب الحديد

وهو أثر سد قديم بين جبلين يقال انه من صنع بعض ملوك الفرس ويحتمل ان يكون موضع السد . وقد ذكره مطلبرون في جغرافيته بما يدل على ذلك (راجع ص ١٦٩ و ١٥٠ ج ٣) واخبرني مختار باشا الغازي أنه رأى خريته جغرافية قديمة لتلك الجهات وفيها رسم ذلك المكان ويان أن وزراء قبيتين اسم أحدهما « آقوق » واسم الثانية « ماقوق » . وتعرّيب هذين اللفظين يأجوج ومأجوج ظاهر جلي وأما الموضع الثاني فانا نترجم ما جاء فيه عن بعض التواريخ الفارسية على غرابته وهو : « في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء التي هي عاصمة اليمن بعشرين مرحلة (متخوضعة فراسخ) مدينة قديمة تسمى الطويلة . وفي شرقي هذه المدينة وادعيق جداً يحيط به من ثلاث جهات جبال شامخة متصبة ليس فيها مسالك معبدة فالتوقل فيها على خطر السقوط والهوي وفي الجهة الرابعة منه سهوب فيحاء يستطرق منها الى الوادي ومنه اليها وفجوة الوادي من هذه الجهة تبلغ خمسة آلاف ذراع فارسي (الذراع الفارسي متر واربعة سنتيمات) وفي هذه الفجوة سد صناعي يمتد من أحد صد في الجبلين الى الآخر وهو من زهر الحديد المتساوية المقدار فطول هذا السد خمسة آلاف ذراع فاما مسكه فخمسة عشر شبراً واما ارتفاعه فيختلف باختلاف انخفاض أساسه وارتفاعه لأن ارضه غير مستوية . في القرن العاشر للهجرة لما فتح سنان باشا القائد العثماني اليمن وصل الى قنعة تسمى تسام واقعة بجوار هذا السد فأمر بعد زبر الحديد المبني بها السد قصارى ما تيسر لم عدده منها تسعة آلاف . في طرفي هذا السد قلعتان عظيمتان محكمتان البناء قديمتان تسمى إحداهما قلعة العرصة والثانية قلعة الباحة اه

فهذا الوصف ينطبق على ما جاء في القرآن من وصف السد وبلاد اليمن هي فيها يظهر بلاد ذي القرنين لأن هذا القلب من القاب ملوك العرب الجيريين في حضرموت واليمن المروفيين بالاذواء (كندي يزن وذوي الككلاء وذوي نواس) ولكن ان صح وجود السد فأين يأجوج ومأجوج منهم التذكر كما ورد في تاريخ السوريين قبل الإسلام أو السكيثيين الذين وصفهم حزقيال النبي بما ينطبق على وصفهم في تواريخ اليونان . ويقدم الصاري رمزا لأعداء الكنيسة

ثم ان لم يكن السد المذكور في القرآن هذا ولا ذاك ولم يكن فيما بقي مجهولاً من

الأرض فلم لا يجوز ان يكون قد انك وذهب أثره من الوجود ؟ ان قيل يمنع من ذلك ان اند كاكه وخروج أجوج ومأجوج من علامات الساعة اجنبا بجواين (أحدهما) ان قرب الساعة يمتد ألوفا من السنين بدليل أن نينا نبي الساعة وقرب الساعة نبي اي هو قرب بالنسبة الى ماضى من عمر الأرض وما يدرينا انه ملايين من السنين (وثانيها) ان هناك ساعة عامة وساعة خاصة اي ساعة هلاك امة معينة كما ورد في شرح بعض الاحاديث الواردة في الساعة . وربما عدنا الى التفصيل في هذه المسألة

﴿ حكم صور اليد والصور الشمسية ﴾

(س ٣) من الشيخ محمد بسيوني في (سبب برنيو)

حضرة علامه الزمان فريد المصر والاوان سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء نفعني الله بعلومه آمين

وبعد تقديم واجبات التحيات والاحترام فالمرجو من تفضلات سيدي الجواب عن السؤال الآتي صورته وهذا هو : ماقولكم دام فضلكم في صورة مشتتة باليد وصورة متخذة بالفوتغراف هل الفرق بينهما متحقق ام لا ؟ وما قولون فيمن قال ان الصورة التي اتخذت بالفوتغراف لبس فيها فعل صورة بل هي حبس صورة كحبس الصورة التي في المرأة فلا يحرم ولكن يحرم وضع هذه الصورة في البيت لمشايتها الاصنام فهل هذا القول صحيح ام لا أفيدوني سيدي ولكم من الله جزيل الاجر والثواب (ج) صانع الصور مصور سواء صنعها يده أو بالآلة الشمسية (الفوتغرافية) . وصورة الشيء هي صورته سواء صورت باليد أو بالآلة لا فرق بينهما شرعا ولا عرفا . واما قول من قال انه يحرم وضع الصور في البيت لمشايتها الاصنام فهو مبني على أصل صحيح وهو أن سبب النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور هو منع تلك الشماثر الوثنية أي تعظيم الصور او عبادتها ولذلك أمر النبي (ص) عائشة بهتك القرام (الستار) الذي كان معقافا في بيتها لمشايتها الصور التي كانت في الكعبة فلما هتك واتخذت منه وسادة كان (ص) يستعملها ولا يرى في ذلك بأسا . وحديث القرام أخرجه البخاري في صحيحه وغيره . واذا كان القائل يترقب بأن حلة تحريم التصوير واتخاذ الصور هي ما ذكر

فأبي فرق يقي عنده بين ما به فعل الصورة وجس الصورة ؟ القصد من الأمرين واحد وفي كل منهما عمل اختياري للمصور فإذا فرضنا أن قوما عبدوا شخصا أو حيوانا أو غيره كما عبد بعض الباطنية الرجل الملقب بهاء الله فهل يجوز عند ذلك القائل للمصور المسلم أن يصور لهم معبودهم بالآلة الشمسية ليظموها ويعبدوها بناء على أن فعله جس تلك الصورة لأقل لها ؟ أن هذا قول لا وجه له فيما نرى والله أعلم

﴿ الوقف على المساجد والمدارس ﴾

(من ٤) مستفيد من ستغافره

ما قول النار المير في بناء المدارس للتعليم والوقف عليها و بناء المساجد للصلاة ولا يخفى عليكم ما ورد في فضلها فأبي الأمرين من البائتين أفضل أفيدونا (ج) في المسألة تفصيل في إقامة الجمعة والجماعة في المساجد من شعائر الإسلام إذا تركها أهل بلد وجب إلزامهم بها قال الفقهاء ولو بالقتال والعلوم منها ما هو فريضة ومنها ما هو فضيلة ولا بد لأهل كل بلد منها فإذا وجد في بلد مسجد لإقامة الشعائر أو أكثر عند الحاجة فبناء المدارس والوقف عليها في ذلك البلد أفضل لا محالة بل لا فضل في بناء مسجد لا حاجة إليه لأن من أغراض الشريعة جعل المساجد على قدر الحاجة لما في كثرتها من تفرق المسلمين وإذا أمكن اجتماع أهل البلد في مسجد واحد فهو أفضل من تفرقهم في مسجدين أو أكثر بل ذهب الامام الشافعي الى وجوب أداء الجمعة في مسجد واحد ان أمكن في تفصيل سبق لنا الكلام فيه في أحد مجلدات النار . وإذا وجد في بلد مدارس للتعليم ولم يوجد فيها مسجد لإقامة الجمعة والجماعة فلا شك ان بناء المسجد يكون حينئذ أفضل لوقف إقامة الشعائر عليه وإنما تأتي المفاضلة في بلد لا مسجد فيه ولا مدرسة ويحتاج أهله اليهما معا وحينئذ يظهر انه يجب الابتداء بالمسجد ويمكن ان يصلى فيه ويعلم ما لا بد منه حتى يتيسر بناء مكان للتعليم خاص به

وقد تبين مما تقدم ان بناء المدارس أفضل في البلاد التي فيها مساجد تقام فيها الشعائر وأكثر أمصار المسلمين كذلك فبناء المساجد فيها مع عدم الحاجة اليها مضاد لمقصد الشريعة وهو لا يكون عن رياء أو جهل

السياسة الانكليزية الجديدة في مصر

نشر هذه المقالة بالأصاء الرمزي لكتابها لما فيها من البشارة بالمجلس النيابي :
 كان عميد الدولة الانكليزية في عهد توفيق باشا يدير الأمر معه وما يتفقان
 عليه ينفذ بهدوء وسكون ولكن توفيق باشا كان لضغط إرادته يواتي العميد فيها
 يريد قلما يراجع في شيء فلما ولي العباس رأى منه ذلك العميد ما لم يكن يرى من
 والده من المقاومات فكان يتنهر فرصة كل حركة لتقوية نفوذ دولته في البلاد
 فأكثر من المستشارين والمفتشين والقضاة وكبار العمال من الانكليز وفضل ما فعل .
 ثم ظهرت المقاومة في الجرائد وعلى ألسنة الناس حتى صارت تشويشاً مزعجاً . وقد كان
 لورد كرومر يمتنى لو يتفق مع الأمير ولكن كان في طبيعة كل منهما وطبيعة الوقت
 ما يحول دون ذلك حتى انها تكلموا غير مرة في أمر الوفاق وبعد التواطؤ بزمن
 قصير أو طويل كان يعود التدابر كما كان أو أشد حتى قيل ان اللورد عزم في آخر مدته
 على اقتناع دولته بوجوب عزل الأمير ولكن جاء هذا الرأي في عهد وزارة الأحرار
 الحاضرة وهي وزارة تميل إلى التساهل في المستعمرات وما في معناها كعصر في عرفهم فلم
 يتم للورد ما يريد بل خرج هو من مصر وبقي أميرها فيها . وبما كان قد عزم عليه
 الرجوع إلى كبار الأمة في معرفة مطالبها الحقيقية لئلا نالها ما يمكن منها مع الاعراض عن الأمير
 ولا تنسى ما كان في آخر مدته من حملة الجرائد الانكليزية على الخديو
 لاسيما بعد أن نشر مكاتب الطان عن الأمير ذلك الحديث الشير فضالج الأمير
 تلك الحملة عليه بحديث آخر عهد إلى مستر ديسي الانكليزي بنشره في جريدة
 الديلي تلغراف الانكليزية تأمهم ما فيه الإشارة إلى رغبته في الوفاق فكان ذلك مقدمة
 للسياسة الجديدة التي سنينها

وهناك مقدمة ثانية شرع فيها لورد كرومر وتكفل سر ألدن غورست بالمضي
 فيها وهي اختيار الأكفاء من المصريين للوظائف الكبرى وتحميلهم «مسئوليتها»
 وأول ما بدأ به الأول من ذلك جعل سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف وأخيه أحمد
 فحفي باشا وكيلاً للحقانية وآخر ما قرره الثاني جعل عبدالحق ثروت باشا نائباً عمومياً

وهناك مقدمة ثالثة جربها العميد الجديد فجأت كما يراد وهي اعتماد انكثرا على الامير في سياسة البلاد العامة وعدم الالتفات الى مطالب الأمة وجرائدها فالسياسة الجديدة للانكليز في هذه البلاد هي أن يلقوا تبعه سياستها وادارتها على غاربها فلا يحملوا منها شيئاً في مصر بل يحملوها الامير وحكومته ومجلس نواب الامة وما دونه من مجالس المديرات

ما هو مجلس نواب الامة ؟ هل هو مجلس الشورى ام الجمعية العمومية ؟ وما معنى تحميله تبعه وهو لا يتبع رأيه ؟ لا لست أعني بمجلس النواب ما ذكر وانما أعني ان الحكومة البريطانية عزمت على ان تمنح مصر ما تطلبه بلسان جرائدها واحزابها من الدستور والمجلس النيابي وأن تجعل الفضل في هذا للامير فهو يكشفها بذلك وهي تظهر له الموافقة على رغبته بكيفية مخصوصة . والامير ينفذها رغائبها بمصر

انا نعلم من مصدر رفيع ان الانكليز عزموا على ان يمنحوا مصر المجلس النيابي وأنه ليس للانكليز مقاصد في مصر تنافي السماح للمصريين بذلك بل يقتخر احرار انكثرا بذلك لموافقة لستهم في تحرير الشعوب وترقية الحكومات ويكتفون في الأمن على مصالحهم بمصر باستمرار الاحتلال والثقة بمودة أمير البلاد ولا يبالون بالجرائد والاحزاب بل يعتقدون أن ستسكن من نفسها وان خير علاج لها إهمالها هذا ما أرويه للقراء رواية لا يشوبها رأي ولا تحصر فما كان منه عن شيء مضى فهو بما يعرفه العارفون ، وما كان عن شيء يأتي فسيراه الناظرون ، وقد يقال من باب الرأي ان الانكليز مخططون في ظنهم ان الحركة الوطنية ستسكن من نفسها فإن وراء مجلس النواب الذي سيكون محدود السلطة كلاما كثيرا في سلطته ووراء ذلك مسألة الاحتلال نفسها . نعم ان معظم حماسة الجرائد يمكن ان تتحول الى قد الوطنيين الذين يحملون تبعه الادارة وتكون الحجة على المحتلين ضعيفة بل ظهرت بوادر هذا في كلام اللواء في أول مصري عريق حمل تبعه العمل في الحكومة وهو سعد باشا زغلول فان اللواء أشد عليه منه على مستشاره مستر دنلوب . فن مثل هذا قد استنبط الانكليزان السياسة الجديدة التي شرعوا فيها ستعقبهم راحة من ضوضاء مصر وتشغل المصريين بأنفسهم والله أعلم بما تأتي به حوادث الأيام (المكاشف)

القرآن والعلم

٢

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثالثة ﴾

(ذوا القرنين ومطلع الشمس ومغربها)

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨ : ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً (إلى قوله ٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً)

قول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن قول جميع الأمم الراقية « بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى » إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يمتنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فعنى قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس » أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب .. ومهما كانت الانسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المصهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

(المناج ٤) (٣٦) (المجلد الحادي عشر)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تقرب في عين حمة » أي خيل له أنها تقرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رأيها وهي تقرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها تقرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات وعيون) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة (٨٨ : ١٢ فيها عين جارية) وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخونها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطالعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطيقي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود وكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذا القرنين وصل إليه بسيره إلى نهاية أفريقيا من جهة الغرب. فان تيار الخليج (Gulf Stream) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل أفريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن (فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فهرنهايت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذا القرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاسكندر المقدوني وغيره وكان يتيسر لهم ذلك لمطم قوتهم وضمف الام المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بحيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغلب ضعيفة

والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحبريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الام وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في أقاب العرب أهل اليمن كذي بزن وذي كلالع وذي نواس . وقيل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حبر . وقال أحد شعراء الحبريين

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يتبني أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ماسألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظروا لاندراست التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولمدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولمدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبيرين الأمم الأخرى والمفنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام

قيل إن اسمه الصعب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب انهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك

وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٢٠٠٠ سنة وقد أغار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالهكسوس .

فلا يبعد ان يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد بني سدأين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضع منع يأجوج ومأجوج من التعدي على الأمم المجاورة لمهما قيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرهما أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الإنسان أن أكثر بقاع الأرض لم تطلأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدا ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون مغطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وحملتها إليه فحُفَّت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩) فإذا جاء وعد ربي جملة دكا وكان وعد ربي حقاً

هذا ومن تذكر لغارة القول (التار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والتصارى وما أتوه من الفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل والسيب والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيئ الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦) حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياوليتا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ولا مانع من أن يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (١ : ٥٣) اقتربت الساعة وانشق القمر على أن الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تدمير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧) يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً (يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شير عند اليهود سمي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن لم نجعل له من قبل سمياً ؟؟)
وقول لانسلم باب لفظ يحيى في القرآن هو قررب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (ܝܚܝܝܐ) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه « يهوه خنون » أي الله خنون . فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا ووجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني قبا له أو مثله ذلك في كتب الهدى كثيرة جدا منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لبوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و ٢) وكان النبي عليه السلام يغير كثيرا من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سماهم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لم أكثر من اسم . هذا اذا لم قل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا قل اسمه الحقيقي « يحييه » الى لنتهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣) وحنا من لدنا صاروا يلقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك أكثر من اسمه الاصل الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثا له من نسله خوفا من مواليه فيشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال لمجمل لوقا ١ : ٦١ قالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمي بهذا الاسم » قوله تعالى لم نجعل له من قبل سمياً أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ يحي هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسي السي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية واخلاقه الطاهرة فكل من سي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والخان وقد ورد لفظ السي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها قال تعالى ٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً « أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

مسألة الخامسة

(السامري والعجل)

قال الله تعالى (٢٠: ٨٨) فأخرج لم عجلًا جسدًا له خوارًا فقالوا هذا الحكم وإله موسى — إلى قوله — ٩٥ قال فما خطبك يا سامري ٩٦ قال بصُرتُ بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي « رجحنا في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شِمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم • انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المربة كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السؤال) وهو علم لأحد نابني شعراء اليهود من العرب • وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة • وهو عرب من لفظ (شموئيل) والتغير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة • وهذه التغيرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ بختنصر وأجله •

(نبوخذ نصر) ولفظ عيسى وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التميز والتحرif في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الباء فيه للنسبة بل هي كالباء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فإن لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جسد كذا العجل الذي صنعه السامري من الخلي وكما تامل الحيوانات فإنها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الخيلة كأن يضع فيه ما يشبه الزمار ويسلط عليه آلة ناعمة لا يشعر بها الناظرون

وأمثال هذه الخيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت (قال بصرت بما لم يصروا به) أي علمت ما لم يعلموا وأدركت ما لم يدركوا (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفه فيناواقفت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسبيان كذلك بين بني إسرائيل فإن الله قال لما (٢٠ : ٤٧) هؤلاء إنا رسول ربك) وعلم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا يتناقى أن يقول ذلك من باب الحكم كما كانت قريش تهكمون على رسول الله يقولون له (٢٥ : ٧) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ثم قال السامري (فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تخرجه به وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت ما لم يعلم غيري . هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه بأكثر

المفسرين من الخرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصفهاني وارفضاه منه نحر الدين الرازي وعزره

(٩٧ قال له موسى) فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخْلَفَهُ وَاَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِمْ كَفًّا لِنُحْرُقَهُ أَي لِبِرْدَنِهِ وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ «لِنُحْرُقَهُ» بفتح النون وكسر الراء وضبطها خفيفة (ثم لَنَنْسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا)

فان قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتيير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا قبل التأويل حتي لا يكون ذلك صادراً لم عن النظر فيه أو شاغلاً لم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لم بما لو سمعوه قبلوه وما لو سمعوا العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراه مثلاً ينص على دوران الارض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب صنع الله الذي أتت كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يمدح هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجمهور على أن معنى الآية الصحيح لا ينفى على العلماء . فان القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرقين فلذا تنوعت أساليه وسحر يانه عقول الجميع وبذلك لم ينطى الغرض ، ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض ،

المسألة السادسة

(تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٣٣ : ١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَسْلَةٍ مِنْ طِينٍ ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

المُصَنَّفَةُ عِظَامًا فَكُونُوا الْعِظَامَ لِحَاثِمِ أَنْشَأَهُ خَلَقَا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثُمَّ لَكُمْ بِهِ ذَلِكَ لَمِيتُونَ ١٦ ثُمَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الانسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم بعثه

(الطور الاول) « وقد خلقنا الانسان من سلاطة من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الارض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر باقسام الخلايا ثم بالتفقيح الذي يقبه الانقسام (ومعنى التفقيح اختلاط عنصر الذكر بنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز تطلق على التي ولا مانع من اطلاقها أيضاً على بويضات المرأة التي يفرزها البويضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صريحاً لأن ذلك غير معروف لجاهل الناس وهو لم يأتي لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يؤيد قضاياه بما يعرفونه ولا ينكرونه واكتفاه بذكر التي دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فاذا حصل التفقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد بالقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التفقيح ثم التكوين . ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الانثى يسبحان قبل التفقيح وبعده في قليل

(١) النار : النطفة في الاجل الماء أو كل سائل فيصح اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقه » وذلك باقسام البويضة بمد
التلقيح بالحيوان النوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقه وخلاياها
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا الملقه مضغه » وهي قطعة أكبر من الملقه قدر
ما يضع في القم مركبة من عدة خلايا ناشئة من اقسام البويضة الأصلية بعد تغذيتها
في جدر الرحم وما أحيطت به من سوائل زلاية

(الطور الخامس) « فخلقنا المضغه عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغه
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التنوع عظاماً
(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغه
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا متغيرة في شكلها للخلايا الاصلية وهذه الأنسجة
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فيما تجد بعض الخلايا يتحول إلى
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام

(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقته وولادته يصير
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد ان كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة) الآية فالثي الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً
بالكون بقله ويمتدق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا
بم لتراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل
كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها بإجمال خال من الوهم والخطأ داغ إلى التفكير
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطاب فيه لأن الناس يصلون اليه من غير طريق الوحي

﴿ المسألة السابعة ﴾

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧:٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٩ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) ومن المعلوم أن بني اسرائيل من بعد غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فامنى هذه الآية اذا ؟؟ ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو مفتاح بن رمسيس الثاني وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عادته ان يقي فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم واخلاقم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بمجزء من جيشها وكان المصريون يجنون من خيراتها ويتمتعون بها وبعضهم يذهب اليها ليقيم فيها تحت رعاية دولته كما يفعل الاوربيون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك الى عهد مفتاح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني اسرائيل من أرض مصر

إذ اعلمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسل فرعون في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه المستوطن في هذه البلاد قاتلا لهم (ان هؤلاء لشر ذمة قليلون . وانهم لنا لعائنظون ولنا جميع حذرون) ثم قال الله تعالى (فأخرجناهم) أي المصريين (من جئات وعيون وكنوز ومقام كريم) . في مصر والشام (كذلك وأورثناها بني اسرائيل) أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جئات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها الكريم فان ذلك قد آل إلى بني اسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في هذا الموضوع (١٣٧: ٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغارها التي بارَكنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي اسرائيل (والأرض التي بارك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٧١) ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي بارَكنا فيها للعالمين) وقوله (١٧ : ١) سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارَكنا حوله) فأنت ترى من هذا أن آيات القرآن في هذا الموضوع يفسر بعضها بعضاً وإن المراد من ميراث نبي اسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم يلاذ الشام (للمائل قية)

باب المناظرة والمراسلة

٣

حجة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قسنا الأحاديث — إلى أن قال — فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الإمام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل وافي بكلامهم قال: «والذي نؤمن أن العقل لا يستبقي وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ أو أن الرسول (ص) يبين ذلك» يانا ينقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والمناظر يرى باديء به بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور أن قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة» لأنه إذا كان النسخ هو كما ذكر إبطال حكم إلى بدل أو تغيير بدل وجاز أن يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا إلى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فاذ ذلك لا قول يجوز نسخ القرآن بالسنة وهو

منافض لقوله لا يجوز نسخ القرآن بالسنة قوله الثاني لا محالة رجوع عن قوله الاول واعتراف بان القرآن ينسخ بالسنة المعلوم صدورها عن رسول الله (ص) وبذلك نكتفي عن الرد عليه في قوله بمنزلة جواز نسخ القرآن بالسنة وسيأتي لنا كلام على الاخبار التي يلزم الأخذ بها وسلم صدورها عن رسول الله (ص)

اما ما ذكره حضرة الدكتور من اشتراط احد الامرين للنسخ إما تبين القرآن لنا نصا جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ او تبين الرسول (ص) كذلك وينقل متواترا الخ

فقول فيه ان حضرته ذكر ان النسخ لمقتضى لا يستجيب عقلا يعني انه جائز عقلا فهل ما اشترطه للنسخ واجب على الله وعلى رسوله (ص) عقلا هو؟ ام شرعاً - فابن هو؟ وهل يشترط ذلك فيما نسخ لفظه ومناه لا الى بدل لان تعريف النسخ الذي ذكره اول الرسالة يشمل وليس هو داخل فيما انكر وقوعه من نسخ لفظ بلفظ او نسخ لفظ وإبقاء حكمه

وما معنى اشتراط التواتر فان النسخ انما كان يقع في زمان الرسول (ص) وقت نزول الوحي وذلك مضي واقضي والله تعالى ورسوله (ص) لم يلزموا الامة ولم يوجبوا عليهم ان يتقلوا الدين الى من بعدهم بالتواتر ولم نرد ذلك ولا في موضع من كلامهما ولم يجعل ذلك شرطاً لا للتبليغ ولا للقبول وسيأتي مزيد بيان لذلك

ان اشتراط حضرته ذلك مع اشتراطه ان يتفق عليه عملا بين المسلمين مما لا يجوز عقلا لا امتناع تأخر ما يلزم في وجود شيء عن وجوده كاسبابه وشروط وجوده والنسخ قد وقع بدليل قوله تعالى «ما ننسخ من آية» الآية والتواتر واتفاق عمل المسلمين انما هو بعد ذلك والله تعالى لم ينصب ذلك شرطاً لقبولنا ذلك او ان الحال لا ينكشف لنا الا باحدهما فظهر ان ذلك لا يصلح لان يكون سبباً للنسخ ولا لبوغه اليه -

اما اشتراط حضرته في رساليه لبيان النسخ طريقة معينة مخصوصة وهي ان يقول الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة فهو التزام لما لا يلزم واكفاء بما لا يكفي ولا يطرد في جميع المسائل فان النسخ مشترك لفظاً يصدق على معاني مختلفة وصدقه عليها مختلف فيه ثم هو في اقراء كل واحد

من مصادقاته قد يكون عاما . ثم معرفة المراد منه قد يكون مجلا فإذا قيل هذه الآية منسوخة او هذه ناسخة فقط ولم يقرن ذلك بما يعين المراد احتمل ذلك نسخ كل هذه الآية او بعضها او زيادة امر في الناسخ مع بقاء المزيد او رفع شرط أو قيد او زيادتهما الى غير ذلك فحين ان مجرد قوله هذه الآية ناسخة وهذه منسوخة لا يكفي في بيان المراد الا بانضمام ما يبين المراد مع ذلك بما يتبين به مورد النسخ المعين واذا كان الله أجاز النسخ في شرعه بجميع معانيه كما دل عليه كلام السلف او بعضها كما هو قول المتأخرين ففي الموارد المخصوصة أي ووقت البيان لا يجوز ان يؤثر بما لا يتبين المراد منه الا مع مبين - والبيان اخراج الشيء من حيز الإشكال الى حيز التحلي فظهر بذلك ان معرفة الناسخ والمنسوخ لا يتوقف على خصوص ما ذكره حضرة الدكتور بل معرفته في كل محل بما يبين المراد هو الاول وان لم يكن بلفظ ناسخ او منسوخ ومن ذلك ما ذكره العلماء في معرفة الطريق الذي يكون الناسخ بها ناسخا والمنسوخ منسوخا

وليت شعري ألا يكفي في الدلالة على النسخ تأخر التاريخ مع التعارض والتناقض بين الحكمين ككون الشيء في آية حلالا وفي آية بعدها متأخرة نزولا حراما او العكس؟ وقد ذكر علماء الاصول طرق معرفة النسخ والناسخ والمنسوخ وبينوا ذلك فأرجع الى كتبهم ان شئت

ثم لا ندرى ما الموجب لطعن الطاعنين واستهزاء الهازئين بعد ثبوت جواز النسخ عقلا وشرعا ووضعا ووقوعه في الشرائع فعلا كما اعترف بذلك حضرة الدكتور فليتأمل حضرة في هذا الموضوع وليعلم انه بإدراكه الى التهم والترديد بمخالفته الى استحقاقهم أشد العذاب قبل اوزنه اذ لم يتم حجة على ما قال ولم يحيط علما بما لديهم من الحجج لا سيما معاصريه اذ لا يمكننا إنكار اطلاعه على ماهو مسطور في زبر الأولين وان كنا نستبعد امكان اطلاعه على الكل قول ذلك قياسا على انفسنا وكما قال ذلك الكبار - وقول أيضا اذا كان النسخ هو ما ذكرنا سابقا عن السلف (رض) وما ذكره حضرة ثم وأنه يرى ان العقل لا يستقيم فلاحل التشريع على من قال بوقوعه في القرآن وعليه فالقول بوقوع النسخ في القرآن او عدم وقوعه منحصر في الدليل النقل

وفي الاستقراء اي تتبع آيات القرآن فحضرة الذكور استدلل على عدم وقوع النسخ في القرآن بقوله تعالى « لا مبدل لكلماته » حيث قال فلا يجوز ان يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله اذ التكررة (أي لفظ مبدل) في سياق المنفي تم وأقول قد اختلف في ان المتكلم هل يدخل في عموم خطابه أم لا والحق انه لا يدخل إلا بقرينة وليس هنا قرينة تدل على ذلك بل القرينة تدل على عدم دخوله

فالأية المذكورة ليس هي عندنا مما تدل على منع النسخ بمعناه السابق وانما تدل على صيانة القرآن عن اتحال المبدلين وعبث اعداء الدين وان الله لا يجعل لهم عليه سبيلاً وذلك نظير قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وقول أيضاً في المنفي « فرع عن ثبوته ولا شك هنا ان المراد بنفي المبدل في جميع التبديل بجميع معانيه وأكثر معاني التبديل لا يجوز ان ينسب إلى الإله وعليه فلا يدخل في عموم المنفي كما خصص عموم قوله تعالى « ان الله على كل شيء قدير » بما سوى الواجب لاستحالة تعلق القدرة به — ويقرب من ذلك قوله تعالى « فلا يظهر على غيبه أحداً » فانه لولا الاستثناء لمن ذكره لوجب ان لا يطلع على غيبه أحد مطلقاً لكنه لا يجوز بحال ان يقال انه تعالى داخل في عموم المنفي

فتبين بما ذكرناه ان التبديل المنفي في قوله تعالى لا مبدل لكلماته انما هو التبديل الذي يكون من البشر كما كان يفتله اليهود والنصارى في كتابهم اما التبديل بمعنى النسخ بان يبدل الله آية مكان آية أو ينسخ حكمها هو أو رسوله لا من تلقاء نفسه فهذا لا عيب فيه كما ذكر الذكور والرسول (ص) معصوم عن التبديل من تلقاء نفسه وإذا كان النسخ هو ما ذكرناه عن السلف فإنكار وقوعه مكابرة ومخالفة لما هو ثابت في الواقع كما دل على ذلك الاستقراء إذ ما من عام إلا وقد خص وما من مطلق إلا وقد قيد إلا آيات التوحيد وما ضاهها وأيضاً قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية » خاصة في معنى من معاني التبديل وحمله المبين والفاعل معلوم فهي بلا ريب نص في جواز النسخ الذي لا عيب فيه مقلاً

أما قول حضرة الدكتور فما ذكرناه هنا وهناك يدل على ان تفسير الآية هكذا: وإذا اتينا بحكم في الشريعة الاسلامية يدل حكم في الشرائع السابقة وضمناه مكانه قالوا انما انت مقتر كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله الى آخر الآيات - وزعم ان القول بأنه مقتر في قوله تعالى « وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مقتر » انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة الخ واقول ان قوله انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة هو اعتراف منه بجواز ان تكون هذه الآية مدنية فاحفظه

ثم ان ما ذكرته حضرته وحمل الآية عليه غير صحيح لما قدمناه ولأن سياق الآية لا يدل عليه وانما يدل على خلافه فانه تعالى انما ذكر المشركين ثم حكى هذا القول عنهم ورد عليهم بان اكثرهم لا يعلمون لأنهم ليس معهم كتاب والمشركون هم الذين زعموا ان الفلام النصراني يعلم النبي (ص) اقتراموكذباً كما كذبهم الله في هذه الآية وغيرها ويدل على ذلك ايضا ان الله لما برأ رسوله (ص) من تههم الكاذبة ذكر ان سبب تهجمهم واقدامهم على ما هو واضح البطلان انما هو ضلالم وعدم ايمانهم بآياته فانه تعالى لا يهديهم وأكد في الرد عليهم بان المقتر في تبديل آيات الله انما يكون من لا يؤمن بها وهذا نص ايضا في ارادة المشركين فظهر ان القائل بأنه مقتر انما هم المشركون ولأن الآيات قبلها وبعدها انما هي في ذكر مساوي المشركين وتحذير المؤمنين من التخلق باخلاقهم والافتداء بآدابهم وعن الاصفاء والاتفات الى شبهاتهم عند نزول ناسخ او تبديل آية مكان آية لانهم لا يؤمنون بآيات الله فلم يهدم للصواب في الجدل فهم يستدلون على كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون في كتابه من النسخ لاعتقادهم ان ذلك تناقض لعدم علمهم بما في ذلك من الحكم والمصالح

أما أهل الكتاب (اليهود) فلم يأت لهم ذكر حتى يعود الضمير اليهم وايضا فان الله تعالى قد عين هؤلاء القائلين بأنهم الذين لا يؤمنون بآياته وهذا لا يصح صدقه على اليهود اذا كان المراد بالآيات الاحكام والآية الواحدة الحكم لا يانهم بالتوراة وإن أريد بالآيات الجمل من الكلام المعبودة المخصوصة فان أطلقت

على عبارات التوراة فكذلك وان لم نطلق بطل حل الآية المبدأة على شيء من عبارات التوراة ثبت بذلك ان المراد واذا بدلنا آية من القرآن مكان آية منه قال المشركون انما انت مقترهم لا علم لهم بالتوراة ولا باحكامها

ثم قول لو كان التبديل اي النسخ ممنوعا في القرآن مطلقا وان الله لا يبدل آية مكان آية لما صح قيده في جواب الكفار حين قالوا لرسول الله (ص) «انت بقرآن غير هذا او بدله» حيث امر رسول الله (ص) ان يحيمهم بقوله «قل ما يكون لي ان ابده من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» «قانه لا معنى للتقييد حينئذ وبذلك وهذا نعين عدم دخول المتكلم ومواقفه تعالى في عموم لفظ «ببدل» من قوله «لا يبدل لكلماته»

ان من تتبع آيات الكتاب وجد فيه ما يلجئه الى القول بوقوع النسخ فيه فضلا كما اخبر الله بوقوعه فيه مستدلا على جواز ذلك وحسنه بارتباط الشرع بالقدر أي تلازمها — لا ينكر ذلك إلا من كابر وجدانه وخالف ظاهر القرآن وخرج به عن حدود مرامه الذي فهمه رسوله (ص) ودينه لأصحابه (رض) الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل والتفسير والمراد من الخطاب لما يتهم الوقائع والأسباب فلا يجوز لمن لم يحضر الوقائع ولم يعرف الأسباب والموانع ولم يمارس محاورات أهل الشرائع ان يهجم على كلامهم (فضلاً عن كلام الله) ويؤوله بان يحمله على معاني يضربها مع ترك ما سبق الكلام فيه وله . انما يختار هذه الطريقة المحرفون اغتراصون كالقراطة والمحدثين من المتصوفة وسائر الطوائف المبتدعة الذين اذا تكلموا في القرآن يترامى للناظر في كلامهم انهم كأنما يتكلمون في دين جديد نزل عليهم ابتداءً وكأنه لم يكن نزل على رسول قديين حدوده وأوضاع احكامه وفسر مرامه وكأنه لم تلقه أمة ولم تعمل به الطوائف حتى جاء هؤلاء بأرائهم السخيفة وأقوالهم الساقطة الضعيفة — كل ذلك لم يقع من هؤلاء الا بتركهم السنن النبوية وهجرهم لطريق السلف وبالاخص آثار الصحابة (رض) ولندد إلى ما كنا بصده فقول

قد قدم لنا ان قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » دليل واضح على جواز النسخ في القرآن كما انه جائز في سائر الأديان وانه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى « لا تبدل لكلماته » الآية

ومن الأدلة الناصة على جواز النسخ في القرآن بل على وقوعه قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية وقد قدمنا كلام السلف في تفسير هذه الآية قلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله

ودونك ما ذكره حضرة الدكتور في تفسيرها فإنه قال في رسالة له سابقة أدرجت في الجزء الثاني من المجلد التاسع من المنار الأغرب بعد ان ذكر قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » ما نصه « الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما ننسخ من آية قيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بالثامن القدرة الكلمة والتصرف في الملك تأتي بخبر منها في قوة الاقتناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك » —

ونحن ندعو القراء الكرام إلى المقارنة بين ما نقل عن السلف في تفسير هذه الآية وما قاله حضرة الدكتور فإذا كان لفظ آية يدل بالاشتراك اللفظي على معاني متعددة فهل يجوز لأحد كائناً من كان ترك المأثور عن العارفين بالمراد واختراع معنى آخر من عند نفسه بعد أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة ؟ وهل هذا التفسير بالرأي في مقابلة المأثور الذي توافرت الأدلة الشرعية على منعه والتحذير منه كما دل العقل على قبح تفسير كلام أحد على غير مراده —

وقول أيضاً اذا كانت الآية هنا هي (المعجزة) كما يقول حضرة الدكتور فما معنى ازالها وترك تأييد نبي آخر بها ؟ فان المعجزات انما هي امور خارقة للعادة يظهرها الله على ايدي انبيائه لتدل على صدق دعواهم وقد انقضت باقضاء الزمن المشروط لوجودها وليست هي جارية على سنن الكون المتعاده حتى تبقى ككل باق يرى تابها وخاضعاً لأسبابه ونواميس جريه في بقائه وتطوراته وأكثر المعجزات اعراض لا قيام لها بنفسها وانما هي واقعات تنقلها الامم كسائر الاخبار

انه لا يمكن تأييد نبي بمعجزة هي نفس معجزة نبي آخر والممكن انما هو ان يؤيد بثبوتها لأنها ان كانت معجزة النبي الاول موجودة بين ايدي الناس فكونها معجزة للثاني متمتع ولأفضى ذلك الى تحصيل الحاصل وان كانت قد قدمت فالأخرى انما هي مثلها والنسخ او الازالة او الترك لا يكون الا لا يجوز ان يظهر اولاهو موجود فاذا امتنع عقلا ان تكون نفس معجزة نبي متقدم هي نفس معجزة نبي متأخر لم يبق في تفسير الآية الا ان يقال هكذا : ما ننسخ من آية اي من مثل آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها. ومؤداه ما نترك مثل معجزة الانات بثبوتها اليس هذا تناقضا يجب ان يترك القرآن عنه ؟ وقول ايضا انه لو سلم جواز وقوع النسخ في المعجزات فانه لا يتصور وقوعه الا في القرآن حين امكان النسخ أي وقت نزول القرآن وقبل وفاة رسول الله (ص) ثبت الاستدلال بهذه الآية على جواز النسخ ووقوعه في القرآن حتى على تفسير حضرة الدكتور للآية بمعنى المعجزة فان القرآن من اعظم معجزات نبينا (ص)

وقول ايضا ما ذكرناه عن السلف هو المتعين ويلزم الاخذ به لان هذا الدين انما جاءنا بتوسطهم فلا يجوز لنا ان نخرج عن جميع اقوالهم بالبحجة واضحة ومن الحال ان لا يوجد لاحد منهم قول موافق لها -

وايضاً لو كان هذا الكتاب نزل علينا ابتداء ولم يبينه مبين لنا لما جاز لنا ان نستبد بمقولنا في مواطن الاشتباه وعدم وجود مرجح ومن هنا قالوا لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

وفوق ذلك كله أن هذه الآية ذكرت في ذيل خطاب الله لعباده المؤمنين نسكبنا لهم ودفعنا للشبه التي يثنها بينهم اهل الكتاب والمشركون من قولهم ان محمداً يأمر بالشيء ويمنعه غداً الى غير ذلك من تشكيكاتهم الكاذبة فرد الله عليهم وأعلم عباده المؤمنين بالحكمة في ذلك ونبههم على ان هذا انما هو حسد من أعدائهم ودونك الآية وما قبلها يبين لك ان ما ذكرناه عن السلف هو المطابق لظاهر سياق الآية بعد ما عرفنا تفسير حضرة الدكتور قال الله تعالى (٢ : ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا قولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب عظيم

١٠٥ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٠٦ ما ننسخ من آية أو ننسها تأتي بخير منها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (فالأية دلت على أن الذين كفروا يكرهون نزول الخير على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما كان النسخ انما هو زيادة خير وفضل من الله كنسخ بعض الاحكام النافذة التي كلف بها بني اسرائيل وكنسخ ما فيه خير مما نزل على محمد (ص) الى ما هو أكثر خيراً منه ذكره تبارك وتعالى كالفرع من قوله والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأتبع الآية بقوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، استدلالاً لصحة النسخ لانه اذا كان من المقرر لديك ومن المسلم لدى اعدائك ان الله تعالى هو خالق الخلق واستمدادهم المختلف باختلاف الزمان والمكان فمن اللازم لتلك اذا وجد مقتضي نسخ بعض الاحكام والتعالم الأهلية إلى ما هو انطباقاً بحال المكلفين وأكثر خيراً لهم وهذا ظاهر في تلازم الخلق والأمر - وقوله تعالى عقب ذلك (١٠٧) ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) هو زيادة لا يوضح الحجة معناه انه اذا كان هو الخالق للامور فهو يعلم المناسب والاصحح بها واذا كان هو الولي والملك فلا بد لسلك ملك من احكام فاذا كان الملك ذا حكمة وعقل معتبرا أحوال الرغبة فلا يلبق ببدله ترك ما فيه زيادة الخير والأنسب باحوالهم لما هو أحاط منه مع علمه بذلك

اما قول حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعد قوله تعالى (أو ننسها): ننسها الناس لطول العهد بها (يعني المعجزة) الى آخره - فيقال عليه ان الضمير في ننسها عائد على الآية وقد قدمنا فساد تفسيرها بالمعجزة لأننا نقول ان الله قد وعد في هذه الآية بأنه اذا نسخ آية أو انسأها فهو لا محالة يأتي بخير منها أو مثلاً وعداً لازماً لتلازم الشرط والجزاء - فاذا أبى الدكتور تفسير الآية الا بالمعجزة فهل أتى الله بخير من كل معجزة انسيت أو أتى بمثل كل معجزة انسيت عن كل واحد من انبيائه؟ وما معنى قوله تعالى (سترتك فلا تنسى الا ما شاء الله) فهل كان يقره عدد معجزات الأنبياء قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام

وأيضاً قد قرأ بعض القراء « ما تنسخ من آية أو تنسأها » بفتح النون وهزرة بعد السين وممنه حينئذ نوخرها وحضرة الدكتور ذكر ان معنى ما تنسخ ما ترك وعليه يكون المعنى هكذا : ما تنسخ أي ما ترك من آية أي معجزة أو تنسأها أي نوخرها . وهو على ما فيه من الركافة ومخالفة ما ذكرناه عن السلف لا يعلي ما أراده ذكر حضرة الدكتور في رسالته السابقة بعض الآيات المنسوخة ورد بزعمه على من قال ينسخها حيث اني رأيته انما مال الى التأويلات الزائفة ومع ذلك هي لا تنتج مراده فلم أر للتطويل قائمة بالرد عليه لان ما ذكره بين البطلان بنفسه .

ويكفي في الجواب عليه عن ذلك كله حتى بعد تسليم تأويلاته ان يقال له بجواب مجمل : ان هذه الآيات التي زعمت انها ليست بمنسوخة كآية تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول (ص) وغير ذلك هل ترى انها محكمة بمعنى ان دلالتها حين نزولها وبعد نزول آيات التخفيف بعدها على السواء من كل وجه ؟ فان قلت نعم فليكن البيان بشرط عدم التأويل والخروج عن الظاهر لا تاترى ان التأويل للمنسوخ على غير ظاهره وإبقاء الناسخ على ظاهره هو القول بالنسخ عندنا لا فرق الا في اللفظ والبارة وان قلت بتغير الدلالة ولو من بعض الوجوه فقد قلت بالنسخ صراحة وواضحة وهو غاية ما تمناه

لم يقع خلاف بين المسلمين في جواز النسخ ووقوعه من غير فرق بين كونه في الكتاب او السنة حتى قيل انه مما اتفق عليه اهل الملل - الا اليهود فقد منعه التوراة وقالوا انه لا يجوز ان يرسل الله رسولا ينسخ شيء من التوراة قالوا ذلك وجوزوا لأخبارهم نسخ ما شاءوا من التوراة - والا ما يحكي عن ابي مسلم الاصمغاني انه قال لم يقع شيء من ذلك في القرآن وهذا مما يمد من اكبر غلطاته حتى قال الحافظ ابن كثير بعد ان حكى قوله وقوله هذا ضعيف مردود ومرذول وقال السيد صديق حسن خان ولعله قلاعن الامام الشوكاني : واذا صح هذا عنه فهو دليل على انه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً قلعياً واعجب من جهله بها حكاية من حكى عنه الخلاف في كتب الشريعة فانه انما يمتد بخلاف المجتهدين لا بخلاف من يطلع في الجهل الى هذه الغاية اتعنى

ولم أر أحداً حكى قول الاصمغاني الا وآتى عليه بالهوم . ونحن لا نرى في
الطعن فائدة (١) لانا نعلم كغيرنا انه مامن أحد غير انبياء الله ورسله الا ويؤخذ
من قوله ويترك ومن تتبع الغلطات ولو من كبار الرجال وجدها في كل شيء من
الاشياء وامر من الامور ولا يبقى بيديه شيء من الحق وذلك هو انفسران المين

انوار على الترية

كتاب الترية

ألف علاء اوربا كبا كثيرة في فن الترية فلما كتب في ذلك الفيلسوف
سبسر كان ما كتبه ناسخا لطريقة من قبله ولكن بما جاوزا به وقدة جديدة لمن
عاصره ولما يحكي بعده فهو الذي بنى قوانين الترية على أسس المنفعة وبين خطأ
الناس في تقديم الزينة على المنفعة كما جرى عليه المتوحشون من اقدم زمن يعرفه
التاريخ . وكتابه في الترية أشهر من أن يذكر فينوه به وقد ترجمه بالرية محمد

(١) المنار: قد أحسن الكاتب في علم اقراره لصديق حسن خان على
طعنه هذا بأبي مسلم وابن هو من أبي مسلم بل ابن منه شيخه الشوكاني في فهم القرآن ؟
انا نجل الشوكاني ونعرف له فضله في علوم الحديث والآثار والفقه ولا نظن انه نبز
أبا مسلم بالجهل ونحمد من صديق حسن اعتدائه بكتب الشوكاني ومحاربه لتقليد
وان كان في عامة أحواله مقلدا للشوكاني ولكننا لا نرى طعنه هذا في أبي مسلم الا
هفوة من هفوات النور . نعم ان لا بي مسلم غلطات ولكن اي عالم كتب او ألف
أو أبدى علما وفهما فسلم من الغلط والخطأ ؟ ألم ينكر هو والشوكاني على الائمة
المجتهدين وعلى من قبلهم من علماء السلف كثيرا من المسائل حتى بعض فروع مسألة النسخ ؟
ألم يمحصر الشوكاني المنسوخ في بعض آيات ويخطئ المتقدمين في سائر ما عدوه
منسوخا ؟ فكيف يدأ أبو مسلم من أجل الناس بالشريعة ان وجد لهذه البضع
الآيات معنى يتأني النسخ بالمعنى الخاص الذي يفهمه ؟

افندي السباعي أحد محرري الجريدة وطبع في مطبعها طبعاً حسناً على ورق جيد
فبلغت صفحاته ١٤٣ وجعل ثمة عشرون قرشاً وهو يطلب من ادارة الجريدة

مجموعة الخطب

تمنى كثير من أهل العلم والأدب لو طبع الخطب التي تلقى في نادي دار
العلوم وكاشفوا رئيس النادي (حفي بك ناصف) بأمنيتهم فواقت رغبته ورغبتهم
وقرر مجلس ادارة النادي طبع الخطب التي يكتبها اصحابها . وقد طبعت المجموعة
الاولى فأوعت ثماني خطب في موضوع اللغة والتعريب والترجمة فبلغت زهاء مئة
صفحة وجعل ثمن النسخة منها قرشان ونصف قرش وهي تطلب من النادي بشارع
عبد العزيز (نمرة ٥)

بلاغات النساء

كتاب لطيف من تأليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المحدث المؤرخ (المتوفى سنة ٢٨٠
او دعماً رواه عن النساء من خطبين وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات
الرأي منهن وأشماهن في الجاهلية وصدر الاسلام فقيه من الخطب خطب عائشة
ام المؤمنين في فضائل ايها وراثته وخطبتها السياسية بالبصرة وخطبتها لما بلغها قتل
عثمان . وفي خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لما منعها أبو بكر ميراثها وغير ذلك
من خطب وكلام امهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن وعن ازواجهن
وكلام غيرهن في السياسة والآداب والمدح والثناء ومن احسنه كلام كثيرات
منهن مع معاوية في تحطنته بما كان منه . وفيه كثير من كلام النساء في الازواج
مدحاً وذماً وصاياهن لبناتهن والتعير عن سائر أغراضهن ثراً ونظماً ، وليته
خلا من اخبار مواجهن ، واحاديث رفهن ، اذاً لكان الكتاب ، جديراً ببنائة
الشبان والشواب ، لما فيه من روائع الآداب ،

طبع الكتاب احمد افندي الالفي طبعاً حسن على ورق جيد وشرح في هوامشه

ما رآه خفياً من مفرداته حتى بمض كلم الرفث والمجون الذي كان اجدر بالخفاء منه بالظهور ، وقد بلغت صفحاته زهاء ٢٠٠ من قطع النار وجعل ثمن النسخة مئعة عشرة قروش صحيحة ويطلب من المكتبات المشهورة

مطالع البدور في محاسن ربات الخدود

هو كتاب خاص بوصف محاسن النساء نظماً وثرارجم فيمواضعه محمد سليم بك ابو الخير الانسي ما اختاره ذوقه من كلام المتقدمين وما جادت به قريحته في ذلك ومثل هذا الوضع لا يحتاج الى من ينزه به ولا يرغب فيه . لئلا كئبنا عنه هذه الكلمات قبل مطالعة شيء منه وقد جعله جزئين لطيفين طبع أحدهما وشرع في طبع الآخر ومئعة عشرة قروش وثمان الذي طبع وحده خمسة قروش ويطلب المكتبات المشهورة

تحفة المجالس وثرهة المجالس

كتاب لطيف في المحاضرات يرمى الى جلال الدين السيوطي جله حكايات وأخبار في فضل العقل والعلم وأخبار الأولين من الأنبياء والخلفاء والملوك والقضاة والمتلصصين والنساء والمشايق . طبعه الحاج محمد افندي دربال التونسي التاجر بسوق الطارين بالقاهرة وقد جعل ثمن النسخة مئعة خمسة قروش صاغ وهو مما يرجى رواجه لتوفر الرغبة في امثاله من كتب الفكاهات والمحاضرات عند جميع طبقات الناس ولرخص ثمنه

الحمامات المعدنية

رسالة موضوعها التداوي بالحمامات المعدنية في القطر التونسي وضعا الطيب بيورف بلغة أجنبية وتقاها عنه بالعربية الشيخ محمد بن حسين يرم في عهد محمد بن حسين باي ونقلها الى اللغة العربية ووضع لها مقدمة من عنده . وقد طبعها في هذه

(الناشر ١١) الاسلام والرد على كرومر - تقرير السير ألدن غوردست ٣٠٥

الايام طابع كتاب تحفة المجالس وقد جعل ثمن هذه الرسالة قرشين ونصف قرش
فتح القراء على مطالعتها لما فيها من الفوائد المتعلقة بالاستحمام بالمياه المعدنية ونخص
بالذكر اهل تونس لما فيها من الكلام عن حماماتها بالتفصيل

الاسلام - والرد على لورد كرومر

كتب أحد فضلاء المصريين مقالات دينية في الرد على لورد كرومر نشرها
في جريدتي المؤيد والواء بتوقيع « أبقراط » ثم جمعها وطبعها على حداثها فبلغت
٦٤ صفحة . منها مقالة في المقابلة بين الاسلام والتصرانية ومقالة في (المرأة في
الاسلام والتصرانية) وسائر المقالات في الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعبادات
والجنة والنار والجهاد . ولعل هذه المقالات أحسن ما نشر في الجرائد ردا على
كتاب لورد كرومر (مصر الحديثة) وثمن النسخة منها ثلاثة قروش

تقرير السير ألدن غوردست

كان الناس يتظرون هذا التقرير انتظار من توقع شيئا جديدا في أمر عظيم لما
شاع وذاع ونشرته الجرائد في جميع البقاع من ان الانكليز غيروا سياستهم في
ادارة هذه البلاد منذ استقالة لورد كرومر ارضاء للمصريين الذين اظهروا السخط
من الادارة السابقة . وكان الكثير يظنون وهم لم يروا من السر ألدن غوردست
المعتد الجديد عملا جديدا يخالف طريقة سلفه اللورد أنهم سيقررون في تقريره
عن سنة ١٩٠٧ شيئا جديدا يستنبطون منه كنه السياسة الجديدة . وكانوا يظنون أن
من فروع التغيير في سياسة الوزارة البريطانية بمصر حرمان اصحاب المقطم من ترجمة
التقرير السنوي بالمرية وطبعه واهدائه الى المشتركين في جريدتهم وبيع طائفة منه
فلما جاء الموعد وظهر تقرير العميد الجديد بمصر بالانكليزية والمرية في وقت
واحد كالعادة قالوا « ما أشبه الليلة بالبارحة » ورأوا صدق قول لورد كرومر « يذهب
انكليزي ويحيى انكليزي » قد نسج غوردست على منوال كرومر ورى عن قوسه
قالوا إلا في مسألة الصلة الشخصية بالامير فان هذا يحاسنه بقدر ما كان ذلك يحاشنه

وصرح بعض الأحزاب بان هذه الحاشية تخشى ولا ترجى ويقول آخرون غير ذلك وسترينا مصداق أحد القولين حوادث الأيام ، لاسيما بعد زيارة الأمير ملك الإنكليز في هذا العام ، ومهما قيل في هذا التقرير وما قبله من حيث السياسة فلا خلاف في ان هذه التقارير توازي رسمية ، لإدارة البلاد المصرية والسودانية ،

كلمات لقاسم بك أمين

كان قاسم بك أمين الذي نعيناه الى القراء في منار الشهر الماضي يكتب بعض ما يسنح له من المآل التي فيها عظة وحكمة وما يمن له من الآراء والمخاطر او يراه من غريب المناظر . وقد أتى الى ادارة الجريدة ما كبه من ذلك فطبعته وأطلقت عليه هذا الاسم «كلمات لقاسم بك أمين» فكان زهاء ستين صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وجعلت ثمة عشرة قروش صحيحة تعظيما لقيمتها المنوية وانا ننقل من فرائد تلك الكلمات أحسن نموذج للقراء وهو :

الحرية الحقيقية تحمل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

ان الذي يمدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك

رب كلمة يتجرعها الخليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك

ودخل في مودتك

نصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهرين الدين والعلم وليس بصحيح ان يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسدة على الاستقراء فها كثر معارف الانسان لا تملأ كل فكره — بعد كل اكتشاف يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسألة يحلها تظهر مسألة جديدة تعالجه بحلها . الآن وغدا يشغل عقل الانسان بالعلم أي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنه ذلك من التفكير في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف . هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار له ولا حد لافي الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس ، والمنكر بجازف جاوز حد العقل والعلم ، وأبفض منهما من يخادع بدينه فيقول ان كان الله غير موجود ماخسرت اكثر من غيري وان كان موجودا رجحت مع الرايحين لذلك اومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصان أحد حتى الاله من نصبه أنفس البرية انسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليها لذنها وينقص عليها شهرتها
وسنشر بعض آرائه في أهل عصره

شفاء المحين

قصة في جزئين من وضع اسكندر دوماس الفرنسي الشهير وترجمها بالربية حنا افندي الصنحوري الشاب الدمشقي الذي نبغ في آداب هذه اللغة في سن العبا نبوغا قلما قار به في مثله احدهم المشهورين بالترجمة والكتابة في هذا العصر ولولاه لان فاجأته المنيقة في نحو الثامنة والعشرين من سنه لرأينا من آثار قلمه ما يمد من آيات حياة العربية قلما رأيت ترجمة لاحد من الكتاب المروفين كترجمة هذه القصة تكثر فيها فرائد اللغة التي هجرها الكتاب قللة اطلاعهم وتزين بالامثال والاقباس والتضمين وحل المنظوم من كلام الشعراء الاولين المجيدين وقيل فيها الاغلاط الشائمة الآن طبع القصة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في جزئين واهدى اليها نسخة منها وعهد اليها ان لا تكتب عنها شيئا الا بعد قرائتها قلنا لا بد لهذا من سبب فلما قرأنا صفحات منها علمنا انه عهد اليها بذلك لعله بأننا نعرف قيمة هذه الترجمة البليغة . وثمن الجزئين مائة عشرون قرشاً وهي طلب من طابعها

(القطر المصري) مجلة سياسية أسبوعية تؤيد سياسة الحزب الوطني بمصر انشأها أحد افندي حلبي أشهر محرري جريدة اللواء في عهد مؤسسها واذا كان من مروجي جريدة اللواء بقلمه كما هو معروف فلا غرو أن تروج مجلته وهي كبيرة الحجم قليلة الثمن اذ قيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في السنة

الفصل الخامس (*)

« مقام خديجة » عند قومها

ما كرم هذا المقام إراني بليغ لا تأخذه الهية إذا دعى لتصور هذه المنزل ؟
 سيدة بطلتها الصغمة والشرف يتجلىان ، والجمال والكمال يتألقان ،
 ومزايا كالزهر قصباً وطيباً وكزهر السما بهاءاً ونورا
 من شرف حسب ، الى كرم عند ، الى سؤدد جميل ، الى عز عشيرة ،
 الى جمال ذات ، الى كمال صفات ، الى فضل حجب ، الى طهارة نفس ، ذلك
 ما كانت تزين به سيدتنا « خديجة » ، وذلك ما كانت تحمل به بين قومها في
 المكانة العالية والمقام الكريم

هذه المزايا ليست بالبدع من الاشياء ، ولانباها بغريب من الانباء ،
 بل هي مهبودة في كثير من النسوة ، ومع ذلك لم يكن لاسمهن نصيب
 بنير الخمول ، قد طويت أعلامهن ، ولم ينشر ذكركهن ، ولم يسم في
 أمواسن مقامهن ، فكيف تسمى اسم « خديجة » وطأت منزلها ؟

انما كان لخديجة ذلك الشرف بشيء آخر غير مزاياها . ذلك الشيء
 هو ارتقاء مدارك قومها وسلامة أذواقهم وحسن انتظام مجتمعاتهم . وليس
 بكافر لتعالى امرئ ان يكون كاملاً بل بدمع ذلك من احاطة قومه
 علماً بفضائله ووجود ميل فيهم للفضائل والكمال ومن المشهور ان الحجارة

الكرامة عند من لا يعرف منزلتها لا قيمة لها وهي عند عارفها فوق القيم
فالحنى ان ارتفاع من يستحق الرفعة في قوم ليس دليلاً على فضله وسعاده
جده وحده بل هو دليل ايضاً على فضل اولئك القوم وسعاده جدم ،
فقد ربح قوم كان للافضل منزلة كرامة لديهم ، وخسر قوم لا يملو بينهم
الا من استعان بجيش من الحيل والخداع ، وحواشٍ من النقائص المتغلبة
على الطباع ،

واذا كنا محبين بالسيدة « خديجة » لوفرة مزاياها الشريفة فنحن
بقومها الذين شرفوا هذه المزايا أشد إعجاباً . وليست « خديجة » وحدها
هي التي نالت مقاماً كريماً في قرش بل كثير من فضليات نسايتهم نلن المقام
الكريم فيهم وكان لكثير منهن آثار مشكورة في مساعدة الاسلام القدي
نقل العرب وغيرهم الى أعلا مما كانوا فيه ولم يستطعن ذلك الا بالحن من
القدر القدي يليق بالانسان ذي رأي مدود وعقل مذكور ، وقس مشابهة
وحسبك من هذا ان ذلك الرجل العظيم عمر بن الخطاب ابا العدل و ابا
الفتوح و ابا السياسة والادارة لم يكن اسلامه إلا بمعاورة سيدة من اولئك
السيدات القرشيات هي اخته فاطمة زوجة ابن عمه سميد بن زيد بن عمرو بن قهيل
نحن نعلم أن أكثر الناس يمرون بالمرية يهدون أمثالها فلا يفتنون اليها
ما لم تكن رائحة وفوق ما اعتادوا وهذا عندنا صار لان فيما يهدونه ايضاً
ما يستحق الالتفات اليه ، ونفري بالانتفاع منه ان كان مفيداً ، والنتاقل
عن الانسان المفيد اذا لم يكن فوق المادة بوصل الى الحرمان البتة من ذلك
الرائع المشهود ، والساني القدي هو فوق اليهود

ولا يشكن القارىء في ان كثيراً من الاشياء التي صرفتنا الألفة عن إجلال شأنها هي في جلالة الشأن عند الإيمان فوق ما تتصوره وفي كثير مما لا تفكر فيه منها ما نخر الافكار صاغرة أمام زاهر فوائده وباهر أسرارها فلذلك أحيانا ان نمر بقارئنا مرة في تفصيل جملة تلك المزايا التي شرفها قوم «خديجة» حتى كانت بها كريمة المقام فيهم لانه ربما اختلج في صدره التعجب من إكبارنا شأن مزايا معبوده في كثيرين وقد يكون قارئنا من حزب الاكثرين الذين لا يبالون بالمعبودات ، ولا يطربون بغير الثرائب

نعم ، نعم نحن لم نطرف بما فوق المعبود ، ولم نهد ما وراء المشهود ، ولا عذنا بمبتدعات التصور ، ولا لثنا بثرائب الحوادث ، وشواذ المصادفة وخوارق المادة ، ولم نمت الى افئدة القراء الا بمعروف له أمثال ، ومألف لا تضيق بتصديقه الافكار ، ولكن الامر عندنا في هذه المعبودات على ما قلنا . واذا ثبنا اليها بنظر الإيمان غير وسنانه ميين بصيرتنا ألقينا فيها عند سأم النفس من لذة الحس ، أعظم ما تنوق اليه من لذة التصور وقائدة الإدراك

واذا كانت الحياة واحدة كان جديراً بنا ان نقف متذكرين هذه الوحدة ابدأ أمام كثرة اختلاف المظاهر وشدة احتجاب الاسرار ولم يكن حسناً بنا ان ننسى أحسن ما تله لنا هذه الام من الصور التي لا تحصى اتنا بتذكركنا من سادوا وشادوا ، وبتذكركنا من صلحوا وأصلحوا ،

بتذكرنا من أوجدوا وابتدعوا - تذكر تاريخ امنا الحياة ورتاح نفوسنا
 باستجلاء أحسن صورها ، وتوارد عليها اللذة باشتياقها الى نصيب من
 ثروة تلك الام التي جادت بمقادير منها عظيمة على اخوتنا أصحاب تلك
 المظاهر ولاسي تلك الصور ، ولم لا تتوق الى حديث ذلك التراث وهو
 يملأ كمنوزاً ان عجزت أفكارنا ان تحيط بكنه جواهره خبراً فهي لا تستجز
 ان تأتينا بلذة من التأمل في بديع كيانها والامل يلوغ ما تميل اليه
 النفس منها

الفصل السادس

فضائل « خديجة » والفضائل عند قومها

تبارك واهب الحياة ، فقد أبدع لنا في « خديجة » المثال الاسنى منها ،
 وأطلع لنا في شخصها زواهر الانسانية الفضلى ، وبنور هذه الزواهر رأينا
 مدارك قريش في الافق الأعلى ، وتربتهم الادبية والعقلية في المنزلة العليا
 نحن مشرقي الحياة متفاوتون كثيراً في قوى النفوس وأكثرنا في
 الحقيقة مغبون الخط ، منقوص النصيب من القوى التي تكون بها الحياة هنيئة
 شريفة مسمدة لصاحبها وغيره وقليل منا من رزقوا فضلاً من هذه القوى
 النافعة الآتية بالنبطة والجور . ولدى التأمل نجد اعتماد فطرة الشخص
 هو الاساس في حسن الخط من هذه القوى النافعة ثم للتربية دخل كبير
 فاذا اجتمع في الشخص اعتماد حسن وتربية حسنة كان حظه عظيماً من

فضائل النفس وقد اجتمعتا في «خديجة» فرأينا في سيرتها ذلك المثال السني،
والكمال السني

عرفنا حسن استمدادها لان الترية وحدها لا تقبل شيئاً في جوهر
النفس اذا كان غير صالح لقطعها كما لا يصلح الماء، لان تطهير فيه ما تشاء،
وعرفنا حسن تربيتها لان الاستعداد وحده لا يسير بصاحبه الى المرغوب
في المجتمع

ومن حسن استعداد هذه السيدة وحسن تربيتها عرفنا شيئاً آخر
جديراً بالتنبؤ وقلماً رأينا من نوره به او اثبت اليه فلذلك عينا به نحن
كثيراً في صدد هذه السيرة وهو ارتقاء قوم «خديجة» ارتقاء عظيم فان
الترية الشخصية مقتبسة في الغالب من الترية العمومية . والمجتمع غالباً
اشبه بالمرآة يرننا من الاشياء مقبولا ومردوداً وسكوتاً عنه . ونشهر
المقبولات حتى يطلق عليها اسم المعروف، والمردودات حتى يطلق عليها
اسم المنكر، ويضطر الناس الى تمرير ترية عمومية هي ان لا يخالف المعروف
ولا يوافق المنكر، ويبقى للناس سبيل في المسكوت عنه من الاشياء حتى
يرى كل منهم رأيه فيها فهذا يستحسن شيئاً حتى يوجب على نفسه، وذلك
يستطيع شيئاً حتى يجرمه عليها . وأقل الناس في هذه الاشياء المسكوت
عنها من جمل المعروف والمنكر معياراً كما فكل ما قرب من المعروف كان
حسناً ويكون وجوبه على حسب درجة قربه من المعروف، وكل ما قرب
من المنكر كان مستزلاً ويكون حظره على حسب درجة قربه من المنكر .
والاصل في المنكر هو الاذى والمدوان وعليه تقيس الاصل في المعروف
قياس الضد فالاصل فيه العدل والاحسان

فلى هذين الاصليين تقوم دعامة النظريات في التربية وعليهما تشاد الاعمال فيها

وأي باحث لا تأخذه هية اذا اطعم على ما كان لقوم خديجة. من التعمق في دقائق هذا الفن من حيث النظر، وعلى بدائع النتائج فيه من حيث العمل، أي والله ان هؤلاء القوم انما زلزلوا في ذلك البلد الصغير البعيد، واخوانهم الآخرين الضاريين في تلك النياقي، يدهش المطالع ما يراه لهم من الباع الطويل في فن التربية على مقتضى مجتمهم ذلك. فترحم مثلاً لما كانت السعادة ضرورية ولا سيما لذلك الاجماع جعلوها في المنام الاول ولم يأوا بطعمها في النفوس حتى نبع فيهم أجواد بنقوا بهمتهم في الجود الكواكب وازينت اذرض بمقتضى مجتمهم، واشار اخبرهم الانسان على انفسهم، كما فعل كعب بن مامة الذي أثر رفيقه بماته ومات هو عطشاً

ولما كانت الشجاعة ضربة لازب لكل شخص وكل جماعة في كل زمان وكل مكان تجدم جعلوها شعاراً للحامد وتاج المناقب وسيروا فيما ضروه من الامثال قولهم «الشجاع موقى، والجبان ملقى» وكانوا ينادحون بالموت قتلاويتهاجون بالموت على القراش ولما بلغ عبدالله بن الزبير - وهو ابن أخي خديجة - قتل أخيه مصعب فخطب فقال «ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه. اننا لانموت حنفاً ولكن قطعاً بأطراف الرياح وموتاً تحت ظلال السيوف. وان يقتل المصعب فإن في آل الزبير خنفاً منه، ذلك لانهم كانوا يكرهون الحياة اذا لم تشرف ويروون الحياة الرذيلة معرضة للعدم أكثر من الحياة الشريفة ولعل هذا يقول علي ابن أبي طالب «بقية السيف أنمي

عدداً، وأطيب ولداً» وتقول الخنساء وهي إحدى الشهيرات في العرب:
 نهين النفوس وبذل النفوس من يوم الكربة أبقى لها
 لا يستكرن أحد اذا قيل له ان الشجاعة وهي السجية التي لا رقى
 الام اذا خلت منها كانت في العرب من الاخلاق الفاضلة التي لا يمتدون
 بأحد منهم ما لم تكن فيه وقد سهل على قوسهم انطباع هذا الخلق فيها لان
 أكثر شيء كانوا يتناقلونه هو حديث الشجعان واقدامهم في الشدائد
 حتى فضلاء والجناء واحجامهم فيها حتى ردلوا وهنالك من الشمر في
 الشجاعة والشجعان ما يفعل في النفوس فعل السحر فيستزلها من الخوف
 على الحياة والمهرب بها الى الخوف على الشرف حتى تهون النفوس في
 سبيله كقول عنترة وهو أحد مشهور شجعانهم:

بكرت تخوفي الخوف كأنني أصبحت عن غرض الخوف بمنزل
 فأجبتها ان المنيّة منزل لا بد ان أسقى بكاس المنهل
 فأقني حياء لا ابالك واعلمي أنني امرؤ ساموت ان لم أقتل
 وقد يظن ظان أن شجاعة العرب وبأسهم لم يكن الا فيما بينهم ومثل هذا
 الظن من قلة الاطلاع على جملة أخبارهم فنحن لا نزيد ان تأتي بآية على
 شجاعتهم مما فعل هؤلاء القوم بمد إسلامهم فان ذلك مشهور ولكن حسبنا
 ان ندل القاري على ما كان من بأس العرب يوم ذي قار اذا أراد كسرى
 أن يوقع سواد بني بكرين وائل لسبب لا محل لتفصيله فجهز عليهم
 جيشاً كبيراً ليهلكهم به ويلتهم خبره فتجزوا له واعانهم قبائل أخرى
 فتوافوا بواد اسمه ذوقار وكانت الهزيمة على جيش كسرى حتى تبعهم
 العرب الى داخل البلاد الفارسية وهي واقعة مشهورة كثرت فيها الاشعار،

وظهر فيها مالا لشجاعة من الفضل في كسب الفخار، وحي القمار، وإتمام العار،
وفي هذه الواقعة يقول الاعشى اعشى بني بكر:

وجند كسرى غداة الخو صبحهم	منا غطازيف ترجو الموت والصرفوا
لقوا ململة شبيهة يقدمها	للموت لا عاجز منا ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة	موفق حازم في أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاءهم	مثل الاسنة لا ميل ولا كشف
لما رأونا كشفنا عن جاجنا	ليماؤا انا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والمهندي يحصدهم	ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل ممد كان شاركا	في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم	منا يبيض مثل الهام تحتطف
إذا عطفتنا عليهم عطفة صبرت	حتى تولى وكاد القوم يتصنوا
بغارق وبني ملك مرازمة	من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجانة في البحر أحرزها	تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل في حافات جمهم	والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الحدود صدود عن سيوفهم	ولا عن الطعن في اللبأت منحرف

وفي هذه الواقعة يقول العديل بن الترج العجلي:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة	الا اصطليتنا وكنا موقدي النار
وما يمدون من يوم سمعت به	لنناس أفضل من يوم بذى قار
جثنا بأسلابهم والخييل عابسة	لما استلبنا لكسرى كل أسوار

وفيها يقول شاعر آخر من بني مجل

ان كنت ساقية يوماً ذوي كرم فاسقي الفوارس من ذهل بن شيبان

واسقي فوارس جاءوا عن ذمارهم وانجلي مفارقتهم مسكا ورجعا
وهي واقعة شهيرة ظهرت فيها الشجاعة العربية أكل منتهر وكان
المنذر لهم بنية كسرى وعزمه لقيط الاياي اذ كتب الى بني شيان
يخبرهم بذلك في شعر مشهور غاية في البلاغة والتحميس واستثارة الزائهم
وفيه يقول :

قوموا جميعاً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا وقد ينال الامن من فزعنا
وقلدنا أسركم لله دركمو رجب الذراع بأمر الحرب مضطامنا
لا مسترقاً أن رخاء العيش سائده ولا اذا عصى مكروه به خشنا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبجاً طمورا ومتبجاً
حتى استمر على شئز مربرته مستحکم رأي لا فحماً لا فزعاً (*)
وليس يشغله مال يشيره عنكم ولا ولد يبغي له الرضا
فلي مثل ما ذكرنا كان نصيب العرب عامة وقبيلة خديجة خاصة من
الشجاعة التي لا قوام للامم بدونها وكانوا لا يستدون بالجبان ولا يعدونه
شيئاً مذتورا . ينالك بذلك قول احد شعرائهم

خرجنا نريد مغارنا وفينا زياد ابو صصة
فتنه رط به خمسة وخمسة رط به أربعة

ثم لم يكن نصيب قوم خديجة ، في قه انفس والحكمة والمعارف
بأقل من نصيبهم العظيم في الشجاعة فقد كانوا يتنافلون المعارف ويتدارسونها
من غير كتب وكانت لهم الامم قبل بحركات الكواكب والانواء التي

(٥) الرية طاقه الجبل والجبل أشد البتل . والشئز اقتل . عن اليسار
ولكن استحكم امره وفوت شكمته . واتقمم ازجل الحرم والنصر الضعيف

تنبها . وهو يقتضي شيئاً من معرفة الحساب وكان لهم معرفة غير قليلة
 بالطب وحفظ الصحة سواء كان طب الانسان او طب الحيوان . والطب
 يقتضي ايضاً نصيباً من علم الخواص التي اودعها البارى في المعدن والنبات
 والحيوان . اما معرفتهم بالاخبار اي التاريخ فحدث عنها ولا حرج وكلاهما
 يعبرون عن هذا العلم بعلم النسب فان علم النسب في الحقيقة ليس عبارة
 عن معرفة نسب الاشخاص والقبائل فان هذه معرفة بسيطة لا تستحق
 ان تسمى علماً وإنما كانت النسابون يعرفون أخبار أولئك الاشخاص
 وأخبار تلك القبائل وهذا هو التاريخ وربما كان الـ . بسبب في اشتهار هذه المعرفة
 باسم علم الانساب أن دار في الاخبار كان اليهم المرجع في معرفة الانساب
 التي من أهم نواتجها معرفة تفرع القبائل والحقائق المتروكة بأصولها على
 شدة البعدين الاصول وتلك القروء أحياناً . وقد كان منهم اختصاصيون
 بهذا العلم يلقون منه على من يتعلقون حولهم . قال رؤبة بن العجاج
 قال لي النسابة البكري يارؤبة لملك من قوم ان سكت منهم لم يسألوني
 وان حدثهم لم يفهموني ، يعيب بذلك على الذين لا يرغبون في تاتي هذا
 العلم حق الرغبة قال رؤبة فقلت له : اني أرجو ان لا اكون كذلك . قال
 فما آفة العلم ونكرته وهجته ؟ قلت : تخبرني : قال « آفة العلم النسيان ،
 ونكرته الكذب ، وهجته نشره عند غير أهله »

وأما الحكمة والآداب والبيان فقد بلغ فيها هذا الشعب العربي من
 الانصباب على حفظها ودراسته الكلام الجوامع فيها مبلغاً عظيماً وبمكنتي
 ان أقول انها من أشهر ما اشتهر عنهم .

وهل يجد الباحث معنى من المعاني التي يخطر للنفوس فيها الاستعسان

أو الاستهجان إلا ويحمد لهم الشافي الراقي من البيان في تصويره وإبرازه بأبداع حلة ولا يبتكع بيمض ذلك شيء كالماثور من كلهم الجوامع التي سارت مسير الامثال ، وكانت كالدرر الفرائد بين سائر الاقوال ، ولا نستطيع ان نأتي هنا بقليل من ذلك الكثير لكيلا نبعد بالقارىء عن سباق السيرة ولكننا نذكر خبراً واحداً يدل على مقدار عناية العرب بهذا كرم الحكم والآداب ، وصياغتها بأبداع البيان ، ومقدار ما وسعت منها تلك الأفكار . ذكروا ان عمرو بن الطرب المدواني وحمة بن رافع الدوسي اجتماعاً عند ملك من ملوك حمير فقال : تسألا حتى اسمع ما تقولان . فقال عمرو لحمة ابن نجب ان تكون أيدبك ؟ قال « عند ذي الربة العديم ، وعند ذي الخلعة الكريم ، والمسر العديم ، والمستضعف الحليم » قال : من أحق الناس بالمت ؟ قال « الفقير المحتال » والضعيف الصوال ، والفني القوال « قال فن أحق الناس بالمت ؟ قال « الحرص الكاند ، والمستعيد^(١) الحاسد ، والمخلف الواجد » قال من أجدر الناس بالصنعة ؟ قال من اذا أعطى شكر ، واذا منع عذر ، واذا مظل صبر ، واذا قدم العهد ذكر » قال من أكرم الناس عشرة ؟ قال « من اذا قرب منع ، واذا ظلم صفح ، وان ضيق سمح » قال من ألام الناس ؟ قال من اذا سأل خضع ، واذا مثل منع ، واذا ملك كنع^(٢) ، ظاهره جشم ، وباطنه طبع »^(٣) قال فن أجل الناس ؟ قال « من عفا اذا قدر ، وأجل اذا امتصر ، ولم تظنه عزة الظفر » قال فن أحزم الناس ؟ قال « من أخذ رقاب الأسود بيديه ، وجبل

(١) المستعيد هو المستعطي (٢) متى كنع هنا انكسر (٣) الطبع فتحسين

المواقب نصب عينيه ، وبذ التهب دبر أذنيه « قال فن أخرج الناس ؟ قال من ركب الخطار ، واعتسف المثار ، وأمرع في البدار قبل الاقتدار ^(١) » قال من أجود الناس ؟ قال « من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود » قال فن أبلغ الناس ؟ قال « من حلّى المعنى العزيز ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزير » قال « من أنعم الناس عيشاً ؟ قال « من تحلى بالعفاف ، ورضي بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف ، الى ما لا يخاف » قال فن أشقى الناس ؟ قال « من حسد على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر الندم ، على ما أنعم » قال من أغنى الناس ؟ « قال من استشعر اليأس ، وأظهر التجلل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم » قال فن أحكم الناس ؟ قال من صمت فاذكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر » قال من أجهل الناس ؟ « قال من رأى الخرق مغنياً ، والتجاوز مغرماً »

وما ذكرناه من جهة معارف القوم الذين نشأت منهم هذه البديهة كاف في الدلالة على انه كان من جملة ما يعنون به من التربية تكثيف أشقيهم بما عندهم من المعارف على الطريقة التي ألفوها وتمودوها في التلميم وهي الطريقة الطبيعية الماذجة الخالية من الاصطلاحات والتعاريف والتفاصيل التي يحتاج اليها نفر قليلون ويستغني عليها الآخرون . ولكل فرع أهله الذين بهم استعداد لا لتقاطعه بسهولة ولا يكلف البليد في شيء ان يكدر في فهمه مدرسته ، أو ينضي في حفظه ذاكرته ، أو في توسيعه مخيلته

ثم قد كان مما عني به العقلاء من رهط خديجة التربية على العدل ولقد اسلفنا شيئاً عن ولهم به وحرصهم على حماية المظلوم ووقاية المهضوم

وكذلك ولعوا بتمداح النفاق وتشريف الاعفاء والمفاخر، واجلال الطهارة وأهلها وكان من أكرم أئمتهم وأجلها لقب الطاهر والطاهرة وقد حازت السيدة « خديجة » هذا اللقب الشريف باستحقاق اذا كان يقال لها « الطاهرة »

فاذا عرف المطالع الكريم ان هؤلاء القوم حظاً كبيراً من هذه الاشياء التي هي اصول الفضائل نفى السماحة والشجاعة والحكمة والآداب والبيان والعدل والتعفف كان جديراً به ان لا ينظر الى صغر شأن ذلك المجتمع اذا قورن ببلاد الحضارة فان الفضل الانساني الممنوح من يد القاطر المدع لا يتوقف على زخرف البيوت وكثرة الدار وفي البلد الواحد بل يصل ذلك الفضل بإرسال وباتي من يده سبحانه الى الثرات الصغيرة التي في الادمغة ويختص به سبحانه أفراداً ممن عنا بتوجيه العنول والقلوب الى تصفية النفس وتركها من النقائص وتخليتها بالفضائل ممن لم يجمعوا أ كبرهمم تجويد المأكل والملبس والسكن والاراش . فاذا كثرت من هؤلاء الافراد في أمة ظهرت وان حل الخفاء بهم واستوفت وار بنحس الوزن لهم ، ولم يكن الافراد الذين تقوم اعمدة الفضل الانساني من الاحسان الرباني قليلين في قوم « خديجة » الفاضلة بل كانت كثرتهم خير مقدمة لخير نتيجة هي ظهور ذلك الرسول الكريم الذي كان من أ كبر بميزات جماعته الاسمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اولئك الذين وافهم الوحي بنعتهم بعام أهلهم قائلاً « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

بمقتضى المحكمة من يتقدم من قضاة المحكمة هذا وهي
تجدا كبيرا وما يذبحه الا اولا الا بطلب

المسحاة
١٣١٥

فيهر جادى الذين يستعملون القول فينبورى حسنة
أولئك الذين صدقهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى ٥ منارا ٤ كنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الاثنين ٣٠ جادى الأولى ١٣٢٦ - ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ ﴾

المسلمون والقبط

سبق لنا قول في هاتين الطائفتين بمصريتنا فيه ان المسلمين من حيث هم افراد ارقى من القبط في كل علم وان القبط من حيث الاجتماع والتعاقد المالي ارقى من المسلمين فلمهم مجلس ملي وجمعيات وجرائد دينية تبحث دائما في مصالحهم العامة من حيث هم قبط وهم يتعاونون ويتحدون في المصالح . وهذا ماحمدتهم واحمدهم عليه واتمنى لو يوفق المسلمون لمثله وان كنت أعلم انه لو أنشأ المسلمون جمعية للرابطة الاسلامية كجمعية الرابطة المسيحية لنا وجدوا في القبط مثل احمد بك زكي يقوم فيها خطيبا ويجعل عنوان خطابه « مصريون قبل كل شيء » بل يخشى ان قوموا كما قوم اوروبا ويقول الجميع ان المسلمين في مصر يحبون التعصب الاسلامي والجامعة الاسلامية ويدعون الى ارتباط بعضهم ببعض لمقاومة النصارى في مصر بل في جميع الارض

لم تكدر قرة شقيقة احمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية الى توثيق عقد الاخوة بينهم وبين القبط وبقنهم بالادلة الدينية والتاريخية ان الاسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها ان حقوقهم مهضومة بين المسلمين وانهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين واموري المراكز منهم فواقعتهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم فلم يقنهم ذلك بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا انفسهم اصحاب البلاد وجعلوا المسلمين من قبل المحتلين بغير حق واغلظوا القول للواء والحزب الوطني فكتب الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً قتيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم وهزى بهم

واقترح عليهم فكان ذلك جل ما ينفون من حركتهم الجديدة (١) قامت قيامتهم ولم يكتبوا بما يكون كل يوم للشيخ عبدالعزيز من الصيغان الكثيرة في مقابلة صاعه بل انشأوا يكتبون في جرائدهم ان المسلمين يريدون بتعصبهم الديني استئصال القبط وجميع النصارى من مصر وانه يجب عليهم ان يوفدوا الوفود الى أوربا للاستغاثة بدولها واعمالها المسيحية قبل ان يبيدهم المسلمون المتعصبون او يضطروهم الى الجلاء عن بلادهم والهجرة الى بلاد أخرى يأمنون فيها على انفسهم من المسلمين ثم هم يطلبون ايضا معاقبة الشيخ عبد العزيز شاووش الذي أهانوه أضعافاً هائلاً وان يرد عليه ويتبرأ منه كبراء المسلمين ، ويقعدون الاندية والسهار للبحث في هذه النازلة ويكتبون بالاموال لها

من علم ان القبط في القطر نحو نصف مليون في نحو أحد عشر مليوناً من المسلمين — وان العمال والمستخدمين منهم في الحكومة أكثر من المسلمين — وان المسلمين قاموا منذ سنين يدعون الى الرابطة الوطنية فكان لهذه الدعوة من التأثير في

(١) مما كتبوه من التحرش باللواء والحزب الوطني قبل مقالة الشيخ عبد العزيز التي جعلوها تكاثفهم في اثبات ذلك انظر المزعوم من تعصب المسلمين على النصارى ماجاء في العدد ٣٦٩٨ من جريدة مصر الصادر في ٩ يونيو الماضي وهذا نصه :

اللواء والاقباط

« انا بالنيابة عن جميع الاقباط في كافة انحاء القطر تقابل ماجاء بصحبة اللواء امس من الوقاحة والسفاهة بالازدراء والاحتقار . فانه اذا بلغ المرء مبلغ اللواء من قلة الادب والحياء نحو شعور امة برمتها لم يجد من الناس من يصنى الى قوله او يلتفت الى وقاحته بل ينبذ نبد النواة ويترك يتبع نبح الكلاب وليس من يسمع له قولاً » ثم استشهدت جريدة مصر على ان القبط كلهم على هذا الرأي بالتفرقات الكثيرة لما تكلمه وعبرت عنه بقولها « في خدمة الوطنية والحق اللذين خلق (أي اللواء) لها عدوا ليخزي هو واتباعه (أي الحزب الوطني وسائر محبي اللواء) اذا كان من القوم المدركين ، ولم يكن اللواء كتب شيئاً بلسان الحزب الوطني ولا بلسانه

نفوس القارئين والسامعين، والاساتذة والمعلمين، أن صار يفضل كثير منهم القبطي، على المسلم الشامي والحجازي . . . ، بل سمعت غير واحد من المعلمين والمثلمين يقول لا فرق عندي بين أن يكون أمير البلاد مسلماً أو قبطياً - وأن المسلمين جعلوا أحزابهم وأنديتهم شرعاً بينهم وبين القبط - وأن القبط يتمصب بعضهم لبعض في كل مصلحة وكل عمل حتى في القضاء - وأن المسلمين على شنتهم في انتقاد حكاهم قلما يتقدمون القبط فهم يتقدمون وزير المعارف المسلم على إحسانه في عمله بحجة أنه لم يكن فيه مرغماً للانكليز ولا معانداً لهم أو أنه يجب عليه أن يعمل أكثر مما عمل ولا يتقدمون وزير الخارجية القبطي الذي هو الصق بالمحتلين وبالاتفاق مع مستلخ لورد كرومر السودان من ملك الدولة العلية وملكه للانكليز وكان رئيس محكمة دنشواي التي ظلت الجرائد الاسلامية تعبر وتسب العضو المسلم فيها ولم تذكر رئيسها بسوء - من علم هذا وأمثاله يتمجب أشد التمجيب لهذه الثورة المعنوية التي أثارها القبط في الوقت الذي يبالغ فيه المسلمون في موادتهم وتوثيق عرى الاخاء بينهم وبينهم . حقا ان في الامر مثارا للعجب ، وقلنا رأينا من بحث في حقيقة السبب ، يقول بعض الناس تبعا لبعض الجرائد أن قبطي الرحا لهذه الحركة اخنوخ افندي فانوس رئيس جمعية الرابطة المسيحية ومجمع الاصلاح القبطي وصاحب جريدة مصر اللذان يسعى كل منهما لجعل ولده مديراً فهما اللذان أيقظا هذه الفتنة لخصي فكانت فتنة جنسية او طائفية باتباع الجمهور لها . ومن رأيي أنهما بريئان من هذه الهبة ولو كان ذلك هفوة لهما ، لما خفي على جمهور عاقلتهما الحازمة اليقظة ، بل يغلّب على ظني ان هذه الطائفة تجلّ عن أن توصل الى تقرير جعل المديرين منها بهذه الوسيلة لان ربح مدير لا يوازي خسارة مودة المسلمين لهم ، ودعوتهم الى مساواتهم وموالاتهم - هذه الخسارة التي تعرضوا لها الآن ، بمتى ما عندهم من الجرأة والإقدام والراجح عندي ان القوم شرعوا بالتغير الجديد في السياسة وعلم بعض كبارهم بالنيا الذي نشرناه في الجزء الماضي قبل ان نعلم به - وهو عزم الانكليز على السماح لأمير البلاد بإنشاء مجلس نيابي - ومن البديهي ان جمهور القبط لا يرغبون في ان يكون في مصر مجلس نيابي ولا أن يقلل المحتلون من سيطرتهم على البلاد . فلما علموا بذلك

رأوا أنه لا سبيل إلى تحويل الانكليز عن هذه السياسة الجديدة إلا باقتناع امتهم بانفجار بركان تعصب المسلمين على القبط وسائر المسيحيين ليقولوا ان هؤلاء اذا جعل لهم رأي نافذ في سلطة بلادهم بهضمون وهم الاكثر من حقوق الاقلين. وانني لمعظم لقدرم بهذا الظن ومعتقد فيهم الحزم والتكاف وان ترجع عندي انهم ربما أخطأوا في اجتهادهم ، وجاء الأمر على خلاف مرادهم ، وحينئذ يكون شر هذه الحركة اكثر من خيرها ، وإنما اكبر من نعمها ،

سما غير واحد من أهل الفهم والرأي يقولون إن تعصب القبط بعضهم لبعض وتعاونهم على مصالحهم الملية يمد من الأمور الطبيعية في الاجتماع فان الفئة القليلة إذا لم تعتمد بعمرة التعصب فانها تذوب وتفتي في الامة الكبيرة التي تعيش معها فاقبض مددورون في سيرتهم التي هم عليها لأنها طبيعة لا بد منها

وقول نعم إن ذلك طبيعي وبيهي ولكن ما كان كذلك يجب الاعتراف به ويستنكر وجوده فما بالك بادعاء ضده . ثم انه ليس من الطبيعي البديهي أن تكون الفئة القليلة في الامة الكبيرة مهاجمة في جهادها الاجتماعي فتطلب ما تبغي بالطريقة التي جرت عليها القبط في هذه الأيام الا إذا كان لها حدث جديد ، أو أتت الى ركن شديد ، يعبرون عن أنفسهم في مقام مطابة المسلمين بما يطلبون بالامة القبطية ويبدأون بأنهم أصحاب البلاد ، لأنهم سلاله فرعون ذي الاوتاد ، ويهجرون بأن المسلم فيها أجنبي محتل ، وأتأوي معتد ، ويشكرون على المسلمين أن يكون لهم فيها حق من حيث هم مسلمون فأنهون ، ولا ينكرون على أنفسهم أن يدعوا الحقوق فيها من حيث هم قبط مسيحيون ، وهم في الحقيقة رعايا ذميون ، فما هو الحدث الجديد الذي أنفلقهم بهذا اللسان ، وما هو الركن الشديد الذي يأوون اليه الآن ،

لا يظهر لنا حدث غير ما يثاء من تغير السياسة الانكليزية في البلاد وعزها على السماح للأمبر بتأليف مجلس نيابي فيها يشترك معه فيما يسوونه مسؤولية إدارتها . ولا نعرف لهم ركناً فيما صمدوا اليه الا رغبة السياسة الأوروبية عامة والانكليزية خاصة في نبز نهضة المسلمين بالتعصب الديني — فهذا مارأوه من موقع الضعف في المسلمين والقوة لهم ، لهذا جعلوا قول الشيخ عبد العزيز شلويش وهو على رأيهم دخيل في مسلمي

مصر برهاناً على ان في مصر تمصّباً إسلامياً لا يلبث ان ينفجر بركانها فيدفن القبط وسائر النصارى معهم تحت مقذوفاته النارية . وقد طلبوا من الحزب الوطني ان يتبرأ من هذا القول ففعل ومن العجب انهم لم يرضوا . ويقال انه قد تجددت لهم صلة ودية برئيس أساقفة الكنيسة الانكليزية ، وأنه رغب اليهم في الرجوع اليه ، والتعويل في رغائبهم عليه .

ولكن قاتهم على حذفهم أن السياسة (لا سيما الانكليزية منها) اذا قررت أمراً أنفذته لاحالة لا يصدها عنه مراعاة فئة صغيرة ولا كبيرة ، ولا مسألة اختراعية كمسألة التمسك الاسلامي ، وحقائقية كإزالة السلطة الشخصية وحماية الحرية القومية ، فنبشروهم بأن السياسة الجديدة التي ينشأ منها في الجزء الماضي واقعة ملها من دافع . وأمر مجلس النواب في هذه البلاد صار موكولاً الى ارادة أميرها باختيار المحتلين ورضاهم أو كاد . فان نجحت الحركة القبطية فخصارى نجاحها ان تكون سبباً في تأخيرها عاماً أو أكثر وما ذلك بالرغم الكثير في جنب ما يخسرون من مودة المسلمين بما اشتملت عليه مقالهم من التهم بمجد الاسلام الاول والشامة بزواله كالتعبير عنه « بالمظلة البالية » ورمي المسلمين السابقين بظلمهم وظلم غيرهم ، واللاحقين بالتمسك عليهم وعلى أهل دينهم ، وبمطالبة جميع كبراء المسلمين وكتابهم بأن يعتذروا لهم عن مقال الشيخ عبد العزيز وان كانوا هم البادئين بالعدوان وقد أصرّوا عليه بجعل ذنب الشيخ عبد العزيز ذنباً لجمهور المسلمين ، وبالسعي في جمع كلمة نصارى السورين والروم والأرمن اليهم لمقاومة المسلمين كما روي لنا ويؤيده ما يكتبون في الجرائد ، وبترجمة الأقوال السيئة التي يكتبونها ويكتبها الآخرون باللغات الأوروبية ، لا يهيام أوربا ان في البلاد تمصّباً ربما يفضي الى ثورة دينية ،

أول خسارة خسروها بهذه المغاضبة هي اعتقاد المسلمين ان دعوة الوطنية التي قاموا بها في هذه السنين قد كانت خساراً عليهم وربما القبط وحدهم . فان دعاة هذه الوطنية من المسلمين كانوا يبنون بها ان يتحدوا بالقبط ويتعاونوا معهم على مقاومة السلطة الأجنبية ولذلك رضوا بأن يساووهم ويؤاخوهم مع العلم بأن الحكومة في صفحتها الرسمية إسلامية تابعة لخليفة المسلمين باتفاق الدول ، بل غضوا النظر في الغالب عن

رجحانهم عليهم لهذا الغرض . فحين لم ان القبط لا يرضون بهذا الاتحاد من كل وجه بل يستفيدون منه ويحولون دون استفادة المسلمين شيئاً منهم ، حتي نفي التعصب عنهم ، ثم يبنون أعمالهم كلها على أنهم أمة متميزة لا عضو في جسم الأمة المصرية او الشعب المصري - وانهم لا يرضون بمقاومة الاجنبي ولا يودون استقلال البلاد دونه - وانهم اذا وجدوا فرصة لمواثبة المسلمين واثبوم من أضعف جانب فيهم كنبزهم بلقب التعصب ومعاداة النصارى في هذه الأيام . فاذا كانت نتيجة دعوة المسلمين الى الوطنية المصرية بلسان جرائدهم وخطبائهم واحزابهم وعد القبطي أخألم ، والمسلم غير المصري « دخيلاً » فيهم ، ان تقوم عليهم جرائد القبط وجميعياتها الدينية ، وأنديتها القومية ، ترميهم بالنار في التعصب والتواطؤ على إبادة النصارى فأى فائدة لهم في هذه الوطنية ؟ بل أي غائلة شر عليهم منها ؟

أقول إن في هذا خساراً للقبط لأنه ربما يفري المسلمين بمناظرتهم والتشبههم في جميعياتهم الدينية وترجيحهم لأبناء ملتهم في جميع الأعمال والمصالح . واذا دب في المسلمين الشعور بوجوب ترجيح المسلم على القبطي كما تفعل القبط فان ذلك يثر حرمان ألوف من القبط من موارد الرزق السائغة في دوائر المسلمين الخاصة بل ربما يعوزهم معه - اذا تمادى وعظم - اقيام باستغلال أرضهم كما يستغلونها الآن بمساعدة المسلمين . دع عنك مصالح الحكومة التي أكثر عمالها من القبط ولولا تساهل المسلمين وعدم عنايتهم بالمسابقة والمناظرة لكان الامر على غير ما هو عليه الآن وناهيك بالخسارة المعنوية التي هي عند أهل الآداب العالية شر من خسارة المال وهي ما يخشى ان يكون من انقطاع والتدابير بين العشاء والخطاء والجيران والأصدقاء

فالرأي عندي للقبط أن لا ينجروا بترجيح بعض الجرائد الأفرنجية لأصواتهم في الشكوى من المسلمين والقول بتعصبهم ولا من سرور بعض الانكليز به - ان كان ما قيل من ذلك حقاً - فانهم مها أصابوا من تعضيد في مشاقة المسلمين فهو لا يكون خلفاً صالحاً لمودتهم فيما أرى . فأنصح لهم أن يتوبوا مما فعلوا ويعتذروا عنه ويعودوا الى سابق شأنهم أولاً خير منه ان استطاعوا المسلمون تغلب عليهم سلامة القلب فلا يلبثون

ان يغفروا لهم، وينسوا ما كان منهم، ففي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي « المؤمن غر كريم » أي ليس بذئ نكر ولا مكرو ولا خداع . ولولا انني أحب الرفاق لما نصحت لهم بهذا فاني أعلم ان هذه المشاقة لا تزيد المسلمين الا قوة في رابطتهم الاسلامية التي أدعو اليها ، وحفظا لحقوقهم التي أغار عليها ، ولكنتي أفضل أن يكون تتيبهم لذلك بغير هذا ، أحب ان يتصموا بحجل الله جميعاً ولا يتفرقوا وان يكونوا مع ذلك على وفاق ووثاق مع من يعيش معهم . وأنصح للمسلمين ان لا يكتبوا شيئاً في الرد على القبط — ولولم يكتبوا في الماضي ما كبر السكان خيراً لهم أحسن إطفاء لتلك الفتنة وخذلانا لموقفها . ولكن لا بأس ببيان عدد الموظفين منهم في كل مديرية وذكر الوجة في تعصب بعضهم لبعض ، وتماونهم المالي المحض ، من باب بيان الحقيقة والاعتبار بها ، بشرط ان يتحرى الصريح ، ولا تخرج الرواية بشيء من التأنيب والتجريح ، فضلاً عن المحجر والتقيح ،

وما يحسن البحث فيه ايضاً بيان ان القبط لا يمازرون بحق رسمي على غيرهم من النصارى المتجنسين بالجنسية المصرية من السوريين والأرمن والروم ومن اليهود ايضاً وانما ميزهم المسلمون في مقالاتهم وخطبهم التي يجعلون فيها المصريين عنصرين فقط ويعدون القبط لإخوانهم دون غيرهم من الذين جعلوا مصر وطناً لهم وبدعم القانون المصري مصريين لولا ذمتهم بمصر او لا قامتهم فيها ١٥ سنة او أكثر فالتسب القديم ليس شرطاً للوطنية ولا للجنسية عند أحد من الامم ولا في شيء من قوانينها . فاذا كان من الحق مطالبة القبطي بأن يكون مديراً كان من الحق ان يكون السوري الذي تجنس بالجنسية المصرية مديراً ووزيراً ، فالحق انه لا فرق بين ابن اخوخ افندي فانوس ، وابن يعقوب افندي صروف ، فالوطنية الحقيقية هي المساواة بين جميع العناصر التي تقيم في البلاد ونحكم بقوانينها . الا أن يكون للطائفة الحاكمة بعض المزايا في القوانين العامة وطبيعة الحكومة

فما يبحث فيه هنا طبيعة الحكومة المصرية ودينها الرسمي فاذا كانت لا تزال حكومة إسلامية خلافاً لما يقول بعض القبط علم ان طلب هذه الطائفة مساواة المسلمين في كل شيء في غير محله . واذا كانت قد خرجت عن كونها إسلامية وعن كون

أمرها وكلا تليفة المسلمين فيجب البحث في تعيينه للقضاة الشرعيين ، ولادارته لأوقاف المسلمين ، وتعيينه للخطباء وأئمة المساجد ونحو ذلك من المسائل الشرعية هل هي مع ذلك حقوق شرعية له أم هو لا يملكها الآن إلا بالتغلب والقوة المستمدة من القبط وغيرهم دون ولاية الشرع لأن البلاد خرجت عن كونها دار إسلام ؟ بهم المسلمين جدا ان يعرفوا ذلك لأنه يترتب عليه احكام شرعية كثيرة منها ما هو ديني محض وما هو مدني شرعي

تسمي القبط ما تطلبه الآن مساواة بالمسلمين وهو مساواة من وجه وامتياز عليهم من وجه آخر . فاذا كانت حكومة مصر غير اسلامية وكان المسلمون فيها لا يمتازون بشئ قط فلماذا تكون أمورهم المالية الخاصة كالحكام الشرعية والأوقاف والمدارس الدينية تحت سلطة الحكومة المشتركة وتكون امور القبط المالية وأوقافها في أيديها ؟ اليس يكون هذا من امتياز القبط على المسلمين ؟

يفلب على ظني ان زعماء الحركة القبطية اذا فكروا في الأمر من جميع وجوهه فانهم يفضلون السكون والسكوت على التنادي في هذا العدو والصياح الا ان يكون الركن الشديد الذي يأوون اليه قد ضمن لهم ان يكونوا هم الرابحين بمشاققتهم للمسلمين وإثارتهم لسخطهم وتعرضهم لمقاومتهم

لو لا أنني اظن صدق الخبر الذي اوردته في الجزء الذي قبل هذا عن السياسة الانكليزية الجديدة بمصر لقلب على ظني ان الركن الذي تأوي اليه القبط في هجبتهم هذه هي السرالدين غورست نفسه والوزارة الانكليزية من ورائه أما وأنا مصدق لذلك الخبر فلا يبعد عندي ان يكون ركنهم بعض المحافظين من الانكليز ورئيس اساقفة كينستهم (كنبري) والا كانت القبط طائفة حمقاء وما عهدتها الا طائفة كياسة وروية ، وحزم وتدبر ، وستزيل لنا الايام ، بين الحقائق والأوهام ،

فاذا فازت القبط في سعيها فامتنع الانكليز عن السماح للامير بانشاء المجلس النيابي وقرر بالفعل انه لا فرق بينهم وبين المسلمين في الحكومة - وما ذلك بمحال -

فأنتي أشهد القبط بأنها أرقى طوائف الشرق الأدنى في السياسة والاجتماع وجميع مقومات الحياة المليية لا أقرون بها تركيا ولا عريا سوريا ولا غير سوري ولا أرمنيابل ولا يهوديا . ويتبع هذه الشهادة انها تكون احق في الواقع ونفس الامر بالحكم في البلاد ، وتُعَد في التشرف الى الاستقلال ، وتكون مصيبة في تسمية نفسها « امه » ، وحقيقة بان تكون في المستقبل ذات دولة ، ويقال انها تطمع في ذلك فان صح ما قيل كان برهاناً على علو همتها ، وثقتها بنفسها في وحدتها

وخلاصة القول ان طائفة القبط قامت تطلب مطالب لنفسها من حيث هي امه ومن حيث هي صاحبة الحق في حكم البلاد وظهر انها فيه متكافئة متضامنة متحدة فاقبتها افراد من المسلمين بصفتهم الشخصية لا باسم حزب من الاحزاب ولا جمعية من الجمعيات وواقها بعض آخر كما واقها الاحزاب وهي مع ذلك تنسب مناقشة الفرد الى الحزب اولى الامة . وقد استعمل بعض الكتائين من الفريقين المجر والسباب ، والتنازع بالاقاب ، فكانوا فيه سواء ، الا ماهو من صناعة البلاء ، ولكن القبط تطلب ان يعتذر لها الجميع عن الافراد ، وهي لا تتندر للجميع عما قول بلسان الجميع ، فاذا قلنا ان الفريقين قد تعادلا في الاهانة قساقطا فليس لاحد حق في ذلك على آخر جي معنا انه ليس في البلاد وطنية حقيقية ، وأنه لا يزال يطلب على الفريقين نزع الرابطة الدينية ، (وان تنصل من ذلك كل منهما) وأن هذه الحركة أضعفت مقام بعض الأحزاب والافراد ، من الدعوة الى المساواة والاتحاد ، وان القبط أعرق في النزعة المليية ، وابتعد عن حقيقة الوطنية ، اذ من مقتضى الوطنية ان لا يطلبوا لأنفسهم شيئا من حيث هم قبط وان لا يسموا انفسهم امه وأن لا يتعصب بعضهم لبعض في المصالح والاعمال ، كما يعرف كل احد منهم الآن ، وأن يرضوا بما تختاره الحكومة من التدرج في قتل البلاد من حال الى حال ، أو يكتفوا بيث رغائبهم الى وزيرهم الناصح لهم ، الغيور عليهم ، المتفاني في ترقينهم ، وهو لا يدع فرصة يتمكن فيها من اعطائهم حقا جديدا الا ويتهزها ابتزازا ويجعلها سيفا في يده لا عكازا

واذا كان الأمر كذلك في الوطنية ، وفي هذه الحركة القبطية ، فما هو تأثيره

في رغبة المسلمين وهي المجلس النيابي وفي رغبة القبط وهي نيل ما بقي من أعمال الحكومة بين الوزارة والقضاء كالمديرية ومأمورية المركز ؟؟
اما الأول فن الجلي الواضح ان ضعف الوطنية ، لا يقتضي ان تبقى حكومة البلاد استبدادية ، لأن حكومة الشورى أبعد من الحكومة الشخصية المطلقة عن الظلم غالباً ، ولذلك فرح مسلمو روسيا بإنشاء مجلس النواب (الدوما) في حكومتهم على قلوبهم في جانب الروس المشهورين بالتمصب . على انه إذا فرض ان الحكومة الشخصية المطلقة خير للقط من جهة التمتع بالوظائف فان ذلك الحظ الذي يصيب افراداً من فئة قليلة في الأمة الكبيرة لا يصلح مرجحاً لعدم ترقية حكومتها لأن ذلك ترجيح للأفراد القلائل على الجمهور الكبير فهو من قبيل ترجيح المصلحة الخاصة على المصلحة العامة

وأما الثاني فإذا فرضنا ان حكومة مصر خرجت عن كونها اسلامية والبلاد عن كونها دار اسلام فن السياسة والحكمة في الادارة ان لا يكون القبطي الآن مديراً في مديرية فيها مئات الألوف من المسلمين وليس فيها إلا آحاد الألوف أو المئين من القبط وان ينتظر في ذلك تكون الوطنية الحقيقية ، التي تمزج فيها جميع العناصر المصرية ، فلا ينزع احد منها الى الامتياز بجنسه ونسبه ، ولا يدينه ومذهبه ، فان استعجلنا فحلمنا القبط مديرين لامور المسلمين ، والخال على مانعلم منهما ، او ما يدعي كل منهما ، فاننا نكون قد أثرتنا العلوان ، وأرثنا الأضغان ، ووضعنا في طريق الوطنية سداً لا يندك ولا يظهر ، وعقبة لا تزول ولا تقتمح ، او قدما النتيجة على المقدمات ، وطلبتنا الثمرة ، قبل خروج الشجرة ،

فالمعقول إذاً ان تكون حركة القبط الجديدة مبعدة لهم عن مطلبهم الظاهر ، ولكن ربما لا تكون مبعدة عن غرضهم الباطن ، والله أعلم بالسرائر ، وانما نحن نحكم بالظواهر ، وهذا ما رآه الكاتب فيه من الصواب ، فان تبين له انه مخطئ فيه بادر الى التائب ، واستغفر ربه وخزراً كما وأثاب

فَيْتَابُكَ الْمُبْتَانِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتسريح غالباً ورمزاً قدمنا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ولن يفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة قال لم تذكره كلنا نادر صحيح لا نقاله

بحث ما ومن وتفسير سورة الكافرين ١٠٦

(س ٥) من محمد حبيب افندي عامر وكيل تلغراف (بليس — شرقية)

حضرة العلامة المفضل صاحب المنار

بعد السلام والتحية نرجوكم ايضاح معنى لفظة « ما » وما تشير اليه في قوله عز وجل — لا اعبد ما تعبدون ولا اتهم عابدون ما اعبد — فاني إن أعطيها حكم غير العاقل كفاعتها النحوية استحال ذلك على المولى سبحانه وتعالى وان اعطيها حكم العاقل فالأصنام وما كانوا يعبدون ليست بذئ عقل أفيدوني مأجورين والسلام

(ج) قالوا ان لفظ « ما » هنا أريد به الصفة اي «المبود» واذا أريد بها الصفة تطلق على العاقل وغيره . وجوز بعضهم ان يكون اطلاقها على الله عز وجل بعد اطلاقها على الاصنام من قبيل المشاكلة لاجل التناسق في التمييز . ولعل السائل يعلم انه قل عن سيويه وغيره ان كون « ما » لما لا يقل أعلي لامطرده والشواهد عليه من التنزيل وكلام العرب معروفة . قال الزمخشري في الكشاف : «وما» عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفناك قول العلماء « من لما يقل » اه اي فاطلقوا «ما» على العاقل في نفس القاعدة التي ذكروا فيها ان « من » خاصة بالعاقل . وفي حاشية الامير على المفتي بعد ذكر عبارة الكشاف : قال التنازاني اي يصح إطلاق ما على ذي العقل وغيره عند الابهام لاستفهام او غيره فاذا علم ان الشيء من ذوي العلم والعقل فرق بمن وما فتخص « من » بالعاقل و« ما » بغيره . وبهذا الاعتبار يقال ان ما لتبعر العقلاء . واستدل على اطلاق « ما » على ذوي العقول باطلاق

أهل الرية على قولهم « من لا يعقل » من غير تجوز في ذلك حتى لو قيل « لمن يعقل » كان لغوا بمنزلة ان يقال : الذي عقل عاقل . فان قيل كان الواجب هنا ان يفرق بما ومن لان ما يعقل معلوم انه من ذوي العلم . قلنا نعم لكن بعد اعتبار الصلة أعني « يعقل » . واما الموصول نفسه فيجب ان يعتبر مبها مرادا به شيء ما ليصح في موقع التفسير بالنسبة الى من لا يعلم مدلول « من » ولتقع وصفه يعقل مفيدا غير لغو . ومحصله انك ان لاحظت العاقل من حيث انه عاقل استعملت فيه « من » وان لاحظته من حيث انه شيء ما استعملت فيه « ما » كما تقول : ما لانسان ؟ اه وانت تعلم ان (ما) في السورة ليست لبيان ان مدلولها عاقل او عالم بل لبيان انه شيء معبود فاستعمل فيه اللفظ العام الذي قسره الصلة هذا . راتي رأيت بعض الناس لا يفهمون معنى السورة وقد سألتني غير واحد بالمشافهة عن معنى ما فيها من صورة التكرار فأحييت ان اورد هنا ما كتبه الاستاذ الامام في تفسيرها تمة للفائدة وهو :

« الكافرو المعاند الجاحد الذي إذا رأى ضياء الحق أغضض عينه ، وإذا سمع احرف من كلمتسد أذنيه ، ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه ، ولا يدعن حجة إذا اخترقت فواده ، بل يدفع جميع ذلك حبا فيما وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله ، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه ، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه (٢٢:٨) ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٢٣ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) . بعض هذا الصنف بل الغالب من أفرادهم يقول للداعي إلى الحق أو يحدث نفسه ليلها عن فهمه : الام يدعونا ؟ إلى الله فنحن نفتقده ؟ إلى توحيده فنحن نوحده ؟ وغاية ما في الأمر تتخذ شفعا اليه ، نسأله بحقهم عنده أو بمكائتهم لديه ، إلى عبادته فنحن نركع ونسجد له ؟ وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعه عنده وتوسل اليهم ليتوسلوا اليه . هذه وساوسهم وهذه أمانيتهم فأراد الله سبحانه أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق صلى الله عليه وسلم بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له (١) قل يا أيها الكافرون ٢ لا أعبد ما تعبدون (أي ان الاله الذي تزعمون

أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبدته لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفاء أو الولد أو الذي يظهر في شخص أو يتجلى في صورة معينة أو نحو ذلك مما تزعمون وإنما أعبد إلهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به الحكم (٣) ولا أتم عابدون ما أعبد أي أنكم لستم بعبادين إلهي الذي أدعوا إليه كما تزعمون فأنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب إليه، بتعظيم الوسائط لديه، فتوسلتم بها إليه، وتعتقدون أنه يقبل توسلها عنده، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد فلهذا لا تعبدون ما أعبد بل تعصونه وتحالفون أمره. ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعاتهم، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمائهم، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به أو في خلواتهم، وهم على اعتقادهم بالشفاء — عبادة لله خالصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضلهم في شيء، نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته قال (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم) فها هذه مصدرية وليست بالوصولة مثل التي تقدمت أي ولا أنا بعباد عبادتكم (٥) ولا أتم عابدون ما أعبد أي ولا أتم عابدون عبادتي. ففاد الجلتين الأولين الاختلاف التام في المعبود ومقاد الجلتين الآخرين تمام الاختلاف في العبادة فلا معبودنا واحد ولا عبادتنا واحدة لأن معبودي ذلك الإله الواحد المتزه عن التدن والشفيع، المتعالي عن الظهور في شخص معين، أو الحجابة لشعب أو واحد بعينه، الباسط فضله لكل من أخلص له، الآخذ قهره بناصية كل من نابذ المبنيين الصادقين عنه، والذي تعبدونه على خلاف ذلك. وعبادتي مخلصه لله وحده وعبادتكم مشوبة بالشرك مصحوبة بالغفلة عن الله تعالى فلا تسمى على الحقيقة عبادة فإن هي من عبادتي (٦) لكم دينكم) دينكم مختص بكم لا يتعداكم إلي فلا تظنوا أنني عليه أو على شيء منه (ولي دين «هـ») أي ديني هو دين خاص بي وهو الذي أدعوا إليه، ولا مشاركة بينه وبين ما أتم عليه، ولا يخفى أن هذا المعنى الذي ينهيه هو ما يهدي إليه أسلوب السورة الشريفة خصوصاً هذه الآية الأخيرة «لكم دينكم ولي دين» فإنها صريحة في أن المراد في الخلط المزعم وما دلت عليه السورة هو ما دلت عليه آية (٦: ١٥٩) أن الذين فرقوا

(*) لفظ «دين» مضاف إلى «التكلم المحذوفة لاجل الوقف

ذبنهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) أي لعلقة بنك وبنهم لاني المعبود ولا في العبادة. وأما ما قيل من غير ذلك فإن صبح شيء بما ورد فيه فاحله على معناه مستقلاً عن معنى السورة ولا تغتر بكل ما يقال فأفضل ما تفهم هو أقرب ما يفهم والله أعلم اهـ

❦ القنوط ❦

(س ٦) ومنه :

حضرة العلامة الفضل صاحب المنار الفراء . بعد السلام والتحية — أرسدونا أرسدكم الله : « هل ما يسمى (القنوط) المتعارف والمستعمل بين أفراد الأمة المصرية في الأفراح وما شابهها سواء كان ذلك بالتقديرة أو ما يقوم مقامها محل أم محرم وما الدليل أفيدونا مأجورين » :

(ج) كل ما يندل من لمال بالرضا والاختيار تبرعاً فلا حرج على بذله ولا على المبذول له إلا أن يقصد به الاعانة على عمل محرم كالفسق والفساد في الأرض والقنوط لا يقصد به شيء من المحرمات فيما نعلم وإنما هو إكرام من قبيل الهدية والاصل في جميع التصرفات المالية الإباحة فالقول بها لا يحتاج الى الدليل وإنما يستدل على المحرم لأن التحريم خلاف الاصل

❦ حذث من زار قبر والذبه يوم الجمعة ❦

(س ٧) من الشيخ احمد شرف الدين بالازهر

حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا المحترم

سلام على حضرتكم ورحمة الله. اما بعد فقد جعني وجماعة من اكابر علماء الازهر الشريف مجلس فسمعت منهم حديثاً لم اسمعه من قبل وحيث لم ار عليه بلاغة سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم ولحضرتكم سعة اطلاع على السنة الصحيحة اردت عرضه على مسامح سيادتكم حتى اذا كان صحيحاً أيدتموه ونشرتم ذلك بتماركم المغني. وان كان ضعيفاً أو غير حديث اوضحتم سبيلهم لكم الفضل والحديث هو (قال صلى

الله عليه وسلم من زار قبر والديه يوم الجمعة فكأنما حج ومن زار احدهما فقد أتى بمرة) واذا صح هذا فلا لوم اذا على مزاحمة النساء للرجال في زيارة القبور لان كلا يريد ان يحج

(ج) الحديث ظاهر الوضع ولم أر من خرج بهذا اللفظ وقد علمت ان من علامات الحديث الموضوع بناء الثواب الكبير على العمل القليل . وقال في الفوائد المجموعة حديث « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة غفر له » في اسناده وضاع وله شاهد في اسناده ضعف . وروي « من زار قبر ابيه او أمه او عمته او خاله او احد اقاربه كتب له حجة مبرورة » ولا أصل له اهـ

ولعله يعني بحديث الشاهد « من زار قبر والديه او احدهما في كل يوم جمعة غفر له وكتب براء » لما فيه من الزيادة عزاءه في الجامع الصغير الى الحكيم الترمذي عن ابي هريرة وعلم عليه بالضعف وفي اسناده محمد بن النعمان مجهول وشيخه يحيى بن العلاء الرازي البجلي متروك بل قال الامام احمد انه كان يضع الحديث فهو موضوع لاضيف ولا شك عندي في ان كل ما روي في هذا المعنى موضوع اختلقه المختلقون بعد اعتياد الناس زيار قبور الاقربين في ايام الجمع ولم يكن ذلك من سنة النبي ولا اصحابه في شيء

زيارة الحرم النبوي واستئذان ملك الموت على النبي (ص)

(س ٨ و ٩) من محمد افندي حلي الكاتب الاول لمركز المسلية (السودان)

حضرة سيدي الحبيب النسيب الفاضل الانعم العلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله . عليكم منا السلام والرحمة والبركة والا كرام وبعد فأرجو من فضلكم وكرم اخلاقكم المشهورة الاجابة على السؤالين الآتين وارجو ان كان سبق لسيادتكم التكلم عنها في مجلدات غابرة ان تفيوني عليها واكون ممنونا جداً لو تفضلتم وتكرمتم بذكرهما في أول عدد لاهمية لزومهما عند الجمهور خصوصاً في هذه الاصقاع ولا خلاف بأن فضيلتكم أصبحت مشهورين بالعلم والفضل في جو علوم العربية بل صرتم لنا من اركان الاسلام والله على ما أقول وكيل وهو حسبي ونعم الوكيل

(المترج ٥٠ ١١) زيارة المسجد النبوي . استئذان ملك الموت برفقة النبي ٣٥٣

س ١٠ « هل زيارة الحرم المدني سنة وهل كل احد مكلف بزيارته بعد الحرم المكي

س ٢٠ « هل ملك الموت قد استأذن سيدنا محمداً في قبض روحه الشريفة وكيف كان ذلك وهل صح انه لم يسبق له أن استأذن على أحد قبله كما يزعمون او يذيعون ؟ هذه هي اسئتي ياسيدي وقد اقمت المجادلين لي في السؤال الاول قلا عن اغائة اللفان للامام الحجة ابن القيم فلم يقتعوا واما السؤال الثاني فلم اتكلم عنه بشئ لعدم معرفتي حقيقته ولم اغتر في الكتاب المذكور على شئ بخصوصه وجميع المجادلين لي ابوا ان يقتعوا حتى ينظروا جوابكم بالمترج لاعتقادهم فيهم من الاهالي والمستخدمين . ومن المستخدمين مشتركون في مجلتكم الزاهرة ولكن كلفوني أن اكتب انا وعلى اي حال فاننا ممنونين ونجدنا متظرين بخارج الصبر اقدم

زيارة مسجد الرسول (ص)

أما الجواب عن الاول فهو ان زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مندوب اليه لا مفروض على المسلمين كالحج كما يتوهم العوام . وحسبك في الترتيب فيه قوله (ص) « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » رواه احمد البخاري ومسلم وغيرهم من حديث ابي هريرة . واحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وغيره . وقوله « لا نشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » رواه احمد البخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري . ورواه غيرهم عنهما وعن غيرهما

استئذان ملك الموت على النبي (ص)

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الحديث في ذلك لا يصح ولا عبرة بسكوت بعض أهل السير عليه ولا بذكره في بعض الخطب التي قلما تحرى أصحابها الصحاح من السنن والآثار بل أولع أكثرهم بالواهيات والموضوعات

(المترج ٥) (٤٥) (المجلد الحادي عشر)

روى حديث استئذان ملك الموت على النبي صلى الله عليه وسلم ونجده قبض روحه الشريفة الطبراني في المعجم الكبير عن جابر وابن عباس في حديث طويل قال المحدثون انه منكر في إسناده عبد المنعم بن ادریس الجاني القصاص عن أبيه عن وهب بن منه . قال الامام أحمد كان يكذب على وهب بن منه . وأبو ادریس متروك أيضاً قاله الدارقطني . ورواه أيضاً من حديث الحسين بن علي وهو منكر أيضاً في سنده عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث . وقال أبو حاتم متروك

الرد على كتاب اللورد كرومر

صاحب الحق لا يكت عنه وان طال عليه الامد وانا سنشر في النار بعض مانكتبه في دفع هجمات اللورد فيما كتبه عن الاسلام ونودع جميع مانكتبه في مصنف خاص . ونتمد في أقواله على ترجمة المؤيد (مع تقيح ما في العبارة) فنبداً ببارته ثم قسم القول وزد على كل قسم منه بالتفصيل

﴿ القسم الثاني ﴾

« كلامه في الاسلام والمسلمين »

قال اللورد في سياق الكلام في المقابلة بين الانكليزي والمصري ما ترجمته : « قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية من جملة الموانع الكائنة بين الانكليزي والمصري فان الانكليزي على كونه أحد أفراد العائلة الأوروبية من جهة التمدن العمومي يحاول أكثر من كل أوربي آخر أن يصل الى اسنى درجات الرقي من التمدن المسيحي أي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح (في المعاملة) ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر . يحمله على ذلك تلك المبادئ القديمة التي جاءت من أسلافه والدم البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه .

دومن الجهة الاخرى يرى المصري متمسكاً كثيراً بدين الاسلام وهو التوحيد الشريف الذي ينوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلدان الشرقية

(المترج ٥٠١١) الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو نظام ٣٥٥

وهو وسيلة للاتحاد العام بين جميع المسلمين من دلي الى فاس ومن الاساتذة الى زنجبار اذ يتحولون للصلاة نحو منبع دينهم وهو قبلتهم .

« فها هي القواعد الاساسية لهذا الدين الذي أثر تأثيراً عظيماً في الجنس البشري ؟ انها مبنية في القرآن الشريف وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ولكن عظمتها الاصلية وسهولتها لم يبتا بأكثر بلاغة مما بينها به اتباع النبي الاولين الذين انطرحوا عند قدمي ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته لم من اعتداء عرب قریش إذ قالوا « ايها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأثي الفواحش وقطع الايحام ونسي الجوار وأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع (أي نترك) ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وأمرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهاننا عن الفواحش وقول الزر وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به »

« هذه هي قواعد الدين الاسلامي . ان العمل بهذه القواعد قد افاد مئات الملايين من الذين اعتنقوا الاسلام — وخصوصاً الفقراء بينهم — عزاء روحياً فضلاً عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وأمل الخلود في العالم الآتي . ولا رب أن الهيئة الاجتماعية الاصلية تستفيد كثيراً من اعتناق الدين الاسلامي . وقد قال السيرجون سيلي عما عرفه بقوله « قوة الدين التي تنشئ الممالك » ما يأتي

« أينما وجدت قبيلة بربرية قد رفعت نفسها يوماً ما حتى ارتقت عن حالها الهمجية ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك عادة بواسطة اعتناقها الدين الاسلامي » اهـ « ولسوء الحظ نرى ان المصلح العربي العظيم الذي قام في القرن السابع (يريد به محمداً صلى الله عليه وسلم) قد اضطرته دواعي مركزه يومئذ الى القيام بأكثر من تأسيس دين . انه حاول ان يوجد نظاماً اجتماعياً . فكانت النتيجة لهذا النظام هي التي وصفها المستر ستانلي لايون بول — وهو الرجل الذي راقب مراقبة دقيقة ما في الاسلام من

وجوه القوة والضعف - إذ قال « ان الاسلام عظيم من حيث كونه ديناً وقد علم الناس أن يبدوا لها واحداً عبادة طاهرة وقد كانوا من قبل يبدون ألهة كثيرة عبادة غير طاهرة ولكن الاسلام اخفق اخفاقاً كاملاً بصفته نظاماً اجتماعياً »

قال لورد كرومر : ان الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام من حيث هو نظام اجتماعي متعددة (أولاً) وأعظمها مكانة ان الاسلام يجعل المرأة في مركز منوط جداً . (ثانياً) ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن أكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفريق او التغيير فتج عن ذلك ان ثلاثي من النظام الاجتماعي ماقه من المرونة . فان المصري حتى الآن اذا لجأ الى الشرع في امور الوصاية فان قضيته يحكم بها بمقتضى المبادئ الضيقة التي وضعت لها يوافق احوال الهيئة الاجتماعية الاولى في شبه جزيرة العرب في القرن السابع

« ومنذ سنوات قليلة أي سنة ١٨٩٠ أوضح مفتي الديار المصرية الاكبر كيف تعاقب عصابات اللصوص التي يثبت ارتكابها لجريمة الاعتداء بالسلاح لئلا على احدى القرى فقال انه يمكن ان يعاقب المجرم على ستة وجوه مختلفة فاما ان تقطع يده ليمنى ورجله اليسرى ثم يقطع رأسه او يشوه جسمه كما تقدم ثم يصلب بعد ذلك او ان يقطع رأسه فقط او ان يصلب فقط أو أن يقطع رأسه . اولاً ثم يصلب بعدئذ . وأفاض المفتي في تقريره عن كيفية صلب المجرم وهو ان يربط الرجل الى صليب في شكل معين ثم يوخز بحربة في الجانب الايسر وتبقى الحربة وهي مخز في محل الجرح الى أن يموت

« ثم ان بعض المسلمين قد عمدوا بنية حسنة الى تشويه الشرع المقدس . اذ اقفوا خواطرم في اختراع وسائل يريدون فيها ان يبينوا ان مبادئ القرن السابع الشرعية ونظامه الاجتماعي يمكن تطبيقهما على مجربات أقرن الشرين المدنية ولكن المادة المبينة على القانون الديني مؤيدة بالمعلاة في اكرام الشارع الاصلي قد قيدت جميع المتعلقين بالاسلام بقيد من حديد لا سبيل الى النجاة منه . وقد قيل « ان الانسان عاش في القرون الوسطى ملفوفاً بقلنسوة الكاهن » قالسم الصحيح في الايام الحاضرة ملف بالشرع اكثر من التفاف الناس باقلنسوة في القرون الوسطى .

(ثالثها) ان الاسلام لا يشجع على الرق ولكنه يتساهل في الاسترقاق. فقد قال السيد (امير علي) «ان محمدا وجد تلك العادة سارية بين الوثنيين من العرب فحضر من هذا الشر» ولكنه عجز من الفاتنة تماما أما أتباعه فقد تناسوا وعدم تشجيعه واجمعوا على اباحة الرق وجعله عنوانا لسلوكهم . ويليق بنا ان نقول في هذا المقام ان من الامور التي توجب الخجل على المسيحي انه لم يكف قبل الآن بان يستبعد السيد بل ارتكب اقبح من ذلك فكان يتخطفهم على ان الديانة المسيحية لم توافق مطلقا على الرق . « وقد اشتهر أخيرا ان الاسلام دين خال من التسامح وهي شهرة صحيحة من بعض الوجوه ولكن لا بد من تحديد وايضاح لهذه الهمة العامة . نعم ان اتباع النبي شهِروا الحرب على الذين اعتبروهم من الكافرين وقد علمهم دينهم انه يجوز استرقاق غير المؤمن متى اخذوه اسيرا في الحرب وزد على ذلك أن الخصاصم الطائفي كان كثيرا قَام السنيون في وجه الشيعيين واضطهد السنيون الوهابيين بدون شفقة — على أن الخروج عن الاسلام يعاقب عليه بالموت وقد كان هذا العقاب ينفذ فعلا منذ سنوات غير كثيرة . ونرى من الجملة الاخرى أن توريج الاسلام لم يشوهد شي من مثل تاريخ ديوان التفتيش وزد على ذلك ايضا أن المسلم اذا لم تؤثر في نفسه طوارئ خاصة مثيرة لمواطنه فهو لا يتأخر عن أن يعامل اليهودي والمسيحي يتساهل يشو به شيء من الاحتقار . ففي قرى الصعيد بلت المهلال والصليب والجامع والكنيسة جنبا إلى جنب سنوات كثيرة

ومع اذ ذلك نرى الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل واتناء الحقد والاحتقار لالمشركين فقط بل يشرك معهم جميع المؤمنين الذين لا يقولون إن محمداً هو رسول الله (ثم أخذ يصف الاسلام فقال) : «ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر ان ينتقم لنفسه من أعدائه وأن يضرب من يضربه عينا بعين وسنابن وعليه تجدان الاسلام يختلف عن النصرانية في انه يغرس في العقول ان الانتقام والكراهية يجب أن يكونا أساساً للعلاقات بين الرجل والآخر بدلا من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يتحدث بفضا خاصا للذين لا يقبلون الدين الإسلامي . يقول القرآن (٤٧ : ٤) فاذا قُتِلَ الذين كفروا فاضرب الرقاب حتي إذا اتخضوهم فشدوا الوثاق ٧ يا أيها الذين

آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضلّ أَعْمَالُهُمْ ... ١٢ ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمنون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)
وقد علق اللورد على الآيات في ذيل الصحيفة قوله - « ومن الجهة الاخرى نجد في سورة البقرة قوله (٢ : ٢٥٦ لا اكره في الدين) قالا أقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة في القرآن لا يمكن التوفيق بينها ولعل السبب في ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنيّة في الاكثر على الحوادث الجارية وعلى أحوال شخصية في حياته » نعم ان محمداً انما أشار في طعنه على الكافرين بوجه خاص الى الوثنيين الذين أقاموا في زمنه في شبه جزيرة العرب ولكن الذين فسروا القرآن بعد ذلك جعلوا تلك الطاعن موجهة الى المسيحيين واليهود وهذا الذي يفهمه الآن جم غفير من المسلمين . أنيست كلمة الغازي وهي اسمى لقب يطعم باحرازه أي ضابط في جيش السلطان معناها : من يجارب في سبيل الاسلام والبطل الشجاع الذي يذبح كافرًا ؟ ألا نجد ان كل عالم ألقى الخطبة في الجامع يستنزل غضب الله على رهوس غير المومنين بصراحة واضحة في كل زمان وبصراحة تزداد كثيراً عند وجود ظروف تضرم شعلة التعصب ؟ . ألا يجب أن تعتبر كل بلاد غير اسلامية ودار حرب ، « فتى علمنا ان مثل هذه المبادئ ما برحت تفرس في أذهان المسلمين كل القرون الماضية لا نجد باعثاً على الدهشة من نمود روح علم التساهل فيهم »

ثم قال بعد الامتنان على المصريين باعطاء الانكليزي لهم ما لا طيلانهم وترقيته لعقولهم وآدابهم :

« ومع ذلك فان المسلم المصري - مع انه يكره الباشا التركي ويخافه الى حد أنه يدرك الفوائد التي أجزلها له الانكليزي ويعترف بسمو مداركه وكفائته - فهو على كل ذلك لا يقد أن ينسى ان الانكليزي يلبس على رأسه برنيطة وهو يلبس طربوشاً أو عمامة . ومع انه يقبل المنافع بمزيد الارتياح فهو يذكر دائماً ان اليد التي منحتها ليست يد مسلم وهذا الامر يؤثر في نفسه أكثر من كون الانكليزي

أجنيباً عنه . مما بذل الانكليزي من وسائط التودد والعقل فهو عاجز عن هدم هذا الحاجز الحصين - (وهنا قل اللورد قول المستر باتري) « الاسلام هو كل شيء للفلاح وهو يعتبر غير المؤمنين فئة قليلة حقيرة ولا يمنعه عن الفتك بهم وإعلان ميزة الاسلام الا حقيقة مكثرة له هي أنه ليس في الامكان الفتك بهم الآن »

« وليس هذا وحده الحائل بين الفريقين . فانظر إلى البدع الرئيسية وحوادث العبادة الإلهية المقارنة للاسلام وما يعارضها في النصرانية . والبحث في النتائج التي تلي تخبير المرأة وقابل بين الشرقي الاسر والغربي الايض في القوى العقلية والادبية والعادات والفنون وعلم البناء واللغة والملبس والاذواق تجد أن الفرق بين الفريقين أبعد مما بين الخلفين . حتى انك تجد في أقل الامور شأناً في اعمال الحياة باعثة غير محسوس ولا يعرف سببه من شأنه ان يدفع الشرقي إلى جمة مشاقته للغربي مع اتفاق أحوال الفريقين . فالمسيحي يتعلق باهداب أمل ان يلقى في السماء أولئك الذين راقهم في الارض وهذا الامل من جهل مظاهر دينه وأكثرها عزاء له وأما اعتقاد المسلم بالخلود فيختلف اختلافا تاماً عن اعتقاد المسيحي لان الحوريات اللواتي يرجو المسلم نيلهن في الجنة لم يسبق لهن وجود في هذا العالم . والمسيحي يصلي طالباً الحصول على بعض أمور أو ان يتمكن من اتمام أغراض معينة وأما المسلم فهو على العدم يلفظ صلاة مرتبة معينة ويندر أن يطلب في صلواته طلباً معيناً

« المسيحي يصلي صلاته اليومية في الخفاء وأما المسلم فانه يصلي جهاراً بين الناس وليس لديه شيء من الخجل الكاذب دون اعترافه جهاراً انه معتمد على الله في جميع أعماله وأمره . قال المطران ستانلي بعد ان درس الاديان الشرقية « ان الله موجود عند المسلمين وجوداً يندر مثله عندنا في وسط العجلة الغربية وما يشوبها من الارتباك »

« ومتى صام المسيحي فهو يعمل باعتدال نهاراً وينام ليلاً وأما المسلم فهو في صيامه يقطع عن الاكل والشرب والتدخين ولكنه اذا جاء الليل تمتع بكل ذلك بدون ضابط

ثم ان الديانة المسيحية تنشط الفنون وتستفيد منها وأما الديانة الاسلامية فاتها تكسر الصور والمماثل وهي تحرم الصور وصناعة النقش والنحت اذا كانت تمثل شخصا حياً وأما الموسيقى فلا يسمع لها صوت في جامع

« قد يكون المسيحي نظيفاً بمحض الاحيان اعتقاداً منه ان النظافة نافعة لصحته وراحته وعنده ان النظافة تلي التقوى ولكنه لا يوجد جامعة بين الامرين وأما المسلم فهو نظيف على شكل معين لان دينه يأمره بذلك

» ثم انظر الآن الى صفات الفريقين العقلية والادبية تجد الفرق بينهما ظاهراً ثم بين فروقاً أخرى بين المصري والأوربي والغربي والشرقي تحصل المناقشة ولكنه لم يستنبطها من الدين فتركها له الا قوله في انصاف الاسلام :

« وعلى ذكر الشرقي وصفاته ورقة قلبه أقول ان ما يزعج السائح في مصر من معاملة الحيوانات بقسوة لا يزيد على ما يروونه في جنوبي أوربا ولعلها كما قال «لاين» في سنة ١٨٣٥ ليست غرساً مستظلمة الفو ولكنها ناشئة عن معاشررة الطبقات السافرة من الأوربيين فان الدين الاسلامي يوصي بالحيوان خيراً فقد قال بوسورث سميت : لا يوجد دين اهتم بحياة الحيوان أعظم من اهتمام الدين الاسلامي به فقد ورد في القرآن (٣٨:٦) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم ائنا لكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

وكما انصف في هذه جارة وظلم في أخرى بعدها لكن عن سوء فهم لا سوء قصد فقد ذكر قدرة الاوربي على التنظيم واخضاع الحوادث ومناقشة الرؤساء ثم قال : « قابل هذه المزاي بما في الشرق من الضعف في التنظيم واعتقاده بالقضاء والقدر الذي يجعله قابلاً لما لا بد منه . وكذلك خضوعه لكل سلطة تتولى اموره »

ثم استشهد على ذلك بمثل حادثة « متنجي » سكة الحديد التي ذكرناها في اول القسم الاول من الرد عليه . وذكر ايضا انه سأل شيخ الازهر هل يعلمون الطلبة فيه ان الشمس تدور حول الارض ام العكس فاجاب بانه لا يدري . قال اللورد « وقد منه أدبه الطبعي عن التصريح لي برأيه في الكافرين كير وكوبرنكوس وتعاليمها » الخ

(للكلام بقية)

القرآن والعلم

٣

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

﴿ المسألة الثامنة ﴾

(موت سليمان)

قال الله تعالى « ٣٤ : ٤ فلما قضينا عليه الموت (أي على سليمان) ماذا لم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، أعلم انه كثيرا ما يحدث ان الانسان إذا لحقه الموت فجأة عقب افعال عصبية ومجهود جسماني يحصل له تيبس في الحال في جميع اجزاء جسمه بحيث يحفظ بعد وفاته هيئته وشكل جسمه قبل المات ويبقى على هذه الحالة من بضع ساعات الى يومين فأكثر وخصوصا اذا كان الجو باردا وتسمى هذه الحالة في كتب الطب باللغة الانكليزية Cadaveric Spasm اي تيبس الموت

ولذا يشاهد في بعض الحروب ان بعض المساكين يموت ويبقى واقفا مستندا على بندقيته كأنه حي الى ان يتبدأ التنفن في الجثة فتزول يوسنها وتسقط فالظاهر ان سليمان عليه السلام كان واقفا بعد مجهود جسماني عقلي مستندا على عصاه (منسأته) ففاجأه الموت لحصل له ما يحصل لغيره وبقي قائما كأنه لم يموت

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدي

(المجلد الحادي عشر)

(٤٦)

(المترج ٥)

فشاهدت الجن انه لا يبدي حراكا ولا يظهر عليه أنه يتنفس لعدم تحرك صدره فداخلهم شك في حاله وربما اجتمع على وجهه الذباب فلم يطرده عنه فازداد شكهم ثم دخلت فأرة (وهي من دواب الأرض) وأخذت تلعب حوله وأخيرا بدأت تقرض عصاه والجن الى ذلك ينظرون فيتعجبون ولكنهم خافوا أن يتركوا أعمالهم المكلفين بها أو أن يظهروا شكهم في حياته ولبثوا على هذه الحالة مترددين بضع ساعات او يوما او يومين

فلما حركت فأرة العصا التي أخذت تقرضها عن موضعها قليلا اختل التوازن فقط على الأرض وبذا أيقنت الجن أنه كان ميتا وان اشتباههم كان في محله . ولو كانوا يطؤون النيب مالبثوا لحظة بعد وفاته قائمين باشغالهم الشاقة ولم يفوا الوفاة حين حدوثها بلا تردد . ولفظ لبث يستعمل في الزمن القليل والكثير كقوله تعالى (٢ : ٢٥٩ قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام)

فهذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية الذي ينطبق على العلم ولا يوجد في تاريخ سليمان ما ينافيه

﴿ المسألة التاسعة ﴾

(الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان)

قال الله تعالى (٣٨ : ٣٤) وقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ٣٥ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب ٣٦ معنى هذه الآية ان سليمان لما ورث أباه داود في ملكه سأل الله ان يرزقه ولدا ليرثه من بعد موته وليبقى الملك في نسله فاخبره الله تعالى ولم يجب دعاءه في اول الامر الا باعطائه ولدا ناقص الخلقة (كأن يكون لارأس له ولا منح أو نحو وذلك مما يحصل أحيانا لبعض المولودين) ولما كان هذا المولود أقرب الى الميت منه الى الحي المدرك سماه الله جسدا كأنه لا روح له فلما وجد سليمان أن من رزقه الله لينخلعه في كرسيه عدمه خير من وجوده ضجر وتألم ولم يشكر الله على بكل حال .

ولكنه لم يلبث الا قليلا ورجم الى الله يستغفره على ما فرط منه ويرجوه العفو عن عدم رضائه بما قضاه تعالى وقال « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي » اي حيث إنك لم ترزقي بمن يرثي في هذا الملك فوسمه علي وزدني سلطانا ومتني بما لا يصل اليه أحد من الملوك بعدي حتي تموضني بذلك ما حرمني من النسل الصالح فاستجاب الله دعاه وسخر له الريح وسلطه على الجن والانس والطير وبعد ذلك رزقه الله تعالى أيضا بمن يرثه (وهو ابنه رجبام) ولكنه كان ضعيف العقل سبيء التدبير رديء السياسة حتى خرجت عليه عشرة من اسباط بني اسرائيل ووقع الاقسام بينهم في عهده

فما تقدم تعلم أن قوله تعالى « وأقينا على كرسيه جسدا » معناه ذلك المولود الناقص وهو أول من رُزقه وقال أقيناه على كرسيه لأنه بمنزلة ولي عهده كما يقولون الآن وتقول العرب « أقي الليلة على كرسى الفرس مولود » مثلاً اذا رزق كسرى بالولد الذي يرثه في ملكه ويجلس على كرسيه من بعده

وهذا التفسير هو الذي كان يفهمه العرب من هذه الآية ولذلك ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها ما يقرب منه ولو لا حشو مفسرينا الاسرائيليات في تفسير الكتاب العزيز ما فهم أحد منها خلافة قاحدر بما قالوه ولا تبعاً به فانه مثار لشبهات كثيرة

﴿ المسألة المباشرة ﴾

(اللؤلؤ والمرجان)

قال الله تعالى (٥٥ : ١٩ رَجَّحَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقِيَانِ ٢٠ مِنْهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢١ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ٢٢ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) قال كثير من الناس إن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح ولا يوجد منهما شيء في البحر الحلو واعلم أن اللؤلؤ يخرج من كثير من الانهار ويوجد في بلاد أستراليا أنهار مشهورة باستخراج الصدف واللؤلؤ منها وهالك اسماء بعضها :

نهر هنتر Hunter وكلارنس Clarence وكوك Cook's وكليد Clyde

وغيرها وهي موجودة في ولاية ويلز الجنوبية الجديدة New South Wales
من أستراليا

﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾

(السماء في القرآن)

السماء من سما أي ارتفع فالسما في اللغة كل مرتفع فسقف البيت سماء والسحاب
سما والكواكب سماوات والفراغ اللانهاي الذي فوق رؤوسنا هوسماء أيضاً وقد وردت
هذه الكلمة في القرآن الشريف بعدة معاني تعرف من السياق وتفسر في كل مقام
بحسبه وإن اشتركت كلها في معنى الارتفاع والسمو . وكذلك يوجد في اللغة العربية
ألفاظ كثيرة تستعمل في معاني مختلفة لا يعينها إلا السياق . مثلاً لفظ نجم يستعمل
في الكوكب وفي النبات فتال الأول (١:٥٣) والنجم إذا هوى) ومثال الثاني (٦:٥٥) والنجم
والشجر يسجدان) والمقام هو الذي عين كلامن المعنيين ويسمى هذا النوع من
الالفاظ بالمشارك

إذا عرفت ذلك فاعلم أن لفظ السماء إذا ورد في القرآن يجب أن يعرف معناه
من المقام ويجب أن لا يحمل في جميع المقامات على معنى واحد مثلاً في قوله تعالى
(١٠:١٦) أنزل من السماء ماء) معناه السحاب . ولتلك قال في آية أخرى (٤٣:٢٤) ألم تر أن
الله يرزقي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (أي المطر) يخرج من خلاله)
الاية وفي قوله (١٥:٢٢) فليمدد بسبب الى السماء) يعني سقف البيت وفي قوله (٧:٥٥) والسماء
رفها ووضع الميزان) معناه الكواكب والأف واللام هنا الجنس وكذلك في قوله تعالى
(٦:٥٠) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي جعلنا أجزاء كل منها متماسكة ثم هي
في مجموعها متجاذبة بعضها إلى بعض كالبنيان يشد بعضه بعضاً (وزيناها) بأن جعلنا
أشكالها جميلة مستديرة وإن بعضها مع بعض لها منظر بهيج ثم أضأناها بالانوار
الذاتية أو المنعكسة عليها من غيرها (وما لها من فروج) أي شقوق فلا ترى كوكباً
منها به كسور أو منشفة أجزاءه أو متفرقة فهو كئاً كيد لقوله بنيناها وفي قوله تعالى
(٥:١٧) وتبدزننا السماء الدنيا بصابع وجعلناها رجوماً للشياطين) السماء الدنيا معناها الجو

أو الفراغ المحيط بنا القريب منا وهو المزين بالكواكب وأما ما وراءه من الفراغ
اللاهوائي فليس به زينة ولا شيء وجعلناها رجوماً للشياطين بإقصاض الشهب منها
لاهلاكهم كافي قوله (٣٧: ١٠) إلامن خُطِفَ الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (وهذه المسألة لا
يوجد في العلم الطبيعي الآن ما يصدقها ولا ما ينفيها وغاية الأمر أنها غير معروفة
له فنحن نصدقها لإتيان النبي الصادق بها وقد ثبتت نبوته عندنا بالإبراهيم القاطمة
كما أوضحناه في مقالات الدين في نظر العقل الصحيح

وقوله (٦٧ : ٢) خلق سبع سماوات طباقاً (المراد به الأجرام السبعة العلوية
المشهورة التي كانت تعرفها العرب وترأها بأعينها وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس
والمرج والمشتري وزحل . وإنما خص هذه السبعة بالذكر لأنها أكبر ما نعرفه
العرب وأكبر ما تشاهده وإلا فالأجرام السماوية العظيمة أكثر من سبعة

وليس في القرآن الشريف ما يدل على الحصر . على أن بعض علماء اللغة قالوا
إن العرب إذا أرادت المبالغة في العدد تأتي بلفظ سبعة وما ركب منها كالسبعين
والسبعائة واستشهدوا على ذلك بنحو قوله تعالى في وصف جهنم (١٥ : ٤٤) لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) فإن المقام مقام تهويل لا يتناسبه إلا ذكر العدد
الكبير . وإن لم يكن لجهنم سوى هذه الأبواب السبعة اقتضى الثمام عدم ذكر
العدد هنا بالمرّة لقلته فلم يكن لفظ السبعة يستعمل عندهم في مطلق الكثرة لما
ذكره هنا ولذلك قال أئمة المفسرين في مثل هذه المواضع إن العدد لا مفهوم له
ومثل ذلك قوله تعالى (٣١ : ٢٧) ولأن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من
بعده سبعة أبحر ما فندت كلمات الله)

قد يقول قائل ما بالك تذكر هنا في تفسير السموات السبع القمر والشمس مع
أن القمر تابع للأرض والشمس هي مركز العالم والسيارات تدور حولها ومنها أرضنا
هذه . وقول إن هذه المسائل الفلكية لم يتعرض لها القرآن هنا في مثل هذه الآية
وغاية ما ذكره أن الله خلق سبع سموات طباقاً وقلنا إن الأجرام التي خلقها الله هي
عالية بالنسبة لنا فهي سموات وهي سبع طباق بعضها فوق بعض بالنسبة لنا أيضاً فلا دخل

لذلك في كون بعضها تابع لغيره (١) فإن هذه المسائل لا علاقه لها بتفسير الآية كما لا ينبغي على ذي عقل

ويستعمل لفظ السماء في اللغات الافرنجية أيضاً في عدة معاني مختلفة ففي الانكليزية لفظ Heaven قد يراد به السحاب أو الجو أو الذات العلية أو الجنة أو غير ذلك والمقام هو الذي يبين هذه المعاني المختلفة كما هو المهود في اللغة العربية

(المسألة الثانية عشرة)

(الارض والجبال)

قال الله تعالى (١٢: ٦٥) الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن ينزّل الأمرُ ينهن) وقال (١٥: ١٦) وأتقى في الأرضِ رواسي أن تميد بكم) وقال (٧: ٧٨) والجبال أوتادا)

لم يذكر في القرآن أن الأرض سبع الافى الآية المذكورة هنا ولم يذكر فيه مطلقاً لفظ الأرض بالجمع ولا في الآية السابقة . بخلاف السماء فاتها ذكرت بالجمع في أكثر المواضع فالظاهر أن الأرض شيء واحد ولكنها ذات طبقات سبع . فلذا قال هنا « ومن الارض (بالافراد) مثلن » أي في العدد وهي كونها سبعة وفي كونها طباقاً ويجوز أن تكون طبقاتها أكثر من سبع وإنما خص هذه بالذكر لكونها الطبقات الاصلية أو الاساسية فإن الآية لا تتل على الحصر فلا مانع من أن يكون بعض هذه الطبقات الاصلية مركبا من طبقات أخرى وقد يكون لفظ سبع لا مفهوم له ومستعمل هنا للدلالة على الكثرة فقط كما بيناه سابقاً في مسألة السموات وقوله « وأتقى في الارضِ رواسي أن تميد بكم » تميد من مادت السفينة أي

(١) حاشية - من تذكر أن لكثير من السيارات تواجيع كالقمر بالنسبة للأرض وهذه التواجيع أو الاقار تصيبتها قَبْهم معنى قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) فإن الألف واللام هنا تصح أن تكون للجنس لا للمهلوم المعنى أن الله جعل الاقار أنواراً تضيئ بها السموات

مالت واضطربت فعني الآيتان أن الله أثقل الأرض بالجبال لمنحها من الميدان والتزلزل الدائم وذلك أن الجبال بوجودها في بعض الجهات جعلت ثقل الأرض في جميع الجهات متساويا بالنسبة إلى المركز فإذا دارت الأرض حول مركزها لا يحصل أدنى اضطراب فيها ولو كان بعض جهاتها أخف من البعض الآخر لشعرنا بالاهتزاز يوميا من حركة الأرض حول محورها . وأيضاً فإن الجبال بتقلها العظيم على الأرض وبما امتد من قواعدها من الشعب الصخرية كونت طبقة حجرية عظيمة تهي ما بين الجبال من الوديان من انفجار باطن الأرض الملهب ونسف قشرتها وأورزها الدائم ولا ينبغي أن أغلب الأراضي المسكونة إنما هي في الحقيقة وديان بين جبال . فلو لا الجبال لتوالت الزلازل ، ولما هدأ للبشر جميعاً بال ، ولما كان حدوث الزلازل نادراً كما هو الآن وحاصلاً لبعض البشر دون بعض

وقوله « والجبال أوتادا » هو كقوله بعده « وجعلنا الليل لباساً » أي كاللباس في السر . فالعنى أن الجبال كالأوتاد المنروسة في الأرض وإذا لاحظنا أن الأرض تجذبها من جميع قطعا إلى مركزها كما تشد الأوتاد بالحبال المربوطة بها أدركنا ما ينعمان الشبه العظيم وفهمنا نكتة هذا التشبيه . وكما شبه الله تعالى الجبال هنا بالأوتاد كذلك شبه الأهرام المصرية بها في قوله « ٨٩ : ١٠ وفرعون ذي الأوتاد »

المسألة الثالثة عشرة ﴿

(تفسير آيات عدم صلب المسيح)

قال الله تعالى (٤ : ١٥٧) وقولهم - أي اليهود - انا قتلنا المسيح (قالوا ذلك نهكاً والمسيح معناه عندهم الملك لأنهم كانوا يسمعون ملوكهم بالزيت عند توليتهم وسعي عيسى مسيحاً لأنه فكك روحاني استولى على قلوب الناس ونفوسهم وخلصهم من عاداتهم الرديئة ومن أسر التقاليد والأوهام والمعتقدات السخيفة ورفق نفوسهم وأصلح أمورهم فهو كالمملك العظيم الذين كانوا يأتون اليهود فيخلصونهم من الأسر والبلايا ويرقون شؤونهم ككورش ملك فارس الذي تقدم ذكره وكانوا يسمونه هو وغيره من الملوك النافعين لهم بالمسيح وكانوا يتوهمون أن المسيح سيأتي ويرد

لهم ماقدوه من المجد والسطان (عيسى) تعريب لفظ يشوع ومعناه المخلص وهو علم مشهور عند اليهود وسي به كثيرون قبل المسيح بينهم كيشوع خليفة موسى عليها السلام وكانوا يتفالمون بهذا الاسم ويرجون ان يكون لهم بشرى خير خلاصهم مما كانوا فيه من الرزايا والمصائب (بن مريم) وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي اشتبه عليهم الامر فأخذوا واحدا يشبهه ظاهرياً أنه هو المسيح وصلبوه وقتلوه . واعلم ان وجود اشخاص متشابهين في الخلقة أمر مشاهد معروف وقد يكون الشبه تاماً بحيث يندفع به اهله وذووه فما بالك اذا كان القابضون على المسيح ما كانوا يعرفونه ولا الذين حاكموه ولا الذين حضروا تنفيذ الحكم قد فُروا تلاميذه من حوله وهربوا وكل ذلك صريح في نصوص العهد الجديد .

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيراً ما يحدث للناس اخطاء في معرفة بعض الاشخاص ويشتهون عليهم بنيرهم وقد ذكر «جاي» و«فرير» مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهداً لمعرفة شخص يدعى «مارتين جير» فجزم أربعون منهم بأنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقيون ترددوا جداً ولم يتمكن ان يبدوا رأياً ثم انضج من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير وانخدع به هؤلاء الشهود المبتون وغاش مع زوجة مارتين محاطاً باقاربه وأصحابه ومعارفه لمدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهداً آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقيون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا وأمثالها كثير

وقد بلغ شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من السكور او الجروح او آثارها وغير ذلك حتى تسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جداً الاعطاء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين فاذا كان الأمر كذلك فهل في حادثة المسيح ادنى غرابة ؟

ثم قال تعالى (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع

الظن كما في الحادثة التي سقت وذلك اختلف طوائف النصارى قديماً وحديثاً في هذه المسألة واختلف فيها ما وجد عندهم من الكتب كإبناؤه في موضع آخر . ولو كانت حادثة الصلب يقينية لما وقع فيها ما وقع من الاختلاف بينهم

(وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه) أي إنه لم يقتل ولكن توفاه الله ورفع روحه إليه وأسكنها عنده في جنات النعيم كما قال في آية أخرى (٥٥: ٣) إني متوفيك ورافئك إليّ ومطهرتك من الذين كفروا) وكفوله تعالى حكاية لقول المسيح عن نفسه في الآخرة (١١٧: ٥) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) فالرفع هنا روحاني معنوي وكذلك ورد الرفع في القرآن في مواضع كثيرة في الأمور المعنوية . قال تعالى (٢٥٣: ٢) ورفع بعضهم درجات) وقال (١٧٦: ٧) ولو شئنا لرفعنا بها ولكننا أخطأنا إلى الأرض) فعنى الآية أنهم لم يقتلوه ولكن الله هو الذي قبضه إليه بدون أن تصل إليه أيدي الأعداء بالسوء ورفع روحه إلى جنته واسكنه بمجواره وذلك كله على حد قوله في مواضع أخرى (٣: ١٦٩) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) أي تتمتع أرواحهم في الجنة . وقوله (٥٤: ٥٤) إن المؤمنين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فكل هذه العبارات « كعند الله » و « رفعه الله إليه » ونحوها مستعملة في معانيها المجازية لا الحقيقية

فالظاهر أن المسيح عليه السلام ذهب إلى جهة من الجهات أو جبل من الجبال فتوفاه الله هناك ولما ذهبوا ليقبضوا عليه وجدوا شخصاً يشبهه فأغترخوا به فأخذوه وقتلوه وصلبوه . ولعل هذا الشخص هو يهوذا الاسخريوطي وكان يقصد خيانة المسيح وإن يقبض عليه ويسلمه فوقع فيما كان يدره لسيده فاشتبهوا فيه وأخذوه أخذاً ويلاً وأما المسيح فكان قد توفاه الله وأجماه من مثل هذا العذاب وذهاب بعض الانبياء إلى بعض الجبال ووقاتهم بها امر معبود كما وقع لموسى عليه السلام (راجع سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٦)

ثم قال الله تعالى (٤ : ١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي أن كل شخص من أهل الكتاب لابد عند

وفاته ان تتضح له الحقيقة فيؤمن بالمسيح كما جاء به القرآن وليس معناه أنهم يؤمنون به عند نزوله يوم القيامة كما هي عقيدة النصارى فان الآية صريحة في أن كل شخص منهم سيؤمن به وأما عند نزوله فلا يؤمن به الا الذين يحضرونه وهو خلاف نص الآية واعلم أن المسلم لا يجب عليه الايمان بانه سيحيي يوم القيامة والظاهر أن هذه عقيدة سرت من النصارى إلى المسلمين . ولم يأت بها القرآن . والأحاديث لا يؤخذ بها في العقائد الا اذا تواترت وليس في هذه المسألة حديث متواتر

واما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وإنه لَعَلَّ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) فعناه إنه لدليل على قدرة الله على البعث فان الذي خلقه بلا أب والذي أحيا الموتى على يديه قادر على احياء الموتى يوم القيامة . وهذه الآية كقوله (٢١ : ٩١) وجعلناها وابنها آية للعالمين

وقائل ان يقول إذا كان المسيح مات وتفرق تلاميذه من جوله بسبب أعمال اليهود وكانوا قليلي العدد فما معنى قوله تعالى (٦١ : ١٤) يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدينا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) . وقول اما في عصر المسيح عليه انسلام فقد كانوا مؤيدين بقوة اليقين والايمان ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبرهان وبما يظهره الله تعالى على يده من المعجزات والآيات البينات وأما بعد وفاته فقد سلط الله الرومانيين على اليهود فشتوهم في اقطار العالم وخربوا مسجدهم المقدس ولم يعصب المسيحيين في أثناء ذلك أدنى أذى ثم صاروا ينتشرون في الارض ويزداد عددهم شيئا فشيئا حتى دخل قسطنطين في المسيحية وصارت ديانتهم هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية وبذلك تم لهم الظهور على أعدائهم اليهود ولا يزالون كذلك الى الآن كما قال تعالى (٣ : ٥٥) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وانما عبر تعالى بالفاء في قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) مع ان ظهورهم الماضي لم يظهر الا بعد مضي سنين طويلة لان سنيها هنا هي عند الله كالحظات (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) (انهم يرونه بعيدا ونراه

قريباً) وغلو المسيحيين في بعض معتقداتهم وتأليبهم لبنيهم لا ينافي انهم مؤمنين به
فلذا وصفهم الله تعالى بالايان في هذه الآية كما وصفهم به في آيات أخرى كقوله
تعالى (٥٧ : ٢٨) يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
الآية . فلا منافاة بين الغلو في العقيدة وبين اصل الايمان ، (للسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٤

﴿ بحث العمل بالحديث وبحث التواتر ﴾

يقول حضرة الدكتور : أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد ثم قال ولكن
ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف الدين الذي
يكفر منكزه شينان القرآن وما تواتر عن النبي (ص)

ونقول ان الله جل شأنه ارسل رسلاً اوجب على عبادهم تصديقهم واتباعهم في
كل ما أرسلوا به وليس من شرط الرسول ان يأتي بكتاب من عند الله وبعبارة
أخرى لم يقل احد من العقلاء بعد ثبوت رسالته انه يجب على الله ينزل عليه كتاباً
يقراه او كلاماً يتلوه بلفظه — بل عرفوا الرسول بأنه بشر أوحى اليه بشرع وامر
بتبليغه سواء كان التبليغ والبيان بالقول ' أم بالفعل على ان القول مقدم على الفعل
ومعرفة الشرع بالقول أكثر منه بالفعل والله جل شأنه لم يخص طريقاً ولا طرقة
معينة لحلة الشرائع في تبليغها الى من تأمى وبعد مكاناً او زماناً ولم يذكر في موضع
ما من اي كتاب من كتبه ان من رد ما بلغه من الدين بغير تواتر معذور ولم يقل
ذلك احد من رسله او ممن يعول عليه من أتباعهم بل لم يشترط ذلك احد من
البشر في شؤون دنياهم الاجتماعية

وانما مدار ذلك والله اعلم هو حصول التصديق بالنسبة الى خصوص من بلغه
خبر ولم يقصر في البحث عن صحته وصدقه فحين تصديقه لا يجوز له رده وهذا هو

الذي دل الشرع والعقل عليه وعليه اتفق اهل الملل قاطبة وهذا مما يحل حضرة الدكتور عن مخالفته

بعث الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عليه حجة وهو لا يأمر بالبحال ولا يكلف نفساً الا وسماً فهو اوجب على الامم تبليغ كل مسألة من شرعه بالتواتر وعلى المبليغين رد غير التواتر لكان ذلك تكليف ما لا يطاق مستلزماً للاشاة الاديان، ومعتلاً لسائر المواصلات ومعاملات بني الانسان، والله منزه عن ارادة ذلك فبطل اشتراط التواتر لنقل مسائل الدين

دل القرآن على ان من جاءته الحجة عن الله بتوسط رسله وردھا جحداً أو مكابرةً أو بماشا كل ذلك وداناه فقد كفر بالله وبرسله واستحق العقاب وشديد العذاب ومن بلغت الحجة عن رسول من رسله حين وجوب طاعته في خصوص تلك المسئلة من طريق لا يردھا في جميع شؤونه ولا ينكر صحتها بعد البحث والتقيب ثم ردھا جاء عن الرسول بتلك الطريق تشبهاً فلا شك انه معاند ومكابر ومناذب لطاعة ذلك الرسول وسواء كانت هذه الطريق متواترة او آحادية

فقول حضرة الدكتور ولكن ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين يعني الاحاديث الصالح الآحادية ولو كانت مشهورة ومستفيضة ثم قوله « الدين الذي يكفر منكركه شيان القرآن وما تواتر عن النبي (ص) » يدل بل هو ظاهر في ان من انكر واجباً من الشرع فهو كافر ولذلك احتاط في انه لا يكون الشيء واجباً الا اذا قل بالتواتر. والحق ان التواتر ليس شرطاً في وجوب الخبر كما ان من أنكر ما دل عليه التواتر قد لا يكفر في بعض الصور بل قد لا يكفر من انكر بعض الواجبات عند غيره كما قد عرفت ان الحصر الذي ذكره غير مسلم وذلك لأن الشيء قد يكون متواتراً عند شخص دون شخص وقد يختلف معنى التواتر وشرايطه عند أناس دون أناس بل التواتر عند بعض الناس لا يفيد العلم وعند بعضهم في بعض صوره وعلى قول الجمهور يمكن ان يوجد تواتر في أمر ما ويصر على بعض الناس معرفته ويتحقق وقوعه في ذلك الامر بل يمكن ان يوافق حمله قبل ان يبلغ من ذلك مرامه، والحق ان من انكر ما عرف وجوبه من دين الاسلام وصار ذلك معلوماً له ولو بخبر

الآحاد كفر وكذلك من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولم يكن قريب عهد
 الإسلام أو نشأ بعيداً عن العلماء كفر وإن لم يكن متقولاً بالتواتر المعروف عند التواترية
 نحن لا ننكر أن بعض أنواع التواتر يفيد العلم ولكن ننكر انحصار العلم التجريبي
 فيه أو فيما باشر الشخص سماعه كما أننا لا نسلم أن ما هو متواتر عند أناس يلزم أن
 يسلم تواتره الآخرون.

إن من رمى التقليد جانباً وتبرأ من التعصب المشوم وجعل الحق مطلبه
 والانصاف رائده ونظر في أقوال العقلاء من هذا النوع البشري نظر الناقد البصير
 علم علماً لا يصتريه شك أن كل ما وجد عندهم من الحق فهو مطابق أو مأخوذ مما
 جاء به المعصومون عليهم الصلاة والسلام، عن الخلاق فاطر الأنام، وحيث كان غرضنا
 في هذا المقام تحقيق الخبر المستدالي رسول الله (ص) وما يجب قبوله وما لا يجب قبول

العلم والطرق المؤدية إليه

الناس تكلموا على العلم وعلى الطرق المؤدية إليه فمنهم من شدد وضيق فلم
 يجعل إلى العلم سبيلاً غير ما أدركه بأحد حواسه وهذا مع كونه اهمالاً لأفضل ما امتاز
 به الإنسان في اعلام مدارج إنسانيته هو تعطيل لجميع الارتقايات والتعاون على تحصيل
 أنواع العلوم المختلفة المواضيع إذ من المحال أن يقوم الفرد بتحصيل جميع العلوم التي
 قد حققها وعرفها جميع البشر - هؤلاء المضيئون غاية متقدمهم نرية الإنسان عن
 أكثر العلوم والقضاء عليه بالوقوف دون مصاف كثير من الحيوان والبهائم لما
 عرف من أن إحساس بعضها أقوى من إحساس الإنسان. ومن نتائج مذهبهم
 المشوم ضياع وانحلال عرى التضامن الاجتماعي وارتفاع الوثوق من بين أفراد
 الناس في أشد ضرورتهم - ولذلك ترى هؤلاء المضيئين من أكثر الناس
 تناقضاً في علومهم وأقوالهم وأفعالهم لأنه من المستحيل عليهم التزام مذهبهم الفاسد
 ومن تتبع علومهم وأقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم وجدهم على جانب بيمدوني
 غاية المناقضة لما أصوله مما ذكرناه عنهم

ومن الناس من وسع بعض التوسعة لكنه أنكر حصول العلم من طريق الوحي

وهؤلاء هم الزنادقة المنكرون لوجود واجب الوجود أو المنكرون للنبوت وهؤلاء يؤول انكارهم الى تقبضه تعالى شأنه المؤدي الى فيه المؤدي الى الحال في الضروريات والقدح في المشاهدات وكون الشيء فاعلا لنفسه أو مفضلاً لغيره فاعل ومن الناس من طلب الحق وتبين له فساد قول هؤلاء وهؤلاء واجتهد في طلب الصواب فلم بأكثر الطرق المؤدية الى العلوم لكنه أهمل بعضها لاشتراطها لها شروطاً يسيراً أو يتمرد وجودها وهذه عدوى سرت اليه من مخالطة من قدم ذكرهم من الملحدين السابق ذكرهم

فمن اشترط في وجوب قبول الوحي أي الشرع أو اعتبار الاخبار مطلقاً المشافهة والسماع أو بلوغه بالاجماع عملاً أو التواتر قد نصب في طريقه العقبات ، واقام دونه سد المحالات ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ، ونحن نسأل حضرة الدكتور هل تشترط ذلك في جميع العلوم التي يشتغل بها الناس وفي جميع ما يتعلق بشؤونهم الاجتماعية أم لا تشترط ذلك إلا بخصوص بلاغ الاحكام والمسائل الدينية ؟ انا لا أظن انه يلزم ذلك في الأول ولئن التزمه فالواقع والملاحظة تردده وهي أعدل حكم بل يلزمه من التناقض ما لزم المضيقين السابق ذكرهم

إذا بطل في الاول اشتراط ذلك فهي الاديان كذلك ١١١ قدما من تلازم التقدّم بالشرع فلا فرق يعتد به

وعليه فالذي دلت عليه الكتب والشرائع السماوية هو ما عليه عامة البشر « فطرة الله التي فطر الناس عليها » - هو أن من ثبت لديه بخصوصه صحة خبر وصدقه وجب عليه قبوله وهو في حقه علم حين تصديقه (١) اللهم الا ان يكون الخبر ينتج ضرراً على احد ، الخبر معلوم فسقه فيجب التبين والتروي حتى يظهر وينكشف حال ذلك الخبر وكذلك من بلغه الخبر عن لا يعلم حاله والامر ما ذكرناه وجب عليه التتبع فان صح لديه ذلك الخبر من الطرق الذي يصحح بها مثله وجب عليه قبوله كما انه

(١) هذا ما قررناه في الرد على الدكتور صدقي (ص ٩٢٦ م ٩) وقد ذا كرناه منذ ايام في ذلك فرأيناه مال الى ترك اشتراط التواتر لان النبي كان يرسل الآحاد دعاة وعمالا فيقبل الناس منهم

قبله في بقية شؤونه الدنيوية ولا يجوز له اتباع هواه والتشهي والترجيع بلا مرجع
لم يوجب الله علينا مشر المسلمين التقيد بما أسس بعض الناس بل نهائنا عن
التقليد واتباع الآباء وأوجب علينا النظر بما وافق ديننا الذي هو الدين المستحيل.
مخالفته للعقل الصحيح قبلناه وليس من العدل أن نترك ما لدينا من الحق ونقتصر على
مالذي المخالفين وأن دل عليه ديننا إماما مخالف ديننا فلا شك أنه مخالف للعدل والعقل
وليس في الدين ولا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ما يناقض ما دل العقل
الصحيح عليه (١) ومن زعم ذلك فليعلم اليان نعم في الدين أشياء لم تستد بعض
القول لإدراكها وسببه ما قدمناه من تضيق بعض الناس وسد أكثر أبواب
الطرق المؤدية إلى العلم فإذا كل لبعض الناس استمداده العقلي وصار انسانا بالمعنى
الذي خلق لأجله فلا شك أنه يدرك معلومات لا يكفل العقل إلا بأدراكها فليعلم من
لم يأت هذه البيوت من أبوابها أن يسأل أهل العلم (للكلام بقية)

شكر المنار على تأين ذكاه الملك

رسالة جاءت من العالم الأديب بدائع نكار ميرزا فضل الله البيهقي مدرس
العلوم الأدبية في مدرسة طهران السياسية - ورغب الينا ميرزا محمد علي خان نجل صديقنا
(رحمه الله) ذكاه الملك أن ننشرها في المنار فنشرناها هاشا كرين للاديين فضلها وهي

هو

جدير أن يؤذن في المنار معارف عنونت في المنار (٢)
وكتا في محاق الجهل دهرا بفرته سلخنا من سراد
سأجل شكر منشأ دثاري واجل مدحه أبدا شعاري

(١) المنار: صرح بهذا شيخنا الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتصديا لبيان
بما كتبه الثاني في أعلام الموقعين من التفصيل البديع (٢) لعل الأصل * معارف
عنونت باسم المنار * أو «عنونت في ذا المنار» فقط لفظ «ذا» سهوا

وما أنا في رفع خبري الى حضرة مولاي أدام الله بقاءه ابتداءً ونصب وجوه
أملّي لشمول عواطفه رجاءً ، قبل التعرف اليه ببعض المعارف ، والتقرب اليه بطرائف
اللطائف ، الا كطالب الايتاس قبل الالباس ، والمناخ بلا اسباب وامراس ،
ولكني اجلّ سيدي من ان يحتاج العبد الى قرّبه بالوسائل ، ويمتّ اليه بذرائع
القبائل ، لان داعي فضله على المنارجهار ، بدعونا الى نار قراره ليل ونهار ، فلا ألام
على ذلك الاقدام ان ليت دعوته ، وصليت قبلته ، وأتيت ناره ، ويمت داره ،
قَبِلْ بِمِيجْ مأواه ونائله في الشرق يسأل عن نيله سِلا

على اني من آل داود ، ومن عاملي الشكر معدود ، وكيف لا أشكر من
مولاي نعمه التي أحيت القلوب ، واماتت العيوب ، وحسّن منا الاخلاق ، وعلّق
علينا الاعلاق ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، ورداه عنهم برد الثناء ،
« ولو سكتوا أثنت عليه الحقايب »

قد وقفت على خاتمة الجزء الثاني عشر من المنار في مدرسة السياسة من طهران ،
بعد ما وقفت على فائحة المجلة في خراسان ،

تتودنها من أرض طوس واهلها يثرب أدنى دارها نظر عالي
وقفت على تأين العقيد الفريد ذكاء الملك اطاب الله ثراه فأخذني من
الأسف . ماجري الى التلف

قدّنا ذكاء الملك لابل سماء وما حل ملك زال عنه ذكاؤه
قدّناه لو ان يتندي لفديته ولكن قضاء الله حتم مضاه
مضى رحمه الله وأصمى على قلوبنا سهام الهموم ، وأحى على اكبادنا مكاي
الغنوم ، فلولاً خلفاه الصالحان ، وفرعاه الباسقان ، وثمراه اليانغان ، وقراره الطالغان ،
لما صبرنا على هذه الرزية ، بل هلكنا من سطوات تلك البلية ، ولكن بحمد الله ومنه
وفي الحلي باليت الذي غيب الثرى فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

فها انا مع عقدة لساني ، وعجمة يائي ، وضيق باعي ، وقلة متاعي ، وقصان
بضاعتي ، وكلالة يراعني . أشكر من مولاي أدام الله بقاءه ، تأينه على قيدنا ذكاء
الملك طاب ثراه ، واسأل الله ان يديم ظلال عواطف مولاي على رؤس أهل الأدب ،

وقيمة على تقيف الاود من العجم والعرب ، وأن يحمل كتابي هذا عنده مقبولا ،
لامردود علي مبدولا ، وأنهي الى تلك الحضرة العالية من أدينا ذكاء الملك بن
الذكاء ، أركي واوفي الثناء ، اختم كتابي معتبرا بذلك الخطاب
لا تنكرن وان اهديت نحوك من علومك الفر وأدابك النفا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا
العبد فضل الله بن داود اليبقي المدعوي بدائع نكار
للسنة السنية العلية والعتبة البهية الرضوية على راقدها آلاف الثناء والتحية

البرهان الصريح ، في بشار النبي والمسيح

(عليهما السلام)

بئنه تعالى ستمشركا في بشار النبي والمسيح عليهما السلام منها اني عليه
السلام وأمنه من نبوة اشيا ص ٤٠ عدد ٣ دص ٤ عدد ٢٥٥ و ص ٤٢ عدد ١٦٠ نبوة
دانيال ص ٢ و ٧٠ والوارد فيها ختام انبوة والحساب من حرب ادرناوس ملك
الرومان لليهود سنة ١٣٢ وانها المدة سنة ٦٢٢ وهي سنة الهجرة والاذن لما فتح
والماهادينين فيه صحة الترجمة في مواضع منه في التكوين بشأن سيدنا اسماعيل ص ١٦
عدد ١٢ «انسانا وحشيا» قال العالم الاسرائيلي الترجمة انسان بري يسكن البرية) يده في
الكل ويد الكل فيه وقظه العبراني يرى ادم أي آدم بري ويده في الكل المراد به سيدنا
محمد عليه السلام لانه من اسماعيل . وفي مز مور ١٠ عدد ١٧ وابن آدم الذي اخترته
أي نبينا ابن اسماعيل عليهما السلام لانه سمي اسماعيل آدم ، وفي التكوين من قول الرب
للخليل ص ٢١ عدد ١٣ وابن الجارية أيضا اجله أمة لانه نسلك والاصل العبراني
ان نسلك هو وقظه «كي زرعه خاهو» اي انه هو زرعك وفي المسيح عليه السلام «وخلق
الرب له من غير اب» من نبوة ارمياص ٣١ عدد ٢٢ خلق الرب شيئا حداثا في الارض
انني تحيط برجل وفي الشروح ان هذا في المسيح وتأيد نبوة ارميا هذه في القرآن
الشريف من سورة آل عمران وفي نبوة اشعياص ٤٩ المختصة بالمسيح يحكي بالوحي
ما يكون للمسيح وفيها ان له مجيئين والاصل العبراني لها عدد ٥ قال الرب جابلي من

(المجلد الحادي عشر)

(٤٨)

(التاراج ٥)

البطن عبداً له لارجاع يعقوب فيضم اليه اسرائيل ومن ترجع بني اسرائيل كما في عدد ٤١ اما انا فقلت عبثاً ولحيثه الثاني عدد ٦٤ قال سهل ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصور بني اسرائيل واجملك نوراً لآلئ تكون خلاصي الى أقصى الارض ثم أكد ذلك في عدد ٨-١٣ وفي عدد ٦٤ « واجملك » قالوا بدلاً فقد جعلتك . وما ذكر في اعمال الرسل ص ١٣ عدد ٤٧ خلاف الاصل العبراني أيضاً لان رسالته كانت لبني اسرائيل ونبوذة ميخائيل ص ٥ عدد ٣ و ٤ تؤيد ان له مجيئين كنبوذة اشعيا هذه ص ٤٩ وتؤيدها أيضاً نبوة اشعيا ص ١١ التي هي لحيثه الثاني لان فيها يرفع داية الامم ويجمع بني اسرائيل من أربعة أطراف الارض وهذا معنى ماورد في نبوة اشعيا ص ٤٩ عدد ٦ تكون خلاصي الى أقصى الارض اي خلاص بني اسرائيل كما في ص ١٢ من نبوة اشعيا أيضاً المتممة لص ١١ وهذا في آخر الايام ٥ في نبوة هوشع ص ٣ عدد ٥ ونبوة اشعيا ص ٤٩ تؤيد مجيء المسيح بحيثه الاول قبل انتهاء تسلط اليهود على الشعب في ارض فلسطين كما في عدد ٧ والرب يحبه منهم كما في عدد ٣ « في كنيسته اخفائي » وعدد ٨ « وحفظتك » وقد قلت اليهود من ارض فلسطين سنة ١٣٢ ثم لما دخل الاسلام صاروا في حماه .

ومنها في نبوة اشعيا ص ٥٣ عدد ٨ « انه ضرب من أجل ذنب شعبي » والاصل « ضربة لهم » ولفظ لهم بالعبراني « لاموا » لان الكلام في الشعب الذين اخذوا بالابل وحضروا منها والتي ارمياين كثيراً منه في صراييه وفي عدد ١٠ « فسر » والاصل فارادوني عدد ١٠ أيضاً « ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى لسلا » ولم يكن في الاصل العبراني لفظ ذبيحة والكلام في الشعب لانه ذكر يرى تسلا وفي مزور ٢٢ عدد ٦ « هبوا يدي والاصل « كأسيدي » مع انهم اعترفوا في كتبهم باعتماد الاصل العبراني والمسيح ايد نبوات الانبياء كما في انجيل متى ص ٥ عدد ١٧ ولم يؤيد التواريخ ونيين في الكتاب بعض الآثار المصرية والاشورية التي تؤيد التواريخ الاسلامية الصحيحة ونذكر نبذة في فضائل الاسلام ونطلب منه تعالى النون في البدء والختام

(تنبيه) في نبوة اشعيا ص ٤١ عدد ٢ « انهضته من الشمال » وقبل وضع الحركات التي وضعت بعد قرون كان ينطق بها « انهضته من غيباء » وهو الفار وعلى وضع الحركة قام نينا « ع م » من الشمال وهي المدينة شمال مكة ودخل مكة شرقاً والكلام في مساكن قبادر كما يأتي وفي ص ٤٢ عدد ١١ ذكر مساكن قبادر وفي عدد ١٣ « خروج الرب كرجل محروب » إشارة لجهاد قبادر ابن اسحاق كما في التكوين ص ٢٥ عدد ١٣ « ملاخت هارون » وروايتهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم حديث صحيح

وفي نبوة حزقيال ص ٣٧ عد ٢٤ سمى المسيح داود ونبوة زكريا ص ١٢ و ١٣
 تمت في يهوذا المكاني واخيه يوثان
 وموجود بلد اسمها سمره «شعرون بالعبراني» قبل دخول بني اسرائيل الارض كما
 في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ وفي آثار توتنم الثالث وجود يهود بفلسطين قبل دخول
 بني اسرائيل احمد ترجمان

بَابُ الْإِحْبَاءِ وَالْإِثْبَاتِ

نادي دار العلوم

لا يجهل أحد من المعلمين في مصر ان أهل نادي دار العلوم هم عماد النهضة
 العلمية العربية في هذا العصر، وسيكونون بعد اجتماع شملهم بهذا النادي أنفع
 للبلاد، وأقدر على القيام بأعباء التعليم والإرشاد،
 فتحوا باب البحث في التعمير والترجمة فأفادوا ما أفادوا . ثم فتحوا باب
 البحث في مسألة الربا عند ما اشتدت العسرة المالية وزعم كثير من الناس أن
 المسلمين لا يمكن ان يحفظوا ثروتهم ويجاروا غيرهم في الارتقاء الا اذا تعاملوا بالربا
 وأنشأوا المصارف (البنوك) المالية . وان الدين اذا كان يمنهم من كل ما يعرف
 عندهم بالربا فهو لا يوافق مصالحهم الاقتصادية والسياسية في هذا العصر

خطب غير واحد من أعضاء النادي ومن غيرهم في الربا فكانت خطبهم يتابع
 لفوائد الثقلية والاجتماعية والاقتصادية . وقد سلك كل واحد منهم مسلكاً أنار فيه
 المسألة من بعض جهاتها كما فعلوا في مسألة التعمير والترجمة ولم يتصد منهم أحد
 للكلام فيها من جميع الوجوه الا الرئيس في خطبة الختام . وقد أتى صاحب هذه
 المجلة (المثار) كلمات وجيزة في ذلك أدجنتها في التفسير من هذا الجزء . ولم يكن
 بحث كل خطيب في الموضوع من بعض الوجوه عجزاً عن سائرها وإنما كان ذلك
 هو الجلي للمسألة والمقرب للصواب من الأفهام

ثم بحثوا في مسألة الزواج والعبادات في الخطبة والاحتفال في المرس فأجادوا وأفادوا

البدع والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر

نشر في « الجريدة » اقترح بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر تنقل اليه عظام من مات منهم ويدفن فيه من سيموت من بعد
نشر هذا الاقتراح بتوقيع « باحة بالادية » وما هو الا خيال باحث في الحاضرة او مخي متفرنج في العاصمة قد استعجل جداً بهدم تقاليد قومه الدينية وتقليم من مبادي التقاليد الأوربية الى غايتها

لا أنكر ان بعض الاعلى التي بني عليها الاقتراح له وجه نظري معروف لكنه وضعت الاعم الوثنية من قبل التماثيل والنصب وبنيت القبور وشرقتها، وعظمت هذه الآثار المثلثة حتى عبدتهم ولكن كان إنما اكبر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، ولذلك هدمها الاسلام وحرم نصب التماثيل وتشيد القبور وتشریفها كما في حديث علي كرم الله وجهه في صحيح مسلم وغيره « لا تدع تمثالاً الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته »
ربما قالت باحة بالادية او باحث الحاضرة ان الاسلام ما فعل ذلك الا ليطمس رسوم الوثنية حتى لا تتنازع التوحيد في سلطانه على النفوس وهذه العلة مأمونة في هذا العصر دعصر المدنية والنور عصر المادية والعلوم، واذا اتفتت العلة اتفتى المعلول فقد قال مثل هذا القول أحد طلاب علم الحقوق من أولاد علماء الدين ونشره في مؤيد ودأ على من انكر نصب تماثيل لمصطفى باشا كامل وسكت له الجمهور على ذلك ولما لم يكتفوا بذلك بل يسكتهم مدعين

من سهل تغنيهم هذه شبهة على الاعتراف بصحة ما قيل من سبب تحريم الاسلام التماثيل والنصب وبقبور المشرقة: الا يكفي بأن أقول ان هذه شعائر وثنية منع الاسلام صورته لا أنكر منعها فهو بعد حين ما ينجش ان تعيد روح الوثنية الى نفوس

المستعدين ، فلا نعيد هذه الصورة وان أمنت العلة الآن ، سداً للذريعة ولو في مستقبل الزمان ، بل أقول أيضاً ان العلة غير مأمونة في هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلونصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور ، فأنهالا تلبث ان تصبغ بالصبغة الدينية بمصر ويتبرك بها أو يعبدها الجمهور ، وأستدل على ذلك بأقوال دعائها وافعالهم جاء في مقال « باحثة البادية » ما نصه

«والعامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولم فائق بزيارة الاضرحة واعتقاد راسخ بنفع اصحابها حتى انك لو دفنت حماراً وبنيت له ضريحاً وقبة لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون انه حمار فاذا كان الامر كذلك في الحمار فكيف به في الرجال وكيف به في عظمهم » اهـ

ونحن نقول مع الباحثة ان عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك وهذا مايجرمه الاسلام وبعده معارضاً للتوحيد

ذكر باحثة البادية من الرجال الذين تقترح نقل عظامهم للمدفن الجديد محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين فتقول كيف تأمن ان تعظم اضرحتهم تعظيماً دينياً بعد ان يتخذ لها مكان خاص يقصد بالزيارة والاول منهم إمام من أئمة الدين وداع من دعاة القرآن ومحام عنه وعن السنة ، واقوى خاذل في عصره للبدعة ؟ كيف تأمن ذلك والثاني منهم على كونه ليس من رجال الدين في العلم ولا في الارشاد ، وليس له مقالة تؤثر في الكتاب ولا في السنة ، ولا في الدفاع عن أصول الاسلام وعقائده ، - قد نحلله أشياءه جميع الالفاظ التي يعظمون بها أئمة الدين وأولياءه كقولهم : فقيه الاسلام ، رضي الله عنه ، قدس الله سره ، قدس الله روحه - بل قرن بعضهم ذكره بذكر الانبياء ، وكاد بعضهم بفضلهم عليهم . وذكر أخوه الصغير في مناجاة ناجاهم ان روحه مشرف على العرش يعني انها فوق عرش الرحمن !! وذكر أخوه الكبير من أبناء ولادته نحو ماروي في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم من أنه ولد طاهراً مختوناً ، وجملة بعضهم ثاني النبي (ص) في عظمتهم وكلامه كالأنبياء والقرآن . وقال فيه شوقي شاعر الامير او كان الذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرآن

هذا وهو يعلم ان القرآن الحكيم لم ينزل منه شيء في رثاء الانبياء والصديقين ،

بل كل ما قال في شأن موت من أنزل عليه وهو خاتم النبيين ، (٣٩ : ٣٠) انك ميت وانهم ميتون ٣١ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أي انك يا محمد تموت وهؤلاء المشركون الذين قالوا (٥٢ : ٣٠) تربص به ريب المنون) يموتون أيضاً وتختصمون جميعاً عند الله تعالى . وقال (٣ : ١٤٤) وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل اقلبتم على اعقابكم ؟) الآية وقد نزلت عندما قتل بعض المسلمين فانهزموا في وقعة أحد اذ صاح صاح « قتل محمد »

أفرايت من يغلو فيه الناس ذلك الغلو الذي أشرنا الى قليل مما قرأناه فيه ونحن لم نقرأ الا أقل ما كتب — وسكتنا عما سمعنا من بعض غلاة المارتن وما روي لنا عن بعضهم من مثل قولهم انه كان افضل من الانبياء وانه فعنا اكثر مما فعنا الاسلام؟ — أيستغرب ان يعظم تمثاله وقبره تعظيماً دينياً ؟

فيا أيها المتفرنجون أربعوا على ظلمكم وخففوا السير واتخذوا بهذه الأمة المسكينة فان مصابها عظيم والخطر الذي يحيط بها أعظم فلا تستعجلوا بهدم ما بقي لها من العقائد والآداب والاحكام الدينية وأتمم لم تبوا لها ديناً ولا شريعة أخرى أحسن مما جاء به الإسلام ، ولا تستطيعون ان تحفظوا بقية المالك التي قطعها لكم الاسلام ، إذا فرضنا ان ماترمون اليه بالتماثيل وتقل عظام الموتى الى أضرحة عظيمة يزيد في تعظيم أصحابها والتبرك بهم والاعتداء بسيرتهم هو مما يفيد في ترقيتها وفرضنا انه لا يقوي نزعة الوثنية فيها فدعوه الآن لجزء منصوص أئمة المذاهب التي تنتمي اليها الأمة في تحريم نبش الموتى وتحريم نصب التماثيل مطلقاً وخذوا بالأمة الى أسباب العزة والقوة التي لا خلاف فيها شرعاً ولا عقلاً وهي كثيرة لا يكاد يدعو اليها داع ، وقلبا يجمع لها مال أو يؤلف لها اجتماع ، ليست المدارس العلمية والدينية ، والكتب التاريخية والفنية ، والجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، هي انفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبدلون لها المال ، وتدعون الى تسميتها في البلاد ، ليست مدرسة مصطفى كامل افضل ما يعزى اليه من الاعمال ، فلماذا لا تبدلون لترقيتها ما جعتم للتمثال ، ليست آثار الاستاذ الامام ، في اصلاح حال المسلمين والاسلام ، هي افضل ما يحيا به ذكره ، ويرغب في التماسي به ، فلماذا لا تبدلون النمل لشهرها ، وتسمي النفع بها ؟ ؟

الفصل السابع (١٠)

جمال خديجة والجمال عند قومها

الجمال محبوب لذاته عند الطبع، ومحبوب لفائدته عند العقل، ومع كثرة ما ألفت العيون رؤيته، والآذان سماع أحاديثه، لا تزال أسرارته موضوع التفكير، ولا تزال دقائق تأثيراته محل الإعجاب، كيب لا وهو السر الأعظم في جذب الانسان الى مقاماته العلى من الابداع، والسبب الاكبر في ابعاد ما بينه وبين الحيوان في مراقبي الوجدان والادراك. فشرفه يجمع عليه عند بني آدم بغير خلاف بينهم. واما قوم حرموه فقد باؤوا بجرمان عظيم. ولذلك لم نجد بداً من ذكر هذه المزية الاخرى لقوم «خديجة» فانها منزلة جذيرة بالذكر لا سيما بعد ان اشتهر عند من لم يعرف هؤلاء القوم انهم كانوا لاحظ لهم من الجمال، ولا ذوق لهم في الحسن، ولا نصيب من توجه النفس الى الاحسن.

كثرت سبباً أن يكون قوم «خديجة» على ما يظن هؤلاء الذين لا يتألف في ذهنهم ان يكون القوم سكان اقليم حار وذوي شظف من العيش ثم يكونوا مع ذلك ذوي خلقة جميلة وصورة بديسة

وكبرنا نقصيراً أن لا نبين في هذا الباب ما هو من جملة مناقب هذه السيدة وقومها فان استغرب قوم لم يميزوا اسرار الخلقة نظرة تخصيصنا فصلاً لهذا الموضوع فانهم سيرونه فيما بعد مكيناً في موضعه على انه سيجد فيه المتفكرون صاحبهم الانيس، ويجد هوفهم أهله الكرام

ان العرب قد تناسبت أجزاؤهم، وتناسقت أوضاعهم، واعتدلت أشكالهم، بياضهم جميل، ليس فيه بهق بعض الاجيال، وأذمتهم لطيفة، ليس فيه حكمة بعض الاقوام، ولعل من فازت من حسانهم بخط عظيم من الجمال تقل نظائرها في حسان الآخرين، وتكون آية المتهى في جمال العالمين،

والمشهور ان الجمال يختلف في أذواق الناس ولكل جيل قياس في الحسن لا يأتي عليه قياس جيل آخر ولكن من أمعن بما يتناقله السكل من صفات الحسن يجد نعمة جمعة جامعة ومقياساً واحداً تنفق معه المقاييس كلها وذلك ان الحسن الذي لا خلاف فيه ليس هو بلون الاديم وإنما هو باعتدال القامة، واستواء الهامة، وتناسب اجزاء الوجه ومقاطعته، وحلاوة المبسم، وملاحة العينين، ولطف الحاجبين، ورقة الشفتين، ولعل هذه المذكورات تكثر في العرب حتى ندر ان نجد غير موصوف او موصوفة بالحسن من مشهورهم ومشهوراتهم. واذا اضيف الى ما ذكرناه بياض الاديم ونشربه بحمرة او صفرة كان ذلك فضلاً في الجمال، قد يبلغ به متعبي الكمال، ولم يكن هذا اللون قليلاً في العرب عامة وقوم خديجة خاصة

والعرب لم يكثرؤا في كلامهم من شيء بمقدار ما أ كثرؤا من وصف الجمال وقدراً ينام يستحسنون هذين اللونين كثيراً: البياض المشرب بحمرة او البياض الضارب الى صفرة. قال ذو الرمة احد شعرائهم:

بيضاء صفراء قد تنازعا لونان من فضة ومن ذهب

وهذا اللون هو لون اللؤلؤ وقد جاء في القرآن المجيد تشبيه حسان

الجنة بالؤلؤ المكنون ولا يختلف أحد الى عهدنا هذا في أن هذا اللون هو الذي تكون صاحبه أقرب الى الكمال في الجمال اذا أخذت بحظ من تناسب بقية الاوضاع ، فانه عندما ينطبع فيه الاحمرار لسبب من الاسباب تكون حرته ألطف من الحرة الملازمة لبعض البيض وعن مثل هذا خبر عدي بن زيد أحد شعراء العرب بقوله :

حرة خلطت صفرة في يياض مثلما جاك حائك ديباجا

ولكثره الياض اللطيف في العرب شبهوه بالصبح واشتقوا من الصبح لونا فقالوا للايض صبيح ، واشتقوا من الزهر لونا فقالوا للأيض المشرب بحمرة أزهر. وتشبيهم بورد الخدود دليل على كثرة هذا اللون فان هذه الحرة لا تطبع الا على أديم أبيض وراياتهم يشبهون الاعتاق كثيرا بأباريق الفضة كما قالت قرية بنت حرب أخت أبي سفيان في أعمامها وأخوالها

وليس بسجيب بمد أن كان الجمال الرائع من جملة خصائص العرب أن نجدهم مغربي القلوب بمجالي تجلياته ، منصرفي الوجوه الى مشارق أنواره ، ثم لا بدع بمد ذلك اذا وجدنا حب الجمال قد لطف أذواقهم ، وعودهم على الاستحسان ، وقلهم من حال الى حال ، الى أن تهبوا لقبول الدعوة التي رقت بهم من هذا الجمال الى أعلى ، ومن هذا الترام الى ما هو أولى ، قلهم الى تصور الجمال الالهي مصدر كل جمال ، وركت بهم الى عشق الكمال المعنوي الذي هو فوق كل كمال ، فلم يصعب على أولئك

الدين شغفهم الجمال المحسوس ، ان يفهموا الجمال المعقول ، وان يزدادوا
نصيبياً منه مع نصيبهم من ذلك ولم يمزّ عليهم ان ينتقلوا الى العالم الجديد
الذي دعوا اليه لانه تبدى لهم أجمل مما كانوا عليه

ونحن اذ نرى للمرب الحظ الاوفر من الشنف بالحسن
والاستعسان يزيد قدرهم في اعتقادنا ونرى من غير تردد انهم كانوا
لذلك المهد من أرقى الاجيال الراقية على بدمهم عن الزخرف ، وعلم
نطقهم بكل أسباب الحضارة ، ولعلنا اذا بحثنا عن المؤثر الاعظم في وفرة
جمال هذا الجيل نجد ذلك لانهم خصوا بأخذ المعتدل من المعاش ، والتقل
في المعتدل من الاقاليم ، وحسب اليهم المعتدل من المهن والاعمال ، وأضافوا
الى ذلك انهم لا يتزوجون من غير رؤية غالباً والانتخاب دخل كبير في
تحسين الجنس وتجويد النسل .

وان بدا لأحدهم أن يتزوج بمن سمع بحماها سماعاً تجده لا يقصر في
البحث والتدقيق بواسطة من يثق بحسن ذوقه ، وجودة امثاله ،
والحكاية الآتية تدلنا على مقدار حرصهم على اختيار الجيل وعلى مبلغ هذا
الشعب من الجمال :

أراد ملك من ملوكهم (هو عمرو بن جبر ملك كندة جد امرئ
القيس) أن يتزوج ابنة عوف بن علم (الذي يقال فيه لآخر بوادي عوف
لا فراط عزّه) وكانت ذات جمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتتظر
اليها وتمتن ما بلغه عنها فلما رجعت قال لها الملك « ما وراءك يا عصام »
قالت : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزنها شر حالك ، ان أولسته خلته
السلاسل ، وان مشطته خلته عنقيد كرم جللاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان

كانها خطا بقلم ، أو سودا بحم ، قد قوسا على مثل عين العجوة ، التي لم
يرعها فافان ولم يذرها مسورة ، بينهما أنف كخالد سيف المصقول ، لم يخنس
به قصر ولم يعض به طول ، حفت به وجتان كالأرجوان ، في يافض محض
كالجنان ، شق فيه ثم كالنظام ، قديذ المبسم ، فيه ثيابا غرر ، ذوات أشعر ، يتقلب
فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يزين به عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي
بينهما شفتان حمراوان كالورد ، يجلبان رقا كالشهد ، تحت ذاك عنق كابرقي
الفضة ، ركب في صدرها تمثال دمية ، يتصل به عضدان يمثلان لحاء ، مكتنزان
شعرا ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ، ولا عرق يحس ، ركبت فيهما كفان
رقيق قصيبا ، تعقدان شئت منهما الا تامل ، تتأ في ذلك الصدر نديان
كالزمايتين يحرقان عليها ثيابها - الى أن قالت حين انتهت الى وصف ساقيها -
وشيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزمرد ، يحمل ذلك قدما ، كعذو
اللسان ، - فتبارك الله مع صنعهما ، كيف يطيقان حمل ما فوقهما ،
ووصفهم الحسن والجمال في الشعر مشهور كقول بعضهم من قصيدة

وزين فوديهما اذا حسرت صافي الغدائر فاقم جمدا

فالوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود

وجبينها صلت وحاجبها شخت الخط أزج تمتد

وكانها وسنى اذا نظرت أو مدنف لما ينفق بمد

فهذا مثال من أمثلة الجمال العربي الذي كان لهط خديجة حظ منه

كثير ولم يكن حظها هي منه قليلا

الفصل الثامن

ثراؤها والنزاهة عند قريش

وكان للسيدة « خديجة » مع ما آتاه الله من الجمال وفضائل النفس حظاً من الثراء أيضاً وثراؤها في حياة أبيها وكانت تاجرة ولعل أباهاً عليها رأس المال باديء بدء

لم يكن اشتغال سيدتنا هذه بالتجارة شيئاً يجب منه في قومها فاتهم كادوا يكونون كلهم تجاراً تقضي بذلك طبيعة مقامهم في ذلك البلد، وشرية تربيتهم على طلاب المجد واتساع السؤود، و منافسة الاقرب والأبعد، ولولا شغفهم بهذا لما سمعنا بصدى همهم في التجارة من بين إخوانهم الآخرين . ولولا لاستطابوا من العيش ما استطاب ذلك الأعرابي الذي سئل عن طعامهم في البادية فقال لسائله : « بخ بخ عيشنا عيش نمل جاذبه »^(١) وطعامنا أطيب طعام وأهنؤه وأمرؤه ، القت^(٢) والمهيد^(٣) والصليب^(٤) والعليز^(٥) والذآنين^(٦) والمراجين^(٧) والضبَاب^(٨) والبراييم^(٩) والقنافذ^(١٠) وربما أكلنا والله القد^(١١) واشتوتنا الجلد،

(١) نمل من النمل وهو الشرب بعد الشرب (٢) القت القصفصة وهي الرطبة من علف الهواب (٣) المهيد الحظل يكرر ويستخرج حبه ويقع ثم يذهب مرارته ويتخذ منه طيب يخوض كل عند الضرورة (٤) الصليب الودك يستخرجونه من العظام بعد أخذ اللحم منها (٥) العليز قراد كبير ونبات ينبت في بلاد بني سليم وطعام يتخذ في المجاعة من الوز والحمل (٦) الذآنين جمع ذؤنون نبت طويل خفيف له رأس مدور (٧) المراجين جمع مرجون الموطن النخل (٨-٩-١٠) الضباب البراييم والقنافذ حيوانات معروفة (١١) القد جلد السحفة

فما نعلم أحداً أخصب مناعيشاً، ولا أرحى بالاً، ولا أعمراً حالاً، أو ما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه :

إذا ما أصبنا كل يوم مديقة^(١) وخمس تمرات صغار كوانز
فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة ونحن أسود الناس عند المزاخر
وكم متعنا عيشنا لا يناله ولو ناله أضحى به حق فائز
فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعة ، ورزق من السعة ، وإياه نسأل تمام النعمة .

هذا ما استطابه الاعرابي وحده الله عليه هذا الحمد . وما الاعراب الا بشر قد يستطيب غيرهم من البشر ما يستطيون اذا خلصوا الى مثل معيشتهم ومارسوها لكن من الناس من لا يطلبون في الحقيقة ما يقيم مادة البدن فقط كما تطلبه سائر الحيوانات بل يتساقون الى ما به النبطة من المتعنيات والدخائر، ويتبارون في ما به التمايز من المستحسنات والبدايع ، ويمثل هؤلاء يزيد الله الانسان بسطة من المعارف ، وقوة في المدارك

وقريش كما عرف القاريء كانوا ممن أعدم الله لعمل عظيم في الارض ولا يتم ذلك بحسب سنته سبحانه ما لم يكن في سابق تربيتهم وطرق حياتهم ما يلائم الطريق الذي سيسأقونه وما أمأهم الا المناسرة في السيادة على شعوب العالم بقدر ما يستطيعون فلم يكن لاثقاً بنهم عتيدون لمثل ذلك ان يقيموا في بلادهم ولا يعرفوا العالم ، ولا تميل نفوسهم الى خيرات السماء والارض الفائضة في ملك الله الواسع ، بل اللاتق

« ١ » المديقة مصغر مذقة وهي شربة من اللبن المزوج بماء كثير

بهؤلاء أن يكون كل واحد منهم أنطق بحاله بقول ذلك الشاعر من أبناء ملوك العرب (امرء القيس)

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفتاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسمى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي
وحقا كانت حال القرشين ناطقة بمثل هذا الكلام، وكلّ منهم له
في المجد أرب، فلا بدع إذا انصرفت أقسامهم الى تحصيل المال فانه أعظم
أدوات هذا المطالب وقد نجح فيه منهم كثيرون ونفقوا بالنفي قومهم
عند الشدائد منهم عبدالله بن جدعان الشهير بجففته التي كان يقدمها للفقراء
والمساكين من زوار مكة وأهلها وقد أمدقومه بالسلاح في حرب حاربوها
وسلّح مئة كمي من غير قومه بمن حارب معهم وفي هذه الحرب قتل
أحد اخوة السيدة « خديجة » العوام ابو الزبير^(١) ومنهم أمية بن خلف
ابن وهب وابنه صفوان الذي أترعن النبي (ص) انه قال فيه « ان صفوان
بن أمية قنطري الجاهلية وقنطر أبوه » أي بلغ ماله القناطير^(٢) وكثيرون
غير هؤلاء

فيا لله ما أشبه قريشا الضارين في أغوار رمال العرب وأنجادها لنقل
المتاع من هذه البرية وإليها على مرأى بهم سفن البر، بالقينيين الضارين

« ١ » تحاربت في هذه الحرب قريش وهوازن وكان عمر النبي (ص) فيها أربعة
عشر عاماً وحضرها مع اعمامه بنيّ لهم التبل . وعبدالله بن جدعان سري شهيد ومث
كبير وهو من نخذ بني جحج

« ٢ » أمية بن نخذ بني جحج أيضاً وقد قتل في وقعة بدر وكان مع أعداء النبي
(ص) اما ابنه صفوان فاسلم بد قح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم

في أكباد تلك المياه وأطرافها لتقل البضائع من هذا الثغر الى ذاك على
مراكبهم فلاتص البحر . فائن كان لا بناء تلك السواحل رحلتا شتاء
وصيف بين زثير الامواج ، ومعاركة الامواء ، فلا بناء هذه البراري أيضا
رحلتا شتاء وصيف بين عواء السباع ، ومعالجة الرمال

لعمري الحق قد أدرك القوم ان الخير كل الخير لا تقسمه ولجيرانهم
انما هو في أن يمتحوا للتجارة لانها في الامم أقوى الاسباب القربة من
البدائم ، المبعدة عن الحياة الوحشية ، قاموا بهذا المرغوب غير كسالى
فكان لذلك ربهم عظيماً من المال ومن ملكة الاختلاط بالانعام في
ذلك العصر السحيق والمكان البعيد . وكان يدم على هذا البعد عن العمران
المتمصل وسطاً صالحاً للتجارة في تلك البرية بواسطة الحج الذي كانت
تجبه العرب الى البيت العظيم الذي فيها وجددير بلدة يحج اليها العرب
ذلك الحج ان تكون للامن داراً ، وانما تنسق شجرة التجارة في رياض الامن .
وكانوا يقيمون من حولها أسواقاً مؤقتة في العام قبيل أيام الحج
ويغدون اليها ليبيعوا ويشروا . أشهرها سوق عكاظ كانت تقوم في أول
يوم من ذي القعدة « وعكاظ » بين مكة والطائف ومن أسواقهم هذه
« ذو المجاز » وهو عند عرفات و « مجنة » وهي موضع أسفل مكة
و « بدر » وهي بين مكة والمدينة

ولقد كان لسوق عكاظ من خطير الشأن ان الثمان بن المنذر ملك
الحيرة على اتصاله ببلاد الحضارة وبمده عن مكة كان يبعث كل عام الى
سوق عكاظ جملاً محملة بزاً وطيباً لتباع في هذه السوق ويشترى له

بشئها من آدم الطائف^(١) ما يحتاج اليه ولم يكن يرسلها في هذا الطريق البعيد التي تمر فيه على قبائل شتى حتى يحيرها له شريف من شرفاء العرب وهذا يدلنا على ان تلك البلاد لم تكن تأتي بالحاصلات من غيرها فقط بواسطة التجارة بل كانت تخرج الى غيرها حاصلاتها أيضاً ومع ان الشام مشهورة بأعنائها وفواكهها كان تجار مكة يأخذون اليها من زبيب الطائف ذلك الزبيب الذي أدهش حسنه وكثرته سليمان بن عبد الملك لما رأي يادره فقال : لله در قيس في أي عش أودع فراخه : يريد بقيس شقيقاً فكذلك كان اسمه وحسبك ان النعمان بن المنذر كان يرسل يأخذ من أدنها

فتجار مكة لم يكونوا يذهبون فارغي الاحمال الى الشام والى غيرها أحياناً بل كانوا يذهبون ببضاعة حجازيه مما تخرج تلك الارض من نبات ومعدن ويرجمون ببضاعة شامية او غيرها مما تخرج الارض وتصنع الايدي . وآخرون مقيمون غير ظاعنين ليقموا السوق الدائمة في تلك البلدة «أم القرى»

ولا يستريح القارئ حتى يعلم ماذا كانت تخرج تلك الديار الى غيرها من الاشياء فانه كلما تصورها غير زراعية وغير صناعية يضيق ذهنه عن معرفة ما يصلح ان يخرج منها وله العذر في ذلك اما نحن فنذهب بحيرته ببيان وجيز لا يسمن اكثر منه لئلا ينقطع الحديث فنقول ان تلك البلاد في نفسها رأس مال طيب كسائر البلاد ذلك بما تشتمل عليه من معادن ونباتات برية يصلح بعضها للصبغ وبعضها للديبغ وبعضها للطب وبعضها

(١) «الامم بضمين وفتح الحاء المدبوغه والواحد آدم»

للطوب وبعضها للتنظيف فإذا أضفت الى ذلك ما كانوا يحفظونه من ألبان الحيوانات وما يستخرجونه منها من الزبد ومن أصوافها وأوبرها وجلودها وما كانوا يحفظون من التمر والزبيب وغيرهما تجديبضاعةً غير يسيرة بحمل مثلها الى أطراف بلاد الشام مما هو الى الحجاز أقرب بل ربما راج بعضه في العواصم

نحن اليوم لا تصور مجتمعاً حضرياً الا بأن يكون فيه أمير مسيطر وجندله حافظون، وزراع وصناع ونجار للمعاش ضامنون، وقد رأى القارىء ان مجتمع «خديجة» قام بغير مسيطر وجندله نفسى ان لا يقبس على استغنائهم عن سيطرة الامير استثناءه عن الزراعة والصناعة والتجارة كلاً فان هذه الثلاث لا تقوم لقوم بدونها. ونحن اذا ذكرنا ما كان من النصيب لقوم «خديجة» منها لا نقصد به عدّة مفخرة لهم الا من جهة انهم تطلبوا بمداركهم وهمهم على كل ما كان يحول بينهم وبين المعاصرة في إدراك شأنا الأمم والابتعاد عن البداوة من بعد ان أوشك جوار البادية ان يجذبهم اليها كما جذب إخوانهم الآخرين

فهم تحضروا في ذلك البلد بين أهل البادية وفي منعطف عن المعاصرة وأعطوا الحضارة حقها على صعوبة الوفاء لها بهذا الحق. وترام مع هذا لم يخالفوا سنن العرب فيما يأتون منه ويترفضون عنه فأقاموا ما احتاجوا إليه من الصناعة في بلدهم ولكن على أيدي عبيدهم لان العرب كانت تأفف من بعض الصناعة وكذلك أقاموا ما احتاجوا اليه من الزراعة على أيدي عبيدهم ولم تكن الزراعة كثيرة في بلدهم ولكن لم يكن خالياً

منها البتة فذاك أودية يجود فيها للزراع والفراس وتجري فيها السيون . وما الطائف عنهم بعيد وهو أبو الزراعة

أما التجلوة فلم تكن العرب تأف منها فذلك بإشرها القوم بأقسامهم كما بإشر بعضهم بعض الصناعات التي ما كانوا يأفون منها . فمنهم من كان يبيع اللباس ، ومنهم من كان يبيع الأدهان ، ومنهم من يبيع اللحم ، ومنهم من يبيع الأداة والماعون والسلاح ، ومنهم من يبيع الرقيق خاصة . وبالجملة كان فيهم باعة لكل الأشياء التي تدور عليها حاجة الإنسان المتحضر من صنوف الأكسية المتأداة ، وضروب الأطعمة والأشربة المبهودة ، وصنوف الماعون والأداة اللازمة ، والفاخير المروقة ، والحيوانات المتداولة والأسلحة الشائمة . ولم تكن سوقهم تلك خالية من السماسرة وقال ابن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني الشير كان بزازا وقال أنه كان سمساراً كما أن أبا بكر الخليفة الأول كان بزازاً (رضي الله عنهما)

ومهما كان ذلك المجتمع أقل تشبهاً بالزحف وأبعد عن التسابق إلى المتاع الزائد عن الحاجة نرى أن حاجاته التي تحتاج إلى عمل التجلوة لم تكن قليلة ونرى أنها وحدها كافية لأن يكسب بعضهم بواسطتها كثيراً من المال فالتجارة ولا شك هي السبب الأول في ثراء قريش وكثرة الثرين منهم لا تألم نصلهم إلى ذلك العهد وجهاً من وجوه المراجع ونغاه المال أعظم منها

وأصناف الأموال التي كان الثراء بها عديم هي الذهب والفضة ، والأبل ، والرقيق ، والأراضي للزراع والفراس ، والأراضي للمعدين ، أما الذهب والفضة فهما الواسطة المظنة في تبادل العروض والأعيان

ومن مطالعة أخبار القوم يظهر أنه كان لديهم منها شيء كثير . من شواهد ذلك قول النبي (ص) « ان صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه » ومن شواهد ذلك أنه بعد ان ظهر الاسلام وانقسموا قسمين أحدهما مع النبي (ص) في دار هجرته (المدينة) والآخرون عدوا له في وطنه (مكة) أدت تصاريغ العداوة الى اشتعال حرب بين القريةين في الحل المسمى ببدر بين مكة والمدينة فكان الظفر لاصحاب النبي (ص) ووقع في أيديهم من عشيرتهم سبعون أسيراً اقتدوا أنفسهم ووزنوا في ذية الواحد أربعة آلاف درهم فتكون الجملة نحو مائتين وثمانين ألف درهم أي نحو عشرين قنطاراً مصرى من الفضة ولم يحدث في ذلك البلد الصغير أقل ضيق من هذا المقدار الذي وزن أهل كل أسير منه ما عليه . وما هو بالمقدار الكبير ولكنه يدل بالجملة على وفرة هذه الدراهم وتيسرها عند القوم . ومنها ما ورد من أنهم اتفقوا على حرب النبي في أحد رجب العير التي جاء بها ابوسفیان من الشام وقدره خمسون ألف دينار

وكانت النقود التي يتداولونها من ضرب الروم غالباً وبعضها كسروي ولكن لم يكونوا يتداولونها الا بالوزن ولعل ذلك لعدم اتقان ضربها على وتيرة واحدة وقد ظلت النقود الأجنبية الى أيام عبد الملك بن مروان فهو الذي أحدث النقود المكتوب عليها بالعربية وأما الابن فهي أوفر أصناف أموالهم والابن مال كثير البركة لصاحبه فالقليل منها فيه الثنى والثناء ، والنعمة والهناء ، من درهما التذاه ، ومن أوبارها الكساء ، ومن جلودها الماعون والخذاء ، ومن برها التوقود

للطبخ وكشف الظلماء ، وظهورها مرآة كسب للظلم والحمل والنجاح ،^(١)
ويطونها أعظم بها واسطة للنماء ، فبمياشك أيها المطالع ، في أي صنف من
أصناف الاموال الحضرية يجد أحداً مثل هذه البركة ، التي لا تحتاج الى
شيء عظيم من الحركة ؟

وأما الرقيق فقد كان في ذلك العهد يعدّ مالاً في جميع جهات الارض
وكان هؤلاء القوم من أغنى الناس في الرقيق واذا صرنا النظر عن استهجان
هذه المادة نرى ان لاشيء أقمع من عمل الآلة المتحركة بنفسها ، النامية
بطبيعتها ، المدركة بخلقها ،

وأما الاراضي للزرع والفرس فكان فيهم أفراد يملكون منها كثيراً
ومن متولي قريش من كان يملك اراضي في الطائف كعتبة وشيبة ابني ربيعة
(من نخذ بني عبد شمس) وغيرهما

وكان نظر القوم الى الزرع والضرع أعظم من نظرم الى الذهب
والفضة فقد سئل بعضهم عن الذهب والفضة فقال «حجران يصطكان إن أقبلت
عليهما نقداء وان تركتهما لم يزيدا ، ان أفضل المال برّة سمراء ، في ربة غبراء ،
او عين خرارة ، في أرض خواردة ، » أشار بهذه الكلمات القليلة الى ان
الموجب لنماء الثروة هو العمل في استخراج الخيرات الطبيعية من الارض
التي هي اول رأس مال اما الذهب والفضة المتداولان فواسطة لوزن
حركات دولاب الاعمال فقط . وهذا هو الأس الصحيح في علم ثروة الامم
واما أراضي المدن فالظاهر أن بعضها كان مشاعاً وبعضها كان مملوكاً
اما كون بعضها مشاعاً فنأخذ من عادة العرب في جاهليتهم من انهم لم

يكونوا خاضعين لمثل سنن البلاد التي فيها ملوك . والمعادن إنما يجمل لها
حامي وحرما الملوك الذين يمدونها من جملة الاموال العمومية التي هي
حق للغزاة العمومية خزانة المملكة . واما كون بعضها كان مملوكاً
فدستفيده مما قرأناه عن ملك بعضهم لبعضها كالحجاج بن علاط السلمي^(١)
الذي كان يملك معادن بني سليم . وكأنهم لشيوع ملك بعض الناس بعض
المعادن كان من الناس من يطلب من النبي بعد الفتح ان يقطعه شيئاً منها
فقد طلب بلال بن الحارث ان يقطعه معادن القبيلة (منسوبة الى قبل ففتحتين)
وهي ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة ايام فأقطعه أياها
وأقطعه جبل قدس للزعر

هذه هي أصناف الاموال التي كان بها ثراء هؤلاء القوم يضاف
اليها العروض والامثلة التي كانت تتداول في التجارة والى مثلها يؤول
اليوم كل ثراء . فاز ملك الارض والمعادن لا يزال ايضاً ينبوعاً زوراً
للثروة ، واستخدام العملة بأجر بخس نوع من الاستعباد والاسترقاق
اعني ان فائدته المادية كفائده ، والنقود لا تزال كثرتها وقلتها ايضاً معياراً

١٨ الحجاج بن علاط ليس بقرشي بل هو من بني سليم ولكنه كان متزوجاً
من قرين « من بني عبد الدار رطب خديجة » وكانت أمواله تستقر في مكة وكان
مكثرأ من المال . أسلم يوم فتح خيبر ثم جاء الى النبي « س » فقال له ان لي ذهباً عند
امرأتي « في مكة » وان تعلم هي وأهلها بسلامي فلا مال لي فأذن لي لأسرع السير
واخير أخباراً اذا قدمت أدراً ما عن مالي ونفسي فأذن له النبي « س » وقدم مكة
وأخذ أمواله بحيلة

٢٢ جبل قدس معروف في جوار المدينة

عظيماً بثروة الأمم، وعنى مقدار ما تقدم كله يركز محور التداول للعروض والامتعة والاثاث والرياش .

وقد كان من لا يستطيع ان يياشر التجارة بنفسه او السفر من أجلها يعطي من ماله الى آخر على ان يجربه ويكون الربح بينهما أو يعطيه بالربا وكان معهوداً فيهم او يستأجر آخر ليقوم له بتجارته والامانة هي الغالة فلم يكن يأمن على المال بتسليمه الى من يجر به بالنواجرة والمضاربة فلذلك لم تصعب التجارة على السيدة الخديجة التي كان لها ما النساء قومها من الاستقلال في أمواتهن ولم يكن لآبيها ولا اخوتها سلطان في ذلك المال الذي كانت تبعت به الى التجارة مع نبي الامانة ذاهباً وآيياً

وفي إشار هذه السيدة إرسال أموالها في التجارة على الاتجار بالتقود في مكة كما بفعل الرايون دلالة على بعد نظرها، وعلو هممتها، وعظيم عطفها وحنانها على وطنها فان الأوطان تسمى باقدام أرباب أموالها على نشر اسمها في العالم بالبيع والشراء واظهار صنوف الثراء، ولا يكون لها مثل ذلك بشيوع المتاجرة بالتقود

الفصل التاسع

زواجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم

تزوجت خديجة قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين تزوجت أبا هالة النباش بن زرارة وتزوجت عتيق بن عابد الخزومي. وكان الزواج المرضي في الجاهلية كالزواج في الاسلام أي ان الرجل يخطب الى الرجل بنته او من له عليها ولاية ويقدم صداقتها فيزوجه . واما ما يذكّر من أنواع أنكحة الجاهلية الاخرى فهو من باب السفاح لامن باب الزواج المرضي ولم يكن السفاح والمخادعة من فعل الشرائف والكرائم، وانما يفعل اغلب ذلك الإماء والحقائر

وولدت هذه السيدة ولداً من ابي هالة وسماه «هنداً» على عادة العرب اذ كانوا يسمون للذكور احياناً أسماء الإناث فبهذا هو ريب النبي (ص) أخو فاطمة: لامها عليهما السلام وقد عاش وأدرك الاسلام وأسلم. روى عنه ابن اخته الحسن بن علي حديث وصف النبي (ص) المشهور في الثمانيات وكان هند وصافاً وحديثه هذا أبلغ ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل هند مع علي يوم الجمل

سبب القارىء من زيادة تعريفنا لابنها هذا ونحن لانكتمه السبب وذلك اتنا نحب ان لاندع شيئاً مما يتعلق بسيرة هذه السيدة مغفلاً ومهملاً ولا سيما بعد اذ رأينا أكثر الذين كتبوا في سيرتها لم يتعرضوا لذلك ولدها هذا فكاد يضيع ويحذف على المتقين في بطون الاسفار الواسعة وعذرهم

في ذلك انهم اتما تعرضون لسيرة هذه الفاضلة على الطالب منذ تشرفها
بزواج النبي (ص)

وان لنا - والحق يقال - حقاً على هؤلاء الناس الذين يريدون أن
يعرفونا بشخص ممن مضى فيمسكون أنفسنا بالشيء من أخباره ثم يقطعونه
ويجذبونها الى شيء آخر

على انني لا أنكر انه اذا سطمت الشمس لا يبقى لبصيص السراج
مكان. فمن ذا الذي يعلم ان هذه السيدة اتصلت بشمس المهدي « محمد »
صلى الله عليه وسلم وولدت منه « فاطمة » الزهراء أمّ الحسين ثم يرجع
باحثاً عن ابنها ذلك من زوجها الاول ابي هالة ؟

لمرك اذا وصلت بديرتها الى هذا المقام تضاءلت امام نظرك كل
ما تسمع عن أيامها الماضية واستشرفت نفسك الى الاطلاع على هذا الشأن
الجديد الذي سيكون لهذه السيدة مع هذا الزوج الكريم الذي رن الكون
كله باسمه الشريف

فمن هنا بدء الحياة العليا لهذه السيدة ، ومن هنا بدء خلود اسمها
في لوح الوجود ، وبدء إشراق مواهبها في سماء السمود ، أمامها الآن
الشمس بلا حاجز ، فليستمد جوهرها القابل ، وليفيض نوراً وسناء ،
وليتبارك كالأولاد

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بغير عبادي الذين يستوفون القول فينبهون حسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « متاراً » كنار الطريق﴾

﴿مصر - الثلاثاء ٢٩ جادى الآخرة ١٣٢٦ — ٢٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨﴾

الجمعة

٢٥ جمادى الآخرة ١١ تموز ٢٤٥ يوليو

عيد الامة العثمانية ، بنعمة الدستور والحرية

في هذا اليوم السعيد استعاد العثمانيون قانونهم الاساسي ومجلس الامة الذي يكفله ، استعادوهما بسعي الاحرار ، وتغريز الجيش الجرار ، فهو عيد الامة العثمانية على اختلاف أجناسها وملها ونحلا

في هذا اليوم استنشق العثمانيون نسيم الحياة السياسية والاجتماعية ، وذاقوا حلوة طعم الحرية ، فكان مثلهم كالمصاب بداء عضال عادت عليه صحته على حين فجأة فكان قدر الحياة عنده عظيما

في هذا اليوم شعر العثمانيون كلهم بأنهم أحرار في بلادهم ، يتمتعون بما وهبهم الله من القوى العقلية والمشاعر والاعضاء ، ويستعملون استعدادهم الفطري فيها خلق له من العلم والعمل ، لا يستبد في علمهم مستبد جائر ، ولا يستعبد لهم حاكم قاهر ، فكان رجاؤهم في الارتقاء كبيرا

في هذا اليوم أمن العثمانيون على حياتهم وشرفهم وأموالهم من حرث ونسل وتجارة وصناعة ، فتوجهت نفوسهم الى الكسب الذي يرفه ميعشتهم ، وبه تنمو ثروتهم وتنظم مالية دولتهم ،

في هذا اليوم أحس العثمانيون بأنهم أمة لهم حقوق على دولتهم ، ومصالح يقوم عليها بناء وحدتهم ، وعليهم فروض وواجبات يؤدونها لحكومتهم ، ولم قانون يساوي بينهم في معاملاتهم ، وان لم بذلك كله جنسية جامعة لم على اختلاف انسابهم ولغاتهم ، وتباين مذاهبهم ودياناتهم

في هذا اليوم وجد العثمانيون عاطفة الإخاء والوداد ، وجاذبة الولاء والاتحاد ،

فصافح المسلم النصراني، وصالح الكردي الارمني، وعانق التركي العربي، بل امتزجت العناصر كلها في بوقه القانون الاساسي فكانت كسيكة واحدة من الذهب لازغل فيها ولا صدأ عليها

في هذا اليوم استراح العثمانيون من ثقل وطأة الجواسيس، وأمنوا شرور عمال السماية والتليس، وعلموا انه لا يخشي عليهم إلا من سوء اعمالهم، ولا يظلمون الا من قبل أنفسهم .

في هذا اليوم فض العثمانيون غبار النذل عن رؤوسهم، وألقوا أوزار المسكنة عن كواهلهم، وطردوا غول الفقر الذي نزل في ربوعهم، وهزموا جند اليأس الذي حل بين ضلوعهم، وهبت عليهم نفحات الرجاء بقاء شوكة دولتهم نافذة قوية، وارتقاء بلادهم في معارج العلم والمدنية

في هذا اليوم انشأ العثمانيون المشتتون في اطراف البلاد، والهاثمون من الخوف والاضطهاد في كل واد، يحنون الى بلادهم التي هي خير بقاع الارض تربوا طيها هوا، وأعدبها ماء، ويشتاقون الى أهلها الذين هم أطيب الناس عنصراً، وأكرمهم جوهرها، وأشد هم مودة وعطفاً، وأسغاهم نفساً وكفاً، وسيعودون اليها زرافات ووحدانا، رجلاً أوركبانا، وكانوا قد زهدوا فيها كارهين، وهجروا أهلها مكرهين

في هذا اليوم تستمد السجون المظلمة، والصحاري القفرة، والجزائر المنفردة، ورد مأودع فيها من الاحرار الاخيار، الذين حاربوا الظلم، واثبوا الاستبداد، ونشدوا القانون والحرية، ودعوا الى العدل والمدنية، ففرقت الحكومة الشخصية المطلقة شملهم ونكلت بهم تنكيلاً

في هذا اليوم يخفق قلب المملكة العثمانية شوقاً الى لقاء ابنائها الاحرار الابرار الذين طوحت بهم السياسة فأبعدتهم عن أمتهم، في أشد اوقاتها حاجة الى خدمتهم، وترجو ان يشتد بعدوتهم اليها أزرها، ويستقيم امرها، حتى قفاخر اعظم البلاد مدينة وعمرانا

في هذا اليوم يتسم ثغور البلاد العثمانية ويتهلل وجه بُرُدها بقاء كعب العلم النافعة، وصحف الافكار المنيرة، والاخبار الصحيحة، التي كان الاستبداد قد قضى

عليها بان تستقبلها عابسة باسرة ، ثم تجعلها وقوداً للنار ، وبئس القرار ،
في هذا اليوم انشأت أفكار العثمانيين تجول في ميادين الاعمال الادبية ، والمصالح
السياسية والمالية ، والآمال ملء قلوبهم ، والرجاء ينير السبل امامهم ،
في هذا اليوم تنحل عقُل الاقلام ، فتجري على صفحات المهارق ، وتنجلي
سحب العقول والافهام ، فتشرق شمسها على عالم الحقائق ، وينكسر قصص الفكر
والخيال ، فتفرد طيورهما في فضاء الرقائق ، فيتبارى العقلاء المستقلون ، والكتاب
المنشئون ، والشعراء المبدعون ، وكل في فلك الحرية يسبحون ،

في هذا اليوم تهر في البلاد العثمانية عين الاسلام ، بمايسر به جميع اهل الاديان ،
من الحرية التي تظهر فيها الحجة وتدحض الشبهة ، ويتميز بها صاحب السنة من
صاحب البدعة ، ويكون كله الدين لله ، لا للسلطة ولا للجاء ، فالحرية تنكشف
الحقائق ، ويُرَيَّلُ بين الصادق والمنافق ، ويَقْدَفُ بالحق على الباطل فاذا هو زاهق ،
الفضل في هذه المزايا الكثيرة التي نلناها في هذا اليوم لجمعية اتنا السياسية العاملة ،
ولضباطنا ذوي الباهة والغيرة والحمة والبسالة ، الذين اتحدوا مع اخوانهم السياسيين ،
واندردوا الاستبداد بالوثبان عليه ، والقضاء على سلطته بقوة السلاح ، اذا لم تل الامة
مطلبها مع حفظ الارواح

فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوة المنفذة ، ان تكفل الدستور الذي
ناله الامة ، حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين قاموا بتنظيم حكومة
الجواسيس اعظم قيام ، واول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد أعوان الاستبداد
عن دار السلطنة — لاعن دار السلطان فقط — ومحاكمة من يمكن ان يتردد منهم
العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة قوم بعباء السلطنة ، وتتقي
الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء المدلية من اخيار الاحرار ، الذين يرجى ان
تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال
النافعة في ظل الحرية الظليل . ثم العناية بامر انتخاب نواب الامة بانتداب عقلاء
الاحرار في كل ولاية الى تنبيه أهلها لخيار رجالهم المعروفين بالاستقامة والاستقلال والحرية
اذا نحن كفتنا شر المستبدن الاولين ، ونلنا وزارة من الاحرار المستقلين ،

فالواجب علينا ان نقف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة ، ونعود السيوف الى اعماحها ، وتنصرف الضباط الى سابق شأنها ، مع احكام الروابط الخفية ، بينها وبين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى اصلاح حال المملكة ، بجميع الوسائل الممكنة ،

والحذر الحذر ، من عواقب نشوة الظفر ، الحذر الحذر من إهانة شخص السلطان ، والتسليق الى عرشه بالبني والعدوان ، فما دام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الامة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الواسطة بينها وبينه ، فاعتداء المروءس على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشرعية ، مجلبة للفوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي الى الخطر أي الامرين خير ؟ أن يستند السلطان ان ما صار اليه ، خير مما كان عليه ، أم العكس ؟ أن يرى ان أولئك الذين كانوا يدّكونه بغرور ، ويمدونه في تلك الوسوس والأمر ، قد اخلصوا النصح له ، وحفظوا شخصه وسلطته ، أم أن يراهم قد خدعوه وغشوه ، واستغلوا ما رأوه من الضعف البشري في ، فبفضوا اليه أمته الكريمة ، وزينوا له محاربة حريتها بما أوتيه من الذكاء والعزيمة ، وحيوا اليه التجسس والاستبداد ، وقبحوا في نظره الهدى والرشاد ، ؟

إذا كان من المعقول ان السلطان يحب السلطة المطلقة ويؤثرها ، فليس من المعقول ان يريد السلطان بالدولة أو الأمة سوء ويكره لها الخير . وكل ما جرى من سوء في تلك السنين النحسات فان أسبابه وعلة ترجع الى أمر واحد وهو خوف السلطان على نفسه وعلى منصبه من أحرار أمته ، وتبع ذلك اعتقاده ان أولئك الاشرار الذين اصطفاهم هم حماة والمخلصون له — وهم غير مخلصين الا بطونهم ملاها الله نارا — فاذا رأى اليوم نجباء الاحرار محيطين به من كل جانب ، وقاضيين على زمام السلطة والقوة ، ولم ير منهم الا الأدب والكمال ، والعمل بالاخلاص ، ألا يقول في نفسه : اذا كانت هذه سيرة هؤلاء معي بدان نكلت بهم تنكيلا ، ومزقتهن في لارض كل ممزق ، فليت شعري كيف كانوا يكونون معي لو شئت معهم من أول الامر على الدستور ؟ وكيف كان تقدم المملكة الآن ؟ ؟

ان الحكومة الجديدة لا تستغني عن تجارب هذا السلطان ، وعن ذكائه الذي تضرب به الامثال ، وعن براعته في حل المشاكل السياسية ، لا سيما في السياسة الخارجية ، وليس بينها وبين الاستفادة منه ، الا أن يأمن هو لها ويخلص هي له ، ان افضل ما نفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اراقة للدماء ، ولا إيقاع البلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب ان نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا نرتكب في طلب الفرع ، ما عصمتنا الله منه في طلب الاصل ، فمضى ان يكون تاريخنا في هذا الطور من الحياة اظلف من توار يخ جيراننا فيه اذا نحن اقتحمنا عقبة هذا الانقلاب بهدوء وسكينة فان رجاءنا في اقتحام ما وراءها من العقبات يكون أقوى ، وأملنا في مجلس الامة يكون اعظم

نعم ان اماننا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمنون بها شغفا ، ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتحصنين والمقلدين ، ومنها مسألة تكون الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟

وان اماننا من مشكلات المسائل الأدبية ما يلي المسائل السياسية في استرعاء هتاء ، واستدعاء عنايتنا ، فان الحرية التي فاجأت بلادنا ، ستعيب بأخلاقنا وآدابنا ، وتحدث شيئا من اتفرق بين جمعاتنا وافرادنا ، فمن يجني ورد الحرية لا بد له من توطيئ النفس لو خز شوكة ، ومن يشتر عسلها ، لا مندوحة له عن التعرض لا يبرئ نحلها ، فمن المطالب بتلافي ذلك ليحفظ النفع ويقل الضرر ؟

هذا ولا تنس المسائل الاقتصادية فان الحرية ماحلت في بلاد كبلادنا خصبة التربة جيدة الانبات ، غنية بالمعادن والغابات ، قابلة لرواج التجارة والصناعات ، الا وتدعت عليها اموال اوربا لاجل استثمارها فيها ، وهناك من أبواب الرجاء للبلاد والخوف عليها مالا يظن له الآن في الامة الا افراد من الناس . فمن المطالب بتنبية الامة الى طرق الثروة الطبيعية مع حفظ رقبة بلادها ، والحذر من قضاء الديون الاجنبية عليها ؟

أليس المطالبون بكل مسائلنا عنه هم أهل العلم والرأي من الاحرار الذين يعرفون

كيف يسعد البشر بالحرية ويتمتعون بثمارها ، ويستفيضون بانوارها مع الأمن من نارها ، اليس هم المرجون لتوحيد الجنسية ، وحفظ الآداب القومية ، واتقومات المالية ، وتأليف الشركات الالهية ، وانشاء الجرائد الوطنية ، للسير بالامة الى مافيه خيرها بالعلم والعمل ؟ بلى انهم لهم المطالبون بكل شيء ، فلا ينبغي ان تشغلهم المسائل السياسية عن كل شيء

يتساءل بعض الناس بينهم هل الدستور العثماني في هذه الكرة مكفول مضمون ؟ هل السلطان مقتنع بأن تنفيذه خير من تعطيله ؟ هل طالب أولئك الضباط بالحض المصلحة العامة ، أم لهم اغراض شخصية يسمون اليها ، فبدر نيران حبيبتهم إذا هم نالوها ، ألا يخشى ان يتفرق شملهم بعد ان يسكن الاضطراب ، ثم يحال بينهم وبين إمكان الثأب مرة أخرى ، فآمن السلطة العليا من المعارضة بالقوة إذا هي ألقت الدستور مرة أخرى ؟

نسمع هذا الكلام وامثاله من بعض العثمانيين الناطقين بالحرية بل نسمع من بعضهم ما هو أدل على سوء الفطن باستعدادنا الحاضر ومستقبلنا الآتي : نسمع منهم ان السلطان يقدر متى شاء ان يلغي الدستور كما ألغاه أول مرة ، ويمنع الحرية وان كان لم يمنحها الآن مريداً مختاراً راضياً ، ولكننا لا نسمع مثل هذه الاقوال من الناطقين بالتركية وان لم يكونوا تركاً . ذلك بان هؤلاء أعلم بحال مجموع الامة والدولة وبما وصلت اليه من الاستعداد الذي هو في الترك أقوى منه في سائر الشعوب العثمانية

يظن بعض أهل الدث والرجم أن جمعيات الاحرار العثمانية قد عن لها في هذه الايام ان تستخدم اسما بعض الضباط المتبرمين من سوء حالهم ، وارتقاء من دونهم عليهم . ففعلت ففجحت ، فما عند الضباط من نزعة الحرية والدستور ، عرض وبما يزول ، لست أبها الظان بالضباط سوء البعذار (الذي يظن سوء فيسيب) فاعلم ان ضباطنا من أركان جمعياتنا السرية منذ وجدت والسلطان يعلم هذا عين اليقين ولهذا كان منهم الجلم الغفير من المنفيين والمسجونين والملاجئين في بلاد الحرية (أوروبا ومصر) وما كان السلطان كلها لمحاربة الثورات وجتهداً في منعها

إلا خوفاً من عاقبة اجتماع كثير من الضباط في كتابتهم وتوايهم المستعدة للحرب على مقربة من الاستانة

أبشروا أيها المتطيطرون ، فان الأمر على غير ما تظنون ، إن الأمة مستعدة لما قالت وان كان الاستعداد في الاناضول أضعف من الاستعداد في الروملي ، وفي الولايات العربية ، دون الولايات التركية ، والسبب في هذا ظاهر جلي

الفرق بين الماضي والحاضر كالفرق بين الليل والنهار ، أو الظلمة والنور ، أو الظل والحور ، أو الحق والباطل ، أو العلم والجهل ، أو القوة والضعف

أرايت مسلمي الاناضول الذين هم أشد من فلاحي روسيا تقدساً للسلطة والسلطان ، الذين حدثي عنهم محمود باشا داماد « رحمه الله » أنهم يمتدحون ان خلق السلطان مخالف خلق سائر البشر : لحيتته خضراء ووجهه يتدفق بالنور . إن هؤلاء الاغرار السذج قد استعملوا للثورة وقد ظهرت في بعض بلادهم بوادرها فكانت حكومة الجواسيس الساقطة تمسح في بعض بلادهم الجند والباس يظنون أنها تمسحه استعداداً لمحاربة الروسية ، ولولا الاعتماد على الضباط لأشعل الاحرار نار الثورة الأهلية في الامة ، فكان عملهم عمل اليأس يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، فللضباط الشكر والثناء الحسن ، بما كفوها عاقبة تلك الفتن ،

الحق أقول انه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، يخشى ان تدفع الحرية بعض الاحرار الظافرين ، الى مثل أعمال المستبدين ، وأن تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عوناً على أنفسهم للحكام الظالمين ، يخشى ان تكون الحرية متاعاً للسفهاء ، يتسلقون بها مراتب العقلاء الفضلاء ، إذا جرى أولئك وجبن هؤلاء ، كما جرى في بعض الأنحاء ، يخشى علينا مما سبقت اليه الاشابة من المشاكل السياسية والاجتماعية ، والفوضى العلمية الأدبية ، والفوضى الاقتصادية ، وإنما الاعتماد في مقاومة كل ما يخشى ، ونيل كل ما يرجى ، على توفيق الله لاهل الروية والاعتدال ، الذين يقومون بنشر العلوم وجلائل الاعمال ، كثر الله فينا من أمثالهم ، ونفع الامة بعلومهم وأعمالهم ،

﴿ القانون الاساسي . والخط السلطاني به ﴾

تنشرها اهم مواد هذا القانون في حقوق العثمانيين لتدبرها القراء منهم فيعرفوا قيمتهم وانهم ليسوا عبيد الحكماء . ثم ترجمة الخط السلطاني في الحاجة الى هذا القانون « المادة ٩ » ان جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية بشرط ان لا يعتدي أحد على حقوق غيره

« ١٠ » ان الحرية الشخصية مصونة من جميع انواع التعدي ولا يجوز مجازاة احد بأي وسيلة كانت الا بالاسباب والالوجه التي يبينها القانون

« ١١ » ان دين الدولة العثمانية هو الاسلام ومع مراعاة هذا الاساس وعدم الاخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الاديان المروقة في الممالك العثمانية بحرية تحت حماية الدولة مع بقاء الامتيازات المطاة للجماعات المختلفة كما كانت عليه « ١٢ » ان المطبوعات هي حرة في ضمن دائرة القانون

« ١٤ » يسوغ لكل فرد من افراد التبعة العثمانية او الجملة منهم الشكوى الى جهة الاختصاص من مخالفة القوانين والنظامات أو من افعال المأمورين

« ١٧ » ان العثمانيين جميعهم متساوون امام القانون كما انهم متساوون كذلك في حقوق وظائف الملكية ما عدا الأحوال الدينية والمذهبية

« ٢١ » كل احد امين على ماله وملكه الذي تحت تصرفه ولا يؤخذ من أحد ملكه ما لم يثبت لزومه للنفع العام وحينئذ يدفع ثمنه الحقيقي سلفاً وفقاً للقانون

« ٢٣ » لا يسوغ اجبار احد على الحضور الى محكمة غير المحكمة المنسوب هو اليها قانونياً وفقاً لقانون اصول المحاكمة الذي تقرر وضعه

« ٢٤ » المصادرة والتسخير والجريمة من الامور الممنوعة وانما يستثنى من ذلك التكاليف والاحوال التي تبين في اوقات الحرب بحسب الاحوال

« ٢٥ » لا يجوز ان يؤخذ من أحد بارة واحدة باسم وبركو ورسوم او بصفة أخرى ما لم يكن ذلك موافقاً للقانون

« ٢٦ » ان التعذيب وكل انواع الاذى ممنوع منها باتاً كلياً

ترجمة الخط الشريف السلطاني

﴿ بالقانون الاساسي ﴾

وهو خطاب السلطان لمدحت باشا الصدر الاعظم باعتماد القانون وأمره بتنفيذه

« وزيرى سبير المعالي مدحت باشا »

ان التدنيات العارضة منذ ازمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيم في ادارة الامور الداخلية أكثر مما نشأت من الفوائت الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة امنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط فلذا كان والذي الماجد المرحوم عبد المجيد خان اعلن مقدمة للاصلاحات خطا التنظيمات الذي منح به جميع الرعية الأمن على نفوسهم واموالهم واعراضهم وناموسهم مواهقة لاحكام الشرع الشريف القدسة وما عساه الى الآن في ضمن دائرة الامن وما وقتنا به اليوم الى وضع واعلان هذا القانون الاساسي الذي هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية انما هو من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك اردد خاصة في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليه وموقفه وأصفه بمنوان محيي الدولة ولا ريب بأنه لو كان الاوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة مواهقة لاستعداد زماننا هذا ولجأته لكان المرحوم المشار اليه وضع يومئذ احكام هذا القانون الاساسي الذي نشرناه الآن وافنذه ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بالتمام سعادة حال ملتنا وأرجأها الى عهد سلطنتنا فتقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم

على ان التغييرات التي وقعت بالطبع في احوال داخلية دولتنا العلية والتوسيمات التي حصلت في مناسباتها الخارجية اوصلت عدم كفاءة شكل إدارة الحكومة لدرجة البدهاة ولما كان اقصى مقاصدنا الخيرية ازالة الاسباب المانعة للآن من

الاستفادة الواجبة من الثروة الطبيعية للملكتنا وأمتاوسن قابليتها الفطرية وتقدم
صنوف الرعاية في طرق الترقى بالتعاون والاتحاد اقتضى لاجل الوصول الى هذا المقصد
ان يوضع للحكومة أساس مأمون متعظم وهذا ايضا يتوقف على تأمين هذه الفهم
وتقريرها بمعنى ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الخروجات
غير المشروعة اعني بها منع ومحضروب الخطات وسوء التصرف المتولدة من الحكم
الاستبدادي الفردي واحكم الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئته منهم نعمة
الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ذلك الحق والمنفعة الحريان بالهيئة الاجتماعية المدنية
ولما كان ربط القوانين والمصالح القائمة بقاعدتي الشورى والحكومة المقيدة المشروعتين
والثابت خيرهما مما يحتاج اليه هذه الاصول او عزنا في خطنا الذي ادعنا به جلوسنا
الى وجوب تأليف مجلس عمومي وحيث ان القانون الاساسي الذي وجب تنظيمه في
هذا المطلب قد وضع بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تمنت مركبة من متحيزي
الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال وعمال دولتنا العلية وجرى عليه التصديق
في مجلس وكلاننا بعد امان نظر التدقيق وكانت المواد المدرجة فيه انما هي متعلقة
بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين
ومساواتهم وصلاحيه الرعلاء والمأمورين ومسئوليتهم وبما للمجلس العمومي من حق
الوقوف باستقلال الحاكم الكامل وبصحة ميزانية المالية وبالحفاظ على مركز الحقوق في
ادارة الولايات واتباع اصول الماذونية وكان جميع ما ذكر مطالباً لاحكام الشرع
الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا وكانت اخص آمالنا في مطلب
سعادة العامة وترقيتها مساعدة لهذا الفكر الخيري ومواقفة له— فاستدأ على عون الله
ومدد روحانية رسول الله قد قبلنا هذا القانون الاساسي وارسلنا به لطرفكم بعد ان
صادقنا عليه فبادروا لاعلانه في جميع انحاء الممالك العثمانية واطربنا ليكون دستوراً
للعمل الى ما شاء الله وبادروا باجراء احكامه منذ اليوم متخذين اسرع التدابير لتنظيم
ما تقرر فيه وتسطر من النظمات والقوانين كما هو مطلبنا القطعي ونسأل جناب الحق
المتعالى ان يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكتنا ومطلبنا للتوفيق في
كل الاعمال . اهـ في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

مقدمتنا لكتاب التربية الاستقلالية - أواميل القرن التاسع عشر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين *
 فله الحمد والشكر والثناء الحسن ، وعلى نبيه ورسوله الصلاة والسلام ، والرحمة والبركات لمن تزكوا بالتربية العالية ، وتعلموا الكتاب والحكمة السامية ، فكان لكل منهم نصيبه من السعادة في نفسه ، والسيادة في أبناء جنسه ، ومنهم من أعدته هذه التزكية للسعادة الآجلة ، كما أعطته السيادة العاجلة ، ١٧ : ٢٠ كلاً *
 نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً

فالتربية والتعليم سعادة الدنيا ، وبها سعادة الحياة الأخرى ، والأمر بمقاصدها للانسان استعداد لا يعرف له حد ولا نهاية ، ولا تظهر ثمرات استعداده الا بالتعاون ، ولا يكون التعاون الا بالعيشة الاجتماعية ، وشؤون الاجتماع لا ترتقي الا بالنظام ، وإنما يقوم النظام بالحكام ، والحكام عرضة للنبي والاثرة لا يصددهم عنها السيطرة الأم عليهم ، والأمة لا تصلح للسيطرة على حكامها الا اذا كانت افرادها احراراً في انفسهم ، مستقلين في افكارهم وارادتهم ، فالحرية والاستقلال ، هما القدمان اللذان يسير بهما الانسان الى منازل الكمال ،

لا يصل الانسان الى الكمال في شيء من مقاصد الحياة الا بالسير التدريجي على سنن الفطرة . والسير بطيء وسريع ، فنه الهدجان والدليف ، والدألان زالجيف ، (١) بل منه القهقري ، والرجوع الى الوراء ، فاذا هو ارشد الى الغاية في البداية ، وأمد بما يوافق الفطرة من ضروب الهداية ، يكون أبعد عن التخط في سيره ، والضلال في طريقه ، وأقرب وصولاً إلى المقاصد ، بالسفر القاصد ،

(١) الدرجان مشية الثقل والدليف مشية الشيخ رويدا ومقاربه الخطو .

والدألان مشية التسيط والزجيف السريع

ولكن مضت سنة الأولين بما أمان لنا أن الانسان لا يرتقي في المقاصد الاجتماعية الا بتوزيع الاعمال ، ونوط كل عمل بطائفة من الناس ، يصرفون همهم اليه ، ويعملون في معاشهم عليه ، ومن هذه الأعمال حفظ الأمن وحماية النظام ، ومنها الارشاد والتعليم ، والتربية والتأديب ، — وأن الصنفين القائمين بهذين العمليين — ولهما القيامة على سائر الأصناف — قد سيئون التصرف ، ويتبعون الهوى ، فيعشون بالحرية والاستقلال ، فيحولون دون ما توجه اليه الناس من الكمال ، — وأن الاول منهم (وهو صنف الحكام) كثير ما يعمى في الاستبداد ، ويفلج في الاستبداد ، حتى يفسد على الناس ما ارتقى به الاجتماع قبله ، ويخرب ما أقامه من معالم العمران من سلفه ، وقد يستعين بصنف المعلمين والمربين ، على إفساد النفوس والافكار من الناشئين ، بتشتيتهم على الخنوع للمستبدين ، وتقليد الميتين ، فيرجع قومه القهقري ، ويسيروا في اجتماعهم الى الورا ، حتى تكون البدوة خيراً من مدينتهم ، لأنها على إقارها من نتائج العقول في الفنون والصناعات ، تكون عامرة باستقلال الفكر والإرادة وحرية التصرف ، وما يتبع ذلك من عزة النفس والتحلي بكثير من الفضائل التي هي من طبيعة الفطرة ولوازم تلك المعيشة فالكمال الاجتماعي الذي يُطلب بالمدينة عرضة لتقائص يجلبها للبشر استبداد الوازع من الامراء والسلاطين ، وفساد القوام على التربية والتعليم ، وسوء اختيار الافراد الذين يعيشون في كنف السلطة والحكم ، وينامون على مهاد الراحة والترف ، ففسد فطرتهم ، وتهمي عزيمتهم ، ويرضون ان يكونوا عالة على غيرهم ، وعبيداً للقوام عليهم ، بما فقدوا من الحرية والاستقلال ، بل يقول الحكماء ابن خلدون ان التأديب والتعليم الصناعي يذهب بالأس وعزة النفس لان الوازع فيها أجنبي ، وأما الادب الشرعي فليس كذلك لان الوازع فيه نفسي ، وهو موافق لقول علماء العصر ان كمال الانسان في ان يكون حراً مستقلاً تصدر أعماله بإرادته واختياره عن اعتقاده ووجدانه ، ولا يحكم عليه إلا الشرع والقانون الذي رضي لنفسه ، وكان له رأي في اختيار القائمين بتنفيذه هذا المقصد العالي لا ينال في الحضارة الابترية وتعليم تتبع فيها سنة الفطرة وتنتج فيها اهواء الوازعين الذين يرون من مصلحتهم ان يصنعوا نفوس التابطة بصيغة خاصة يستديمون بها السيادة عليهم ، وقودهم كالانعام الى ما يريدون منهم

اسرف الوازعون من رؤساء الدين والدنيا في الجور على الخاضعين لهم في اورب
زمتا طويلا حتى لم يعد للطاقة البشرية قبل باحتمال جورهم ، فأحدث ذلك الضغط
انفجارا عظيما اهتزت له الارض ، وزلزل ذلك القهر والجبروت ، بل زال وانذك
بهمة دعاة الحرية والاستقلال ، ولكن حدث عنه بمقتضى السنة الالهية التي يعبر عنها
« برد الفعل » اسراف في مقاومة تينك السلطين الجائرين — سلطة الحكومة وسلطة
الكنيسة — فحدثت المذاهب المادية والاشتراكية المتطرفة والفوضوية وكانت فرنسا
اشد الشعوب والايال غلوا في ذلك وانكثرا أشدها اعتد الافيه لما جرت عليه من
الحفاظة على التقاليد القديمة ، والتثبت في النزوع الى الآراء والاعمال الجديدة ،

انبت آراء الغالين في مقاومة السلطة والدين في كتب الترية والتعليم التي
ألفها كبار الحكماء والكتاب من الوريين لاسيما الفرنسيين منهم حتى صارحقها
مشوبا بياطلها ، ونفعها معارضا يائهما ، وكان من اشهر كتب الترية (كتاب اميل
القرن الثامن عشر) للحكيم الفرنسي الشهير (جان جاك روسو) ثم اردقت المعارف ،
وزخرت بحار العلم ، فصار الآخرون ، يستدركون على ما مضى عليه الأولون ، كما
فعل (ألفونس أسكبروس) في كتابه الذي سماه (اميل القرن التاسع عشر) إشارة
الى ما ينبغي أن يكون عليه فن الترية في ذلك القرن وما بعده . وهو الكتاب الذي
نشرنا ترجمته في بضعة مجلدات من المنار ، في كل مجلد منها رسائل معدودة ، نشرت
في اجزاء متصلة او متفرقة ، وقد جمعنا شمل هاتيك الرسائل والشذرات كلها اليوم
لنشرها في هذا السفر على قراء العربية عامة ، وأرباب البيوت منهم خاصة ، لما في قراءتها
متصلة من تمام الفائدة بما يكون القارئ اوعى للسائل واضبط ، واغيب في تبهما وانشط ،
لم أر في المصنفات الحديثة ولا القديمة مصنفاً كهذا الكتاب جمع بين اللذة
والفائدة في انفع العلوم التي تتفاضل فيها عقول البشر وهو علم تربية الانسان جسماً
وعقلاً ونفساً ليكون سعيداً في نفسه ، نافعاً لأبناء جنسه ، ولهذا رغب في نشره الاستاذ
الامام ، قدس الله روحه في دار السلام ، وعهد الى مريده ذي الفطرة السليمة ، والآداب
القومية ، صديقنا عبد العزيز افندي محمد القاضي بالحاكم الالهية المصرية ، بأن يترجمه
بالربية ، لينشر في مجلة المنار الاسلامية ، وحسبي من بيان مزية الترجمة عرضها على القراء

(المنازع ١١٦) مقدمة مترجم كتاب التربية الاستقلالية ٤٣١

نفسه وموافق لهداية الاسلام . ونعذره في نفيه عن دعها بنصوص الدين لان ما يعرفه من هداية الأديان يتاقي اتباع طريقته فالجهم ينهاج جمع بين الضدين . على أنه على اعتداله لم يسلم من السخط على دين الكنيسة بمقتضى سنة رد الفعل التي اشرنا اليها من قبل ولكن طريقته تنطبق على هداية القرآن لانها مواقة للفطرة ويزيدها الاسلام قوة وتمكينا ببيان ان الآثار الطبيعية للخير في الدنيا وهي منافعها التي يوثق لاجلها لا تذكر بالنسبة الى الآثار الطبيعية التي تكون له (اي الخير) في الحياة الآخرة وهذه قضية يناها بالدلائل والنصوص في مواضع كثيرة من تفسير القرآن الحكيم ومن المنازع فلم يبق بعد هذا الا أن أنصح لقراء العربية بأن يجعلوا هذا الكتاب ركناً للتربية والتعليم مع مراعاة المسلم منهم لهداية القرآن التي أجزم بأن المصنف لو علمها لجعلها ركناً للتربية فوق هدايات الحواس والعقل والوجدان

أنصح للتعلّقات من البنات ومن ربات البيوت بأن يقرأنه مرة بعد المرة . وأنصح للرجال أن يقرؤنه لنسائهم ويقرؤنه لمن تفسيرا . وأنصح للناطقة الجديدة من تلاميذ المدارس الدينية ، وطلاب المدارس الدينية ، بأن يقدموا العناية بمطالعتهم على جميع ما يطالعون من الكتب للاستعانة على تأديب النفوس واحكام صناعة الإنشاء وإتقان أسلوب الترجمة . وإني لعل علم بأن الاقبال على هذا الكتاب وتوخي العمل به سيكون مبدأ العصر جديديربي في نفوس قراء العربية الحرية الذاتية والاستقلال الشخصي والنوعي ومتى كثر الاحرار المستقلون في شعب فانهم يحيون شعبهم حياة استقلالية يستحيل ان يعبت بها مستبد ، او يفسدها عليهم مفسد ، ولهذا سميت الكتاب بالتربية الاستقلالية ، وجعلت تسمية المؤلف له ثانوية ، فالاسم الاول يدل على موضوعه وغايته ، والثاني يشير الى منهجه وطريقته ، وهي تمثيل فن التربية بالعمل في شخص المربى ، وهو المنهج السوي والطريقة المثلى ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ المنار

كُتبت في غايه جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦

مقدمة مترجم الكتاب بعد البسملة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على نبينا

الحكمة، ونبي الرحمة، الذي أدبه ربه فاحسن تأديبه، واتم له من مكارم الاخلاق وجلال الشيم نصيبه، فصارت سيرته المحمودة اكل مثال للرئين، وأفضل هدي للمرشدين، وعلى آله واصحابه المهادين المهتدين،

اما بعد فقد مضت سنة الله سبحانه في الانسان ان يخلق عاجزا جاهلا محتاجا الى الكافل الذي يحوطه برعايته، ويقيه على الصراط السوي في معيشته، ثم يتدرج في القدرة والعلم حتي يبلغ ماأعد له من الكمال الحسي والمعنوي بحسب استعدادده، وعلى مقدار عناية قيمه بتربيته

من أجل هذا تفاوتت درجات الناس تفاوتا عظيما في القدرة والعجز والعلم والجهل وتنوعت آثار هذه الصفات فيهم تنوعا لا يحده وصف ولا يشمل حصر وتبع ذلك اختلاف الامم بالتلقي والتدلي والعزة والذلة.

فنأمة عنيت تربية ابنائها وتهذيب اخلاقهم وتنقيف عقولهم وانشائهم احرارا عشاقا للعلم يخدمونها ويخدمونه مختارين كما يخدمون انفسهم فاشرفت في ربوعها شمس العلم وكشفت لها الحجاب عما سخر لها من قوى الكون فاستخدمتها في حاجاتها وحاجات نظراتها واستعانت بها على تحسين احوالها وترقية معاشها.

لان لها الحديد على صلابته وشدة بأسه فالتخذت منه سحنا حصينا للعدوين متنادين هما الماء والنار فكان من كفاحها فيه ان تصاعدت زفرات الماء وغلت مراحل غيظه، فالتمس الخلاص فلم يسهه الا ان طار بسجنه، فكان ذلك سببا لاستعمال هذه القوة الفاتحة في طي المسافات السحيقة، وقريب الامم المتناثية، وكسر نخوة البحار والتخفيض من غلوائها بامتطاء ظهورها وشق احشائها والاخذ بشكائهم. ثم وفي تحريك دواليب الصناعات المختلفة تحريكها خفف من أوصاب الصناعات ومتاعب العمال وغمر أسواق التجارة بضروب المصنوعات البديعة فأصبح القبح شريكا للفي في الاستمتاع بها، بعد ان كان محروما منها، واتخذت لها من الحديد أيضاً قدافات للوئ، جلايات للدمار والخراب، لاردها شجاعة الشجعان، ولا تفني منها مصاوله الفرسان، فلكنها نواصي الاعزاء، وبسطت لها السلطان في جميع الارحاء.

لقتها قصيف الرعد ووميض البرق وغيرها من آثار القوى الكونية التي طالما مر عليها من غيروا من اجيال البشر وهم عنها معرضون فحدثت ان فيها قوة عظيمة لم تخلق سدى وانها لو ملكت تصريف زمامها لاستفادت منها ما استفادته من البخار فابرى طلاب الحقائق من ابناءها الذين اثمرت فيهم الترية الصحيحة للبحث عنها في مكانها وما زالوا يصاون الليل بالنهار في تبصها حتى اهدوا الى ينابيعها وجمعوا شتاتها بعد ان كانت شعاعاً هملأً وحصرها في سبل ضيقه لاقبل لها بتعديها ثم القوا مقابلها الى الأمم فكان من تصرفها في مرافق الانسان ومنافعه ما ترى من الآيات الكبرى على كمال قدرة الخالق وسعة امكان عقل الخلق : رعدة تحيل الماء هواء ، وتقلب الليل نهاراً ، ونبض اقرب من لمح البصر يصير تارة مناجاة كتابية بين مطوحين في مطارح الغربة تستنجز بها الامور وتقصي بها المآرب ، وطورا تكون مخاطبة شفية تميز فيها اجراس أصوات المتخاطبين على ما يكون بينهما من بعد الثقة ، وكرة تدفع جاريات تطير طيرانا على سطح الارض مقلدة ماشاء ان تقل من الناس والمتاع

ولو رحت اعدد لك آثار الترية المثل والعلم النافع في الامم الراقية لاحتجت في تفصيل ذلك الى مجلدات فاجتزئي عنه بما لمحت اليه تليحاً .
واما أخرى لم تبلغها دعوة العلم ولا رأت آثار الترية في غيرها فلازمت حالتها الفطرية ومعيشتها الوحشية فكان ذلك مدعاة الى وقوف نمو المثل في ابناءها وانمحاء ما فيهم من ضروب الاستعداد وكان مصيرها خسران وجودها الذاتي وفناؤها في غيرها من الامم الحية .

واما ثالثة خلقت مستعدة للرقى وسارت في سبيله شوطاً بعيداً بما نشأت عليه من الحرية وتحققته من أصول الترية الدينية الصحيحة فالت في الزمن اليسير من العزة والمجد وبسطه السلطان ما لم ينله غيرها من الامم في الزمن الطويل .

ر باها مرشدها الاكبر بسيرته السنية على حب العدل والاياء بالعهود وانفاق الاموال في وجوه الخير والتأخي في نصرة الحق والرفع عن سفاف الامور

واوجب طلب العلم من المهد الى اللحد على أفرادها نساء ورجالا غير مخصص علما بعينه فنبغ فيها رجال لم تسمح الايام بنظائرهم ولن تلد الوالدات امثالهم — منهم من ساسوا الرعية أفضل سياسية لم يعدها التاريخ في غيرهم من السواس حرموا أنفسهم فيها من ملاذ العيش وصبروها على مصلحة الناس وحاسبوها على القيام بها أشد محاسبة — ومنهم من قادوا الجيوش وفتحوا البلاد ودوخوا اكبر دول الارض لهدمهم مع تمام العدل في معاملة المغلوبين وبذل الامان للمستأنين — و منهم العلماء والحكماء الذين صدقت عزائمهم في طلب الحقائق فلم يدعوا بابا من ابواب العلم الا دخوله على ما كانوا يلاقونه في ذلك من صعوبة التحصيل لندرة الكتب وتباعد معاهد التعليم يشهد لهم بذلك ماخفوه من آثارهم التي تزدان بها دور الكتب في معظم البلدان — ومنهم مهرة الصنائع الذين اقاموا من معالم الحضارة ما يحكم لهم بالبريز على مناسيهم ويوجب لآخائهم حق الفخر بهم .

وأسفى على هذه الامة أسفا يرخ النفس أسى ويذيب القلب حسرة؛ ما لبثت ان بطرت ميسمتها وكفرت بأنتم ربها ، فوجد عليها الزمان ، وانتابها نواب الخدثان ، طال عليها أمد هداية الدين ، وبعد عنها عهد المرشدين ، قست القلوب وفسد الاخلاق ، واستحكمت علة الترف من النفوس ؛ فلحها الطمع ، وتولاها الحسد ، ومنيت بالحكام المستبدين ، والامراء الفاشمين ، فزقوا وحدتها ، وملكوا عليها أمرها ، وصرفوها فيما تهوى أنفسهم ، فاستحالت حريتها رقا ، واقلب عزاها ذلا ، وعدلها ظلما وانساها بالعلم وحشة .

لم يغب سوء حالها عن مجاورونها من الامم القوية بل كانوا يراقبونها مراقبة الصائد الذي يتحين الفرص لصيده وما غتموا ان ناصبوها العداوة وكادوا لها المكاييد فوق معظم بلادها في قبضتهم وتغلغلوا في احشائها واصبحوا لها حكاما يديرون شؤونها على حسب ما تقتضيه مصالح بلادهم وفتحوا عليها ابوابا من الترف وفساد الاخلاق ألقتها عن الشعور بألم العبودية وصرقها عن النظر في مصالحها القومية .

لم يصبها كل ذلك الا من عدم محافظتها على حريتها باغفالها الترية الصحيحة

واذا كان هذا شأن الترية في رفع الام وخفضها كان حقاً على القلاء من كل أمة ان يمنوا بها ويفكروا في الوصول اليها من اقوم طرقها ويبنوا أصولها ويدونوا فيها الكتب النافعة ويبحثوا قوسهم على الاخذ بما فيها . وقد خرج من عهدته هذا الحق علماء الام الحية في اوربا وامريكا فوضعوا من قواعد ما ظهرت آثارها في اقوامهم ، واكتبهم حسن الذكر في بلادهم ، وغفل عن ذلك غيرهم من خواص الام التي تتنازعها الحياة والموت لقلبة القنوط عليهم فلم يوجد لديها من الكتب الحديثة في موضوع الترية الا بعض رسائل لاغناء بها فيه .

كان الاستاذ الامام الشيخ محمده طيب الله شراه براً بقومه غيوراً على حياتهم حريراً على إقائهم من سبات الجهل ، وانهاضهم من حضيض النذل ، فكان دائماً التصفح لما كتبه الاوربيون والامر يكون في الترية والحكمة وكان من كثرة اهتمامه بالترية ان ترجم فيها كتاباً مفيداً للحكيم الانكليزي هربرت سبنسر غير انه لم يتسع وقته لتصحيحه وتهذيب ترجمته ونشره فبقي كما هو وقد وقع له كتاب آخر فيها عظيم النفع لمؤلف فرنسي اسمه ألفونس اسكبروس فاعجب بما فيه من الافكار الصحيحة والمعاني الشائقة فهد الي ترجمته ونشره تدريجاً في مجلة المنار الجليلة فوقت للايفاء بهمه مساعدة له على ما كان بسيله من خدمة المصلحة العامة وقياماً ببعض المفروض على منها . فالكتاب اذن أثر من آثار سعيه في ترقية بلاده ، ويده من أياديه الكثيرة عند قومه ، سيذكرها له منهم الشاكرون ، ويضبطها على ديدنهم فيه الجاحدون ، اجزل الله له المثوبة على حسن مقاصده ، وغمره برحمته واحسانه على مجاهدته في اعلاء شأن أمته .

هذا الكتاب الذي اقدم بترجمته لقراء الترية يرمي مؤلفه الى غاية واحدة هي إنشاء الطفل حراً مستقلاً تصدر أعماله وآراؤه عن اختيار وعلم لا عن اضطرار وتقليد . ومن أصوله في الترية ان لا تحشر اليه قواعد العلم حشراً ورغم على حفظها بل يجعل له الدرس من وسائل التسلية بأن يخلق بينه وبين ما حوله من الاشياء والحوادث ويلفت ذهنه اليها لينزع منها بنفسه ما تؤديه مراقبتها اليه من العلوم . تمكن هذا الاصل من نفس المؤلف تمكناً حله على أن يعد في تأليفه عن

اساليب الكتب التعليمية المعهودة : وضعه على أسلوب يقرب من اسلوب القصص ليكون اشهى للنفوس ، وافنى لللال عن القلوب ، تخيل زوجين سعى احدهما الدكتور اراسم والثاني هيلانة ، منيا با لفراف ، لأول عهدها بالاقتران ، لاثام الزوج بجرمة سياسية سجن من اجلها . ولم يلبثا بعد اقتراقهما ان احست الزوجة بالحمل فحرت بينهما رسائل في مواضع شتى ادججت فيها اصول التربية الصحيحة ادماجاً وسنحت للزوج اثناء سجنه سوانح افكار ومرت بذهنه شوارد خواطر كان يقيدها في جريدته اليومية فاجتمع المؤلف من الرسائل والصحف والشذرات المتقطعة من جريدة الزوج هذا السفر الذي وسمه « باميل القرن التاسع عشر » وقسمه اربعة اقسام سعى كلا منها كتاباً اولها في الأم وثانيها في الطفل وثالثها في اليافع ورابعها في الشاب .

فأما كتاب الأم فساائله هي : — ما ينبغي عليها مراعاته في طور الحمل من العناية بصحتها وتوفير عافيتها وملازمة السكينة والاستقرار والبعد عن كل ما يثير انفعالها ويرويج نفسها بالناظر البديعة والمشاهد الرائعة ، وبيان ان التربية الأولى من شؤون الام خاصة — وما يجب عليها من العلم بتدبير صحة المولود بعد الوضع وارضاعه بنفسها وتعويدته من نعومة أظفاره على الاستقلال في حركاته وسكناته ، ووصف ما للنساء الانكليزيات من الفضل على الفرنسيات في ذلك ، وانتقاد طريقة التربية الأولى في فرنسا ، وانتقاد اخلاق الانكليز وخضوعهم لتقاليد اسلافهم .



وأما كتاب الولد فساائله هي : — تعريف التربية وبيان الصعوبة في تحديد زمني بدايتها ونهايتها ، وبيان عمل الأم في الشهور الأولى من حياة الطفل ، وانتقاد ما يفعله الاهات بالاطفالن في هذه السن ، وبيان ان اول علوم الطفل تأتية من طرق الحواس ، وطريقة تربية الحواس ، وتأثير القنن في قوى الحواس وعمل الام في تمرينها ، ووجوب تعرف طبايع الطفل وبيان اهمال المربين لهذا الواجب ، وما يلزم اتباعه في سياسة الطفل ، ووجوب لفته الى المحسوسات وتدريبه على وقاية نفسه بنفسه ، وبيان خطأ الوالدين في ابناء اولادها على مثالها في الطبايع

والاذواق وكون هذا هو السبب في ندرة الرجال المستقلين استقلالاً حقيقياً .
ماهية الطبع ، وهل الارادة خلقية او كسبية ،

ويان ان ما يديه الطفل في حال غضبه او تألمه من الاصوات والحركات ،
لشفاء ما به وان الواجب في حمله على الكف عنها اخذه بالتسلي والتلية لا بالتسلي
والقهر ، ووجوب مقاومة التربية لاهواء الطفل الفاسدة وذلك بطريقتين احدهما
إلهاؤه عنها والثانية جعله بمعزل عن البواعث المثيرة لها ، وضرورة استعمال السلطة في
سياسة الاطفال ووجوب التعجيل بالكف عن استعمالها متى تيسر ذلك ،

ويان ضرر قهر الطفل على الامثال ووجوب اجتناب تخويفه بالعقوبات
الالهية والخوض معه في المسائل الدينية ووجوب تركها له لينظر فيها متى كبر بفكره
خال من المؤثرات ، ويان علم الفائدة في اصول علم الاخلاق للاطفال وقلة جدوى
القدوة ومطالعة قصص الحيوانات لهم وضرورة استقلال طبع الطفل وتعلمه سير
الحيوانات بنفسه ،

ويان الطريق الى تربية المشاعر الباطنة ، ويان ان في التبكير بإلقاء النصائح
والمواعظ على الاطفال خطأ من كرامتها ، وكيفية تقاوم الام مع ابنها بالاصوات ،
وربما كانت الاصوات اصل اللغات ، ووجوب استعداد الام للتربية بالتعلم ،
وتفكر الاطفال ، واصل اللغات وتعليمها لهم وسوء طريقة المربين في ذلك ، وان
التفكر مما يتعلمه الطفل ، وخطأ المربين في عنايتهم بالالفاظ دون المعاني ، وتعويد
الاطفال النظر والملاحظة ليعتبروا على التفكير ويان ان الاعمال الصيانية
ليست باطللة برمتها بل منها ما يكون مفيداً ، وانس الطفل بالحيوانات وانسها به
وتعلم اقطاع تانس الحيوانات المتوحشة بزوال سذاجة الانسان الفطرية التي
كانت تدعوها الى الثقة به ، وتأثير الجمال في الاطفال ، واحتياجهم الى كثرة التعلم ،
وتعليمهم الصدق والمواساة والرحمة بالحيوان والعدل في المعاملة واحترام الدين
بالعمل والممارسة دون الحفظ والتلقي ، ووجوب اعتراف المربي للطفل ببجمله ما يبجله
وانتقاد المربين في دعواهم العلم بكل شيء امام الاطفال ،

- وانتقاد التعلیم الديني والسياسي ، وان من شروط التربية ان ينسى المربي ما تعلمه

ليستأنف نعلمه مع الطفل ، ووجوب التدرج في تعليم العلوم للاطفال بلفت اذهانهم الى ما حولهم وانتقاد الكتب التعليمية ، وفوائد التصوير والمعارض في التربية ، والتربية والتعليم بالفانوس السحري والتثيل والمعارض ، وتعليم الاطفال الضرب في الأرض ومعرفة جهاتها بالعمل وتعليمهم الصناعة بما يشتري لهم من اللعب ،
= وتربية خيال الصغير بالقصص والاساطير ، وتعليم القراءة والخط والرسم والتدرج الفطري في تعليمها ، وان الصحة في تغير الهواء وتربية الخيال والذاكرة بمحاسن الغبراء ، وتعليم التاريخ الطبيعي . بتثيل الفانوس السحري ، وسرعة تقاوم الاطفال باليسير من الكلم ، وتعليم السباحة وتربية المضلات .

وأما كتاب اليافع فسائله هي : — حب الزوجة والولد والوطن ، وتعليم المسميات قبل الاسماء ، وتربية الذكور مع الاناث وتعليمها معا ، والتعليم بضرب الامثال ، والاكلام على الخط الديواني ، وتدريب المتعلمين على الاعمال المادية الشاقة ، وما يجب ان تكون عليه التربية وآثارها إذا كانت كما يجب ، ونجلي العلم في العمل ، وانتقاد تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبها ، والاكلام على التقليد والذاكرة ، والمؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها ، وكون السفر من اركان التربية ، والتربية بركوب البحر ، وما يتعلم في السفينة ، وشجاعة النساء المحموده ، والتربية بالمعانة ، وفوائد الشدائد ، وكون بذل النفس للمحبوب أول الحب ، ووجوب الموازنة بين القوى والاعمال ، والتربية بالتأثيرات الطبيعية .

وأما كتاب الشاب فسائله هي : — ، انتقاد حال الطلبة في ألمانيا ، وبيان حال العلم فيها ، ووجوب قد الطالب ما يقرأه من أفكار غيره - ووجوب القصد في الاشتغال بعلوم المقولات ، وان نفع الأمة يحصل بالقيام بالواجب على قدر الطاقة ، ووجوب اختيار الطالب للعمل الذي يشتغل به في حياته ، وان لا حرية لأمة يتكالب شأنها على تولي أعمال الحكومة ، وان الرأي العام لا قيمة له الا إذا كانت الحكومة شورى ، ووجوب ان تكون خدمة المرء لا مته لذاتها لا للجزاء ،

والكلام في الحب وابتدائه وغرور الشبان بالمعشوقات ووجوب عدم تدخّل الوالدين مع أولادهما في شؤون الحب وترك الفصل في تمحيص صحّيته من فاسده للتجربة، والكلام على المدرسة الجامعة في ألمانيا، والاستقلال في العلم، وفلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية، ووجوب الاعتماد على البراهين العقلية دون الخطابة، وحب الوطن، ووجوب ان يكون للشباب المتعلم رأي في سياسة بلاده، وان تربية الرجال الأحرار يبحث بها جرائم الشرور المحزنة للامة.

هذه هي أقسام الكتاب ومقاصده وأمّهات مسائله أجبتها للقارئ اجمالاً حتى إذا قرأها حركة الشوق الى استشفافها في مواضعها منه فحصل الفائدة المقصودة لمؤلفه ومترجمه ان شاء الله.

لم يمن المؤلف بتقريب مباحث كتابه فاضطرت الى ان أضع لها ألقاباً استنبطتها من سياق كل مبحث وشاركتي في وضعها الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية عند نشر الكتاب في مجلته كما انه حفظه الله كان يصحح ما كان يثر عليه من الاغلاط وأنا شاكر له هذا الصنيع.

حرصت غاية الحرص على عدم التصرف في الترجمة ووقفاً بها عند حد المعاني التي قصد المؤلف ان يعرضها على قومه ونحاشيا من ان يتسرب اليها بالتوسع ما ليس مقصودا له وهذا هو سبب ما يمجده القارئ في بعض المواضع من عجمة الاسلوب ولم أشد عن هذا الا في تفسير لفظ الطيعة بلفظ الجلالة أو الفطرة على حسب الاحوال مراعاة لعرف المتخاطب بين المتكلمين بالعربية.

للمؤلف رأي في التعليم الديني مبني على أحوال خاصة بالمكان الذي عاش فيه والقوم الذين نشأ بينهم لا محل لذكرها هنا فلا أعيه عليه ولا أواقفه فيه ولا ولا سيما ان في مطاوي كلامه في هذا الموضوع وفي موضوعات أخرى مغايرتين عن سوء عقيدته وذلك الرأي هو: ان لا يتكلم مع الصبي في شيء من الدين في صغره وان يتربص به حتى يكبر ويدرس المذاهب الدينية بنفسه فيعتقد منها ما يشاء. ويكفيني هنا ان أقول ان كثيراً من أبناء من يشايهونه في رأيه لا يبلغون سن الشباب حتى تحوشهم أهواؤهم عن النظر في الدين وتصرفهم شهواتهم عن اتباع هدي التبين

فينذوا الدين وراء ظهورهم ويفشو فيهم الالحاد وما ينجم عنه من الاباحة والفساد كما هو مشاهد معروف

وعندي انه لا شيء أمثل في هذه المسألة من اتباع هدي الدين نفسه ومن الخلل في الرأي ان يؤخذ فيها بقول غير المتدين .

بدأت في ترجمة الكتاب في اليوم الرابع من جمادى الآخرة سنة ١٣١٧ هـ الموافق لليوم التاسع من أكتوبر سنة ١٨٩٩ م وفرغت منها في أول جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ هـ الموافق للثالث والعشرين من يولييه سنة ١٩٠٦ م ومعترقي في ذلك الابطال المفرط اني انما اختلست الساعات التي قضيتها في ترجمته اختلاسا من أوقات فراغي من عملي القضائي وقد كانت هذه الاوقات كثيرة تسع اضاف هذه الترجمة لولا اني كنت كثير الضن بها على صرفها بما ينفع كثير من الناس في مصر . كنت أحسب ان نشر الكتاب في المنار يكفي في تحقيق الانتفاع به ولكنني رأيت كثيرا من الاخوان الذين كانوا يوالون مطالعة ما كان ينشر منه فيها شديدي الميل الى رؤيته مطبوعاً على حدة واتفق لي أن زرت صاحب الدولة الوزير الجليل رياض باشا في شهر رمضان الماضي مع الاستاذ السيد محمد رشيد فالتفت به معجبا بالترجمة أشد الاعجاب حاثا على نشرها مجموعة فكان كل هذا باعثا لي على نشره الآن جملة واحدة تمهيا لفائدته وموافاة لرغائب الكثيرين ممن طالعه منجما .

وجل ما أبتغيه من أقدمه اليهم من إخواني قراء العربية ان لا يكون حظي عندهم من عنائي في ترجمته اطراحه واغفاله بل أرجو منهم ان يأخذوه بقوة ويقبلوا على مطالعته بتأمل لقارنوا بيننا وبين غيرنا في العناية بتربية الناشئين ويعلموا ان نحن من قوم هذه افكارهم فيها حتى إذا ألمهم النقص الفاضح وأخجلهم التقصير الفاحش هبوا الى مجازاة غيرهم من الامم الراقية وفكروا طويلا في تربية ابنائهم ونخبروا عن بصيرة وعلم لا عن تقليد محض كل الطرق لانشائهم احرارا جامعين بين ملكات العلم وفضائل الدين ولن يتم لهم ذلك الا بالاخلاص والصبر ودوام الاشتغال والله المستعان وبه الحول والقوة

المترجم

نحرير في ٢٥ المحرم سنة ١٣٢٦ - ٢٧ فبراير سنة ١٩٠٨ عبد العزيز محمد

القرآن والعلم

٤

﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز

﴿ المسألة الرابعة عشرة ﴾

﴿ هامان وزير فرعون ﴾

قال الله تعالى حكاية عن فرعون (٢٨ : ٣٨) فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً (وقالوا ان هامان كاذب وزيراً لأحشوروش ملك فارس وهو متأخر عن فرعون بسنين

وهذه الشبهة من أضعف الشبهات فانه لا يبعد أن يكون لفرعون وزير يسمى هامان ثم سمي بهذا الاسم وزير آخر للملك الفرس ومن عرف علاقة المصريين بالأمم المجاورة لهم وتقبلهم على بلادهم تارة وخضوعهم لهم تارة أخرى كما كان يحصل بين ملوكهم وملوك فارس لا يتعجب من دخول بعض أسماء أهل مصر في لغات الأمم الأخرى ولا من دخول بعض أسماء من هؤلاء الأمم في لغة مصر القديمة على أننا لا نعرف جميع أصول ما ورد في الكتب المقدسة من الاسماء ولا ندري جميع مصادرها فيجوز أن يكون اللفظ هامان أصل في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) لا نعرفه . ولا يخفى أن رد الاعلام المنقولة من اللغات بعضها إلى بعض غير وفي بعض الاحيان يكون متعذراً . وخصوصاً مثل هذه الاسماء القديمة الواردة في كتب الأمم المقدسة . فكم في كتب العهدين من اعلام لا يعرف اشتقاقها إلا رجاء بالقياس . وكما فيها من أسماء لاشخاص من امم يسمون عند أممهم بغيرها ولا يعرف سبب لهذا الاختلاف

فاذا كان الأمر كذلك فلا معنى لتلك الشبهة . فإن الشبهة لا تدحض حجة إلا إذا بنيت على أساس ثابت مقطوع به . وما دامت الشبهة وهمية أو ظنية فلا يلتفت إليها . ولا يعابها في مقابلة الدلائل اليقينية

المسألة الخامسة عشرة

﴿ أموال قارون ﴾ *

قال الله تعالى في قصة قارون (٢٨ : ٧٦) **وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** فقال قوم إن ذلك غير معقول لأن وجود مال بهذه الكثرة غير معروف وتقول أما إن كان ماله من الذهب والفضة فربما كان قولهم صحيحاً . وأما إن كان من غير الذهب والفضة أو كان من جنس العروض لا من جنس الثمن كان ذلك جائزاً . فمن المحتمل أنه كان عنده مخازن عديدة تحتوي على غلال ومأكولات وملبوسات ومفروشات ومصنوعات وغيرها مما ادخره لنفسه أو للتجار به وكان لهذه المخازن عدة أبواب ومفاتيح كثيرة تثقل العصابة أُولِي الْقُوَّةِ وخصوصاً إذا لاحظنا أن مفاتيح الأمم القديمة كانت كبيرة وضخمة . بحيث يصعب على الإنسان حمل كبير منها على أن الأرجح أن لفظ (مفاتيح) معناه الخزائن وقياس واحده مفتاح بفتح الميم . وبذلك قال ابن عباس والحسن . وقد ورد بهذا المعنى أيضاً في قوله تعالى (٥٩ : ٦) **وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو** أي خزائن الغيب ومكنونات أسراره . خزائن أموال قارون كانت ثقيلة . وهذا أمر مشاهد مثله الآن ومعروف كما في البلاد الأوروبية والأمريكية من القنود الذهبية وغيرها

المسألة السادسة عشرة

﴿ الوضع اللغوي ﴾

استعمال لفظ القلب في القرآن

توضع الالفاظ في اللغات للمعاني والنوآت لمناسبات صحيحة أو غير صحيحة
(*) النار : وراجع الكلام عن قارون وهامان في ص ٢٩٤ من المجلد السادس

ثم يفشو استعمالها بين الناس ويتوسع فيها حتى يجهل كثير من الناس أصول معانيها فلا يبالون في استعمالها لها إن كان السبب الذي وضعت لأجله هذه الألفاظ للمعاني المخصوصة صحيحاً أو غير صحيح . مثال ذلك قولهم « فلان مجنون » أي غير سليم العقل فلفظ (مجنون) من جنّ الرجل أي أصابته الجن ولما كان هذا الاعتقاد شائعاً بين القدماء فشا بينهم استعمال لفظ مجنون وما كان من مادته فيمن اختلف عقله وإن كان هذا الاختلال في الحقيقة ليس ناشئاً عن الجن كما يزعمون ولم تبال الناس بالبحث عن صحة هذا السبب المزعوم الذي لأجله استعمل هذا اللفظ في هذا المعنى بل صاروا يستعملونه (بقطع النظر عن البحث في حقيقة أصله) في كل اختلال للعقل حتى كأنه وضع في أول الأمر لهذا المعنى . ومثل ذلك لفظ (عبقر) وهو اسم للموضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من جودة صنعه كما في قوله تعالى (وعبرني حسان) مع أن هذا الموضع لا وجود له إلا في تخيلاتهم الواهمة . وكذلك لفظ (القلب) فإنه في الأصل موضوع لداخل الشيء . ولبه ولذا أطلقوه على الفؤاد ولما كانوا يستقدون أن الفؤاد هو مكان الثقل والتفكر صاروا يسمون الثقل قلباً من باب تسمية الشيء بمحلّه على سبيل المجاز المرسل ثم شاع بينهم هذا الاستعمال حتى صارت الكلمتان (العقل والقلب) عندهم مترادفتين في بعض المواضع وجرى على ذلك الأولون والآخرون غير مباليين إن كان أصل هذا الاستعمال مبنياً على فكرة صحيحة أو غير صحيحة . ومن ذلك أيضاً قولهم « غربت الشمس » أو طلعت فإنه تعبير يراد به احتجاب الشمس عنا أو ظهورها لنا سواء كن ذلك ناشئاً عن حركتها أو عن حركة الأرض فإن أمثال هذه المباحث يجب أن تكون بعيدة عن الأوضاع اللغوية التي عودتها الناس وعن الاصطلاحات التي جروا عليها في كلامهم وتعبيراتهم . ولذلك نجد في جميع اللغات ألفاظاً وضعت في الأصل لأفكار غير صحيحة ثم شاعت بين الناس في معان صحيحة فلم نجد العلماء بدأ من الجري عليها في كلامهم واستعمالها في عباراتهم مع علمهم بخطأ الأصل الذي بنيت عليه . وما سمعنا بأن أحداً منهم عاب غيره لاجل استعمالها بعد شيوعها بين الناس ومعرفة لها ولذلك يقولون « لا مشاحة في الاصطلاح »

فنحن لا نكر أن في القرآن بعض ألفاظ وضعها العرب في معان مخصوصة لأفكار كانت عندهم وهي غير صحيحة ثم شاعت بينهم في المعاني حتى نزل القرآن فلم يستغن عن استعمالها فيما استعملت فيه بينهم وإن كانوا في وضعها مخطئين فإن ذلك مما تقتضيه الضرورة لتزوله بتلك اللغة فلا يجوز أن يتحاشا تعبيراتها المهودة للعرب وخصوصاً إذا كانت سلسلة التركيب

وإنما الذي نكره بما كتبناه سابقاً أمران (١) أن يضع القرآن من تلقاء نفسه لفظاً في معنى لفكرة غير صحيحة (٢) أن ينص على أمر من الأمور بعبارة له صريحة ويكون هذا الأمر في الواقع ونفس الأمر غير صحيح . فلا يتأني ذلك ورود لفظ فيه مثل القلب ، وعقري ، ومجنون ، بمعنى العقل والشيء الجليل ومختل العقل . وإن كانت العرب في وضع هذه الألفاظ لهذه المعاني قد راعوا عللاً غير صحيحة . فإن ذلك معهود في جميع اللغات وفي كلام جميع العلماء بها أوتوا من العلم والفلسفة إذ لا داعي يدعو لترك أمثال هذه الألفاظ بعد جريانها على ألسنة الناس في معان صحيحة وإن كانت في أصل وضعها خطأ فانهم لو تحاشوها لصاقت عليهم اللغات ولكانت تعابيرهم عاجزة عن تأدية المعنى المراد ركيكة في نظر جاهل الناس . فن أمثلة ذلك في اللغات الأجنبية تسميتهم بعض جزائر أمريكا باسم West Indies أي جزائر الهند الغربية والسبب في ذلك أن مكتشف أمريكا (كريستوفر كولومبس) لما رأى هذه الجزائر ظن أنها جزائر الهند فسمها بذلك وجرى الناس على هذه التسمية إلى هذا اليوم مع علمهم بأنها خطأ . ومن ذلك أيضاً تسمية الأطباء لبعض الديدان الشريطية المعوية باسم Taenia Solivm أي الدودة الشريطية الوحيدة توهم الناس في الزمن السابق أنه لا يوجد منها في الأمعاء سوى واحدة ومع أنهم الآن قد علموا أنه قد يوجد منها أكثر من واحدة ترى جميع العلماء بصرون على هذا الاسم وإن كان الوصف فيه خطأ لشبوهه بين الناس . وكذلك تسميتهم بعض الأمراض العصبية (بالهستيريا) من لفظ Hystera اليوناني ومعناه (الرحم) لظن الناس في الزمن الاول أن علة هذا المرض هي في الرحم ومع علم الأطباء بخطأ ذلك لا يزالون متمسكين به .

إذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى القلب في قوله تعالى (٢٢ : ٤٦) أفلم يسيرا
 في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تأمى الابصار
 ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) ففى القلوب في اول الآية العقول وانما لم يقل
 « فتكون لهم عقول يعقلون بها » لركاكة ذلك ولم يقل « فتكون لهم اعناخ يعقلون
 بها » لعدم معرفة العرب ذلك ولا سنكارهم هذا التعبير والقرآن لم يأت لتعليمهم
 أمثال هذه المسائل الفسيولوجية فلذا لم يهتم بها ويصح ان يكون معنى القلوب هنا
 الأنفس العاقلة المفكرة والأرواح المدركة المدبرة لان قلب الشيء هو جوهره
 وله (١) وخلصته ولا جوهر للانسان سوى روحه فانها هي حقيقة وكل ماسواها
 قشورها - واما لفظ القلوب في آخر الآية فعناه العضو المعروف في صدر الانسان
 ومعنى الآية انهم لم يعموا عن المواعظ والعبر لعمى ابصارهم بل لعمى قلوبهم التي
 في صدورهم اى لعدم تأثرها وانفعالها حتى كانت قلوب اموات فان قلوب الاحياء
 تتأثر بما يحيط بالانسان من العوامل فتزيدضر بانها أو تنقص وهوى أو تضعف
 وتنظم أو تحتل الى غير ذلك من التغيرات التي تحصل لحركات القلب وهي تدل
 على مبلغ تأثر صاحبه وعلى درجة الاحساس عنده فن لم يتأثر قلبه كانت نفسه بجامدة
 لان القلوب هي دلائل النفوس ولذلك قيدها انه هنا بقوله « في الصدور » لمنع
 التجوز في معنى القلوب فكأنه تعالى يقول ان الذي يدلكم على موت نفوس هؤلاء
 القوم وجود ارواحهم أنكم لو أحسستم بقلوبهم الحقيقية التي في صدورهم لما
 وجدتموها تنفعل أو تضطرب لما تضطرب منه قلوب الاحياء المتقين اذا سمعوا مابه
 يتظنون أو رأوا مابه يعتبرون، فكأنه تعالى جعل آخر هذه الآية كالدليل على ماقاله
 في اولها مما معناه ان عقولهم او نفوسهم لا تدرك شيئا ولولا القيد المذكور وهو قوله
 « التي في الصدور » لأمكن حمل القلوب في آخر الآية على ما حملت عليه في اولها وكان
 المراد منها العقول في الموضعين وبذلك تخفى الفائدة من باقى الآية ولا يكون ما في
 آخرها كالدليل على مانسب اليهم في أولها

هذا وورود لفظ بمعينين مختلفين في اول الجملة وفي آخرها كما في هذه الآية له

(١) ولذلك سموا العقول ايضا بالالاب لانها أهم شيء في الانسان منه اه

٤٤٦ القرآن . دعوى التناقض فيه . صلاة الليل والنسخ (المنارج ١١٦)

شواهد أخرى كثيرة من القرآن وفي كلام العرب كقوله تعالى (١٨ : ٤٣) يكاد سنابرقه يذهب بالابصار — اي الاعين — ٤٤ ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) اي العقول وكقول الشاعر

لم نلق غيرك إنسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

المسألة السابعة عشرة

(التناقض في عبارات القرآن في السورة الواحدة)

ذكر بعض المتقدمين من أمثلة ذلك التناقض في السورة الواحدة ما جاء في سورة المزمل من الأمر بالصلاة في الليل في أولها مع ما يتناقض في آخرها ولما كنت ممن لا يقول بجواز النسخ في القرآن وجب علي التكلم على هذه الشبهة بما لا يخل بأصولي الآتية في تفسير القرآن الشريف وهي (١) عدم أقول بالنسخ في القرآن (٢) عدم توفيق فهم القرآن على روايات الأحاد (٣) كون آيات كل سورة يلتم بعضها مع بعض كأنها نزلت دفعة واحدة . فمع مراعاة هذه لأصول الثلاثة نقول : —

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كانوا في أول الاسلام يصلون في الليل إلى الله أو نصفه أو ثلثه ولعلمهم كانوا يفعلون ذلك اتباعاً لأمر من الله لم به في غير القرآن كما كانوا يصلون إلى بيت المقدس في أول الاسلام مع أن الأمر بذلك لم يرد في القرآن وأمثال هذه الاوار هي مما نسيه الاوامر الوقتية أو القولية (غير الكتابية أو غير الرسمية) . وكانت هذه الصلاة الليلية من أكبر ما يقوي الرابطة بين جماعة المؤمنين الأولى حينما كانوا قليلي العدد فقراء ضعفاء فكانت هذه الصلاة أعظم وسيلة لتبنيهم واتحادهم وتضامنهم ويزدادوا قوة في إيمانهم على قوتهم فيه . فلما جهر بالدعوة إلى الاسلام وبدأ الدين أن يكون أعم مما كان وأخذ يدخل فيه أصناف مختلفة من الناس منهم ضعفاء الاجسام ومنهم ذوو الاعمال الدنيوية التجارية وغيرها ومنهم من لم يكن عنده من الايمان ما يحمله على سهر الليل كما حمل أولئك المؤمنين الاولين — لما صار الامر كذلك أنزل الله سورة المزمل

(٧٣) وفيها يأمر الله نبيه بالاستمرار على قيام الليل ويوجه عليهم غيره من المؤمنين فتداه بقوله (يا أيها المنزل قم الليل إلا قليلاً) الآيات والخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم وحده كما يدل عليه باقي السورة . والمراد بقوله (قم الليل) الأمر بالدوام والاستمرار

والذي يدل على ذلك قوله (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) الآية فكأنه تعالى يقول أنا أعلم ما تفعل ومطعم عليه وإنما أري لك به هو اطلب الاستمرار عليه وكذلك أعلم أنه يقومه (طائفة من الذين معك) يعملون ما تعمل ولا يعصون لك أمراً في ذلك .

ثم قال تعالى (علم أن لن تحصوه) أيها المؤمنون (فأب عليكم) بالترخيص لكم في ترك ما أمرتم به . وفي هذه العبارة الثقات من الغيبة إلى الخطاب فان المحاطين هنا هم الطائفة الذين سبق ذكرهم . ونكتة هذا الالتفات البلاغية هي اظهار عنايتهم ورعايته تعالى لهم وإقباله عليهم إكراماً لهم على ما قاموا به من التهجد بالليل

ولا بدأ أن يكون من المسلمين المرضى والمشتغلون بالتجارة وغيرها خفف الله عنهم وبن أن قيام الليل لم يبق فرضاً عليهم فلم فيه الخيار لأن تكليفهم به على سبيل الوجوب أصبح شاقاً عليهم وخصوصاً لأنهم سيضطرون يوماً ما إلى القتال دفاعاً عن أنفسهم في سبيل الله فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه) الآيات

والخلاصة أن قيام الليل كان فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وعلى أتباعه ولم ينزل قرآن في ذلك ولعله فعله بالاجتهاد أو بالوحي في غير القرآن ثم رفع الله تعالى ذلك عن المؤمنين بسورة المنزل وألزم به النبي صلى الله عليه وسلم دون سواه فالنسخ ليس للقرآن وإنما هو لما كان يفعله المؤمنون بأمر رسول الله . والذي يدل على أن قيام الليل صار خاصاً برسول الله قوله في موضع آخر (١٧: ٧٩) ومن الليل فتهجد به نافلة لك) أي فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة

فما تقدم تعلم (١) أن سورة المزمل لا نسخ فيها للقرآن (٢) ولا تناقض فيها بين آياتها (٣) وأن الامر في أولها هو للدوام والاستمرار وهو معهود في اللغة كقولك لمن يأكل «كل» - والذي دلنا على ذلك قوله فيها «إن ربك يعلم أنك قوم» إلخ (٤) وأن هذه السورة تفهم بدون احتياج لروايات الآحاد ومن كان خالي الذهن لا يفهم منها سوى ما قلناه (٥) وأنه لا حاجة للقول بأن جزءها الاول نزل أولاً وأن جزءها الاخير نزل بعد مدة - بل على تفسيرنا تكون آياتها ملتزمة مع بعضها كأنها نزلت دفعة واحدة - فكل من يدعي أن في عبارات القرآن تناقضاً فإنما هو جاهل غبي يلبد الذهن

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأقنه من الفهم السقيم

﴿ المسألة الثامنة عشرة ﴾

(البعث الجسماني) *

إذا مات الانسان فدفن ففرقت اجزاء جسمه في الثرى فاذا زرع الزارعون في هذه الارض تغذت الاشجار والنبات منها ومن اجزاء الانسان التي دفنت فيها وأباحت - فاذا أكل انسان آخر من هذه الاشجار والنباتات او من الحيوانات التي تأكلها استحال الى جسمه ودخل في تركيبه بعض مواد مما كانت في جسم الانسان الاول ومن ذلك تعلم ان مادة الانسان تشترك معه ومع غيره فلا يمكن اعادته بها والا لما أمكن إعادة من اشترك معه فيها

ومن جهة اخرى قد ثبت أن جسم الانسان دائماً في تبدل وتغير فاذا اعيد بجميع مادته الى كان بها في الدنيا كان جسماً عظيماً كبيراً جداً وهو خلاف المتصور والمألوف هذان الاعتراضان هي اكبر ما يقال للتشكيك في البعث الجسماني ونجيب عنهما بان المسلم لا يجب ان يعتقد أن جميع ما دخل في جسمه من المواد في الدنيا لا بد من اعادتها ولا انه لا بد من إعادة جسمه الدنيوي لا بغيره بل الواجب عليه أن يعتمد بأن البعث روحاني جسماني وان جسمه قد يكون فيه شيء من المادة التي

* المنازع: راجع المسألة في ص ٥٤ و ١١٢ من المجلد السابع

كانت له في الدنيا وقد لا يكون فيه شيء من ذلك فان مادته الدنيوية اذا دخلت في غيره فأعيد بها فلا يمكن اعادته هو أيضا بها وهو امر بدیهى لا يحتاج لقليل وقال فان الانسان لا يتوقف تحقق وجوده على هذه المادة التي هي لجوهره وروحه كاثوب للبدن ولذلك ترى انه في الدنيا يتبدل ويتغير مع ان حقيقته هي هي فالمعول على روحه لاعلى مادته ولذلك قال الله تعالى (٥٦:٤) كلما نضجت جلودهم بدلناهم بجلود غيرها ليندقوا العذاب) وهو صريح في ان المعول عليه هو نفوسهم وأرواحهم لأجسامهم المتبدلة المتغيرة ولا ينافي ذلك قوله تعالى (٣:٧٥) يحسب الانسان أن لن نجعل عظامه فان الالف واللام في الانسان هي للجنس والمعنى أياظن الانسان ان لن يجمع الله عظام الجنس البشري يوم القيامة ويخلق منها الاشخاص ؟ فهو ليس نصا في أن كل مادة لاي فرد اذا كانت مما دخل في غيره واعيد بها فلا بد من اعادته هو ايضا بها بل ان الله سيعيد أجسام البشر من المواد التي كانوا بها في الدنيا ولا يمنع ذلك من اضافة جزء من مادة جديدة عليها وكذلك لا يستلزم ان كل مادة دخلت في جسم في هذه الدنيا لا بد أن ترجع اليه في الآخرة والا لزم ان يكون للادة الواحدة عدة محال تقوم بها وهو محال وليس في عبارات القرآن ما يوذي اليه بل غاية ما يفهم منه ان الله سيركب اجسام البشر من المواد التي ركبت منها في الدنيا فان لم تكف فلا مانع من اضافة مادة جديدة عليها ثم انه سيعيد المواد إلى أصحابها الذين كانوا بها في الدنيا بقدر الامكان فاذا كانت مما بداخل في عدة أشخاص اكتفى باعادتها إلى شخص واحد منهم فان الغرض اعادة الارواح الى أي جسم لا إلى جسم معين كما يدل عليه قوله (بدلناهم بجلودا غيرها) كما تقدم ولا ينافي ذلك أيضا قوله تعالى (٧٨:٣٦) قال من يحيي العظام وهي رميم ٧٩ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فاننا لا ننكر أن الله سيحيي عظام البشر الرمية ولا ننكر أنه عالم بجميع أنواع الخلق وطرقه وأنه عالم بجميع الاشخاص الذين دخلت في أجسامهم أي مادة معينة فهو تعالى سيحيي الميت ويرد كل مادة

إلى صاحبها الذي يعلمه . ولا يخرج في ذلك عن الممكنات فانه لا يأتي المستحيلات ولم يقل القرآن إنه سيأتي شيئاً مستحيلاً

أما شهادة أعضاء الانسان التي كانت له في الدنيا عليه في الآخرة كما جاء به القرآن الشريف فهي ليست مستحيلة فان مادة هذه الاعضاء التي اقترف بها الآثام في الدنيا يجوز عقلاً أن تنطق بذلك وتشهد به عليه سواء كانت مادة في جسمه أو في جسم غيره . فكأن مادة هذه الاعضاء ستقوم بالشهادة على جميع الاشخاص الذين اقترفوا بها الآثام في الدنيا وإن كانت هذه المادة قائمة بشخص واحد منهم يوم القيامة (١) . ومن لا يضع عقله في دائرة الامور الضيقة أمكنه التسليم بذلك فانه من المعقول أن تشهد المادة بجميع ما عمله في الاشخاص المختلفة فيعذب الله نفوسهم على ما عمله وهي قائمة في أي مادة كانت

وهناك طريق آخر في الرد على هذه الشبهة . وهذا الطريق هو ما جرى عليه قدماء علماء الكلام . وقريره أننا نشاهد أن جسم الانسان هو دائماً في تبدل وتغير فتراه أولاً صغيراً ثم يكبر شيئاً فشيئاً وينقل من سنن إلى نحاقة ومن نحاقة إلى سنن وفي جميع هذه الأطوار والأحوال ذات الشخص وحقيقته واحدة لا تبدل ولا تتغير فالشخص الصغير هو هو بعينه الكبير والتحيف هو السمين وبالعكس . إذاً لا بد أن يكون في جسم الانسان شيان : مادة أصلية . ومادة فرعية فالمادة الأصلية هي التي تبقى فيه من أول نشأته إلى آخر حياته لا تبدل ولا تتغير وهي التي بها تتحقق شخصيته وفيها تنتقل الأمراض الوراثية والاستعدادات والاخلاق والصفات من الآباء إلى الأبناء . ولا ينافي ذلك ما ثبت في علم الفسيولوجيا الآن من التغيرات الكيميائية الحيوية التي تحصل في خلايا الاجسام الحية فانا لا يمكننا أن نثبت باليقين أن جميع الذرات التي تتركب منها الخلايا الحية تبدل وتتغير إذ

(١) المنازع : لا نص في القرآن على ان هذه المواد التي تتركب منها اعضاء

الانسان في الدنيا هي التي تبعث وتشهد عليه بل أسند الشهادة الى اعضاءه سواء تركبت منها او من غيرها فهي اعضاءه على كل حال . وهل الشهادة قولية او حالية على حد * لي في محبتكم شهود اربع * الخ اليتين ؟ الله اعلم

يجوز أن يكون التبدل والتغير حاصلًا لبعض الذرات دون البعض ولما انضم إليها من المواد الغذائية أي إن كل خلية فيها جزء ثابت وجزء متغير . وعليه فالغالب أن بعض مادة الانسان تكون ثابتة من أول حياته إلى آخرها ولا يمنع ذلك من انضمام أجزاء أخرى إليها تصير ثابتة مثلها ولها من الخواص ماله وهذه الاجزاء تأتي إليها من طريق الغذاء ومجموع هذه المادة الثابتة هي ما نسميه (المادة الاصلية) وأما المادة الفرعية فهي التي تتبدل وتتغير ولا عبرة بها في تحقق شخص الانسان فاذا مات شخص وأحل جسمه فتفتدت به النباتات فالحیوانات حفظ الآله التقدير العليم المادة الأصلية له من أن تكون مادة أصلية لشخص آخر وإن كان يجوز أن تدخل في جسم الآخر ونصير مادة فرعية له لا يتوقف عليها تحقق شخصه وأما المادة الفرعية فقد تصير للثاني مادة أصلية بانضمامها إلى أجزائه الثابتة واكتسابها خواص منها إن كان الشخص في طور النمو . وعليه فالمادة الاصلية لكل شخص تبقى له وحده الى يوم القيامة وإن كانت تدخل في غيره على أنها فرعية له . وبذلك يكون البعث الجسماني ممكناً لأن هذا الفرض جائز ولا يوجد في العلم الطبيعي ولا العقل ما يثبت استحالة

والفرق بين هذا الطريق والطريق الاول أننا في الاول نسلم تغير وتبدل جميع مادة الانسان وأما في الثاني فنقول ان التغير والتبدل حاصل لبعض مادة الانسان دون البعض . والطريق الاول أقرب إلى ظاهر نوايس الوجود والثاني أقرب إلى ظاهر الآيات القرآنية الشريفة . وكلا الطريقين معقول ولا يوجد في العلوم الطبيعية شيء مقطوع به ينافيها . ولا ي آيات الكتاب ما لا يلتئم معها والله أعلم إلى هنا أمسك بالقلم عن الجولان في ميدان الطروس . فقد زالت الشبهات . وتجلت آيات الكتاب بجمالها كالطروس . وحصل الحق . وظهر الصدق . قطع ألسنة الكاذبين . وبهر عقول الناظرين . وإن في هذا الكتاب لايات للمؤمنين . وإنه لتنزيل رب العالمين . ولعلمن نبأه بعد حين

﴿ الخاتمة ﴾

﴿ في ذكر آيات علمية من القرآن ﴾

قلنا إن القرآن الشريف لم يأت لتعليم الناس شيئاً من العلوم الطبيعية ولكن مع ذلك لم تخل آياته من التعبيرات الدقيقة العلمية ولا من الإشارة إلى حقائق كثيرة من المسائل الطبيعية مما يدل على أنه تنزيل العليم الحكيم فان هذه المسائل ما كانت معروفة لأحد في زمنه ولا يمكن لعربي أمي في ذلك الوقت أن يقف عليها لولا وحي الله . ولندكر هنا شيئاً من هذه الآيات المشتملة على التعبيرات الدقيقة والمسائل العلمية الطبيعية

(١) قال الله تعالى (٥٧:٧) وهو الذي يرسل الرياح ينزل من السماء ماء فخرجنا به من كل الثمرات كذلك أنزلنا سحاباً مائلاً سقاهم لبلد ميت فأزلقناه به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال أيضاً (٤٣:٢٤) ألم تر أن الله يرزقي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ٤٤ قلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعلوة لآولي الأبصار) وفيه إشارة إلى أن البرق يتولد من السحاب وقوله (من جبال فيها) هو تشبيه لقطع الحساب العظيمة بالجبال لما بينهما من التشابه في الشكل وعدم الانتظام وعظم الحجم كما شبه أمواج الماء بالجبال في قوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال)

(٢) قال تعالى (٨٨:٢٨) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) وهو صريح في حركة الأرض . وليس ذلك في شأن القيامة فان قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لا يناسب مقام الإهلاك والابادة . وقال أيضاً (٩١:٩١) والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ٣ والنهار إذا جلاها والليل إذا يشأها) وهو أيضاً يشير إلى حركة الأرض

(٣) قال تعالى (٣٠:٣٠) أولم ير الذين كفروا أن السوات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وهو صريح في أن الأرض والكواكب كانت شيئاً واحداً ثم انفصل بعضها عن بعض وهو كقول العلماء الطبيعيين إنها كلها أجزاء انفصلت عن الشمس وكانت ملتصقة فصارت تبرد شيئاً فشيئاً وإلى ذلك يشير القرآن بقوله أيضاً (٤١:١١) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) أي وهي ذات دخان لانهاب أجزائها ولكون أكثرها في الحالة الغازية

(٤) قال الله تعالى (١٣:٣) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهو صريح في أن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأنثى وهو أمر لم يعرف إلا من عهد قريب . والقرآن نفسه هو الذي يفسر الزوجين بذلك في آية أخرى بقوله (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)

(٥) قال الله تعالى (١٥ : ٢٢) وأرسلنا الرياح لواقح) أي ملقحات للأشجار (٦) قال الله تعالى (١٧ : ١٢) فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهو يشير إلى أن القمر (وهو آية الليل) مظلم لذاته

(٧) قال الله تعالى (٣٦ : ٣٧) وآية لم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ٣٨ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٤٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

(٨) قال الله تعالى (٣٩ : ٢١) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

قل لي بأيك أي عربي أمي يعرف هذه المسائل أو ينظر لمعلى بال وبخصوصاً في تلك الأزمان التي كان فيها أعلم العلماء في أرقى البلاد يجمل بعض هذه الحقائق المذكورة في القرآن كدوران الأرض وكون جميع السيارات منفصلة عن أصل

واحد وأنها كانت دخانا . وأن الثمرات جميعاً فيها الذكر والأُنثى وأن الرياح هي التي تلقحها إلى غير ذلك من دقائق المسائل العلمية الطبيعية . وكلها دلائل على أن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل هو تنزيل من الله العظيم الحكيم الدكتور محمد توفيق صدقي

باب المناظرة والمراسلة

١

﴿ بحث العمل بأحاديث الآحاد والحديث المتواتر ﴾

ولنعد فقول التواتر هو وإن كان من الطرق المفيدة للعلم إذا وجد الاثنا لا ينحصر
أفاده العلم بالأخبار فيه كما انا لا نلزم به كل أحد قبل أن يعرف أنه متواتر إذا لم
يقصر في الطلب أو كان معذوراً بعده عن أهله
قال حضرة الدكتور لم يتواتر من أقواله (ص) إلا القليل الذي لا شيء فيه
من أحكام الدين

أقول ما ذكره غير مسلم والتواتر هو ما نقله جمع عن جمع يبعد تواطؤهم على
الكذب أي عن محسوس وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في تعيين هذا الجمع . وبناء
على تعيين الجمع فيما نظن قال بعضهم بندرة وعزّة التواتر في الأحاديث النبوية . وهذا
أولى ما يقال في الاعتذار عن ابن الصلاح في قوله بذلك

قال السيوطي قلنا عن شيخ الإسلام أن قول ابن الصلاح نشأ عن قلّة الاطلاع
على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لإبعاد العادة أن يتواطؤوا على
الكذب أو يجعل منهم اتفاقاً — قال ومن أحسن ما يقرر به كون التواتر موجوداً
وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة (أي التواترة عن مؤلفيها) بأيدي
الناس شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها إذا اجتمعت (أي أو
اجتمع بعضها كما قال ذلك جمهور أهل الحديث) على حديث وتعددت طرقه تعدداً

تحيل العادة تواطؤهم على الكذب افاد العالم البقيني بصحته الى قائله . قال ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير . اهـ

واقول أيضاً ان من تجرد عن التعصب والتقليد لا تخفى عليه الحقيقة المنشودة في هذا الباب . وبما قدمناه وما يأتي يظهر للمنصف مكانة الخبر الذي ينقله آحاد ثقات قد عرفوا بقوة الحفظ والذكاء والعدالة والورع والقوى وعرفو ان الكذب على رسول الله (ص) ليس ككذب على احد وان من كذب عليه متمداً يتبوء مقعده من النار اعتقدوا ذلك وهم بالصفات التي عرفت وتحملوا من الرواية ما اعتقدوا وجوب العمل به ثم وجوب تأديته لغيرهم كالأمانة وقد علموا ما في الخيانة من الوعيد والرهيب عن كتم العلم

فاذا اتصل سند الخبر بمثل من ذكرناه فهو فيما نعتقد مفيد للعلم اي يبعد ا يمنع العقل عن مثل من نعتاه الكذب عادة ورب رجل يعدل رجلاً — فان قيل سلمنا ان من كان مثل هذا يبعد منه الكذب عادة الا انه لا يؤمن عليه النسيان قلت قد علم من عادة المحدثين كتابة ماسمعه وعلى الاقل للمراجعة الى وقت التأدية وهم لا يعتمدون على المكتوبات الا ما كان موثقاً به ومحفوظاً بغاية الاحتياط ولا يقبلون المكتوبات التي لا يدري حالها وان كان كاتبها ثقة — وهذا اكبر دليل على ان ما عندهم من الاخبار اصح ما وجد من الاخبار في العالم بعد كتاب الله — وانما كان تواتر القرآن مقدماً على كل خبر لانه نقل بمثل هذه الاسانيد اليقينية متواترة — على انا نستبعد عادة ان الراوي الذي ذكرنا صفاته يحدث بما نسيه اذ لو فعل ذلك لم يكن بالمرتبة التي ذكرناها لا سيما في احاديث الاحكام والاعمال لشدة حاجته وحاجة معاصريه الى العمل بها . على أنه اذا نسي ذلك لا يحدث به وان حدث فانه يذكر اللفظ بالشك . ويعد كل البعد ان ينسى نسيانه لتلك وابعد من ذلك ان لا يوجد هذا الحديث عند غيره

على انه لو فرض وقوع ذلك وهو غاية النور فلا نعلم ان ذلك يضرب في الدين اذ قد اغفر ذلك أي النسيان والخطاء فيما حجة الناس اليه اكثر وفيما وجب فيه زيادة الاحتياط وهما فيه اشد ضرراً وفيما هو سبب للضرر بلا واسطة وذلك

في القضاء لان أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته من الآخر فلم يضر الحاكم ان يحكم بخلاف الواقع في هذه الحالة اذا لم يقصر فلأن يتنزه ذلك في الرواية اولى لكون الضرر منها ان وجد لا يكون هو السبب المباشر للضرر غالباً - فحين بذلك ان ماعسى ان يظن به في الرواية التي وصفناها مع كونه لا يضر في الدين هو بناء شاذ على شاذ على شاذ كل منها يبعد وقوعه عادة — بل هو اولى بالوثوق من خبر الجمع الفسقة غير الموثقين الذين يقال في خبرهم يمنع او يبعد العقل تواطؤهم على الكذب عادة - فبعد الكذب عن ذكرناه اكثر من بعده عن جمع التواتر الذي ذكره وحيث كان الاصل في جميع العلوم سواء كانت تصورية او تصديقية هو ما ادركه الشخص بأحد مشاعره الظاهرة أو الباطنة أو ما دل العقل عليه أو الوحي السماوي وهذا الاخير لا يكون الا علماً حقاً دائماً وما تقدمه يتفاوت الناس فيه تفاوتاً لا يحصره حد فقد صح لدينا عن المتقدمين وشهدنا ورأينا ما لا يحصى في زماننا انه قد تصحح الجاعات ما يعدونه علماً لديهم بتطبيقه على معلومات فرد واحد بل قد يتبين فساد معتقدهم في جانب معلومات الفرد الواحد — وذلك دليل واضح على ان الفرد الواحد الممتاز بالكمال في صفاته وعاداته يعادل بل يرجح بالافراد الكثيرين من نبي نوعه

ومن أيضاً نرى الشخص المنصف قد يتهم نفسه فيما سمعه بأذنه اذا خالفه فيه من يعتقد انه احفظ منه فمثل هذا المنصف اذا اتهم نفسه فيما سمعه بأذن نفسه وقدم على ذلك خبر الممتاز الذي ذكرناه قد يبعد كل البعد ان يقدم على خبر سمعه بنفسه خبر الكثيرين غير العدول — وهل يمكن ان يقال ما علمه الانسان وسمعه لايسمى علماً لجواز زواله بالنسيان؟ فحين بطلان الخبر أو العلم بعد اعتقاد ثبوته هو عندنا يضارع زوال العلم بالنسيان

وايضاً احتمال النسيان في الخبر مع الذهول عنه كما انه لا يضر الخبر وهو علم في حقه ما لم يتذكر انه نسيه فكذلك لا يضر الخبر بالفتح اذا كان الخبر بالكسر بالصفات التي ذكرناها

ان خبر الاحاد قد اتفق على اعتباره جميع البشر كما هو مشاهد واعتبرته

الكتب السماوية في شرائعها وانياء الله ورسله في التبليغ عنه والله ورسوله امر الأمة أن يلقوا عنها جماعاً وفرداً وبعبارة أخرى كل فرد فرد من الأمة مأثور بالتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلم الله موسى بن عمران عليه السلام ترك بلد من أمرة الله بأنذارهم وخرج من بين أظهرهم الى مدين معتمدا على خبر الواحد . واثى الله على من احتج بخبر الواحد كمؤمن آل فرعون الى غير ذلك مما لا يمكن لبسطه للمجلدات .

كل ذلك معلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فكيف يصح قول حضرة الدكتور لا يجب العمل بخبر الآحاد مطلقاً ومن ثم قال الامام احمد رحمه الله إن خبر الآحاد الصحيح يفيد العلم وبه قال داود الظاهري والكراسي والحاسبي وحكي هذا عن مالك بن أنس .

فان قيل ان الجمهور قائلون بأن خبر الآحاد يفيد الظن . قلنا أولاً اذا كان غرض الباحث مقصوراً على طلب الحق وهو ضالته فلا محل لهذا الاعتراض من أصله على انه يحتمل ان يكون قولهم « خبر الآحاد يفيد الظن » قضية مهملة أي وهي في قوة الجزئية (١) وبهذا الاعتبار يكون بعض أخبار الآحاد قد يفيد العلم . وأيضاً المعروف من مذهب الجمهور ان المشهور والمستفيض لا يجري فيه الخلاف وذهبوا أيضاً الى ان خبر الآحاد يفيد العلم اذا تلقته الأمة بالقبول بحيث يكونون بين عامل به ومتأول له لأن التأويل فرع القبول وجعلوا من هذا القسم احاديث الصحيحين - بل أكثر احاديث ما صنف فيما يحتاج به من الكتب التي صنف في الصحاح والحسان لأنخبار الحسان بتعدد الطرق - ولا يهولك ما قد تسمع به من التفرقة بين رجال الصحيح ورجال الحسن فان شرائعهم في رجال الحديث الحسن ربما لا يلغها من وسم بأعلامات الفضل والمدالة في زماننا هذا - يدلك على ذلك ما عرف عنهم من أقوالهم في الجرح حتى انهم قد يمدون احاديث من

(١) المنار : أي هي بمعنى بعض خبر الآحاد يفيد الظن . وفيه ان التبادر من

الاضافة العموم الذي هو بمعنى الكلية وكلامهم صريح في هذا

سمع في بيته الفناء موضوعة - فان قيل ان هذا افراط قد يؤدي الى ضياع كثير من السنن . قلنا لكنه يدل على أن ما في أيديهم مما وسموه بالصحة والحسن منقبي ومبرأ من كل احتمال يؤدي الى عدم قبوله - على أن لا نسلم انحصار وجود ذلك عند من تركوه بل يجوز وجود ذلك عند غيره من الثقات ان كان هو من السنة في نفس الأمر وان كان مكذوباً فلا حاجة لهم ولا لنا به

ان أحاديث الكتب المشهورة عن مؤلفيها فيما يحتاج به من السنن النبوية قد عرفت الامة بأسرها صحتها أو حسناتها تعدد الطرق وصارت مقبولة عند الكل وأكثرها قد جمعت ودونت في عهد التابعين أو تابعيهم أما مجرد الكتابة بلا ترتيب للعمل أو للحفظ فقد كان في زمن الصحابة (رض) كما ثبت ذلك من طرق عديدة وعليه فما قرروا صحته فقد اتفقت الامة على قبوله اذ كانوا بين عامل به ومتأول وهو يفيد العلم لان سكوتهم عن الطعن فيها هو كهذا بل قبولهم له يدل على معرفة كل واحد من العاملين به أو المتأولين له بصحته وهم في كل طريق وطبقة عدد كبير لا يجوز العقل تواطأم على الكذب عادة .

وأيضاً يدل ذلك على ان هناك طرقاً معضدة كثيرة ألجأتهم الى عدم الرد ولهذا نرى من لم يلتزم ذلك بالعمل عدل الى التأويل - وان ما هذه حاله لا يبعد ان يقول انه اعلا من بعض أنواع المتواتر - وما ذكرناه معلوم ان عرف حال المحدثين واحتياطهم في رواية السنة -

الاتراهم قد عمدوا حتى الى جميع ما شاع على ألسنة العوام مما نسب الى النبي (ص) ثم صرحوا بتزييف الزائف وما له أصل رده الى أصله فما بالك وما رأيك فيهم اذا وجدوا مالا يصح مكتوباً في كتب الهداية ؟ اتراهم يسكتون عليه وقد عرف من عادتهم ان ما في استاده ولو مجهول واحد لا يحتاج به عندهم ؟ ان أهل الحديث لا يعتبرون رواية من انحطت درجته عن مرتبة رجال الحسن لا اعتقادهم ان كثرة الكذابين ونحوهم لا يزيدون الخبر الا وهناً -

لو كانوا يأخذون برواية كل من روى حتى الكذابين والفسقة والكفار كما هي عادة التواترية لبلغ رواية كل حديث من أحاديث الاحكام في كل طبقة الى

حد الكثرة التي يعتبرها التواترية — فان كان أحد يشك في قولنا فليتبّع كتب الصحاح والحسان وكتب الأحاديث الضعيفة وكتب موضوعات الحديث وغيرها من كتب السير والمغازي والتواريخ المسندة والتفسير وغيرها — انا لا أشك انه يجد أسانيد متعددة لكل حديث فاذا لم يتقيد بطريقة أهل الحديث في شرائط الرواية وجرى على طريقة التواترية فهو يجهز بان رجال هذه الأسانيد يعدّون طوطمهم على الكذب — لا سيما اذا لاحظ من عمل بكل حديث من العلماء من عهد النبي (ص) الى حين كتابتها في كتب الحديث —

يقول التواترية ان خبر الآحاد يفيد الظن وقد قدمنا فسادهم ويرتبون على ذلك كبرى قياس من الشكل الأول وهي فكل ظن أو كل عمل بالظن فهو مذموم بنص القرآن وقد عرف فساد الصغرى (١) والحق ان بعض الآحاد يفيد العلم

وأيضاً نحن لانسلم الكبرى كلية لأن القرآن انما ذم الخرس وبعض الظن لقوله تعالى «ان بعض الظن إثم» وأيضاً ما ذكره الله من الظن المذموم انما هو الظن في تأسيس الشرائع بلا اعتماد على بينة من الله في ذلك ومن تتبع آيات القرآن في ذلك وجده انما يذم هذا النوع من الظن أو ما هو في معناه كما قال تعالى قبل ذلك «هل عندكم من سلطان بهذا» وقوله «ما أنزل بها من سلطان» وقديزمهم الله بما راضتهم ما أنزل من الحق بهذا الظن الفاسد الذي لا يستند الى أصل صحيح كما يرد عليهم تعالى شأنه في قوله «ان الظن لا يفتي من الحق شيئاً» وهذا لا يصدق على الاحاديث الصحاح ولو كانت آحاداً ولا على من يعمل بها ولو كان يستمد ان ذلك من الظن اذ لا يصدق ولا نسلم انها من الظن المذموم اذ هؤلاء لم يارضوا بها المقطوع اليقيني غاية ما في الباب ان بعض أهل الحديث أو أكثرهم قد جوزوا نسخ القرآن بأحاديث الاحاد الصحاح وقد قدمنا ان جمهورهم يقول ان بعض الآحاد تفيد العلم ومن كان هذا قوله فلا يراد عليه واما من يقول بان ذلك يفيد

(١) المنار: اي قولهم ان خبر الآحاد يفيد الظن . وهي المقدمة الاولى من

مقدمتي القياس اي الدليل

الظن فكذلك لا ايراد عليه لانه يقول ان بقاء الحكم ظنياً والحكم المتأخر عنه في الحديث الصحيح أقوى وأرجح فهو انما أجاز نسخ الظن الضعيف بالظن القوي .
ان من قال بأن جميع أخبار الآحاد تفيد الظن وان كل الظن مذموم عند الله وفي كتابه القرآن الكريم — لزمه ان القرآن متناقض متخالف وانه من عند غير الله لان الله أمر وأوجب الحكم بخبر الآحاد وسماه عدلاً في قوله واذا « حكمم بين الناس ان يحكموا بالعدل — وكون الشيء هناك مذموماً وانه عدلاً تناقض وخلف وهو في القرآن محال وما اتج المحال فهو مثله فزعم ان الذم لا يتناول خبر الآحاد حتى على التسليم بانه ظن فعلى كل تقدير خبر الآحاد الصحيح عدل واجب العمل به على كل من عرف انه صحيح والله أعلم

وايضاً اطلاق الظن مقابلاً للعلم انما هو اصطلاح حادث مخالف لاصطلاح القرآن وعادته في محاوراته لان الله جل وعلا قد اطلق على العلم اسم الظن في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى حكاية عن الجن — وانا ظننا ان لن نعجز الله . وقوله اني ظننت اني ملائكة حسابة — وظنوا انهم احبط بهم — وظنوا انهم قد كذبوا — فظنوا انهم واقعوها الى غير ذلك مما اطلق فيه لفظ الظن والمراد به العلم فكذلك حملة القرآن من العلماء لا يبعد ان يطلقوا على العلم لفظ الظن كلهم او بعضهم

فمن يقول منهم ان بعض الاحاديث الصحاح تفيد الظن يمكن ان يحمل قوله على ما ذكرنا على انا قد قدمنا انه لا تصدق على ذلك تلك الآيات الواردة في خص الظن لعدم العلة الجامعة — وفوق ذلك نقول ان عملهم بالاحاديث الصحاح انما هو من باب الاختبار والعمل باحسن الامرين او الامور التي انحصر الحق فيها وما ذلك الا المرجح غلوه لا ظنوه كما قال تعالى « اتبعوا احسن ما نزل اليكم — تتقبل منهم احسن ما عملوا — فيتبعون احسنه » الى غير ذلك فاذا تعارضت ادلة ولا سبيل للخروج عنها كلها لانحصار الحق فيها — والحالة ان الاتباع فرض لازم كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحبك الله » فيجب على العالم ان يجتهد واذا رجح احدها فهو انما يرجح بمرجح علمه لا ظنه فلا يصح ان يقال ان هذا عمل بالظن حتي يقال انه مذموم

ثم قول للتواترية ان كل ما الزتم به متبعي حديث الآحاد الصحيح هو لازم لكم في تواتر كم بمنه عندكم وزيادة على ذلك تلزمكم شاعات وفظائع لا يلزمها الا من نفى يديه من دين الاسلام بل من سائر الاديان ونحن نبرئ حضرة الدكتور عن التزام ما يؤدى الى ذلك لما عرفنا من كتابته السابقة التي اعلن الرجوع عنها فنعتقد انه انما يجب الحق واظهاره وانه عند تجليه له لا يتوانى عن قبوله بنهاية السرور والبشاشة بل يظهر للملأ رجوعه وان ذلك لما يزيد عند كل منصف اجلالا

﴿ بحث التواتر ﴾

ماهو التواتر؟ — هو غير معروف عند السلف من المسلمين وانما يعبرون عما كثرت رواته او ماروته الجوع بالمشهور وهو عندهم كغيره لا بد من رواية الثقات له والا لم يكن مقبولا

اما من عرف عنه التواتر فقد اختلفت عباراتهم في تفسيره اي حده ففهم من قال هو ما نقله جمع يحصل العلم بروايتهم ضرورة — ومنهم من قال خبر جمع عن محسوس يتمتع تواترهم على الكذب عادة من حيث كثرتهم — ثم اختلفوا هل يمكن تعيين جمع يكون اقل نصاب جمع التواتر قال بعضهم اقله اربعة وقيل خمسة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل اربعون وقيل سبعون وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر وقيل أربع عشرة مائة وقيل جميع الامة وقيل بحيث لا يحويهم بلد ولا يحصرهم عدد والمرجع عند التواترين عدم تعيين عدد مخصوص وانما مداره عندهم على حصول العلم من حيث كثرة العدد تارة ومن حيث القرائن اخرى

اقول من احاط علما بما ذكرناه من اختلافهم في هذا التواتر وفي شرائطه تحقق ان هذا شيء ليس من عند الله اذ لا يمكن القطع به ولا يمكن طرده ولا تطبيقه على كل ما في الاعيان من الوقائع طردا على وتيرة واحدة بحيث يتفق عليه كافة الناس ويكون قاعدة يصح المرجع اليه لفصل النزاع —

يوضح ذلك انه يمكن على معتمد التواترية وقول جمهورهم ان يكون خبر اهل البلدة العظيمة متواترا كباريس مثلا واذا كان خبر الثلاثة والاربعة او الخمسة يصح

ان يكون متواترا بمعنى انه يتمتع تواطؤهم على الكذب عادة والامتناع هذا يكون تارة لمجرد الكثرة اي بلا اعتبار قيد من القيد المعتبرة في الرواية عند اهل الرواية كالبلوغ وكمال العقل والاسلام والعدالة الى غير ذلك . واذا كان الامر كذلك فاذا اخبر خمسة من الفجرة بخبر مثلا فنحن نناشد الله كل ذي عقل وبصيرة هل يحصل له العلم الضروري بخبرهم وهل يتمتع عنده تواطؤهم على الكذب لكونهم جمعا حتى لو كانوا كفارا فجرة اخبروا مرة دفعة واحدة ؟ فان كابر وقال نعم قلنا له وهل يجب ان يحصل لكل احد مثل علمك من خبر هؤلاء ؟ وهل تعد من خالفك مكابرا بدلا عن تكون انت المكابر ؟ نحن نستبعد ادعاء عاقل مثل هذه الدعاوي الباطلة

وكذلك قول ان كل جمع يفرض التواتر مفيدا للعلم من جهة انه جمع قطع لا بد ان يرد عليه ايراد صحيح يقضه الا انه في بعضها ايمن واظهر من بعض الا ترى ان اعلى ما مثلوا به لذلك هو قولهم كأن يخبر اهل باريس بقتل او موت كيرم مثلا قالوا ان هذا يفيد العلم بسبب كثرتهم . ونحن نقول في الجواب عن ذلك هذا مثال واحد ولا يمكن وجود مثله دائما حتى يصح طرده في كل موضع مما يتنازع الناس فيه . ويقال فيه ايضا يمكن ان يكون افادة الخبر العلم في مثل هذا المثال انما كان قرائن ككونهم اي اهل باريس ونحوهم لافائدة ولا قصان ولا مضرة عليهم من اظهار مثل هذه الواقعة فصدقهم هنا انما هو القرائن لا الكثرة لاننا نجد الفرق بين مثل هذا المثال وبين خبر اهل باريس انفسهم فيما اذا كانوا محصورين بمساكر الانكليز مثلا فاخبروا بقدوم عساكر الروس الى بلدهم لامدادهم فهل خبرهم والحالة ما ذكرنا يفيد العساكر المحاصرة العلم الضروري بحيث لا يتشوفون الى صحته ؟ وهل يمكن كذبهم والحالة هذه ام لا ؟ نحن لا نستبعد الكذب فضلا عن علم امكانه حيث

فان قيل نحن نرى انفسنا مطمئنة لا يتنازعها شك في وجود البلدان الثانية التي لم نرها ولا نرى سببا لذلك الا متواتر الينا من الاخبار بوجودها قلنا نعم والامر كذلك لكن لا يستلزم ان يكون سبب هذا العلم مجرد الكثرة

وان كانوا كفارا او فسقة فخارا بل لعل ذلك من الكثرة مع انضمام القرائن فان القرائن انواع واصناف لا يكاد يحصرها حد أو عد بل القرائن قد تقارن خبر الواحد الكاذب المعروف بكذبه وفقه فيفيد خبره العلم اذا قارنته وايدته وهي تختلف باختلاف اماكن الخبرين وزمانهم ككونهم اخبروا دفعة او متفرقين وباختلاف حالهم من خوف وأمان وعسر ويسر وحسب الاوطان والاقدام والغنى وارهاب ورجاء الى غير ذلك مما يعود على الافراد فائدة او نقص ولو بتوسط فائدة او نقص طوائفهم واممهم واقوامهم واوطانهم

ولما ذكرناه واضعاف اضعافه مما لم نذكره ولتعدد ذلك لو سلم صحته ولان تكليف العباد به تكليف لما لا يستطيع بل التزامه وحصر العلم الخبري فيه تعطيل لاكثر معارف البشر والفاء لاكثر الاحكام الديانات ان لم تقل لكملها واخراج للناس في جميع معاملاتهم ومعاشاتهم وموجب لتقاطعهم فردا فردا كالبهايم لم يجعل الله ذلك اصلا ولا قاعدة ولا مناطا لتحقيق شيء من الامور الدينية ولا الدنيوية ولا نبه عليه احد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولم نعرفه عن احد من السلف الصالح لا الصحابة ولا تابعيهم باحسان

فالحق عندنا ان اخبار الجموع لا تفيد العلم الا اذا ايدتها القرائن او شاركتهم الثقات - وخبر الثقات المتواتر هو اعلاها كتواتر القرآن الكريم - ثم خبر الاحاد الأثبات الضابطون بشر وطهم يفيد من عرف حالهم او حال من وثقهم العلم ويجب على من بلغه خبر عن المعصوم (ص) ان يبحث عن حاله وحال رواه فاذا وجدهم بالشروط المعتبرة فلا يجوز له اهمال ذلك الخبر لاجل كونه لم يتواتر الا عرفت مما قدمناه كما هو اجماع المسلمين واته المستعان (للمسألة بقية)

اهم الاخبار والآراء

(اعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان في الدولة العلية)

في صبيحة يوم الجمعة المبارك ٢٥ جمادى الآخرة صدرت الإرادة السلطانية بإعادة « مجلس المبعوثان » والأوامر من مقام الصدارة الى الولايات بالانتخاب. فشم الفرح والسرور جميع العثمانيين في دار السلطنة وجميع الولايات وفي جميع أقطار الأرض وعدوا هذا اليوم العظيم عيداً عاماً للأمة العثمانية على اختلاف ملاتها ونحلها أما سبب نيل هذه الامنية التي تشوف اليها العثمانيون من نحو ثلث قرن بعد ما سلبت منهم فهو التدبير العظيم الذي قامت به جمعيات الاحرار العثمانيين في أوربا ومصر بعد اتحادها ودخول كبار ضباط الجيش المستعيرين فيها ورؤيتهم ذلك في وقت آخر وما كاد نبأ البرق يوافي مصر بهذه البشرى حتى انبث فيها بين العثمانيين من الترك والسوريين والأرمن وغيرهم فأنشأ ينهي بعضهم بعضاً والبشر يتدقق من وجوههم . ثم طاف جمهور منهم في الشوارع الكبيرة بالقرب من الازبكية وهم يهتفون بالأناشيد العثمانية

ثم اجتمع مئات منهم في رجة قهوة « اسبلنددار » وطلق يترنم بعضهم بالأناشيد والآخرون يصفقون لهم . وقام غير واحد منهم فخطبوا بالتركية وقام صاحب هذه المحلة فخطب بالتركية خطبة وجيزة صفق لها الجمهور من حملة الطرايش والبرانيط بهجة واستحساناً كان موضوع الخطاب ان هذا اليوم عيد لجميع العثمانيين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم واجناسهم وان الفضل في نيلنا الدستور عائلاً لساعي أحرارنا وجمعياتنا السياسية ، وضابطنا ذوي البسالة والحمية ، وانه يجدر بنا معشر العثمانيين ان نقاخر جميع الأمم بنيل الدستور من غير ثورات داخلية تراق فيها دماء الالوف ويهلك فيها الحرث والنسل : وأنه ينبغي لنا ان ننسى الماضي وان نعمل للمستقبل فنظهر للامم كلها اننا أهل لهذا النوع الراقي من الحكومة فيجب ان يتحد التركي والعربي والرومي والأرمني وسائر الاجناس العثمانية ويقوموا بالاعمال التي ترفع شأن البلاد على قواعد الحق والمساواة ...

ومما قلته ايضا انا نشكر الحاضرة السلطانية المبادرة الى اجابة طلب الضباط
الناطقين بلسان احرار الامة . فبطل التصفيق او قل عند ذكر السلطان وأشار كثير
من الترك والأرمن اشارات الانكار

وفي يوم السبت التالي اجتمع في دار رفيق بك العظم جموع عظيم من فضلاء
العثمانيين المختلفين في الجنس المتحددين في العثمانية لأجل المذاكرة في تنظيم مظاهرة
بإعلان السرور وإرسال برقيات الشكر الى جمعيات الاحرار في أوروبا والى الاساتذة
وقد كانت جمعية الشورى العثمانية قررت في يوم الاربعاء الماضي جمع اكثر هؤلاء
الاحرار للمذاكرة في شؤون الثورة ومطالبة الصد الاعظم سعيد باشا بأن يختم
تاريخه بمساعدة الامة على اعادة الدستور وجمع « مجلس المبعوثان » فلما بشرنا البرق
في مساء يوم الجمعة بصدور الارادة السلطانية بذلك تحول مقصد الاجتماع الى ما ذكرنا
اقترح الجمهور ان ترسل تهنئة برقية الى الامير صباح الدين داماد (ابن اخت
السلطان) رئيس جمعيات الاحرار يباريس يشكر له فيها سعيه وسعي الاحرار ويكلفه
فيها ان يبلغ نيازي بك رئيس الضباط الذين اظهروا الثورة العسكرية في مكدونية
وإخوانه كنوري بك وانور بك شكرهم وسرورهم . ورسالة اخرى الى الصدر الأعظم
فاقترح صاحب هذه المجلة إرسال رسالة خاصة الى السلطان . قلت : ان
ضباطنا واحرارنا طلبوا والسلطان أعطى فنشكر له أنه قدر الحال حق قدرها وبادر
الى الاجابة ولم يضطر الجند الى سفك الدماء . فوافقي على هذا الاقتراح من حضر
من السوريين اكثرهم بالقول وبعضهم بالسكوت . وعارضني اكثر الترك والأرمن
وقال واحد من اشهر احرار الترك : انه لم يجب الطلب فضلا واحسانا ولكنه اجابه
بعد ان أشرعت في وجهه مئة وخمسون ألف حربة (سنكه) وقال بعض المعتدلين
منهم لا بأس بأن يذكر في تلوغراف الصدر الأعظم ببلغ السلطان سرور العثمانيين
وبعد طول البحث انتخب الجمهور لجنة منهم لقرير ما يجب وجعلوا رئيسها اسماعيل
حقي بك القائمقام العسكري (لان الدستور رجع بقوة الجند) فقررت ان تحتفل
في احد دور التمثيل احتفالا يخطب فيه العثمانيون بالتركية والريسية والفرنسية

(المارچ ۶) (۵۹) (المجلد الحادي عشر)

والارمنية والرومية . وان يعرض على الجمهور المحتفل صورة رسالتين برقيتين إحداهما
للأمير صباح الدين افندي والثانية للصدر الأعظم وترسلان بعد اقراره عليهما . وقد
بذل الحاضرون ما يلزم من النقود لاجل ذلك بغير اكتاب بل بمجرد الاربعية .
وفي مساء ذلك اليوم اجتمع جمهور من المصريين في حديقة الازبكية لاطهار السرور
بنيل العثمانيين للدستور ومجلس النواب (المبعوثان) حضرا هذا الاجتماع في اثناة واقترح
علينا حسين بك تيمور الذي دعا الى الاحتفال وبعض العثمانيين ان نخطب بالحاضرين
خطبة تناسب المقام وكان جل اقوالهم لإطراء للسلطان بأنه تفضل وتكرم بالدستوراي
بغير علة ولا سبب ، ولا ثورة ولا طلب ، وان جيوشه منتشرة من منابع النيل الى
سيلان ١١١ ثم رأينا الجرائد كتبت عن هذا الاحتفال فوصفته الجريدة والمقطع
كما حصل وذكر اللواء عنه نبذة صغيرة معظمها كذب . وهذا ما جاء في الجريدة

مظاهرة في حديقة الازبكية

اعلن حضرة حسين بك تيمور — انه سيخطب في حديقة الازبكية نحو الساعة
السادسة بعد ظهر أمس لاطهار السرور بمنحة الدستور لاخواتنا العثمانيين . فناء على
هذا الاعلان توافد الناس من خاصة وعامة الى حديقة الازبكية ولما وافت الساعة
السادسة التفتوا حول كوشك الموسيقى فافتتح الخطابة حضرة ربيع افندي المدرس
بالمدرسة التحضيرية فبسط كلمة عن فوائد الدستور ثم قال اننا نؤمل البلوغ الى
غايتنا من نيل المجلس النيابي وان طال علينا الامد . ثم اختتم خطبته بالدعاء لجلالة
السلطان والامة العثمانية والجناب العالي . وتلاه شاب يدعى الشيخ حسين الغزي
من طلبة العلم في الازهر الشريف فحذا حذو الخطيب الاول في الموضوع ثم تلاه
حضرة الشيخ صادق عمران فتلا قصيدة يمدح بها جلالة السلطان والامة العثمانية
ثم طلب جماعة من رجال الصحافة والادب الى حضرة الاستاذ العلامة السيد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار أن يتكلم في الموضوع كلمات تروي القليل فأجاب دعوتهم
وارتقى مكان الخطابة فقال ما خلاصته

« هذا اليوم هو عيد للعثمانيين عامة وعيد المسلمين خاصة فنه عيبد بحكومة

الشورى التي يتمتع بحريها العثمانيون كافة من جميع الملل والاجناس . وحكومة الشورى التي قررها الاسلام بقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »

مسائل الأمن والخوف من الامور العامة المتعلقة بسياسة الامة وإدارتها ولم يفوض القرآن الامر فيه الى الرسول (ص) وحده وهو الامام المعصوم وصاحب الشريعة ومبلغها بل جعل الامر فيها اليه وإلى أولي الامر من الامة يدبرونها بالشورى بينهم من هم أولوا الامر ؟ زعم بعض المحرفين أو المحرفين ان أولي الامر هم الملوك والسلطين وهو زعم ظاهر البطلان فان الرسول لم يكن معه حين نزلت الآية ملوك وسلطين وانما كان يستشير أولي الرأي والمكانة من الامة فهم أولوا الامر بفرض نزاع أفرأيت هذه الهداية إلى حكومة الشورى وسلطة الامة . هل يوجد عناية وتأکید في شريعة ودين أبليغ منها ؟ اذا كان رب العالمين لم يرش ان يكون خاتم رسله مستقلاً بإدارة الامور العامة دون أهل الرأي من أمته فكيف يرشى أو يشرع لغيره ممن هو دونه بذلك ؟

مع هذا كله لم تلبث حكومة الاسلام بعد الخلفاء الراشدين ان صارت شخصية استبدادية ولا نخوض في الكلام عن الماضي فاما غرضنا الكلام عن الحاضر قلب الزمان ودالت الدول ودخل العالم الانساني في طور جديد فسبق غير المسلمين الى حكومة الشورى وكانت حكومة دولتنا العلية وهي شخصية على خطر بين الحكومات النيابية الشورية المجاورة لها ففكر بعض أصحاب العقول الكيرة فيها من نحو نصف قرن في جعل الحكم بيد الامة وافقدوا ذلك من نحو ثلث قرن ففوضوا القانون الاساسي وأنشأوا « مجلس المبعوثان » الذي تعبرون عنه بمجلس النواب ولكن لم تلبث السلطة المطلقة ان استردت هذه المنحة أو هذا الحق منهم لو كانت : لامة العثمانية في ذلك الوقت مستعدة للدستور استعدادها اليوم لما أمكن أخذها منها ولكنها لم تله باستعداد الجمهور بل باستعداد أفراد من نابغي وزرائها أصحاب الادعة الكيرة والأفكار البعيدة والغيرة الشديدة كدجيت باشا وخواه

لم يكن العقلاء في الامة العثمانية يعدلون على الاصابع فيموت الدستور بموتهم بل كان في الامة كثير من أهل الثرية العالية والمعارف السامية ولكنهم لم يكونوا منبئين في الامة كلها ولا مشتغلين بأشرب روحها معنى الحكم الذاتي

فلما رأوا أنفسهم قد سلبوا ما فيه سعادة الامة وعزة الدولة وانه لا سبيل الى استرجاعه من الاعلى كما جاء أولاً بتدبير مدحت باشا وحسين عوني باشا وإخوانهم رأوا ان يطلبوه من جانب الامة بتوجيه نفوس المتعلمين اليه فانشأوا الجمعيات السرية التي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات حتى اتيج لها الظفر الآن ونالت ما تتمناه ، ولما بلغ هذا المقام من البيان التاريخي المفيد كبر على أناس لم يفقهوا قوله

فحدث شيء من الشعب واقطع الخطيب عن الخطابة اه كلام الجريدة

وأزيد على ما ذكرته الجريدة ما جاء في بعض الصحف وهو ان بعض المصريين صاح ليحيي السلطان . لتسقط تركيا الفتاة . او حزب تركيا الفتاة . فصاح بصياحه جمهور من الحاضرين فاستاء من كان هناك من فضلاء الترك وغيرهم من العثمانيين وقال قائل منهم : ياشيخ رشيد لا تكلم على هؤلاء الذين لا يفهمون . فما زادهم ذلك الا صياحا بسقوط تركيا الفتاة اي الامة العثمانية في حياتها الدستورية الجديدة !!! وظنوا الجهم ان من لوازم حب السلطان ان يعيش على شيخوخته وضعفه عمر أطويلا بغير امة او بامة ميتة وجودها كالدم فكذا يكون الاحتفال بالدستور !! اما العثمانيون الاخيار فقد جملوا موعد احتفالهم مساء يوم الثلاثاء غرة رجب وأن لا يذكر الخطباء فيه اسم السلطان بدم ولا مدح ولا تهنية ولا شكر عملا برأي السواد الاعظم وخلافا لرأي اكثر السوريين وهم العدد الاقل في جمهور المؤتمرين بالاحتفال وسنذكر شيئاً عن الاحتفال في الجزء الآتي

أرسل اليها كثير من المحيين رسائل التهاني فبيل أمثال الدستور لعلمهم بما أصابنا من الاستبداد منها ما طار به البرق ومنها ما عدا به البريد ، منها ما هو بعزائنا الخاص ومنها ما هو بوصف جمعية الشورى العثمانية . فنشكر لجميع المهتئين عاطفتهم الشريفة ونخص بالذكر لجنة الشورى العثمانية في البرازيل وربما ننشر شيئاً مما فيه العبرة والعائدة من تلك الرسائل

الفصل العاشر*)

عمد (عليه الصلاة والسلام) قبل تزوج خديجة

واذا العناية صاحبت مرءاً فلا تكثر سؤالك فيه كيف ولم وما ودع التردد إن أتاك حديثه مهمل حوسمه مهمل فما مهمل سماً لا تسأل كيف أبدع الإنسان من فقه الكواكب من رتق موادها، وقدّر مدارات الحركات، ونظامات لتقابلها، وأنشأ منهن المقسمات ليلنا ونهارنا، المدبرات صيفنا وشتاءنا، الناظيات في أحشائهن شملنا، الماذات بنسائهن نسائنا، وبأرواحهن كياناتنا، ولا تسأل لم خلق لنا الأرض جيمنا نشرح أحشائها، ونقطع أوصالها، ونستخرج أفلاذها، قد حصرناها على عظمتها في يدينا، وحشرنا كل ما فيها في ذرات صغيرة من دماغنا، إن شئنا نرفع من شأنها بما نركب من أجزائها، فيأتي منها من البدائع ما يدهش ألبابنا، ويسحر أبصارنا، وإن شئنا لم نعبأ بها، واستشرفت قهوسنا إلى غيرها، فاطلمنا إلى مصادر الأرواح ومواردنا، ومشارك الأسرار ومغازبها، وارتفعنا إلى ينابيع الأكوان ومظاهرها، وتلمسنا ثمة حياة لا نحتاج فيها إلى الماء الأرض وهوائها، وتراها ونارها

ولا تسأل كيف تقاربت صورنا معشر الإنس وتباعدت حقائنا، ولم طالت آمالنا وأعمالنا، وقصرت آجالنا وأعمارنا، ولم جمشت قهوسنا بتكثير الصور ثم شغقت كل نفس بأواع منها، ونخالقنا في تميزها وترجيح

بعضها على بعض، وتداربنا في مناهج طلابها، وقاطعنا في سبيل اكتسابها،
ولم هذا البون في أنصابتنا، والفرق في صرامينا، والبعد في مدارجنا،
والعين في معارجنا،

ولماذا منا أناس مع الكواكب مداركهم سابعة في أفلاك الحقائق،
وبروج الرقائق والدقائق، ومع الانوار سيرهم منتشرة في سابق الدهور
ولاحقها، وبادي الشعوب وحاضرها، وآخرون مع الديدان مشاعرهم دابة
بين أوراق الآجام وأخطابها، أو تحت دخان القفار ونفثها، ومع المعصف
صورهم منطوية في أحشاء الاواكل، ومندرجة في الاواخر مع اخوانهم
الاول

لاتسأل عن هذا كله ان كانت همك قد وقفت عند مطمأنها من
معرفة الاول الآخر، الظاهر الباطن، ذي الحياة الازلية الساري
سرهما في الاكوان والوجودات، البادي خط جلالها وجلالها على لوح
الآيات اليبينات، من الاشكال والتنوعات، ومن آياته أن خلقكم من
تراب ثم إذا أنتم بشر منتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات
لقوم يفكرون * ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والواكن ان في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتئاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم
البرق خوفاً وطمئناً وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن قوم السماء والارض
بأمرة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون

إذا وقفت تفكك عند هذا المطمان من المعرفة فاعلمها تصل بك الى معرفة ان ذا الحياة الازلية ذو حكمة ليس في وسع استعدادنا ان نحيط بأسرارها خبراً مهما حامت حولها آمال مدار كنا ، ومهما طافت في سوح قدسها صوافي سرائرها ، فأخلق بأحدنا أن يتذكر في هذه المسابح الفكرية عجز أجنحة عقولنا عن أن تصل بنا الى مادون هذا السر الأعظم ، ووقوعها بنا في كثير من أشراك الاوهام في الوجودات التي هي تحت حسوسنا ، وفي جوار جسمنا وهوسنا

وعسى أن ترقى بك هذه المعرفة الى الاذعان بأن هذا الحي الازلي الحكيم ذو عناية وبانية لا يحاسب على ما يختص بها ممن يشاء فله الامر كله فيما يسدي ، ويصور ، وله الحكمة فيما ينوع ويميز ، منه كل شيء واليه المآب

وان كنت في رب من الحكمة الازلية ، والعناية السرمدية ، فدع نفسك واقفة ماشاءت في عتمة النفي ، أو دائرة في سجن الشك ، أو طائفة في جو الوهم لا قرار لها . وانما نحكي هنا للذين هم بربهم يؤمنون



سبق في الناية الازلية أن تكون هداية شعوب كثيرة الى أقوم سبل الحياة على يد رجل من العرب يرتفع به اسمهم في العالمين وكان من هذا الشرف الذي أعتده الله للعرب أعظم نصيب لعبد المطلب الذي أخرج الله انسان هذه الهداية من أولاده

كان عبد المطلب ^(١) من كبار أشراف قريش ورزق عشرة أولاد

« ١ » اسم عبد المطلب شيبه وتسميته بعبد المطلب حكاية وهي ان أباه هاشم

من الذكور وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه فزوجه شريفة من شراف
قريش من بني زهرة تدعى آمنة فحملت منه وقبل أن تضع حملها توفي فلما
وضعت كفل وليدها جده وكان هذا الوليد المبارك «محمداً» صاحب القرآن
فأأسمدك يا عبد المطلب أ كنت ندري وأنت في أبواب أبرهة
الجشي تطلب منه رد ذلك القليل من الإبل الذي لك مما استاقه من إبل
مكة أن سيولد لك في هذا العام حفيد تنني أعناق الملوك في الأجيال المقبلة
خاصةً لذكركه

أ كنت تفكر إذ قصارى أملك حفظ مقامك بين قومك المنتظمين
في تلك البرية ان اسمك سترن به الحافل في الأمصار النائية والشعوب
المتخلفة على مدى عصور كثيرة كلما ذكر نسب حفيدك العظيم الذي أعتهده الله
لنصب يتبعه من أجله العالم ويبقي ذكره فيهم الى الابد
أخطر على قلبك أن بلدك المقدس الذي لم يكن يحجج اليه الا العرب
ستحجج اليه كل شعوب الارض اتباعاً لما جاءهم به حفيدك من الهداية
أجاء في خلدك ان كنتك آمنة الزهرية انما ولدت من يشرف الله
به قومك ويجمع به كلمتهم ويملئ سلطانهم وينشر نعمتهم ويقيم لهم مجداً مع
الدهر مذكوراً، وفي كتاب العالم مسطوراً

= كان قد تزوج أمه من بني النجار في « يثرب » (المدينة) فلما ولدت تركه عندها
حتى كبر وكان هاشم تاجراً فخرج تجارة الى الشام فأت في « غزة » فذهب أخوه
المطلب بن عبد مناف ليأتي ابن أخيه فأبى والدته أن تعطيه إياه حتى أقمتها بأن أمته
في بلدته وبين قومه وعشيرته خير له ولما جاء به كان مردفه خلفه على بئر فظنت
قريش انه عبد ابتاعه فقالوا عبد المطلب وقال لهم المطلب وبحكم انما هو ابن أخي
هاشم قدمت به من المدينة ولكن ذاعت كلمة عبد المطلب فاشتبهوا وصارت كأنها علم له

هل كنتَ ملهماً اذ سميت محمدًا؟ وكنت على رجاء كبير بأن يقيم له
المالون تحميداً لا ينقطع ، وتعجيداً لا يزول ؟

أعرفت أنك بحفظك هذا اليتيم وكفالتك إياه وعنايتك به إنما
كنت تحفظ للعالم كله التحفة التي آتاهم الله من كرمه ، والوديسة القدوسية
التي اختص الله بيتك لظهورها ، وقومك لا تتشارب بدلاً لنورها
فأنت بما أوتيت من هذه السعادة الخالدة جدير ايها المخصوص بعناية
الحي الأزلي ، فليدم ذكرك جلالاً للمحافل واسمك سامياً مع اسم حفيدك
نبي الشعوب وبركة العالم .

كانت ولادة محمد في القرن السادس من ميلاد المسيح عليهما
الصلاة والسلام اي حوالي سنة سبعين وخمسمائة منه وحوالي السنة الثامنة
والأربعين من ملك كسرى أو شروان . ولم يكن قومه يعرفون سني
الامم وتواريخها ولا سني انقسامهم وانما كانوا يحفظون الأعمار و يرقون آجال
الأشياء بالوقائع الشيرة والحوادث العظيمة كما هو شأن الاميين الى عهدنا
ولعام القيل وهي سنة اشتهرت بهذا الاسم لوقوع حادثة فيها عندم تدور
صفوة حكايتها على حزن فيل القائد النجاشي وابائه المسير لقاء مكة فلذلك سميت
بهذا الاسم . وحادثة القيل شديدة الشهرة ويصح ان نقول انها من التاريخ
المقدس عند المسلمين أي انها ذكرت في القرآن ولكن على اسلوبه في
القصص التي يذكرها لاجل العبرة فقط لا على أسلوب المؤرخين ونقله الاخبار
وقد أعطي لمرضة على عادة قريش في اعطائهم الأولاد للمراضع
من القبائل النازلة قرب مكة ابتداء ان تربي أجسامهم في البادية حيث
الارض النظيفة قد كسيت من الازهار أبدع النمازق الطبيعية ، والنساء من
(الناظر ٦) (٦٠) (المجلد الحادي عشر)

متحملة من ذلك العير تهديه الى النفوس رائحة وغادية

اذا بزغ رأس النهار أرسل الى أئدة أهل النشاط روحاً مبشراً بطيب عقي العمل، وسوء منقلب الكسل، وكأَن بينه وبين سكان البراري وساسة الأنعام عهداً أن لا يقبل بطلته الباسمة الا وهم مستقبليه بالتحيات الطيبات من مباسم همهم، وتعمور اجتهدهم، ورافعون اليه آيات الشكر على ماله من الايادي البيضاء في اخضرار عيشهم، وايضاض وجوه آمالهم

بزغ الفجر يوماً على نسستين في أباطح تهامة قد أسفر طيها البشر، وقذت القبضة من أعماق جوائنهما الى أسارير وجهيهما، ولم يكن ذلك الانس والبشر لما حولهما من عجالي عرائس الطبيعة لان السماء كانت شحيحة عليهم تلك السنة فلم تترع حياضهم، ولا أوقفت رياضهم، ولولم يصن الوادي لهم القليل مما أغشوا به مرة لقتلهم الظلم - ولا لما حولهما من وافر الرزق وسابغ النعم لانهما لم يكونا يلدكان الا فتيات قد جارت عليهما السنة، وقتلها الجهد والجدب، ولكن كان ذلك السرور بنعمة جديدة أصاباها فلاتهما فرحاً، وأشبعتهما ابتهاجاً، ولم يكونا يفتزان عن هذا الحديث الذي كانا يتفديان به صباح مساء، ويمجدان به شكرياً على هذه النماء، وهذا ما كانا يتحدثان به :

— حقاً يا حليمة انك قد جئتنا بنخلة سنية ونسمة مباركة

— أي والله يا حارث وانظر ما أجله، انظر الى هذه الاشجار المهدب، انظر الى هذه العيون الدعج، انظر الى هذا الجبين الازهر، انظر ما أبهى انعكاس هذا الضياء المقبل من الشرق على امرأة هذا الجبين

كان هذا الحديث يجري بين امرأة وزوجها من قبيلة بني سمد صديحة يوم كانا قبله في مكة وكانت هذه المرأة هي التي جاءت بحفيد عبد المطلب

لترضعه وقد حدثت هي حديثها كيف جاءت به وكيف رأت من بركته قالت
خرجت مع زوجي وابن لي صغير على أنان لي قراء^(١) معناشارف^(٢)
لنا والله ماتبض بقطرة وما تنام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من
بكائه من الجوع ما في ثديي ما يفتيه ، وما في شارفنا ما يفتيه ، ولكننا كنا
نرجو النيث والفرج ، فخرجت على أتاني تلك فلقد أذمت^(٣) بالركب
ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا فما منا امرأة الا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك اننا
كنا نرجو المروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع
أمة وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت
رضيما غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي « والله اني لا أكره أن
أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لا ذهبنا الى ذلك اليتيم فلا خذنه »
قال لا عليك ان قلبي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت
اليه فأخذه وما حملني على اخذه الا اني لم أجد غيره . قالت فلما أخذه
رجعت به الى رحلي فلما وضعت في حجرني أقبل عليه تدباني بما شاء من
لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام
معه قبل ذلك . وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انما حافل^(٤) فلب منها
شرب وشربت معه حتى اتيننا ريا وشبعنا فبتنا بخير ليلة قالت . يقول صاحبي
حين أصبحنا تلمني والله يا دليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت
والله اني لا رجو ذلك . قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله

(١) القمرة بالنم لون الى الخضرة . أو يأسر فيه كدرة . حمار أقره أنان قراء

(٢) « الشارف النقة المسنة » (٣) أذمت بالركب أي حبستهم لا تقطع سيرها من

تحفها أي هزلها وضمها (٤) حافل كثيرة اللبن

لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرم حتى ان صواحي يقان لي
«يا ابنة ابي ذؤيب وبحك اربعي علينا^(١) أليست هذه أُنْثى كنت
خرجت عليها؟ فأقول لمن؟ بلى والله انها لمي. فيقلن: والله ان لها لثأناً
قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض
الله أجذب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً
فحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان
الحاضرون من قومنا يقولون لرعايتهم ولكم اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت ابي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياً ما تبضّ بقطرة لبن وتروح غنمي
شباعاً لبناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
وكان يشب شباباً لا يشبه الثمان»

فيالك من سميدة يا حليلة اذ كتب لك ارضاع اليتيم الذي تراه العناية
الخاصة ولم يكشف لك من آثارها الا هذه البركة التي ملأت يدك ويا كن أيتها
المراضع الغيبات المعرضات عن اليتيم التماساً لرضعاه الذين لهم آباء. لقد فاتكن
الحظ وما الحظوظ بالاختيار، وعزاء لكم أيها اليتامى فقد عاش محمد العظيم يتيماً

بعد ان ربي «محمد» (ص) في بني سمد عند السميدة حليلة جيه
به الى أمه فذهبت به وهو ممتلئ قوة وهو ابن ست سنين الى المدينة
لتزيره اخواله من بني عدي بن النجار وفي عودتها الى مكة توفي في مكان
يسمى الأبواء. وكان عبد المطلب شديد العناية بمحمديه وتوسم فيه خلوه
الشأن فالباغ الثامنة من عمره ودّعه، فمارقاً هذه الدار وأودعه لدى الجناح
الآلهي الذي من لدنه وازدادت البر والبركات له، ونام ذؤيب الى راحته والحمد لله

وقام مقامه ابنه ابو طالب شقيق عبد الله ابي النبي (ص) فأدخله في آل بيته وتمهّد تربيته وتثقيفه

وكان أبو طالب امراً نبياً شهماً صادق المروءة، ماضي العزيمه، نصيراً للعدل والانصاف . عرفنا كل ذلك فيه من تكليفه نفسه أقصى ما يمكن ان تكلف النفس في حماية ابن اخيه لما قام بالدعوة ومن موافقه أمام قريش في نصره والدودعته . وقد خلف ابو طالب أباه عبدالمطلب في المقام السامي بين قومه فكان ابن عبد الله ينتقل في بروج المز والسودد والسعادة في آفاق الشرف والهاشمي، وتنطمع في جوهره الكريم صور البر والعدل والإحسان على مثال الخلال الشريفة التي كان يتحلّى بها ذلك الرجل السامي الترية (أبو طالب) نحن قد رأينا من آثار العناية الازلية بذلك اليتيم العزيز ما يصح القول معها انه كان مستغنياً عن تربية أحد ولكن لماذا لا نقول ان اعداد ذلك المفاضل لتربيته في الصغر كان من جملة آثار العناية الفائقة به

أما تربيته اياه الترية الجسدية فقد كانت على غاية ما يتصور علماء الصحة ولذلك جاء من آثارها قوة جسدية لهذا المبارك لانظير لها وصار على صورة من الجمال كانت تجمل الدين يروونه يقولون لم نر مثله . ولا يتم الجمال الا بصحة البدن وهي انما تم بحسن الترية الجسدية

واما تربيته اياه الترية العقلية فكانت جديرة أن يسجد أمامها فلاسفة النفس وأساطين العقل وهناك من آثارها قبل النبوة ما يحملنا في حيرة من أمر هذه القبيلة الصغيرة المبتدعة في دارها عن مناشئ الارتقاء العقلي، ومناجم الإشراف النكري، لا كتب يدرسونها، ولا قوانين للمعارف يرتبونها، ولا شيء الاغرائطية يتوارثونها، وقواعد عامة يتناقلونها، وحصافة أوتوها

في نقش أصبح التجارب في المدارك، والاحتفاظ بأثبت الفوائد في النواكر، وكذلك يفعلون في التربية الاخلاقية ينشئون القرية على دروس المشاهدة في مدارج العمل، ودروس القصد والاعتدال في معارج الأمل، فيأتي من تلك السلائل التي لم تحتضها عدوى الاجيال الفاسدة نوايج في العقول والاخلاق، أفذاذ في الهمة والاعمال، بطعم من المربين، ونش من المثقفين، وذلك كان شأن أبي طالب ودأبه مع ابن أخيه العزيز، ووريثه النجيب، نشأ « محمد » (صلوات الله عليه) في أمثل التربية بأنواعها كلها على يد ذلك الفاضل العظيم جاء منه رجل أحسن الناس خلقاً وخلقاً، أذكاهم عقلاً، وأزكاهم نفساً، وأصدقهم لساناً، أندام في العرف يدأ، واثبتهم في الأزم قلباً، أرحمهم للضعيف، وأشجعهم على القوي، أبرهم للقرىب، وأعدلهم للبعيد، أقربهم الى المعروف سماعاً، وأبعدهم في الامور نظراً، أهدم رأياً، وأشدهم اقداًما، ألبنهم للصاحب جانباً، وأكرمهم للخير صاحباً، وحسبك انه عرف منذ صباه بالأمين وما زال على هذا المنوال حتى أكرمه الله بذلك المنصب العظيم فزاده جلالاً وجلالاً وكألاً والله أعلم حيث يحمل رسالته

نشأ ذلك المربي على كل ما يزين الرجال من الاعمال فلما كان ابن اثنتي عشرة سنة سار به الى الشام وكان أبو طالب تاجراً فأوقفه في هذا السفر على ما تكن الارض وتعلن من طبائع الاقاليم الصغيرة، وأحوال العالم المتحولة، فني طريقهم من مكة الى الشام منازل أم كانت فباتت . كانوا على وجه الارض جالاً لها فلما فسقوا عن السنن التي تحميها الامم شالت نعماتهم طراً، وطاروت نعمتهم جميعاً، وأصبحوا كأن لم يكونوا « فلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً وفي رؤية أمثال هذه المنازل الخاوية

أو المنتقلة الى غير أهلها عبرة عظيمة هي أجل ما في السفر من الفوائد. ولقد كان فيما أوحى الى هذا المنعم عليه بما ان صار نبيا قوله سبحانه «أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

وفي طريقهم هذه أوقفه عمه على قرى الشام ودساكرها ، ومزارعها ومصانعها ، ومتاجرها وحكومتها ، وأراه كيف يكدر الناس جميعا لياكل ثمر منهم خبزهم بمرق جبينه ، وليتمتع ثمر آخرون بشمرات تلك الارض الطيبة ، ونفائس ما تملكه تلك الايدي الثقفة ، وكيف يعمل هذا لهذا في الاجتماع ليم قوامه ، ويحفظ نظامه

ومر به على الاديار والصوامع حيث ينقطع ثمر آخرون عن المزارعة في هذا الخطام الزائل ، متوجهة نفوسهم الى الوطن الذي يليق بالروح الغريبة في هذا الهيكل الجسماني ، غير ممدودة أيديهم الى شيء من هذه الارض الا الى ما بقي البدن من جوع وعري وذلك يتيسر ببعض حبوبها وأعشابها ، وبمض أصواف حيوانها وأوبارها

في بعض تلك الاديار في «بُصرى» وقف به على الراهب «بجيرا» وكان على حظ عظيم من علم الفراسة أو الكهانة فأنبأه بما سيكون لابن أخيه من الشأن العظيم وأوصاه بمزيد العناية به

وفي هذه السفرة مرّنه على أساليب التجارة ، وأطلعه على ضروب البضاعة ، وصنوف الاداة والماعون التي يتعاطى التجار تبادلها وكيف يحمل كل منهم من بلده ما لا يكون في غيره ثم يحمل الى بلده ما ليس فيه وكيف

يكون لهؤلاء الوسطاء في نقل حاج الناس من الفضل العظيم في ترقية البدائع الانسانية ما ليس لنيرم

فناهيك بما ملأ به أبو طالب ذهنه في هذه السياحة التجارية من صنوف المعارف وأنواع التجارب وفي درس كهذا من فوائد الترية العملية ما ليس في ألف درس من الترية الكتابية أو النظرية

ولما كان ابن أربع عشرة سنة أحضره معه في حرب الفجار وهي حرب هاجت بين قريش وبين قيس فرأى في هذه الواقعة كيف تعبأ الصفوف، وتقابل الأبطال، وكيف يصبر الشجعان وإن أودى بهم الصبر إلى حتفهم، وكيف تكون نتائج الصبر وحسن التدبير في الحروب، وكيف عاقبة الذين تنقطع قلوبهم جبناً، وتحور عزائمهم جزعاً

ولم يباثر في هذه الحرب قتالاً وإنما كان ينبل على أعمامه أي يناولهم النبل أو يرد عنهم النبل . وكان ذلك كافياً لتمرنه على مواطن الزوال، ومواقف النضال، وليس يخاف أن الأخذ بيد الناشئ إلى معارك أبطال المبايعات، ثم معارك أبطال المقابلات والمقاتلات، هو أعظم الوسائل التي تجعله أهلاً للمقامات العلى بين الرجال، حتى إذا أتاه الله للاخذ يقوم إلى سوح العز والسؤدد والصلاح والفلاح، كان نعم الدليل الهادي، ونعم السائق والهادي فلما بلغ خمساً وعشرين سنة عرضت عليه سيدتنا « خديجة » أن يخرج في تجارة لها إلى الشام وتمطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار وأشار عليه عمه بقبول ذلك وطلب له أضافاً فرضيت وسار بتجارتهما مع الركب إلى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه « ميسرة » فلما رجع بالبضائع إليها باعها فربحت أضافاً وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة « خديجة » معه

المسحاة

١٣١٥

يقضي الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

يقبر عباده الذين يستمرون القول فيتمون حسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناوا » كثار الطرق ﴾

﴿ مصر - الخميس ٣٠ رجب ١٣٢٦ - ٢٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ ﴾

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة سؤاله المشتركين خاصة ، اذ لا يصح اناس طامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً وربما قد منامت اخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، ولن نغني عن سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قال لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الرابطة عند النقشبندية وطاعة المريد لشيخه ﴾

(س ١٠) من ع . س . ط . في سنغافورة

حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المار » المثير بمصر
قد كثرت الضوضاء والأخذ والرد في هذه الايام بين مجلة « الامام » بـسنغافورة
ومن يثق بها وبين من يسمون أنفسهم أهل الطريقة وآراء باب السلوك وذلك بسبب
السؤال الآتي والجواب عنه والمجادلات فيه ولأن المار هنا له اعتبار عند أولي
الابصار أحيانا ان يكون الحكم في هذه القضية لكي تقطع جييزة صوت كل
خطيب حيث قد امتلأت الاسماع قيقا وأعمدة الجرائد سودا والقلوب شهبان فتمل
بسط الجواب ويان الحق بأدله ودحض الشبه الباطلة ولا بد ان تكونوا قد كتبتكم
سابقاً في هذا الصدد فترجوا ان لا نخلو على ما ليس بأيدينا أنا بكم الله .

أما السؤال المثير للجدال فهو : ما قولكم في الرابطة التي يلزم بها مشايخ الطريقة
النقشبندية المريدين ومعناها انه لا يصح منهم ذكر الله إلا بعد احضار صورة
الشيخ في قلب المريد ثم بشرع في الذكر مع حضورها ويتركه اذا غفل عنها
لانه حينئذ باطل لتمكن الشيطان من المريد خلط قلبه من صورة الشيخ وان قوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) دليل لم وقوله تعالى (وابتغوا
اليه الوسيلة) أمر بها أي مع التفسير المذكور الى نحو ذلك وجاء في سؤال آخر الى
مجلة الامام ان من حق الشيخ ان يمنع المريد عن اجابة أيه وأمه المسلمين إذا

نادياه ولو كان في التزع وكذا منع الزوجة عن زوجها والعكس وقد وقع ذلك هنا ومات المريض حزينا . ويقولون ان الشيخ يربي التليذ بذلك ومن السؤال أيضاً قولهم يجب على التليذ متابعة شيخه بدون سؤال أو تردد ولا يجوز له ان يعترض على شيخه ولو رآه على فاحشة لانه كالنبي المرسل بالنسبة اليه ولا ينكر عليه ولا يقبله وان عقوبة الانكار حينئذ الحرمان واوجبوا على المريد ان يعتقد انه لا يمكن ان يصل اليه مدد ولا خير من ربه الا بواسطة الشيخ لانه الوسيلة له . وللشيخ محلات للسلوك والتقنين يحشر اليها جملة من الرجال الشبان والنساء الشواب يجتمعون بها من غير محرمية بل جلهم جبال بالواجبات العينية وان الذكر وحده كاف للوصول والقرب من الله ولو ترك اكثر الفروض العينية . وقد اجابهم بجملة الامام بالمنع في الجميع وان تلك المبادي مما تبع ضلال الامة فيها من قبلهم من الامم وان بعضها فيه ميل الى جانب الشرك وقد تقل الامام ما قاله المفسرون في الرباط الشرعي والوسيلة الشرعية وجزم بان عبادة الله لا تجوز بغير ما شرعه الله وان من زاد فيها كمن قص منها مبتدع مردود عليه قوله وان الرابطة بالمعنى المذكور في السؤال لم يعلمها النبي احدا من اصحابه ولا عليها الصحابة احدا من التابعين وان تطهير القلوب من الصور والتماثيل ليس باولى من تطهير محلات العبادة منها . وانه يحرم متابعة الشيخ فيما نهى الله عنه ولا طاعة لخلق في معصية الخالق ومن شرع للعباد ما لم يأذن به الله فهو ضال مضل وان اعظم مرشد واعلم طيب ديني هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد اكل الله به الدين فلا دواء ديني نافع الا وقد بينه لنا ومن لم تشف أمراض قلبه ادوية القرآن لا شفى الله مرضه ، وان النبي ارشدنا الى دواء الوسواس وهو ذكر الله ليخنس الشيطان فمن لم يخنس شيطان وسواسه بذكر الله فهو الكاذب ومستحيل ان يخنس لحضور صورة شيطان مثله في قلب موسوس متهوس وما في السؤال من الآداب هو ضد الادب في الاسلام ولم يؤدبنا به النبي ولم يعمل به الصحابة فعلى طالب الحق أن يلزم هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويجتنب البدع الى نحو ذلك .

واعترض اهل الطريقة بزعمهم ان الجنيد والجيلاني واضرابها اوجدوا الرابطة بمعناها المشروح اعلاه والزام المريد بما ذكر من الشروط وان لا يمنع المريد الشيخ اي شيء اراده من نفسه او ماله سواء كان ذكرًا ام انثى وان الامام واصحابه خرجوا عن الدين ومروا منه يا نكارهم الى نحو ذلك

وانا نسأل من المثار المنير ابداء ما يراه الصواب في هذا الموضوع مع البيان الشافي فانا الى ذلك محتاجون فعد الايام والساعات والله المسؤول ان يديمكم نفعاً للعباد وشجى في خلق اهل البدع والايحاء آمين
ع . س . ط

(س ١١) من س . س . في (كوالا لمغور) في جنوب ميلادي .

سيدي . تصدق في سناقوره بحجة علمية ملية بلغة الملايو اسمها (الامام) يكتب فيها بعض رجال الاصلاح ومحرمها رجل وطني اسمه عباس بن محمد طه وهو من خيرة شبان هذه البلاد علماء وعملوا شهرا خيرا بمحاربة البدع والخرافات التي ألصقت بالدين . وفي المحلة باب الفتوي وقد سئل منذ اشهر عن الرابطة المعروفة عند اهل الطريقة القشبندية وهي احضار المريد صورة الشيخ في القلب عند الذكر و بربطه من حلة الارادة التامة واستفادة علم الواقعات حتى يفني تصرفه في تصرف الشيخ أخذاً من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » . وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطلوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقوله « يا أيها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . فأقبي الامام بان الأمرين بفعل هذه الرابطة والعالمين بها ليس لهم مستند من الكتاب او السنة . وان الآيات التي جعلوها سنداً لهم لا تدل على مرادهم البتة . ثم اورد اقوال المفسرين كالتلخيص والجلالين في الآيات المذكورة . الخ ما جاء في الجواب . ثم قال - اذاً فاحضار المريد صورة الشيخ في قلبه عند الذكر هو إشراك بالله . وهذا ما جاء الاسلام لمحوه . او ماعناه . ثم انحى على اهل الطرق الآن ونسب كثيرا منهم للرجل والتضليل . واورد لنفي الرابطة آيتين آية . « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » . وآية « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » . اه بالمعنى

فلما نشرت هذه الفتوى وعاتبه التصريحات التي لم يهد لأحد من قبل هذا الشاب التصريح بها قامت قيادة شيوخ الطرق في هذه المستعمرة ونسبوا للإمام ومحرره تضليل عباد الله الصالحين وادعوا العامة ان الامام يسعى في هدم المعتقدات وهم الى الآن يحرضون العامة بهجر الامام وعدم الاطلاع فيه . اما الحقيق وكثير من متخرجي المدارس الأميرية فبقينا متوقفين حتى يأتينا من عند الاستاذ يان شاف في هذه المسئلة التي نعلم ويعلم الكثير ان لكم القدر المعلي في حلها والله يقيم لنا .

(ج) لو قلت لاني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسئلة لرجوت ان اكون صادقاً ، واذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يدعن له كل عاقل منصف ذلك بأنني قد ساكت الطريقة النقشبندية وعرفت الخفي والاخفي من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تهدف أرواحه من الجف، ثم انتهيت في الدين ، الى مذهب السلف الصالحين ، وعلمت ان كل ما خالفه فهو ضلال مبين ، وأهد للفصل في المسئلة تمهيدا يقرب المراد من طالب الحق فأقول قد عرفنا من طباع البشر واخلاصهم ان يألفوا ما أخذوه بالرضا والتسليم ويأمنوا به فاذا وجدوا لهم مخالفا فيه تمصبوا له ووجبوا قواهم الى استنباط ما يؤيده ويثبت ويدفع عنه هجبات المخالفين لهم فيه لا يلتفتون في ذلك الى بحري الحق واستبانة الصواب فيما تازعوا فيه . ولو لا فسو هذا الخلق في الناس لما بقيت الاديان والمذاهب والأحزاب والشيع والحق في كل منها واحد لا تعدد فيه

ثم إن من اخلاق البشر أيضا ان لا يجتهدوا على شيء الا اذا اعتقدوا ان فيه خيرا لهم وقديكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال وتجربة واختبار وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيهم الفضل والكآل

على هاتين القاعدتين بني التعصب للمذاهب والطرق في جميع المال وعليه يخرج أخذ كثير من اهل الصلاح والتقوى والعلم والعمل بالرابطة في الطريقة النقشبندية وبغيرها من البدع التي لم تكن على عهد السلف في غيرها من الطرق وكثير من القواعد والمسائل في مذاهب الفقهاء والمتكلمين الذين جاؤا بما لم يكن عليه السلف الصالح

يذهب الرجل المشهور بالصلاح او العالم الى شي . يظهر له بحسب اجتهاده انه حق او خير فيتبعه آخرون عن استحسان لما استحسنه ومعرفة بدليله او عن محض التقليد فاذا خلفهم غيرهم فيه عدوهم متقصين لهم تعصبا لما هم عليه فيقوى الخلاف ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وهم الذين يحكمون الدليل ويتحرون به استبانة الحق فاذا ظهر لهم ولو على يد الخصم ولسانه اتوا اليه مدعين، وقبلوه راضين مطمئنين اذا تدبرت هذا فاعلم ان ائمة الصوفية وكبراءهم ما وضعوا هذه القواعد من الرابطة وطاعة الشيخ المسلك طاعة عمياء مطلقة حتى من قيود العقل والشرع عند الغالين وغير ذلك من الاصول والقواعد الاعن علم وتجربة واختبار وصلوا بها الى مرتبة اليقين بان ذلك مفيد لهم وهو يصل الى الغاية التي يقصدونها بطريقهم . واعني بالعلم هنا علم النفس من حيث ادراكها وشعورها ووجدانها وصفاتها واخلاقها . وقد كان مثلهم في ذلك كمثل علماء الكلام الذين بحثوا في الموجودات وبنوا عليهم الالهى عليها وكل منهما اذا وجد في علمه ما يخالف ظواهر الشرع لجأ الى التطبيق بالتأويل والتماس ما يؤيده من القرآن العزيز والحديث الشريف وقد يتحمل لذلك ويتكلف اذا اعترض عليه . كذلك فعل المتكلمون الذين زعموا ان الافلاک التسعة في الهيئة اليونانية هي السموات والكروبي والعرش وكذلك فعل بعض اهل الطريق فيما ذكر في السؤال وما لم يذكر فيه من تدويل الآيات التي زعموا انها تدل على مشروعية ما يسمونه الرابطة والتوجه ولا دليل في شي منها على ذلك .

لو كان في الشرع دليل على ان ذلك مطلوب في الدين لما خفي عن الصحابة والتابعين بل لأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به وتواتر عنه لانه مما يتعلق بجوهر الدين وهو عبادة الله ومعرفة فلا يقاس على ما يمكن ان يستنبط من القرآن من اسرار الكون التي لم تؤثر عن الصدر الأول

قال السيد الآلوسي النقشبدي في باب الاشارة من تفسير سورة الجمعة : « وذكر بعضهم ان قوله تعالى « وزكّبه » بعد قوله سبحانه « يتلو عليهم آياته » اشارة الى الافضة التلبية ، بعد الاشارة الى الافضة التلبية اللسانية ، وقال بصحوة الاولياء المرشدين فيزكون مریدهم بافضة الانوار على قلوبهم حتى تخلس قلوبهم

وتزكو نفوسهم ، وهو سر ما يقال له التوحيد عند السادة القشبنديّة ، وقالوا بالرابطة ليتها يركتها القلب لما يفاض عليه ، ولا اعلم لثبوت ذلك دليلاً يعول عليه عن الشارع الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة وبدونه دليلاً لا يخلو من قاذح بل أكثر تمسكهم فيها تشبه التمسك بجبال القمر ، ولولا خوف الاطّاب لذكرتها مع ما فيها . ومع هذا لا أنكر بركة كل من الأمرين - التوجه والرابطة - وقد شاهدت ذلك من فضل الله عز وجل . وأيضاً لا أدعي الجزم بسدم دليل في نفس الارو فوق كل ذي علم عليم ، ولعل أول من أرشد اليها من السادة وجد فيها ما يعول عليه ، أو يقال يكفي للعمل بمثل ذلك نحو ما تمسك به بعض أجلة متأخريهم ، وإن كان للبحث فيه مجال ، ولأرباب القال في أمره مقال ، اه

فأنت ترى هذا العالم الجليل الواسع الاطلاع الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجه لم يعثر لها على دليل ، ولم يرضه شيء مما قيل ، ولكنه قد راعته مكانة من جرى على ذلك من الصالحين ، وأرضاه ما وجد لها من الاثر في قلبه وكذلك كان هذا العاجز عدة سنين ، فأتي قد وجدت أثر الرابطة والتوجه في نفسي: رأيت ما لم يراه معي الناظرون، وسمعت ما لم يسمعه مثلي المصنفون ، وشممت ما لم يكن يشم الحاضرون ، ولا أحب شرح ذلك في النار ولا الخوض في غلله وأسبابه ، ما ذكرت هذه الإشارة الا ليعلم السالكون لهذه الطريقة بالفعل انني لست منها كما يقال في المثل « من جهل شيئاً عاداه » وانما اتكلم فيها عن عرفان ، وأحكم فيها بسلطان ،

أقول إن التوجه والرابطة ليسا من الدين في شيء ، ولا يجوز ان يمدان العباداة المشروعة في الاسلام ، ولكن لا أقول بكفر كل من عمل أو يعمل بها ، وانما أخشى ان يكون بعض المتقلدين لهذه الطريقة قلداً من غير علم بالشرع ، وعرفان بحقيقة النفس ، أقرب الى الوثنية منهم الى التوحيد ، فيما يكون بين الشيخ والمريد ، بل أجزم بأن من ذلك ما هو شرك جلي أو خفي ، وإن كنت لا أجزم ربي شخص معين به ، يمكن للمريد العارف بمقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تخيل شيخه

عند ذكر الله عز وجل بأن يتخيل أنه جالس في حضرته يراقب أدبه وحضور قلبه في ذكره، كما يذكر الله أو يقرأ القرآن أو العلم بحضرته، وهو يعتقد أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يقصد قبل العمل، وإنما يُصمد في ذلك إلى الله تعالى وحده. فمثل هذا لا يعد مشركاً لشيخه مع ربه، وهو لا يشغله تخيله لشيخه عن ذكره، إذ لا يستصحب الصورة المتخيلة عند تصور معنى كلمة التوحيد، وذلك سهل على مريده كما يقرأ القرآن أو غيره من كتب الفنون أمام شيخه ولا يشغله وجوده عن فهم ما يقرأ. ومع هذا لا يجوز له أن يحكم بأن هذا الأمر مطلوب في الشرع بل يكفي بأن يتفنع بما جره من غير مخالفة لنص من نصوص الشرع

وأما استمداد الهمة من أرواح الشيوخ فقد ضل فيه كثيرون كضلال الذين يعتقدون أن لشييوخهم سلطة غيبية يتصرفون بها في النفوس والآفاق وأنهم بذلك وسطاء بين الله وخلقه يقرئونهم إليه زلفى إذا أرادوا كما كانت تقول الجاهلية في آلهتها. على أن المسألة أصلاً بعد من مباحث علم النفس لا من الدين هو منشأ ضلال المفتونين عن تجربة ووجدان يظن الجاهل منهم أنه من الحقيقة المخالفة للشرعية، ويعلم العارف المحقق أنه لا خلاف في الفعل، ولا منشأ للضلال إلا الجهل.

قد جرب أهل الطريقة أن يتوجهوا بهمتهم وادبتهم إلى بعض شيوخهم الصالحين أو إلى بعض الصحابة أو النبيين قاصدين أن تتصل أرواحهم بأرواحهم وتستمد منها قوة ما فيجدوا لذلك في نفوسهم أثراً حقيقياً لا يمكن لأحد أن يكابرهم فيه كما لا يكابر أحد ولا يشكك في شعوره بالفرح والسرور أو الغم والحزن. فإذا قيل لمن جرب ذلك من الجاهلين بالشرعية أنه مخالف لها فإنه يشك في حقيقة الشرعية ولا يشك فيما هو فيه إلا أن يجمع له بينها. ومثل ذلك قالوا أن سالك الطريق عرضة للزيف والكفر إذا لم يكن له شيخ من العارفين الجامعين بين علم النفس وعلم الشرع فيبين له في مثل هذه المسألة أن هذا الأثر الذي يراه في نفسه من التوجه هو أثر طبيعي له ليس من الخوارق ولا من السلطة الغيبية التي لا تكون إلا لله وحده وإذا رآه مرتباً في سلوكه يبين له أن براهمة الهند يعرفون التوجه والرابطة ويؤثر عنهم كثير من الخوارق الصورية والمادية، التي لا تخرج عن السنن النفسية والخواص

الروحانية ، ولكنهم في توجهم ورباطتهم دون السادة الصوفية ، لأن الرابطة والتوجه عندهم من المقاصد التي يقفون عندها ، ويرضون من رياضتهم بثمرتها وأثرها ، وهما عند الصوفية من الوسائل التي يعرفون بها نفوسهم ، ويخرجون منها الى ان يصلوا الى معرفة ربهم ، فالاشتغال بها كاشتغال العالم الطبيعي بمعرفة خواص الماء والبخار والكهرباء والضوء ، فان كان يقصد بذلك معرفة هذه الاشياء لذاتها بما ينتفع به في هذه الحياة المادية كان مثله كمثل البرهمي في التوجه والرابطة لا يزيد عن كونه عالما ماديا ، وان كان يقصد بها مع ذلك معرفة الله بمعرفة حكمه واسراره في خلقه كان مثله كمثل الصوفي في التوجه والرابطة وصار عالما ربانيا ، فالامور بالمقاصد والارادات ، كما ينادى في تفسير ما في صدر هذا الجزء من الآيات ، اذا عرفت هذا وهو ما عليه محققو المارفين من الصوفية تين لك ان مسألة التوجه والرابطة من المسائل التي تعد من وسائل علم النفس وليست بمجد ذاتها من الدين فيستدل عليها بالآيات والاحاديث ، وان علم النفس كعلم الآفاق قد يكون بالارادة طريقا لمعرفة الله تعالى وبالقصود والنية عبادة له كما تكون جميع العلوم الدنيوية كذلك . والاصل في ذلك عند الصوفية قوله عز وجل (٤١ : ٥٣) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ٥٤ الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط (ولما كان محيطا بكل شيء كانت معرفة غاية كل شيء موصلة اليه اذا قصد بها ذلك . ولذلك قالوا ان الله طرائق ، بعد انفاس الخلائق ،

وهنا ثلاث مسائل لابد من التصريح بها وايضاها ايضاها لالبس فيه . (احداها) أن كل علم حقيقي يمكن ان يكون عبادة محمودة في الاسلام اذا حسنت فيه النية وأريد به معرفة الله ومعرفة سننه وحكمه في خلقه وكذلك كل عمل نافع يراد به دفع الاذى عن عباد الله وايصال الخير اليهم . ولكن العبادة في ذلك قلبية لاصورية فلا يقال إن علم الضوء والكهرباء وعمل الادوية وصنع الآلات مما يكون مع حسن النية من العبادات المشروعة في ذاتها التي تنمى لها الدلائل من الكتاب والسنة . ومثلها في ذلك التوجه والرابطة في الطريقة

(المسألة الثانية) إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم أو مضت به السنة النبوية وجرى عليه جمهور السلف وما عدا ذلك فهو بدعة والبدعة في الدين لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث واما البدعة التي تفتريها الاحكام ، ويقال ان منها ما هو حلال وما هو حرام ، فهي البدعة في أمور الدنيا علومها وأعمالها كما يدل عليه حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها » الخ (المسألة الثالثة) ان جميع ما يتدعه الناس من وسائل النفع والخير في العلم والثرية والأعمال يشترط في جوازها ان لا يكون مخالفا لما هو مقطوع به من أمور الدين . فاذا فرضنا ان التوجه والرابطة يتافيان ما هو مقطوع به في الاسلام فانه لا يحل للمسلم العمل بها . وقد علمت انها يختلفان باختلاف العالم العارف والجاهل المقلد

ومن هذه المسألة أنتقل بك الى القسم الثاني من الاستفتاء وهو ما يفرضون من طاعة المريد لشيخه ولو في المعصية ، وعدم انكاره عليه وان فعل المنكر ، واعتقاد انه لا يقبل له عمل ولا يصل اليه خير الا بواسطته ، ومثل هذا مما لا يحتاج فيه الى سؤال ولا جواب فان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صريح في القرآن والأحاديث ومضت به السنة فهو معلوم من الدين بالضرورة بحكم الفقهاء برده منكره ولم يستثن الله ولا رسوله مشايخ الطريق من هذا الحكم بل كان الصحابة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور ينكرونها في أعمال الدين كالسهو في الصلاة أو أعمال الدنيا كالحرب وتديرها حتى يفسرها لهم ويفرق بين ما هو عن وحى وما هو عن سهو أو اجتهاد غيره أفضل منه . والصوفية المحققون لا يشترطون على المريد الا حسن الظن بشيخه والادب في سؤاله وما عدا ذلك فهو من غلو المقلدين ، أو من دسائس الشياطين ، ولا يقولون ان عبادته لا تقبل ولا يصل اليه خير من ربه الا بواسطة شيخه بل يقولون انه لا يصل الى المقصد من سلوكه الا بغيرية شيخه . وهذا صحيح في الغالب

واما ما احتج به على مجلة « الامام » من « ان الجنيد والجيلاني وأضرابها أوجبوا الرابطة » فهو بديهي البطلان عند كل أحد يعرف ما هو الاسلام اذ من تقرب الى الله ليس لأحد من خلق الله ان يوجب على عباد الله أمراً دينياً الا رسل

الله بإذن الله وهذا الغلو في إجلال المشهورين هو سبب التقليد من شأفاد كل دين
 وإذا كانت المسألة بديهية عند كل من يعرف الاسلام ، فهي من أعظم
 المشكلات عند جملة العوام ، لأن الكثيرين منهم لا يعرفون من الاسلام شيئاً
 سلطان على نفوسهم الا ما يسمعون عن الرجال الصالحين ولا علاج لهؤلاء الا تعليمهم
 ما هو الاسلام مع الحكمة التي يجمع فيها بين الحق وبين الادب عند ذكر
 أهل العلم والتقوى وبيان انهم غير معصومين من الخطأ وأن كثيراً مما ينقل عنهم
 لا تصح نسبته اليهم ، وأن افضل ما يكرمون به هو عدم الثقة بما ينقل عنهم اذا كان
 مخالفاً للشرع ، لا مخالفة للشرع اذا ادعى بعض الناس انهم خالفوه ، فإن ذلك تقديم
 لهم على الله ورسوله ، ثم تحسين الظن بآرائهم وقصدهم فيما اخطأ اجتهادهم فيه وان
 الجهد الخطئ منهم يؤجر على اجتهاده ولكن لا يتابع عليه ،

واتي اذكر شاهداً واحداً من خطأ أئمة الصوفية والعلماء في اجتهادهم المتعلق
 بالتصوف وهو خطأ الإمام الغزالي - الذي صرح في غير مرة بأن كتابه الاحياء كان
 استاذي الاول الذي حجب الي العلم والتصوف - ليقاس عليه خطأ من لا يشق له غباراً
 من الشيوخ الصالحين المشهورين ومنه يعلم ان كل اجتهاد خالف الكتاب والسنة
 فليس من الدين

كان الغزالي في سياحاته ايام تصوفه يزور المشاهد وقال ان قبور الانبياء والصالحين
 تزار للاعتبار بتذكر الموت والآخرة وللتبرك ، فزاد على ما ورد في حديث الإذن
 بزيارة القبور ما سماه التبرك . ويعني به ما يجده الزائر السالك لطريق الآخرة عند
 زيارة المشاهد من انخسوع والحال التي تزيد رغبة في الآخرة واعراضاً عن
 الدنيا . واستدل على مشروعية هذا ونحوه مما لم يرد في الشرع كالأبلة التي نحن
 بصدد البحث فيها بمحدث « من بورك له في شيء فليزمه » كأنه يقول انا وجدنا
 لذلك فائدة في نفوسنا زادت في خشوعنا ووجد ان الدين في قلوبنا وذلك هو
 البركة لان معناها الزيادة وقدمنا الشارع بلزوم كل شيء نرى فيه بركة لنا فنحن
 عاملون بأمره في ذلك

الخطأ في هذا من وجهين (أحدهما) ان الكلية ممنوعة فانا لو جعلنا للانبياء والصالحين صوراً وتماثيل تمثل لناظرها هيأتهم في الخشوع والوقار لكان لها في نفوس الناظرين اليها من التأثير ما ليس لرؤية قبورهم المشيدة المشرفة كما نرى ذلك عند غيرنا من الملل وهذا التأثير هو السبب في اتخاذ النصارى للصور والتماثيل في كنائسهم والغزالي لا يميز هذا في الاسلام ومثله بناء المشاهد للصالحين وتشريف قبورهم واتخاذ المساجد عليها نهي عنه كما نهي عن الصور والتماثيل فثبت انه لا يجوز لنا ان يحدث في الدين ما ليس منه وان كان إحداثه لفرض صحيح وقصد حسن بل تتبع فيه ما جاء به الكتاب والسنة وجرى عليه سلف الامة ونجعل اجتهادنا في اختيار النافع لنا محصوراً فيما فوض الينا من الاستقلال بأمور دينانا .

(والوجه الثاني) ان الحديث الذي أورده يدل على ما ذكرناه من التخصيص بأمر الدنيا دون ما استدلل به عليه من جعله في أمر الدين . إنه أورد الحديث باللفظ الذي اشتهر به على الالسة ولم يروه به أحد . وما ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة من عزوه الى ابن ماجه بعد ايراده بهذا اللفظ غير مراد ظاهره وانما مراده ان ابن ماجه رواه بالمعنى وقد ذكر نص رواية ابن ماجه في الجامع الصغير وهو « من أصاب من شيء فليزمه » وقال انه رواه عن أنس وعائشة . أقول وقد أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارة والكسب من حديث أنس بهذا اللفظ الذي ذكره في الجامع الصغير ومن حديث عائشة بلفظ آخر وهو « عن نافع قال كنت أجهز الى الشام والى مصر فجهزت الى العراق فأتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها يا أم المؤمنين كنت أجهز الى الشام فجهزت الى العراق فقالت لا تفعل مالك ولتجرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سبب الله لاحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » تقول له مالك ولتجرك القديم الذي تعودت الرجح منه حتى تركه وتقدم على ما يتجهل ؟ الزم ما رأيت الرجح فيه . ومعلوم ان الاوامر والنواهي المتعلقة بأمر الدنيا كهذا الامر لا يعد من التكليف الديني الذي يجب امتثاله شرعاً وانما يسميه علماء الاصول أمر إرشاد يعتبر به ويعرض على المصلحة

ولا يقال إن حديث أنس عام لان عمومته في بابه على انه روي بلفظ « من

أصاب ما لا من شيء، كاهو ظاهر حاشية ابن ماجه، ولأن هناك دليلا يمنع جريانه في أمر الدين وهو ما ذكرناه في الوجه الاول. على أن في سنده فروة أبيونس عن هلال. قال الذهبي في الميزان مختلف فيه ليس بقوي وقد ضعفه الأزدي. ولم يكن الغزالي في أيام تصوفه وزمن تأليفه الإحياء يبحث عن علل الحديث وإنما كان يستدل ويستنبط ما يتعلق بالفضائل من كل ما يراه في الكتب حتى كتب الصوفية ولذلك وقع في الإحياء كثير من الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة. وقد عكف على الحديث واعتصم بمذهب السلف في آخر عمره وان اهتدى الى حقبة مذهب السلف قبل الانقطاع الى الحديث وإذا كنا معشر المسلمين فنعتقد أن الأولياء والصوفية غير معصومين من الخطأ وكنا نشاهد الخطأ الصريح في كتبهم وزياراتهم يخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض فهل يصح أن نجعل أقوالهم وأعمالهم أصلا من أصول الدين وخلاصة القول أن التوجه والرابطة ليسا من عبادات الاسلام ولا دليل فيهم على كونها مشروعين ومن جعلها عادة مشروعة في ذاتها فقد دخل في عداد الذين قال الله فيهم (٤٢: ٢١) ألم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (وقوله في بيان أصول المحرمات (٧: ٣٣) وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وان أئمة الصوفية المحققين لا يجعلونها من الدين وانما يجعلها بعضهم من وسائل معرفة النفس فيها عندهم من قبيل الوسائل التي تتخذ الآن لما يسمونه استحضار الارواح وفي كل منها لابد من الوساطة، وان المقلدين في الطريقة النقشبندية وغيرها عرضة للضلال والشرك الجلي أو الخفي اذا تمسكوا بهذه الظواهر التي لا يعرفون مراد العارفين بها فيجب عليهم اتقاء ذلك وإحكام عقيدة التوحيد التي منها أن الشيوخ الأولياء بل والأنبياء لا يملكون لانفسهم ولا للناس ضرا ولا نفعا ولا هداية ولا غيرها كما صرح به الكتاب العزيز في آيات كثيرة وأن يحسنوا الظن بمن قال بالرابطة من الصالحين وقد بينا مرادهم عن علم عرفان وهو سر من اسرار التصوف أفشيناه للضرورة والارشاد وان يعتقد مع تحسين الظن بهم أنهم ليسوا بحاجة في الدين وأنهم لا يطاعون في معصية الله. ومن أراد أن يزداد نوراني هذه المباحث فليتنظر جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام فان فيه بيانا لا يجهده في كتاب

﴿ وجه المرأة الحرة ﴾

(س ١٢) من محمد رحيم افندي الشفي في « زويله باشي » بسمبر (روسيا)
 الفاضل الجليل والعالم التليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأغر
 دمت بالعرف والكرامة. اما بعد فقد كنت المباحثة والمناظرة في حق وجه الحرة في طرفنا
 فبعض العلماء قالوا ليس بفرض ستر وجه الحرة لحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه
 أبو داود وابن مردويه والبيهقي ان اسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض
 لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفه وبعضهم قالوا ان
 ستر وجه الحرة فرض وان لم تستره تكون آتمة عند الله لقول عائشة رضي الله عنها
 احدى عينها لحسبت لاندفاع الضرورة (كذا) أخذته القهستاني والزاهدي فالأموال
 من سيادتكم ان يبين الحق من الاقوال لرفع النزاع من بين الناس

(ج) حديث عائشة لا تنهض به الحجة فانه مرسل وفي اسناده من تكلم
 فيه والاصل في المسألة قوله تعالى (٣٤ : ٣١) ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها)
 فقد روي عن ابن عباس انه قال : الظاهر منها الكحل والخدعان وفي رواية عنه :
 الزينة الظاهرة والوجه وكحل العين وخضاب الكف والخلاتم . وعن سعيد ابن
 جبير والضحاك : الوجه والكف . وعن عطاء : الكفان والوجه . وسئل الأوزاعي
 عن قوله تعالى « الا ما ظهر منها » فقال : الكفين والوجه ذكر ذلك كله ابن
 جرير في تفسيره وذكر أقوال من قالوا انها الثياب والحلي أو الوجه والثياب ثم قال :
 وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال غني بذلك الوجه والكفان يدخل
 في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخلاتم والسوار والخضاب . وانما قلنا ذلك أولى
 الاقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على ان على كل مصل ان يستر عورته في
 صلاته وان للمرأة ان تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها ان تستر ما عدا
 ذلك من بدننها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباح لها ان تبديه من

ذراعاً الى قدر النصف . فاذا كان ذلك من جميع إجماعاً كان معلوماً بذلك ان
لها ان تبدي من بدنها ما يمكن عورة كما ذلك للرجال لان ما لم يكن عورة فغير
حرام إظهاره ، واذا كان لها إظهار ذلك كان معلوماً انه ما استتاه الله تعالى ذكره
بقوله « الا ما ظهر منها » لان كل ذلك ظاهر منها . وقوله « وليضربن بخمرهن »
على جيوبهن « يقول تعالى ذكره وليقن خمرهن وهو جمع خمار على جيوبهن ليسترن
بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن . اهـ كلام ابن جرير

والجيب جمع جيب وهو فتحة القميص على الصدر وكانت المرأة تضع الحمار على رأسها وتسده الى الوراء فيظهر عنقها وصدرها فأمرن بأن يجعلن طرفه على الجيب ليستر العنق والصدر . ولم يؤمرن بوضعه على الوجه فلم يقل الا ما ظهر منها لكان يصح ان يقال ان كشف الوجه باق على أصل الإباحة كيف وقد امر بستر الجيب ولم يأمر بستر الوجه ! . وناهيك بحكاية ابن جرير الإجماع على ذلك وهو ما كان عليه النساء في عهد السلف فقد كنّ يأتين المساجد وبعشين الاسواق ويسمنن الجرحى في مواقع القتال ويمخطبن على الرجال ويناقشن الامراء والحكام . فعن ذلك وأمثاله مكشوفات الوجوه . ومن جال في أرض المسلمين في الاقطار المختلفة يرى ان أكثرهن يخرجن مكشوفات الوجوه ولا يسترنه منهن الا بعض نساء المدن وهي عادة حكمت بها غيرة الرجال عند ما دخل المسجون في الحضارة وانغمسوا في الترف الذي يستلزم الفسق والفجور ولذلك ترى أكثر الفقهاء علوا وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال بخوف الفتنة وابتداء هذا البحث واختلاف في القرن الثاني هل يمكن لمكار ان يقول ان النساء كن يصلين مكشوفات الوجوه في مسجد الرسول (ص) في حياته ولا يراهن أحد ؟ اذا كابر أحد نفسه وقال يحتمل ان الرجال لم يكونوا يرون النساء في المسجد لانهن يصلين وراءهم ولم يخش ان يقال له انهم كانوا يرونهم قبل الصلاة اذ كن ينتظرن الجماعة معهم بعد ما عند الانصراف كما هو مأثور مشهور - فهل يسهفه نفسه ويقول ان الرجال لم يكونوا يرون وجوه النساء وأيديهن في أثناء أعمال الحج من طواف وسعي ووقوف برفة وجولان في أرض الحرم ومعلوم لكل من يعرف احكام الحج في الاسلام أن كشف المدة

وجها في الإحرام واجب ومن النساء من تحرم بالحج من أول أشهره فتكون أكثر من شهرين محرمة مكشوفة الوجه واليدين أينما كانت وحينما حلت وهي مع الرجال في جميع الاعمال

ومن نظر الى كلام فقهاء القرون الوسطى الذين رجحوا تحريم النظر الى الوجه والكفين يجند انهم لم يأتوا عليه بدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من عمل أهل الصدر الاول وانما علاوه بخوف الفتنة وسد الذريعة وقد قالوا بحرمة النظر الى وجه الأ مرد وعلاوه بتلك العلة ومن العجب ان امام الحرمين من الشافعية اغتر بمنع الحكماء النساء من الخروج في زمنه وظن ان عليه جميع المسلمين

قال الرمي في شرح المنهاج عند تصحيح المتن لحرمة النظر الى وجه المرأة وكفيها حتى عند الامن من الفتنة : « والثاني لا يحرم ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المعاني انه الصواب . وقال البلقيني الترجيح بقوة المسدك والفتوى على ما في المنهاج وما نقله الامام من الاتفاق على منع النساء أي منع الولاية لمن معارض لما حكاه القاضي عياض عن العلماء انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية وحكاه المصنف عنه في شرح مسلم وأقره عليه » الخ ما ذكره ومنه انه يحرم النظر الى المرأة المتقبة الي لا يرى منها غير عينيها ومحاجرها والى العجوز والمشوهة

وفي حاشية المقنع من كسب الخاتبة « لا يجوز له النظر الى الاجنبية قصداً وهو المذهب . وقال القاضي يحرم النظر الى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة ويباح له النظر اليهما مع الكراهة اذا أمن الفتنة ونظر بغير شهوة وهذا مذهب الشافعي . قال في الانصاف : وهذا الذي لا يسمع الناس غيره خصوصاً للجيران والأقارب غير المحارم الذين نشأ بينهم » ثم نظر في هذا بأن فيه تجريباً للفساق وهو مخالف لمقاصد الشرع في إصلاح أمر الدنيا والآخرة . وبمثل هذا صرح الخفية مع أن الجميع يروون عن أنهم ان الوجه والكفين غير عورة وعن ابن عباس تفسير الآية بذلك أقول مسألة الخوف من الفتنة المعارضة أو سد ذريعتها لا يصح ان تجعل دليلاً لتغيير حكم من احكام الدين التي كان عليها السلف يحظر أو لإباحة تغييرها كأن

يقال مثلا ان صلاة النساء مع الرجال في المساجد حرام في الاسلام بناء على ما يقولون به من فساد الزمان ، ومثله كشف المرأة وجبها . وانما يصرح بان حكم الاسلام هو كان الذي عليه السلف اتباعا للكتاب والسنة ولكن اذا عرض ما يمنع من العمل به بناء على قاعدة درء المفاسد فاننا نمتنع عنه ما دامت المفسدة متوقعة

فما حصل الجواب ان كشف المرأة لوجبها هو الاصل الذي كان عليه الناس واقره الاسلام بل أوجبه في الإحرام وادعاء حرمة في أصل الدين جناية على الدين ونحكم فيه بالرأي أو الهوى وإثبات للحرج والعسر فيه وقد نفاها الله عنه لأن أكثر المسلمات يشق عليهن ذلك مع الحاجة الى العمل والسفر وان تحملن من نساء الامصار من تعودنه أو من كفتن الثروة مزاوله الاعمال . ودعوى خوف الفتنة من كشفن لوجوهن لا تسلم على اطلاقها فاننا نعرف من نساء الفلاحين والبداوي المسافرين من قطع بأنهن أبعد عن الريه من نساء المدن المتقبات ، ولكن المرأة التي تعلم ان في كشف وجهها مفسدة يحرم عليها كشفه بلا شك

❖ احترام المسلم لشعائر غيره الوطنية والدينية ❖

(س ١٣ و ١٤) من ج ١٠ بمصر

جناب الاستاذ العالم الشيخ رشيد رضا المحترم

جدا لو تكرمت باداء معلوماتكم السديده وآرائكم المفيدة عن السؤاليين الآتيين وما ذلك الاجاب في الافادة والاستفادة .

١ - هل يجوز لأحد المسلمين ان يراعي شعائر الدولة التابع لها أم لا ؟
مثلا اذا فرض وجود بعض المسلمين التابعين للدولة مسيحية كالروسيا وغيرها هل يتحتم على الرعايا المسلمين في مثل هذه الاحوال ان يجاروا الشعب في شعائرهم مع وجرد المقابلة في الاحتفالات الدينية بمعنى هل يليق بهم أن يقوهوا بالاحترام اللازم اقمصر أوللحاكم اذا مر في الشوارع أو قابله في محله كما تفعل الرعية التي على دين ملكها أو حاكمها . وهل يتشارك المسلمون في اقامة الاحتفالات التي تقوم

بها الدولة التابعين لها كاحتفالها بعيد ملكها أو بعيد وطني أو يجب تجنب مثل هذا الاحترام وهذه الاحتفالات بغير الملوك المسلمين .

٢ --- هل يجوز للسلم احترام شعائر غير الدينيه أم لا ؟

مثلا إذا أراد أحد المسلمين دخول كنيسة مسيحية أو ما شاكلها وطلب منه رفع عمامة أو مجارة الشعب في عوائده الدينيه هل له ان يفعل هذا أم بمتنع . هذا ما أردنا الاستفهام عنه من عالم خير مثلكم فترجو الإجابة اما عموما في مجتكم الزاهرة او خصوصا باسمي والسلام

(ج) اما الاحتفالات والشعائر الوطنية فياح للمسلم أن يشترك فيها مع أهل وطنه ما لم تشتمل على محرم في الاسلام كشرب الخمر على اسم الملك الذي يسمونه النخب وأما الشعائر الدينيه فلا يجوز للمسلم ان يشارك غير المسلمين فيها كأن يصلي معهم كصلاتهم الخاصة بهم كالتي تكون منهم في الكنيسة وهم مكشوفو الرؤوس متوجهون الى قبلتهم وان لم يقل قولا يحظره الاسلام . فالحظوظ في هذا المقام يرجع الى أمرين - أحدها الاتيان بما هو ممنوع في الاسلام كتعظيم صور الانبياء والصالحين أو طلب الخير أو دفع الشر منهم . وثانيهما العمل الديني الخاص بغير المسلمين بحيث لو عمل المسلم لعهده رائيه منهم هذا ما اتفق عليه الفقهاء فيما نعلم ولعلنا نفصل القول في ذلك بعد

﴿ حديث علماء أمي كآنياء بني اسرائيل ﴾

(س ١٥) من احمد افندي محمد عطيوه بالقناطر الخيرية

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم السيد رشيد رضا افادني عن هذا الحديث « علماء أمي كآنياء بني اسرائيل » في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو - وفي أي باب هو صحيح هو أم ضعيف . ولكم من الله الاجر ومني عاطرثناء والشكر (ج) هو حديث موضوع وتجذونه في كتب الموضوعات وذكره الحافظ السيوطي في الدرر المنتشرة وقل لا أصل له، والشيخ عبد الرحمن الدبيع في تميز الطيب من الخيث وقال « قال الديميري والزركشي وابن حجر إنه لا أصل له »

باب المناظرة والمراسلة

٥

﴿ بحث العمل بالاحاديث القولية والاحاديث الفعلية ﴾

يقول حضرة الدكتور اما السنة القولية (الاحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الأخرى . ونحن نقول ما الدليل الذي قام لدى حضرة الدكتور في التفرقة بين السنة القولية والسنة الفعلية ؟ ولم لا يكون النسخ في الفعلية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ اليس من المقرر والمسلم ان اصل كل تشريع انما هو القول ؟ وهل يعرف الواجب والحرام والسنة والمكروه الى غير ذلك الا بالقول ؟ ألم يكن من المعلوم ان الافعال تنطرقها احتمالات كثيرة اذا لم يقارنها البيان بالقول وقد تبقى مجملة لا يتعين المراد منها الا به ؟

يقول حضرة الدكتور « فبعضها نسخ بالقرآن » ويقال عليه ان نسخ السنة بالقرآن « قد قال الامام الشافعي انه لا يكون حتى يحكى بعض الشافعية عنه انه قال حيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له

وحضرة الدكتور لم يذكر ذلك عنه بل نقل بعض قوله وترك البعض ودونك قول الامام في الرسالة « لا ينسخ كتاب الله الا كتابه » ثم قال - وهكذا سنترسل الله (ص) لا ينسخها الا سنته » فان جاز الاستدلال بقول الامام هناك جاز هنا والا فلا في الموضعين

وقوله « وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى » يقال عليه فهذه الاخرى الناسخة هل هي معلومة ام لا وهل هذه هي المدونة عند اهل الحديث ام هي احاديث غيرها ؟ واين هي ؟ ومن ادراك بها فانك قد قررت انك لا تقبل النسخ الا ان تجد الله او رسوله قال هذا ناسخ وهذا منسوخ وينقل الينا ذلك بالتواتر فهلا انصفت مناظريك ؟ -

٥٢٢ العمل بالأحاديث .دعوى احتياج القرآن الى السنة (المارچ ٧ م ١١)

وقوله « وعندنا انه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن »
الجواب عليه هنا ان يقال ان هذه مجرد دعوى لا يستطيع حضرته ان يقيم اليانة
عليها هو ولا غيره فان في السنن من الاحكام والآداب أضعاف مافي القرآن وهي
بفضل الله تعالى لا تخالف مقاصد القرآن وهي مطابقة للعقل ولا يمكن ان يستغني
عنها البشر ولولا خوف الاطالة لا يتنا بمجمل منها وينا مالها وما عليها ومقدار الحاجة
اليها فليتبعم ذلك حضرته

بل قول ولا يبعد ان القرآن محتاج الى السنة أكثر من احتياج السنة اليه .
يوضحه ان القرآن الكريم ذلواوجه والسنة مينة للفراد منه تارة وشارحة ومفسرة
أخرى . او تأتي بأحكام زائدة على مافيه يشرعها الله على لسان رسوله (ص) لشدة
حاجة البشر اليها اظهارا لكرامة رسوله (ص) عليه وليتعودوا طاعته واتباعه كما أمر
بذلك في كتابه ولثلا تجرم الشبهات الى رد بيانه للكتاب الكريم . ولبسط ذلك
محل آخر

يقول حضرته « لانها لم تكن الا شريعة وقتية تمهيدية لشريعة القرآن الثابتة
الباقية » واقول هذه دعوى وتعليل لما شاء بما شاء وكل احد يمكنه ان يدعي فابن
الدليل ؟ اما قوله تعليل لذلك نهيت الصحابة عن كتابتها فيقال عليه ان مسألة
النهي عن الكتابة والترخيص فيها هي مسألة لا تدل على نسخ السنن النبوية باحد
الدلالات مطلقاً والقاري يرى ان حضرة الدكتور قد ملأ الكون صياحاً بالانكار
على العمل بالظن فالتا نراه قد انسل هنا الى هدم ما كان اسسه ثم يعبد الى هدم
القصور البقية فيرد جميع السنن ويلقي طاعة الرسول (ص) التي أمر الله بها في
غير موضع من كتابه والاحاديث المتواترة لفظا ومعني في وجوب اتباعه واتباع
سنته . ويرد اجماع الصحابة بل جميع الامة ؟ ماله يرد ذلك كله بالحرص والتخمين
الذي لا يبلغ الى اضعف مراتب الظن بل لا يصح ان يعتبره معتبر ؟ فليعتبر
حضرته بمناقضته لنفسه بنفسه

ان أمرالنهي عن الكتابة لم ينقل اليانما تواتر بل قد اختلف في رفضه الى المصوم (ص)
وفي نسخه وقد عارضه ماهو اقوى منه ولم ينص فيه على أن المراد منه ان السنن موقت

شرعها او انها منسوخة بعد مدة كذا من الزمن ولا انه نهى عنها لأجل ان تندثر السنن بطول الزمن . ان احدهذه الامور التي ذكرناها تمنع الاستدلال على ما قصده حضرة الدكتور فكيف يصح ان يكون ما هذا حاله معارضا لجميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واجماع الصحابة بل وسائر المسلمين ! فطاعة الرسول ووجوب اتباع سننه معلوم بالضرورة من دين الاسلام - لا سيما اذا كان حديث النهي عن الكتابة معطلا بعلّة منصوصة عن روايه وهو خوف الالتباس بالمصحف . وكل من روي عنه من الصحابة النهي او الامتناع عن كتابة الحديث فهو دائر على هذه العلة كما صرحوا بذلك . ومنهم من خاف ان يقع في الوعيد على الكذابين ومنهم من نهى عن كتابة رأيه فاشبه ذلك على الناظرين فقلنا انه نهى عن كتابة السنة النبوية وليس الأمر كذلك - فاقول بان نهيم عن كتابة العلم او الحديث نص في النهي عن كتابة السنن النبوية هو قول بالخرص

ثم هل يجوز لمن لا يجوز العمل بالظن ان يأخذ اقوالهم في امر قد صرحوا بسببه ان يتركه ويهمله ثم يحمل قولهم على غير ما ارادوه بل على ما نهوا عنه وهو ترك اتباع السنة واعتقاد وجوب اتباعها ثم قول الحق ان الامور المظلمة يدور حكمها مع عليها وحيث زالت العلة زال الحكم وهو ما خوف الالتباس بالمصحف قد وقع الاجماع على جواز بل استحباب كتابة الحديث وقال بعضهم بالوجوب وهو الحق . هذا كله اذا سلمنا ان حديث النهي مرفوع وانه غير منسوخ . ومن اطلع على القاعدة الاصولية من انه اذا وقع التعارض بين دليلين احدهما مانع والآخر مرخص مثلا عرف ان الاجماع على كتابة السنن غير معارض لص - لانه بعد تساقط الدليلين المتعارضين اغنى حديث النهي عن الكتابة واحاديث الامر والترخيص فيها تبقى البراءة الاصلية والاجماع ان لم تقل هو حجة فهو مؤيد لها

ونحن نسأل حضرة الدكتور هل حكم حديث النهي عام وباق ام لا ؟ فان قلت بالاخير فقد وافقتا . حينئذ لا يصح لك الإلزام به . وان قلت بالاول لزمك ان تمنع عن كتابة جميع العلوم المستنبطة من القرآن بل اولى من ذلك كله ان تمنع عن كتابة سائر العلوم

ان كان الاختلاف في كتابة السنة قادحا في العمل بهامسوغا لاقتراح ان علة ذلك وسببه كونها شريعة موقته — فان الاختلاف قد وقع في جميع القرآن وكتابته واول من خالف في ذلك الخليفة الاول ثم رجع الى قول عمر (رض) قبل يسوع ان يقال ان الصديق رضي الله عنه لم يخالف في ذلك الا لان شريعة القرآن موقته لا — لا — في الامرين فان قيل ان الصديق قد رجع ووقع الاجماع على ذلك . قلنا وكذلك جمع السنة وكتابتها قد وقع الاجماع عليه . والفاروق لما سأل الصحابة رأيهم في جمع السنن اشاروا عليه بمجمعها ولكنه خالفهم للسبب الذي ذكرناه كما صرح بذلك هو اذ لم يحسن له الوقت المناسب الذي يزول فيه خوف الاتباس ولما كان هو اذ ذاك صاحب الامر لم يستطع من اشارة عليه منهم ان يفعل غير ما مضاه الخليفة

ومن تفكر في اهل زماننا بل منذ ازمان قديمة رأى صحة هذا التعليل المنصوص دراية كما هو صحيح رواية فانك تجد مصداق ذلك فيما نراه من اكباب الناس وانهما كهم على كتب شخنت بأراء مشايخهم واسلافهم حتى جعلوها كالمصاحف بل قدموها على المصحف وعلى السنة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية أما قوله « ولم يعاملها النبي (ص) ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر » فأقول أي المعاملات يريد حضرة الدكتور فان كان يريد ان القرآن يمتاز بانه كلام الله لفظاً ومعنى وانه معجز متحدى به وانه متعبد بتلاوته وانه كلام الخالق غير مخلوق ونحو ذلك فهذا صحيح وسنن الرسول (ص) لا يمكن ان تعامل بهذه المعاملة كلها — فكما ان الله جلا وعلا هو الرب والاله المعبود ومحمد (ص) عبده ورسوله وداع اليه بإذنه فلا يعامل بما يعامل به الاله بما يخص الالهية والربوبية فكذلك كلامه (ص) لا يعامل بما يعامل به القرآن من كل الوجوه كما تقدم وان اراد ان النبي (ص) لم يعامل سنته بما يعامل به القرآن من حيثية التشريع كأن يأمر الامة بما لا يجب الاتمار به وينهاهم عما لا يجب ان ينتهوا عنه أو أنه يعتقد ذلك او ان اصحابه يرون عدم وجوب اتباعه في جميع اقواله وافعاله وفما شرع الله من الدين على لسانه فأرادة هذا منه (ص) أو منهم هو محل

المحال وحضرة المذكور نجله ان يعني ذلك فمن زعم ان محمد (ص) اوجب ما ليس
بواجب وحرم ما ليس بحرام على الامة وانه يعلم ذلك ويعتقده او ان اصحابه يعتقدون
ذلك او انهم لم يأثموا به الخ فخطؤه فوق كل خطأ واقتراؤه فوق كل اقتراء ومع
ذلك كله هو غير مستند الى شيء يصح الاعتماد عليه حتى ولا شبهة

فقول القائل ان ما اوجبه او حرمه النبي (ص) انما هو مقيد بوقت حياته —
هل يصح ويثبت بدعوى عدم الكتابة او دعوى النهي عنها أو انها لم تكتب مدونة
مرتبة؟ قد قدمنا ان عدم الكتابة مطلقا لم يرد فيها الا حديث واحد قد اختلف
في رفعه وسبب النهي منصوص كاقدمناه مع معارضته لما هو اصح منه

فهل يصح ان يكون ذلك الحديث المذكور ناسخا لآيات الكثيرة القرآنية
المصرحة بوجوب ولزوم طاعة الرسول (ص) واتباعه — ان طاعة الله لا ينازع
احد في وجوبها في وقته (ص) وبعد وفاته وانها أي طاعة الله واجبة علينا كما هي
واجبة على اول الامة

لكننا نرى القرآن مصرحا بان طاعة الله مشروطة بطاعة الرسول (ص)
وهل طاعة الرسول (ص) الا الانتار بامره والاتباع لنتيجه والا لم تكن له طاعة وقد
عرفت ثبوتها وادل القرآن عليها نصا كما يأتي وهي لا تكون الا في سننه القولية كما قال
تعالى « وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » من يطع الرسول فقد اطاع الله
ومن تولى فأنرسلناك عليهم حفیظا اما الاتباع والتأسي فيكون في الفعلية العملية والقولية
مهما يمكن لاحد ان يعبر عن وجوب اتباع احد وطاعته لا يمكنه ان يعبر عن
ذلك باكثر واوضح مما عبر الله به في وجوب اتباع رسوله محمد (ص) فان كان
ذلك قابلا للتشكيك لزم ان لا يوجد في العالم خبر يوثق به وبدلالته

ان الله جل شأنه لم يأمر بطاعته في القرآن الا وأمر بطاعة رسوله (ص) معه
بن قد يفرد الامر بطاعة الرسول (ص) ويجعلها شرطا لطاعته ولم يفرد طاعته عن
طاعة الرسول (ص) ثم هو تارة يأمر باتباعه وتارة يأمر بالتحاكم اليه ويجعل ذلك
من شرائط الايمان وكذلك تسليم ذلك له وعدم وجدان المخرج — وتارة يأمر
بالتأسي به وتارة يقول د وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وتارة

يعلمنا بأنه المبلغ عنه المؤمن وتارة ينسب التحليل والتحريم اليه (ص) ثم زاه
 يبه في محل آخر بأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى - وتارة يأمره
 أن يحكم وان لا يحكم الا بما اراه الله - وتارة يقول له « قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحبك الله » فجعل اتباع الرسول (ص) مقدما على طلبتهم بحجة الله وبابا
 لمحبة الله لم وهذا لا يمكن ان يخص قوم دون قوم وزمان دون زمان - وتارة ينهى
 عن التقدم بين يديه بقول أو فعل وتارة ينهى عن التولي عنه وعن امره - وتارة
 ينهى عن مخالفة امره وتارة ينهى عن التسوية بين دعائه ودعاء غيره وقد قرأه
 الداعي الى الله حتى انهم كانوا يرون اجابة غير مبطللة للصلاة وتارة يحذر عن
 مخالفتهم أمره « فليحذروا الذين يخالفون عن أمره » الآية - وتارة ينهى ان يجعلوا لانفسهم
 الذميرة من أمرهم مع أمره - وتارة ينهى عن مشاقته وإن من شاقه فقد شاق الله
 وتارة يجعل من صفات الايمان بالله المبادرة الى طاعة الرسول (ص) الى غير ذلك
 من اساليب التعبير والتفنن فيه لا يضاح وجوب اتباع الرسول (ص) فان القرآن
 ملاك من أوله الى آخره بذلك حتى القصص قلها انما سقت للاعتبار وليطاع الله
 ويطاع رسوله (ص) ويتبع وليه من الناس بالله ورسوله (ص)

فهل يصح ان يهدم هذا كله بشبهة حديث ابي سعيد (رض) على ما فيه مما
 قدمناه؟ ام هل يسوغ ان يقال ان الصحابة (رض) خالفوا ذلك كله وانهم لم
 يمتنعوا بسنته اذا رأينا احدثهم احتاط في الرواية او حكم بخلاف السنة بهذرانها لم
 تبلغه ولو بلغت لرجع اليها كما قد شوهد عنهم الرجوع اليها في جميع أحوالهم وهل
 يصح اعتبار قول من خالف ما ذكرناه كائنا من كان ما لم يكن عن الله أو عن
 رسوله وقد عرفت حكما في ذلك .

فكيف يصح قول الدكتور ان النبي (ص) وأصحابه لم يعاملوا السنن النبوية
 بغير ما عاملوا به القرآن الا لتندثر وتزول من بين المسلمين مع ما عرفت مما
 قدمناه . ولم لم يصرح الله ولا رسوله (ص) ولا أصحابه (رض) بما صرح
 به حضرة الدكتور؟

ان من تتبع أقوال النبي (ص) ووصاياه ومواعظه وخطبه يجدها موافقة لما

دل أن أن عليه ومناقضة لما زعمه حضرة الدكتور « اني تارك ما ان تمسكن به لن نضلو كتاب الله وستي » والأحاديث متواترة في أمره (ص) ان يبلغ عنه وفي وجوده اتباع سننه أيضاً تواترا معنوياً . أما أقوال الصحابة (رض) في اتباع الكتاب والسنة : فأكثر من ان تستقصى بل ذلك اجماع عنهم وعن سائر المسلمين — وكل ما خاف الكتاب والسنة فأنما هو عند الصحابة (رض) من الرأي المذموم وهو الظن المشتم الذي حذر الله عنه في كتابه فحمله حضرة الدكتور على الرواية المروية بلاينة بل بناء على اصطلاح المصطلحين . على ان كل من سوى الرسول (ص) غير معصوم من الخطأ والسهو

هذا ولا يحيط بسننه (ص) الا مجموع الأمة وما عند الأمة من ذلك قد دونوها هو ين أيدينا فلهوا بنا الى اقتفائه واتباعه (ص) الذي لا حياة ولا نجاة لنا الا به « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » فليحذر الذين يخالفون عن أمره « الآية » ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » نسأل الله لنا ولاخينا الدكتور الهداية والتوفيق لصراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وان يوفق من أراد له الهداية انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله وأصحابه الطيبين ومتبعهم بإحسان الى يوم الدين آمين

كتبه يده وقاله بضمه

الحقير صالح بن علي الياضي عفا الله عنه

(المناج) اذا اراد الدكتور محمد توفيق افندي صدقي ان يرد على هذه الرسالة فالرجو منه ان يبين ما يراه متقدماً منها بالاختصار ولا يطيل في اصل الموضوع وان يسلم بغيره المتقد عند تسليم صريحاً

أَنَّكَ عَلَى الْبَرِيَّةِ

➤ إرشاد الأريب، إلى معرفة الأدب ➤

المعروف بمعجم الأدباء - أو - طبقات الأدباء

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله ياقوت الحوي المولد البغدادى الدار الرومى الجنس صاحب كتاب معجم البلدان المشهور . كان غلاماً لتاجر حموي علمه ليكون عوناً له في تجارته ثم أعتقه وتركه مدة ثم استعمله في تجارة سفره بها فلما عاد كان مولاه قد توفي فاعطى أولاده وزوجته شيئاً مما كان بيده فأرضاهم واتجر بالباقي وجعل بمض تجارته كتباً فكانت عوناً له على ما تصبو اليه نفسه من العلم لا سيما التاريخ والأدب . تألف مؤلفات كثيرة في ذلك أشهرها معجم البلدان ومعجم الأدباء الذي ذكر ابن خلكان أن اسمه (إرشاد الألباء ، إلى معرفة الأدباء) ولكتنا أهدينا منذ أشهر المجلد الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد وإذا باسمه الذي كتب عليه (إرشاد الأريب . إلى معرفة الأدب) وكان بعض النسخ كتب عليها هذا الاسم وبعضها كتب عليها ذاك

موضوع هذا المعجم تراجم من كانوا يعرفون بالأدباء في تلك العصور قال المؤلف في فاتحته (ص ٥) « وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ من أخبار النحويين والقرويين والنسائين واقرءاء المشهورين والاخباريين ، والمؤرخين والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعمية ، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً ، أوجع في فنه تأليفاً ، مع إشار الاختصار والإيجاز ، في نهاية الإيجاز ، ولم آل جهداً في اثبات الروايات ، وتبين المواليد والافات ، وذكر تصنيفهم ومستحسن أخبارهم ، والاخبار بأنسابهم وشي من أشعارهم ، » الخ فالكتاب من أحسن دواوين التاريخ والأدب وقد كان كنزاً مخفياً فظهرته همة أوربية . ذلك أن رجلاً من الناشئين

في البلاد الانكليزية اسمه الياس جب كان مغرما بدرس العلوم والتواريخ العربية والتركية والفارسية ثم مات في الخامسة والاربعين من سنه فوكت أمه مالا عظيما على احياء الكتب الشرقية التي كان مشتغلا بها يصرف ريمه في ذلك وعهدت بالعمل الى لجنة من الرجال القادرين عليه وقد شرعت اللجنة بطبع هذا الكتاب بمداعني الدكتور مرجليوث العالم المستشرق الشهير بتصحيحه وقد هدتنا الجزء الاول منه فاذا فيه بمد الفائدة فصلان في علم الادب وعلم الاخبار يتلوهما باب الهرة وهو يتدني باسم آدم بن احمد الحرابي ويتنهي باسم احمد بن علي بن المعمر وصفحاته تزيد على أربع مئة منها ترجمة ابي العلاء المرعي في ٤٣ صفحة فنشكر لجميع العاملين في احياء هذا الكتاب وأمثاله فضلهم ونخص بالذكر المصحح ونرجو ان ينني طابعو الكتب في مصر ولو بعض هذه العناية في التصحيح والاقتان

(الرد على من اخذ الى الارض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض)

بنيت قواعد الاسلام وأقيمت أركانها على أساس العلم حتى كان من المجمع عليه عند علمائه ان جعل المكلف بما يجب عليه من أصوله وفروعه ليس بضر في الدنيا ولا في الآخرة فالقاضي الشرعي لا يترك عقوبته اذا ارتكب موجبا جاهلا كما ان الله تعالى لا يخذله اذا اقترف القواش والمنكرات جاهلا بحرمتها . قالوا الا اذا نشأ في شاق جبل أو كان قريب عهد بالاسلام . والعلم ما كان بالدليل فالعالم لا يكون الاجتهادا ولذلك اجموعوا على ان المقلد لا يسمى عالما كما صرح به ابن القيم في أحلام الموقعين وقد بقي الفقهاء الى القرون الوسطى يطلقون لفظ العالم ويريدون به المجتهد كما ترى في كلامهم عن القاضي والمقلد ولكن وجد في هذه القرون من المقلدين الجاهلين من ادعى ان الاجتهاد طوي زمنه وأن العلم بالاسلام أي بالكتاب والسنة صار متعذرا وان الواجب على جميع المسلمين هو الأخذ بما كتب في المصنفات الفقهية التي أنعم الله المتسبون الى أحد المذاهب المشهورة فقام المدافعون عن العلم يردون هذه الدعوى ويننون وجوه بطلانها حتى افردوا ذلك بالتأليف

من هؤلاء الحفاظ الشهير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فقد وضع فيها كتابا سماه « الرد على من أخذ الى الارض ، وجعل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » وقد اورد فيه القول الكثيرة عن ا كابر علماء المذاهب الاربعة لأف كلامهم يقع المقلدين المنكرين مالا يقنعهم الدليل المؤيد بنصوص الكتاب العزيز وما جرت به السنة السنية . وقد طبع هذا الكتاب طبعا حسنا في المطبعة الثمالية بالجزائر وهو يطلب من صاحبها احمد افندي بن مراد التركي وأخيه فنشكرهما احياء هذا الكتاب النافع ونحث القراء على الاقبال عليه

﴿ ليالي سطيح ﴾

طبع الجزء الاول من هذا الكتاب الذي شرع في تأليفه حافظ افندي ابراهيم وجعله في انتقاد الاخلاق والمعادات ، ووصف حال الاجتماع في مصر ، وجعله حوارا مع سطيح الكاهن الجاهلي ، ذلك الكتاب الصغير الكبير ، الذي تبارى في تزيينه عالم الكتابة والتحرير ، فسالت انهار الجرائد بمداد آياته ، وجرت اقلام الكتاب في فلك حسنته ، ولهجت ألسنة الفصحاء بوصف مافي مبانيه من المثانة والاحكام ، وما أودعه اسلوبه من الرقة والانسجام ، وتغلغل افكار الحكماء في التأمل بما انطوى عليه من الحكم والعظات ، وما بينه من الامثال والمثلثات ، وتلطف الناقدون في الائمة الى مافي لم يخل من مثله كلام الناس ، كالتفاوت بين بعض الجمل او عصيان قوانين القياس ، فوجع ما كتب في تزيين كتاب ليالي سطيح ، من التناو والمديح ، لكان معه كليلالي هجر اللال ، مع ليالي الوصال ، على ان ليالي التريض ، هي من ليالي الوصال البيض ، جمع فيها الأدب بين جمهور من الادباء المنشئين ، وبين محبوبهم حافظ افندي ابراهيم ،

اخذ اولئك الكتاتيون مسالك قول على من يحاول بدمهم وصف الكتاب او نقده فاعلى النار الا ان يجعل الوفاء بذمة حافظ عرض شيء من حكم كتابه على قارئه ، لعلهم يهتدون الى فضله بكواكب لياليه ، فمن ذلك قول سطيح في الحث

على العناية باللغة العربية ونصر دولتها وذكرا إمامي المصلحين : حكيم الاسلام ،
والاستاذ الامام (ص ٦٢)

«فما ضرركم لو تساندتم جميعا وانتم لا تتجاوزون زمن القمر عدا ، فرغمتم من شأن
هذه الدولة ، وحرركم من الظالمين ، وهزركم من الجالدين ، قالي أراكم ين
متفصح على أخيه ، ومثبل على قرينه ، وليس هذا صنع من يريد ما يريدون ، محاولون
رد هذه الدولة الى شبابها ، بعد ان خلا من سنها ، ولو لم يتداركها الله بذلك الافغاني
لقتضت نحبها ولقيت ربها ، قبل ان يمتعها بكم ويمتكم بها ، أدركها الافغاني ولم يبق
فيها الا الذماء ، فنفخ فيها نفخة حركت من نفسها ، وشدت من عزها ، أدركها
وهي شمطاء قد نهض منها يياض المشيب في سواد الشباب ، فشاب قرانها قبل ان تتيب
ناصية القرن الخامس ، فسودت يده البيضاء ما يعضت من شرها سودا ليلي ، ونهضتها
همته بصنوف العلاج حتى استقامت قاتها ، وبدأ صلاحها ، وقد كان الناس في ذلك
العهد يدينون باللفظ ويكفرون بالمعنى ، فما زال بهم حتى ابصروا نور الهدى ، وخرجوا
بفضله من ظلمات القرون الوسطى ، وقام بعده نفر من تادبوا عنه فكانوا كالسيوف
فوجت للرماح ضيق المسالك فافسح للتأدين المجال وجال كل جوده ، وتبه الوجدان
وتيقظ الشعور وتحرك الفكر حتى أفضى الى حركة النفس ، وظهر أثر جمال الدين في
النفس العالية ، وأصبحت تتدرك كلامه الاسماع الواعية ، فكان من ذلك ان افطوى
أجل التقليد ، وأن بعث الله على يديه ميت اللغة وأحيا رفات الانشاء ، وغادر رحمة الله
عليه مصر ولم يضع لنا كتابا يأخذ عنه ، أو مؤلفا نعترف منه ، ولكنه ترك لنا رهوسا
تؤلف ، وأفكارا تصنف ، وكأنه أحس بذلك حين أحس بالموت فكان يقول وهو
يجمود بنفسه : خرجنا منها ولم ندع لنا أثرا ظاهرا بين السطور ، ولكننا لم نغادرها حتى
نقتنا ذلك الاثر على صفحات الصدور ، فان لم ترثوا عنا في بطون الكتب قدورتم
عنا في صدور الرجال ، فاذا حثرت التراب على رجل الافغان فليكن برجل مصر
خرج من الدنيا كما خرج سقراط لم يغادر كلاهما مؤلفا ، ولم يدع مصنفاء ، فلو لا
محمد عبده ما عرف رجل الافغان ، ولو لا أفلاطون ما ذكر رأس فلاسفة اليونان
ولما سكنت أفغان الافغاني بعد أن تجددت بذكرة الانفس ، خلفه حكيم الشرف

في دولته، ووطن نفسه على المضي في طريقته، فأسمع الناس في الحق واسمعه، واخلقه في ذات الاله واخلقه، ولم يزل بهم حتى غلب حق على باطلهم ثم مضى لسبيله رحمه الله فتمتت الاذهان، وتطلعت العقول الى البحث، وبرزت اللغة من خباياها، فبحر مطارف آدابها، وأطل علم الادب Litterature من مناره مشرقاً على النفوس فأرسل نوره الى الضمائر، ونفذت أشعته الى السرائر، فنبى تحت نظره الشعور كما ينبغي النبات جاذبه الشمس بالنظر، أو كسته أشعة القمر، فلطفت من كثافة النفوس، وهذب من مرارة الارواح، حتى شقت الاولى وعذبت الثانية وبدأ دور هذه الحياة الجديدة بفضل الأدب وعلمه، اه المراد منه هنا

ثم ذكر سطيج وعماوره الأستاذ الامام وتلاميذه في مقام ما يرجي من الإصلاح فقال (ص ١٤٤)

« قال (اي سطيج) وابن مكانك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسبي اني من تلاميذ حكم الاسلام، الأستاذ الامام، طيب الله نراه، وجعل النعم مثواه. قال اني لأرى رأياً حصيفاً، واسع قولاً شريفاً، فن أي تلاميذه تكون؟ قد سمعنا انهم فرقان فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أثمى عليهما العيب، وتبأ لهما بالطالع السعيد، قال — لا علم لي بماقول. وقد كنت ألصق الناس بالامام أغشى داره، وأرد أنهاره، وألقط ثماره، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة قبها الله، ولكنه كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته وينقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب المعارف بأسرار الخلاق، وحكمة الخالق، وكان ربما ساقه الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران، ووقف بنا على أسرار الحياة ولم يزل ذاك همه رحمه الله يلقي في الازهر دروس التفسير وفي داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله، فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران، على انه كان من اشد الناس تيمراً بالسياسة واهلها، حتى اعلن براءته من الالتصاق بها، فقال عنها في كتاب الاسلام والنصرانية ماقال

لكنه كان يجتلك بها مادعت الى ذلك الحاجة ويرصد حرركاتها رسدا ، ويصد غاراتها صدا ، خشية أن قطع على العلم سبيله ، أو انقف عثرة في طريق الفضيلة ، ولولا ذلك قطعتم عليه سلك أمانيه ، وحالت بينه وبين ما كان يتفنيه ، فكم تلطف في ابتزاز قواها ، وتحامي جده طريق أذاها ، حتى اذا غفر بطلته ، وقاز برغبته ، واستمد منها ما شاء ، تحت حاية الاقفاء ، عطف على العلم بذلك الامداد ، ورد عليه ما سلبت يد الاستبداد ، ولعله اوهم العبيد ، يقفلة حزب جديد ، ليرد دعائيه ، ويضد عليه سياسته ، في مصادرة العلم ، وممارسة الظلم ، أما ترى بربك أثر ذلك في المدارس ، وما عبثت به يد ذلك السائس ، ولولا ان الامام ماذم جبل الوداد ، وجاذبهم فضل النصيح والارشاد ، لا صابه ما أصاب حكيم الاقنان ، وقضي على هذه الامة بالحرمان ، فقد كان يندو على الوكالة ويروح عنها ليدفع عنا شره القوم ، ويصلح ما فسد اهل الدسائس ، فكم زحزح عنا حادثا ، ودفع كارثا ، ولو كان حيا يوم دار الفلك لنا بالحسوس في دنشواي ، لرأيت غير الذي رأيت من ذلك القصاص ، ولما اوقع صوت العبيد ، بذلك التهديد والوعيد ، ولما نزع الى كتابة ذلك التقرير ، الذي جاء ابلغ ما تقلي الضغينة على الموتور ، فكان فيه كبير جروح البراع ، ضعيف ضعيف جانب الاقناع ، كانه يكتب مقالة خيالية ، الى مجلة سياسية ، وقف فيها وقفة المدافع عن نفسه

لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى قارتدت طائفة من جفاة العرب وكادوا يمتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف النبوة ولا نالت من عصمة الرسالة ، ولبت الاسلام اسلاما — ومات الاستاذ الامام هسبا بعض حزبه كما يدعون ، واستغفر الله لهم مما يقولون ، فاقض ذلك من كرامة حكيم الاسلام ، ولا مس من سيرة ذلك الامام ،

أراد بعض مرديه أن يقني غناؤه وان يفعل شرواه في التوفيق بين صواحق القوم وصواالحنا ، فرمى بنفسه في احضانهم ، وليست له مكانة الامام من نفوسهم ، ولا منزله في قلوبهم ، قصور ولا بدع ، وأخفق ولا عجب ، فان الفراغ الذي تركه الامام لا يشغله الا لوف من اولئك الذين يرفعون العقيرة بالصباح ، وينعون عليه مذهبه

في الإصلاح ، ولما ظهر ذلك المريد بمظهر الاتصال بالقوم أنكر الناس منه ذلك فطارت حوله الشبهات ، وانبسطت فيه اللسان وأخذته سهام الاقلام ، على أنه وان أخطأه التوفيق في عمله فأخطأه حسن القصد ولا جازته سلامة الطوية ، فوجد بعض المرائين السبيل الى تشويه سمعة الامام بعد موته ، وبالفوا في ذم حزبه ، وزادهم ضغنا ان قرأوا في تقرير العميد ما قرأوا وظنوا ان هناك حزبا يعمل ، ولو اراد الله خيرا لهذه الامة لسخر لها من تلاميذ الامام من يقوم بالدعوة الى التآم ذلك الحزب الذي أودع فيه الامام من أسرار حكيمته ما كشف لهم عن حقيقة المصير الذي أصبحنا نساق اليه سوفاً أعجبنا عن النظر في أمورنا فأمسينا أتباعا لكل ناعق

قال صاحبي وقد هاله ماسمعه أكان يكون بين ظهرانيكم أمثال أولئك الامناء على تعاليم ذلك الحكيم ولا تتعقون بأذيالهم ، على اني لا أرى فيكم الا ناعيا عليهم مشهرا بهم ، فان كنت لم تكذبني القول ، فتلاميذ الامام حقيقون باليوم ، لانهم يعلمون الحق ولا يدعون اليه . علموا ان لاحياة لهذه الامة بغير الجامعة فما لم لا يواصلون قرع انوف الاغنياء بالمواظوة والولون الصياح بطلب تأسيسها قتلتي اصواتهم بالنداء في أنحاء القطر ؟ ولكنهم سكتوا اللهم الا شاعرا منهم قد قرض قصيدة وقاضيا قد حبر مقالة في سبيل الجامعة درج كلاهما في اثناء النسيان فحمد الاغنياء عن البذل لجود أولئك الوعاظ عن الكلام وتدفقوا في انشاء الكتييب حين ساقهم الحكومة الى ذلك ولو علموا ان انتشار التعليم الناقص شر على الناس من بقاء الجهل لما بدلوا في سبيله ما بدلوا فكان مثلهم في ذلك كمن يحاول النجاة من أنياب النمر ليقع تحت برائن الليث لانهم انما يستبدلون بانتشار الكتييب داء الجهل ولكن بداء الفرور فسبيل الإصلاح ان تنشأ الكتاب وتبنى الجامعة في وقت مما حتى اذا أخرج الاول نصف انسان أطلعت الثانية انسانا كاملا فتكفل هذا الكامل بصلاح ذلك الناقص فتتمسك الامة ويكثر فيها الدعاة الى الخير فليس بينها وبين الحياة الا ان يخرج لها العلم الصحيح رجالا يقودون الافكار ويسلكون بها سبيل الرقي . ومن رأى ان هذه الامة لا تنهض الا بتعليم مجموعها وتهذيب افرادها فقد أخطأ مواقع الرأي فكم نهضت امة بفرد واست دعاتهم دولة على عزائم آحاد وفوا

قسطهم من العلم الصحيح واخذوا نصيبهم من الاقدام
وقد انصرف الناس الى الصباح بطلب انتشار العلم ونسوا ان ذلك لا يفتي
عنهم شيئا اذا أعوزتهم تربية القادة وعزم بناء الرعما فاعلم ان بناء الرجال لا تكون
الا في بناء الجامعة

قال الاديب وهل يكفي العلم وحده لصلاحنا ونحن على ما نرى من الخلق
والدين : فسوق عن امر الكتاب ، وطاعة للهوى ، فلا وازع من الدين ، ولا
زاجر من الخلق ، فاذا ترعزت العقيدة ولم يطمئن الطبع قل ان ينجع في الناس علاج
العلماء ، او تأخذهم صيحة الخطباء

قال صاحبي صدقت ولكن ما تراه انت خطبا كبيرا ، لم يكن في نظر الحكمة
الا أمرا بسيرا ، واني اذكر لك دواء هذا الداء وهو أيسر مما في نفسك ، فلا تنزل
أمري معك على المزاح ، ولا يصفرن في عينيك مآنى ما ألقى عليك ، فرب مؤرّب من
العقد ضلت حله الحكماء واهتدت اليه خيرة من الفكر يرمي بها أحد العامة ،
وتفعل عنها عقول الحامة ، ولعلك اذا سمعت ان الدواء الناجع ، والمعالج النافع ، لا يحتاج
الى مقدمات طويلة ، او فلسفة جلية ، أصغرت ما كنت تكبر ، واستنزرت ما كنت
تستغزّر ، فاعلم انه اذا اقبلت أبواب المتديّات واطفئت أنوار الحانات ، قبل منتصف
من الليل ، انحرف عنكم جارف هذا السيل

هذه لندرة لا تكاد ترى في حوائيتها ساهرا ، ولا تجد في طرقها عابرا ، اذا
انقضى الثلث الاول من دولة الظلام ، وتلك (فينا) يجمع فيها الليل بين الجفون
والكرى ، ويحول الظلام بين الارجل والسرى ، فاذا شب الليل أو كاد ، سكنت
حركة العباد ، فما لكم لا تأخذون أنفسكم بتقليد تلك الخلائق ، وقد اثمروا بأوامر
الخالق ، وما لكم لا ترجعون الى الفطرة البشرية ، او تخضعون لنواميس السنة
الكونية ، فجمعوا في ذلك بين الدنيا والدين ، ولا تفقوا اوامر الكتاب المبين ،
ياويلّ أحييم ليالي العمر بالآثام ، وأتمم أيامه بالنام ، فمكثت الفطرة ولا
بدع اذا عكست آمالك ، وخابت أعمالكم ، خنوا مضاجعكم اذا طرساب الظلام ،
واهجروها اذا تنفس الصباح ، ففي ذلك صحة لبدانكم ، وسلامة لاديانكم

إذا شئت ان تعرف ما وراء ذلك من المنافع فاني أعد لك منها ولا أعددها منها الرجوع الى المعيشة المتزلة التي انحلت بزوالها وابط الاهل والاقراب، وليس ما بين البيوتات، فتذكر الاخوان، وتدابير الجاران، واقفرت المنازل من انس السر والف الناس الجلوس في المتدييات حتى انهم ليوحشون في ديارهم، قللة زوارهم، واصبح المرء في داره حاضرا كالثائب، مقبلا كالتأزح، يعلم من حال البعيد عنه، ما لا يعلم من حال القريب منه

ومنها اجتناب العقبات، التي أقامتها المتدييات والحانات، في سبيل الاجتماعات — كان المصريون في العهد القديم الذي نسميه اليوم عهد الظلام يجتمعون في الدور والقصور وكانت سراتهم وذووا اليسار منهم يجلسون في بيوتهم لسمير فيشاهوا العالم ويؤمنوا الكاتب ويقصدها التاجر وينتجها الأديب فتعجز بينهم الاحاديث وتقوم سوق المناقشات — يحدث الحادث فيخوضون في ذكره، وتنزل النازلة فيجمعهم الالم على العمل على ازالتها، وتقل رؤوس المشروعات فلا يشتتون يشتنون معارفها، حتى يتلوا شؤنها بحثا، ويقفوا على وقائنها جدالا، وينزل باحدهم المكروه فلا يزالون يطلعون بالسياسة حتى يأخذوا بيده، وينهضوا به من عثرته — عقدت بينهم الزيارات، عرى المودات، فتراهم وهم كأنهم أهل بيت واحد: يألم الجار للجار، ويأخذ الناهض يد ذي الثمار، بربك هل نهضت أمة بغير ادمان المجتمعات، وهل اخضبت مودة اذا هي لم تسعد ما أهلها بالزيارات، لقد جار في حكمه من قفي على المصريين باستحالة الاتفاق، وجعل تلك الكلمة التي روى بها حكيم الاطمان أساسا لحكمه، فصرفه التقليد عن النظر اليها بين عقله، فمن ابن المصريين ان يتقوا اذا هم لم يجتمعوا

ومنها اقتصاد المال وأنت ترى ان هذه الستة الافدنة (اي بقعة الازبكية) تكاد تبلغ ما تخرجه ارض وادي النيل من الخبثات ولا يفرنك مآثرى في عاصمة الفرنسيين فان أهلها من الأيكاس الذين يصلون سهر الليل بالتهار لاصطياد الذهب ولكن من جيب الثريب ونحن انما فعل ذلك ليذهب الثريب باموالنا ويسخر من جهالتنا. وهو خاتمة الجزء الاول من الكتاب

﴿رسائل البلقاء﴾

من مزايا مجلة المقتبس التي يطابق بها اسمها مسماها نشر رسائل بلاء الكتاب المتقدمين وقد استحسن صاحبها ان يجمع أحسن هذه الرسائل من مجلته ويطبعها مجموعة على حثتها ليسهل تناولها على غير قراء المجلة ففعل وقد احسن فيما فعل صدرت المجموعة الاولى من هذه الرسائل في مئة صفحة كلها من كلام عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وهما من نصرب يلاغتها الامثال وتشد الى كلامهما الرجال ومن اطرف هذه الرسائل رسالة ابن المقفع في سياسة الدولة وصحابة السلطان ورجاله ورسالة عبد الحميد في نصيحة ولي العهد وتبئة الجيش . وقد عني الناشر تصحيح هذه الرسائل معارضة على أصلها ولم يتبع سنة أكثر طابعي الكتب بمصر من اعمال التصحيح فما يوجد فيها من الخطأ فالذنب فيه ذنب التساخ الخرفين مع قمر بلادنا من النسخ التي يعارض عليها الاجل . وثمن هذه المجموعة اربعة قروش واجرة البريد قروش واحد فنحث محبي الآداب والحكم وطلاب الانشاء العربي البليغ على قرائنها

﴿سر تقدم الانكليز السكسونيين﴾

قد اصبح هذا الكتاب اشهر من نار على علم ، وترجم بأشهر لغات الام ، ولا غرو فان تقدم الانكليز السكسونيين وسبقهم لغبرهم من الام العزيزة التي تساويهم او تفوقهم في العلم والمدنية مما لا يماري فيه احد الا من يجمل ان الشمس لا تغيب عن سلطنتهم ، وان مئات من الملايين خاضعة لسيادتهم ، فمن جمل هذا التقدم لا مية ، او نجاها له لفروره وغاوته ، فان الام الحية التي تسابق الانكليز في ميدان الاستعمار وتجاريها في تلك الجواردي المنشآت في البحار ، هي الجديرة بأن تعرف سر تقدمهم ، وسبب فوزهم وسبقهم ، فانه لا يعرف قيمة الشيء من كان بعيدا عنه ، كما يعرفه من هو على مقربة منه ، لذلك كان علماء فرنسا اسبق الناس الى معرفة قيمة ما امتاز به الانكليز على غيرهم من الام في تربيتهم وتعليمهم ، وأخلاقهم وآدابهم ، وقد ألفوا

(المترج ٧) (٦٨) (المجلد الحادي عشر)

في ذلك الاسفار الكثيرة التي يعد كتاب سر تقدم الانكليز من أشهرها . وكان من حسنات أحمد فخري باشا زخول في قومه وخدمته لثقلته ان ترجم هذا الكتاب بالربية . ويسرنا ان طبعته الأولى قد نفذت وان خليل بك صادق صاحب مطبعة الشعب عني بإعادة طبعه بإذن المترجم ويزيدنا سروراً أن طبعته هذه أبهج من الأولى وأشد افاقاً . وقد أبقى ثمنه كما كان وهو عشرون قرشاً بل هو يهديه الى الذين يؤدون قيمة الاشتراك في مجلته (مسامرات الشعب) . ولا ينسين القارئ في هذا المقام رفيق هذا الكتاب في غايته ومقصده واعني به كتاب (التربية الاستقلالية — أو — اميل القرن التاسع عشر) فان مؤلفه العالم الفرنسي قد اختار فيه ان تكون تربية الاخلاق واستقلال النفس تربية انكليزية ، وتعليم العلوم العالية على الطريقة الألمانية ، واتي أرى ان المصريين وجميع العثمانيين أحوج الناس الآن الى مثل هذين الكتاتين لأنهم في طور انتقال من حال اجتماعية الى حال ، وهو طور محفوف بالأخطار ، التي يستعان على تلافيها بالتأسي والاعتبار ، ولا ينفعنا التأسي بامة كما ينفعنا التأسي بالأمة الانكليزية التي هي أقوم أم المدنية اخلاقاً وأشدّها محافظة على ما كان عليه سلفها من الخير والدين وثبتاً في التثبت بالجديد

﴿ مجلة مسامرات الشعب ﴾

قد اتمت هذه المجلة وصارت أحسن اختياراً للقصص مما كانت عليه من قبل . ومن آخر ما نشرته قصة لصوبس باريس وهي قصة تفيد المتفرجين من أهل هذه البلاد ان اعتبروا بها مالا تفيدهم كتب الاخلاق والوعظ بما تمثل لهم من حل الأوربيين المقارن على سلب أموال الاغنياء الأغنياء ، لا سيما الغرباء ، وفيها حرب عوان بين الفضيلة والرديلة ينتهي بانتصار الفضيلة . ومثلها في هذا قصة سلطان الغرام وهي آخر قصة نشرت في هذه المجلة

﴿ مجلات جديدة ﴾

﴿ مجلة التذكرة ﴾ يصدرها بمصر السيد احمد خليل في كل اسبوعين مرة وهي مجلة دينية اجتماعية ونزعتها صوفية اجتهدية ممزوجة بشيء من الاصطلاحات العلمية

عند الحاجة ومستقل منها نموذجاً للقراء في جزء آخر ليكون خبر معرف لما . وقيمة الاشتراك فيها أربعمون قرشاً في السنة لاهل مصر ونصف ليرة انكليزية لتبرهم فتسنى لها التوفيق والنجاح

﴿شورا﴾ مجلة علمية اصلاحية تصدر في اورنبورغ من بلاد روسيا محررها صديقنا في الغيب الشيخ رضا الدين افندي بن نحر الدين وهو من علماء الاسلام المصلحين . وقد عرف قراء المارشيتا من افكاره العالية وقفه في الاصلاح مما نشرناه من ترجمة رسالة له في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم ولنا الرجاء في ان تكون هذه المجلة هدى ونوراً للمسلمين في تلك البلاد

﴿النصيحة﴾ مجلة علمية أدبية تصويرية تصدر بتونس في نصف كل شهر عربي مرة لمنشأها «الصادق بن ابراهيم» صاحب جريدة النصيحة . وقيمة الاشتراك فيها لاهل القطر التونسي خمسة فرنكات ولغيرهم ستة فرنكات فتسنى لها التوفيق والثبات

باب الاخبار والآراء

﴿الامة العثمانية والدستور﴾

إذا كان المثار لا يسع عشر معشار ما نعلم من أسباب هذا الانقلاب الذي حدث في بلادنا ومقدماته ونتائجها وما نراه في أمر استفادة الشعوب العثمانية من الحرية والدستور — فذلك لا يصدق بنا عن نشر بعض الآراء والاخبار التي تذكر الكتاتين في الصحف اليومية والأسبوعية ببعض ما يما يذهلون عنه، وتنبه القارئ الى ما ينفع التنبيه له، واتني أشير الآن الى ثلاث مسائل هي أركان العبرة في هذا الباب (١) أول شيء يجب على المثار التنبيه اليه والتنويه به هو ما يؤيد خطته في قناع المسلمين بوجود حسن المعاملة بينهم وبين من يعيش معهم من غير أهل دينهم وتعاون الجميع على ما يرقى البلاد ويرفع شأن الدولة — وفي رد طعن الطاعنين في الاسلام ، بأنه دين تمصّب وعدوان ، وفي المسلمين بأنهم لا يلتشون مع أحد من لا يدين بدينهم ، لاسباب الذين يزعمون ان العلماء المعجمين ، هم الذين يشنون الشقاق بين العالمين ،

أريد هذه الخطوة من الجهة الايجابية والجهة السلبية بما ظهر للعالم أجمع من أن عقلاء المسلمين هم الذين قاموا بهذا العمل الجليل للاتحاد والمساواة بينهم وبين غيرهم وان شيخ الاسلام قد كان وما زال ركنهم الذين يلجئون اليه ، وقطبهم الذي يدورون حواله ،

ان احرار المسلمين هم الذين بدعوا بدعوة الاحرار العثمانيين من النصراني واليهود في مصر وأوربا وفي الولايات العثمانية الى مشاركتهم في جهادهم ، وهم الذين اعلنوا هذا الجهاد ووطنوا أنفسهم على قتال اخوانهم من الجند اذا هم حاولوا تأييد السلطة المستبدة ثم انهم بعد الفخر بالدستور قد كانوا هم الساقين الى مصالحة الأرمن والروم وغيرهم من الشعوب المواثين لهم في العثمانية الخائفين في الاعتقاد وهم الذين رفعوا أصواتهم في كل مكان بأننا لا نجعل الدين مفرقا بيننا وبين اخواننا العثمانيين بل نكون معهم كما أمرنا الاسلام بالقول المشهور فيه « لم مالنا وعليهم ما علينا » بل منهم من بالغ في قوله وغلا في رأيه فاستحسنوا التنازل عن بعض حقوقنا ، لإرضاء لمعاطفة بعض شعوبنا ، كالذين يرون أن يجعل جامع أيا صوفيا عجلا للبعوثين ، ويخرج عن كونه مسجدا للمسلمين ، وهم من الترك الذين يذكركم هذا الجامع بذلك الفتح المين ،

هذا ما فعله مسلمو العثمانيين من البدء في الدعوة الى الاتفاق والعمل بها في كثير من البلاد وهذا ما ينبغي ان يفعله الباقون فان المسلمين هم المنصر الأكبر والأقوى فاذا هو علم أن الخير في الوفاق وعمل بذلك تبعه غيره بالضرورة ولو قام أحد الشعوب القليلة الضعيفة يدعو الشعب الكثير القوي الى المساواة وهو غير مقتنع بها لما كانت دعوته بحجة ولا مقبولة

فأدعو المسلمين في جميع البلاد العثمانية الى ان يكونوا هم البادئين ببر غيرهم والاتفاق معهم واشترك الجميع في الأعمال التي توثق الرابطة العثمانية وتصر بها البلاد التي يتبع بعرانها الجميع ، بهذا تكون الامة العثمانية ، وتقر الدولة العلية ، وبهذا يقطع المسلمون ألسنة القادحين فيهم من الاوربيين ، ويكونون مهتدين في ذلك بهدي الدين المين ،

أدعو إلى هذا مذكرا بالاعتدال فيه ، لئلا يفضي التلويح فيه الى ضد ما يراد به ، بأن يعتقد الجمهور أن كرتهم بالدستور خاسرة ، أو انهم يسرون الدنيا بفجراب الآخرة ، فيحملهم ذلك على الشئان ، أو يدفعهم الى العدوان ، فعلى المرشد ان يكون حكما في نصحه ، مراعى لاستعداد الاكرين في هديه ،

وأذكر الجميع بأن الطفرة محال ، وان ما يحصل بالتدرج يكون أولى بالبقاء والثبات ، فإذا ترك أحد الفريقين للآخر ما كان يراه حقا له ، فلا يستعمل عليه بطلب سائر ما يراه من الحقوق لنفسه ، حتى التقاليد القديمة ، والعادات الراسخة ، فإن المصلح في القوم يدعو أبناء جنسه ودينه ووطنه الى ترك بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات ، وقيم على دعوته الحجة القوية والآيات اليقينية ، ثم لا يستجيب له قومه الا بالتدرج ، وأرى ان من الحكمة في تلافى الشذوذ والتقصير ، ان يبادر العقلاء والصحافيون من كل أهل دين الى انتقاد أهل دينهم ولو بالفن والسكوت عن غيرهم أو الاعتذار عنهم ولو بالتأويل ، هذا اذا كان الشذوذ صريحا في مناوأة أحد الفريقين الآخر ، والا اتفق الجميع على انتقاد المسي من حيث انه مسي ، من غير ذكر لدينه ومذهبه ، ولا اتهام قومه بمشايئهم له ،

(٢) انتقل بالقارئ من المسألة الدينية الى المسألة الجنسية ، فقد كان التعصب للجنس اشد خطرا على الدولة من التعصب للدين ، فان الشقاق الديني اذا كان قد جثم الأمة فيجعله نصفين ، فان الشقاق الجنسي يمزقه فيجعله أجزاء كثيرة ويصيب شره الجميع ، فالمسلم التركي ، يهادي المسلم العربي ، والنصراني اليوناني ، يهادي النصراني البلغاري ، وعلى ذلك فقس

لو بدأ بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية العربي او الكردي او الألباني او الأرمني أو الرومي او البلغاري لما سمعت للبادئ من هؤلاء دعوة ولما كان لها من الوقع والتأثير عشر مشار ما كان لمجاهدة التركي بها ، لان الترك هم اصحاب السلطة في الدولة فهم من هذه الجهة كالمسلمين من سائر الملل فلما قال احرارهم هلموا ايها ايها العثمانيون تترك التعصب للجنس ونشترك بقلب واحد لا يقصد به امتياز جنس على آخر لباهم الجميع حامدين شاكرين . فوجب ان نخضع الجنس التركي

بإثناء الحسن قبل ان تنامي او تنسي انا أجناس مختلفة . ولا بدع في جهر الترك بذلك فانهم كما صرحنا منذ بضع سنين أرقى العثمانيين تربية وتعلما ، واعلام أدبا وتهذبا (٣) بمدد كرسألي الدين والجنس اذ كرسينا من عمل الجمعية التي تلافت ضرورها وسعت مع غيرها لخبر العثمانيين كافة . ينضم العثمانيون الاحرار الى هذه الجمعية - جمعية الاتحاد والترقي - ويعمل الجميع لحفظ الدستور الذي نالوه بعد السعي الحثيث اليه حتي اندمجت الجمعيات فيها او كادت ، وتداججت معها كما أرادت ، وان هؤلاء الاحرار المتحدين في هذه الجمعية هم الذين يدبرون نظام المملكة الآن ، وقد ظهر من كفاءتهم واعتدالهم ما جعلهم موضع إعجاب الامم والدول الاوربية كما تنطق جرائدها بلغاتها المختلفة . وقد مر على اعلان الدستور شهر أو أكثر ولم يفلتا ان احدا انتقد على الجمعية عملا من الاعمال أو أدبا من الآداب على ان اوربا تراقبها مراقبة الناقد البصير الذي لا يحابي ولا يدهن حتي قلنا ان « مجلس المبعوثين » لا يرجي ان يكون خيرا منها في الادارة والاصلاح ، ولا أقرب الى العدل والانصاف ، .

ينحصر عمل الجمعية الآن في ثلاثة مقاصد (١) تطهير الدولة ملكيتها وعسكرتها من المفسدين الذين ناط بهم الاستبداد السابق أمورها (٢) تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري (٣) تحسين الصلات بين الدولة العلية ، وبين جميع الدول الاوربية ، لا سيما ذوات السبق الى الحرية كأنكلترا وفرنسا

اما تطهير الحكومة من رجس اعمال الاستبداد السابق فالمبادرة اليه من اهم الضروريات قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين وتلقي اليه الجمعية مقاليد السيطرة والمراقبة فانه ليمجز ان يعمل في عدة سنين ما تمهله هي في هذه الاشهر التي تقدم اجتماعه كما يظهر لنا من الطريق السوي الذي سارت عليه في ذلك . فقد بدأت بتطهير المايين والباب العالي ونظارة الحرية واكثر الولايات في وقت واحد . فأخرجت من المايين رؤساء الفتنة والفساد وعزلت السرعسكر رضا باشا وناظر الداخلية ممدوح باشا وسجنتهما مع تحسين باشا رئيس كتاب السلطان والشيخ أبي الهدي احد مستشاريه وفر من رؤساء المايين عزت باشا ونجيب باشا ملحه وسليم باشا ملحه الى اوربا . واخرجت من المايين اكثر المحجابين والكتاب والخلم

ومثلي الروايات وأجواق الموسيقىات من النساء وحددت نفقات السلطان وراتبه الشهري ونفقات قصره وجعلت جميع بطائنه من الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فأل الامر الى أن وضع هو على صدره شارة الجمعية وقال انه رئيسها وكثر العزل والنقل في المسكرات وهذا ضروري جدا لتكون الجمعية واثمة من القوة التي هي سياج الدستور وعماد الأمن . وكذا في الدوائر الملكية . ولما رأى كثير من الخائنين ان إخوانهم في الفساد والتخريب يمزلون بادروا الى الاستقالة فكثرت بذلك الاعمال التي ليس لها الآن عمال ، واختيار الابدال عسر جدا مع تجري الكفاء أصحاب النزاهة ، فلذلك نرى انه يجب على الجمعية ان قبيل من عمال الاستبداد من لم يعرف بالتجسس ولا بالرشوة ، وان كانت ممن جروا على مصافهة القوة ، وان تجري في ذلك على سنة التدريج فان في العجلة مفاصد كثيرة ، واما تقوية استعداد الامة للحكم الدستوري ومقت الاستبداد قد سارت الجمعية فيها على الطريقة المثلى بتأسيس شعب لها في كل مدينة يرتبطون باللجان العليا في الاستانة وسلاطيك وأوربا ، ويجعل الشعب على المظاهرات ونجريه على انقلب الحماسية في تسييح الحكومة السابقة حتى افراط بعض الناس في ذلك افراطا لا يحمده عاقبته ثم اننا نرى بعين البصيرة ونسمع من اخبار البلاد ان كثيرا من المناهقين اعوان الاستبداد السابق ومحبيه ينهقون على الدخول في شعب الجمعية تعززا بالقوة واكتسابا من السلطة ، لاحبا في الدستور وحرصا على الحرية ، ولكن قلما يبرقي هؤلاء بانفسهم الي ان يكونوا اعضاء عاملين في الجمعية ، كما صار يدعي كل من كان بطن في الدولة انه من الاحرار طلاب الدستور . ونرجو ان يوفق الاعضاء الصادقون الى تمحيص شوائب هؤلاء الاوشاب أو الى محققهم وتزكية الجمعية من فقاظم

هذا — وان في البلاد نوعا من جرائم الفساد لم ييلفتا ان الجمعية قررت إزالته على شدة خطره على الحرية . الا وهو عصابات الفساد من أشقياء الاهالي الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بشير الحق ويأوون الى بعض الوجها فيقتذونهم من الحكم بالرشوة حتى بلغ من استهاتهم بالحكومة في بعض البلاد ان زالت هيئتها من قلوبهم وصاروا يأتون المنكرات على رأى من شرطتها وهم آمنون مطمئنون

فيجب على الجمعية ان ترشد الحكام الاحرار الذين تقيمهم الآن الى نقب هؤلاء الاشقياء وتريتهم بالشدّة التي لا يطعمون معها في عودتهم الى مثل ما كانوا عليه في أيام الحكومة السابقة والا كانت قائمة الحرية للاشرار وغايتها على الابرار وأما المقصد الثالث من مقاصد الجمعية وهو مادة الدول الاوربية ، فقد كانت فيه احزم واحكم منها في سائر أعمالها الحسنة ، ولا نرى فيه شائبة نذكر بها الا الاحتراس من جفوة المانيا والنمسا والله الموفق فنتسأله حسن الختام

﴿ المجلس النيابي لمصر ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع من متار هذه السنة أن انكلترا عازمة على انشاء مجلس نيابي في مصر وقد تلقى جمهور المصريين هذا الخبر بالدهشة والاستغراب وعدوه مناقضا لما يستتج من سيرة المحتلين في مصر وتصريحات لورد كرومر في تقاريره وناظر خارجيتهم في مجلس النواب بلندره وكنا نظن ان حركة القبط التي شرحتها في الجزء الخامس مما يحمل الانكليز على لرجاء السماح بانشاء هذا المجلس الى أجل حتى جاءنا نبأ جديد من أبناء أوروبا السريعة العالمة بأن القوم لا يزالون على عزيمهم وان مجلس النواب المصري يوشك ان ينقذ في السنة القابلة

لا أقول ان كتابات القبط التي غابت على لندره لم يكن لها أثر فيها وانما أقول انه قد عارضها اعلان الدستور في الدولة العلية واضطرار حكومة بريطانيا لاظهار الرضا والابتهاج به وما اضطرها الى ذلك الاخلاق شعبيها وقاليدها القديمة الراسخة في حب الحرية ونصر الاحرار أيما كانوا وحيثما وجدوا فرأت وزارة الاحرار الانكليزية انه لا يلقى بها ان تظهر الميل الى الدستور في مكان والميل عنه في مكان آخر على ان الانكليز قوم يمارون الطبيعة ولا يقاومونها ويعملون في كل حال ما يرونه يليق بها ويوشك ان يكون لوفد المصري الذي سافر الى لندره بزعامة اسماعيل باشا أباطله تأثير حسن في المسألة فان انكلترا يصعب عليها أن تؤدي هذه الخدمة لمصر بطريقة يسهل فيها غمط حقها وانكار فضلها وإستاد عملها الى غيرها مع انه لا يمكن ان يتم في مصر أمر عظيم بدون رضاها ما دامت جيوشها محتلة فيها

كيف نستعمل الحرية (*)

أيها السادة الاحرار

وقفت غير مرة مثل هذا الموقف بعد اعلان الحرية ، وكنت في مواقف الأول أرسل القول إرسالاً ، لأن المواضيع متوفرة ، والشعور بالحال اطلق اللسان من عقائه ، وفكّ الافكار من أصفادها ، بعد أن لبثت مدة ترسفت فيها ، حتى كدنا نأيس من انتهائها ، مع علمنا بأن لكل بداية نهاية .

ولكنني الآن اتلو عليكم خطبتي تلاوة ، لأنني سئلت ان اكلم في موضوع لا اتعداه ، ومرتجل الكلام لا يستطيع حصره في موضوع واحد ، لأن الخطب الارتجالية حرة مثلكم ايها السادة فهي تأتي التقيّد ، وقد جعلت موضوع خطابي هذا « كيف نستعمل الحرية » لأننا اخرج الى هذا الموضوع الآن من سائر المواضيع خاص الخطباء في تعريف الحرية وحدودها ، حتى كادوا يضعون لها قيوداً ، ويخرجونها عما وُجدت له ، ولو كانت ذات شعور لمجيت كيف يحاول قبيدها طلقاؤها ، وكاد قوم بهذه النواحي يشوهون وجهها الجميل ، ويشوشون مفهومها المستين ، فظنوا ان الحرية تبيح للناس امتنان حكاهم ، وانتهي على صالحهم وطالحهم

سادتي : ان من يدفع عن مركزه بقوة ، انما يرجع اليه مثل القوة التي دفع بها ، فإذا كانت المظالم زحزحتا بقوتها الوحشية عن مكاننا ، فعن لا نرتكز في قطعة الا : ادفعنا تلك المظالم في صدرها ، وانجينا باللائمة على قائمين بها

الشعب الذي يفلو الحكم في ظلمه ، يجب ان يتطرق في الحرية متى نالها الحاكم المسترسل بالظلم ، الملوث بالرشوة ، لا يفقه من سكرة الاستبداد الا التفرج النظيع ، والتنديد الشديد ، فهو كالعضو المخدر ، لا يحس الا بالوخز المؤلم وربما لا يحس به

(*) خطبة من الخطب التي القاها في إحدى احتمالات الحرية يديروت السيد حسين وصفي رضا شقيق صاحب هذه المجلة (المنار)

كل هذا ايها الأخوان لازم بل واجب ، ولكن لا يسوغ ان نجعله ديناً لنا حتى كأنه هو المقصود بكلمة الحرية ، إذ أن نكون صرفنا الحرية عن معناها ، ولم نعرف كيف نستعملها ، وحاشا ثم حاشا ، وكلا ثم كلا

أيها الشعب السوري العظيم ، يا سلافة الفينيقيين الذين ادهشوا العالم ، الذين لم تهب سفنهم هجمات امواج المحيط الاعظم ، الذين ملأ ذكرهم بطون التواريخ ، اني أحبك واهش لك ، أحبك باسم الحرية ، واناديك بـ "ماضي" : انت أسى من أن تضع الحرية في غير موضعها ، وانت احق بها واهلها ، بل لما وجدت لتكون لك قبل كل البشر

الحرية هي تمتع الشخص بما لا يضر به سواء ، وصيانة الافراد من عبث الحاكمين ، وسهولة سلوك السبيل التي من شأنها إعلاء شأن الأمة ، وتبسيط ابناءها في الحضارة والعمران ، وعدم استكاثهم للظلم والهلوان ايح لنا القول ايها الاخوان ، فاسترسلنا في القول ، والقول مقدمة للعمل فيجب ان نعمل أيضا

وضح لانهج المعين الذي ارتوى منه الافرنج قبلنا ، فلا يحسن بنا ان نرتشف منه ارتشافاً ، بل يجب ان نبثله ابتلاعا اذا قدرنا أتيج لنا ان نعمل ما نشاء ، فلا يليق بنا ان نعمل ما من شأنه إضغاف قروانا ولإنهاك جسامنا ، بل يجب ان نعمل على ما يرفع شأننا ، ويجعلنا في مصاف الأمم الحية الراقية ، وبذلك نحسن استعمال الحرية

الجميعات هي اساس النجاح ، ودعائم الرقي ، فيجب ان نوّسس حيات ، لا يسوغ ان تكون جميعاتنا لطائفة من الناس ، لا يجوز ان تكون اسلامية أو مسيحية أو يهودية معها كانت وجهتها ، وأنى كان قصدها ، بل يجب أن تكون عثمانية بحتة ، اتم عثمانيون ايها الاخوان ، فيجب ان تكون جميعاتكم عثمانية ، الجامعة التي تنضمون تحت لوائها هي العثمانية ، فاجعلوها جميعاتكم كذلك تحسنوا استعمال الحرية عاشرت اثنين ايها الناس منذ بضع سنين اسمعها مشركين المسلمين والنصارى وانا لأن لا اعرف ان كانوا مسلمين او نصرانيين ويجب ان تكونوا اتم كذلك

ايضا ، يجب أن تتعارفوا بشمائيتكم لا بمذهبكم ونحلتكم ، أليس كذلك ؟ بلى بلى المدارس الوطنية هي كل ما نحتاجه الآن ، لنهض من كبوتنا ، ونقال من عثرتنا ، وليس عندنا الآن مدارس وطنية بالمعنى الذي أريده ، أريد بالوطنية التي تضم الفرق والنحل ، وتنشئ طلابها تنشئة واحدة ، غايتها اعلاء شأن الوطن ، ووقاية الحرية بالمهج والأرواح ، والمدارس هي بيت الجمعيات وبيتها فنى انشئت الجمعيات فقد أسست المدارس ، فانشأوا الجمعيات انشأوا الجمعيات تحسبوا استعمال الحرية الجرائد هي القوة الكبرى والمدرسة التهذيبية ، وهي ميزان اعمال الامة ، وعنوان حالها ، وهي المسيطر الرقيب على الحكومة بل ان رقابتها تتناول كل شيء ، وهي قائد الامة الى مواطن السعادة والهناء ، والصادقة بها عن معاطن البوار والشقاء ، فيجب ان ان تكثر الجرائد يبتنا ويم انتشارها وبذلك تحسن استعمال الحرية

الخطابة هي مدرسة الشعوب الثانية بعد الجرائد ، ولها من العوامل في التأثير الكبير ، ومن البواعث على العمل المفيد ، ما يرفع ويعلي ، وينتاش الأمم من الخضوض الاسفل ، وينيف بها على يقاع المجد والسودد ، واذا كانت الجرائد للقراء فقط فان الخطب يتناولها سمع القارئ والأني ، ويستفيد منها العامل والجاهل ، والنشيط والخلل ، والصانع ، والزارع ، بل هي لكل احد ، والخطابة الحرة وكانت ولا تزال من الدعائم التي يشاد عليها بناء التمدن الباهر ، ويرتفع بها صرح المجد الحقيقي ، فلنأبر المنابر !! لا تهملوا شأنها ، ارفعوا اعوادها ، ليرن صوت خطبتها ، ليهتفوا فلتتم الحرية ، فبذلك تحسن استعمال الحرية

التآلف بين الفرق والنحل هو الضامن الوحيد لبقاء وحدتنا ، واجتماع قوتنا ، والمحافظة على حريتنا ، وبه ترد عادية المظالم ، وتدفع غائلة الظالم ، وهو الذي يجعل مجموع أفراد الامة كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، كما ورد في الحديث الشريف ، فيجب ان تتآلف ، فيجب ان تتآلف ، يجب ان تتآلف ، لنحسن استعمال الحرية ، فليدم التآلف

ان استعمال الحرية يكون بالسير على النهج الذي أشرعته لكم أيها السادة ،

وثمة شؤون أخرى ، يضيق مثل هذا الموقف عن استيعابها ، ولنا من حزم رجالنا خبر
كفيل للسير على النهج السوي ، والطريق المبدى ، والأمل معقود على ان
يبنوها بالعمل لا بالقول

بقيت لي كلمة أراني ملجأ الى الجهر بها ، قبل نزولي عن هذا المنبر ، تلك
الكلمة هي إعلان استيائي واستياء العقلاء ، ممن يذهبون إلى أن الحرية منحة أو
هبة من شخص معلوم ، ان هذا القول لا يليق صدوره من الأحرار ، إنه كذب
وخيانة وفنق ، وليست هذه الخصال من الحرية في شيء ، ان الحرية هي حق
للشعب يسلبه منه بعض الظالمين سلباً ، فليلُ الشعب له انما هو استرداد لحقه
المتصّب منه ، وليس من الهبات والمنح ، الحرية ليست ملكاً للحاكم ولا لسلطان
فكيف يهب الانسان ما ليس بملك له

هذا واتي أشكر جيشنا الباسل سميح الكبير ، وعمله العظيم ، الذي خالف
به كل جيوش العالم ، منذ وجد الجيش وأسست الجندية ، فان الجيوش في كل
الدوار والأجيال ، كانت يدالظالم القوية ، يستعين بها على قتل روح الحرية ، ولا
أذهب بالاستشهاد بكم بعيداً أيها السادة ، بل ألفت انظاركم الى فظائع جيش العجم ،
ومنكرات جيش روسيا ، وكيف يمثلون بطلاّب الحرية أقبح تمثيل عملاً بإرادة
المستبدّين ، وتنفيذاً لمقاصد الظالمين ، طيبت المستبدّون ، وليسحق الظالمون

وأشكر أيضاً لرجال جمعية الاتحاد والترقي العثماني ، ولكل رجال الإصلاح
الذين وقفوا حياتهم ، وخاطروا بأرواحهم ، في سبيل استرجاع الحرية ، وأصرّح
بأن جمعيتهم قامت بما لم تقم به جمعية في العالم منذ أسست الجمعيات ، فانها كانت
سيا في إحياء شعب بأسره ، لأن الشعب المستعبد هو والميت شرع ، هذا مع
اعترافي بما للجمعيات من الأثر الحمود في خدمة النوع الانساني

واسأل الله أن يوفقنا للسير على ما يلي شأن أمتنا ، ويرفع مقام دولتنا ، ويحفظ
علينا نعمة الحرية ما دامت السموات والأرض ، اه

(المترج) جاءنا من بيروت ان الجمع المحتفل قد صفق للخطيب صفيقاً شديداً
وهف بالدعاء له وللتلو حثاثاً كثيراً ،

الفصل الحادى عشر (*)

(الحب الشريف)

إن أشرف السير سير أهل الفضيلة وما الفضيلة الا من خصائص
النفس فمن كان من عشاق الفضائل حسن به أن لا تقتر نظرات بصيرته
الى النفس فهي مستقر الخوارق ، ومستودع العجائب
النفس على الآيات الكبر ، ومبرط القيوضات العلى ، والمرآة العظمى
التي ينكشف بها الازل والأبد ، والمطبعة العظمى التي ترسم بها الاشياء
وتسكثر الصور ،

هي السلك الممدود بين مبدع الطباع ، ومقيم الشرائع ، وبين
الجواهر المتألفة الصامته ، والظواهر المسخرة المطيعة ، فهي خليفة طيباء
واقفة على خطواتها ، مشرفة على حركاتها ، وهي مجنوبة من طرف اليها
بجاذبية الانس والعادة ، ومجنوبة من طرف آخر الى مصدر بوارتها
بجاذبية الحب والشوق ، فبأنجذاب النفس الى الظواهر تأخذ الظواهر
حفظها من الانكشاف ، وبأنجذاب النفس الى مانع الظهور تأخذ النفس
حفظها من الشهود والاشراف ، فيحق لها في الحالتين أن تمتد بما ميزها
به فاطرها تباركت عظمت ، وتعالى شأنه ،

أعظم خصائص النفس الحب والبغض بل ان هاتين الطيبتين
المتضادتين أعظم زواميس الا وكران لوجودات كلها ، لكن اختلفت

المحبات ، وتباينت الاشواق ، وأوتيت النفس الانسانية أعظم نصيب من هاتين الطبيعتين لاتساع المحيط الذى تدور فيه ، ولاتعالمها بعالم الحس وعالم الغيب ، وتردها بالانجذاب بينهما في ان وقتت يوماً مع الظواهر أنست بها ففشتها لما رش عليها مبدعها من الحسن الذى هو وصفه ، وان ارتفعت الى المبدع دهشت فتولمت فتدلت لما هنالك من المجالى الازلية التى تطير السرائر شوقاً الى التمتع بها

الفضائل والذائل ، الخيرات والشرور ، الحزن والسرور ، الرغبة والرغبة ، الاقدام والاحجام ، الكسل والنشاط ، الارتفاع والهبوط ، كل ذلك من مبتدعات الحب والبنفس وآثارهما . وكل درجة من هذه الاشياء قائما هي على مقاييسهما ، هما بالاختصار ركننا السعادة والشقاء ، فمن هدى الى تصرفيهما والجري بهما على سنة مثلى قد أهديت اليه السعادة وأوتي بالحب الشريف والبنفس الشريف حظاً من الخير عظيم



كانت السيدة « خديجة » ذات قاب طاهر والقلب الطاهر مركز الحب الشريف فاذا أحببت سيدتنا هذه كان قلبها تواقاً الى معالي الامور ، عظيم الشنف بحسن الاخلاق ، وقد أمد الله فطرتها امداداً عظيماً فوفيت معرفتها بالمكارم ، وعظم علمها بأن الفضائل هي التى تليق بالانسان سواء وقتت نفسه مع هذه المحسوسات أم أرادت أن تتدرج في زمرة عشاق المجالى الازلية

عرفت هذه السيدة صلة النفس الانسانية بمن منه انشقت أسرارها ،

وانفتحت أوارها، فكان لها تشوف الى جود عظيم يفيض عليها من العناية الربانية، كما هو شأن ذوي السرائر الصافية، وحصل لها من هذه الحالة الطيبة قوة فراسة والفراسة نور فكانت تهتدي بها فيما هي حائمة الروح عليه من الفضائل، ومن أحب شيئاً أحب أهله من أجله، فلما عرفت ابن عبد الله ووجدت فيه ما يمشق من المزايا العلية، انتشرت حبة من تلك الحبة الشريفة التي كانت بها تنشد المكارم فوقت في محل من قلبها لتنبئ شوقاً الى هذا الرجل الصالح الذي ألفت المكارم كلها لديه، وأيقنت ان معرفتها هذا السعيد بمزاياه العظيمة هو أعظم الآثار التي كانت تشوف اليها من لدن العناية المرجوة .

الآن وجدت حجة الفضائل والحمد أعظم من تعجلى الفضائل والحمد فيه فكيف ينفر منه قلبها؟ بل كيف لا يعجل اليه فؤادها؟ فالأمانة هو ذلك الشهير فيها وقد سبرته في متجربها فربحت بواسطته أضيافاً، والشجاعة هو المنشأ فيها على يد عظيم الهمة أي طالب، والنباهة هو الذي تسطم في حياه طوالها، والحكمة هو الذي تقرأ في سياه آياتها، والعفة هو ربها، والمروءة هو مجمع شواردها، ومحاسن الخلقة هو النسخة الصحيحة منها، فأني الفضل تنشد بمد هذا محبة الفضل، وأي الحمد تريد بمد هذه مريدة الحمد؟ كمال خلق وكمال خلق، جمال شخص وجمال نفس، حنكة لم يظفر بمثلا أقرانه من الشبان، ووقار لم يحظ بأقله الكبار، وهمه لا تقف أمامها الصعاب، وعزيمة لا تني أمام الثقال، قوي شديد، حليم رشيد، كما يقول فيه عمه أبو طالب وهو به جدير:

فن مثله في الناس أي مؤمل اذا قاسه الحكماء عند التفاضل؟

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها عنه ليس بغافل
 لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يني بقول الا باطل
 فأصبح فينا أحمد في أرومة مقصر عنه سورة المتطاول
 فما أكثر فحطة السيدة « خديجة » اذ عرفت هذا السيد الجليل، وما
 كان أجدرها بأن يتلقى قلبها الطاهر به، وما أقوى نور فراستها اذ علمت
 انه لا نظير له، وان سماعتها لا تتم الا به، وما أحقها ان تقسم القرصة وتسبق
 الى زوج هذا الشريف الذي جمع الى شرف النسب شرف الخلال

الفصل الثاني عشر

تناؤل هذا وقت

كانت الكهانة شائعة في ذلك الزمان كما هو شأنها في كل الازمنة
 الى زماننا هذا وكان علماء التوراة يثبتون دائما بظهور نبي متظر وبعضهم
 كان يقول انه سيظهر من العرب . والراهب بحيرا تفرس بابن أخي أبي
 طالب اذ كان معه صغيراً وقال له: سيكون لابن أخيك هذا شأن : ولم
 يكن بعيداً عن المألوف أن يخبر بعض الناس بالمفنيات ولكن لم يكونوا
 يصدقون كل شيء من هذا القليل ولا يكذبون كل شيء كما هو الشأن
 في أهل زماننا أيضاً

وقد كثر التكنن قليل ظهور النبي (ص) ولكن أكثر الناس لم
 يكونوا يبالون بتلك الاخبار لانهم تعودوا أن يروا شيئاً من كذب
 الكهانة مع مصادفة صدقها أحياناً فلم تكن الثقة بها في الحقيقة عامة
 ولا سبباً في الامور العظيمة

وبينما نساء من قريش مجتمعات في عيد لمن في الجاهلية اذ تمثل لمن رجل فلما قرب نادى بأعلا صوته : يا نساء أهل مكة سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد فمن استطاع منكن أن تكون زوجا له فلتفعل . فكذبته ورمينه بالحصى وكانت فيهن « خديجة » فلم ترمه كما رمينه

لم يكن هذا النبيء كاهنا معروفا فلذلك احتقره النساء لانهن لا يمانن في الثأب الا بالهل الشجرة . ولكن كان قومن يستقدون بالمأف وهو على اعتقادهم روح ينطق بالنبي من حيث لا يرى أو تمثل بصورة بشرية فيقول قولاً من هذا القبيل ثم يئيب فكان السيدة « خديجة » اعتقدت ان هذا المنادي هاتف فلم ترمه كما رماه ترائبها ولعلها صدقت اذ ذاك وتماثلت خيراً ووجت أن تكون صاحبة هذا الحظ

وان صبح غلتنا هذا بالسيدة كان لنا دليل جديد على عظيم نطقها الى بركات الجنب القدسي فان الرغبة في ترويج النتم عليهم بالنبوة لا تعظم الا من العارفة بذلك الجنب الاعلى الذي يفضل بخلة النبوة على من يشاء . كانت النبوة معروفة عند قومها بما سمعوه من أخبار أنبياء جيرانهم نبي اسرائيل ومعروف ان النبي رجل كالرجال ولكن يصعق به الله ويرفع درجة نفسه على حرجات سائر نفوس البشر حتى يطلعه على مالم يطلع عليه أحدا من أسرار عالم الغيب ، وليست النبوة ملكاً أو حظوظاً زائدة من نعم الدنيا بل جل الانبياء الذين سلفوا كانوا مقلين ولم يكن عظمهم الا مقاومة الناس ايامهم وتذريهم . والنساء اتما يريغن بالنعيم والرفاهية ورغد العيش وكثرة الحلل والحلي وكل هذا لا يريجن لهي الانبياء الذين تصرف

أنظارهم عن متاع النور و يلتفتون الى ما فيه غبطة الروح فلا تصور السعادة من النساء عند الانبياء الا اللاتي أنعم الله عليهن بسلامة الفطرة وقوة الاستعداد كالسيدة «خديجة»

ولما رجع عندها «ميسرة» من الشام في تلك السفرة التي ذهب بها مع الهاشمي «محمد» أخبرها بأحوال غريبة رآها منه لا يكون أمثالها الا لمن سمعت أخبارهم من الصالحين المباركين فابث أن رن في قلبها صدى ذلك الصوت الذي سمعته بأذنها، صوت ذلك المنادي في النساء المجتمعات اللاتي كانت معهن في العيد. وكان هذا الصدى الذي رن في قلبها تألف منه هذه الكلمات :

«تقاؤل هذا وقته»

الفصل الثالث عشر

الخواطر في قلب «خديجة»

كانت «خديجة» تعرف أن ليست النبوة بالكسب والاجتهاد وانما هي محض عطاء واختصاص من الحي الازلي الدائم ولكن كانت تعيد على خواطرها ما حكاها لها عندها «ميسرة» ويرن على أثره ذلك الصدى في قلبها فتقول في نفسها أي مانع يمنع رجائي بفضل الله بأن أكون صاحبة الحظ من الرجل المبارك الذي أنبأ به الهاتف ؟ أي مانع يمنع فضل الله عن قومي اذا أراد أن يخرج منهم ذلك الانسان الذي يقول عنه علماء التوراة وكان لها ابن عم من جملة علماء هذا الكتاب

ثم اذا مرّ بقلبها خاطر آخرية طم عليها هذه الآمال ونهاها عن هذه الاحلام - التي كانت تراها في اليقظة - ترجع الى الشيء المحقق الذي لا ينازع فيه خاطر ولا يماري فيه حجبى وهو ما يحلى به ابن عبد الله من صفات الكمال، فتتمثل في فكرها تلك الطلعة السنية ويلمع أمامها برق من تلك العينين الدعجاوين، وتتنسى الشمس وسائر الدراري حين تذكر دائرة ذلك الوجه المتألق، ويقوى إيمانها بالملائكة اذ ترى في هذا الشخص البشري آيات القدس والطهارة، فتقول في نفسها أفلس حسبي أن أكون ربة النصيب من فتى قریش الوحيد الذي كله الله ان لم أكن صاحبة الحظ من الصالح الذي أنبأ به الهاتف

ثم تتراجع اليها الخواطر ويقلبها ذلك الحب الشريف الذي نمت حبه في قلبها على ضروب من الحيرة فتقول في نفسها مرة أخرى: من لي بهذا المكمل الذي مال اليه قلبي، وحامت حوله خواطري، وعكفت في دائرة محاسنه نفسي، أليست تمنع الماديات بأن أكون أنا الخاطبة؟ أف للماديات ما أثقل أحكامها، وما أظلم قضاءها، وما أشد عتمة مسالكها، وما أسوأ عواقب الجود عليها، وما أنجس صفقة الذين لا يتزحزون عنها، نعم نعم أف للماديات فكم أوقفت بعض الاجيال في سجون ضيقة مظلمة من التقليد الضار، وحجبت عنهم أنوار التبصر والتدبر والتفكير، فانطمست عليهم سبل الارتقاء في معارج الاستحسان والتحسين، وغمت عليهم مطالب السعادة الحقيقية للنفوس

أف ثم أف للماديات فهي قاطمة الطريق على نتائج العقول تزج بها في صهاوي المدم، أو تنذرها في سجن أقتر ممنوعاً عنها كل ما يربها، وما يحياها

لبنى آدم الذين يضعون المادة في هذا المكان من الحكم على قوسهم والقضاء على قلوبهم وقلوبهم أليس لهم ما يند كرم بأن المادة من صنعة أيديهم وتصوير أحلامهم أليس لهم ما يصرم بأن المادة يجب ان تكون تابعة لامتبوعة، ومنقادة لاقائدة، حتى اذا تفتت أمام بصائرهم أبواب أخرلا هو خير ودعوا عاينهم تلك محودة على قدر ما تفتت، ومذمومة على مبلغ ما اضرت، واستقبلوا أخرى مصاحيبها على مقدار ما يدوم من أسبابها، ونفع من أبوابها

تبرمت « خديجة » بالمادة كثيراً وتأقت من قلبها طويلاً، وسردت كل سيئات الجلود عليها في نفسها التي هي أعلى من قوس الناقلين عن المقدمات والنتائج، لما خصها الله من سلامة الفطرة، وفضل القطنة وقوة آلة المعرفة، ومزيد حرارة الهمة،

ثم عادت لتعثر الضعفاء الذين لا يستطيعون التغلب على الثابت الراسخ وهم الا كثرون وقد ذكرت أسباب رسوخ بعض الماديات ومنها وفرة فوائدها في أوقات سلفت، وأحوال مضت، وورأت ان الناس يرون من السالفين كل شيء ولا يميلون الى التنوير حتى يميل بهم الدهر ميلاً شديدة على ينحاصف من الحوادث، أو هبة شديدة من إرادة بعض الاشخاص، وكما دكت الارادات القوية أطوداً من الماديات

ربما كانت هذه السيدة تستطيع التغلب على المادة فلا تجد بأساً بأن تخطبه بنفسها لانها كانت قوية الارادة. ولكن من لها بأنه لا يرد خطيبتها وهي أرملة في الاربعين من العمر، وهو في الخامسة والشرين يشف عياه عن ماء الفتوة، وينشر شذى الشباب، والمرأة مها قومت ارادتها تذكر

الخشية فيطلب احجامها اقدامها وهذا بعض أسباب العادة في أن تكون هي المخطوبة

ما أصعب الخواطر على المرأة التي تجدد ضالتها من السعادة ولا تستطيع الاقدام على تمصيلها هي صعبة على الرجل أيضا ولكنها على المرأة أصعب لانها أضف على كل حال . بيد ان ضعفها الذي زينها الله به في عين الرجل به تمت نعمتها وطلت كرامتها لديه . بقوة الخفر والحياء من ضعفها ، وذلك أعظم حلية طبيعية تزدان بها ، ومن عطل من هذه الحلية منهن رغب عنها الكرام من الرجال . وشدة الرحمة من ضعفها وما أعلی وأجل وأزين هذا الضعف الذي بدونه تمت المرأة . والجين من ضعفها ولولا ملاحصل الاعتدال في اقتسام الاعمال بينها وبين الرجل

فماذا تصنع قوة ارادة السيدة « خديجة » أمام شدة خفرها وحياتها ، وماذا تنفع شجاعها أمام خشيتها من الخشية ، وماذا تجدي قوة عزيمتها وصبرها عند المزيجات من خواطر الحب الشريف الذي ملا قلبها الطاهر بمدان كان حبة صغيرة أقيت فيه

الهم رحماك فليست القلوب من حديد ، ولم تقد من صخر ، ان نسيم الخواطر فيها يصدع ان جاءها برائحة الياس ، ويرأب ان أتاه برائحة الرجاء ، وكذلك كانت خواطر السيدة « خديجة » صادعة ورابطة ، بيد ان رجاءها كان أغلب ، ولو كشف لها النطاء عما يحف بها من السعادة المنية عنها اذ ذاك لا قلب رجاؤها يقينا . ولكن لتستكمل النرائز حظها من النفوس كتب على الانسان ان يقرب عنه آتية من السعادة والشقاء فترى منحوسا يضحك ويلعب والشقاء يساوره عما تحرب يأخذه يائسا أو يصبحه وساء

صباحاً . وترى مسموداً يتلجلج ويمسي ويصبح على مضاجع الحيرة والارق
واجماً سادماً والسعادة من حوله مرفرفة بأجنحتها ستقف مما قريب على
رأسه وتشمله وتبارك بها يته

فما أشد حاجة هذه السيدة السعيدة في مواقف حيرتها تلك الى
هاتف يشرها يقرب اتصال السعادة التامة بها . ما أشد حاجتها الى من ينبشها
بأنها هي الجوهرة النفيسة التي أعتدت لذلك الذي ميزته العناية الازلية
أكل تميز . ولكن ليظهر مزيد فضلها في الليل الى رب الفضائل والمكالم
التي لا تباري حجب عنها كل هاتف وحبست عنها البشري حتى أخذت
الخواطر حفظها من قلبها الكريم وتمكن منه كل التمكن ذلك الحب الشريف
لذلك الذي أجمت فيما بعد قلوب الملايين التي لا تحصى على حبه

الفصل الرابع عشر

الزواج

لا بدع اذا قلب الشوق نفوس المحبين في يد الخواطر كالكرة بيد
اللاعب فان قوام الكائنات بشوق ذراتها بعضها الى بعض وكان جديراً
أن يتجلى هذا المعنى بزيادة في غريزة خليفة الله في الارض لنفي الانسان .
كيلا يكون بنو آدم وحواء أقص من الجمادات حظا في هذا التاموس
الكبير القاندة .

فبعد أن تمكن من « خديجة » الشوق الشريف هذا التمكن أصبحت
جديرة ان تتناول هدية سعادتها ، وتكشف لها الحب عن الرحمة التي

ترهاها ، فهبط على قلبها خاطر جديد كان به الوصول الى النعمة الجديدة
خطر لها ان تبعث الى الذي سكنت مكارمه ومعاليه فؤاده رسولاً
تسبر به رغبته وتستنيء به سعداها مما ينزل على قلبه من الالهام بهذا الشأن
وساقها الى هذا الخاطر قوة رجائها بالله سبحانه وحسن ظنها بأن هذا
المكمل لا يرد رغبة مثلها وهي الجامعة لصنوف من المعالي يقل اجتماعها
في سواها

كانت لها صديقة اسمها «نفيسة» (وهي أخت يعلى بن أمية) فقصت
عليها حديثها واثمنتها على هذه الرسالة ولم يكن بالصعب أن تؤدي الصديقة
هذه الامانة لانها ستتكلم كأنها صاحبة رأي تشير به حتى اذا وجدت
مجالا كانت وكيلة بإبداء القبول

لم تكن النسوة اذ ذاك محتجبات ولم يكن ممنوعات من مكالمه الرجال
فلم تكن رسول «خديجة» محتاجة الا لشئ من قوة الجنان أمام ذلك المهيّب
العظيم وقد أمدت من سعد مرسلتها بحظ منه

ومن يكن راعيه السعد فقل ماشئت في تيسير ما يرجوه

جاءت «نفيسة» هذه ابن عبدالله وفي القبيلة الواحدة يعرف الناس
بعضهم بعضاً فقالت له ما ينعمك أن تزوج فاعتذر لها بقله المال اللازم للقيام
بشؤون العائلة قالت له فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاة قال
لها «ومن؟» قالت له «خديجة»

قالت هذه الكلمة وصمتت تنتظر ما سيبدو منه وأحدث هذا الكلام
حركة في فؤاده وبأي شي يتحدث ذلك النواد الطاهر حينئذ الا بقوله :
خديجة الشريفة المعروفة بالطاهرة ، هي المناسبة ، هي الموافقة ، هي الصالحة

اذهي يا نفيسة فاني سأخطبها

فرجعت تحمل هذه البشري وكانت ميمونة النفيسة في هذه الرسالة
فالله يعلم كيف أجزلت السيدة خديجة كرامتها ولم تنتظر كثيراً حتى أتى
خاطباً ومعه عمه حمزة فقال عمها عمرو بن أسد بن عبدالمزي « هو الفحل
لا يقدر أنه » وهو مثل عربي يقال للكفو الذي لا يزد أن خطب
ما كان هذا الخاطب الكفو غنياً اذ ذلك ولكنه لم يكن أيضاً معدماً
فهو من آل عبد المطلب العاصرة بيوتهم بقرى الضيفان واغائة الهفان في
هذا السبيل تذهب أموالهم ثم يخلف الله عليهم من وجوه المكاسب
وأبواب الماربع بما أوتوا من الهمم والشم ولم يكن اعتذاره ذلك اعتذار
المعدمين وإنما هو اعتذار المتربص أن يتوفر له مقدار أكبر . فمع قلة ماله
في ذلك الحين أسدقها عشرين بكرة لأن اعطاء الرجل للمرأة صداقاً سنة
عربية لم يكن ليحسن تركها

والزواج العربي ليس محتاجاً الى رؤساء ديانات، ولا تلاوة الرؤساء
صلوات، بل هو عقد كسائر العقود المدنية يتوثق برضا المرأة وأوليائها
ورضا الرجل، فبخطبة من الرجل وتقديمه الصداق واجابة من المرأة
وأوليائها تصبح المرأة زوجة شرعية للخاطب . وهكذا أصبحت
« خديجة » الطاهرة زوجة « محمد » الامين بكلمة أعطها عمها عمرو بن
أسد فما أعظمها من كلمة جمعت بين القمرين ا

المسحاة

١٣١٥

فبعض جاهدى الذين يتسمون بالقول فيبسون أحسنه
أولئك الذين مداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

في هذه المسحاة من يشاهد من يؤثرت الحكمة هذا أوتي
غدا كبيرا ، ما يفسر الأولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سموى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٦ — ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٨ ﴾

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتحنأ هذالباب لآجأة أسئلة المشتركن خاصة ، اذلا يسم أناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه ويده وعمله (وخطبته) وله بعد ذلك أن يرمر إلى اسمه بالحروف أن شاءه وانأذكر الأسئلة بالتدرج غالباً وروما قد منأنا خرا السبب كعاجة الناس إلى بيان موضوعه وروما أجنبنا غير مشترك لثمل هذا . ولمن يعفي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة قل لم تذكره كان لاعطى صبح لا عقاله

❖ أسئلة من روسيا ❖

(س ١٢ - ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم ما يأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنبأ وان كان في صورة الانتقاد وهو : اني قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الفراء في قسم التفسير عند قوله تعالى « ويطعمون الطعام » الآية حديثاً طويلاً مروياً عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد رأيت في (نوادير الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المتكررات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يمدونه صدق الحديث بعد ماساق الحديث الي آخره : هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل يعض على شفتيه تلهفا الا يكون بهذه الصفة ولا يدري ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم « ويسألونك

ماذا ينتقون قل المعوق وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قل صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الأزواج الثقة لا هاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنى بالمرء إنما ان يضع بما يقوت» أفحسب عاقل أن عليا رضي الله عنه جعل هذا الامر حتى اجهد صيانا صفارا من ابناء خمس اوست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به من الجهد ؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يعمل على اطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ هذا ما ذكره الحكم الترمذي في وجه التنكير الا ان المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم يتبين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترفع الشبهة .

٢ الفونفراف—وقد رأيت أيضا في هذا الجزء في قسم الفتاوى سؤالا يتعلق بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على من سمع آية السجدة منه ؟ وان شخصا لو شهد بواسطة الفونفراف أو أودع الوصية فيه هل قبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا ؟ واني أظن ان السجدة فجب على السامع اذ هو كالاستماع عن انسان وانما الفونفراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التلغون والفونفراف حتى اننا لو سمعنا صوتا معروفا لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا نشبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم .

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون بالجلود وفيها جلود ميتة غير مذبوحة وجلود غير مذكاة وانهم يسلون عنها ويستمتون ماحكمها الشرعي وروما تكون المعاملة بين المسلمين بالطاعة القرغزية فاحكم ذلك شرعا؟ هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل كسئلة الرابثلا هذه المعاملة بما تم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجا ان شاء الله تعالى

٤ الامامة — ان رجلا قطعت احدى رجليه من فوق السكبه وله قدم صناعية

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القدم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في إمامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يتدفع الاختلاف بيننا

٥ النسخ — هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلاف فيه ام هو مسألة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة التاسخ والمنسوخ وهو يقول ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال بعدم اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ما ذكره عن أبي ما يزيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسألة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث نعه خلافا في المذهب فبعضا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين النبي والمعتزلي فيما أعلم والله أعلم. وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ مطلقا وقيل لم ينكر وقوعه وانما سباه تخصيصا فلي هذا يصبر انتزاع لفظيا والله أعلم. والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما فضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوتاري

الجواب عن اثر علي وآله عليهم السلام

إننا قد ذكرنا ذلك الاثر في الاثر لاجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « وروى » ولم تثبت في تفسير الآية بل وعدنا بذلك في تفسير

سورة الانسان ان أنسا الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الر واية والمسألة . وما قاله الحكيم الترمذي بعضه وجيه مقبول ، وبعضه متقد مردود ، والإيثار مرتبة ورامرتبة تقديم الانسان نفسه على من يجب نفقتهم عليه من أهل وولد ، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصعابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله (٩: ٥٩) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقد حررنا هذا المبحث في المجلد الثاني من المار (راجع ص ١١ و ١٧ منه) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما على الإيثار ان صح الاتر من طريق الرواية بنصها او مبالغة فيها ولا حاجة الى التلويل في ذلك فالخطب فيه سهل

الجواب عن مسائل الفوتوفراف

اتما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الآمرة بالسجود او الرغبة فيه لإظهار الخضوع والامثال ومن سماع القرآن من الفوتوفراف صدق عليه انه سماع القرآن فالظاهر انه يشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه . ولما عبرنا يشرع دون يجب لا تاترى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الاحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

وما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها ممن صدرت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة الفوتوفراف مثلاً كانت ينة شرعية صحيحة لان الينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن اقيم وذكرناه في المنار من قبل

الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا اتفتم بمجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلاً استنتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلود او ما لم يدغم منه كما في القاموس . ولفظ احمد وسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدتبتموه فاتفتم

به « قالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الانتفاع وليس فيه حصر وفي لفظ لاحد : ان داجنا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا انتفعتم باهابها ألا دبستموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة . ولا ينافي هذا جواز الانتفاع بالاهاب غير المدبوغ كالتدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابوداود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجرّون شاة لهم مثل الحمار فقال « لو أخذتم اهابها » قالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اكتشفوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والانتفاع به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الانتفاع بها . وحديث « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعلّ بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فانها مما يؤكل فسدت الذرية اليه . وامثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدعاة القسوة والكبر هذا وان المراد بالنزّه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقدار وما فيها من الهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل الفؤنة والرطوبة التي يثخن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشتركون جلود الميتة لا يتركونها بنير دباغ ولا معالجة حتى تفسد عليهم بل يعالجونها حتى يتنفخوا بها فالذي أراه وأعتقد ان التجارة بهذه الجلود جائز شرعا لا إثم فيه ولا حرج . وإذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخالفين لا يكفون العمل بفروع الشريعة وعليه الخفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في الماملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

الجواب عن مسألة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي بأعمال الصلاة كلها تامة

وحينئذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدى رجليه من الخشب وهذا لا يصلح مانعا من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام بصلي جالسا المرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلاته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلاته للضرورة ولا تصح إمامته كالذي لا يحسن الفاتحة لم يستثنى من ذهب احد اعضائه فانخذله بدلا من معدن او خشب لهذا الأرى وجها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر انني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى (٢ : ١٠٠) ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها) والآية في اللغة العلامة والعبارة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق ، والنسخ في اصل اللغة نقل كتاب عن كتابه وجعل الزخشي في الاساس قولهم : نسخت الشمس الظل من الجاز والمغنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء عوائقي تحويل لعينه . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وائمة الفقه واصطلاح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع الخلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتاج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص والمروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق امندي صديقي والشيخ صالح اليافعي فقد ماتتحي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كابدنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صديقي فأمسكتا عن اتمام ما شرعنا فيه

﴿ التمييز عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبعث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليحيب عنه في النار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل وقد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لائقين لهذا المقام أقدم لابلنكم أوفر التحيات وأزكى السلامة والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلمية وتقوية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركننا منبعنا للورثة المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ لما ينيي وينكم من المودة الایمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعتراني من البدع والخرافات الباطلة والله الحمد فقد رأيت الفائدة فله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي ينما كنت انظر في فئس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلم « من الجنة والناس يان للذي يوسوس او يان للوسواس الخناس فالموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أنرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فينتم حضرتكم بان الجن خلق مستترون لا نعرفهم فهل المراد لانعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من مارج من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان مسرى الدم كما كان يسري في الآلهة لمعبودهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بحقائق غير

حافظنا وانهم يقدرّون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلتم « وانما نجد في أنفسنا أترا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جعلتم هذا الاثر للشيطان الذي قلتم عنه بانه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكأن هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فكبّرت فلعنّها الله وقالت « انظري الى يوم يعثون * فلاغوينهم اجمعين » وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يهدم الشيطان — اي القوة — الا غورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله (واذ صرفنا اليك قرا من الجن يستمعون القرآن) الخ قل (أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قوس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لاقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكرتي مشتتة الآن مع بيان كيف حقيقة الجن وكيف كان خطاب المصطفى لم تأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجن مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه

محمود فهمي

باشمهندس ري مديرية الدقهلية

(ج) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المسترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك أخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجن خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن (١: ٧٦) قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

يرم حين سمعوا منه القرآن فأمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان جبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وانما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦: ٢٩) واذا صرفنا اليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن) واذا صح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالمتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة وانما صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسوله على بعض غيبه وذلك خصوصية لم كما قال في سورة الجن (٧٢: ٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احد ٢٧ الامن ارتضى من رسول) الخ

وكذلك حديث صفة عند الشيخين وغيرها « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر « جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي » وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧: ٢٧) انه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجان لأدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجان

واما تعبيره عنهم بالقوى فقد كنا قلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لحاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واننا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه اللهواحسن مثواه ونمیز ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ﴿ ٢٧ ﴾ وهالك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي تقف عنده ولا نزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصفاء

٥٨٨ كون الملائكة والشياطين أرواحاً - الوسوسة والإلهام (المارج ٨ م ١١)

لكل صنف عظيمة وعمل وتقول الآن ان الهمام الخبير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندنا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محلله الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا (لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا قائما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل الآيات الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سبقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في المحدثين وكون عمر منهم . والمحدثون المبهمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو د للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشياطين فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نفعه مرفوعاً الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ايعاد في الموضوعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضوعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد اغلبي فيما يظهر والافهوغير صحيح والمة بالفتح الالهام والاصابة

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إيمان بات وخلفة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه إيمان الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفحه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجادها قائما قوامه

(النتائج ١١٨) الجزم بوجود قوة خفية والاختلاف في تسميتها ورأي الفزالي ٥٨٩

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني اتقوى الطبيعة ﴿ إذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامراتاب الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعقل أن ينكره وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبعياً لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعقل من لا تحجبه الاسماء عن المسيات ﴿ وإن كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ولا يصل بقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أثره ، وإن كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسبته قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يعد ان يسميه الله تعالى ملكاً ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حبر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان نافذ والعلم الواسع ؟

وأقول ان الامام الفزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومما اختلفت

٥٩٠ تدير الأرض منذ خلقها . تسخير القوى للانسان ماعدا واحدة (الطارح ١١٨)

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فها استنارت حيطان اليت بنور النار وأظلم سقته بالمدخان عمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سين مختلفان فبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللفظ الذي يتبأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتبأ به لقبول الشر يسمى اغواء وخلافا فان المعاني المختلفة تحتاج الى اسمي مختلفة . اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء ثم قال الامتد الامام مامعناه: فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به ﴿ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لانه أكل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي ﴿ لزها الله بهذا العالم زلزا وهي التي تميل بانستعد للكمال أو الكامل الى النقص وتعارض مد الوجود تردده الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي ﴿ تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تم بها خلافة فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي ضلت آثارها قوما فرغموا ان في العالم إلها يسمى إليه الشر ما هي باله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته إلا هو ﴿

(قال الاستاذ الامام) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجب في الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحيط بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشدين في الدين اذ يغفرون من هذه المعاني كما يغفر المرضى أو المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تثبت أولئك المرضى أو المخدجون بأضر طعام يفسد الاجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آراه في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له فإذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك الدين ، أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ،

ولا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون اذعانا ، ولا يكون كذلك حتي يستسلم الوجدان ، وتخضع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتي يلقى الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سبيله . ولا يعرف أهل الغفلة . لو ان مسكينا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء واذا ربهما لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الاجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بحرم آخر ككيف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قايمة التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسب يريد وكيف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقد من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقدة ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعدشكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يمد مثله ممن آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بإيمانه نفسه ، وأدعن له قلبه ، ولم يبق لوجهه سلاح ينازع به عنه ، كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذي وقر فيها تقاليد حفت بالمخاوف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشرق في نفوسهم ذلك .

السر الذي يعبر عنه بالنور الالهي والضياء الملوكوتي والألأء القدسي أوما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لتفوسهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكن حل أعين بصائرهم بنظرة الى مطلع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون الا وجهه الكريم ، وان ما كُف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه الا ما أعلى بذكره منزله ، ولا الخسيس الا ما يئن لنا بالنظر الى الاول نسبه ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شي . أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لا أطلقوا لانفسهم ان نجول في تلك الشؤون حتى نصل الى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شي ، من وساوس الوهم ، ولا نجد طائفا من الخوف ، ثم لا يخرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

﴿ هذه القوى التي نرى آثارها في كل شي . يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها الا الى آثار نجمل اذا كشفت ، ونقل بل نضمحل اذا حجت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الناشئ ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبیه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجمل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تمد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ الا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما تصوره من حياتنا واختيارنا ! ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيهما حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا نقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سئلت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وحيمته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفعله تعريفا ، الا نقول كما قال الله وبه قول

(المراجع ١١) اعتقاد المضطرب والراسخ في الملائكة. خضوع القوى للانسان ٥٩٣

(١٧ : ٤٤) تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا نزع ان الله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى اجسامهم النورية تضيء لك في الظلام ، أو توهنك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلوركنت الى انها قوى أو ارواح منبهة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أرواح لنفسك ، وأدعى الى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من أسرار الكتاب ، فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم تربي طلاب العرفان بالرأي بما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به ، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته ، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا ، وارضى منك برهبهم نفسا ، ألا ان مؤمنا لومالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في هبة ، ومن فضل ربه في سعة ، ﴾

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المعاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شرطباع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كاله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يقبل هذه القوة ويخضعها مما ارتقى وكل وقصارى

(المراجع ٨) (٧٥) (المجلد الحادي عشر)

ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل تجعله مسخرها لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى (١٥ : ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال عز وجل (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الفناء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرته من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكمها في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسموات ﴿ فسنأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اهـ ما كتبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

باب المناظرة والمراسلة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي *

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالح اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليّ فإن ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل القارئ وسأمهم وضياح أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في الغرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة للمفكرين . وعبرة للناقدين (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الادب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات - :

(الكلمة الاولى) - في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

النسخ في القرآن — قالوا إن محمداً قد بلغ من الدهاء مبلغا بحيث صار يلعب بقول أصحابه ويجهلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فكان يأتيهم بالآية من قرآنه فإذا اتضح له فيها عيب أو سُمع عليها انتقادا في مفرأها أو معناها أمر أصحابه بإسقاطها من القرآن بدعوى أنها نسخت . وبلغ به الأمر أنه إذا كان ما في الآية من الأحكام متقاع هوى الأمة أو مصلحتها ولكن كان في انشائها شيء لم يرق له بعد إذاعها أسرع بنسخ لفظها دون معناها خوفا من أن يوجد في العرب من يمكنه أن يعارضها في بلاغتها . وإذا أتاهم بحكم واتضح له بعد تجربته أنه لم يرض الناس أو أنه لا ينفعهم أو قد يضر بمصلحتهم التجأ إلى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الأحكام وبذلك كثرت بين المسلمين الآيات المنسوخة لفظا وحكما أو لفظا فقط أو حكما فقط .

(قالوا) ولا يدري أحد ما الحكمة في كل هذا القلب والتلون سوى التخلص مما كان يقع فيه من الورطات والغلطات ولولا ذلك لما أمكنه التخلص منها . وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وهي وإن كان أكثرها مما قد بسبب إهماله في المحافظة على قرآنه إلا أن المسلمين اعتدوا عن ذلك بدعوى النسخ وقالوا تحكما إنها جميعا مما نسخ لفظه وإن كان لا يمكنهم التعليل عن ذلك بعلة معقولة ، ولا يمكنهم الاتيان بحكمة لتلك مقبولة ، على أن أكثر الروايات التي ذكرت فيها هذه الآيات صريحة في أنها ضاعت من القرآن ولم يرد فيها ذكر للنسخ لا نصريحا ولا تلميحا . وما بقي من القرآن الآن بعد كل هذا التصحيح والتقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات والمسائل الخاصة بمحمد وأهل بيته ولا فائدة منها لاحد سواء كالأيات الكثيرة من سورة الاحزاب والتحريم وكبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فإذا صبح عند المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها واقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها واقضى زمنها ؟ وما حكمة نسخ ألفاظ آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟

هذا شيء من شبهات القوم على مسألة النسخ في القرآن ، وقد قرناه هنا كما يقررونه في كتبهم الطاعنة في الاسلام ، ومنه ترى أن اعتمادهم فيها إنما هو على روايات الأحاد التي يتمسك بها المسلمون وعلى ما اتفق عليه جمهورهم من تسليم مسألة النسخ والقول بها ، وكان الأولى بملأئهم الذين يقولون بالنسخ أن ينظروا في أمثال هذه الشبهات نظرة تحقيق وتدقيق ، ويردوها بالبرهان إن كانوا قادرين ، بدل أن يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين ، وبمخاطبة تسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين ، لحسبنا الله ونعم الوكيل

أنا لا أقول ذلك ليأخذ المسلمون برأيي بلا برهان بل قد قدمت من البراهين ما ينفع المنصفين ، ويهدي المستهدين ، وسأزيد الأمر قوة في الكلمات الآتية بما سيكون إن شاء الله نافعا للمؤمنين ، هادما لجميع شبهات أعدائهم المخالفين

(الكلمة الثانية) — في بيان أسباب نشوء مذهب النسخ بين جمهور المسلمين وتواتره في جميع الأزمنة — اعلم أن من أسباب ذكره في عصر الصحابة أمور منها (١) كلالهم في نسخ الأحاديث والسنة فقد كانت الأحاديث والسنة تنسخ بأحاديث وسنن مثلها وتنسخ أيضاً بالقرآن الشريف فالكلام في النسخ قديم بين المسلمين ونشأ منذ نشوء الشريعة الإسلامية (٢) ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستعملون لفظ النسخ في القرآن بمعنى أوسع مما جرى عليه المتأخرون فكانوا يريدون به تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين الجمل لأن من معاني النسخ الرفع وفي كل ما تقدم رفع لدلالة العام والمطلق والجمل فلذا تواتر بين المسلمين الكلام في نسخ القرآن كما تواتر بينهم الكلام في نسخ السنة والأحاديث. أما رفع حكم الآية مطلقا فقد دل الاستقراء على عدم وجود شيء منه في القرآن كما بيناه في المقالات السابقة ولم يرد نص قاطع عن الرسول بشيء من ذلك ولم يصرح به الكتاب العزيز وإن سلم أن بعض الصحابة قال به في بعض الآيات فهو مذهب له في فهمها ولستأ ملزمين بتقليد أي صحابي في فهمهم ولذلك خالف جميع المفسرين ابن عباس وهو أعلم الصحابة بالتفسير في كثير مما ذهب إليه فيه على أن أكثر الروايات المأثورة عن الصحابة في التفسير

موضوعة كما قال الامام احمد بن حنبل وقوله عنه السيوطي في الاتقان فلا يمكن أن نعلم باليقين رأي الصحابة في أكثر الآيات التي يحصل فيها هذا الخلاف . على أنه قد نقل فيما صح عندهم من الروايات أن بعض الصحابة كان ينكر النسخ في الآيات بمعنى أن يبطل حكمها مطلقاً أو أن تلغى فلا تلى ولا يعمل بها كأبي بن كعب فإنه رضي الله عنه كان يقول : إني لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد بذلك أنه لا يترك آية ما بدعوى أنها منسوخة كما رواه البخاري في صحيحه فالنسخ وإن أنكرناه بمعناه عند الخلف فنحن لا ننكره ببعض معانيه كما عند السلف ولا نرى عياً في نسبتهم التخصيص والتقييد والتبيين . فان كان هناك اختلاف ما بين مثل أبي مسلم الاصمغاني أحد منكري النسخ وبين الصحابة فهو خلاف لفظي لا حقيقي كما لا يخفى

فمسألة النسخ هذه اختلف فيها المسلمون من عدة وجوه (١) في معانيها (٢) في الآيات المنسوخة وقد أنكر الامام الشوكاني وغيره النسخ إلا في بضع آيات وأنكره غيرهم في جميعا بمعناه عند المتأخرين كما هو مذهبنا (٣) في جواز نسخ القرآن بالسنة وأنكره الامام الشافعي رضي الله عنه . فأنا بما قلته في هذه المسألة لم أكن بدعا من المسلمين في شيء . فان المسألة فيها خلاف من عدة وجوه من العصر الاول الى اليوم وأكثر ما فيها من الخلاف هو في الحقيقة لفظي وإن كان لتقريرها على الوجه الذي ذهبنا اليه فيما كتبناه سابقاً عندك دعائم شبهات المخالفين لنا في الدين وتسقط حججهم أما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن أو ضياع شيء منه فقد أنكرها كثير من محققي أئمة المسلمين سلفاً وخلفاً وأظهر بعضهم أن أكثرها من وضع الملاحدة لتشكيك المؤمنين . وهي تنافي النصوص المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون — واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً) وهي لا تتفق مع ما علم بالتواتر من عناية المسلمين بكتابهم حفظاً وكتابة من عهد الرسول الى اليوم فهي إن لم تكن موضوعة من أعداء الاسلام المناهقين لنفس المسلمين وتشكيكهم في دينهم فلا يبعد أن يكون الواضع لها من بعض الفرق الاسلامية لتأييد مذهب لهم في مسألة

ما أو إثبات دعوى باطلة لا يجدون لها سندا من الكتاب المتواتر فيختفون الروايات و يدعون أنها كانت قرآنا ونسخ وقد انطلت حيلهم هذه على بسطاء المحدثين كما انطلت عليهم في مسائل أخرى كثيرة يقف عليها من مارس علم الحديث فاخترعوا من الاحاديث ما يؤيد مذاهبهم ومزاعمهم . وقد يكون منشأ بعضها خطأ الراوي وعدم فهمه حقيقة بعض المسائل فيظن ان كل مأوحي إلى النبي ولا يجده الآن في القرآن كان قرآنا ونسخ كحديث (بلغوا قوما أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) فوقع بسبب ذلك في الخط رواية ودراية ولو علم ان من الوحي ما ليس بقرآن مطلقا لاسماه قرآنا واني لاعجب من قبول بعض المسلمين ذلك منهم واستشهادهم على نسخ اللفظ بآية (ستقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله) مع ان مثل هذا الاستثناء قد ورد — كما قرره الاستاذ الامام — في القرآن لتأييد النفي وليان أن لا شيء في هذا الوجود يستعصي على مشيئة الله فكانه يقول انك لا تنسى أبدا الا ان قضى الله بذلك فلا راد لقضائه ولكنه تعالى لا يقضي به كما وعد بذلك في مثل الآيتين السابقتين . وقد ورد مثل هذا المعنى في آيات كثيرة في القرآن الشريف كقوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) مع قوله (خالدين فيها أبدا) (وما هم منها بمخرجين) وغيره كثير (لها بقية)

كلمات للنار

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب التوقيع ، وهو أحد الاشراف المخلصين في جاوى ، وقد سألنا نشرها ، فأجبنا سؤله مع الشكر له ، لانها بمثابة رد على الصادقين عن الحق بلا برهان ولا دليل ، بل بمحض التمثل والتأويل ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المنار حياك الله ويالك ، لقد أوضحت السبيل ، وبيّنت الدليل ، وشفيت الغليل ، ونحن اليك بالاشواق ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، من قوم نظروا اليك بعين الانصاف ، فشاهدوا بها ما حزت من محامد الأوصاف ، فأبصارهم الى

طلعتك مشتاقة، وبصائرهم للعدوتهما من لذنائذ الحكمة مفتاقه (كذا) ، ثبت الله دعائمك أيها المنهج القويم ، واقتطاس المستقيم ، لقد كشفت قناع الحقائق ، وابت تباين الطرائق ، وشددت أزر الحق ، وشيدت مباني السنة ، وخربت مصانع البدع ، وجددت لهذه الأمة دينها ، ودعوته لتدرك يقينها ، فمنها من اتبعك ، ومنها من ضالك وبدعك ، هكذا سنة الله في المصلحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . أيها المنار أنت والله الحق الثابت في الكتاب وروده ، والواضحة في سني السنة حدوده ، والمرفوعة عليها قواعده ، والموطدة على طوذيها شواهد ، فلا يحزنك (وحاشاك) ما هذى به بعض حاسديك ، وما فاه به الاغبياء من راديك ، قد وردت النيران ردودهم التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، واطلع عليها المستبصرون عندنا من طلاب الحق فأنشدوا بلسان واحد

ان المرانين تلقاها محسدة ولا ترى للثام الناس حسادا

واقبلوا يتضاحكون من تلك الردود التي هي ليست بشيء ، ولا بعض شيء ، فلا تهديم حقا ، ولا تبني باطلا ، فما عليك ولا على الحق بأس من تلك الكلمات المزورة ، وهاتيك السطور المصورة ، فهي غاية ما قصر رأيهم عليه ، ومتسعى ما بلغوا من العلم اليه ، وانا لانكره اطلاع الناس عليها إذ ليست هي بمقول ولا منقول ، والمحمد لله الذي لم يجعل بيان الحق بزخارف اللسان ، ولكن بالدليل والبرهان ، والاخذ بما في القرآن ، وأحاديث سيد ولد عدنان ،

أيها المنار لا تروعنك (وحاشاك) ثرائر ابهةة والحسدة ، ولا تهمنك واذت أليث هامم السفلة والقردة ، فتأقنه ما أوضح منار الحق لرائديه ، وما أرفع اعلامه لواردية ، وما أحلى الرجوع اليه لدى طالبيه ، وما أدحضه لحجة محاريبه ، هو الحق والله أجل من ان تخفض اعلامه ، أو تخفى أحكامه ، أو تحولك أيامه ، ماقتت والله مناهجه مسلوكة ، وما انفكت نواقضه متروكة ، لدى حماة ذمار الشريعة ، وحراس حصونها المنيع ، مماذ الله أنت يسترشمس الحق ضباب المذيان ، أو يخفي سنا مناره عنا حجاب البهتان ، بنفسي أفديك أيها المنار من ان يدنس ظاهر ساحتك المذنبون ، أو يدلس في واضح أحكامك المدلسون ،

أيها المتار لك أسوة بالانبياء والمرسلين ، وفي جميع المصلحين ، فادأب فللحق طلاب ، ولا تبعاً بفرقتين احدهما عشت بصاؤها عن رؤية الحق ، مذعمت عليها انباء العلم ، فصارت اذا حدثها بما صح سنده عن النبي صلى الله عليه وسلم شاغبت ، واذا حدثتك هي بما لا سند له عن بعض من تعظمهم طلبت منك الايمان بالمخالات ، فهذه جاهلة ملبّس عليها ثبت التقليد في قلبها

والثانية تملت عليها وطأة الحق اذ جاءها ، وطفقت تضلل من رام اهداها ، وتذمرت من ورود حق المقال ، خوفاً من اتلائم اعتقاد أولئك الانذال ، وهذه غير ملومة لائك جذخت عليها أصول الكدية ، وسددت دونها سبل الفرية ، وكسدت بضاعتها الرائجة التي طالما استنزفت بها الأموال ، وأصلت بها عقول الجمال ، وأنت بالرغم منها حولت الهزل جدا ، ومددت لها من الضيم بظهور الحق مداً

أيها المتار انني أعتقد كما يعتقد كل منصف ، وأدين الله تعالى بأنك أنت الحق الصراح الذي لا يتردد فيه عاقل ، ولا يرده الامتهور جاهل ، أو أحق متجاهل ، فويلك آمن أيها الحائدت عن السنن القويم ، والتأخر الى المتار بعين السخط الذميم ، ولا تبار قوماً لا يشق لهم في المعارف غبار ، ولا يدرك لباب علوهم قرار ، طالما ازاحو دياجير الجمل بشموس المعارف ، وازالو بقواطع الادلة هام المجادل المجازف ، فارجع البصر ، وانهم التغر ، في أجزاء المتار الماضية والقادمة ، تدرك هناك وصفك ووصفهم ، وجرائك وخوفهم ، وانا ابتل الى الله ان يمتتي على ماضيه وشمله متار الحق ويمشي عليه انه بالاجابة جدير والسلام

السيد محمد بن هاشم بن طاهر

بجلاوا — المالاغ

ابو حامد الغزالي (*)

٥

رأيه في حكمة الكلف ورد شهاا الباطنية عليه ^(١)

(جواب المسائل الاربع التي سأها الباطنية بهمدان)

(من الشيخ الاجل أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سئل ما قول سيدنا الشيخ الامام الاجل ، حجة الاسلام ، شرف الشريعة ، مقتدى
الفرق ، امام الائمة ، في هذه المسائل الاربع التي لبس (بها) هؤلاء القوم الذين طفوا
في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وموهوا بها استجلا باقلوب الخلق ، وهي هذه
(المسئلة الاولى) أليس أهل الاسلام متقين على ان الباري جل ذكره
غني عن كل شي ، غير محتاج الى شي . ما . ثم مع ذلك كلهم معترفون بانه كلف
العباد العبادة وأقربها فكيف تراك نسبت بحجة العقل ان غنياً عن كل شي . يكلف من
لا يحتاج اليه ان يعمل عملاً هو غني عنه ؟ بين لي كيف ذلك لعلني ان أكون من العالمين
(المسئلة الثانية) ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليشيب
من أطاع ويعاقب من عصى وهذا مستحيل جداً في العقول فأني حاجة به الى
معاقبة خلقه حتى يدعوه ذلك الى ان يكلفهم أمراً اذا لم يأتوه عاقبهم عليه وان

(*) تابع لما في الجزء ١٢ م ١٠ (١) عثر على هذه الرسالة في بعض المجموعات
القديمة بفداد عالم العراق السيد محمود شكري افندي الاكوسي فأرسلها الينا لنشرها
في المنار فحمدنا سعيه ، وشكرنا فضله ، ونشرناها بنصها ، الا كلمات قليلة علمنا
باليقين انها محرقة فرددناها الى أصلها ، وبقيت فيها وقفات تركناها على حالها

(المآرج ٨) (٧٦) (المجلد الحادي عشر)

كان لا حاجة به الى ذلك فاقول مستحيل جدا لا توجيه حكمة وان كان تعالى به الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو قادر على ان يثب من يريد ويعاقب من يريد ؟ فالتكليف أيضا حشو لا توجيه حكمة والحاجة قص وانه سبحانه وتعالى لا ينسب الى قص وهو غني غير محتاج ،

(المسئلة الثالثة) ان الله تعالى كلف المباد الطاعة لينفعهم بها أترأه جل ذكره عجز عن ان ينفعهم بنسب التكليف حتى احتاج ان يكلفهم ثم ينفعهم ؟ ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو حشو وان كان يصح عن ذلك الا بالتكليف فالقدرة ساقطة والعجز ثابت وهو محال

(المسئلة الرابعة) ان الله تعالى لا يستل عما يفعل وهم يستلون ، وهذا باب يخبر فيه العقول هل يجوز ان يأمر حكيم بأمر يخرج عن الحكمة وينب عنه العقل ثم يحظر على العاقل البحث عنه ؟ أليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحجة على هذا المخلوق العقل وأمر أهله ونهاهم وخص غيرهم من البهائم على ما خلقوا عليه بالآلات التي خلقت لها وألم العقل استعمالها بمثل اللجام الذي تروض الدابة به وغير ذلك من جبال الصيد والحيل المعروفة التي يطول شرحها ؟ واذا كانت حجة العقل على المكلفين والمأمورين والمنهين بأمره ثم يكلفون أمرا ويمنعون من الفحص عنه والتفاس سبب يتصور به ما يكلفونه عندهم ويصح في معقولهم ومعلومهم الذي هو حجة عليهم أليس يكون ذلك ظلما صريحا ؟ ووجدنا المتحليلين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله جل جلاله لا يقبل عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل من البحث والتفكر أين يكون بصيرا وهل يرجى ان يوحى اليه ؟ هذا منكرو من القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشي . ووجدنا هذا الكتاب الناطق بين المخلوق من الحق يخبر في موضع بآية « لا يستل عما يفعل وهم يستلون » ويخبر في موضع آخر بأنه يستل ويتقضي الجواب في قوله تعالى « ونحشره يوم القيمة أعمى » قال رب لم حشرتي أعمى وقد كنت بصيرا « قال كذلك أتلك آياتنا فأنسىتها » وكذلك اليوم تنسى « فأني سؤال أتم من هذا السؤال الذي اقتضي هذا الجواب ؟ وفي القول مثل هذا كثير والتناقض في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يعبر عنه

بيان يقبله العقل . فهذه اعزك الله المسائل الاربع قد شرحت لك بعضها فلا بد من قول خامس تصح به التكليفات لان سقوطها أيضا لا يصح . أبني ذلك فاني أراك من المحسنين . الى هنا كلامهم فان رأى سيدنا ان يجب عن هذا ويوضح هذه الاشكالات ويكشف عن هذه التليسات حاز به الاجر الجزيل والثواب الكثير ان شاء الله تعالى

أجاب وقال أما السؤال الاول وهو استبعاد التكليف مع الاستغناء وتوهم التناقض بينهما فصدره الجهن بحقيقة التكليف فكأن السائل لم يسمع قوله تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » وقوله « فلا أنفسهم يمدون » وقوله « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » كأنه ظن ان تكليف الله تعالى عباده يضاهي تكليف الانسان عبده فان السيد يكاف عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ له فيه ولا يحتاج اليه فلا يكلفه به فكأن هذا السائل ثبت في وهمه قياس فاسد وهو تشبيه تكليف الله تعالى بتكليف عباده فجعل نفسه مثالا لله ، تعالى الله وتقدس عن خياله ومثاله ، والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن اقتبس حقائق العلوم عن رأيه السخيف ، وعقله الضعيف ، وقياسه الفاسد ، كثر تضره بالضلالات ، بل ينبغي أن يطلب حقائق العلوم من أهله وهم العلماء الاقوياء القائمون بحقيقة المقولات المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الادلة والبراهين المستبصرون بمدخل النور والتليس فيها . واذا كان شرح ذلك مما لا يسمح به عداوة ؛ على مثل هذه الاسئلة الضعيفة الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للانفهام الضعيفة انفع من ضرب الامثلة فلنقتصر على ضرب مثلين .

(المثل الاول) تكليف الله عباده بمجرى مجرى (معالجة) الطبيب للمريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة مرة يشرب المبردات والطبيب غني عن شره لا يستضر بمخالفته ولا ينتفع بمواقفته ولكن الضرر والنفع يرجع الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه مستغن عن بقائه فكذلك خلق للعبادة الاخروية اسباباً تفضي اليها لافضاء الدواء الى الشفاء وهي الطاعات ونهي

النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن رذائل الاخلاق مشقيات في الآخرة ومهلكات كما ان رذائل الاخلاق ممرضات في الدنيا ومهلكات . والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما أن للأجساد طب فالانبياء أطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح لتحديد طرق التزكية للقلوب كما قال تعالى « قد افلح من زكاه » وقد خاب من دساها » ثم كما يقال ان الطيب أمر المريض بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطيب وانه صح لانه راعى قانون الطيب ولم يقصر في الاحتماء وبالْحَقِيقَةِ لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطيب لعين الخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطيب بها فكذلك (مداواة) النفوس هي الاحتماء الذي ينفي عن القلوب أمراضها . وأمراض القلوب تقوت حياة الآخرة كما تقوت أمراض الأجساد حياة الدنيا

(المثال الثاني) ان الملك من الأدميين قد ينخص بعض خدمه وعبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه الى مجلسه تارة لحظ الملك في استخدامه والاستعانة على نظام مملكته ومصالحها به وهذا القسم ونظيره في حق الله تعالى محال وتارة ليتوجه العبد الى مجلسه وينال رتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغناء الملك عن الاستعانة به وتصميمه العزم على ان لا يستخدمه أصلاً ولكن لبقربه من نفسه لجرد حظ العبد والزيادة في قربه . ثم العبد ان ضيع المركوب وافق المال لا في الطريق الى السيد عد كافراً بالنعمة وان ركب المركوب وافق المال في الطريق متزوداً به عد شاكراً للنعمة لا بمعنى أنه نال الملك حظاً لنفسه ولكن اراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكراً وان خالف عدت مخالفته كفراناً والله يستوي عنده كفر العباد وإيمانهم بالاضافة الى جلاله واستغنائهم ولكن لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصح لعباده فانه يشق بهم كما لا يرضى الملك المستغني لعبده الغائب الشقاوة بالذل والفقر ويريد له السعادة بالقرب منه وهو غني عنه قرب منه أو بعد . فكذا ينبغي أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصي سموم وتأثيرها في القلوب ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة إلا من أتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطيب للمريض قد عرفتك ما بضررك وما ينفعك فان واقفتي فلنفسك

وإن خالفت فعلها فكذلك قول الله تعالى «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها» (وأما السؤال الثاني) فهو فرع من هذا السؤال فإن قوله ان الله مستغن في اثابة عبده عن الطاعة وهو لم يتضرر بها بضاهي قول القائل ان الله مستغن في في انشاء الانسان عن الامر بالوقاع وفي انماء الطفل عن الرضاع وفي اشباعه عن الطعام وفي اروائه عن الشراب وفي تصحيحه عن الادوية فابانه عاقب بمقوبة الجوع من ترك الاكل وعاقب بالمرض من ترك الادوية وعاقب بموت الطفل من ترك رضاع ولده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا وانتقاما وليس يدري ان لفظ الغضب والانتقام مستعار ومأول وانما غضب الله عبارة عن إرادته الايلام فكما ان الاسباب والمسببات يتأدى بعضها الى بعض في الدنيا بترتيب مسبب الاسباب فبعضها يفضي الى الايلام وبعضها الى الذات ولا يعرف عواقبها الا الاطباء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى آلام الآخرة والذات من غير فرق

وكذلك (السؤال الثالث) ينحل به فان الله تعالى لا يوصف بالعجز عن الاشباع من غير أكل والإرواء من غير شرب والانشاء من غير وقاع والإيلاء من غير رضاع ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات كذلك لسر وحكمة لا يعلمها الا الله عز وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بمعجب انما العجب في التعجب من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري من لا يهتدي الى سر الحكمة فيه يتعجب منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل دارا فتمش بالاواني الموضوعه في صحن الدار فقال لأهل الدار ما أرك عقولكم لماذا لا تردون هذه الاواني الى مواضعها ولم تركنوها على الطريق؟ ف قيل انها موضوعة في مواضعها وانما الخلل في قد البصيرة (١) وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين التعجب وبين البرهان كثر خطئه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض وان الله تعالى لم رتب الاسباب؟ ولو رتبها على وجه آخر لتصور أن تعجب منه جاهل ويقول لم يفعل ضده وهذه التعجبات

(١) كذا في الاصل ويظهر ان ههنا سقطا وتصحيحه بحسب المعنى ان يقال وانما الخلل في قد البصر وكذلك الخلل فيما ضرب له المثل في قد البصيرة. والمثل المذكور في الاحياء ولا أحد سعة في الهمة له

٦٠٦ الحكمة في منع ضعف العقل البحث عن اسرار الشرح (المناج ١١٨)

منبها اوهام العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين
﴿ واما السؤال الرابع ﴾ ففي ابراده خبط وكان اناسا لم يقدر على ان يفصح
عما في ضميره والذي يتحصل منه تعجبات اربع

(التعجب الاول) قوله كيف أمر بالشيء ومنع عن البحث عنه والبصيرة
لا تحصل الا بالبحث ؟ وهذا تعجب فاسد فإن العمل يستدعي اعتقادا جازما أو معرفة
حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل بالتقليد المجرد عن سبيل التصديق والايان والمعرفة
تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضعفاء
القاصرون عن الاطلاع على عويصات البراهين ومعاصات البحث وانما مثال ذلك
امر الطبيب المريض (بالدواء) وامتناعه عن ذكر لعلة في كون الدواء نافعا ومنه المريض
عن الاشتغال بالبحث عنه لعله بانه يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث عن علل الطب
لشق عليه وعجز عنه وزاد المرض واستضر به فان وجد على التدرية مريضا ذكيا
آتسا بمنهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه من البحث ولم يتمتع عن ذكر
المناسبة بين الدواء وبين علته بل اذا علم انه ليس يكتفي بمجرد قوله وليس يصدق
بمحض التقليد وقرس فيه من الذكاء ما يفهم به العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة
اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة ان
كان يريد صلاحه ولم يمنعه من البحث اذا علم اشتغاله له الا ان ذلك نادر في المرضى
جدا والا كثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث
عنها في الشرعيات من هذا القبيل ،

﴿ التعجب الثاني ﴾ وهو تسخير البهائم الانسان بضاهي تعجب الانسان من
يمشي خطوات لينظر الى متزهات ووجوه حسان فيقال كيف اتعب رجله وسخرها
لاجل عينه واليهن آله كما ان الرجل آله فما بال إحداها جعلها خادمة واتعبها
وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا جيل بالافدار والمراتب بل البصير يعلم
ان الكامل يفدى بالناقص وان الناقص يتسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة
واما قوله ان ذلك ظلم فهو جليل مجد الظلم ان الظلم هو ان تصرف في ملك انتير والله
نعالي لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يصور منه الظلم بل له

ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا (١)

(التعجب الثالث) أن الشرع كيف يرد بما ينبو عنه العقل ؟ وهو فاسد لان قوله «ينبوعه العقل» لفظ مشترك فان اراده أن يرهان العقل يدل على استحالة كخلق الله مثل نفسه والجمع بين المتضادين فهذا مما لا يرد به الشرع ولم يرد. وان اراد به ما يقصر العقل عن دركه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود بمشة الانبياء ارشادا لخلق الى ما همصر عقولهم عنه فليس بمحال أن يكون في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد والمرأة الحامل لو مشت فوق حبة مخصوصة ألقت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالة وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد النار قط واهراقها فاخبرنا مخبر وقال اني احك حبة بحبة واستخرج من بينها سناً احمر بمقدار عدسة تأكل هذه البلد وغيرها حتى لا يبقى فيها شيء من غير أن يتقل ذلك الى جوفها ومن غير أن يزيد في حجمها بل تأكل البلد ثم تأكل نفسها فلا تبقى لاهي ولا البلد لكننا نقول هذا شيء ينبوعه العقل ولا يقبله، وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك، فكذلك يستعمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو الذي ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه ،

واما (التعجب الرابع) وهو انه لا يُسئل عما يفعل وهم يستنون ثم سئل وقيل « لم حشرتي أعنى وقد كنت بصيراً » قال كذلك أتت آياتنا ففسيتهم او كذلك اليوم تنسى ، فصدر هذا السؤال الجهل بكون « لفظ » السؤال مشتركاً فان السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام كما يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله (٢) وقد يطلق

(١) المنازع: فسر الظلم هنا بما جرى عليه الاشعية وفيه نظر ظاهر وقد بينا حقيقة الظلم وكونه محالا على الله تعالى في مواضع من التفسير والمنازع (٢) هذا ما يبرر عنه الآن بالمسؤولية وهي بمعنى التبعة والمواخذة فمعنى كونه تعالى لا يسئل عما يفعل انه ليس لاحد سلطة فوق سلطته فيسأله عن فعله سؤال من يلقي عليه التبعة ويؤاخذه على ما عمل

ويراد به الاستخبار كما يقال سئل التلميذ والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام وهو المعنى بقوله «لا يسئل عما يفعل» إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام فأما انه لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله «لم حشرتني أعمى» وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة اهـ والذي أوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه ويتقي ربه ويطلب علما ملما بعلم العقل والشرع ليهديه الى الطريق فانه من ترقى عن مجرد التقليد بأدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستعلاء كان من المالكين فنعوذ بالله من فطنة نزالة وكياسة ضعيفة فان البلاء منه أولى إلى النجاة منها آمين

استحالة المادة

١

﴿ للدكتور خليل سعادة ﴾

كتبها عند إذاعة خبر هذا الاكتشاف

سنبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

او مض من كعبة العلم بأخطير، دوت له أرجاء العالم المتمدن اي دوي، وعندي أنه اعظم اكتشافات البشر، وأسسى ما بلغت اليه مداركهم، فلا يحسب بجانبه كشف العالم الجديد شيئا مذكورا، وما بلوغ القطب الشمالي اليه سوى ألغوبة من الأعياب الصبيان، كيف لا وهو الامنية الكبرى التي طمحت اليها أبصار فلاسفة العصور، والغاية القصوى التي اشرأت اليها أعتاق الحكماء في جميع الدهور: حلم رآه أسلافنا في ليل مدلمهم بظلمات الاوهام، فتجلى لنا نوراً باهراً يبدد دياجي الجمل وينير بصائر الافهام، بل قل هو الحق انزل على عيون مبصرة، وآذان مصغية، وقلوب واعية، فزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً

نريد بهذه التوطئة الاكتشاف الحديث الخطير وهو استحالة المادة الواحدة البسيطة من عضو الى آخر كاتين الآن في استحالة بخار الراديو الى عنصر

المليوم : اجل أماطت الطبيعة اخيرا نقاب الخفاء عن وجهها الواضح، ورفعت الحجاب بعد دلال ونفار، طال اجله الوفا من السنين، غادة وضامة لالكائنات تستبقها العالم فهم لاجلها في اليد واقفار، وجرى وراءها الى قن الجبال ولجج الابحار، تقف أثرها في الرضاء اللاذعة تحرقه أشعة شمسها، وفي الثلوج المتركة يلذعه قارس بردها، سهدته قرونا طولا وهو يرقبها طول ليله في السيارات والدراري وليل العاشقين طويل، وتطلبها في قطرات الماء ورشاشه يحدق فيها بمجهره وهي غزال نفور كالزئبق الفرار، اذا دنت فأنت، وان قربت بعدت، هي اشبه برهراث الأكل وسراب الظمان، لم تكشف القناع عن ثرها البسام لحظة من الزمن، تطلبها في الحرارة والنور، وامتنع في أثرها الكهر بائية والبخار، وكللها بين الزهور والرياحين، وشرح لها وجده بين الرياض والبساتين، فكانت اذا أدته منها ابتسامة، اوقفته عن الدنو منها مهابة، جمال تكلل بالجلال، وافقة الا أنها دلال، منها نحل العاشق سقا، وضاق ذرعا، فلما أيقنت منه التفاني في سبيل غرامها، والاستئثار في هيامها، أماطت الآن القاتم، بعد آلاف سنين في التحجب والدلال، والتلاعب والمطال،

طمحت أبحاث اسلافنا منذ الاعصر المتراية في القدم الى اكتشاف امرين خطيرين اولها اكسير الحياة الذي يتذرع به المرء الى درء كأس الحماويل والخلود على وجه البسيطة، وثانيها حجر الفلاسفة الذي يباح له به تحويل المعادن الى ذهب، فيصبح المرء بهذين الاكتشافين خالدا متريا، ولبث القدماء يخطون في دياجير الاوهام، ويلتمسون الحقيقة في ظلمات بعضها فوق بعض، حتى نبغ نحو أواخر القرن الثامن رجل هولنز من ألباز التاريخ غريب الاطوار كثير المطامع بعيد المرامي يسمى جابرا قيرغ الى البحث في المعادن واقطع الى إجراء الامتحانات المتعددة بشأنها تذرعاً لتحويلها ذبا وكان مذهبه ان المعادن خليط من عناصر متعددة يمكن ترقيتها الدنيا منها الى الاشكال العليا وما قفى يكثر من التجارب وبعيد في الامتحانات وهو في كل ذلك يتراوح بين الحقيقة والضلال حتى أصبح له في عصره شأن خطير ومنزلة راقية في عيون اهله وهو احق رجل بان يسمى شيخ الكيمين ولكنه منطوق

الحقيقة بالجمالة واكتنف الحق بالباطل ولم يدر خطورة قوله ولم يحلم حينئذ ان سيقوم في فجر القرن العشرين رجل من اشهر الكياويين ويكتشف أعظم اكتشاف قدر للمرء حتى الآن ويحيي به مصداقاً لاقواله

يبد ان العلوم الراقية لبثت قرونًا طويلاً خليطفن واحد فكان الباحث متكهنًا في الطب وعالمًا في التنجيم وطوالع السعد وصهارا للمعادن وطال أمره دهورًا يتلمس الحق على غير صراط الهدى حتى بزغت عليه بعض اشعة الرفان فانبثق الطب من الكهانة والفلك من التنجيم وكيمياء الحق من كيمياء الباطل

ولما انتظمت الكيمياء فنا قائما بنفسه نبذ طلابها آراء الاقدمين نبذ التواتر قنين لم ان العناصر الأربعة التي قال بها السلف وهي النار والهواء والماء والتراب ليست بمتاصر بل هي مواد مركبة تنحل الى مواد أخرى بسيطة اطلقوا عليها لفظ العناصر الصحيحة وكان من أوائل اكتشافاتهم هذا الصدد الاكسوجين . ولما تم لهم هذا الفتح المين نشطت الهمم من عقلمها واستولى على المتعلمين الى هذه الابحاث هوس شديد . فضرب لك مثلا واحدا لتفقه الى أي حد بلغ بهم ذلك الهوس وهو الكياوي الطائر الصيت « لافوازيه » فانه كان في صدر جلة الكياويين الذين نهجوا البحث والامتحان بشأن الاكسوجين فبث الى الاكاديمي في أواخر القرن الثامن عشر رسالة ضافية الذبول بخصوص تأكيد المعادن (١) وكانت له أثرًا خالدا وما زال يوالي التجارب حتي افنجر بركان الثورة الفرنسية واندلع لهيبها في باريس وسائر ارجاء فرنسا وكان « لافوازيه » لتكيد الطالع رجلا عريقا في نسه ، كبيراً في حسيه ، وافرا في ثروته ، فأصبح هدفا للتأثرين ، وغرضا لسهام الحاسدين ، فصبو أعداؤه نحوه شكايات باطلة أصابت منه مقتلا فحكم عليه بالاعدام وكان اذ ذاك منهمكا في تجارب كياوية خطيرة فطلب من لجنة الثورة ان تمهله بضعة أيام ريثما يتم ابحاثه واكتشافاته فاملته بفضلة يندى منها جبين التمدن واجابته بفضاظة بجمرها وجه الحرية قائلة ان لا حاجة بالجمهورية للماء

(١) المار : التأكد عندهم عبارة عن اتحاد المعدن بالاكسوجين بحيث

يتولد عنهما جسم ثالث غيرهما كالصدا في الحديد وهو أكسيد الحديد

قعيد من كبة العلم الى باحة « الفلوتين » (١) وهو الذي قال بشأنه ساعث
« لا غرائج » أحد مشاهير مواطنيه: بعددقيقة يسقط رأس نمر بكم أجيال وقرون قبل
الحصول على مثله

فانقضت اذ ذاك غياهب الجمل عن بصائر أولي النهي فقهوا ان جل المواد
المعروفة انما هو مركبات وخليط مواد بسيطة متعددة فحسروا عن ساعد الجد وقدفوا
بالاوهام القديمة من حائق وتواردت عندئذ اكتشافات العناصر ترى على نوادي
العلم وبجامع العرفان فبينت صروح المعارف على اطلال الخرافات ووطد بنيان
الكيمياء على عمد راسخة الاركان واكتشف الباحثون في العناصر نواميس كيمائية
عجيبة لم تكن لتخطر في بال اسلافنا ولا في الاحلام

العروة الوثقى التي وقفت عندها الابواب خبرى هي الذريرات الاصلية لهذه
العناصر فقالوا انها جواهر مادية تتألف من جواهر فردة اذا تجزأت بطل العنصر
أن يكون عنصرا بالخصائص والمقومات التي يتميز بها عن سواه غير انه لما كان
الجوهر الفرد لا يقبل التجزؤ فعلا اذ لم يكشف البشر ذريعة أو وسيلة تؤدي الى
ذلك لبث العنصر ثابتا على ممر الأدهار

يبد ان القول بوجود هذه العناصر المتعددة الاشكال المتباينة الخواص ثابتة
على هذا المنوال منذ الازل مناف لمطمح الفلسفة السامية القائلة بوحدة المادة وخصوصا
اذا اعتبرت أرضنا نفسها ذريرة من مجاميع ونظامات هذا الكون العجيب الذي
يتلأ القلب مهابة ورهبا متي نجلى لك خلال استار الدجي كواكب ودراري سابحة
أو معلقة في فضاء يتناول الطرف الى الاحاطة بعظمته وقته رموز اسراره فيترد
عنه وهو كليل

ذلك ما حدا جلة المتضلعين من العلوم الطبيعية الى القول بان سائر العناصر
المعروفة مشتقة من عنصر واحد متناه في بساطة التركيب ولطافة القوام وخفة المادة
غازي الشكل ولما لم يكن معروفا عندهم حينئذ من العناصر التي يمكن الحصول
عليها ما يوضح ان يكون أصلا لجميع المواد سوى الهيدروجين حسبوه ذلك الاصل

(١) النار : هي الآلة التي اخترعوها لقط الرقاب بسرعة

حتى انبا بعضهم من هذه الاستدلالات بوجود عناصر أخرى كانت لم تزل مجهولة لكي تملأ فراغاتي حلقات العناصر المعروفة فجاءت الاكتشافات التالية مصداقا لبصيرتهم ثم انه تبين من الابحاث الحديثة ان الجواهر الفردة للهيدروجين على ما فيه من التامهي في الصغر هو كبير جدا في حجمه بالنسبة الى ما كشف مؤخران الذريرات الكهر بائية التي اطلقوا عليها اسم الألكترن بحيث ان جرم الجواهر الفرد الواحد من الهيدروجين يوازي ألف جرم من الألكترن وثبت لهم ان هذه الذريرات الكهر بائية تستقل عن الجواهر الفردة وتقوم بنفسها ويكون لها جميع الخواص المقيمة للجواهر الفرد حتى ترجع عند كبار الطبيعيين الآن ان الجواهر الفردة لجميع العناصر تتألف من هذه الذريرات الكهر بائية فقط التي بعضها إيجابي وبعضها سلبي بمقادير متساوية وان اختلاف العناصر متوقف على اختلاف مقادير هذه الذريرات في تأليف جواهرها الفردة فاما العناصر اذا سوى مجاميع هذه الذريرات التي تبنت قواها بقوتي الجذب والدفع

فتمت ذلك علمت كيف تتألف استحالته المادة من عنصر الى عنصر على ما صدرنا به هذه المقالة يد انه لم تتح لبشر مشاهدة هذه الاستحالة عيانا الا منذ نحو أسبوعين من الزمن وتفصيل ذلك انه قدم الى مدينة باريس منذ بضعة سنوات في أواخر القرن المنصرم فتاة بولونية المحدث في غضاضة الشباب وريهان الصبالمناجعة بعض دروس فلسفية ولو علم أهل تلك المدينة ما سيكون لهذه الفتاة في العالم من خطورة الشأن والصيت الذائع لاحتفوا بها احتفاءهم بالاميرات والملكات من زوآرهم فيقتضي ذكر الملوك والملكات الذين زاروا باريس اما اسم مدام كري فيتي خالدا وهي الفتاة التي فنيها فانها ما لبثت حيناً من الدهر حتى تزوجت الاستاذ كري فانما في بيت بيسدن ضواها المدينة وجبة الهومبوليان الامتحانات الكيماوية حتى غفرا أخيرا بأمنية ما وراءها أمنية الا وهي اكتشاف الراديوم

اما وجه أهمية هذا الاكتشاف فهو ان العلماء وجدوا ان معدن الراديوم يختلف عن جميع المواد والعناصر المعروفة على وجه البسيطة في أمر هو إشعاع الحرارة والنور على الدوام دون ان يخسر شيئا منها فسواء وضعت في الماء والتلج أو

الهواء بقيت حرارته مرتفعة عما يحيط به وهو أمر لو سمعه العلماء في حلم لما صدقوه. ولما وجد الباحثون عنصرا يختلف في خصائصه عن سائر العناصر ذعروا منه يدأنهم توسموا به أخيرا خيرا اذ علموا انه سيلقي بين أيديهم مقاليد الكون وينشر امام أبصارهم رموز الطبيعة واسرارها فتهاقوا عليه تهافت العطاش على الماء حتى بلغت اثمائه في الاشهر الاخيرة مبلغا فاحشا لم يسمع بمثله من قبل فان المقدار الذي لا يتعدى جزءا من خمسة عشر جزءا من القمحة منه يساوي خمسين ألف جنيه وكان في عداد الذين اشتغلوا بالبحث في الراديوم واسراره الكيمائي الشهير السير وليم رمزي فوجد نظير غيره من المشتغلين به ان في جملة ما ينبعث من هذا المعدن مادة غازية كثيفة بقيت لديهم حينما من الدهر لنزاع من الانفاذ لانها كانت تلبث ودحا من الزمان ثم تخفى دون ان يتمكن أحد من الوصول الى كهها فوضع السير رمزي اخيرا هذا الغاز في زجاجة دقيقة جدا سدها سدا محكما وما قى يراقبها حتى تبدت له معجزة من المعجزات وهو ان تبدى من هذا الغاز بعد يومين من الزمن بواسطة السبكتروسكوب خط ضارب الى الاصفرار وهو الخط الذي يشير الى وجود عنصر الهليوم وهو مادة توجد في الشمس ولم ينعز عليها في أرضنا الا حديثا ثم بعد نحو اسبوع من الزمن زاد الخط اشراقا دلالة على ان مادة الراديوم الغازية استحالت الى عنصر الهليوم ولم يبق لها من اثر

وهذا الاكتشاف الذي نحن بصده هو با كورة الاكتشافات العظيمة في فجر القرن العشرين وسيكون له من الخطورة ما هو اهل له وسيقيض لنا على يده كشف كثير مما غرض على أفهامنا من أسرار الطبيعة وغرائب الكون فان الباحثين جارين الى هذه الغاية سباقا يذلون النفس والنفس ويجودون بالمال والارواح لغرض ترقية شأن العقل البشري والتهوض به من حضيض الجهل الى قن العلم ولعله لا تغيب شمس هذا القرن حتى تبرغ شمس من سماء الحقيقة والعرفان تتجلي نورا باهرا على الافهام وتميط الطبيعة عن عجاها الصبوح حجاب الابهام ومن يمش

﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية



فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ • مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاقُوهُ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
المُشْرِكِينَ • مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • (سورة الروم : ٣٠ - ٣٢)

إن الله جلّت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، فطرة أعلى
من فطرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بلفذات وآلام غير جسمية ،
فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، انشأه مستعداً لا إدراك معلومات غير
محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدار حياته على التعاون والاجتماع ،
ليستعين بذلك على استعلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده
متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر لمجموع النوع القيام بجميع العلوم
والاعمال ، فأدناهم الخدم والباؤن والزارعون ، وأعلام الساسة والحكام فالانبياء
والمرسلون ، ف هؤلاء كالقوول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي
والمد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى
أعلى ما يتشوف استعدادده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه
الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب
الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكميل الفطرة البشرية على منهاج التسريح في الارقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء ختم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالربي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كلما ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ٤١: ٥٣ سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يحملوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يفرقوا فيه مذاهب وشيخا ، ويتقصوا منه سنا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يحملوا كتب العقائد ملأى بالجلبل والمرء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكر ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لا اذ كر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجعها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكمه الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطعموا عليها قد كتبوا مؤلفها من منشور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجبها اضمافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء التصاوي قالوا عند ما قرعوها: لو كان مافي هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضله ، وعلو كعبه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان عالما بمتهمي ما وصل اليه علم الكلام من الارقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الأديان مع ما كتبوه في بيان مزايها وفي علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الا وكشفها، ولا عقدة من عقد المشكلات الا وحلها، ولكن الشبه تدكر فيها غالبا بطريق الأيمان والتلويح، دون الأمانة والتصريح، وذلك أدنى ان لا يشك الضعيف، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله «واما الى الخلاف من مكان بعيد، حتى ربما لا يدركه الا الرجل الرشيد»

كتب الاستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة وبادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الأزهر على الألوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومسائل تحتاج الى إيضاح وكلم جذبر بالحذف فكان يكتب ما يراه من التصحیح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشقيطي (رحمهما الله) ذكره لمساءلة خلق القرآن لانها مخالفة لشروطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) وانتقد عليه حروفا أخرى فأقمنه في بعضها واقنع منه في بعض - وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعا أو أكثر - وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه لمثلها، فأبقىها على أصلها (*) الكلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي الا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الي صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصحت هذه الطبعة معارضة عليه وعلى نسخة المؤلف - وعلقت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس، ولولا انه نهي عن شرحها ووضع الحواشي لها، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش، ولكن مارآه رحمه الله هو الصواب، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الاستاذ الامام، ونفع برسالته

الأنام، آمين محمد رشيد رضا الحسيني

منشئ الناشر

أثر علم البرية

مبادئ الاقتصاد السياسي

قد اشتهر بيننا ان الغنى والقر إنما يكونان بالحفظ والاقدار ، لامدخل فيهما لعلم المرء وعقله ، ولا لذكائه وسعيه ، بل اشتهر بين الأدباء ان العلم والحجى ، ضدان للثروة والفتى ، وقد نظم أدباؤنا في القديم والحديث كثيرا من الشعر في هذا المعنى تداوله الناس وحفظوه فصارت به المسألة عندهم من القضايا المسلمات ، التي يتوهمون انها من البديهيات ، وكيف لا تكون كذلك عند الجمهور وهي مدعمة بظواهر ماجاء في الدين من اسناد كل شيء الى مشيئة الله عز وجل ، وللعلماء والصوفية فيها من الكلام ما هو أشد تأثيرا في النفوس من كلام الشعراء والأدباء . وما يؤثر فيها عن الامام الشافعي رضي الله عنه من آيات

لكن من رزق الحجبى حرم الفتى ضدان مفترقان أي تفرق
ثم انهم يرون ظواهر الحوادث الجزئية تؤيد هذا الرأي وتثبت ان يرون مثل
فلان باشا وفلان بك يمشون بالالوف من الدنانير وهم على ما يعرفون منهم من الجمل والغبابة
فاذا قيل لمن يمتدنون هذا الاعتقاد ان لتدبير الثروة علما يبحث فيه عن
ينابيعها ومواردها ومصادرها فيعلم الواقع عليه طرق تحصيل الثروة وحفظها
وتوزيعها ولماذا كانت تلك الامة غنية وهذه الامة فقيرة ولماذا يتزاحم في البلد الواحد
شعبان أو شعوب متعددة فيسبق قوم ويتخلف آخرون — إذا قيل لهم هذا قالوا
ان العلم لا شأن له في هذا وإنما هي الحفظ والاقدار ، ويسردون ما يحفظون
من الآثار والأشعار ،

الاقدار هي المقادير والموازين التي أقام الباري بها نظام الكون فهي قنطرة
(المآرج ٨) (٧٨) (المجلد الحادي عشر)

الاسباب لا تافها ، وان اشتهر استعمالها بيننا فيما جمل سببه غالبا ، والحظ في الاصل هو النصيب الذي تناله من الشيء بسعي أو بغير سعي وان غلب استعماله فيما يناله المرء بغير سعي منه اليه ، ولا تنكر ان بعض الافراد يتالون التقى والثروة بأسباب لا يعرفونها ، ولا يسمعون اليها سعيها ، ولا تنازع في تسمية ذلك حظا جاد به القدر ، على ما بيننا وبين أولئك الناس من الخلاف في فهم معنى القدر . وانما نقول في إقناع المنكرين لفائدة علم تدبير الثروة الذي وضع له اسم « الاقتصاد السياسي » : إن الواضعين لهذا العلم والمصنفين فيه والدارسين له والعاملين به يعرفون من أحوال أهل الحظوظ ما تعرفون ، ومنهم من يؤمن بالقدر كما تؤمنون ، ولكنهم مع ذلك يعلمون من أحوال العالم ما لا تعلمون ، فعضوا عليهم إلى علمكم ، ثم لكم بذلك حكمكم ، إذا كنتم تعلمون فيما تحكمون به على ثروة الافراد في كل أمة فلا عنزركم إذا قسم عليها ثروة الشعوب والامم ، فسبروا في الارض فانظروا كيف صارت الامم التي عثبت بهذا العلم اغنى الامم وأعزها ، وكيف يدخل أفراد منها في بلاد أمة أخرى فلا يلبثون ان يكونوا هم المستقر والمستودع لثروتها ، بل القابضين على روح الحياة المالية والاجتماعية فيها ،

ألا إن أمتا أحوج الى هذا العلم منها الى جميع العلوم الدنيوية لانعزوح جميع العلوم والأعمال ولكننا لا نزال مقصرين فيه ، بقدر حاجتنا اليه ، حتى اتيتي لم أر في لتنا غير كتابين وجيزين فيه طال المهد على وضعهما ، وارتقى العلم بعدها ، فصرنا محتاجين الى خير منهما ، وقد أحس بهذه الحاجة محمد فهمي افندي حسين الحامي (المتخرج من عهد قريب في مدرسة الحقوق الخديوية) فحمله الفيرة على أمته وبلاده على وضع كتاب جديد في هذا العلم يستمد مسائله من الكتب الانجليزية الحديثة وقد فعل وسماه (مبادئ علم الاقتصاد السياسي) وقد طبع الجزء الاول من عهد قريب فبلغت صفحاته ١٨٤ صفحة وجعل ثمنه عشرة قروش ضحيحة فسمى ان يرى من الإقبال عليه ما ينهض بهته إلى إتمام الكتاب تأليفا وطبعاً . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب المشهورة . وسنقل شيئا منه تنويرها به وإفادة قراء المثار

الاسلام روح المدنية

(رد على لورد كرومر)

لم يكذب ينشر كتاب لورد كرومر الذي سماه « مصر الحديثة » حتى كانت أول ما ترجمته الجرائد المصرية منه كلامه في الاسلام والمسلمين . ووعد بعض الافراد وبعض الاحزاب بتأليف كتب في الرد عليه ولكن قد سبق الجميع الى ذلك صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي فبادر الى وضع كتاب في ذلك وطبعه في بيروت في أيام الاستبداد الشديد إذ كان يخشى المرء ان يحاسب ويماقب على مثل هذا التأليف وعلى طبعه بدون رخصة من نظارة المعارف في الاساتنة ولو طلبت الرخصة فيه لما أجيب الطالب الا الى العقاب . وقد بلغ من شجاعة مؤلف هذا الكتاب ان ذكر فيه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ونقل بعض كلامه وشيئا مما يؤثر عنه ونقل عن المنار أيضا وكان يومئذ الى ذلك بقوله : قال السيد في المجلة . وقد كان ذكر الاستاذ الامام أو المنار قبل إعلان الدستور في المملكة العثمانية جريمة من أكبر الجرائم وخطرا على من يذكر هذا القالب « الاستاذ الامام » أو اسم صاحبه « الشيخ محمد عبده » أو المنار أو صاحبه ولو تلو بما من أشد الاخطار فشكرا للشيخ مصطفى على شجاعته وعمله . هذا ولم تنس لنا مطالعة الكتاب ولكتنا زجوا أن يكون خيرا مما كتب أكثر أصحاب الجرائد في الرد على لورد كرومر وناهيك عن يستمد من كلام الاستاذ الامام ، في الدفاع عن الاسلام ، ومن يصدف عن ذلك ظاهرا ، وان لم يستغن عن الاقتباس منه باطنا ، وثمن الكتاب في مصر خمسة قروش صحيحة عدا أجرة البريد يطلب من مكتبة المنار فنحن القراء على مطالعته

(تاريخ العرب قبل الاسلام)

كتاب جديد يؤلفه جرجي افندي زيدان المؤرخ العربي الشهير وقد انجز الجزء الاول منه فاذا هو قد استمد مسائله من الكتب العربية والكتب الافرنجية في اللغات المختلفة . وبعض الكتب الافرنجية مزينة على العربية في هذا الموضوع

بما اكتشفوه من الآثار القديمة في بلاد العرب . وقد اقتبس المؤلف شيئاً منها لا يستقي من الاطلاع عليه قراء العربية وهو على قلبه يصح ان يمثل فيه بقول الشاعر

قليل ما أمرت به ولكن قليلك لا يقال له قليل

وقد نظرنا في الكتاب نظرة إجمالية فآلفيناه حسن الترتيب جامعاً لكثير من المباحث النافعة ولكن لم يتح لنا مطالعة لتحكم فيه على علم بما نرجو ان يكون قد جاء به من التحقيق ففسى ان يتدب بعض من قرأه من أهل العلم والرأي الى موافقاتنا بمقال حافظ في ترميزه وبقده إنظاراً آتية ، وشكراً لفضل مؤلفه ، أما نحن هذا الجزء الذي صدر من الكتاب فمضرون قرشاً مصرى او يطلب من مكتبة الهلال بالفتالة

﴿ عروس فرغانة ﴾

هي إحدى القصص التي جعلها جرجي افندي زيدان منشئ الهلال ملحقاً لسني مجلته « تتضمن وصف الدولة الباسية في عهد المتعم بالله (سنة ٢١٨ - ٢٢٧ هـ) وقيام القرس لإرجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم لاكتساح المملكة الإسلامية ويتخلل ذلك وصف آداب الأتراك وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سائر عاصمة المتعم وواقعة البذ في حرب بابك وواقعة عمورية في حرب الروم وغير ذلك » وهي تقع في ٢٠٤ صفحات حسنة الطبع وان شجرة هذه القصص في إبداع الفكاهة القصصية المسلية شيئاً من الفوائد التاريخية ودعوة القراء فيها مما يجعلها غنية عن التقرظ والثناء وثمن النسخة منها عشرة قروش وأجرة البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال

﴿ مجلة صراط مستقيم ﴾

صدرت في الاساتنة مجلة إسلامية يحررها باللغة التركية طائفة من العلماء وقد كتب الينا مديرها ما يأتي

الى إدارة المنار

« تعاونوا على البر والتقوى »

شرعنا في نشر مجلة باسم الصراط المستقيم والله الموفق
غرضنا خدمة الدين المين ولكن حال بلادنا من حيث الكتب والجراند

حال محزنة . ولم نكن نرى من قبل تلك الآثار المصرية الثمينة وهل كانت رؤيتها من الممكنات ؟ والآثار التي كنا نملكها جعلتها الحكومة السابقة طعاما لمواقد الحمامات . وقد دخلنا منذ الآن في حياة جديدة . أما مجلتكم العلمية فهي مشهورة في جميع الكون فترغب ان يكون لآخواننا مساكين الترك نصيب من مائدتكم العلمية ونحن مقفرون في هذا الموضوع لمعاونتكم العلمية فترجوكم ان ترسلوا لنا مجموعة من مجلتكم وان ترسلوا كل ما يصدر منها بعد في وقته . وان أنبأتمونا عن الآثار الجديدة المطبوعة بمصر نكن لكم من الشاكرين . واقبلوا فائق احتراما

(المنار) قد سررنا سرورا عظيما بهذه المجلة ونشكر لمديرها الفاضل حسن ظنه بنا وسبدي رأينا في منهجها ومقالاتها بعد ان يتيسر لنا ترجمة بعض مقالاتها ثم نكتب لمديرها ان شاء الله تعالى

القسطنطين المستقيم

جريدة عربية جديدة أنشئت في دار السلطنة العثمانية (الاسكندرية) بدمشق
الدستور . أنشأها الحاج محي الدين افندي كريمة والحاج حسن افندي المجدوب
من خيار أبناء بلدتنا (طرابلس الشام) المقيمين في الاسكندرية وقيمة الاشتراك فيها
نصف ليرة عثمانية في بلاد الدولة العلية و ٦٠ قرشا في مصر و ١٥ فرنكا في
البلاد الأجنبية

فتمني لها من الراج والانتشار في هذه الديار وغيرها ما يمت أصحابها الى
تكثير حجبها وتكثير فوائدها

البدء والخرافات والتبقي اليك بالعجايب

﴿ كتاب ابي مشر ﴾

كتب اليانا من سنا فوره وجاوه ان هذا الكتاب منتشر في تلك البلاد بجلبونه اليها من مصر وان بضاعة المتحليين للتنجيم والرافقة رائجة به وسألنا الكتاتيون عن رأينا فيه وأرسلوا اليانا نسخة منه لننظر فيها ان لم يكن سبق لنا الاطلاع عليه فقول بعد الاطلاع على عدة ابراج منه

اننا لم نر في لقتنا كتابا أجمع للمفاسد والمضار منه، فهو مفسد للعقل والدين والآداب، محرض على الفسق والفجور، مقطع للروابط بين الازواج والاهل والجيران، وهو على ذلك كله خال من الفائدة واللذة

أما كونه مفسدا للعقل فتعني به انه يمد الضعيف في غيه فيزيده فسادا بقبوله لما وضع له من بيان ما يعرض للمرء في مستقبل حياته الدنيا .

لو فكر من له مسكة من العقل أقل التفكير في الطريقة التي يبين بها هذا الكتاب حوادث المستقبل لجميع البشر في ٢٤ فصلا منها ١٢ برجا للرجال و١٢ برجا للنساء — لرأى ان ذلك باطل بالبداهة فان من مقتضى ذلك ان كل من اتفقت اسمائهم وأسماء أمهاتهم وكل من اتفق العدد الحاصل من جمع اسمهم وأمهاتهم بعد طرح عدد الاثني عشر منها حتى تبقى اثني عشر أو أقل يكونون متقنين فيما يعرض لهم من الامور والاحوال في اجسامهم من مرض وصحة وحياة وموت وفي ازواجهم وأولادهم وكسبهم وغناهم وقهرهم واخلاقهم وآدابهم ومكانتهم في الناس وفي غير ذلك لا فرق بين أحد منهم الا من ثلاثة وجوه فان لكل برج عنده ثلاثة وجوه يعبر عنها بقوله الوجه الاول من نظر اليه كوكب كذا يكون كيت وكيت

فلما قل أن يجمع أسماء كثير من الملوك والامراء والعلماء والاعنياء والفقراء والصناع والزراع والعمال والخدم - أسماءهم وأسماء أمهاتهم بحساب الجمل على طريقة ابي معشر ويعرضها بعد الاسقاط على ابراجه وينظر بعد ذلك فيما يشرحه من شؤونهم فبهذه الطريقة يظهر له بطلان ما في ذلك الكتاب ان كان ممن يشبه في بطلانه . ولا حاجة الى شرح ذلك وتفصيله فانه يكاد يكون من البدييات الأولية وإنما يروج ما فيه على ضعفاء العقول من العوام والنساء لأنهم لا ينظرون في طريقته نظرة عامة للبحث فيها هل هي معقولة أم لا وإنما يفكرون فيما يلقي اليهم من كلامه المجلد العام الذي ينطبق على بعض أحوالهم مع الايمان والاذعان التقليدي بأن في أمثال هذه الكتب أنباء عن الغيب يتوارثها الخلف عن السلف ويسلمون بها تسليما

أمثال هؤلاء الاغرار تسهل مخادعتهم فلو قرأت لاحد من البرج الذي يؤخذ من اسمه واسم أمه بطريقة ابي معشر أو غيره من البروج لأخذ من كل ما يقرأه شيئا ينطبق على بعض أحواله ووجد فيه شيئا لا ينطبق عليها ولكنه لا تتفاداه ما يمكن ان يصدق عليه يتشبث ويفطن له ويغني عن غيره ويظن انه غير مقصود به

واما إفساده للدين فهو مشترك بين إفساده للعقل باعتقاد الباطل الذي ورد النهي عنه في الاحاديث الصحيحة التي تسمي تصديق المنجمين والعرافين كفرا ودين إفساد الآداب التي يأمر الشرع بالمحافظة عليها والتحريض على الفسق وقطيعة الروابط بين الأزواج وغيرهم

المعروف من أمر النساء أنهم أحرص على البحث عن مستقبل حياتهم من الدجالين والعرافين والمنجمين وانك لتجد في بروجهم من هذه المفسدات أكثر مما تجد في بروج الرجال

مثال ذلك انه يقول للمرأة انها تتصل بكثير من الرجال بالحرام وانها تزوج عدة أزواج وانها تكون سعيدة مع الاخير منهم وانها تكون شديدة الحظوة والقبول عند الكتاب أو الحكام . . . قل لي بعيشك كيف تكون حال المرأة التي تمتد صدق هذا الكتاب اذا سمعت من قارئه عليها أمثال هذه الأنباء ؟ ألا يكون ذلك مجرثا لها على المشق وعلى بنفوس زوجها . . . ؟

يظهر لي ان واضع هذا الكتاب كان حريصا على هذه المفاسد متعمدا لها وانه كان من كتاب الدواوين أو صديقا لم لانه يرغب النساء فيهن . ومن خبثه الدال على تعمده انه يقول عن بعض النساء اللواتي يحرضهن على الفسق انهن يتبن بعد ذلك ويوقن للحج الى بيت الله الحرام فانه بذلك ينال من افساد العفيفة المتدينة ما كان يعز عليه أن يناله لو لم يخبرها بأنها ستوفق بعد ذلك الى ما يكون كفارة لذنوبها وقس على هذه المفسدة ما يصفه الكتاب من أحوال أعداء المرأة ومن يكيد لها ويتر بص بها الدوائر فان ذلك يذهب بخيالها مذاهب في التطبيق على من تعرف من أهلها وجيرانها ومتى اعتقد الانسان ان احد الناس عدو له فانه يحمل أكثر ما يراه منه على ما يقوي اعتقاده فيه حتى انه اذا سمعه يشي عليه اعتقده انه يتهمك او يعرض بذمه ووجهة القول أن هذا الكتاب من أقيح الكتب وأشدّها ضررا ولا شك في حرمة طبعه وبيعه فما قولك بالاكْتِسَاب به ألا يكون من كبائر الآثام والفواحش ؟ بلى وان من قدر على منع طبع هذا الكتاب أو بيعه أو اتحال التنجيم به ولم يفعل فهو آثم ويغلب على ظني ان اهل سنننا فوره واهل جاوه لو بينوا لحكومتهم ما في هذا الكتاب من الدجل والإفساد للأدب العامة ومخالفة الدين وطلبوا منع الدجالين من التنجيم به لأجابتهم الحكومة الى ذلك

ولو نهبت الحكومة المصرية مثل هذا التنبيه لرجي أن تحاكم الذين يطبعون هذا الكتاب وتمنعهم من بيعه فمسي أن يتدب لذلك بعض أهل النيرة وأن تحمل الجرائد اليومية على المتجرين بهذا الكتاب وأمثاله وتطالب الحكومة بمجازاتهم على ما بمنعهم منه القانون المانع لكل ما يخالف الآداب العامة

بَابُ الْحَبْلِ وَالْإِلَاقَةِ

﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الاهل والاقربين ، والاصدقاء والحسين ، الذين حال بيننا وبينهم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو إليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والامة الى الإصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء واننا نكتب هذا في القطار بين القاهرة و بورسعيد . وسقيم في تلك الديار الى مابعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمنين وقد جعلنا أختا لنا وكيلانا في إدارة المجلة ومطبعتها وعهدنا الى إدارة البريد المصري أن نعدده وكيلانا وتدفع له كل ما يرد إلينا من الرسائل والدرهم . فمضى ان تكون غير قراء المنار الاخيار على إدارة المجلة في غيتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا اليها ما وجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نعد من يرسل قيمة الاشتراك الى المجلة في غيتنا ، من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا ، بل نعدله ذلك جيلاندكر ، وفضلا يشكر ،

﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجيين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزيرجه كأبي الهدي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثاً غريباً يرويهِ عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمور المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطاناً فقال انه يكون سلطاناً في سنة ١٢٩٣ قال هذا للشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انابا الشيخ ظافر عبد الحميد (افندي) بذلك كبر عليه ان يصدقهُ لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الاسنانه يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة يده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الامة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فينشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالى بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلائف الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

﴿ الاختلافات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الارض ومقاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للثريّة والتعليم تعلّم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكمها كانت مدرسة لا كالمدارس :

كان تعليمها يشبه الرحي ونريتها تشبه الآيات والمعجزات قائما قد علمت اطلق الكثير في يوم واحد وريت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصاف المسلمون النصارى في سلايك والاسانة ومصر ققط لكان لقاتل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسعون له من قبل . ولو واقهم مثل أهل بيروت والشام قال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود الاحرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسما الى ذلك فلم يلبثوا ان جاؤوهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في مواقة عمل أهل جدة (ثغر الحجاز) وأهل البرازيل وأهل الاربعين لصل أهل الاسانة وسلايك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يعلمون من أمرهم في ذلك شيئا ؟

كتب اليّ وبجيه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملحد في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لبأ الدستور ثم مشطاً لهم عن الاحتفال به بمدان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاووا وتعاقوا في ذلك الاحتفال وطلق كل فريق بهني الآخر . وذكر أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاسد الوالي واقفاه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الاهرام والمقطم فلخصوه في الجريدتين

وكتب اليّنا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : ان الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يشارونهم فلما جاء نبأ الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والدروز والنصارى من الارمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذاك بتواطؤ أو تقليد ؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة
أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار
حامسهم وتضاعف سرورهم وجذلهم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضا
بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الاحرار مؤسسي جمعية الشورى العثمانية في
مصر قال : « ثم سار الموكب متقدما انوسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا
صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومذا ابصرهم القنصل رفع
الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صمد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل
وهناهم بعضهم وقدم اليه عريضة طولها ٨٠ سنتمترا وعرضها ٥٠ فخاها الشكر
للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الاسامي ونيل شعبه الحرية وينا كان
القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجاهير منه ان يشرف عليهم من إحدى
النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ ومن تأصلت في نفوسهم
الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان
مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهرا الرضى والسرور فكيف تأبى ذلك
وانت من صغار مستخدمى دولتنا العلية ؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم
ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب
المؤلف من هذه الفرق التي كانت تستخدم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الوحدة
منهن للآخرى كان من أجل المناظر التي تسربها النفوس وتنبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه :
« اهتمت الصحافة البرازيلية والطليلية بالمظاهرة وذكرتها باثاء والتكريم
وجرائدنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر
عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يحصل الحرية طويلة المكث في
ديارنا ! والدستور ثابت القرار في وطننا ! ؟ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة
وهكذا محرو المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخارجية أكثر من المظاهرة الداخلية
اعتقاداً منه ان الاخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الاديب الياس افندي مسرة بالامر وطير الخبر لتلغرافيا الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر - وتكرم جناب الشيخ سابا الخوري نزيل الريو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس قلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وة - شارك إخواننا الارمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريدا في عظمته وقيما في محاسنه

وفي الختام نثني بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهني الشعب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملائى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والارزاء الامريكية واشتراك جميع الطوائف والممل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه في صدر هذا المقال

وكتب الينا من المفازة في بلاد السودان محمد افندي كمال الدين عدده سرتجار البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة فتلا عليهم خطابا ألم فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجي لها من النجاح والفلاح في المستقبل وشكر لرجال الاحرار الذين كانوا مبشرين في البلاد الحرة ومشتكين في اصقاع المعمور يسعون فيما اختطوه لانفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والوفا للنصر تخفق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخانجي باشكاتب المركز وشكر الحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الاحرار مهتا بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الاحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهنؤا جميعهم المنار وبعد ذلك افترط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيستها بالقاهرة باحياء ذكرى شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتي اكثلت بهم الكنيسة على سعتها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة (المذبح) دكة كبيرة على جانبيها رايتان سوداوان ينهما واية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد للقسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت القاها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا وصفق لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الاحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المعروفة حتى كان مما قاله ان السلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهدا في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفادرة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّأ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الاصلاح الذي نشده الاحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لاضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين نعاقيهم واحدا بعد واحد فصققت الجماهير لهذا المنظر أضاف تصفيقهم الكثير الخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالمرية فأحسننا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتب اسماءهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كادوا يختمون الاحتفال بمد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شيء مما يفتح عليه به . وقد تمتعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الارمن وغيرهم فاختطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة خلفاني الاسقف والقسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت الى الجمهور لإجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهافت يكاد يبلغ عنان السماء ما خلاصته :

قد رأيتم أيها السادة انني اختطفت من مكاني الى هذا الموقف الذي أتر في وجداني تأثيرا لم يدع لتصور الكلام وتديره مجالا فهماسمعتهم في أنا مذكور بالتصغير فيه قد رأيتم انني عاقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا يدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك ففائق البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نتحمل بها لم نلله الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال قد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية الطالبية للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يقته بل قال ان قتالهم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه هذا القانون قد وضع بقتوى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين انني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التأليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويها بفضاهما

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية
والمساواة — وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب الذميمة
يخدمون الدين وإنما هم يجنون عليه بذلك
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي اشتهج بها الثمانيون كافة وينتأها
بما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد
ولكن الثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ،
جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأبي
غربة في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على
حكومتهم وما عليهم لما يل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات
كلها ؟ لا غربة ولا عجب

اما نحن الثمانيون فانا قد جمعنا من اشتات الاجناس المتفرقين في كل شيء
ما لم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفرون في الاجناس والانساب ، متفرون في
اللغات ، متفرون في الدين ، متفرون في المذاهب ، متفرون في طرق التربية والتعليم
— أو قول في الجملة اننا متفرون في كل شيء يتفرق فيه الناس . فان كنا على هذا
كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في
هذا مجالاً للفخر وموضعاً للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخالف لقوانين الاجتماع الانساني
لا سيما بعد أن برّج الاستبداد بنا تبريحاً زاد في مسافات الخلف بين الطوائف
والمالل اتساعاً وملاً القلوب إحشة وبغضاء .

ولكن التأمل في ذلك يرى له سبباً طبعياً ظاهراً وهو ذلك الاستبداد الذي
زاد في التفرق والتمزق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولاً ثم جمعنا ثانياً ،
كيف كان هذا ؟ إنما كن بالمساواة في الظلم وتعيم الاستبداد فلو ان الاستبداد
كان عاماً واقماً على جميع الثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب
المساواة بالدستور عاماً

كان ظلم الاستبداد واقعا على رأس المسلم والنصراني وغيرهما ، كان عاما شاملا
 للتركي والعربي ، والارمني والكرد ، والالباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي
 جمعت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على نمي المساواة في العدل
 الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب
 ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور
 بعد الظفر به بسعي جمعاتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فاذا كانت المساواة في الشر
 قد أدت الى هذا الخير فاعظم فائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة
 فنحن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الاهواء والموانع الناشئة
 من اختلافنا حتى ننالها ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،
 جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتنويه بالاحرار الذين نجحوا في نياله ، وبالدعاء
 والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألم بالخاصين من الجوع
 والسآمة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .
 دل على ذلك ما ظهر على وجوه الخاصين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،
 ثم التهاني التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده
 بأيام ، وكان أكثر المهنيين تطلقا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلقاء الذين
 سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكتور شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي
 نمر حتى قال هذا الاخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشرين أي
 فيما يتعلق بمشرب المنار في التساهل والدعوة الى الوقاق والوداد بين المسلمين
 وغيرهم . ومن كررنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلا
 الترك القيمين بمصر والعارفين بالمرية وجمهور احرار الامن بل كان ابتهاج هؤلاء
 عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا معشر العثمانيين نعمة الوقاق والتوفيق لحفظ
 الدستور والاستفادة التامة منه .

الصحف في البلاد العثمانية

لم تكد الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها، حتى طفق أهل العلم والفضل يمدون الجرائد بأرائهم وأفكارهم، وانبرى الأدبيات في الاستانقصة للكتابة، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة، فأكد لنا الخبير الخبير وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الاستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مراء في ان هذا الانقلاب الاخير، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

نسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الاستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما ين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثنائي جرائد هزلية مصورة رأيناها ممتصبة بحبوة الزاهة والادب بعيدة عن المجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لاخلاقه ينطبع فيها ما يحمده وما يذمه وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في مسلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتائم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الادباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثر في تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت، أحدث في فؤادي اضطراباً، وفي جسي عدة عظيمة، وقشعريرة قوية الشكينة، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكاش وسكون، وقصور وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكلًا مستصباحًا من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على أعضاء الانسان، لا ما وضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة الفعوى على هذا الهيكل من السلطان !!! يرى الراي ذلك الهيكل والأدام والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المغضوب عليهم من يرون الهاتي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نبأ الفعوى عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : احزب غني فقد جثت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة، يجعل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسماً آخر يمثل سجيناً اخنت عليه السنون ، واذاقه الظلام عذاب الهون ، فتبدلت خلقته ، وتغيرت سحته ، وانسدل شعره على كتفيه ، وملاّت لحية صدره ، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنتره في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقدّم » ، وما كانت حياة أبي الارار مدحت باشا في منفاه (قبر الاحياء) الا كحياة هذا السجين ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فأرنا فيها الباحث المستفيضة في السياسة وال عمران والاجتماع وكما تدل على اختبار منشئها ، وسعة علم كاتبها ، وبعد غورهم في السياسة ، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول ، ولا سيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا ، حتى مالتا الينا وقرظتا احرارنا أحسن تقرّظ ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » ، وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي بطلاً ما ضنيه فخراً برجال الثورة ، ويعترف بأنهم فوق كل البشر ، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلى تلغراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حية عمل أية دولة تحاول بذور بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » ، واذا لم نجح من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبيرتين فائدة الا صدها لباقي الدول عن عرقلة مساعيها وايقاف سير أعمالنا لكأنت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها ، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكين ، وتهديس البغاة الظالمين ، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد ، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والمغلاء — عطاء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والباسوسية والوساطة بين الحاكمين والمحكومين لم بالرشى وكل أهوال الناس بالباطل ولكن جرائد الاساتنة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تهديس السلطة الجائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحرية متخلفة عنها بمراحل ، فمسي ان تغد في سيرها ، وتجهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالم من الضلع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طيارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الغني افندي العربي فانه عزم هو وحسن افندي يهيم الشير على إصدار جريدة يومية سيماها (المفيد) واذاغ صديقنا جرجي افندي بني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرنا فيها انهما سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتين ضليعان بما اتدبا له



استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا لا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدى فضليات بذات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة « ثروت فنون » بعنوان « البس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها « الجريدة » بالمرية وانا نقلنا عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« قرأ الجرائد فلا نراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فتستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الجليلة في رقي المرأة على أنهم يكتفون من كتابة المقالات الضافية الذبول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية ونراهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشاق بك يملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية ما لشركة السفن

ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة حبا وكرامة فاني أقرأ خسا واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئا وأقرأ عشرة ولكن هل لهم ان يتفضلوا هم ويكتبوا فيفتوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (ألعوبة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ما عليه فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يبين المرأة ويخرج عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالثرية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هاتم افندي في مقالها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت . وقد استحسنّت الكتابة أن يتضمن برديجرام المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيت انه . حتى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن باية لغة كانت . واذا وقعت فاطمة هاتم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعطني خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، وأؤكد أن بيتنا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنيه عظيمة، واطمن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لاتمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانما واثالي من القليات نادي بانشاء المدارس ونحن لا نزال في دور التحصيل ١٩٠٤ هـ

فسي ان نرى في قياتنا من ينهج نهج الكتابة القويم ويذهبن مذهبها في وجوب الترية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي، ودحض التأويلات وبيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعاً للخرافات والالوهام، فسرنا هذا التبا كثيراً لان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من الحشويين والمخرفين، وتقضي على التقليد والمقلدين، فتكون عوناً للنار على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين حسين وصني رضا

البرنامج السياسي

﴿ لجمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحيينا نقله عنها لقراء المثار وهذه ترجمته بالحرف :

- ١ — جل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك نعد الوزارة مسئلة اذا لم تحز أكثر الاصوات في المجلس
- ٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيداً بالامادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب لامة ثلثه لمدة معينة
- ٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب لدرجة الاولى سواء أ كان من أصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا دولة ماعدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ - سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي ببيع الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي
٥ - سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لا يخل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ - يتوقف تعديل وتبديل التقسيمات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القرى والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور
٧ - ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مخبرات الحكومة بهذه اللغة
٨ - أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الاقل

٩ - كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب قدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجنديّة
١٠ - الاديان حرة وستبقى الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ - سيطلب تنظيم القوى الحرية والحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط ان لا تضر بتمرين الجيش واستكمالها لاسباب القوة
١٢ - إلغاء الفقرة الأخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي المنافية للحرية الشخصية

١٣ - اقتراح وضع قوانين تعين حقوق المال وأصحاب الاعمال المتعاقبة
١٤ - سيطلب التذرع بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانوناً وان تسهل السبل لاقتراض الفلاحين القود بأرباح قليلة

١٥ — سيطلب قبول أصول (التخيس) في أمور الاعشار بصفة موقفة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدريج

١٦ — التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشي المدارس حسب قانون الخلاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ — كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فتشأ مدارس مختلطة حرة عمومية فتفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حراً وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجبارياً والتعليم الابتدائي مجاناً في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المأذوكها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجديدة لوضع بروغرامات تكفل بالمصلحة وابتعاد معلمات ومعلمين اكفاء . وتشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية أحوال الدولة الاقتصادية. أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ — توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوصل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ — سيقترح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقاً لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة لمرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ — سيقترح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في

نوشيح نفسه لمضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ — يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان

و بقرار اجتناع عمومي ويمكن أيضاً إلغاء بعض المواد أو اضافة مواد أخرى عليه

بؤني المحزنة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فمن عادى الذين يستنولون القول فيتولوا حسنه
أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كزار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٨)

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

أقبلناها على منبر جامع المجيدة في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكبي السوي وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد نلخص هذه الخطبة بمض من حصرها من الادباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله ، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي اولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فان الاسلام دين سهل
سائق موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خبير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الامر مصحفا مجموعا كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (المئارج ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فلاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما يتنه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الارض ، وقتل البشر من طور إلى طور ، ؟ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذته الألوان لغيرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤفقون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من التفرق والتماذي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهذبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربى ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الارض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويتبنون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الاصلاح الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين اسكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم المدينة كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؟ السبب في ذلك

(المارچ ۱۹۱۱) تحلیل فلسفی لظہور الاسلام فی العرب . حقیقۃ الاسلام ۶۴۳

عظیم جدا بتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الإسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبعهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم، والجود على تقليدهم وعاداتهم، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من فوره: إن هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فإن لم ينمعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين، منه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين، وأما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقي اليهم من دين أو علم جديد، ولم يكن لهم من الحكام المستبدين من يفسد عليهم بأسهم، ويذهب بيزيمنتهم، بل أعدم تلك بطبيعة البدوة وسذاجة الفطرة، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر، فكان فيهم كثير من إذا دعوا إلى الحق والخير قهروا الدعوة، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة، لذلك أنزل الله عليهم كتابه، وبعث فيهم رسوله، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نمنحك (أي نحميك) بما نمنع منه أنفسنا وأهلنا، وقام الإسلام بهم خير قيام، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان،

هذه مقدمة يمكنني أن أبين بعدها ماهي حقيقة الإسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم أن يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الإسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية، وماهي الفطرة البشرية؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة النبية واختيار ما تعتقد أنه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين خبيثا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا أن الفطرة يعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها بآيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فحصل مقصد الإسلام وحينئذ يجد المسلمون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الأعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعتز دولتهم

فإننا ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الاوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعقيدة المطهرة للجنان ، المبنية على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها ونظيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترتقي الهيئة الاجتماعية

الاساس الاول يبنى عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة النفسية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الاسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجناء على الاعمال التي تزكي النفس قرفها الى عليين ، أو تدسيها قفها في أسفل سافلين ، فهذه العقيدة تصلح العقل باطلاقه من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاولين ، وانخسوع الاعمى للرؤساء المسيطرين ، وكل ذلك مبين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني يبنى عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبني عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكّل يانه بالتفصيل الى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعملون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

في الكتب واكثرها فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى أزمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا ييسر للاكثرين دروسها وتعلمها ، فكما السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمردي القضاء والفتيا والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستقنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولا أراد ان يحج لم يستغن عن المطوفين الذين يعملون العوام مناسكهم بالعمل . وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا ولا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهد على العمل به رضي منه وقال « افلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولة ، وأية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض لما من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (لعلكم تذكرون - تقوم تذكرون - وما يتذكر الا من نسيب) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعونا اليه من الخير هو مما اودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية - فدين الاسلام اسهل الاديان لا حرج فيه ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأني عذر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟! (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بأن يكون كالذئب لا يهجم الا على الضعفاء او كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يتعرض بعض الناس على ما أقول من أن تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعززها الامة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها أمثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والانعطاط في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا تخفى على أمثالكم . صرنا وراء جميع الامم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يحن علينا واتما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا اذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجابا كثيفا فأعرضنا عنه وعن العلوم التي نحفظ بها
بيضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندرسة ليس لها سوق ناقصة عند أمة من الامم فحياها المسلمون عند مآظهم الاسلام وفذت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين يحرمونها اليوم يسترفون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من حياتنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العثماني *

• وتركيا الفتاة •

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تفسير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى العصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الامة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فانه معها آلم الامة وررضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصمد بها درجة في سلم

(*) رسالة حفيظة جليظة ألها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أر باب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن ترفيض لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

(المارچ ۹ م ۱۱) الاقلاب والثورة . الاستبداد يولد الاقلاب ٦٤٧

النجاح ، وأكثر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الاقلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلاً ، بدل الاقلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما روي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباستيل (la Bastille) واطلاق المسجونين فيها قتال : إذا هذه ثورة (Révolte) فأجابه المخبر : عفوا يا مولاي بل هذا اقلاب (Révolution)

فتراد ملك فرنسا ان فعل الثارين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المخبر يتافه ، وبين ان الاقلاب غير الثورة والعصيان ، فنحن اليوم أخرج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ على قدر المعاني ، لان الاقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلاباً في اللغة والادب ، فضلاً عن اقلاب الاخلاق والعادات والافكار ، لا ترى الجرائد العثمانية دلياً اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية (أسبانية وعبرانية) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الاقلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والعميرات السقيمة ، التي تغطي المعاني بستر المهابة حتي تستبهم على القارئ ، وتهد فصره بسلاسل التذليل والاستبداد

الاستبداد يولد الاقلاب

فالذي يولد الاقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التقلب والقهر اللذان هما من آثار اغضب والحوانية ، لان قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض مناه ، وأكثر الاور بين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بمجتهبة من تحت يدهم من الخلق ، لملهم ايامهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد والمستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في نلخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

٦٤٨ الاستبداد والاسلام . الاستبداد آسيوي لا إسلامي (المار ج ١١٩)

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتا منهم نعمة الحرية والمدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

الاستبداد والاسلام

فلاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والأخطا ط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن ا كاسرة الفرس وقياصرة الرومان ، عن نماردة بابل وفراعة مصر ، عن جنكيز خان وتيمور لك . والاسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وساوت بين أفراد الامة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعاهدين فضلا عن أفراد الامة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الامة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق اخلاصة بين المسلمين وخليقتهم والا اولى الامر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الخليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما يتمكينه أو بالاستعانة بمجموعة المسلمين ، ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزلتهم عن المنصة ، وأقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقنئ أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، وانقلبت الخلافة الى سلطة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسئول) كلوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرثون .. لك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » ود أموال الرعية انما هي ملك للملكها فاذا

(المأرج ٩م ١١) الاستبداد آسيوي لاسلامي . حلف الفضول ٦٤٩

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه!! واستباحوا التصرف في نفوس الرعية واموالهم واعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية. وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والقييح ما استعجبته السلطان، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق، ولا للحكمة والشرع، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم واغراضهم فاذا تصفحت تواريخ الامم الاسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي، وعلى جانب من الاستعباد الافريقي، وليس فيها شيء من الحرية الاسلامية ولا المشورة المأمور بها في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، كما قال الله لنبيه: (٣: ١٥٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله، ان الله يحب المتوكلين) وقوله تعالى (٤٢: ٢٦) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قریش تداعت الى حلف الفضول الذي عقده قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والفضل، فاجتمعت وجوه قریش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فحلفوا وتماقدوا ان لا يجحدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وكان ذلك قبل الاسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت مع عمويتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان، ما أحب ان لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الاسلام لاجبت»، فأبي شي. أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان؟ لا بل من جمعية الاتحاد والترقي؟ وقد احسن جدا العلامة القرري في جوابه المذكور في فتح الطيب حيث قال:

«سألني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم، اذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة، ويحملهم على الواضحة، بل من يفتري مصلحة دنياه، غافلاً عن عاقبة أخراه، فلا يرقب في مؤمن إلا ولاذمة، ولا يراعي عهداً ولا حرمة! فأجبت: بأن ذلك لان الملك ليس في شريعتنا، وذلك انه كان فيمن قبنا شرعاً»

قال الله تعالى ممتا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال تعالى (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكا) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فيها ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر ع وخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لما عن بني الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم تعين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آثر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة ليئا ، ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولئلا يقتلها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل ملوك الافرنج مقدسين وغير مسؤولين

منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحصرهم على الجاه وطمعهم في جمع الاموال وادخارها وفي اغناذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقاء يشون به ، وينصبون له اشرار المكيكة ، ويتهمون به بانواع التهم ، وينصبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يعطوه عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادرته وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. قاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصبر هو المسند بالامر ، ونتيجة القضاين واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة يصبرها لا تظلم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفافهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصابرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ماحرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرري في الجزء الثالث من فتح الطيب في غصن الاندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لاصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجهوا كتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

قصر السلطنة العثمانية وتريه ولي العهد والكامريلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المنول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة انزال ائخان المعظم على الرحب والسعة ، واسكان من معه من الحريم والاسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النقعات اللازمة لهم ولرؤساء (العرضي) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « الصدر الاعظم » تتألف مقام ائخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارث الجند والحفاظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء المسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلة ، ثم « الدقردار » الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والفرمانات وغيرها ، فهؤلاء أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما جبال الخيمة فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من ممالك البيضان وطواشيه السودان المحافظين على الحرم ، وكيرهم آغة دار السعادة ويسى أيضا آغة البنات « قيزلر آغاسي » ، ثم آغة البستانيين « بستانجي باشي » المكلفين بزراعة البساتين والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة « اثوابجي باشي » و « القهوة جي باشي » و « الابريقدار » و « السجاده جي باشي » . الخ . . . والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات (العرضي) مثل آغة الانكشارية « يكيچري آغاسي » وآغة الصباحية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو « الطوبجي باشي » . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج كلهم في درجة واحدة بمثابة جبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشريعات الرسمية والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ، والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والاثر الخفي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لاثميين « القهوة جي باشي » الذي لا يحتاج صناعته الامرقة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقعة صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي حمل الشاعر المفلق الامير شكيب على ان يقول آياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عريضة يرى الترك منهم أمة الزنج اكروما
ولذا انزجت الحياة اليتية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية ،
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي
وسط يقال له الماين لانه بين « الاندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية » .
ويعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالاسرى من السراي الجركيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيع هذه العادة المستكرهه ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغا من العلوم والمعارف ، لئلا يسول له الشيطان أمرا أو دمية سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السذاجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود ترى في حجر والدته الجركية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهن حرما ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بمحافظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادئ العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة . فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحدا من الدنو اليه ولا المرور بجانب قصره ، فضلا عن محادثته في المسائل الفنية والسياسة ،

ومنى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشيه السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفلت من أيديهم ، وقتشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم ككثير حتي يكشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجر المنافع اليهم ، وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الموالي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الامور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اقتضوا عليه وسامته بالتسليم واقتروا عليه بإفكهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسعوا في تنزيل قدره وترذيله ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الثالب القهوة جي باشي

والاثوابي باشي والابر يقدر والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى البلطه جي باشي وهو الخطاب — نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجر المنافع وتوظيف المنسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السعادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وابناء ملوكها العظام ، ولم يزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العجواء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كانت لها في العمران قدم راسخة ، بسبب هجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدنية العجيبة التي بهرت العالم ، وغبرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا (النمسا) وروسيا والبندقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط والانهيار ، وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفى خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت معملاً لسكب المدافع ، واقبل السلطان سليم الثالث بهمة عالية واقدم على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فاغتالته أيدي المنوف بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء مبرم على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال غائلة الانكشارية ، ونظم العساكر الجديدة ، واجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في تاريخ العثماني . واصاب اندولة العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بونابارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا، وتبه دثلي علي باشا، وحرب الموره، واستقلال اليونان، وحوادث جبل لبنان. وتدخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماة عن المسيحيين: فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي، وفرنسا على الكاثوليك، وانكرا عن مبشري البروتستانت، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد، ويطلبون الباب العالي بإجراء الاصلاحات، ووضع القوانين والنظامات لمنع التعدي على النصارى، ولمسواتهم في الحقوق مع المسلمين. والباب العالي يجد الاستفادة من العداوة القديمة التي غرسها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهن عليه من سوق العساكر وتكيد المصاريف الحربية: تسكن الفتن واخذ الثوار. وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفضائح التي تشعير الجلود من سماع وصفها، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذايح الروم في حرب المورة، ومذايح لبنان في حادثه الشام، ومذايح البلقار في حرب روسيا الاخيرة، وهي التي قام لها غلا دستون وقعد، وارغى وازيد، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي، وآخرها انقطاع الارمنية المعروفة، وهي نقطة سوداء في صحيفة التاريخ.

صدارة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساقطت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسة أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية، وكان لا كثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا. ونبت من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي متولي رقب السلطان بايزيد، وكان ولده في الاسنة (١٢١٤هـ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئا من مبادئ اللغة الفرنسية، ودخل في معية نسيبه الصدر الاسبق اسباطه لي علي باشا، وذهب الى مصر مرارا وخالط رجالها وقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره، فأكل تحصيل اللغة الفرنسية واطلم على دقائق السياسة وخوافيها، وكانت المسبلة الشرقية شاغلة وزارات أوربا بسبب اجتهد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطمعا في الاستيلاء على القسطنطينية. وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوروبية - وفي مقدمتها
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية
الى القيام بالاصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية
الدول سدا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان (تموز « يوليو » سنة ١٨٣٩) كان مصطفى
رشيد باشا سفيراً في لوندن . فتمين ناظراً للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل
كثير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال
الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط الشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت
قراءته في كلخانه (أي دار الورد) وهي من دوائر السراي القديمة (طوب قيو)
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانه واشتمل على تأمين
الرعية على ارواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال
الاميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء
المصادرة والانفارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك

فما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم الرعية
فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات لإرضاء لاوربا ولا سيما انكلترا .
والامة الاسلاميه لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح
والاموال والاعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل ببيع التجاوز
والتعدي على الارواح والاموال والاعراض ، وحاشاها من ذلك . قالبلال لم يكن
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحتها التنظيمات لم تكن شيئاً
مذكوراً بجانب الحرية التي منحها القرآن لوزال عنه الاستبداد والجلل المستوليان
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نوايس المدنية الحاضرة كما
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ العسكر جرى تطبيقه في بعض الآليات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كعصيان الارناؤوط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه . ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الستانة ونظمت محاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مسند الصدارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفته اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . ففى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه الغامضة والافتاظ والتركيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده ونحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي التعقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا تاريخ علم الأدب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجبية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعللا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثر قصائده في مدح مصطفى رشيد باشا . وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها (تصوير افكار) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخب (تصوير افكار) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

علي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ونسخ منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين علي باشا وفؤاد باشا ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشيلي علي رضا افندي ابي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشهير كجه جي زاده عزت ملا الذي في الاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . قتل امين مبادي . العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسمية كل داخل باسم يتميز به عن سمية ، ولم يصطلحوا كالعرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسمي (عالي) تسمية بالصد تقاؤلا بملوهمته . فذهب الى أوربا في كتابه السفارات واقتن الفرنسية وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية وعين عضوا في (انجمن دانش) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق الكادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة واثباء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهمة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام العلية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذاك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجمعة السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في فينس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع معجودت باشا القواعد العثمانية التي لم يؤلف لآن احسن منها ، وخلف الفريق كجه جي زاده عزت فؤاد باشا المكاتب الشهير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نواب السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضا لدول اوربا ولا سيما انكذره ، ومماشة لها لحرصها على قوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النواب بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والامور المدرجة في الدستور ترجمة حريفة ، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حق درسها ، ولا لتشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم ، ولذا لاموا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها تول إلى قلب البلاد وجعلها

افرنجية محضة . ولذا كانت الاكثرية لحزب تركيا القديمة ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الاقلية قليلة ، درسوا العلوم الجديدة دراسا سطحية و بعضهم زار اور با مرة او مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور با اليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكثوره وفرنسا وساردينيا ايا إيطاليا ، فخار بن روسيا وانصرت عليها في حرب القرم وعقدت معاهدة باريس (٣٠ مارس سنة ١٨٥٦) واعترفت اور با بمقتضاها بتام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع اية دولة من المداخلة في أمورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ أيضا مؤيد لخط كلمخان ، ويشتمل على حرية الاهالي ومسأوتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه فرمانات والخطوط الشريفة السلطانية لم تمت تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد علي ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما أصلحوها وجاق الانكشارية والصباوية وقلبوها الى النظام الجديد

حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا لمصري ثم صهر خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تعين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا للمالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكروب الاقراض قد تشفى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم القديمة ، حتي بلغت الديون ما بلغت فأتمت كاهل الاممة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، و مترجم تلك للتركية الترجمة الاولى الموبصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخسارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العلية ، ثم في نظارة الحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الال لمر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تعين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على قسم ميراث أبيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأنحذه الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقته به فتنة من الشبان فأكرم مشايرهم وأفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة . والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والملاحظة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والمنام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فظلموا الشر وأفرو القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاسطانة سنة ١٢٥٠ هـ . وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل الممتنع ، واشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدير المملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاسطانة وسانليك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم أبو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تبلغها الى الآن . مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الاسكندرية وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها ونظرا للخارجية ، وتزوج بأ كبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي خاتم التي اقترنت بأ والدتها وزوجها الاول في تعصيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاء هي وشقيقها الامير محمد علي باشا

لائحة فاضل باشا للسلطان عبد العزيز

لخص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحة المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تحييز لهم وتحامي عنهم ، فرعايا جلالكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لا حادله ، والمظلومين بلا شفقة ولا رحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلالكم والتي اغتصبوها - اغراء ونشوقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون ففسد اخلاقهم أيضا بملاقاتهم الضارة مع ساداتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكاياتهم الصحيحة إلى أعتاب سديكم الملوكية ، لان ظلماهم يرون هذه الاستفاته مع الاحترام بحكومة جلالكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، وإنما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، وبعدون التمسك بها من النيرة الدينية والحمة الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف (١٨٦٢ م) ، وهاجر إلى باريس (١٨٦٥ - ١٨٦٧ م) وانصار هذا الحزب هم جميع المطلبين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أوعلى ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا (جون تركي) كما يقولون (جون قرانس — جون ألمانيا — جون ايتالي) قترجم تركيا الفتاة وقبل بالتركية (كنج تركر) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جرأته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الاجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مسند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فلا أكبر من الاسرة ، كاهي القاعدة في جميع الممالك الاسلامية ، لما علت من ان الاسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواها الصدر الاعظم علي باشا صاحب الاعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للمالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقواف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم اصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والظلمات عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها قترجموا مثلاً قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل التكاح و (الدوتة) واشترك الزوجين بالاموال وعدمه ، كاهو مختص بالاوربين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة علي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر اموال الخزينته وأصبح آله في يد الجنرال اغتاتيف سفير روسيا في الاستانة

صدارة نديم باشا الاول

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، قتربنى في داره على الاستبداد والارتكاب ، وتمين واليا كأيه ثم ناظرا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للاصلاحات الجديدة والحرية . تقرب الى السلطان عبد العزيز خان بالنفاق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدمس له بأنه تحت وصاية

(التاريخ ١٩١٩) الاختلال في صدارة نديم - صدارة مدحت باشا الاولى ١٩١٩

فؤاد باشا وعلي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، واقابض على رقاب خسين مليونا من الرعية الذين هم عبيد جلالته !!! ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد !! ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا. وحدد فيها مصارف المالىين ، فاهلقت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودرهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين ، فاستبدل بهم المرتكبين وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية ، حتى كان الضابط يترقى إلى المراتب العلى في أقرب وقت ، ويصبح مشيراً ، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بين السرايات التي لازوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار ثرا بصدعين كما زاد الانهك في الملذات والشهوات ، وكانت أوروبا وصيارفة الاستانة قرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم قراء الرعية من أصحاب الاعشار والاعظم يؤدونها من كدّ اللين وعرق الجين .

ومن الغلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار القرامات بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين اكارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغاثيف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبغدان والجليل الاسود والهرسك روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لا شراكم جميعا في الدين الارثوذكسي ومن الغلطات المالية أيضا إعطاء الثري النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم ايلي المعروفة بسكك الحديدية الشرقية ، واضرار الخزينة والامه من وراء ذلك ضررا كبيرا ، وفي أثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

صدارة مدحت باشا الاولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسمق الي كانت مركز ولاية الطونه (بلغارستان) على ضفة نهر الطونه (الدانوب)

البحني، ولما كان من صفات الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادئ العلوم وحسن الخط
 العدد في ذلك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،
 وأدخله على حدائقه سنة قلم الصدارة فتخرج في أقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة
 والتجربة والاختبار، وتعين مأموراً في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى إلى
 أن صار باشكاتب في مجلس (والا) وهو شوري الدولة، وذهب مرة ثانية إلى دمشق وحلب
 للتحقيق عن القبرصلي محمد باشا، وألفت باستعداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعلي باشا
 وقواد باشا ورفعت باشا فافترس الخارجية إليه، فاجلسه معه وفتت باشا لسمع المحاورات التي دارت
 بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت
 باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨م تولى الصدارة عالي
 باشا فأذن لمدحت بالذهاب إلى أوروبا لمدة ستة أشهر، فذهب إلى باريس ولوندره
 وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الإدارة وحسن المدينة والترقيات العصرية. وما زال
 يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلفارستان الحالية) فأجرى فيها
 إصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الأيالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا
 في سوريا، ثم عين والياً لولاية بغداد ومشيراً لعمادتها فسكن عصبان نجيده، وأهداه
 السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمته، وإذا كان الصدر الأعظم محمود
 نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل قل مدحت باشا من ولاية بغداد إلى ولاية
 ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية وأراها طرق الخل وسوء
 الإدارة وعاقبة الأمر، ف عزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا
 لكنه لم يبق فيها إلا ثلاثة أشهر، وكان سبب عزله على ما روي: أن إحدى سرايري
 القصر بعثت إليه مع الطواشي طالبة تعيين أحد خدامها قائماً في أحد الأقسام
 فأجابته مدحت «سلم على الخاتم وقل لها إن تلمس هي بنفسها من أفندينا ذلك»
 واشتد غضبه من مداخلة السرايري وتابع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة
 أو خمسة عشر شهراً، ثم عاد إلى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير أحمد،

فزاد الارتكاب ، وبيعت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالمزاودة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قصت باعلان الافلاس في ٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٧٥ ، وطمع الصوفي البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريض بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاستانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ٢٢ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ وذهب آلاف منهم الى سراي طوليه باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا الى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقبصر لي أحد باشا فظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

خلع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كال بك وضيا بك وروؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا الى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم الى هذه الرتبة بعد ذلك فعم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبدالعزيز في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ و ٣٠ مايس (مايو) سنة ١٨٧٦ بقتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجترال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة العوجاء ، ونقل السلطان عبد العزيز من سراي طوليه بأعجه إلى سراي طوب قيو المقابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطوليه بأعجه على ساحل المضيق (البوغاز) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الاتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثروا بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا لإجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهي من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجرركس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجرركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا الخادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأنرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلوس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكال بك

كاتبين خاصين للباين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحريصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتحيته . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للباين ، وانكلبز سعيد باشا رئيسا للباورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للباين

مؤثر الاستانة واعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا اتانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجلب الاسود والبلغار وتأفهم من الظلم والاستعباد، ومطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وأدب لفته، بعد ان كان الدين المسيحي الارثوذكسي يجمعهم تحت سلطة بطريرك القسطنطينية . وكانت أوربا تطالب الدولة العلية باجراء اصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف، فقرر عقد مؤتمر (قوفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السبر هنري اليوت والودس السبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا (النمسا) ، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغنايف، وواحد من ايطاليا، وواحد من المانيا، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا، ففقدها جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكتمل افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلا: ايها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطاننا الاعظم، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء ؛ وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العبادات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلن القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه متسديف ومدفع في جميع المدن والملك الثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الاقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن (صدر اعظم) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك محمد رشدي باشا شيخا مسنا متقاداً له ولحزب تركيا الفتاة ، وبعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشيخوخة ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغنايف بهذه الاصلاحات بل أصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئحة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية أيام ، فكانت من قبيل (الأوتوماتوم)

عقد المجلس العالي ورفضه لأئحة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمشيرين ورجال الدولة والرؤساء الروحين واغبيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئحة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردها يؤدى إلى الحرب ، فتشاوروا بكال الحرية وابدئ كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رافت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحى يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئحة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبة القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وألقى وكيل بطريرك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والفسيرة على منافعه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع المساكين العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريرك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والاديان اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) برفض مطالب الدول المذكورة في لأئحتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوربا والباب العالي

نفل حزب القهر وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب الخائف للقانون الاساسي يسعى في التخلص من هذا القانون ، فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انعقد مجلس الوكلاء برأسته في دار الداماد محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت باشا ناظر العدلية (الحقاينة) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (١) بسبب جلوس السلطان الحالي ١١، وكان أحمد جودت باشا من المنسفين الى الداماد محمود جلال الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاه مشهور في الاستانة والولايات ، واعلان القانون الاساسي يسد على المرتكين أمثاله باب الارتكاب ، فإصرار مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكركم وبجربندي (وقت) و (استقبال) والمقاتلات الشائعة المحررة فيها — صدر الخط الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدات الواسع الذي امام الباب بحضور جماهير الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي افندي مقي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، ولما اين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ، حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لتلاي شخب مبعوثا عن أهل الاستانة . فضاق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن غرضنا من اعلان القانون الاساسي الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسئوليتهم ، وتأمين جميع الناس على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء — الى أن قال — واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف

يوجب علي أن لا أطيع امورك (أو امركم) اذا لم تكن مواهقة لمنافع الامة ،

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى فاضل باشا كما تقدم . وبالحققة ان احكام الشريعة الاسلامية وقاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلاطز بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لخلق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

مزل مدحت باشا و نقي و صدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونقي على الباكسة (عز الدين) الى ايطاليا ، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديري دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وفيق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء و مندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) يطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر اقصصر وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغنايف الى اور بايقول : بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعاودة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيا لاغيا ، فترددت دول اور باولا سيما انكلتره في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اور با على اصلاح الروم اليلى فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحقوق الحكم ، فلم يفقه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدرها حق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يتقدمونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نعرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون : ألم يكفنا ما لدينا من الخنس والرواثر المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنظم ادارتنا بجميع ما نراه امام أعيننا من التظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين اتراه يصلح بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؟ فما بالك في مراكز الولايات والالوية ، اذ كان المستخون لا يوصون مبعوثهم الا بطلب الرتب والالوسه والالاقاب والمناصب والخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم ! ! ولئن لا ذنبهم وحام حول حجامهم ، أو يا عفاهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب والمكوس عنهم ونحو ذلك ! ، مما يعود على الوطن بالخراب لا بالعمران ، كأن خزينة الدولة كنز لا يفتني ، تخطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ و١٩ مارس (سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طوله باعجه بمحلة بشكطاش ، وتلى النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« ايها الاعيان والمبعوثان

« انني أبدي الامتنان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقدار الدول والممل انما هو قائم بالعدل ، حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صف من صفوف الرعية . وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان القانج في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلل في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان المحافظة على السنة صفوف رعيتنا وملتهم ومذاهبهم منذ ستة مئة عام كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل بيننا كانت ثروة الدولة والملة (الامه) وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة ووقية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجيا بسبب قلة الاقياد للشرع الشريف

ولقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف الخ
 ثم ذكر إزالة السلطان محمود غائلة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال
 مدينة أوروبا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتفاء السلطان عبد المجيد خان أثره ،
 واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف
 قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (١١١) وخصص لاجتماع المبعوثين
 بهو كبير في سراي العلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفيق افندي الذي
 صار بعد ذلك باشا ، وعين للرياسة بإرادة سنية لا بالانتخاب ! ولذا كان رقيقا على
 مدحت باشا ، وقد اتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة
 بوظيفة رئيس الموسيقي المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،
 فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الانغام واثلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة
 مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما بينها

مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في العريضة التي ينبغي تقديمها من
 مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فحررت مسودة الجواب واسقط
 الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن قرة « المحافظة منذ ست مئة عام على
 السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاساتذة
 وقال ما محصله : « لا يمكننا ان قبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلناه ، لان
 لساننا — نحن معشر الروم — هو ثروتنا ، فنسوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة
 سلطاننا الاعظم ان نمحو كلمة أثبتت جلالة بنفسها وكررت متناذلك من جديد »
 فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان
 العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن
 كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس
 ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت
 آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي
 نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !

(لها بقية)

العمل *

لئن كان للطبيعة حق الأولوية في أحداث الثروة سواء في أرضها الخصبة، أو في أحراشها الكثيفة، أو في مناجها الكثيرة المادن، أو في مراعيها الغزيرة الكلأ، أو في أنهارها المتدفقة بالخيرات، فإن المدار في استثمار كل ذلك على السهل ولو قليلا - فلا بد من فتح الأرض وبئر الحبوب قبل أن تجود الطبيعة بنعائها، وتبذل الأرض غلتها، ولا بد من احتفار المناجم قبل استخراج كنوزها، ولا بد من جني الثمار قبل التمتع بلذيق طعمها - فالسبل ضروري للعران، ولازم لكل موجود، وهو للوارد الطبيعية التي هي يتابع الثروة بمثابة الدلو من البئر، إذ لولا ما قدر أحد على الاعتراف منها .

وقد وفي الدين العمل قسطه من المدح حيث حث على التمسك به ، فقال عز وجل في سورة مريم (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقر عينا) وهو أمر به ، لانه إذا كان جل شأنه يأمر السيدة مريم وهي في وقت الخاض بهز جذع النخلة قبل أن يساقط عليها الثمر ، مع انه قادر على أن يكفيها موزونة ذلك الثعب ، فمن البديهي انه يأمر كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية بالسمي في تحصيل رزقه ، ولا سيما إذا كان صحيح الجسم . وقال تعالى في آية أخرى (وجعلنا القليل لباسا والنهار معاشا) أي وقتا يلزم فيه السمي لتحصيل العيش ورغب الرزق بالعمل ، وقال (فإذا قُضيت الصلاة فانثربوا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وهو أمر بوجوب جوب البلاد والضرب في طولها وعرضها ، رغبة في العمل والانتفاع بما خلق جل عظمته من الخيرات ، وقال (فابتغوا عند الله الرزق) أي

٥) وعدنا قراء النار في الجزء الماضي بأننا نقل لهم طائفة من كتاب الاقتصاد السياسي المفيد ، وهذا ما اخترنا نشره وفاء بالوعد ، وبحريا للنفعة

اعملوا حتى تحصلوا على ما يقوم بضرورتكم ، وقال (فاشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فظفروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى ، فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ، فقال النبي « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكفيها المسألة وينفيها عن الناس فهو في سبيل الله » وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » وقال « احرق لدينك كأنك تعيش أبدا » وقال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب ، خير من أن يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه » وقال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وهكذا فضل النبي العمل في أمة حرفة على الاستئانة إلى الكسل ، وارقة ماء الوجه في الطلب . وجاء في الإنجيل ما مضاه « تأكل خبزك بعرق جبينك » وهو حث على العمل طلبا للارتزاق . وروي إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا فقال ما تصنع ؟ قال أتعبد ، قال ومن يعولك ؟ قال أخِي ، قال : أخوك أعبد منك . وقال عمر بن الخطاب « سامن موطن يأتي الموت فيه أحب إليَّ من موطن اتسوق فيه لاهلي أبيع وأشتري » وقال « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقيل للإمام أحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي ، فقال أحمد « هذا رجل جعل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي . وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال : تغدو خالصا وتروح بظانا ، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق » هكذا يحث الدين على العمل ويرغب فيه مراعاة لتقدم العمران ، ومحافظة على النوع الإنساني من الفناء ، ومن ذلك تظهر حطة أولئك الذين يرون التوسل وسيلة للارتزاق ، والتسول حرفة للتميش ، أولئك الذين لم يعرفوا مزية العمل وعلاقته بالسعادة ، ففضلوا مد أيديهم للسؤال على مداها للعمل ، واستسهلوا أن يكونوا كالكلاب تأكل كل ما يلقي إليها ، أولئك هم الذين يحل الشقاء بالبلد الذي يحلون

فيه، فهم يستفدون ثروته، ويستزفون خيراته، بدون أن يسعوا في احداثها.
العمل هو أساس الثروة فكيف ينتظر النجاح بدونه، وهو دعامة كل مآثره في العالم من
التقدم في المدنية . ما رأينا بلدا تمسك أهله بأهداب العمل إلا ونحوحت فيه الصحارى
القفر الى حدائق غناء، وجادت الارض بكنوزها، وانساب الذهب إلى جيوب
أهلها . لولاه لم يصير الترب تبرا، وتبدل المفاوز بمعاهد للعلوم، ومما يد للنسك، ومعامل
للصناعة. لولاه ما ضحكت الارض من بكاء السماء، ولا ابتست الازهار في الاكام،
ولا حملت الاشجار لذيق الثمار من كل زوجين اثنين، إذ أنه لا بد من غرسها
قبل أن نصير دانية ظلالتها، مثالة قطوفها، ولا غنى عن قصدها قبل ان ترعرع
أغصانها، وتصير دوحة تناطح السحاب . لولاه ما استبط الانسان الوسائل التي
يسخر بها القوى الطبيعية، ويتغلب على الصعاب، ويقرب المسافات بالبخر والكهرباء،
ويجمل كليهما رهين لإشارته . لولاه ما أخذت الارض زخرفها، وبلغت من المدنية
غايتها، وبدت آثار العمران في انحائها، وصارت معمورة يتزايد سكانها في كل عام،
وتضاعف ثروتها آتاء قاتاً .

من ينكر فضل العمل في إحداث الثروة، فليرجع يصره الكرة الى
« استراليا » في الماضي يجدها في آخر درجة من الانحطاط، لنحول سكانها
الاصليين، وكثرة اتكالم على الموارد الطبيعية، ويشاهدها الآن وقد نالت
من العمران حظا وافرا، وجزت في المدنية شوطا بعيدا . ذلك لان قوما عرفوا
مزية العمل استوطنوها، فنهلوا من تلك الموارد، وعملوا في برها وبحرها، واحتفروا
المتاح واستخرجوا كنوزا دفنتها الارض في بطنها اجيالا، وحافظت عليها لمن قدر
العمل حق قدره . فطبيعة تلك البلاد لم تتغير وانما تغير سكانها . بل مالنا ولتشيل
باستراليا، وأماننا شبه جزيرة العرب التي كانت محط رحال المدنية، ومهبط العلوم
والعرفان، ومصدر العبران، ما لها قد عنت آثار مدينتها، ودالت دولة ملوكها،
واندرست معالم علومها، واندثرت معارفها، وصار ذلك المجد القديم، والسودد الماضي،
أشبه بحلم حلم ١١١ أليس السبب هو ان ذلك السلف الصالح خلف من بعدهم خلف

٦٧٦ رأي الفلاسفة في أصل الثروة - ادوار العمل - عصر الصيد (المنار ج ١١م٩)

أضاعوا الجدموروث، وأهملوا العمل، وتمسكوا بأذيال الكسل، حتى صاروا قديما في عالم جديد (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)
كان «كسائي» وأضرابه يعتبرون الأرض الوسيلة الوحيدة لإحداث الثروة، ويبخسون العمل حقه في الأحداث، وذلك زعم صحيح من جهة أن الأرض ينبوع المواد التي تقوم بها الصناعة، فلا يقدر الصانع على نسج ثوب بدون قطن، ويستحيل عليه صناعة آلة حديدية بدون حديد، ولكن «كسائي» بخس العامل حقه، وأنكر عليه تحويله الحديد من شكله الطبيعي حيث لا ينتفع به، إلى شكل يصير بواسطته آلة تجارية ينهات الناس على ابتاعها. أنكر على العالم الكيماوي تركيبه لدواء فيه شفاء للناس من مواد طبيعية لا تفيد كثيرا، وهذا مالا ترضاه العدالة، على أنه بعد «كسائي»، كما قدمنا أتيج للعمل أن يأخذ «آدم سميث» بناصره، ويظهر فضله، ويطلب في مدحه، ومن ثم أخذ مقامه في الصعود، ونجحه في السعور، حتى لقد قال فيه العلامة «جيد» أنه هو الجدير دون غيره أن يكون الوسيلة في إحداث الثروة حقيقة، إذ الإنسان هو المنتج الحقيقي لها، وما الطبيعة إلا طوع ارادته، يحركها كيف شئت تلك الإرادة

﴿ ١ - أدوار العمل ﴾

عصر الصيد

في ذلك العصر كان الإنسان قليل العمل، كثير الاعتماد على الطبيعة، يعيش من صيد البر أو البحر، وكان رحالا كالانعام السائمة، يسكن البقاع الكثيرة القنص، كما تأوي هذه إلى المروج الغزيرة الكلا، ويقتني عصا الترحال إذا قل الصيد، كما تفعل هي إذا غيض الماء أو جفت المراعي. وقد كان في ذلك الدور مهددا بخطر ين : الوحوش الكاسرة، والمجاعات المهلكة، لقله ادخاره، لما يقات به في اعساره، فالويل له إذا أصابه مرض أقعده عن الصيد، أو اتباه حر أو برد منعه عن مطاردة فريسته، والويل له إذا كان ضعيف التكاية أعداءه (كذ : في الأصل) الذين يدهمونونه لسلب ما اقتنصه . وكان عدم ادخاره راجعا إلى أسباب كثيرة، منها عدم احترام الحقوق، فكأن حقه مزعزا لا يقدر هو على حمايته، وليس هناك حكومة تدافع عنه، ومنها عدم وجود مسكن له أو ذرية في

أغلب الاحيان، ونذا لم يوجد عنده ما يدعوه الى الاحتفاظ بالقوت تحزنا للمستقبل .

عصر الرعاة

ولما رأى نذره مرضا للمجاعات القتالة التي كانت تجتاحه من وقت الى آخر ، ورأى أنه ملازم ، لتفقه على زوجته وأولاده ، توجهت همه الى تدجين الحيوانات النافرة كالأبل والحيل والقتم وغيرها ، مما كان لا يتفق به كثيرا . ووجد من أهله وذويه من يساعده على رعي تلك الأبل والقتم في الوديان والمروج الفسيحة التي تحيط به ، والاتقال بها من مكان الى آخر . وفي ذلك العصر ازداد عدد الناس ، وكانوا عليه ، وتألفت منهم قبائل كثيرة كانت ثروة كل واحدة منهم تقدر بعدد رؤوس الأبل أو القتم التي تملكها ، كما كانت الحال عند العرب والتركمان ، وكما هي الآن عند العرب الرحالة والزط . ويمكننا ان نعزو كثرة عدد الناس الى بيدين (الاول) كثرة تاج الحيوانات التي كانوا يربونها حتى صاروا في سعة من العيش ، فكانوا ينتفعون بألبانها وأوبارها ولحومها وجلودها حتى قلت المجاعات بينهم (الثاني) ازدياد العصبية في كل واحدة من تلك القبائل ، مما جعل حق الملكية مضمونا نوع ضمان ، وجب الى كل فرد اقتناء الحيوانات فزادت الثروة وزاد العدد .

عصر الزراعة

وكانت النتيجة الطبيعية لزيادة عدد السكان هي الازدحام على المراعي بالحيوانات مما جعل حشائشها التي غرسها يد الطبيعة غير كافية لسد الحاجة ، فعمد الناس الى معالجة الزراعة من اثاره الأرض ، وبذر الحبوب فيها وتعهدها بالسقي ، حتى نبت ما يكفي لمووتهم ولا نعامهم . واستخدموا في الزراعة كثيرا من تلك الحيوانات ، ومن ذلك العصر ظهر العمل بمظهر أجلي ، إذ لم يعد الانسان مفوضا كل أموره للطبيعة ، يأوي حيث نبتت حشائشها ، ويرحل اذا جفت خيراتها ، بل أخذ يعول على معوله ، فيحول به الأرض المجردة الى مزارع كثيرة الخيرات ، وأنبي على رغد عيشه تقدم عظيم في أحواله الادبية ، فنظم معيشته وظهرت الحكومات لأول مرة بالمعنى الذي زارها به الآن ، ولا حاجة بنا الى القول ان معظم الامم التمدنية في الزمن الماضي كانت تعالج الزراعة في أول أمرها قبل ان ترسخ قدمها في المدنية . والسبب في ذلك بساطة الزراعة وعدم

احتياجا الى كثير تفكير أو كبير عناء ، على ان تلك الام نفسها وجهت همها بعد ان تم لها الامر الى استجادة الصنائع على اختلاف انواعها .

عصر الصناعة

الصناعة تأثر من آثار المدنية تتوجه الهمم اليها عند بزوغ شمسها ، وتستجاد اذا زخر بحر العمران ، والسبب في ذلك راجع الى أمرين (الاول) ان الانسان لا تتوق نفسه الى الكماليات كالصناعات المختلفة الا بعد تحصيل الضروري من مأكل وملبس ، (الثاني) هو ان معظم الصناعات تحتاج الى الممارسة والتعليم ، وهما لا يوجدان في وسط الام المتوحشة ، ومن الصنائع ما هو مقدم كصناعة التجارة والحداة والبناء والخياطة ، لان منفعتها ظاهرة لبناء المسكن وعمل الملابس ، ولذا توجد احيانا بحالة ساذجة ، ومنها ما لا يوجد في الامة الا اذا قننت وتنوعت أساليب مدنيته ، كصناعة الرسم وصناعة الطباعة وتجليد الكتب (١) وكلما علا كعب الامة في العمران ابتدعت الصنائع المختلفة ، واستنبطت الاختراعات المفيدة ، وارتقت فيها الاعمال العقلية الضرورية للصنائع كالتعليم والتأليف .

عصر استخدام البخار

على انه مهما يكن من تقدم الصناعة عند بعض الامم في الاحقاب الغابرة فان اختراع البخار في القرن الماضي جعل صناعة الزمن الحاضر متقنة ، وصار العامل بدل ان يستغرق وقتا طويلا في الصناعة ، يدير الآلة البخارية فتكفيه مؤونة الثعب .

﴿ ب - الاعمال العقلية ﴾

ولا مشاحة في ان عمل الانسان في الادوار التي تقدمت لم يكن يدويا محضا بل لا بد له من أعمال عقلية ولو قليلة ، لانه لا ينتظر أن يصنع الانسان عدة للصيد أو آلة لفتح الارض أو يندر الحبوب إلا بعد التفكير الذي هو المميز للانسان من الحيوان ، ولا يتصور أن يستوعب الصنائع إلا بعد أن يعرف دقائقها من المعلم ، ويتعلم العلوم المرتبطة بها ، ثم هو لا يقدر على تعهد الارض ما لم يوجد هناك حاكم يمنع عنه تعدي الغير ، ومهندس يسهل له الري ، ولم يتفجع بالآلات البخارية في

الزراعة والصناعة إلا بعد ان أجهد المحترعون « كعيس وات » وغيره قرائهم حتى وصلوا الى استخدام البخار . فالاعمال العقلية ضرورية للاعمال البدوية كالزراعة والصناعة ، وهي مقدمة عليها حتى في أحقر الصنائع .

﴿ ج - الاعمال المنتجة للثروة ﴾

اختلفت الآراء من عصر الى آخر في تحديد الاعمال البشرية التي تكون نتيجتها زيادة ثروة الأمم ، أما العرب فكانوا يرون - كما يؤخذ من كلام الحريري وغيره من الحكماء - ان المعاش امانة وتجارة وفلاحة وصناعة ، وقد قال الخليفة المأمون « الناس أربعة : ذو سيادة أو صناعة ، أو تجارة أو زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » ويفهم من ذلك ان تلك الاعمال الاربعة هي التي كانت متبعة محدثة للثروة ، بمعنى ان عمل الحاكم الذي بقي البلاد شر العدو ، وبرد المظالم ، وينظم الري ، هو عمل يزيد في الثروة ، وكذلك عمل الصانع الذي يوجده منافع للمواد الأولية ، والتاجر الذي يتوسط في جلب تلك المصنوعات وتسليمها طالبيها ، والراعي الذي يقوم بإثارة الارض وبذر الحب فيها حتى تثبت ما يسد الحاجة ، وأما اعمال غيرهم فلم تكن محدثة للثروة ، وأما الطيعيون وهم (كسائي) ومن كان على مذهبه فقد قدم انهم كانوا يعتبرون ان المحدث للثروة من الاعمال ما كانت متعلقة بالارض من إثارتها وحرثها وبذر الحبوب فيها ، وبناء على ذلك قسموا الناس الى ثلاث طبقات : طبقة ملاك الاراضي وهم المحدثون للثروة حقيقة ، وطبقة الفلاحين وهم الذين يساعدون على هذا الاحداث ، وغيرهم من السكان كذوي الامارة وذوي التجارة وذوي الصناعة ، وكانوا يرون هؤلاء عيالا على الطبقتين الاولين . ولكن « آدم سميث » لم ينسح نحو أولئك الاقتصاديين ، فقد اعتبر الصناعة والتجارة والإمارة من الاعمال المنتجة للثروة ، وتبعه من أتى بعده من الاقتصاديين .

ويمكننا أن قسم الاعمال (أولا) الى ما هي مباشرة لإعداد سلعة من السلع للقيام بسد حاجة من حاجات الانسان ، وهذه محدثة للثروة بلا خلاف ، مثال ذلك العمل الذي يتكبد به كل من حارث الارض وبذر الصمغ وحاصده ودارسه وطاحنه

وعاجنه وخابزه ، لان كلامها موجه إلى إعداد الخبز مباشرة ، وأن تنوعت حالات القمح المراد جعله خبزا (ثانيا) الى غير مباشرة لإعداد الصنف ، وهذه إما يدوية أو عقلية ، أما الاولى فلا يخلو حالها من أحد أمور خمسة (ا) الاعمال التي يتكدها الناس في استخراج المواد الاولى اللازمة للصناعة كاحتفار المناجم وتشذيب الاشجار وغير ذلك ، وهذه بالطبع منتجة مادامت تتيحها تستخدم في الصناعة (ب) الاعمال التي تصرف في إعداد الآلات اللازمة لصناعة الصنف ؛ مثال ذلك شغل الحداد في تجهيز المحراث أو آلة الغزل (ج) الاعمال التي يكون من شأنها بناء المحلات المعدة للصناعة كالمعامل والاحواض ، وهكذا لانه لولا تلك الحال لما توفر إعداد البضائع القطنية مثلا أو المراكب (د) ما يوجه من الاعمال الى الحصول على طعام وكساء ولوازم للصانع مادامت تلك الحاجات غير خارجة عن حد الكفاية ، أو للحصول على الفحم اللازم لتسيير الآلات البخارية في حالة ما اذا كان الصانع لا يشتغل بيده (هـ) الاعمال التي بواسطتها يمكن نقل الصنف الى حيث يطلبه الناس ، يدخل فيها عمل الحاملين في البر وصناعة المراكب والآلات البخارية وبناء الاحواض والارصفة وأعمال أمناء النقل والمراكبية وجميع التجار والتسبين والسامرة والاعمال التي تحسن بواسطتها الطرقات وغير ذلك . أما العقلية فمنها ما هو متعلق بالصناعة أو الزراعة أو التجارة ، كالاختراع والتأليف وتعليم الصناعات والتفنن في ابتداعها وترويضها ، ولا شك في ان هذه منتجة ، ولا فرق بين أن تكون هذه موجهة الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة ، ويدخل تحت هذه أعمال الري على اختلاف أنواعها ، وجميع ما تمهله الحكومة أو الاهالي لزراعة الصناعة أو أو التجارة أو الزراعة ، ولا جناح علينا اذا نحن عددنا ضمن تلك الاعمال ما يبذله الفلاسفة والحكماء من الافكار لتعضيد الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وما تبذله الحكومة من بث العدل في الربوع ، والحفاظة على الامن ، سواء بسن القوانين أو الاعمال الحربية برية كانت أو بحرية

(المئارج) : ان بعض ما أورده المؤلف من الاحاديث لاصحة لاصله أو سنده

وان كان صحيحا في معناه ووضعه

باب المناظرة والمراسلة

مذهب المامة

بكتاب تاريخ الرب قبل الاسلام*

(لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان)

عرف الناس في مصر من حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان معلما فترجما فصاحفا فيلسوفا لغويا فمناظرة فروائيا مبتدعا فمفسرا فمؤرخا خياليا قصاصا . ثم هم يستقبلون منه الآن مؤرخا اسلاميا محققا . ولا ندرى ما يعرف منه اهل سورية قبل هجرته الى مصر . كل هذه صفات فاضلة ومواهب جليلة قلما يخلص بعضها لافاذ الماء ونوايج الرجال . وهي بخوصها لحضرتة أفادت من لا يحصى عددهم من قراء العربية ولا سيما المسيحيين منهم وعلماء الشقيقات من الاوربيين وغيرهم ممن لا يحبون مطالعة الكتب العربية أولا يستفيدون منها لو لم تشكل بالاشكال التي رسمها جرجي افندي زيدان لمؤلفاته العديدة

كان هذا الفاضل يؤلف الكتب الروائية ويأتي فيها بالممكن والمستحيل والمستلح والمستنكر فكنا لا تعرض لها بمسخ أو نسخ لعنا ان الذي قاده الى هذه المواقف هو استرسال الخيال وهو قد يفضي بصاحبه في التثرالى مثل ما يفضي به في الشعر فيكون أعذبه أكذبه ، ولا اعتقادنا ان نعمها اكبر من اثمها ، وان الكتب العربية الصحيحة لا تزال بعد منتشرة في جميع أرجاء العالم ناطقة ببيان الفث من السمين والصحيح من الباطل ، على انه ما من كتاب وضعه بشر الا وكان فيه لهوى النفس والسخائم الدينية والعصبية الجنسية بله الخطأ والغفلة أثر أي أثر ، الا ماشذ

(*) بقلم الشيخ احمد الاسكندري

وندر ، فلما قرأت ترميظ حضرة الفاضل (المغربي) أحد محرري المؤيد لكتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) وهو آخر ما أخرج للناس بعد من كتب مولفنا المذكور وجدته قد ملأ ما يقرب من صفحة من صفحات المؤيد بعبارات الاطراء والتهويل والاعجاب والاغراب مما لو قبله القارى لم يشك ان العرب خلقت خلقا جديدا أو ان تاريخ جاهليتها الاولى المقبور في بطون القدم قد نبشه المؤلف من ناووسه ، فرايني قوله - والمبنة تريب - ولم أر الامر يخرج عن إحدى خصال ثلاث ، إما أن يكون قرظه ولم يقرأه كعادة أكثر محرري الصحف لضيق وقهم ، وإما أن يكون قرأه وصانع المؤلف لصداقة بينهما - وللصداقة حقوق - وإما أن يكون المؤلف قد وفق حقيقة للشور على الضالة الملتبذة والحلقة المقنودة من تاريخ جاهلية العرب ، وما ذلك بعزيز على نشاط الرجل واجتهاده

ولما كنت ممن غني بهذا الموضوع عناية شديدة قرأت الكتاب بالهاف أخذت ناقص بناقص أوراق الكتاب فإذا به والحق أقول خير مؤلفات الرجل ولا انكر انه أفادني بعض فوائد ثمينة حاجت في نفسي ميلا الى قدده ولا يتقد الا كل ذي قيمة يقع كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) في ٢٥٠ صفحة كتب في ٣٠ صفحة منها مقدمة طويلة ليست من موضوع الكتاب في شيء ، وإنما ذكر فيها كعادته في كنه غموض تاريخ العرب وصعوبة التأليف فيه أو تعذره الا على من كان من أهل الجسارة أو الاطلاع الواسع والمعرفة بكثير من اللغات لحية والميتة والبحث والتقيب في آثار الامم الغالية ثم ذكر شبه فهرس مطول ثم تمهيدا في مصادر تاريخ العرب وهي الكتب العربية وغير العربية من اليونانية والرومانية والقوش الآرية وقد تحامل على العرب فيها ما شاء ان يتحامل مما يظن معه قارئه ابتداء ان أكثر مصادر الكتاب أثرية أو يونانية قديمة أو أوربية حديثة لكثرة أسماء الكتب والرحلات التي ذكرها وهي نحو السبعين كتابا غير الموسوعات والمعاجم الكبرى التاريخية والآرية وغيرها (كما يقول) فإذا هو قرأ الكتاب وجد ان نحو أربعة أخماسه عربي المصدر وان لا ذكر لهذه الكتب والمعاجم إلا نزوا يسيرا في ذيل

الكتاب يعرف ذلك من اطلع على الكتاب بامعان ومن رأي ان هذه المقدمة تجارية أكثر منها علمية

فائدة المؤرخ من الكتاب

إن الذي لا يعرف اللغات الاودية يستفيد من الكتاب
أولاً — ما ترجمه المؤلف من آراء بعض قدماء اليونان في الجغرافية العربية
غثة كانت أو سميثة

ثانياً — ما ترجمه من آراء بعض سياح الاوربيين في شمال جزيرة العرب
وجنوبها على قلة في ذلك

ثالثاً — بعض الصور والرسوم والخطوط والنقود التي قلها من رحلات
هؤلاء السياح مثل رسم سد مأرب وبعض قصور اليمن وهيكل تدمر وبطرا
رابعا — معرفة كيف كان يختلف اللسان النبطي والتدمري عن العربي
الفصيح وهي فوائد تشكر للمؤلف اذا عتها في كتاب مستقل

الامور التي تؤخذ على المؤلف

الامر الاول — تردده أو إنكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع
وتدبته بتحقيق بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتمادا على أوهام وتخيلات
قامت بذهنه فقط

فمثال الاول — انه عند ما أراد التكلم على تقسيم عرب أواسط الجزيرة وشمالها
الى قحطانيين (يمانين) وعدنانين مال الى إنكار هذا التقسيم ورأى رأيا عجيبا لا يخطر
على بال مؤرخ ولا قارئ وهو ان هؤلاء العرب كلهم عدنانيون فعنده ان مثل طلي
وكندة ونلم وجذام ومذحج ومهدان ومازن والأوس والخزرج عدنانيون . ونورد
هنا ما قاله في ذلك (صفحة ١٨٢ و ١٨٣) قال :

« وكل هذه القبائل قد رأيت انها ترجع بانسابها الى كهلان بن سبا أي
انهم قحطانية — ذلك ما أجمع عليه العرب ولكن لا رأيا في هذا الاجماع لا يخلو
ذكره من فائدة

« قد رأيت في ما ذكرناه عن الفروق بين القحطانية والعدنانية ان لكل منهما خصائص في اللغة والاجتماع والعادات والدين واسماء الاعلام . واذا تدبرت أحوال هذه الدول من غسان ونظم وكنته رأيتها تنطبق على العدنانية أكثر مما (كذا) على القحطانية من حيث اللغة فاننا لم نر في كلامهم وأقوالهم ما يدل على انهم كانوا يتكلمون لغة حمير بل لغة العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني . وقد يقال انهم اقتبسوا لغة الوسط الذي انتقلوا اليه ولكننا نستبعد ذلك لان الغالب في اقتباس لغة الآخرين ان يقع من الضعيف نحو القوي — فلو كان أولئك القوم قادمين من بلاد اليمن لحافظوا على لسانهم وسائر عاداتهم لانهم كانوا يومئذ ارفع منزلة من بدو الشمال وكان هؤلاء ينظرون الى اليمنية نظرم الى أهل البوالة ويدعونهم الملوك كما ينظر البدوي الامي الى المتدنين أصحاب الصولة والعلم . وزد على ذلك ان اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ولا نرى لهذا الحرف ذكرا في اخبارهم ولا أثرا في اطلالهم

« وقد علمت ان الكهلانيين أهل حضارة كما رأيت في ما ذكرناه من حديث سبل العرم وكيف ان الكهلانيين كانوا أهل حداق وقصور باعوها وانتقلوا . فلو صح ذلك لاختاروا الاقامة في بلد آخر من اليمن غير مأرب وما جاورها لان السبل لم يخرب الا جزءا صغيرا من اليمن . فلم يكونوا يدمون مكانا يقيمون فيه كما كان يقيم سواهم من قبائل الحضرة واخوانهم الحيريون ما زالوا أهل دولة وعمران وظلوا في رغد ورخاء وسعة من العيش الى ظهور الاسلام

« فما كان أغنى الكهلانيين عن الرحلة الى بادية الشام أو العراق والرجوع الى البداوة وهي شاقة على من تعود الحضارة والرخاء

« واعتبر ذلك في معبوداتهم قلها من معبودات عرب الشمال أو العدنانية ولم نجد عندهم ما يميزهم عن هؤلاء من هذا القبيل . ولو كانوا من عرب اليمن لوجدنا بين معبوداتهم اسم عشتار أو ايل أو نوحوها

« وهكذا يقال في اسمائهم وليس فيها رائحة الاعلام السبئية أو اليمنية بل هي مثل اسماء سائر عرب الشمال ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم كالانباط

ونحوهم ومنها الحارث وشبله وجبله والنعمان وغيرها . ولا يعترض بما ذكره العرب بين أسماء لوك حير من أمثال هذه فإن أكثرها مبدل بأسماء شالية وإنما عمدتنا في ما ذكرناه على الأسماء التي وقضوا عليها في الآثار المقوشة

«فلا دليل على قحطانية هذه الام إلا أقوال النسايين وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن لاحتمال أن تكون تلك الام قد انتحلت الانتساب الى عرب اليمن المتناسا للفخر بين قوم لا يعرفونهم ولا سبها بعد أن قاربوا من الروم أو الفرس وصاروا من عاملهم » اهـ

وقول في دحض هذه الأقوال :

(١) أما عدم الاختلاف في اللغة فإن الاختلاف فيها إما أن يكون في الاصول وإما في الفروع أما الاصول فليكن بينها خلاف جوهري لأن لغات العرب كلها من اصل واحد كما اعترفت به حضرته وأما الفروع فلم ينكر احد سواء وقوع الاختلاف فيها حتى في لغات القبائل التي لم تخرج من اليمن فالاختلاف في الاعراب والتصريف والقلب والاعلال والابدال مملوء به كسب النحو والصرف والاختلافات في معاني الكلمات المفردة لم تهملها كتب اللغة والادب ولذلك وقائع وحكايات جر الخطأ في التفاهم بسببها الى ازهاق الارواح كما في حكاية قتل مالك بن نورية وقومه وكلنا يعرف ماهي العجاجة والشنة والاستنطاء في لغات اليمانية

ولو كان بعض الاقنق في اللغات بين القبائل المختلفة يجعلها من اصل واحد لقد كان الحتم على حضرة المؤرخ أن يقول ان قبائل حير التي لم تخرج من اليمن عدنانية أيضا لأنها معها العدنانيين في الاصول واختلافها عنها في بعض الفروع إبان ظهور الاسلام وقد حفظ لنا التاريخ الصحيح وكتب السنة الصحيحة كثير من مقالات وفود الحيريين على النبي صلى الله عليه وسلم وهي لا تختلف عن العدنانية الا في معاني بعض المفردات . وإنما حدث هذا التقارب في اللهجة واللغة لتقاربهم في البيئة (البريط) والجماع والاسواق التي كانوا يقيمونها . وأما أن الضعيف يقتبس لغة القوي وزعمه ان اليمانيين كانوا هم الاقوياء الغنيين فذلك على فرض تسلمه

لا ينهض حجة على اثبات دعواه لما كانت عليه العرب في القرون القريبة من ظهور الاسلام من التقارب في جميع الاحوال حتي قبائل حمير نفسها بعد غلبة الحبشة والفرس عليها

(٢) واما انه لم يوجد أثر للحرف المسند من جهات الشمال فذلك قد كذبه بنفسه في موضع آخر عند تكلمه على عرب الصفا حيث أتى بهذا العنوان لام سبئية في الشمال وذكر تحت هذا العنوان كلاما كثيرا عن ان أم حبيب انتقلت إلى الشمال ووجد لها أنواع من الخط المسند كاهل الصفوي والثمودي واللاباني وقال ان الباحثين لا يزالون في أول البحث

(٣) أما أنه لا حامل للقحطانيين على الهجرة من بلادهم وجناتهم وقصورهم إلى الصحارى المجربة بلا سبب عظيم وإن سيل العرم لا يكفي لتفرقهم يادي سبا فان الاسباب الحقيقية لهذه الهجرة لا تزال مجهولة كأسباب هجرة أئمة الامم القديمة وانما كان من أهمها حادثة سيل العرم مضافة إلى منازعات وحروب أهلية أو مجاعات أو ان الأرض قد ضاقت عليهم فالتمسوا غيرها من بلاد الله ولم تكن وجهتهم في رحلتهم هذه القفار بل كانت ريف العراق وشارف الشام ولا تنكر حضرة المؤرخ عظم دولتهم في الحيرة والابار وفي سورية وفلسطين فقد احتلوا في الاولى جميع الاراضي التي بين دجلة والفرات حتي سميت العراق العربي وفي الثانية أكثر بلاد فلسطين وسورية وحلب ولا شك ان هذه كانت اخصب من بلادهم وبقية الميادين الذين سكنوا البدو منهم فانما تراجعوا اليه بعد منافسات مع بني عمهم في الشمال مع بعد عهدهم باليمن وخصبه واما اكفاء المؤرخين بذكر حادثة سيل العرم فذلك وهم سرى اليهم من تعقيب ذكر قصة السيل في القرآن الكريم بقوله تعالى (وغلوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرزقهم كل ممزق) فمن الظاهر من الآية ان التمزيق سببه ظلم أنفسهم والظلم يأتي بأسباب كثيرة اعتدائية لا بسبب خارجي فجائي لا دخل لهم فيه مثل انفجار السد

(٤) وامادى اتحامهم في المعودات فلان لم انها كلها كانت حدانية كانت خليطا من كل الاديان فقد عبد كثير من العدنانيين الشمس والقمر والكواكب

وهي من معبودات أهل الجنوب كما تهود وتنصر أهل الجنوب واليهودية والنصرانية من أديان أهل الشمال

(٥) وأما توافق اسمائهم فذلك لإرث من طيعة الجوار والبيعة وتمازجهم في كل شيء كما يسمي الاقباط الآن أنفسهم باسماء عربية وتركية بعد ما زالت سيطرة العرب والترك وكما يسمي الترك أنفسهم باسماء عربية مع انهم هم انما يكون للعرب وكما يسمي السوريون أنفسهم باسماء انجليزية وفرنسية على ان هذا المؤرخ الذي أنكر في غير موضع من كتابه وجود اسماء عدنانية بين اسماء الحميريين نقض كلامه في صفحة (١٥٩) حيث قل عن غلازr الاثلاثي احد الاثلاثين اللذين وجدها في اطلال الدومة هذا كعبه ابرهة قيل ظهور الاسلام وفيه يذكر الاقبال الذين قهرهم أو ولاهم عنه مثل يزيد بن كعب ومرة وثمامة وحنش ومروء وكل هذه اسماء عدنانية كما ان معديكرب الزبيدي لاسمه حميري وهو من القبائل التي ينكر المؤرخ حميرتها

وأما الادلة الوجودية على ان القبائل المذكورة قحطانية فأكثر من ان نأثي بها جميعا في هذه المقالة وهي بالغة بسراحتها الى أفق البدييات

فمنها اعتراف جميع هذه القبائل بأنها يمانية حتى بعد ان ظهرت مضر عليهم في وقائع عديدة وبعد ان خضعوا للمضرين بعد الاسلام ونصب المضرية واليمانية في اليمن التي وقعت في الصدر الاول غصت به كتب التاريخ والادب ومنها اجماع النسابين والمؤرخين باعتراف حضرة علي ان القبائل المذكورة قحطانية ومنها ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مما يشير الى هذه التفرقة ولو أردنا ذكر الشواهد التاريخية من الوقائع والمفاخرات وقصائد الشعر من الحماسة والمدح والهجاء وجميع الاحاديث النبوية لاثبات ان هذه القبائل قحطانية لوضعنا في ذلك كتابا يزيد عن كتاب جرجي افندي زيدان اضعافا

(لما بقية)

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الأحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

(الكلمة الثالثة) — في بيان ما استشكله الاستاذ الشيخ اليافعي في تفسيرنا للآيات التي يستدلون بها على النسخ في القرآن — ان استدلالهم على النسخ بقوله تعالى (مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قد فنده الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسيره كما قلنا ملخصه عنه في مقالة الناسخ والمنسوخ وقلنا ان المراد بالآية هنا هي العلامة والدليل على النبوة كالمعجزة ونحوها ومعنى نسخها ترك العمل بها في التأييد وعدم إظهارها مرة أخرى لتصديق النبي وذلك على حد قوله تعالى في آية أخرى في هذا المعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب) أي لكل زمن حال مكتوب عليهم ومقدر لهم لا يناسبهم غيره (يمحو الله ما يشاء) من الآيات السابقة وغيرها فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة لعدم مناسبتها لحالهم فهو كقوله هناك (مانسخ) فالمجرد النسخ في الآيتين بمعنى واحد (ويثبت) ما يشاء مما يرى الحكمة في إبقائه أو إعادته (وعنده أم الكتاب) أي العلم التام بكل حال وما يناسبه : فالسباق في هاتين الآيتين يدل على ما قلناه فيها وهما مفسرتان بعضهما لبعض

يقول الاستاذ الفاضل : لو كان تفسيرنا لهذه الآية صحيحا لكان انتقديا فيها : ما ننسخ من مثل آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . وتقول نعم فليكن كذلك فهو كقوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الاولون) فان تقديره : وما منعنا أن نرسل بالآيات التي تفرحونها إلا أن كذب بمنكها الاولون وقوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) فانما المثلية في قوة الحجة والاقناع لا في كنهها وماهيتها فأعي عيب يراه الاستاذ في هذا المعنى وكيف يفسر هذه الآيات وآية (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الخ الآية التي سبق ذكرها ؟؟

فكل آية من آيات الانبياء السابقين التي نسبها الناس أو لم يظهرها الله تعالى مرة ثانية على يد النبي صلى الله عليه وسلم قد أتت بمثلا في الاقتناع والهداية أو بخير منها في ذلك فأظهر تعالى على يده معجزات كثيرة وأنزل عليه آيات الكتاب العزيز فهو المعجزة العظمى الباقية وآية الآيات الكبرى الخالدة التي رآها الناس في كل زمان ومكان وقدرها العقلاء قدرها فانها لا تشبه بسحر ولا بشعوذة أو غش أو تدليس فهي خير من جميع المعجزات التي سبقها وأتم فائدة وأتم دليلا وأكثر مناسبة لحال البشر وقد ظهر ذلك الآت أم الظهور فرى العلماء اليوم في أوربا وكثير من البلاد المتمدنة صاروا ينفرون من ذكر المعجزات الحسية ويودون لو أتوا أنبياءهم بمعجزات غيرها علمية عقلية أدبية أي كمعجزة القرآن الشريف . فلو لم يؤت صلى الله عليه وسلم سواء لكفى ولذلك قال تعالى (أولم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فما بالك وقد أعطي معجزات كثيرات غيره كما تواترت به الاخبار

واعلم أن نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك ختمت بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فلو كان المراد آيات الاحكام كما يقولون فقال : ألم تعلم أن الله عليم حكيم ، فانه أتم مناسبة وأشد ملائمة لما يقولون ولا قال بعدها (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) فقد سأل بنو اسرائيل موسى من قبل مقترحين آيات غير ما اراهم عنادوا وكفرا (فقالوا أرنا الله جهرة) . فاذا كان تفسيرهم صحيحا فما مناسبة هذا الكلام هنا وما معناه ؟ وإذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل الله تعالى أتى بدل الآيات المنسوخة بآيات خيرة منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثير من أحكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ مثلا قالوا إن آية الوصية للوالدين والاقرين قد نسخت بمحدث « ألا لوصية لوارث » فلم لم يأت بعدها في القرآن ؟ وأين البدل

للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله : عشر رضعات معلومات يحرمن ، الذي نسخ على زعمهم بقوله (خمس رضعات معلومات) ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ولا يزال حكمه باقيا كما في مذهب الشافعي وكذلك لم يأت بدل اللفظ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجوهما البتة وغير ذلك كثير ١١

أما آية مناجاة الرسول التي فسرناها في مقالتنا السابقة فتزيد على تفسيرنا لها أن قوله تعالى فيها (فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) الخ معناه إن لم تفعلوا ما ندمتم إليه من تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول والحال أن الله قدر جمع إليكم بالتخفيف والتسهيل فيما شرعه لكم فلم يعاملكم كما كان يعامل الأمم السابقة ولم يعتكم بشيء مما أوجب عليكم فلذا ندبكم إلى هذا الأمر ولم يجعله عليكم فرضا كما هي سنته في معاملتكم بالرأفة والرحمة فأقيموا الصلاة الخ . قوله (وتاب الله عليكم) قد ورد هنا بمعنى الرجوع الى التخفيف والتسهيل على هذه الأمة والدول عن معاملتها كسابقها لاجتناب التجاوز عن السيئات وغفران الذنوب . وقد ورد بذلك المعنى أيضا في آية أخرى في سورة المزمل وهي قوله تعالى (علم أن لن نحصدنهم عليك) أي رجع إليكم بالتخفيف ورفع عنكم ما شق عليكم وليس معناه في هاتين الآيتين الفوق عن الذنوب إذ لا ذنب هنا صدر منهم

قال الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي مستقدا على تفسيرنا لآية (واذا بدلنا آية مكان آية) أن السياق لا يدل على أن هذا القول صدر من أهل الكتاب كما قلنا فإنه لم يتقدم لهم ذكر في السورة . وقول ان صدور هذا الكلام من أهل الكتاب لا ينافي أن غيرهم من العرب شاركهم في ترديده والمواظقة عليه عنادا للنبي صلى الله عليه وسلم وتكديبا له فلذلك وردت هذه الآية في سياق الكلام عن مشركي العرب قاتهم واقتوا أهل الكتاب منهم في دعاويهم الباطلة وتمادوا بهم على تكذيب النبي عليه السلام ولذلك كانوا يقولون تقليدا لهم في تكذيب القرآن (أضغاث أحلام بل اقترأه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) فانهم لا يؤمنون برسول الأولين ولا يعرفونهم ولا يصدقون بآياتهم ولكنهم يرددون ما يلقونه من أهل الكتاب وإن خالف معتقداتهم مادام فيه تكذيب للنبي وإغاطة له ولذلك ترى في القرآن آيات

كثيرة أمثال هذه التكنذيات اليهودية أو الصرائية واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب فانهم جميعا كانوا متضامين ومتحدين بعضهم مع بعض على بفض النبي وتكنذيه وعرقلة مساعيه فهم - وان اختلفت أديانهم - أمة واحدة ويد واحدة على رسول الله . فن أمثلة هذا التضامن والاتحاد في التكنذ ب قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) ولما كان اليهود هم الموعزين الى المشرىين بذلك عنادا لرسول الله وحقدا عليه ومكابرة له قل تعالى له (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس) الآية وهي واردة في سياق الكلام مع مشركي العرب للسبب الذي ذكرناه وهو أنهم أمة واحدة ومتحدون على بفض الرسول وتكنذيه وتلقين بعضهم بعضا صنوفا من الشبهات والتشبيكات غير مباين بمخالفاتها لمعتقداتهم فلذا صح أن ينسب ما يقوله بعضهم لهم جميعا لاتباعهم له وتوحيهم عليه في تكنذ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في جميع اللغات المعروفة ينسب عمل بعض أفراد الأمة الى الأمة جميعا خصوصا إذا رضيت به وأقرته وان اختلفوا عقيدة فما بالك إذا كانوا جميعا يأتون الشيء و يعملونه

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المشرىين (لولا أوي مثل ما أوتي موسى) مع أنهم لا يؤمنون بموسى ولا بما جاء به وهو يدل على أنهم كانوا يقتلون اليهود تقليدا أعمى ويطيعونهم في جميع ما يوعزون به إليهم وإن نافي لمعتقداتهم كما قلنا لارضاءهم واستجلابا لودهم ومعاونتهم لهم على الرسول . فكثير من مثل هذه الأقوال كان صادرا عن اليهود ثم تبعم فيه المشرىون وصاروا يرددونه عنهم فلذا اتبعوا اليهود في تكنذهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إن القرآن نسخ بعض شرائع التوراة كالسبت ومحريم بعض اللحوم . ولذلك جاءت آية (وإذا بدلنا آية مكان آية) في سياق الكلام مع المشرىين مع أن القول صدر أولا من أهل الكتاب وقدم فيه المشرىون تقليدا أعمى كما قلدهم في غيره مما سبق بيانه وجاءت به الآيات في سياق الكلام معهم

هذا وإن الأستاذ الفاضل قد استنكر جعل قوله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولم عذاب لهم) وصفا لليهود وقاتل أن الله تعالى قد وصفهم

بمثله في آيات أخرى كثيرة كقوله (وكيف يحكونك وعدم التوراة — إلى قوله — وما أولئك بالمؤمنين) وقوله (مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) (الكلمة الرابعة) — بيان أسباب أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين

أولا — قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومظاهر بالصالح والتقوى لسبب ما من الاسباب التي تحمل الناس على الكذب وهي كثيرة معروفة فينفر به بعض الناس لعدم معرفتهم عنه شيئا يجرحه لشدة احتراسه ونسره . وقد يكون بعض المحدثين مؤمنا صادقا مخلصا صالحا لكنه ينخدع لظاهر هؤلاء المنافقين فيأخذ الحديث عنهم ويصدقهم وهم كاذبون اذ كلما اشتد صلاح المرء وخوفه من الله غلن أن أمثاله يكذبون وكثر انخداعه بأعمال المنافقين وظواهرهم وتجنبوا إساءة الظن والتجسس لشدة ورعه وقواه أو بساطته وسذاجته في بعض الاحوال . وكثرة الكذابين وكثرة ما يضعونه من الاحاديث يشوش على الناقد الباحث علمهم ويوقعهم في الارتباك والخطأ كثيرا فيقبلون أحيانا ما ليس صحيحا ويرفضون ما هو صحيح . ولا يلزم من كون المرء غير صالح أو عرف عنه بعض الكذب أن جميع ما يقوله كذب وقد يكون منفردا بحديث فلا يقبل منه لذلك مع أنه قد يكون صادقا فيه . وقد يكون المرء صالحا صادقا ولكنه يضطر في بعض الاحيان الى أن يكذب ولو واحدة فلا يسل ما يؤخذ عنه من ان يكون فيه بعض الكذب او المبالغة

ثانيا - قد يكون بعض الرواة من الصالحين الصادقين المخلصين ولكنه يخطئ المراد ولا يفهم الحقيقة فيحدث كما فهم مقتدا انه صحيح . والتحديث بالمعنى كان عندهم جائزا . وقد ينسى شيئا مما سمعه ويقع في الغلط بسبب ذلك بدون أن يشعر به . ولذلك قال عمران بن حصين رضي الله عنه « والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين متابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجلا من اصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم » كما رواه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث

ثالثا — إثبات عدالة رجال الاسانيد كثيرا ما تكون مبنية على شهادة شاهد أو رواية واحد فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات ولا يخفى على أحد فساد ذلك فإن ما يقال في رجال الأسانيد يقال مثله جرحا وتعديلا فيمن يشهد لهم ويوثقهم وربما أدانا ذلك إلى التسلسل أو الدور في البرهان

رابعا — أكثر الأحاديث والروايات مقتضبة فلا يعرف المقام الذي قيلت فيه ولا مناسبتها ومن المعلوم أن الأقوال إذا لم تعرف الظروف التي قيلت فيها قد يخرج عن المراد منها خروجا كلياً أو جزئياً

خامسا — من المشاهد في جميع الأجيال وفي جميع الأمم أن حفظ الأحاديث إذا كانت طويلة أو كثيرة بدون تحريف في ألفاظها أو معانيها ولا تبدين ولا زيادة ولا قصا عسير جدا على الناس إلا من شذ وقيل هو وخصوصا إذا أقيمت مرة واحدة . ولذلك جزم بعضهم بأن من ادعى نقل الشيء كما هو بحروفه في مثل هذه الأحوال فهو مقتر كذاب قالقل في أغلب هذه الأحوال هو تحريبي ولا يخفى ما ينشأ من مثل هذا النقل من الافتراءات والاختلافات والكاذب فإذا امتاز بعض الناس بهذه المقدرة فليس جميع الرواة ممن امتازوا بهذه المزية الشاذة

سادسا --- قبل زمن تدوين الأحاديث كان جل روايتها إن لم نقل كلهم لا يكتبون الحديث ولا يعتمدون فيها إلا على ذا كرتهم وقد سبق لنا كتابات طويلة في هذا الموضوع في المنار ومجلة الحياة وجريدة الدستور وقد أيدنا فيها الاستاذ الكبير والعلامة المحقق صاحب المنار الأغر . ومن اعتمد على ذا كرتة فقط لانبرته من الخطأ والتسليان في جميع الأحوال معها كان

هذا شيء مما يقال في روايات الآحاد فهي عندنا لا تفيد اليقين لطروء مثل هذه الاحتمالات عليها وبذلك قال أيضا الجمهور وإن أراد أن ينكر ذلك الاستاذ الياباني زاعما أنها تفيد اليقين

وإذا كانت هذه الاحتمالات مما يرد على أحاديث المسلمين ورواياتهم فما يرد

على أحاديث غيرهم أشد وأقوى وأكثر فانه لم يعرف عن أي أمة مثل ما عرف عن الامة الاسلامية من العناية والتفحص في الروايات والنقد والبحث في رجال الحديث ولم يكن يخاطر على بال غيرهم شيء من مثل ذلك

ولا خوف على الدين الاسلامي المتين من هذه المطاعن التي أوردناها على روايات الآحاد فان حجته ناهضة بالتواتر فيه والجمع عليه فليهدأ المسلمون بالا

(الكلمة الخامسة) — في ذكر شيء مما خالفوا فيه القرآن لأجل الحديث

قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا ان تبصرون الا الظن وان أتم الا تخضون) . في هذه الآية

— وأمثالها في القرآن كثير — يذم الله تعالى اتباع الظن والقول في دين الله بغير

علم أي بغير ما يفيد اليقين وهي واردة في سياق الكلام مع من حرموا أشياء

ليس عندهم دليل على أن الله حرمها عليهم . وقال أيضا قبل ذلك بقليل (وان

تطلع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا

يخضون) — الى قوله — وان كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم

بالمعتدين) ومنه ترى أن العمل بالظن في شريعة الله غير جائز اللهم إلا اذا

اضطرونا إليه كما في بعض الاحكام القضائية بناء على قاعدة : الضرورات تبيح

المحظورات المؤيدة بالكتاب والسنة وإلا فانه محرم على الانسان أن يحل شيئاً أو

يحرمه لدليل ظني فسا بالآية بمن يعارض القطعي بالظني ؟ لا شك أنه يكون مرتكباً

لأثم كبير . وقد أقر الاستاذ الفضل الشيخ اليافعي بأن الظن إنما يذم إذا عارضنا

به الأمر القطعي . يقول ذلك وقد غاب عنه أنه هو ومن على مذهبه كثيراً ما عارضوا

نصوص القرآن الشريف الصريحة وخالفوها لأجل أحاديث الآحاد وهي لا شك

ظنية كما عليه الجمهور . وإليك بعض الامثلة على ذلك : —

(١) خالفوا قوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً

الوصية للوالدين والاقرين بالمعروف حقاً على المتقين) الآيات لحديث « ألا

لا وصية لوارث »

(٢) حرموا أكل الجرا لاهلية التي كانت تأكلها العرب كثيرا لما روه من أن النبي صلى الله عليه وسلم حرمها مع أن القرآن الشريف يقول (قل لا أجد فيها أوحى الي محرمها على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) الآية . ويقول (إنما حرم عليكم الميتة والدم) الآية ونحوها كثير

(٣) قالوا بجمرة استعمال الذهب والفضة والحريير للاحاديث التي روهها والقرآن يقول (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؛ قل هي للذين آمنوا في الحياة اندنيا خالصة يوم القيامة) فهي للمؤمنين يتمتعون بها في الدنيا وستخلص لهم وحدهم يوم القيامة فيحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريير . (٤) حرموا أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها للحديث وخالفوا قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من ينهن المرأة على عمتها أو خالتها

(٥) أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث ، والقرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذه بعض أمثلة مما عارضوا فيه القطبي بالفتي وهو مما نكرهه ونذمه وقد ذمه الله تعالى في كتابه العزيز كما أقر به الاستاذ المناظر وإذا تتبعنا مذاهبهم وجدنا أمثلة غير ذلك كثيرة فهل يقتل أن الله يبيح للمسلمين ما كان ينم لاجله غيرهم في كتابه ؟ !!

أنا لأقول إن جميع هذه الاحاديث يجب ان تكون موضوعة ولكن لا يبعد أن بعضها كان كذلك والبعض الآخر يغلّب الظن أن له أصلا صحيحا وأنه كان شرعية خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدأ الاسلام ولا تخفى حكمة ذلك على الناقد البصير إذا تأملها . وما جاء به القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم تأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن تدويرها كي لاتكون خالدة بينهم كقرآن الشريف ولتزلزل من بينهم بزوال عللها وأسبابها كما سنيته ان شاء الله تعالى في رسالة لنا في هذه المسائل سنطبعها على

حدة لطولها . فالمسلمون اتبعوا كثيرا من مثل هذه الاحاديث مع اعترافهم بأنها ظنية وخالفوا لاجلها القرآن الشريف مع أن ذلك مذموم فيه . وقد نسوا عال ما كان صحيحا منها ولم يراعوا أسبابها ولا الظروف التي قيلت فيها مع أن معرفة أسباب الاحاديث النبوية يحتاج إليها أكثر من الاحتياج إلى معرفة أسباب نزول القرآن الشريف ولذا لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز . وهذه الاشياء هي مما تنكره عليهم وخصوصا لأن من الاحاديث التي يسلمونها ما يوجب العطن في الكتاب المتواتر نفسه كما أشرنا إليه في الكلمة الاولى . فلولا تعاليمهم في اعتبار الاحاديث ما وقعوا في كثير مما وقعوا فيه من الاختلافات والاشكالات والشبهات وغيرها حتى جعلوا اليسر عسرا والسهل لترا

وإني لأعجب من أهل الحديث هل إذا سمعوا أي قول منسوب إلى رسول الله يلزمون أنفسهم بالبحث في رجال سنده وتوار يختم أم عليهم العمل به بمجرد نسبته إلى الرسول بدون بحث ولا تنقيب . أما الامر الثاني فهم لا يجوزونه لظهور فساد وأما الامر الاول فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما سمع أقوالا منسوبة إلى رسول الله أن يقني حياته في معرفة أحوال رجالها والوقوف على أمورهم وإذا لاحظنا ان التقليد في الاسلام منهي عنه وجب على كل فرد أن يبحث في أحوال الرجال و يقدم ويحصى كل ما وصله في الاحاديث وما يصله بنفسه والابقي دين ناقصا . فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما عال العهد على رجال الاسانيدو بمد مكانهم وزمنهم عنا والله يقول (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (لها بقية)

مناظرة عالمين*)

﴿ في مجلس المأمون ﴾

إذا أردنا من القرآن كلام الله كان قد بما لانه يكون اذ ذلك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة ، وان أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع أو مصحف مصنوع كن حادثا

هذه المسئلة على بساطتها وبضوحها كن لها في تاريخ الاسلام الديني اسوأ الاثر وآل الامر فيها الى أن يسجن مثل نلام أحمد بن حنبل و يقيد ويعذب . وكان سواد الامة ومعظم علمائها من الفريق القائل بان القرآن قديم . اما الفريق القائل بالحدوث — ويسمى (المعتزلة) — فأتفقوا من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله ويحمل الناس عليه ، ومن ثمة كانت صولته أشد ، وعامل جبروته اقصد ، وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث المأمون بن الرشيد ، فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح وعقل رجيح يشدد على الناس وينكل بهم إن قالوا بما يخالف رأيه ، فكان الناس لهذه يسترون في بيوتهم ، وينقطعون عن شهود الجمعة والجمعة ، ويتسللون من بلد الى بلاد خشية الفتنة والارهاق ، وقد منع الفقهاء والمحدثون من تعمود الناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرصافة وفي غيره من المواضع ، الا بشرأ المريسي ومحمد بن الجهم ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن ، وكل من اظهر مخافتهم قيد اليهم ، وعرض قوله عليهم ، فان أصر قتل سرا أو جها أو نفي من الارض . وكان كثيرون من العلماء يواقفونهم في الظاهر خوفا على أنفسهم وفي الباطن يبرأون الى الله مما أعلنوه .

شاع أمر هذه الحنة في بغداد وجعل أهل الامصار الاسلامية يتداولون خبرها

• لصديقنا عبدالقادر افندي المغربي الطرابلسي زيل مصر

(المنازع ٩) (٨٨) (المجد الحادي عشر)

ويعوذون بالله من شرها : قال عبد العزيز بن يحيى الكناي (الذي نلخص هذه المقالة من رسالة له ألفها فيما حدث له) اتصل بي وأنا بمكة ما ابتلي به الناس في بغداد وكيف استطال عليهم بشر المريسي ولبس على أمير المؤمنين وعامة أوليائه ، فأطال هي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي وأسأله سلامني حتي قدمت بغداد فشاهدت من غلط الامر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . ثم إن عبد العزيز جعل بعد وصوله إلى بغداد يتنهل إلى الله أن يسدده ، ويثبت عزيمته ، ويرشده إلى طريقة يتوصل بها إلى قهر تلك الفئة الجائرة وكف عاديته ، فبداه أن يخفي أمره عن الناس جميعا خشية أن يقتل قبل أن يسمع كلامه ، ثم ارتأى أخيرا أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرصافة ويرفع صوته بمخالفة أهل البدعة وتسفيه آرائهم وطلب حاجتهم ، فإن إشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون اغتياله قبل مناظرته ، واستماع قوله ، ولم يكده ينتهي الايام من صلاة الجمعة في ذلك الجامع حتى سمع الناس من الصف الاول حياال القبلة والمنبر صوت رجل مكّي الزبي واقف على قدميه ينادي بأعلى صوته ابنه الصغير الذي اقامه قبائه عند الاسطوانة الأخرى :

الاب — ما تقول في القرآن يا بني ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق يا أباي

فارتاع الناس لهذه المحاورة وهر بواعلى وجوههم خارجين من المسجد ، وأسمرت الشرطة فاحتلوا عبد العزيز وابنه إلى رئيسهم « رئيس البوليس اذ ذاك عمرو بن مسعدة » وكان جاء ليصلي الجمعة في جامع الرصافة

الرئيس — أبحنون أنت ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — موسوس ؟

عبد العزيز — لا

الرئيس — معتوه ؟

عبد العزيز — لا والحمد لله ، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة

الرئيس - فظالم انت ؟

عبد العزيز - لا

الرئيس لاصحابه - مروا بهما سحبا الى منزلي .

فاحملاهما الشرطة ، وجعلوا يعدون بهما سحبا شديدا ، وايدبيهما في أيديهم بعة
ويسرة ، حتى صاروا بهما الى منزل الرئيس على هذه الحالة القليظة ، فادخلا عليه
وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه (١)

الرئيس - من أين أنت ؟

عبد العزيز - من أهل مكة

الرئيس - ماحملك على ما صنعت بنفسك ؟

عبد العزيز - طلبت القربة الى الله ورجاء الزلفى لديه

الرئيس - هلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا اظهار الخفاة لامير المؤمنين !!
ولكن أردت الشهرة والرياء والسودد تأخذ أموال الناس

عبد العزيز - ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه
لاغير ذلك .

الرئيس - أو تفعل ذلك ؟

عبد العزيز - نعم ولذلك قصدت ، وبلغت بنفسي مآثرى ، وتغري بنفسي
وسلوكي البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في
كتابه ، وما أخذه علي وعلى العلماء من البيان (٢)

الرئيس - إن كنت اتما جبات هذا سببا لغيره من المطالب اذا وصلت الى
امير المؤمنين فقد حل دملك .

عبد العزيز - إن تكلمت في شيء غير هذا ، وجعلت هذا ذريعة اليه ، فدمي حلال
فوثب الرئيس وقال لاعوانه أخرجه بين يدي ، فاخرجوني أنا واتبائي بين يديه
وهو راكب على فرسه ، وجعلوا يعدون بنا على وجوهنا ، وأيدينا في أيديهم ، حتى وصلنا
(١) الشوار : اللباس والزينة وكأنه يريد به هنا الملابس ذات الطراز الخاصة

برؤساء الشرطة والجند في ذلك العصر (٢) فليعتبر علماء هذا الزمان

الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد . فدخل الرئيس على المأمون ، و بقيت
أنوابي في الدهليز واثنين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له وأمر بي :

الرئيس — اخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألته من الجمع
بينك وبين مخلّيك للمظاهرة بين يديه ، وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره بإجابتك
الى ما سألت ، وأمر بجمع المناظرين على هذه المقالة الى مجلسه أعلاه الله في يوم
الاثنين الادنى ، ويحضر هو بنفسه معهم لينظروا بين يديه ، ويكون هو الحكم بينكم
عبد العزيز — أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين وأيد دولته

الرئيس — أعطنا كفيلا بنفسك حتي تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا
حاجة الى حبسك

عبد العزيز — أدام الله عزك ، انا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد
أحدًا ، ولا يعرفني من أعلم أحد ، فمن أين لي من يكفل بي ، خاصة مع الظهاري
مقاتلي ، لو كان الخلق يعرفوني حق معرفتي لبرأوا مني وهربوا من قربي وأنكروني .
الرئيس — نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم ، وتنصرف
فتصلح من شأنك ، وتتفكر في أمرك ، فاملك ترجع عن غيبك ، وتوب من فعلك ،
فيصطحب أمير المؤمنين عنك

عبد العزيز — ذلك اليك أعزك الله فافعل ما رأيت . ولما جاءت غداة يوم
الاثنين حمل عبد العزيز مكرما الى دار الخلافة ، وأدخل الى حجرة ، ليس الشرطة
فسأله هذا عما اذا كان لم يرزل مقبلا على رأيه ثم نصحه ، وحذره وخامته عاقبة مخالفة
أمير المؤمنين فيما اذا ظهر عليه مناظروده ، وانه ليس حينئذ إلا السيف ، وانه إن ندم
ورجع عن مقاله سأل أمير المؤمنين الصفح عنه ، وضمن له جائزة وقضاء ماله من
حاجة ، فأجاب عبد العزيز بأنه ما خرج من بلده الا رجلا - إقامة الحق .

الرئيس — وقد وقف على رجله - قد حرصت على خلاصك جهدي واثت
حريص على سفك دمك جهودك

عبد العزيز — معونة الله أعظم وألطف من أن ينساني ، وعدل أمير المؤمنين
وسم من أن ضمة

وكان قد صدر الأمر إلى بني هاشم أن يركبوا ، وإلى القضاة والقضاة المواقين لهم على مذهبهم وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والقواد والاولياء (١) فركب القوم بالسلح لإحداث الهية في نفس عبد العزيز وسائر الناس الذين يوشك أن يفسدهم ، قال عبد العزيز ثم أذن لي فلم أزل أقتل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب السر الذي على باب الصحن (٢)

الحاجب - إن كنت نحتاج إلى تجديد الموضوع ؟

عبد العزيز - مالي إلى ذلك حاجة

الحاجب - أركم ركعتين

عبد العزيز - ركع أربع ركعات ودعا الله

الحاجب - استغفر الله وقم فادخل

فأزاح السر وأخذ الرجال (التشرقاتية) يدي وعضدي وجعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبتي وطلقوا يمدون بي ، وفظرتي المأمون وأنا أسمع صوتاً دخلوا عنه ، وكثر الضجيج من الحاجب والقواد بمثل ذلك ، فخلوا عني ، وقد كاد يتغير عقلي من شدة الجزع ، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلح ، وهو ملء الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين ، ما رأيته قبل ذلك ولا دخلتها

قال عبد العزيز : فلما أوصلي الحاجب إلى باب الديوان وقفت فسمعت المأمون يقول ادخلوه قربه ، فلما دخلت من باب الديوان وقعت عني عليه ، وقبل ذلك لم أنبه إليه لما كان على باب الديوان من الحاجب والقواد ، قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين بركة الله وبركته ، فقال وعليكم السلام وبركة الله وبركته ، ثم قال أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن مني ، فدنوت منه ، ثم جعل يقول أدن ، وأدنو ، ويكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة ، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المناظرين ويسمع كلامهم ، والحاجب معي يقدمني ، فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست

(١) يريد بهم نو بين الخلافة لأهل الباطن كما هو اصطلاح أهل المصور

المتأخرة (٢) أي صحن دار الخلافة وهذا الحاجب بمثابة سر تشرقاتي اليوم

وسمعت رجلا من جلسائه يقول — وقد دخلت الديوان — يا أمير المؤمنين يكفنيك من كلام هذا قبح وجهه، فإن الله ما رأيت خلقا لله أقبح وجهانه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصا، على ما كنت فيه من الجزع والردة .

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظرني وأنا ارتعد خوفا وانتفض، وأحب أن يؤنسني، ويسكن دوعي فطلق بكثرة كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة (رئيس الشرطة) ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إنساني، وجعل يطيل النظر إلى الأيوان ويدبر نظره فيه، فوقت عيانه على موضع من نقش الجص قد انتفخ . فقال يا عمرو ما ترى هذا النقش في الجص قد انتفخ وسبق فبادر في قلعه وعمله . فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون — ما الاسم ؟

عبد العزيز — عبد العزيز

المأمون — ابن من ؟

عبد العزيز — ابن يحيى بن مسلم

المأمون — ابن من ؟ (يسأله عن جده)

عبد العزيز — ابن ميمون الكنتاني

المأمون — وأنت من كنانة ؟

عبد العزيز — نعم يا أمير المؤمنين

ثم سكت المأمون تنبيهة لا يتكلم

المأمون — من أين الرجل ؟

عبد العزيز — من الحجاز

المأمون — ومن أي الحجاز ؟

عبد العزيز — من مكة

المأمون — ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز - يأمر المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . الارجل
ضوى (الجا) ، اليها أو من جاور بها ، فني لأعرفه .

المأمون - أعرف فلانا وفلانا (وجعل يمد جماعة من بني هاشم)

عبد العزيز - نعم يأمر المؤمنين أعرفهم

المأمون - وأولادهم وانسابهم . (وذكر شيئاً من ذلك)

عبد العزيز - نعم . (وأجابه عما سأل)

قال عبد العزيز : وإنما يريد أمير المؤمنين إيتاسي ، و بسطي للكلام وتسكين
روعي وجزي ، فذهب عني ما كنت فيه ، وما لحقني من الجزع ، وجاءت المعونة من
الله عز وجل ، قوي مظهري ، واشتد قلبي ، واجتمع فمي ، ثم أقبل المأمون عليّ وقال
يا عبد العزيز انه قد اتصل بي ما كان منك ، وقيامت في المسجد الجامع ، وقولك ان القرآن
كلام الله الخ . بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مستلك بذلك من الجمع
بينك وبين مخالفيك على القول تناظرهم في مجلسي ، والاستماع منك ومنهم ، وقد جمعت
الخالفين لك تناظرهم بين يدي ، وأكون أنا الحاكم ، بينكم فان تدين الحجة لك عليهم والحق
معك اتبعناك ، وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبتك ، وان استقلت اقتناك .
ثم أقبل على بشر المريسي وقال : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه ،
فوثب بشر من موضعه كالسد يثب الى الفريسة فرحاً ، فانحط عليّ فوضع ركبته
وتخذد الايسر على فخذي الايمن فكاد أن يخطئه ، وغمز عليّ بقوته كلها ، قلت مهلاً
فان أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي ولا بظلي ، وإنما أمرك بتناظري وانصافي ، فصاح به
المأمون وقال تنح عنه ، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني .

ثم أقبل عليّ المأمون وقال : يا عبد العزيز نظره على ما تريد ، واحتج عليه ، وبتحج
عليك ، وتأسأله يسألك ، وتناصافي كلامك ، تحفظ الفاظك ، فاني مستمع عليكما
فتحفظ الفاظكما . قتلت السم والطاعة لأمير المؤمنين ، ولكن عبد العزيز لم يرد ان
يشرع في مناظرة خصمه مالم ينتقم من ذلك البيض الذي عابه لأمير المؤمنين ،
بقبح وجهه ، وتشويه خلقه ، وملخص ما قال في هذا الصدد : ان يوسف صلات الله عليه
الذي هو احسن البشر وجهاً ، كان حسنه و بالا عليه ، فظلم وسجن رجاء تغير حلية وجهه

وان يذهب السجن بحسنه ، ولما وقف الملك على سعة علمه ، وحسن عبارته في تعبير الرؤيا ، صيره على خزان الأرض ، واعتزل الأمور وصار كأنه من تحت يده ، وليست هذه المنزلة إلا بعلمه وكلامه ، لا بجماله وحسن وجهه ، وقال أحملي على خزان الأرض اني حفيظ علمي ، ولم يقل اني حسن جميل ، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقيح مما هو ممي ، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتزييله . فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا القول ؟ وما الذي دعاك اليه ؟ قلت اني سمعت بعض من هنا يقول يا أمير المؤمنين « يكفبك من كلام هذا قبح وجهه » فأني عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ، قلت يا أمير المؤمنين : قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط ، وتكر انتفاخ الجص ، وسمعت عمرا (رئيس الشرطة) يعيب الصانع ، ولا يعيب الجص ، فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع ، انما العيب على صانعه . قلت صدقت يا أمير المؤمنين وقت الحق . فهذا (يعني جليس السوء) يعيب ربي لم خلقتي قبيحا . فازداد المأمون تبسما حتى ظهر ذلك عليه ، ثم قال يا عبد العزيز : ناظر صاحبك قد طال المجلس بغبر مناظرة . ثم أخذنا في المناظرة . ولا يمكن ان تقضى مسائل المناظرة اولا نخلصها لما ان المقام لا يحتمل ذلك ، وانما نشير الى بعض ما كان يجري بين المتناظرين مما فيه دلالة على أخلاق العلماء إذ ذاك ، وعلى كرم أخلاق المأمون : من ذلك ان بشرنا سأل عبد العزيز سؤالا ، وكلفه جوابه ، وواجهه المأمون قائلا هذا يلزمك يا عبد العزيز فندد ذلك جل ابن الجحيم وغيره من شيعة بشر يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون ، جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، طمعوا في قتل عبد العزيز ، وجثا بشر على ركبته ، وجعل يقول اقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسك عبد العزيز فلم يتكلم ، قال له المأمون مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقال سأني بشر وهو المتناظر لي ، فضجيج هؤلاء ايش هو ؟ وأنا لم أقطع ، ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لا يسكتوا ، فصاح المأمون لحمد بن الجحيم وغيره امسكوا ، فامسكوا ، واقبل علي وقل تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك ، فتكلم وأخذنا في المناظرة

قال عبد العزيز : وجعل بشر يصيح ويقول لو تركته يا أمير المؤمنين يتكلم
لجاء بألف شيء قلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه
بالضجيج والترويج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى
يظهر دينه ويقع الباطل بالحق فيزفه، فصاح المأمون يشر أقبل على صاحبك ودع
هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم .

قال عبد العزيز : وكثر تبسم المأمون من قولي حتى غلبي يده على فيه واطرق
يكتب في الأرض يده على السرير

وبما استدل به بشر على مذهبه قوله تعالى خالق كل شيء . والقرآن شيء من
تلك الأشياء المخلوقة .

فأجاب عبد العزيز بما خلاصته : قال تعالى « ويحذركم الله نفسه » فله نفس وقال
تعالى « كل نفس ذائقة الموت » فتقول يا بشر ان نفس الله داخلة في هذه النفوس ؟
فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت ماذا الله ماذا الله .

هذا مثال مما كان يجري بين المتناظرين في حضرة المأمون ولم يزل عبد العزيز
يدحض حجج خصمه ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس حتى قال المأمون له
أحسن يا عبد العزيز ثم أمر بشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف من
مجلسه على أحسن حال وأجملها

قال عبد العزيز فسر المسلمون جميعا بما وهبه الله لهم من اظهار الحق وقمع الباطل
وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغم والحزن وجعل الناس يبحثون الي
أفواجا حتى أغقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ،
فقالوا لا بد أن نملي علينا ما جرى لتعرفه وتعلمه فبيت ذلك وتخوفت سوء عاقبه ،
فلما ألحوا علي قلت أنا أذكر لكم بعض ماجرى مما لا يجوز علي فيه شيء ولا حرج
في ذكره فرضوا فأملت عليهم أودا فاختصرة لأقلهم بها عن نفسي وعن ملازمة بابي



بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأُمِّ

سياحة صاحب المجلد

﴿ في سوريا ﴾

بيروت

وافيت بيروت في السادس والعشرين من شهر شعبان وقد صعدا الجمهور من نشوة الفرح بال دستور ، وثابوا الى التفكير والتأمل بعد تلك الرياضة في روض الوجدان والشعور ، وكان مما يحمد عليه أهل بيروت ويذكرون به أنهم قد انتقلوا من خمول الاستبداد الى نشوة السرور بالحريّة ومن هذه النشوة الى السكون والروية ، ولم يكن منهم غلو مذموم كما يحصل عادة في مثل هذا الانتقال بمقتضى قاعدة «ردّ الفعل» وقد اشتهر ما كان من تحوّل الضغائن والاحقاد بين المسلمين والنصارى منهم الى المسالمة والوداد وكان المسلمون هم البادئين بهذا الخير ، كما كانوا في الغالب يبدؤون ، وكما يقال بالشر ،

وقد رأيت فضلاء المسلمين في هذه الايام مهتمين بأمرين عظيمين أحدهما مشتركا بين جميع العثمانيين وهو ما تفرّك فيه جمعية «الجامعة العثمانية» من انشاء مدارس لتعليم جميع الطوائف وتربيتهم على الوحدة الوطنية او نحو ذلك من الاعمال ، ولا بد ان يكون فضلاء النصارى متقنين معهم على ذلك وانما اسندت الاهتمام به الى المسلمين عن علم وجعلت مشاركة النصارى لهم من قبيل الاستنباط العقلي لا تلي لم اجتمع بأحد من علماء هؤلاء وفضلائهم فأعرف بالاختبار ما يهتمون به من الاعمال في عصر الدستور إذ كان أهل العلم والفضل من المسلمين هم الذين استقبلوني في البحر وأكرموا

شواي في البر. وما كانت إقامتي بينهم الا ثلاثة ايام ضاقت عن ردة الزيارة لجميع الزائر بن منهم، ولو طالت لتصدت لقاء أهل الرأي من غيرهم،
والامر الثاني مما يهتم به المسلمون خاص بهم وهو ما توجهت اليه همه « الجمعية العلمية » من إحياء المدارس التي اسستها من قبل جمعية المقاصد الخيرية وكانت تدبر نظامها شعبة المعارف التي قضى عليها الاستبداد فجعل هذه المدارس أثراً بعد عين .
ولا أذكر ماسمعه من الآراء في إيجاد المال لهذه المدارس واختيار كتب التعليم لما بعد النظر فيما بين الأيدي منها وجلب مثله من مصر وانما أرجو أن أكتب بعد قليل من الزمن من أخبار اعمال هذه الجمعية ما يحقق أفضل الآراء وأنفعا
رأيت مسلمي بيروت مستعدين لقبول كل إصلاح ديني ومدني ورأيت فيهم نفرا من أهل الفيرة المالية والميل للاعمال التي تنهض بالامة وترقي شأن البلاد وقد أحييت ان يكون لي حظ من معرفتهم وسعي في جمع صفوة أهل الاخلاص منهم ومكاشفتهم بما أراه من أصول الإصلاح وقد سرتني من حديث من اجتمعت به منهم أنني رأيت التفاوت بينهم غير بعيد والخلاف بين طبقاتهم غير شديد، والتنافس بين أهل الظهور لم يهبط الى دركة الحسد، ومقاومة الجامدين للإصلاح لم ترتق الى درجة المقاومة، والسبب في ذلك على ما ظهر لي أن أذكاء النابتة الذين يحبون الإصلاح لم يتربوا تربية أوربية تبعدهم من الدين وتشوه مدنية سلفهم في أعينهم وتجب اليهم الانسلاخ من كل قديم، وتزين لهم الافتتان بكل جديد، كما فن كثير من المتفرجين في الاساتنة ومصر وتونس، ولم يتوسعوا في علم الكلام والفقه فيجسروا مع فنون الرية كل المطلوب لارتقاء المسلمين، ولم يحرموا منها حرمان من يعادي الشيء لجهل به، — وان المشتغلين بالعلوم الدينية والفنون الرية لا يوجد كثير من المتقين لها والبارعين فيها الذين يخشى ان يكونوا زعماء قادرين على تأليف المعصيات لمقاومة الإصلاح كما هو شأن رجال الذين الجامدين في كثير من بلاد المسلمين
ونتيجة هذا ان قلة اشتغال مسلمي بيروت بالكتب الاسلامية المتداولة وعدم افتانتهم بالفرنج قد جعل نفوسهم مستعدة للإصلاح الذي لا يرقى المسلمون بدونهُ وهو الجمع بين هداية الكتاب والسنة والعلم والمعارف المصرية بغير معارضة قوية

وأيت من الثابتة العصرية من يقول يجب علينا ان نعمل بمعزل عن الشيوخ الجامدين ولا نبالى بهم رضا أم سخطا ، ومن يقول لا بد من مقاومتهم والقضاء على نفوذهم ، ومن يتوسط فيقول يوجب مسألتهم ومداراتهم والاستعانة بهم لان جانبهم منهم ، والمرجح عندي ان العاملين في بيروت لا يجدون مقاومة يعتد بها ، وأخرج ما يحتاجون اليه المال والزعم الذي يجتمع عليه القلوب ومتى وجد أصحاب المهم من الرجال ، سهل عليهم إيجاد المال ، والزعم انما يشترط لا تقآن العمل وكأله فلا يتعذر على أهل الغيرة الابتداء بالعمل مع قهده . ومتى تكونت الاعضاء تكونا طبيعيا ثبت لها رأس طبيعي ،

أما حكومة بيروت فهي سائرة في طريق النظام بهمة واليها ناظم باشا وحرزته ودرايته ولكن هذا الوالي لم يأت بعمل ما في ملحقات الولاية كما يعلم من الكلام الآتي عن طرابلس ولولا قرب عهده بالحجي الى الولاية قلنا ان حسن حال الاهالي هو الذي حسن حال الحكومة في مدينة بيروت فهو لا يدل على فضله ولا يقوي الرجاء في إصلاح حال الولاية بحسن إدارته ولكنه قرب عهده لما يتمكن من تنظيم إدارة داره فلا مجال للموه

طرابلس الشام

وافيت هذه البلدة وقد أهوت شمس يوم الجمعة (وهو التاسع والعشرون من شعبان) الى الغروب والناس يرقبون غروبها ورؤية هلال رمضان بعده فأقبلوا يستهلون فبدا الهلال لعين واحد منهم لحكم القاضي بشهادته وأصبح الناس من ليلتهم صائمين

مكنت في دار صديقي الصدّيق الشيخ محمد كامل الراعي أسبوعا كاملا استقبل وفود الزائرين المهتمين من العلماء وعمال الحكومة والوجهاء ورجال الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الجامعة العثمانية والجمعية العلمية . وقد ظهر لي مما دار بيني وبين صفوة الناس من الطبقات العليا والوسطى أن استعداد مسلمي طرابلس للإصلاح الديني والمدني دون استعداد مسلمي بيروت

ذلك بأن مسلمي طرابلس أكثر من أهل بيروت اشتغالا بدروس كتب

(المناج ٩م ١١) أسباب ضعف استعداد الطرابلسيين - حكومة طرابلس ٧٠٩

الفنون العربية والعلوم الإسلامية التي وضعت منذ القرون الوسطى بعد انحطاط مدينة المسلمين . ضعفهم في العلوم وهي مما يضعف الاستعداد لانه يشغل الفلانة ولا يكاد فيكون عاقبا لها عما سواه كما أشرنا اليه في الكلام عن استعداد أهل بيروت وربما نضعه في فرصة أخرى ، على أن أهل طرابلس قد قلّ اشتغالهم في السنين الأخيرة لحكم الاستبداد ، التي اضطلعت بها العلم وكتبه أشد الاضطهاد ، هذا سبب معنوي من أسباب ضعف استعداد أهل طرابلس وسيعده أكثرهم غريبا أو باطلا بالبداهة محتجين بأن من كان أوسع علما في فن أو علم ما كانت أقوى استعدادا لغيره ، ولا محل هنا لدحض هذه الحجة أو إبطال هذه الشبهة . وثم سبب آخر وهو الفراغ والبطالة في طائفة كبيرة منهم وعدم المنافسة والارتقاء في العمل عند أكثر العاملين

ومن الأسباب في ذلك قلة احتكاك أهل طرابلس بمن هم أرق منهم في العلوم والأعمال من الأجانب والعنانيين فان طرابلس أصبحت كأنها بمعزل عن العالم المدني ، لا يهاجر اليها المرقون في العلوم إذ لا مدارس ولا تعليم فيها ولا المرقون في الأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية إذ لا رجا لأحد في الكسب منها

ومنها ما هو أثر طبيعي لما قبله من عدم وجود الجرائد اليومية فيها وعدم وصولها الجرائد اليها من بيروت لانها غير متصلة بها بسكة حديدية فالقيم فيها لا يعرف شيئا يمتد به من أحوال العالم

من أجل هذا وذاك كانت حكومة طرابلس شرا من حكومة بيروت في وقت الاستبداد ، ولم تل نصيبا من الإصلاح في زمن الدستور وقد كان فسادها الماضي وضعفها الحاضر علة لكثرة الاشتياء فيها المستعنين بها على السلب والنهب والنيل من اعراض الناس ودمائهم ، فان هؤلاء الاشتياء زعماء يشترون ذمة كبراء الحكام ويشاركونهم بما يتمتعون به من أموال الناس وأعراضهم ويرضخون لافراد الشرطة والزابانية بدرهيات يستبدونهم بها فاذا رفضت على أحدهم قضية كفاه أمرها رجال الحاكم فاذا جاء البلد حاكم جديد وحاول ان يقرر فيها الامن ويقم ميزان العدل وانفذ الشرطة الى بعض هؤلاء الاشتياء المتهمين بالقتل والضرب أو

السلب والنهب عادت اليه الشرطة قائلة انهم قد فروا هارين فلا يعلم مكانهم وانما يكونون هم الذين قتلوها ما تقول

حادثة الاعتداء علي وسيها

ما كنت لا ذكر هذه الحادثة في المنار ، لو لم تشتهر في الاقطار ، ويظلم بها أهل طرابلس على الاطلاق ، حتى وجب علي ان أبرئ المظلومين ، وأبين سبب قصير المقتصرين ،

حقيقة الحادثة اني دخلت طرابلس باحتفال عظيم لم يسبق له نظير فيها فقد استقبلني عند الباخرة في البحر جمهور من أهل العلم والوجاهة ووفود من الجمعيات الثلاث : جمعية الاتحاد والترقي والجمعية العلمية وجمعية الجامعة العثمانية ، وكان في الانتظار على رصيف الجرك في الميناء جماهير من جميع الطبقات وجوقة موسيقي أرسلتها جمعية الاتحاد والترقي فلما اقبل عليهم الزورق الذي يحملنا مرفوعا عليه العلم العثماني (أعزه الله تعالى) صدحت الموسيقى وبعد السلام على كثير من المستقبلين ذهبنا إلى موقف الترام الذي بين الميناء والبلد فاذا بمركبة كبيرة من مركبات الترام معدة لنا من قبل جمعية الاتحاد فتبوأناها مع خواص اعضاء الجمعيات وجوقة الموسيقى في مقدمتها والناس من حولها يطلقون البارود . فوقفت في نافذة من نوافذ المركبة وشكرت للقوم أربحيتهم وسارت المركبة حتى إذا ما بلغت الموقف من البلد استقبلنا فيه جمهور آخر وسرنا حتى إذا كنا بالقرب من الدار التي نؤمها في أشهر شوارع البلد وأسواقها فاجأنا شقي من أولئك الاشقياء الذين أشرنا اليهم اسمه كامل المقدم فقال أين هذا الذي تسلمون عليه ؟ ففرني بالقرينة فضر بني بعصا في يده وقعت على جانب رأسي ثم رفعها ثانية وأهوى بها فتلقاها الشيخ محمد كامل الرافعي وكان عن يساري في مقدمة الناس . فأخرج الشقي مسدسا وأطلق منه رصاصة واحدة اعتقدت انه يريد بيا قلتي واعتقد الجمهور ذلك فيما يظهر فانهم ارجعوني واحدقوا بي وأرادوا إدخالني لاحد البيوت المجاورة لتلك المكان . وتقدم اليه اكثر من واحد منهم فطردوه ثم استأمننا اليهم إلى دار الرافعي وكانت قرية منا وهنالك اخبرني القوم بالمعتدي وانه ابن عبد الرحمن افندي المقدم الذي كان يجلني وأنا طالب علم أشد

الاجلال على ما كان عليه رحمه الله من كبرياء حتى انه كان يستقبلي ويشيعني عند الباب

ذلك انه كان قد اعتدى على اخوتي من قبل بإيماز عصبة من تلك العصبة التي أشرنا اليها «والشر داعية الشر» فالظاهر ان تلك العصبة قتل عليها ان يمتاز من اعتدت عليهم بأخ لهم لانها تحب ان يكون شرها دائما لا ينقطع . وقد رأيت جميع الناس من جميع الطبقات يعتقدون ذلك ولولا هذا الاعتقاد لظهروا استيائهم ولقامت قيامتهم على هذا الشبح البالي من حكومتهم على عدم قتلهم بها بل لاستنهبوا همه حكومة الولاية الى معاقبة ذلك المعتدي الذي عدوا جريمته إهانة لهم كلهم أي إهانة لأهل البلد لانه أساء الى المئات من فضلائهم بالمعتدي على الضيف الذي يحدقون به تعظيما له وتكراما ، وقد سمعت من الناس وغنم ماجزمت به وأيقنت بأن الاستياء العام كان شديدا وأن بعض أهل الجبلة جبروا لزعماء عصبة ذلك الشقي وله بسوء هذا العمل وبمقت الناس لهم لأجله وحدثني بعض الكبراء والمتوسطين ان أولئك الزعماء أقسموا جهد أيمانهم بأن هذا الامر لم يكن بإيماز منهم ولهم وبخو الشقي الفاعل وكادوا يطلقون عليه الرصاص !! ولكنهم مع هذا يهددون من دعتهم الحكومة للشهادة ليكنموها ويحرقوها ويخفون الشقي عن عين الحكومة ويطلبون المصالحة قبل القبض عليه !!!

هذا هو السبب في سكوت جمهور أهل طرابلس وإغضائهم على القذافي ولو رفقوا بحكومتهم وأمنوا بقوتها شر تلك العصبة لظهروا سخطهم لها وللناس قولا وكتابة فهم معذورون في سكوتهم . على أن فيهم من تحمس ليذهب برفد الى الولاية ليخطبوا الوالي في الامر فلم أرض بذلك ، ومن شجعانهم من تمنى لو كان حاضرا لينقم من المعتدي عند الاعتداء .

أقول هذا جوابا لا أولئك الفضلاء الاخيار الذين كتبوا الينا من يروت ولبان والشام ومصر يقولون أترك « فيحاء الاشقياء » تنمي من بني اول حجر فيها وأرحل انينا حيث تلقى من الكرامة كيت وكيت ، ويقولون لو كنا ملكا لملنا أهل طرابلس كيف يوجد من عارفي قدرك من يهديك بدمه ،

وكتب الي صديقي رفيق بك العظم ينصح لي بأن أقضي بقية إجازتي في بيروت ودمشق وحمص وحماه . وقد تحمس أهل النجدة من بيروت واثمروا بينهم ليرسلوا وفدا منهم يحضرنني من طرابلس وعصبة من الشجمان لينتقموا لي من المعتدين بالقوة اذا كانت الحكومة عاجزة عن ذلك أو منهاونة فيه وكتب الي أكثر من واحد يستشيرني أو يستأمرني بذلك وقد تطوع نحو خمسين رجلا من فدائية بيروت (الاضيائات) بذلك فكتبت الي بعضهم إنه لا حاجة الي ذلك واتي في طرابلس عزيز كريم

أراد ذلك الشقي أن يحط من قدري غلوا في الانتقام من إخواني ، فكان عدوانه مزيدا في كرامتي ، وإهانة له ولعصبة الاشرار ، في القرى والامصار والاقطار ، بل إهانة لاهل بلده الاخيار منهم والفجار ، فقد طار البرق بالحادثه منذ تلك الليلة إلى بيروت ونشر الخبر في جرائدها فلم به الناس في سوريا ولبنان ومصر فقطعوا يدمون طرابلس وأهلها قولا وكتابة وقد قل ذلك اليها كبير من كان من أهلها في بيروت . وتلك سنة الله : رجل يهين أمة ورجل يشرف أمة ، كما اطروني برسائل البرق والبريد وتحدثوا بخدمتي الصغيرة للاسلام والدولة والملة فكبروها تكبرا بمثل انبرقية التي وردت الي من شيخين من أشهر أهل العلم والأدب في مصر ونصبا «نهي» العلم والدين بنجاة ركنها الركين » ومثل البرقية التي وردت من فاضلين من أشهر أهل بيروت علما وأدبا ونصبا «الهناء لكم ولناو للمسلمين بسلامتكم التي تهمناجمعا» وهنالك برقيات كثيرة بهذا المعنى من بلاد كثيرة منها برقية بامضاء بضمة عشر رجلا وهم خيرة أهل بيروت ولا نسل عن رسائل البريد ، وما فيها من الاطراء والتثديد

وليست الرسائل الواردة بما ذكر كلها من المسلمين بل منها اجاء من فضلاء النصراري فكانت الحاسة فيها أشد، ولسان الاطراء والقدح أحد ، كرسالة صديقنا قولا افندي شهاده من زحله التي يتتل فيها قول السيد المسيح عليه السلام الذي معناه انه لا يهان نبي الا في قومه وبلده ، ورسالة صديقنا رثيف افندي شندودي من جونه الذي تمنى فيها كما تمنى كثير من اهل بيروت لو كان معي وقت الحادثه فيري أهل طرابلس

كيف يندني بدمه (حماه الله) فأشكر لجميع أولئك المهتمين أربيعتهم وفضلهم وأكرر لهم الاعتذار عن أهل طرابلس في المنار كما اعتذرت عنهم فيما كتبت إلى الكثير من المهتمين ، وأصرح لهم بأنهم لم يقصروا في الحفاوة بي بل بالغوا وأغرقوا حتى كنت أخجل مما أسمع من شيوخ العلم وكبار الوجاه ، من جل الثناء والاطراء ، مثل : يرضت وجوها يرض الله وجهك ، شرفت بملك سوريا والعرب ، أحييت بخدمتك العلم والدين ، عملت للدولة كيت وكيت . حتى قال لي أحد العلماء ان هذا الجهد الذي نلت لم ينله أحد من أهل طرابلس فيها . وقال لي أحد أدباء التنصاري إن الناس يستقبلونكم أيها الأحرار كما يستقبلون الفاتحين ، لا كما يستقبلون الأعزاء الثانيين . واتي أشهد قراء المنار على نفسي بأنني لا أستحق هذا الثناء والاطراء ولا بعضه ، واتي ذكرت منه ما ذكرت وأنا في حبل شديد ولولا قصد تبرئة أهل وطني الذي ريت فيه مما جاء عليهم ذلك الشقي المسكين لما ذكرت ما ذكرت من الإشارة إليه . وسأذكر في رسالة أخرى ما كان من اهتمام دولة الوالي بالحادثة وما كان من أثر ذلك

ومن آيات رضي أهل طرابلس عن هذا العاجز دعوة الكثيرين من أهل الرأي والمكانة منهم لإياه لترشيح نفسه لمجلس المبعوثين ونصرهم في الملا بأنه أجدرهم بذلك . ولكنتي لم أترك ما عندي من اليقين بسجزي لحسن ظنهم بي ولذلك كنت اعتذر لكل داع بما أرى أنه يقبله مني

طلاب العلم الاستقلالي بطرابلس

وقد سرتني في طرابلس سرورا عظيما أن رأيت فيها فئة من طلاب العلم الدينية يرغبون عن التقليد وضمونه ، ويميلون إلى الاستقلال في العلم ويتحطون ، ويترفعون بأن حياة الدين إنما تكون بالرجوع إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وترك ما عداها من الآراء الكثيرة ، رأيت هؤلاء وإذا كرتهم بعد أن كتبت ما تقدم من المقالة بين أهل طرابلس وأهل بيروت ولم أر مثلم من الطلاب في

يروت ولكتني أظن أنه يوجد فيهم من هم على هذه الشاكلة وربما كان عددهم أقل لأن الطلاب في طرابلس أكثر،

وقدرغت من قيت من هؤلاء الطلاب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة المصرية، فالفيت آذانا واعية وقلوبا راغبة وأذهاناً مستعدة، ولكن وسائل العلم عبر متيسرة لهم الآن وربما لا يتيسر السعي له إلا بعد حين من الزمن. ولهذا لم أرجع بعد قتي هؤلاء النجباء عن رأيي في ترجيح استعداد مسلي يروت للعمل على استعداد مسلي طرابلس وإن كان في الكلام عن هؤلاء الطلاب نوع من الاستدراك على ما تقدم

الجمعيات في طرابلس

الف اهل طرابلس ثلاث جمعيات غير فرع جمعية الاتحاد والترقي كما فصل أهل يروت. الاولى جمعية الجامعة العثمانية ولها ناد يجتمع فيه أعضاؤها وهم الآن يفكرون في عمل مالي يتون لهم منه ريع يمكنهم من انخلفة النافعة للبلاد التي توثق بها عرى الجامعة العثمانية وما أظن أن ذلك ميسور لها الآن فثأنتها محصورة في اجتماع أعضائها في ناديا فقترح عليهم أن يطالعوا فيها الكتب النافعة التي تقضي العقول وترقي الافكار والآداب ككتب التربية والاخلاق والمجلات العلمية، وإن يترنوا فيه على الخطابة في السياسة والآداب وشؤون الاجتماع والعمران، وإن يكون لهم في كل شهر مناظرة في مسألة علمية أو سياسية أو اجتماعية، فذلك تكون جمعيتهم نافعة منذ اليوم، فإن تيسر لهم بعد ذلك جلب المال وانفاقه على عمل من الاعمال، كانوا به أبصر، وعليه أقدر،

والثانية الجمعية العلمية ورأيت بعض أعضائها يتحدثون بجصل تعليم الفنون الحربية والعلوم الشرعية بطريقة منتظمة في مدرسة كبيرة يتخرج فيها المستعدون للتدريس والقضاء الشرعي والحمامة. ويقول آخرون منهم ان إنشاء هذه المدرسة لا يكون الا بمال كثير، وهو عسير علينا غير يسير، على انهم لو وجهوا همهم الى جمع المال لتيسر لهم جمع مقدار يكفيهم لاستئجار دار يملون فيها، وأكثر الشيوخ لا يسألون على التعليم أجراً، والطلاب هم الذين يشترون الكتب لانفسهم، وليس

من مقاصد الجمعية تعليم العلوم الطبيعية التي يوقف تعليمها على الآلات والمعلمين بالأجور فتحتاج إلى المال الكثير ، ولكن أعضاء الجمعية مختلفون في الامر وهو غير عظيم ، فبعضهم يشعر بهمة في نفسه تصفر له الكبير ، فبريه الآخرون بالفرور والتفرير ، ولعلمهم يشعرون في التعليم بالطرق المستحدثة والكتب المختارة ولو في المساجد الى ان يتسرح لهم ولغيرهم من المسلمين تحويل معظم الاوقاف الخيرية للتربية والتعليم ، وعسى ان لا يكون ذلك بعيدا

واما الجمعية الثالثة فقد أطلق عليها اسم الجمعية الخيرية ، والذي يفهمه القراء من هذا الاسم انها جمعية تجمع الاموال لإغاثة الفقراء والمعزة ، ولكن الذي وصل الينا من خبرها انها شركة مالية أسسها بعض الاغنياء لاجل استغلال أموالهم بالاعمال الكبيرة التي يرجى ربها ، وسمعت كثيرين من أعضاء الجمعيات الاخرى يطلقون على مؤسسي هذه الجمعية أو الشركة لفظ « حزب التقهر » ويقولون ان أكثرهم من الذين عزلوا بعد إعلان الدستور لخيااتهم وفسادهم في الحكومة الماضية أو استقالوا لعلهم بأنهم لابد ان يعزلوا ان لم يبادروا بالاستقالة . ويقولون انهم أعداء الدستور ويطعنون دائما بجمعية الاتحاد والترقي ويكابرون أنفسهم فيدعون انها لم تعمل عملا وقد ذكر لي اسم ثلاثة منهم لم أسمع من أحد منهم شيئا مما يحكونه عنهم ، وليكنتي سمعت من شابين من حملة الاقلام كلاما صريحا ونهما شديدا في ذلك ، وقيل لي ان هذين الشابين من أعضاء هذه الجمعية أو انصارها وربما كانا لسان الجمعية الناطق وقلها الكتائب

وفي هذا المقام اشكو ما سمعت في طرابلس من طعن الناس بعضهم ببعض حتى في المحافل والاندية العامة ، وأرجوا ان يفتح الله لهم في أيام الدستور من الاعمال ، ما يشغلهم عما يضر ولا ينفع من الاقوال ،

العمران في طرابلس

رأيت داخل طرابلس على ما تركتها عليه منذ إحدى عشرة سنة كأنه لم يتبدل ولم يتحول فيها شيء ، حتى خيل لي ان ما رأيته في الدكاكين ومخازن التجار هو الذي تركته فيها بعينه ، وقلنا رأيت أحدا ممن أعرفهم انتقل من دكانه سواء كان

مالكا أم مستأجرا . واما ضواحي البلد فقد تجدد فيها دور وقصور كثيرة على عدم نمو الثروة الطبيعية . فالزراعة لا تزال على حالها وعليها مدار معيشة السواد الاعظم . والصناعة كذلك على حالها وليس في طرابلس منها ما يعد مصدرا لارتقاء ثروتها ولم تتصل بها سكك حديدية ترقى بها تجارتها فأكثر الذين أثروا فيها هم من عمال الحكومة أكلة أموال الناس بالباطل

شعائر الدين

لعل أهل طرابلس أشد أهل سوريا محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام، وأبدم عن الجهر بالمعاصي، وحسبك من هذا أن صاحب قهوة احضر في هذه الايام بعض النساء الرافضات لبروج بها قهوته قامت قیامة أهل السلم من المسلمين عليه، وتغصب لم الجمهور حتى ألزموا الحكومة بمنه من ذلك

تسامح الدين الاسلامي

جاء في جريدة اللواء تحت هذا العنوان ما يأتي مع تصحيح قليل :

« نشرت جريدة (ريج) الروسية أن مخبرها الخصوصي في الاستانة الطيقايل سمحتوا شيخ الاسلام وطرح عليه أربعة أسئلة طالبا الجواب عن كل منها وهي :

- ١ — ما رأي شيخ الاسلام في تعليم المرأة المسلمة
- ٢ — ما رأي شيخ الاسلام فيما نشرته الجرائد التركية من وجوب ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية

٣ — بأي نظر ينظر شيخ الاسلام إلى المدارس الفنية العثمانية

٤ — ماذا يغم شيخ الاسلام من الاقوال القائلة بالحرية في الدين ؟

أجاب سماحته عن السؤال الاول بقوله « ان القرآن الكريم يأمر الرجال والنساء جميعا (بالعلم) فيلزم كل فرد من أفرادها أن يتعلم القراءة والكتابة ولهذا السبب قابل — بانشرح صدر — انتشار التعليم بكل أنواعه بين النساء زيادة

على تصصيلهن العلوم الابتدائية لاني أرى من الاوفى والاصوب أن تتولى الطيبة أمر معالجة المريضة المسلمة لذلك يجب أن تؤخذ الفتيات الى المدارس الطيبة ، وأما مسئلة قيام النساء بوظيفة المحاماة والقضاء فأمرها لم يتم بعد في البلاد الأخرى ولا أدري بأي فطر ينظر الاهالي هذه المسألة في بلادنا »

وقال سماحته مجيبا عن السؤال الثاني :

« فهم القرآن واجب على المسلمين مطلقا ، لذلك لا نعارض فكرة ترجمة القرآن الى اللغة التركية بل نعد بذل كل مجهود في ابراز هذه الفكرة الشريفة الى حيز الوجود ديننا عظيما علينا ولكن حيث إن في القرآن كثيرا من المواضع يصعب فهمها على العامة واشترطت لحلها كثرة العلم والتعلم لذلك نرى من الواجب أن نعهد وظيفة ترجمة القرآن الى أفاضل الفلاسفة المسلمين الذين لهم الملم تام بلغة القرآن وروح الاسلام وأدبيات العرب حتى لا يخشى من تغيير معانيه الجليلة »

وأجاب عن السؤال الثالث بما ترجمته :

« إنا معشر رجال الدين وظيفتنا النظر في شؤون المدارس الدينية وأما الفن فأمره ليس بأمرنا بل هو راجع الى الحكومة والأهالي لذلك نحن لا نتدخل في أمره وعلى الحكومة أن تنتخب لمدارسها من الفنون ما ينجم عنه رقي الاهالي وقوة الدولة وحضارة البلاد ولا نطلب من الحكومة تسليمها لنا ولا أن تكون مدارسها الابتدائية تحت نفوذنا

ولا يوجد في المدارس الفنية من الدروس الدينية غير حصّة واحدة وأكرر القول بأن الفن والصناعة ليسا من عمل رجال الدين بل من عمل الحكومة ولكنها ليسا بمخالفين للدين ولهذا السبب نسلم أمر هذه المسألة تماما الى الحكومة »

وقال مجيبا عن السؤال الرابع :

« نحن على جانب عظيم من الحرية الدينية ولكن لا نتدخل في أمور ديانة الام وخصائصها ووجدانها في أي حال واذا تداخلنا فاما يكون ذلك باللسان فقط . ويأمر الدين الحنيف كل مسلم متزوج بزوجة مسيحية ان يرسل زوجته مرتين في الاسبوع لزيارة أقرانها ولم يأمر نينا الكريم الناس بما لا طاقة لهم به حتى أن

٧١٨ المرتدون عن الاسلام - الزواج بين المسلمين والنصارى (المارج ٩ م ١١)

تركيا لم تضغط ولا في الازمنة التي كانت لها فيها قوة كبرى على رعاياها المسيحيين في أمورهم الدينية فينبغي أن ينفذ حكم الحرية التامة في أمور الديانات ليؤمن كل على معتقده وديانته »

شأن المرتدين عن الاسلام

وهنا قطع المخبر كلام سماحته سائلا رأيه في المتقنين من الاسلام إلى المسيحية فأجاب قائلا « افرضوا أن فرقة عسكرية فرت من بين صفوف المقاتلين لاشك انكم تعتبرونها خائنة شر خيانة وحينئذ تحكمون عليها بأشد العقاب ونحن كذلك أمة واحدة نذوب أسفا على كل خارج من صفنا ونستاء منه استياء شديدا وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبينة على أساس أن كل الذنس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومة أن تعاقب الخارجين من الدين أو تضغط عليهم بالقوانين والتصديق كما لانحكم على الخارجين عن الدين الا بالحكم المعنوي ولا يمكن اجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية واذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا بمنعنا مانع عن اظهار كراهتنا له وفجورنا منه

زواج المسلم بالمسيحية (١)

وسأل المخبر سماحته أيضا قائلا « ان الاسلام يصرح لمتطيحه بزواج الفتاة المسيحية

(١) المثار : كتبنا منذ ست سنين تعليقا على كلام للاستاذ الامام بشأن زواج المسلم بالمسيحية في كتاب الاسلام والنصرانية هذا نصه :

« يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتانية يعلم البشر التآلف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتاني أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لانهم أقوى منهم فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره بيفض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بأمرأة مخالفة ، أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم »

فأي شيخ الاسلام موافق لرأينا في روح المعنى وان خالفه في الاسلوب

(الماراج ١١٩) مسلو روسيا . علماء الدين والحرية الدينية - جريدة النظام ٧١٩

ولماذا يمنع الفتاة المسلمة من الزواج بالمسيحي ! فأجاب بقوله « تعرفون أن نفوذ الزوج فوق نفوذ الزوجة في المنزل وهي تابعة له ونحن معشر المسلمين نمد كلامنا من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ونؤمن بكتبهم ونصدق برسلمهم ولهذا السبب الصراح تقدر على الإقامة مع اليهودية أو النصرانية بلا أدنى تمد على عقيدتها ولا تعرض لامورها الدينية وأما اليهود والنصارى فليسوا بمؤمنين بالقرآن ولا بمصدقين بنبينا الكريم بل يعدونها كذبا محضا لذلك حرم على المسلمين أن يضعوا قياتهم تحت نفوذ قوم هذه حالهم بما يحرمه ديننا الخيف »

مسلو روسيا

ثم عرج بمباحته بالكلام نحو مسلمي روسيا فقال « اني ما زلت أنصح لمسلمي روسيا بأن يكونوا مطيعين ومخلصين لوطنتهم يد أنه يجب عليهم أن يمضوا بالتواجد على حقوقهم الدينية وعلاقاتهم الجنسية »

العلماء الروحيون والحرية الدينية

ثم فتح باب الكلام أيضا بشأن الحرية الدينية اذ قال « اني في جانب من يقول بالحرية التامة نحو الدين وأعتقد أن جميع العلماء الروحيين إذا اعتقدوا أن جميع البشر اخوان وانهم عبيد مستوون عند الله الواحد القهار زالت من بينهم المجادلات الدينية وطمست آثار المظالم والفتن »

ثم قال المخبر تعليقا على ما تقدم « فليفهم القراء علو منزلة رئيس علماء المسلمين وليحكموا على قبة رؤساء الاديان الاخرى » اه
(الماراج) : إن قراء الماراج يعرفون رأينا في هذه المواضيع وربما عدنا البهاقي جزءا قادم

﴿ جريدة النظام ﴾

جاءنا من ادارة جريدة النظام ما يأتي :

« يسرني ان انهي الى علمكم انني قد عولت بمون الله وحسن توفيقه على اصدار جريدة يومية سياسية اسمها (النظام) بالحجم المعتاد للجرائد الكبرى ، سيكون شعارها

الدفاع عن مصالح مصر بالاخلاص والصدق الذين اعتادها القراء منافي الخمسة عشر عاما التي مضت من خدمتنا الصحفية . فاذا تفضلتم بالاشارة لذلك في صحيفتكم الغراء بشكل يجذب الانظار فانكم تعجزونني عن النهوض بواجب الشكر لكم . واذا اردتم تلك الاشارة برجاء ممن يريدون مراسلة الجريدة أو التوكيل عنها في الجهات أن يخاطبونا منذ الآن في ذلك بحيث لا تمتدى طلباتهم متصف شهر نوفمبر فانكم نجعلون الفضل فضلين والشكر لكم عليه شكرين والسلام » محمد مسعود

صاحب جريدة النظام بمصر

و (المار) يرحب بالنظام ويرجوه نجاحا وفلاحا ، وتوفيقا للسير على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، وان في خبر صاحبه لمزاويلته الكتابة بضع عشرة سنة ، وقته الصحافي ، وذوقه الادبي ، ما يرحى معه رواج النظام ، ورغبة محبيه فيه

(الجزائر) - وجاءنا من عمر افندي راسم الجزائري انه عزم على إنشاء مجلة علمية أدبية تهذيبية ، سماها الجزائر ولقد ضاق هذا الجزء عن التنويه بها بأكثر من هذا فدعوه بالتوفيق والنجاح

﴿ تصحيح ﴾

سقط السطر الأخير من (ص ٥٦٨ ج ٨ - ١١) وهو : « ثلاثون رجلا . اي صدقكم الله وعده ونصركم على قتلهم وكثرة المشركين واستمر هذا » فيكتب بالقلم

﴿ بيان ﴾

اصدرت هذا الجزء من المار غير مصدر بالتفسير والفتاوى لان صاحب المجلة لا يزال في سياحته

فهر جادى الذى يستعملون القول فيقولون حسن
اولئك الذين هداهم الله وارثك هم اولوالالباب

المعجم

يقول الحكمة من يشاؤون من قول الحكمة هذا هو
شبرا كثيرا وما يدكر الا اولوالباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

« مصر - الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ - ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ »

اعجاز القرآن

« قطعة للباحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة
وذهبوا مذاهب مختلفة في تبين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي
وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي
جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس
المنشئين سلك سبيلا أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فإنه لم يتعرض
الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم
والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتباره كونه ثابتا واقما واليك كلامه :

بث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله وتصدق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي بينهم من الاقرار الهوى والحية دون الجهل والحيرة، نصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم واعمامهم وبني اعمامهم، وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذبا — بسورة واحدة أو بآيات بسيرة، فكلما أراد تحديا لهم بها وقرضا لهم بمعجزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا.

قال فها تلو مقتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شرائعهم وكثرة من هجاه منهم، وعارض الشعراء من أصحابه وانحطبا من أمته، لأن سورة واحدة وآية بسيرة كانت اقض قوله، وابلغ في تكذيبه، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الاموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبل بطبقات، ولم القصيد العجيب والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة والقصص الموحزة، ولم الاسجاع واللفظ المشهور، ثم يتحدث به اقصاهم، بمدان ظهر به عجز أدنانهم، فحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء، كلهم في الامر الظاهر، والخطاب المكشوف الين، مع التقرير بالتقصير والتوقيف — على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد أعمالهم، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، كما انه محال ان يطبقوه ثلاثا وعشرين سنة على اللفظ في الامر الجليل المنفعة، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه، ويمجدون السبيل وهم يذلون أكثر منه.

تتمة الخطبة الاولى

﴿ من خطبتنا الاسلامية في الديار السورية ﴾

تابع لا نشر في (ص ٦٤١ ج ٩ م ١١)

الاسلام هو الذي هدى المسلمين الى العلم ، وكانت عنايتهم بالعلوم تنمو بنمو سلطانهم وقوة شوكتهم ، ثم دالت دولة العلم ، ودولة السيادة والحكم ، وضعف الدين مع ضعف العلوم العقلية ، وقام الاستبداد يحارب العلم ويضطهده ، فان الحاكم المستبد يرى من مصلحته ان تكون الامة جاهلة ذليلة ، اذ الاستبداد في الامة العالمية بمحقوقها أمر عسير غير يسير . قال حكيمنا السيد جمال الدين : العاقل لا يظلم ولا سيما إذا كان أمة . فهذا سبب ما كنتم تهاسون من محاربة الحكومة التي سقطت منذ عهد قريب للعلم ، واضطهادها للتهمين به وهو عندها أشد الجرائم ١١١

أتى على المسلمين حين من الدهر وهم لا يجارون أحدا من الامم في العلوم والفنون ، وقد ذاقوا مرارة ذلك ورأوا سوء عاقبته في أنفسهم ودولتهم ، فصاروا يفتنون من كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، كما قال الله تعالى في المنافقين : تنقص بلادهم من اطرافها وتسقط في أيدي الاغنياء ولاية بعد ولاية بل مملكة بعد مملكة وهم لا يهتمون الى سبب ذلك ولا الى طريق تلافيه ، بل يعتمدون ويتكلمون على ما لا يتكلم عليه من كرامات الاولياء ومدد الاموات ، ولم يجعل الله ذلك سبيلا للنصر بل أمر باعداد ما يستطاع من القوة ، حتى في زمن النبي المؤيد بالآيات الإلهية ،

اذكر لكم من الشواهد على ذلك ما يؤثر عن أهل بخارى : فانهم أنذروا هجمة روسيا عليهم فلم يعدوا لها ما يستطيون من قوة ، بل هزئوا بذلك وسخروا ، وقالوا ان بلادنا في حماية شاه تشبند ! (هو الولي الذي تسمى اليه الطريقة التشبندية) فلما

(المترج ١٠) (٩٣) (المجلد الحادي عشر)

زحف عليهم جيش الروس لم يملكو من نجدة هذا الولي لم شيئا ، بل اقبلوا على
أعقابهم خاسرين ، وخسروا استقلالهم وما كانوا معتبرين
فيا أيها الناس تأملوا وتدبروا : إذا تركت الامة أن تعدّ لاعداها ما تستطيع
من قوة كما أمر الله تعالى وكما تقتضي طبيعة الاجتماع ، واتكلت في حياتها السياسية
والاجتماعية على الاموات ألا تكون جدرة بالموت دون الحياة ؟ بلى وهذه هي
حالتنا في هذه القرون الاخيرة ، ولكن الله تعالى وعد بأن يظهر هذا الدين ، وان
لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ولذلك سخر لنا من
المجدين من يملنا كيف نحفظ شرف الاسلام ، ونكون أعزاء بين الانام :
ظهر بين المسلمين أقوام تعلموا العلوم الاوربية وعرفوا أحوال العالم فأروا ان
جميع الامم تقوى والمسلمين يضعفون ، ودول النصرانية والوثنية تترق وتمز ، ودول
الاسلام تتدلى وتذل ، وبحوثا في سبب ذلك فأروا ان المسلمين مؤلفون من كل
جنس ، ومتبوتون لكل أرض ، فلا يمكن ان يكون سبب ضعفهم في كل قطر
عدم استعداد جنسهم ، ولا شيء يرجع إلى طبيعة أرضهم ، ولم يروا سببا مشتركا
بينهم لا يشاركون فيه غيرهم ، الاقاليد دينهم ، فقالوا — كما قال بعض أساتذتهم من
الافرنج — ان دين المسلمين هو سبب انحطاطهم ولا مطمع لهم في الارتقاء الا بتركه
والاخذ بما عليه أوربا !!، وعلى هذا الرأي الفاسد كثير من فائدة الترك والهنود
والمصريين والتونسين

فهذا صف واقف على طرف مقابل للطرف الذي عليه السواد الاعظم الذي
يمتت العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية التي عليها مدار العمران ، والصناعات
يتجاذبان سائر المسلمين ، ذاك يدعوهم الى دنيا بغير دين ، وذاك يمسكهم ليقوا على
ما هم عليه وما هم يباقيين ،

بين هذين قامت طائفة معتدلة وقفت موقف الوسط بين الفريقين فالتفتت
الى هؤلاء الذين يريدون ان يبقى المسلمون على ما هم عليه حرصا على دينهم وقالت
لهم ان نيتكم صالحة ولكنكم تنكبتم الطريق لتعليم الدين وحفظه حتى صار بين أمتكم
وبين هذه الكتب الكلامية والفقهية مراحل كثيرة ، فلا هم يطلبونها ولا أتم

(التاريخ ١٠م ١١) السيد جمال الدين . الدعوة الى الاصلاح . الحاكم المستبد ٧٣٩

قادرون على حملهم على نملها والاخذ بما فيها ، فيجب أن تبشوا معاً عن طريق آخر لتعليم الدين بسهولة تليق ببطرة الناس في أفرادهم وجماعاتهم ، كما أخطأتم في ظنكم ان العلوم التي تبنى عليها الاعمال تنافي الدين ففترتم المسلمين عما به قوام أمنهم ودولتهم

والتمت الى أولئك الذين يريدون الدنيا بترك الدين هالت لهم ان قصدكم الى تقوية الامة والدولة حسن ولكنكم تبنون من جهة وتهدمون من جهة فيقل ففعلكم فيما تبنون لعدم الثقة بكم ، ويعظم ضرركم بما تهدمون من أساس التقوى والفضيلة ، مع التقاليد والبدع القبيحة

هذه الطائفة هي التي تدعو الى حقيقة الاسلام الذي يحجم لاهله بين مصالح الدنيا والآخرة ومطالب الروح والجسد . وأول من دعا الى ذلك في بلادنا العربية السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله تعالى . طارق سمع كثير منكم اسم هذا الرجل الذي هز الآفاق هزا ، ولكن يوجد فيكم من لا يعرف شيئا من أبنائه الصحيحة لكثرة خوض أهل الاهواء فيها ، وقد كان مخاطبكم من استقرأ أخباره ، وتبع آثاره ، وجمع كثيرا مما كتبه ، وقد علمت من ذلك انه دعا الى حقيقة الاسلام وإحياء القرآن في قلوب الناس ، ودعوتهم به الى ما يحببهم ، ويجعلهم أمة عزيزة ، ذات دولة أو دول قوية ، ولكنه قد انفق أكثر أيام عمره في السياسة ، لما رأى ان الملوك يقاومون هذه الدعوة ، لأن البلاد التي تحكم بالاستبداد ، لا مقام فيها للاصلاح والاستقلال بالله عليكم كيف يرضى الحاكم المستبد بالدعوة الى هداية القرآن الذي يحمل أمر المسلمين شورى بينهم ، وإنما استبداده عبارة عن جعل أمرهم بيده وحده ، وجعلهم عبيدا خاضعين له ؟ كيف يرضى بأن يكون شأنه في سياستهم كشأن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يبرم أمرا من الامور العامة الا بعد الشورى حتى انه كان يصل برأي الجمهور وان خالف رأيه ورأي بعض كبراء أصحابه كما فعل يوم أحد؟ (وذ كرنا ملخص الخبر فيها في الخطبة) ألا ان أولئك المستبدن يحاولون ان تكون ريتهم فوق رتبة النبي عليه الصلاة والسلام وهم لا يصلحون ان يكونوا خدمته ، بل يحاولون ان يكونوا آلهة تبتد ، يستخفون الامة ويستعبدونها بالفعل ، وان وجدوا مجال القول

ذاسمة صرحوا بما يودعه الاستبداد في نفوسهم كما فعل الذي قال «أنا ربكم الأعلى»
 لذلك أقول لكم عن خبرة و بصيرة ان الذي دعا السيد جمال الدين الى
 الاشتغال بالسياسة هو اعتقاده ان الدعوة لا تكون الا حيث تكون الحرية وحكومة
 الشورى، ولهذا قام في مصر بتأسيس حزب له نفخ فيه روح حب الحكم الذاتي أو
 النيابي، وكان من أعضاء حزبه توفيق باشا ولي العهد للإمارة المصرية يومئذ، وقد
 عاهده على ان يجعل لمصر — اذ يصير الامر اليه — مجلسا نيابيا ويحول الحكومة
 بذلك من النوع الاستبدادي المطلق الى النوع الشوري المقيد، ولكنه لم يكد
 يستقر على كرمي الامر حتى نفى السيد جمال الدين من مصر جبا في الاستبداد،
 وتلذذاً بالاستبداد. ولكن السيد لم يعل ولم يأس، بل صبر ينتهز الفرص، فحذبه الايام
 الى بلاد الفرس فاستأنف فيها العمل لإنشاء حكومة الشورى فغناه الشاه من البلاد،
 وقي من البلاء في ذلك مالم يلقه الا قليل من العباد، ثم قذفت به المقادير الى
 الاساتنة فأحسن السلطان اليه، حتى طمع فيه، ولكنه ما عثم ان يئس منه، حتى مات
 هناك غير راض ولا مرضي عنه، وهكذا قضى حياته في التطوف في البلاد ولم يتخذ
 له زوجة ولا جنح الى شيء من حظوظ الدنيا

كان لاسيد مريدون كثيرون يردون ينبوع معارفه، ولكن لم يصدر أحد منهم
 ربان من مشربه، ويثبت على مذهبه، الا الشيخ محمد عبده، فقد كان هذا الامام
 الجليل تربى تربية دينية صحيحة الا ما كان من غلوه في العبادة، فقد مكث زمانا طويلا
 لا يكلم أحدا، وزمانا أطول من ذلك الزمن لا ينظر الا الى الارض ولا يهتم بغير
 إصلاح نفسه، الا ما كان من درس يقرؤه لآخوانه المجاورين في الازهر، ثم رجع
 الى الاعتدال ولكن لم يفارقه الخشوع ورقة القلب. وقد دخلت عليه مرة يته فأريته
 يطالع في السيرة النبوية ودموعه تجري على لحيته، خشوعا واعتبارا بما لقيه (ص) من
 الاذى في سبيل ربه، وكان في كل سنة أو أكثر يعتريه تنبه عصبي من إطالة الفكر
 في سوء حال المسلمين حتى هم في ليلة من ليالي رمضان أن يطبع هذا الوجدان فينزل
 الى جوار الازكية حيث مجامع اللهو وينادي: أيها المسلمون ماذا رأيتم في دينكم من
 العيب حتى تركتموه؟ اخبروني لعلني أرين لكم خطأكم. وأرسل الي مرة يخبرني بأن

(التاراج ١٠م ١١) اشتغال الشيخ محمد عبده بالاصلاح . مدح الافرنج طريقته ٧٤١

مرضا ألمّ به فتمه النزول من عين شمس الى القاهرة ، فحجته فاذا هو في حجرة النوم واذا بين يديه ثلاثة كتب مفتوحة ينظر فيها ، فقلت لهما هذه الكتب وما هذا المرض ؟ قال هذه كتب من أصول الفقه أشغل نفسي بمباحثها وعباراتها المقددة عن القرآن فقد اطلت الفكر فيه وفي أحوال المسلمين فحصل لي التذنب العصبي الذي تعرف حتى أثر في ظاهر جلدي فاذا أنا وضعت أصبعي على جبهتي أتألم

اشتغل الاستاذ الامام بالسياسة زمنا مع السيد ثم وجد في أواخر عمره حرية في مصر فترك السياسة واشتغل بالاصلاح الديني والاجتماعي ، واشتهر أمره بذلك حتى عرفه الاقارب والاجانب . أليس من العجب ان يوجد في كتاب فرنسا من يشهد بأن طريقة الاستاذ الامام هي الطريقة المثلى لاصلاح حال المسلمين ، و يوجد في المسلمين انفسهم من يقول بضرر تعاليمه عن جهل وغباوة ، أو تقليد للرجلين عن بني وحسد ؟

نشرت جريدة الاهرام منذ شهرين مقالة مترجمة عن جريدة الطان الفرنسية الشهيرة جاء فيها : ان المسلمين في تونس ثلاث طبقات (الاولى الجامدة) وهي التي تفرص على بقاء المسلمين على ما هم عليه وتفر من العلوم المصرية والمدنية الغربية وأهلها هم الاكثرون (الثانية المارقة) وهي التي تنكر الدين ولا ترى ان تقف عند حدوده في شيء . وأهلها هم الاقلون وهم يخفون مذهبهم هذا الضعيف ولا يرجي منهم خير لأمتهم (الثالثة المعتدلة) وهي التي تعمل لترقية المسلمين في العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وهي التي يرجي منها الخير للبلاد التونسية وأهلها يتبعون التعاليم التي كان يلقيها في مصر الشيخ محمد عبده والتي تنشرها بينهم بمجلة المنار . وقد كتب اكثر من واحد من الافرنج مثل هذا عن مسلمي مصر وهو ما كتبه لورد كرومر في تقاريره وتاريخه لمصر

فهذه طريقتنا أيها الاخوان في الاصلاح . نريد ان نجتمع لأمتنا بين مصالح الدنيا والآخرة ، وقد عرف هذا كتاب الافرنج واعترفوا بعائده فلا ينبغي للمسلمين انفسهم ان يجعلوه !

نحن في حاجة عظيمة إلى العلوم والفنون والصناعات المصرية التي تقوى بها

أمتا وتغزبها دولتنا . ولا يكون الخير في ذلك تاما لنا إلا اذا أقمتا معه أصول ديننا وهي القرآن الحكيم والسنة السنية التي جرى عليها سلفنا الصالح ، ولا تنافي بين الامرين ، فنحن اذا لم نجتمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين لا نقوم لنا قائمة . فهذه الطريقة الإصلاحية التي دعانا إليها حكماء الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده هي التي يدعو إليها المنار ويناضل عنها ، وهو مستمد بمعونة الله تعالى للتوفيق بين العلوم الحقيقية وأصول المدنية الصحيحة وبين الكتاب والسنة ، ومن اشبهه عليه شيء في ذلك فليكتب اليه به يفصله له تفصيلاً

قد انتشرت دعوتنا هذه في جميع الاقطار حتى ان جماعة من علماء الترك أنشأوا مجلة إسلامية في الاستانة سموها « صراط مستقيم » فكتبوا إليّ يطلبون مجلدات المنار كلها ليستعينوا بها على خدمتهم هذه . فهم على علم بطريقتنا في الإصلاح على كون المنار كان ممنوعاً عنهم وقتما وصل إلى الاستانة جزء منه ، فدعوا جميع علماء المسلمين هنا وفي كل مكان إلى هذه الطريقة بل ندعوا إليها كل مسلم « وتعاونوا على البر والتقوى » وينبغي لكل مسلم أن يكون له حظ من اصلاح حال أمته في دينها ودنياها ، ففهم من يدعو ومنهم من يستجيب للداعي ومنهم من يساعد بماله ، ومنهم من يساعد بعلمه ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ، اهـ ما كتبه ذلك الاديوب من الخطبة مع تصحيح وتوضيح وزيادة فاتته

(استدراك) بعد النزول عن المنبر تذكرت ما كنت عازماً عليه من التنويه بصديقنا عبد الرحمن افندي الكواكبي فذكرت فضله بمساعدة الإصلاح الديني والاجتماعي بكتابه (سجل جمعية أم القرى) والإصلاح السياسي بكتابه (طوائف الاستبداد) رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه

الانقلاب العثماني (٥)

• تركيا الفتاة •

٢

بروتوكل لندره ورفضه

سمي جمهور المبعوثين بعد ذلك (اوت افتم) لتصديقهم على كلام الرئيس بدون مناقشة ولا مباحثة ، ولكن كان فيهم - والحق يقال - فئة عارفين بمصالح الدولة وطرق الاصلاح ، جسورين على التكلم والدفاع عن حقوق الامة والمناضلة في سبيل منافعها ، غير ان الحال كانت ذات خطر شديد لأن العدو كان يتأهب للحرب على الحدود ، فأراد رئيس المجلس تحويل المذاكرات الى المسائل الخارجية لان مندوبي الدول الست الذين عقدوا مؤتمر الاستانة اجتمعوا في لندره وليس للدولة العلية مندوب معهم ، ووقعوا بتاريخ ٣١ مارث (مارس) سنة ١٨٧٧ على (بروتوكل) أي مضبطة طلبوا فيها من الباب العالي عقد الصلح مع الجبل الاسود ، والتفرغ له عن نحو عشرين ناحية من املاك الدولة العلية لكون لسانهم سلافا ودينهم مسيحيا ١١١ كما طلبوا اجراء الاصلاحات الموعود بها تحت مراقبة الدول وإشرافها وغير ذلك ، وأبلغوا هذه المضبطة الى الباب العالي في ٣ نيسان (ابريل)

سنة ١٨٧٧

جاء ناظر الخارجية الى مجلس المبعوثان وقرأ على أعضائه ترجمة البروتوكل وشرح لهم أحوال السياسة الخارجية وأفهمهم ان رد البروتوكل تكون نتيجته اعلان روسيا للحرب علينا ، وليس للدولة العلية عضد من بقية الدول كما كان لها في حرب القرم ، ولا تقود في خزينتها . وكرر عليهم ما قاله مدحت باشا في المجلس

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٤٦ ج ٩ م ١١) من رسالة محمد روجي افندي

الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

العالي لدى مذاكراته في لأئحة مؤتمر الاستانة ، وكانت اكبر الصعوبات من العسرة المالية ؛ وشدة الاحتياج الى التجهيزات العسكرية . فاعترض اكثر المبعوثين على قبول البروتوكل ، وأظهروا من الحماسة والغيرة الوطنية ما لا مزيد عليه ، وكان مبعوثو الارناؤط المجاورة بلادهم للجيل الاسود أشدهم اعتراضا ، وقام مبعوث الاكراد فقال ما ملخصه : تزعمون أن المالية في ضيق شديد فكيف يمكننا تصديق ذلك وأتم في هذه البهرجة والالبسة الغالية والدور المفروشة بأحسن الاثاث والرياش والرباط واغليل المطبوعة ؟ تعالوا الى عندنا في كردستان وانظروا بؤس العيش ومرارة الحياة التي نحن فيها !! لما كنت في بلادتي لم يكن علي إلا ألبسة مرقمة باليه بكية اخواني من أهالي كردستان ، ولما رأيتم ترتدون أحسن الالبسة وتأنق على صدوركم النياشين المجوهرة خجلت من نفسي فاشتريت الثوب الذي ترونه علي من سوق الدلاين !! وأنا مرهق ، لا من الحازن الكبيرة وأنا موسر ، واذا كانت سلامة الوطن والمحافظة عليه تقضي علي بييعه فأنا أبيعها وأنا مضبوط وأجود الى ثوبي المرقم .

ثم قال الرئيس في ختام المذاكرة : هل يقبل المجلس ما جاء في البروتوكل لملاحظات ناظر الخارجية ؟ فرفض المجلس قبوله بالاكثرية ، وكانت الاقلية ثمانية عشر صوتا من الروم المبعوثين عن الروم ايلى ومن الارمن . فنظم الباب العالي نشرة مؤرخة في ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧ احتج فيها على بروتوكل لوندرة المنظم بدون اطلاعه وانضمام رأيه ، وقال : ان تكليف الباب العالي اجراء الاحكام على ما يقضي به هذا البروتوكل مخالف لاستقلال المملكة العثمانية الذي اقرته الدول في معاهدة باريس ، قررت هذه النشرة على مجلس المبعوثان فاستحسنها وأقرها وشكر الباب العالي على تنظيمها فأجاب عنها البرنس غورجاكوف في بطرسبرج بنشرة رفعها الى الدول في ١٩ نيسان (ابريل) مضمونها : ان الباب العالي رفض اجراء الاصلاح الموعود به فصارت الحرب ضرورية لاف روسيا مضطرة الى إيفاء واجباتها نحو الاهالي المسيحيين !!

فأجاب الباب العالي بنشرة أخرى للدولة قال فيها : ان تركيا لا ترفض اجراء

الاصلاحات وانما ترفض الاشراف والمراقبة على اعمالها ، لان في ذلك غمطاً لخطها
ولإزراء بشرفها وعيها باستقلالها الذي اقرت عليه الدول الموقعة على معاهدة باريس .
وصارت النشرات (سيركولير) والمحرمات السياسية تتطلب من عواصم أور باوالا نذارات
(ميموراندوم) والمذاكرات تنساقط على السفراء ونظار الخارجية فلم يجد ذلك نفعاً
بل اعلنت الحرب في ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٧

مناقشات مجلس المبعوثان وانفضاضه

بحث المجلس بعد ذلك في لائحة نظام الولايات وتشكيل مجالس الادارة وذكر
في اللائحة ان مجلس ادارة الولاية يتألف من ستة أعضاء ينتخب نصفهم من المسلمين
والنصف الآخر من المسيحيين ، فاعترض بعض المبعوثين على هذا التخصيص الذي
هو داعية للتفريق ، وقالوا : إن القانون الاساسي أطلق على جميع الرعية اسم (عثمانيين)
بدون تفريق بينهم في الدين والمذاهب ، وان الاكثرية في مجالس الادارة تكون
من حق المسلمين ، لان الموظفين كالوالي والدقتردار (رئيس المحاسبة) والمكتوبجي
ونحوهم أعضاء دائمون في مجلس ادارة الولاية ، وطلبوا إخراج المفتين من بين الاعضاء
الدائمين لكونهم بمثابة الرؤساء الروحيين .

فقال الرئيس : ليس للمفتين صفة دينية كصفة الرؤساء الروحيين ، ورغم انتشار
هذا الزعم الفاسد فالمفتي ماهو الا مأمور القانون أي المحامي عن القانون والشريعة ،
وليس له سيطرة على المسلمين كسيطرة الرئيس الروحي على ابناء ملته ، وانما هو من
علماء الحقوق المعروفين عند الافرنج باسم (Jurisconsulte) واعترضوا أيضاً على
تسمية (متصرف) فقالوا ان هذا الاسم مشتق من التصرف الدال على الاستبداد
والاذلال والاستعباد ، فهو لا يوافق روح الحرية والمساواة . واستعلم بعض المبعوثين
عن احوال معسكر الاناضول وقصان اتجيزات العسكرية ، وعلى تعيين احد الخدمه
قائمقام وقد كان (شرججي) اي حامل قصبة التدخين عند بعض الكبراء ، الى
غير ذلك .

٧٤٦ انقضاء المبعوثان . الحرب الروسية العثمانية (المارچ ١٠ م ١١)

ثم اشتغل مجلس المبعوثان بتدقيق ميزانية المالية ، وطلبت الحكومة خمسة ملايين ليرة عثمانية للدخول في الحرب قتألف قوميسيون من احد عشر مبعوثا للتدبر بالوسائل المؤدية الى الحصول على المبلغ المطلوب . فحاولوا اقراضه من إنكلترا على ان يكون لها في مقابل ذلك واردات مصر كما فعلوا قبلا فرفضت لإقراضهم لان التأمينات غير كافية ، فقرروا عقد قرض داخلي بفائدة عشرة في المئة من واردات اصحاب الاملاك والتجار ، واخذ راتب شهرين من اصحاب الرواتب ، فصدق مجلس المبعوثان على هذا القرض وعلى كل ماطلته الحكومة منه وختم جلساته في تموز (يوليو) سنة ١٨٧٧ فقال الرئيس : ارجعوا الى ولاياتكم وأعيدوا الانتخابات واجتهدوا بأن ترسلوا الينا مبعوثين او فرقا وأكثرو قولا على ما نحتاج اليه البلاد !!!

فيري من ذلك ان مجلس المبعوثان — على ضعفه وعجزه وجعل اعضائه في السياسة والادارة — لم يكن منه قصور أو تقصير في وظائفه ، ولم يحصل فيه اختلاف شديد بين المسلمين والمسيحيين ، وانما كانوا جميعا متفقين على مقاومة الاستبداد ومنع التعدي وتبذير الاموال ، وكل منهم عارف بمصالح بلاده الخاصة ، لأن معرفة ذلك لا تحتاج الى علم كبير أو رأي ثاقب لبدايتها ووضوحها كالشمس في رابعة النهار ، غير أن الواقفين منهم على مصالح الدولة العامة وسياساتها الخارجية كانوا أقل من القليل ، والحكومة ابت ان تعترف لهم بحق ، بل نظرت اليهم نظرا الوصي إلى الصبي !!!

الحرب الروسية العثمانية

استمرت الحرب الروسية العثمانية ثمانية أشهر (نيسان — كانون الاول سنة ١٨٧٧) وبرزت الجنود العثمانية فيها من الشجاعة والصبر والثبات والقوة مادل على حياة الامة وقوتها وسلامة جسمها من اعراض الهرم أو المرض الذي يصفها به العدو ، ولكن نقصان التجهيزات العسكرية وسوء الإدارة كانا سببا في انتصار الروس في أوروبا وآسيا ، ونجاوهم نهر الطونة (الدانوب) وجيل البلقان ، وأخذ القرص ومحاصرة ارضروم من جهة الاناضول ، وفتح بلغنا في الروم ايلي . ولقد أظهر عثمان

باشا وعسكره من الشجاعة والمقاومة ماحير الروس وأوربا كلها فاعترفوا بفضلهم
وقدروهم قدرهم « والفضل ما شهدت به الاعداء » ١٠ كانون الاول (ديسمبر)
سنة ١٨٧٧

طلب مدحت باشا وانتخاب المبعوثان ثانية

استنزفت هذه الحرب ثروة البلاد واضعفت قوتها وافرغت صناديق الحكومة
من الاموال ، لكثرة الإفاق واقطاع الوارد اليها من التكاليف والرسوم ،
فقرر إعادة التام مجلس المبعوثان وطلب مدحت باشا من أوروبا ، وعقد قرض
لوندرة ، وعقد الصلح مع روسيا ، فجري انتخاب ثان بأمور (أوامر) مؤقتة لاكمال
يقضي نظام انتخاب مجلس المبعوثان

افتتاح مجلس المبعوثان مرة ثانية وخطاب السلطان فيه

افتتح مجلس المبعوثان مرة ثانية في يوم الخميس الواقع في ٧ ذي الحجة سنة
١٢٩٤ و ١٣ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٧ فذهب الوكلاء الفخام والوزراء
الكرام والعلماء الاعلام واعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وسفراء الدول الاجنبية
الى سراي بشكطاش واصطفوا على الصورة الآتية : فكان عن يمين الحضرة
العلية السلطانية أدهم باشا الصدر الاعظم ووكلاء الباب العالي ثم موظفو المجالس
العالية ثم رؤساء المذاهب المختلفة ثم اعضاء شورى الدولة ومستشارو النظارات المختلفة
وكثيرون من اعيان رجال العسكرية والملكية بحسب رتبهم ومقاماتهم ، وكان
عن شالما حضرات شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة قبلا
ثم العلماء من رتبة قاضي عسكر الروم ايلي والاناضولي ثم (الفريقان) الكرام وفريق
من العلماء الاعيان . وكان اعضاء مجلس الاعيان أمام الحضرة العلية السلطانية من
ناحية اليمين على صفين ، واعضاء مجلس المبعوثان امامها من ناحية الشمال على تسعة
صفوف ، وفي الساعة السادسة على الحساب العربي دخل السلطان الاعظم وسلم
الرقب المشتما على نطقه لسعيد باشا فاشكاتب المايين قتلاه على الحاضرين وهم :

» يا أيها الاعيان والمبعوثان

» انني اكتبست المنونية بفتح المجلس العمومي وبمشاهدة مبعوثي المسلة (الامة) — ثم ذكر الحرب مع روسيا والمحافظة على الملية أي القومية واللغات وحق المساواة وادخال غير المسلمين من الرعية في الجندية والمحافظة على القانون الاساسي واصلاح المالية والعدل في جباية الاموال الاميرية وتنظيم القوانين — وختمه بقوله:

» يا أيها المبعوثان

» ان ابراز الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وضمان منافع البلاد يتوقان على مجاهرة أرباب الشورى بأفكارهم بالحرية التامة ، وبما ان القانون الاساسي يقضي بذلك فاني لا أرى احتياجا إلى أمر أو ترغيب آخر »

مذاكرات مجلس المبعوثان

ثم انعقد مجلس المبعوثان في الدائرة الخاصة به تحت رئاسة حسن فهمي افندي (وهو اليوم باشا من النظار) وشرع المبعوثون في المذاكرات والمباحثات بقية شهر كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) وأوائل شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ وكرر الجدل بين المبعوثين وبين الحكومة — لابين الاعضاء المختفين بالدين واللسان — وطلب بعضهم التدقيق في حسابات المالية ، وحضور ناظرها لمناقشته الحساب ، ومحاكمة المرتكبين ، وسؤال المتهمين باختلاس الاموال الاميرية ، وسوء الاعمال المختلفة المتعددة ، وقام أحد المبعوثين وقال : إن الجاندرمة (فرسان الشرطة) في الولاية التي بعثت منها تهب الاهالي ، والمحاكم ترشي على إبطال الحق وإحاق الباطل ، والضابطه تعذب المحبوسين بالضرب وأنواع العذاب . واعترض مبعوث آخر على المذابج التي جرت في بلغارستان وطلب التحقيق والبحث عنها . وطلب جماعة من المبعوثين عزل خمسة من الوكلاء : منهم محمود جلال الدين باشا وسعيد باشا وكجوك سعيد باشا ، والتحقيق عن كثيرين من رجال الدولة وقواد الساكر ، ولا سيما عن الاختلاس والاسراف في نظارة البحرية وغير ذلك .

إلغاء الصدارة واستبدال مجلس الوكلاء بها

بعد ذلك تولى الصدارة أحمد حمدي باشا المعروف في ولاية سوريا ، وذكر في فرمان التولية : « إن اعتزال أدهم باشا مدة الاعمال كان مراعاة لصحته هذامع التسليم بنزاهته ودرايته ، ونحن راضون عنه من كل الوجوه أتم الرضى ١٠٠٠ الخ . وبقي حمدي في الصدارة بضعة وعشرين يوما ، وفي غرة صفر سنة ١٢٩٥ و ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ صدر فرمان القاضي بإلغاء لقب (صدر أعظم) واستبدال رئيس الوكلاء به ، وتوجيه هذه الرياسة إلى أحمد وفيق باشا رئيس مجلس المبعوثان مع رتبة الوزارة ، وتعيين مسئولية (تبعة) الوكلاء أي النظر كما هي الحال في وزارات أوربا ، فحضر (الباش وكيل) الانغم الى مجلس المبعوثان وقال لهم ما ملخصه :

« إن جلالة السلطان الأعظم تريد في الحقيقة باطنا وظاهرا إدارة الملك كما تقضي احكام القانون الاساسي ، ولذا استبدلت رياسة الوكلاء بمسند الصدارة . فالوزارة الجديدة المؤسسة على قاعدة المسؤولية لا ترغب الا في سلامة الدولة وترقيها ، والوكلاء مستعدون للحضور دائما إلى المجلس عند الطلب ، واكتنهم يرجونه ان يقبل في بعض الاحيان وكلاء عن اعضائه لكثرة شواغلهم وحرصا على أوقاتهم ١١١ »
فقام أحد المبعوثين وقال ما خلاصته :

- ان مجلس المبعوثان له الحق وحده ومن شأنه خاصة لإحداث تغيير عظيم مثل هذا التغيير ، يقولون دائما انكم تريدون المحافظة على القانون الاساسي ، إذا فاحترموا حريتنا لا نأثنا نحن الذين نمثل القانون الاساسي ونحافظ على احكامه ، وأنتم الذين نحاولون قضيه وإبطاله ... فأجبت المسألة على قوميسيون مخصوص ليدقق فيها في ٥ شباط (فبراير) وكانت الحرب أوشكت أن تضرع أوزارها ، وعسا كر روسيا استولت على أدرنه وتجاوزتها ، وطلبت اوستريا (النمسا) أن تجتمع في فينا مؤتمرا من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس لتقبح المعاهدة الجديدة بين تركيا وروسيا ، والتوفيق بين أحكامها وأحكام المعاهدات القديمة ، وبشت

انكسروا بأسطولا الى بحر مرمرة في ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨

المجلس العالي

تدخلت دول اوربا في المسألة الشرقية بعد ان تركن روسيا تفعل ما تريد في الحرب ، وعدن الى المناقشات والمفاوضات — على عادتهن — في هذه المسألة واعتمد المايين على ما ينهن من الاختلاف واستغنى عن مجلس المبعوثان فألف في ١١ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ مجلسا عاليا من وكلاء الدولة ورجالها وأعيانها والرؤساء الروحيين ، وطلب من مجلس المبعوثان خمسة أشخاص : الرئيس ووكيله وأحد مبعوثي الاستانة وهو الحاج احمد افندي كمتخذا الاستراتيجية (الكدش) ومبعوث آخر يهودي ، فقال لهم الحاج احمد افندي ان طلبكم الآن رأينا في غير محله ، فقد كان يجب عليكم أن تسألونا قبل الخراب ، فجلس المبعوثان يتنصل من كل تبعه تلقى عليه لامر وقع بغير علمه ، ولم يكن برأي من آرائه ، وكرر القول بأن المجلس يرفض كل تبعه في الحال الحاضرة .

تعطيل مجلس المبعوثان الى اجل غير مسمى

صمم السلطان الاعظم حينئذ على العدول عن سياسة والده الماجد السلطان عبد المجيد خان في عمل الاصلاح باطلاق الحرية والعمل بمقتضى أحكام القانون الاساسي ، وفتح لسياسة جده السلطان محمود خان في اعمال القهر والاستبداد ، فضلا هذه السياسة اعتقادا منه أن الشعوب التي وضعها الله تحت يده لا يمكن تسيرها الا بالقوة !! . وكان حضر المندوب الروسي الى الاستانة فلم يسر بوجود مجلس المبعوثان خللو بطرسبرج من مثله ، واستبداد القيصر برعيته ، فقي ١٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٧٨ قرأ الرئيس حسن فهمي افندي على المبعوثين منطوق الارادة السنية القاضية بتعطيل مجلسهم الى أجل غير مسمى !!!

استخذاء المبعوثين والامة لتعطيل مجلس المبعوثان واسبابه

خرج المبعوثون يتعرون بأذيالهم ، وأنذرت الضابطه المتطرفين منهم والجسورين على التكلم وإيقاظ افكار الامة بوجوب المهاجرة من الاستانة ا

فذهب بعضهم الى الولايات العثمانية وبعضهم الى مصر والبلاد الاجنبية . ولم تقلق الامه أو تتأثر من هذا الاحتقار والامتهان ، ولا حصل منها هيجان أو اعتراضات ؛ كأنها حمل المحامل

بصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجريز
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا يغير لديه ولا نكير

ولم يبق من المبعوثين من أصر على مبعوثيته الى آخر نفس من حياته الا أفراداً قلائل كبعوث اقدس الذي كان — بمجرأته — يثبت على بطاقة الزيارة (كارت فزيت) انه مبعوث اقدس ، ويقدمها الى وزراء الدولة ورجالها لدى زيارته لم في الاستانة ، وإلى سفراء الدول الاجنبية وموظفي نظارات الخارجية في أوروبا . ولما اجتمع بصدقه خليل غانم مبعوث يروت في الاجتماع الثاني للمجلس ومنشي المقالات الرئانية في جريدة الدنيا وغيرها من جرائد باريس وذلك قبيل وفاتها — آخذة لكتابته في بطاقة الزيارة كلمة المبعوث السابق (Ex - Député) فحما كلمة « سابق » لان صفة المبعوثية انما هي بإرادة الامه وانتخابها ، فهي لا تزول عن صاحبها إلا بانتخاب آخر ، ومجلس المبعوثان لم يبلغ إلغاء وانما عطل الى اجل غير محدود ، فكان اجتماعه في كل سنة من قبيل الممكنات الجائرة عقلا ونظاما . ولكن أكثر المبعوثين تناسوا وظيفتهم كأنها وظيفة حقيرة لا يؤبه لها وقد عزلوا منها ، ولم يجسر احد على ذكرها في ترجمة حاله الرسمية ، ولم يذكرهم بها مذكرا ولا وعظما واعظا !! ولا حيوت في هذا الموضوع جريدة من جرائد المملكة العثمانية

ان لهذا السکوت والاستخذاء اسبابا كثيرة . منها ان الحرية امر تستحوذ عليه الامه بالقلبة والاستيلاء ، وليست مما ينعم به انعاما أو تعطى جزافا ، ولقد كانت الامه حينئذ منهكة القوى مكسورة الجناح بسبب الحرب ، لادار الا فيها ماتم ، ولا اسرة الا وقد أصابها مصيبة . وزاد البلاء بسبب البخران المالي ، ونزول قيمة المسكوكات (النقود) فكانت الاسرة تبتئ خادمها الى السوق ليشتري القوت الضروري فيعود اليها خاوي الوفاض لعدم رواج النقود ، فتطوي على الجوع وتمتدح اكباد والوالدين

لبكاء اطفالهم . ثم ان الامة هي عبارة عن أهل العاصمة منبع الاستبداد وأهالي الولايات والقري ، والعساكر المنظمة ، المدرية على الحرب ، المسلحة بالاسلحة الجديدة والمدافع ، فأما أهل الاستانة ولا سيما المسلمون فانه لا يتصور قيامهم لطلب الحرية لان جلمهم — ان لم قل كلهم — موظفون أو عاثنون في ظل الموظفين ، والعساكر المسلحون واقفون لهم ولاهل الولايات بالمرصاد ، وقادرون على إخماد نار اية ثورة أو مظاهرة ، وان قيام طائفة مسيحية وحدها لطلب الحرية مما لا يرضى به المسلمون ولا بقية الطوائف المسيحية واليهودية ، كما شاهدنا ذلك في أرمينيا ومقدونيا التي اشتدت فيها المناقشة بين الروم والبلغار والصرب والرومان ، كما أن العساكر وحزب الاحرار العقلاء لا يرضون به ، لان قيام كل ملة على انفراد يقضي بتقسيم الممالك وتفريقها وضعفها ، وإثارة اضعاف الموروثة من الحروب الصليبية . والقرون المتوسطة المظلمة ، على ان هذا القيام كان مصدره الكنائس والاديار بإعاز الرهبان والقسيسين والمبشرين والمرسلين ، فكان سببا لايجاد المذابح والغفائم ومداخلة الاجانب

أما حزب تركيا الفتاة الذي أسسه مصطفى فاضل باشا وخليل شريف باشا فانه لم يكن في عهد مدحت باشا الافة قليلة من صغار الموظفين وضباط العساكر والمعلمين في المدارس الجديدة ، والذين درسوا شيئا من اللسان الفرنسي أو الانكليزي ، واشتهروا باسم « انكلز » لتعلمهم الانكليزية فقط ، مثل : انكلز سعيد باشا ، انكلز كريم افندي ، انكلز علي بك والد أحمد رضا بك روح هذا الاقلاب ، أو الذين أصلهم من الاوربيين فأسلموا ودخلوا في الوظائف ، مثل عمر باشا المجري ، ونوري بك ابن الميركي دوشاتوفيت الفرنسي ، وكثير غيرهما ، أو الذين تزوجوا بنسوة أوريات وربوا أولادهم تربية أفرنجية أو غير ذلك ، فكانت هذه الفئة متحدة بالفكر في إعجابها بالمدينة الاوربية وميلها اليها ولم تكن لهم جمعية ولا رابطة غير الرابطة المنضوية الفكرية ، لانهم من موظفي الحكومة والوظائف تضطربهم إلى إخفاء الرأي ، وإطاعتهم لأمرهم إطاعة يفرضها العقل والسياسة والا كانت الامور فوضى ، ولكن الجامعين من المسلمين لم

(المآرج ١٠١١) حادثة جراجان . استبدال الصدارة بمجلس الوكلاء ٧٥٣

يفرقوا بين الدين المسيحي والمدنية الاوربية ، واعتبروا كل إصلاح صدر من أوروبا المسيحية مخالفا للدين والآداب الاسلامية ، وشتان ما بين المدنية الاوربية والدين المسيحي ،

سماوي افندي وحادثة جراجان

على ان بعض المتطرفين من حزب تركيا الفتاة ثاروا بزعماء علي سماوي افندي ، وكان من مالاب العلم المعروفين بالصوفيات ، مطلعا على العلوم العربية والفنون الرياضية ، وواقفا على الافكار الجديدة . نفي في أيام السلطان عبد العزيز وصدارة عالي باشا ، وفرالى باريس ولوندره ونشر ثمة الرسائل والمقالات ، وكان يفتق على نفسه فيها مما ينفحه به بعض رجال الاستانة ، ثم عاد اليها وصار من حزب مدحت باشا انصار القانون الاساسي ، وعين مديرا للمكتب السلطاني ثم عزل ، فاتفق مع صالح بك الارناؤوط احد الضباط وجماعة من المهاجرين فكانوا زهاء مئة رجل ، وهجموا على سراي جراجان لاجراخ السلطان مراد منها وما يعته ، واسترداد الحرية والقانون الاساسي ، فجاجتهم العساكر بالسلاح فشنت شملهم . وكانت هذه الحادثة في ١٣ مايس (مايو) سنة ١٨٨٧ زمن رياسة صادق باشا لمجلس الوكلاء .

صدارة رشدي وصفوت وغير الدين التونسي

لبث احمد وفيق باشا (باش وكيل) لمجلس الوكلاء مدة قليلة ، ثم وجهت الى صادق باشا فبقي فيها تسعين يوما ، ثم استبدلت الصدارة (بالباش وكالة) وعين فيها رشدي باشا ودام فيها ثمانية أيام ، ثم عين لها صفوت باشا ناظر الخارجية فكتب فيها ثمة الحضرة السلطانية ولم تطل فيها مدته ، وعين لهاخير الدين باشا الجركسي الاصل والتونسي التشاة ، وهو مؤلف التاريخ العربي « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » وله وقوف على العلوم العربية وعلى الفرنسية ، وتحويل في ممالك أوروبا ، وقد طلب منها في سنة ١٢٩٤ هـ كما طلب السيد جمال الدين الافغاني وغيره ، وعين رئيسا لشورى الدولة ثم (صدر اعظم) سنة ١٢٩٥ وبقي في الصدارة ثمانية أشهر ، ثم استقال وبقي

جلس بيته الى أن توفي سنة ١٣٠٧ في الاستانة. فكان في طلبه وتوظيفه شبه ميل الى سياسة (بانسلايمزم) ولكن هذه السياسة لها معنيان: المعنى القديم الاستبدادي الذي مشى عليه خلفاء بني أمة والعباسيين ، وهو مخالف لحقيقة الاسلام ، ومناف لروح العصر الجديد والمدنية الحاضرة — والمعنى الحديث وهو يوافق أصل الاسلام والمدنية ، ولكنه يخالف مسلك المستبدين بالامر ، ويحول بينهم وبين مآر بهم ، وهو اشد وطأة عليهم من القانون الاساسي وحزب تركيا الفتاة .

صدارة كجوك سعيد باشا واعماله

ثم عين لمسند الصدارة سعيد باشا المشهور بسعيد باشا الصغير (كجوك سعيد) تمييزا له عن سبيه ناظر الداخلية الكردي الاصل والمتوفى قبل بضع سنين . وكان سعيد باشا الصغير محررا في جريدة «حوادث» فاقبل بالداماد محمود جلال الدين باشا ودخل بوساطته المايين وصار باشكاتب له ، وهو التسبب في إبعاد مدحت باشا وتعطيل احكام القانون الاساسي ، وإعلان الحرب ، وعزل القائد (السردار) عبد الكريم باشا وإخلاله موقع (بيله) امام بلغنا ، ومداخلة المايين في إدارة جميع الشؤون العسكرية ، واصدار الامور من السراي السلطانية اثناء الحرب ، وتقسيم المملكة العثمانية في معاهدة سان ستفانو التي قبحتها معاهدة برلين . الخ فان الارادات السنية في جميع ذلك كانت تصدر برأي سعيد بك باشكاتب المايين وتوقيعه ، ولهذا كان مبقوضا من حزب تركيا الفتاة لانه كان آلة وعونا على الاستبداد ، وعلى ادارة المصالح بدون رأي الباب العالي . مع أن باشكاتب المايين كان لذلك العهد ينتخب من قبل الصدارة العظمى ، وكان الصدور لا ينتخبون لهذه الوظيفة الا الذي يعتمدون عليه لعرض المضايقات والمقررات والاثبات واستصدار الارادات السنية بها ، ولم يكن للباشكاتب نفوذ معارض لنفوذ الباب العالي صاحب التقاليد والاصول المرعية في ادارة المملكة ، ولا سيا في أيام رشيد باشا وفؤاد باشا وعالي باشا ، فلما توفي عالي باشا وتولاهما محمود نديم تدنت اهميتها بسبب فاقة وتملقه للمايين وتقدمه اموال الخزينة اليه بغير حد ولا حساب . ولما ولي سعيد باشا الباشكاتبه زالت اهمية الصدارة بته ، وانحصرت

الاعمال والادارة في الماين ، وصار للبشكاتب نفوذ يمكنه ان يطلب مدحت باشا
 الصدر الاعظم الى الماين ويبلغه الارادة القاضية بنفيه على الباخرة عز الدين !!
 تولى سعيد باشا الصدارة بعد مدحت واشتهر بالزاهة والاستقامة ، فلم يسمع
 عنه ارتكاب ولا انهماك في جمع الاموال وادخارها ، ولهذا كان أقل الصدور
 ثروة ، وكان شديد السطوة على المرتكين ، كثير البطش بهم والاستبداد فيهم ،
 ولكنه عادل في احكامه وعقابه . وفي زمن صدارته وضع نظام المعارف ، وأسست
 المدارس على النسق الجديد ، وصار للمعارف إيرادواف من واردات الحصة التي
 أضيفت الى الاعشار ، ونظمت نظارة العدلية وأصول المالية ، وأسست إدارة الديون
 العمومية ، وبوشر في مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح الطرق والمابر ، من دون
 ان يؤدي اعطاء امتيازاتها الى ارتكاب فاحش . فكان أصلح الصدور في الدور
 الاخير ، ولم ينتقد عليه حزب تركيا الفتاة الاستبداده ومقاومته مشروع مدحت
 باشا وتوقيف أحكام القانون الاساسي وجميع ما صنعه وهو رئيس كتاب الماين ،
 لم يصد سعيد باشا كونه من رجال الكامريلا . لانه نشأ وتررب في الماين -
 ان يحاول الاستقلال في وظيفته واعلاء شأنها ورفع مكاتبتها ، وتمشية المصالح بالعدل
 على قاعدة مطردة وأصول منظمة ، كما كانت عليه في زمن عالي باشا . فأصبحت بذلك
 أعمال سعيد باشا موزعا للرية ، وكثرت الوشايات به فصار مبغوضا منفورا منه ،
 ووضعت عليه العيون والجواسيس ، وصارت أعماله تراقب مراقبة دقيقة فأحدث قلم
 للترجمة في الماين وأنجمن التفتيش (مجلس التفتيش) والمعاينة في نظارة المعارف
 لمراقبة الكتب المطبوعة والتدريس ومصادرة المضر منها (١) على زعمهم وبحسب
 اصطلاحهم ، وقلم مراقبة المطبوعات الداخلية والاجنبية في الباب العالي . هذا ماعدا
 دوائر وشعب الخفية (الجواسيس) المتعددة المحدثه التي مركزها في الماين تحت
 نظارة السرخية (رئيس الجواسيس) فهذا الذي قضى بسقوط سعيد باشا في
 الحقيقة والواقع فذهب بإصلاحاته ادراج الرياح ، وان كان عزله في الظاهر بسبب
 احتلال البلغار للروم الي الشرق ، واصراراه على ارسال الصاكر كما نصح بذلك
 معاهدة برلين ،

صدارة كامل باشا الصدر الحالي

تولى الصدارة كامل باشا الصدر الحالي بعد سعيد باشا ، ومولده في جزيرة قبرص ومرباه في مصر ولهذا نسب اليها ، وله معرفة باللغات الاجنبية وإدارة الدولة ، لانه قلب في جميع وظائفها ، فن قاتمقام الى متصرف الى وال الى ناظر، ولكنه في نظر تركيا الفتاة كان أقل شهرة من كثيرين من الوزراء والرجال الموجودين إذ ذاك . واستمرت صدارته ست سنوات وهو آلة في يد الماين ، مطعم لما يلقي عليه من الامور ، ثم ظهرت شجاعته فعارض وعاند ، فأصابه ما أصاب سلفه سعيد باشا من سوء الظن به ، والرية في أعماله وشؤونه مما قضى بفصله

صدارة جواد باشا و ضف الدولة

لما ولي الصدارة جواد باشا قوبل ذلك بالاستغراب العام ، ولم يكن يخطر تعينه بيال ، لانه من أمراء العسكرية وهو صغير السن غير متمكن من اختبار الادارة الملكية ، على انه كان من الناجية الجديدة ، ونخرج في المدارس العسكرية ، وربما كان الغرض من تعينه هو الإيهام بالعود الى الاصلاح واطلاق الحرية ، ولكنه في الحقيقة لم يكن قائما بوظيفة الصدارة بل كان ياورا للحضرة السلطانية مكلفا بتنفيذ الامور التي تلقى اليه ، كما كان رئيس الوزارة الألمانية ياورا للحضرة الامبراطورية ولكنه غير مسؤول امام الريشتاغ ، فلم يبق بعد ذلك شأن للصدارة ، واستولى رجال الماين على الشؤون كافة ، وصار في يدهم العزل والتوظيف والحل والربط وإعطاء الامتيازات بمد الخطوط الحديدية واستخراج المعادن وسائر الامور النافعة ، وكانوا يتناولون الرشى من وراء ذلك بصورة فاحشة . واستولوا على الاوقاف ، ووسعوا نطاق الخزينة الخاصة بانتزاع الممتلكات من أيدي أصحابها بالتمن البخنس ، وإقامة الموظفين فيها يعارضون بنفوذهم موظفي الحكومة وفوذها ، حتى أصبح الماين حكومة صغيرة قوية داخل حكومة كبيرة ضعيفة ، لان مركز الحكومة نقل من الباب العالي الى سراي يلديز السلطانية ! !

الجالوسية في الدولة العلية

ضعفت إدارة الدولة وجعلت تندور بسرعة إلى حركات التأخر والانحطاط، بعد أن خُطت خطوات محدودة في سبيل التقدم أيام صدارة سعيد باشا، واقطع أمل الأحرار العثمانيين وخاب رجاءهم بعد أن كانوا يؤملون تخليص الدولة والمملكة من المرض الذي مبتأ به قديماً . فاضطهد هؤلاء الأحرار واهينوا وعوملوا أسوأ معاملة ، حتى ذاقوا أشد العذاب الوجداني والأدبي، وصار أرباب الدناتمة والفساد يتقربون إلى المايين بالتلقى والوشاية والتجسس على إخوانهم وأعمامهم وآبائهم ؛ ومنهم من تجسس على أمه وأخيه فنيا من الاستانة ، فكانوا — بمخدراتهم — يصورون الرعية الصادقة للسلطان الأعظم كالوحوش الضارية تريد اقتراسه ونزع تاجه ، ويزينون في عينيه الاستبداد ، ويعدون عنه الخبيرين بأمور الدولة العارفين بطرق الإصلاح ، زاعمين أنهم من ذوي الأفكار المتطرفة وحزب تركيا الفتاة ، حتى اختل نظام المملكة ، وبطلت مراعاة الأحكام القانونية ، والسير في إدارة الدولة على الأصول والتقاليد المعروفة من القديم ، وفسد التعليم في المدارس ، وانحرفت إدارة الأمور الداخلية والخارجية عن محورها ، ومالت إلى التبدلي والانحطاط ، رغم الابهة الظاهرة ، والعظمة الكاذبة ، ولا سيما في موكب صلاة الجمعة إذ تصطف المساكر في ساحة المسجد الحميدي امام باب السراي صفوا مضاعفة بعضها وراء بعض رجالا وفرسانا ، وتتسابق مركبات الكبراء والسفراء الأجانب ، ثم تشرق المركبة السلطانية من مطلع السراي ود الشبيرة وكبار رجال المايين حاثون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ، ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الإيمانية ، وهم في غير هذه الساعة أكاسرة القوس وقياسرة الرومان كبرا وجيروتا ، وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجواهر تختلف الابصار . وكان في كل نظارة من نظارات الداخلية والمسدية (الحقانية) واليالية والشيخية الاسلامية وغيرها رجال معروفون يبعون الوظائف والترتب بأسعار معلومة ، ويتسمونها هم وكبار الموظفين ، فن اشترى وظيفة بـ ١٠٠

ليرة فأكثر فانه يجتهد في استغلاله منها اضعاف ما بذله بإرهاق الاهالي وظلمهم
أو اختلاس الاموال الاميرية أو بكليهما ١١

الميل عن انكلترا الى ألمانيا والحوادث الارمنية

انحرفت سياسة المايين عن انكلترا الملحة في طلب القيام بالاصلاحات وتغيير
الادارة المستبدة الظالمة ، وانجحت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في ادارة الدولة بالقصر
الاستبدادي ، فجنح بعض ساسة الانكليز للارمن ومالوا اليهم ، وساعدوا جميعتهم
السرية التي في لوندرة ، و اشار عليهم بعض رجال السياسة كغلاستون بالقيام والهيجان
حتى اذا حدثت في البلاد مذابح كذاب البغار حاجت الافكار العمومية في أوروبا ،
وتسنى لحكوماتها المداخلة في طلب الامتيازات لارمنيا ، كما حدث في البلغار والجل
الاسود والصرب . ويساعد على ذلك نص المادة الحادية والستين من معاهدة برلين
قد جاء فيها ما معناه « يتعهد الباب العالي بأنه يسرع في القيام بالاصلاحات والتحسينات
التي تقتضيها حال البلاد الداخلية في الولايات الآهلة بالارمن ، وبمحاييتهم من الجراكة
والاكرد ، ويعطي الباب العالي في معظم الاوقات معلومات عن التدابير المتخذة في
هذا السبيل للدول المشرقة على القيام بالاصلاحات »

وفي سنة ١٨٩٠ تشكلت جمعية اقلالية ارمنية (١) لتحرير الارمن التابعين
لادولة العلية وروسيا والمجم ، وكان رأس مالها مئة وثلاثين الف فرنك ، وميزانيتها
اليوم مليون فرنك ، منها ثلاثون في المئة للقيام بالحركات الاقلالية والسياسية ،
وخمسة وعشرون في المئة لتسليح الامة ، وعشرون في المئة للنشرات والتبشير .
فأحس احرار العثمانيين بذلك وتأثروا جدا ، فاجتمعوا سرا وتشاوروا ، وخبر بعضهم
كبراء الارمن وعقلاءهم وقالوا لهم ما حاصله :

لا عمل لاصلاح ولايات ارمينيا وحدها دون باقي الولايات العثمانية ، فالواجب
طلب الاصلاح للمملكة العثمانية كلها . نعم ان الارمن يتألمون من الادارة
الحاضرة ولكن الظلم والاستبداد ليسا وجهين اليهم خاصة ، بل هما شاملان للارمن

(١) في سنة ١٨٨٧ تألفت جمعية هنجاق الارمنية ومعنى اسمها الجرس

والأتراك وعموم المسلمين والمسيحيين ، قاتهم جميعهم يثنون تحت اقبال التكليف وارتركاب الموظفين ومعاملاتهم القسرية والاستبدادية ، ويتحملون انواع الظلم والاعتساف وهضم الحقوق . وحظ المسلمين من ذلك اكبر ، لقيامهم وحدهم بإعباء الخدمة العسكرية التي تقدمهم عن زرع الارض واكتساب الثروة والرفاه والنمو والازدياد في العدد ، وان اتفاق الارمن والأتراك على القيام بطلب الاصلاحات اللازمة وتأسيس حكومة مقيدة حرة يعد من الحمية والتبعية الوطنية ، ولكن قيام الارمن أو طائفة أخرى على انفراد بمساعدة الاجنبي وترغيه لا تقدم تركيا الفتاة إلا خيانه وجناية وضررا بمنافع الوطن المشتركة . على أن الارمن كانوا لدى أنفسهم بالجنسية العثمانية لا يزيدون عن بضعة عشر الفا وقد أصبحوا اليوم يعدون بالملايين . وان القاطنين منهم في العاصمة والمدن الكبيرة على جانب عظيم من الفنى والثروة والرفاه ، ويدهم الشؤون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وهم على وفاق واتئلاف تام مع الأتراك حتى اذا أطلقت كلمة «ملت» (١) صادقة ، لا تنصرف إلا الى الارمن . فناء على هذا الامتزاج التام بين الترك والارمن وما فيه من الفوائد والمنافع للفريقين طلب بعض احرار الترك من معتبري الارمن وعقلائهم افهام الجمعيات السرية الارمنية التي في أوروبا هذه المقاصد ، واستعمال نفوذهم لتعديل المطالب الارمنية ونبذ الهوى في سياستهم

وفي سنة ١٨٩٤ اشتعلت نيران الحادثة الارمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم . كل هذا وجواد باشا الصدر الاعظم لاه عن اتخاذ الوسائل لحسم هذه المسائل ، والقيام بالاصلاحات في جميع ارجاء المملكة ، وقد كانت سياسته محصورة بالتدابير المؤقتة لايقاف الاعتداء وسلوك سبيل الماطلة والإرجاء ، واوروبا — ولا سيما انكلترا — واقفة للذلة بالمرصاد ، تخلق لها المسائل والمشاكل واحدة بعد أخرى . فمن الحادثة الارمنية

(١) النار : يراد بكلمة « ملت » عند الترك الأمة ، والملية هي القومية فكل ما يرد في هذه الرسالة من هذه الكلمات ينصرف الى ما ذكر ، على اننا وضعنا عند معظم الكلمات التركية التعبير كلمة عربية بين قوسين تفسيراً لها

٧٦٠ جمعية الاتحاد والترقي . مبادئها . أحمد رضا بك (الماروج ١٠م ١١)

الى المشكلة الكردية الى المسألة المقدونية وهلم جرا . . . ورجال الماين أكثرهم جهلاء
أغبياء ، لا خبرة لهم بالسياسة ، ولا معرفة لهم بالشؤون الحاضرة . وقليل منهم
شياطين ابالسة لا يتأبون الا على جمع الاموال وادخارها . ولو ادى ذلك الى
خراب الوطن وسقوط المملكة . فكانوا يخفون السلطان من حزب تركيا الفتاة ومن
القيام بالاصلاحات . ويشيرون باتخاذ التدابير السيئة حتى حدث ما حدث من
المذابح والفظائع التي نسبت الى الاسلام . والاسلام يرا الى الله منها :

والدين انصافك الاقوام كلهم وأي دين لا يبي الحق ان وجبا
والمرء يسيه قود النفس مصحبة للخير وهو قود العسكر العجا

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي

كان من نتيجة هذا الخلل في الادارة والاستبداد والصف بالامعان تأسست
في الاساتنة جمعية الاتحاد والترقي لأخاد نار الفتى المشتعلة في البلاد، وطلب الحرية
والعدل لجميع العثمانيين وتأييد روابط الحب والامان بين الامة — المؤلفة من
السنة وأديان مختلفة — وبين الدولة . وقد بحث الجمعية في تلك السنة (١٨٩٤)
فريقا من الشبان الاحرار — أكثرهم من طلاب المدرسة الطيبة — الى
باريس اذ ذاك عدد ليس بالقليل من الشبان العثمانيين ، بعضهم يدرس على فقة
الحكومة العثمانية او فقهه انخاصه ، وبعضهم يدرس ويشغل بالمسائل السياسية وأشهرهم
احمد رضا بك صاحب اللائحة المشهورة .

احمد رضا بك ومبادئه جمعية الاتحاد والترقي

ولد أحمد رضا بك في الاساتنة منذ خمسين سنة قريبا ووالده انكلز علي
بك وأمه مجرية ، وسي انكلز لتعلمه الانكليزية ووقفه على المدنية والاورية كما
سرى عنه ، والا فهو من الاراك المسلمين وكان من معتبري الموظفين الذين نشأوا
في عهد مصطفى رشيد باشا وعالي باشا . فخرج أحمد رضا بك في مداوس الاساتنة

وعين مديرا للمدرسة الاعدادية في مدينة بروسه فأحس من نفسه لزوم السفر الى أوروبا للاطلاع على علومها ومدنيها فذهب الى باريس سنة ١٨٩٠ واختفى الى مدرسة الزراعة لشدة احتياج المملكة الى العلوم الزراعية ، وتعرف الى علي شققي بك الذي كان يصدر جريدة « استبال » في ايطاليا ثم في فرنسا ، وهو من رجال السلطان مراد . وكان رضا بك كثير التردد على المكتبة الاهلية في باريس ؛ فاطلع فيها على أهم الكتب والفنون ، واشتغل بالمسائل السياسية ، وحرز لأئمة مفصلة مشتملة على رسائل في إصلاح الادارة والمالية والزراعة والتجارة وغير ذلك بعد ان درس لأئمة مصطفى قاضل باشا ووصية فؤاد باشا وما حرره ملكوم خان وشارل ميزمر وغيرهما من أكابر الرجال المشتغلين بالسياسة الشرقية والواقفين على أنساب الانحطاط وظله الفلسفة .

سلك احمد رضا بك في الفلسفة الحقيقية مسلك أوكوست كونت وخطته يسير لافيت ، وصار إماما في هذه الطريقة المؤسدة على « النظام والترقي » وهذه الكلمة هي شعارهم وعليها بناء أعمالهم ، ومن مبادئهم التناهي في حب الوطن وخدمة الجماعة ، أي وقف حياة الفرد على خدمة المجموع ، وهم ينزفون من الانفاس في الشهوات وتبذير الاغنياء لان المبذرين إخوان الشياطين ، ويشددون النكير على الذين يبنزون الاموال الاميرية ويأكلون أموال الناس بالباطل ويبشون بالحقوق العمومية ، فالمرتكب الملوث بالرشوة يمدونه ساقطا معا بلع علمه وقدره . فأحمد رضا بك متصف بكل هذه الغللال الجليلة ، وقد ضحى نفسه وشبابه في سبيل المحافظة على مبدأه ، ورفض قبول الالوف من الدنانير وهزىء بالمناصب العالية التي كانت تعرض عليه ، مع شدة حاجته واضطراره ، وتحمل الاذى والمكاره ، وجاهد في سبيل استرداد الحرية حق الجهاد قائلا : لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تحولت عما قصدت اليه . فكان بالحقيقة من اولي العزم الصادق ونشر تعاليمه وأفكاره وله رسالة مطبوعة بالفرنساوية عنوانها « التساهل الديني » ود فيها على الذين يتهمون المسلمين بالتعصب ، واستدل بكثير من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية بما دل على غزارة علمه . واما اللائحة التي مر ذكرها فهي رسالة باللغة التركية مشتملة على تحقيق وعلم وسياسة في اصلاح إدارة الدولة ولما تنشر . وكانت جريدته « مشورت » تصدر بالتركية والفرنساوية في كل أسبوع أو أسبوعين مرة ، ثم اقتصر على القسم الفرنسي وهي صغيرة الحجم مضي على إنشائها أربع عشرة سنة ، ويتألف منها مجلدان أو أكثر ، وربما كان له غير ذلك من المؤلفات . فانه كثير الدرس والتحقيق ، يقضي الساعات الطويلة في المكتبة الاهلية ، وفي مكتبته الخاصة مؤلفات كثيرة في التاريخ والسياسة العثمانية والمسألة الشرقية ولما وصل وفد جمعية الاتحاد والترقي الى باريس سنة ١٨٩٤ كان رضا بك ساكنا في شارع مونج في بيت صغير (Appartement) في الطبقة السادسة قصد اليه الوفد وذا كروه في انضمامه اليهم ، فتردد في بادئ الامر وقال اذا عزمت على شيء فاتي لأرجع عنه مطلقا . وكان أقدر الموجودين وأعرفهم بطرق الاصلاح ومواضع الخلل . لأن إصلاح مملكة عظيمة مشتملة على أم محتقة في الجنس والدين واللسان ، ووارثة للخلافة الاسلامية والدولة البيزنطية — ليس بالامر السهل ، ولا يشبه اصلاح مدرسة أو إدارة تلاميذ وانما يحتاج الى علوم ومعارف شتى ونظر واختبار وفقاذ بصيرة ، وليس ذلك في مقدور من درس سنتين أو أكثر في مدرسة طيبة لا تدرس فيها العلوم السياسية والحقوقية ولا العلوم الشرقية التي هي موضوع بحث العلماء المستشرقين . فقبل أحمد رضا بك الانضمام الى الجمعية وصار رئيساً لفرع باريس ، ونشر جريدة « مشورت » بالتركية والفرنساوية فاطقة بمقاصد الجمعية

مآكة الماين للأحرار في أوربا

أم باريس من ذلك الحين كثيرون من شبان العثمانيين وكهولهم حتى الشيوخ ذوي العائم والفراء ، ونشروا الجرائد والرسائل والورقات ، وادبوا مآدب وعقدوا اجتماعات سياسية . فانصرف هم رجال الماين والسفارات العثمانية الى إبطال هذه النشرات واسترضاء اصحابها بالمال والترتب والنياشين والمناصب ، حتى قيل لبعضهم « اطلب ثعط » كما يقتل عن الخلفاء في حكايات الف ليلة وليلة . وكان العطاء حاتيا

بل أكثر، كان سلطانا شاهانيا!! وصار طلاب الوظائف أو المعزولون يقصدون باريس فيكون ذلك سببا لعودتهم الى وظائفهم . ودخل في حزب تركيا الفتاة الصبيان الذين لم يافوا الخامسة عشرة ، والتونسيون حتى الاجانب من الطليان واليونان ، وأصبحت سفارة باريس مرجعا للجميع كأنها أعظم دائرة من دوائر الباب العالي!! . وأقدم الجرائد التي اطلقت جريدة المرصد العربية اني تعين صاحبها عضوا في شورى الدولة ، فحسده عزت باشا العابد حتى صرف قوة عقله وذ كانه في سبيل الوصول الى ما وصل اليه . وظهرت عدة جرائد ورسائل ومحررين بالتركية والعربية والكردية والفرنساوية والالمانية وغيرها، منهم أصحاب صدق وقناعة ، ومنهم ذوو طمع وشعوذة . ورجال الدولة يتقربون باسترضائهم واحضارهم كما كانوا في الازمان الماضية يتقربون بمجلب أهل الظنة من الشيوخ وأصحاب الكرامات كالرحومين الشيخ ابي السعود من القدس الذي استقدموه للسلطان محمود خان ، والشيخ السن من صيدا ، والشيخ العمري من طرابلس الشام ، وكذا المشايخ الذين كانوا في المايين وخاتمهم استاذنا الشيخ حسين الجسر مؤلف الرسالة الحميدية . فلو اطلعت على تراجم هؤلاء الشيوخ ومقدار معارفهم وكيفية طلبهم والاسترشاد بهم لعرفت ارتقاء الفكر التدريجي الذي حدث من عهد السلطان محمود ، ولرايت للاقتلاب الحاضر معنى في الرسالة الحميدية التي دلت على كثير من العلوم الطبيعية والعصرية

لم يقصد من نشرات تركيا الفتاة في أوروبا الا ايصال الشكاية من سوء الادارة الى مسامع الحضرة السلطانية ، وافهام الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة برلين بأن لحزبهم السياسي كيانا ووجودا وان غايتهم اعادة القانون الاساسي ، فكادت أوروبا تعتد بوجودهم كما ظهر من انتصار الجرائد الباريسية لصاحب جريدة « مشورت » يوم محاكمته في باريس والحكم عليه بفرنك واحد مع تطبيق قانون بيرنجه القاضي بالسباح عنه . وينتظر المايين يقدم رجلا ويؤخر أخرى في اجابة حزب تركيا الفتاة الى مطالبهم الاصلاحية واعادة القانون الاساسي واذا بالمشكلة الكردية . ولدت الحرب بين الدولة العلية واليونان (نيسان --- مارس ١٨٩٧) وتم النصر فيها للمساكر العثمانية فأخذته العزة ودام على سياسته الاستبدادية وقعدت همه الاكثرين

من حزب تركيا الفتاة تخضعوا لاحكام الاستبداد جبوا وقهرا، وان كانوا غير راضين عنها ، وذاقوا عذابا شديدا بسبب غلاء أوروبا وكثرة الاتفاق فيها مع قلة ذات يدهم وفراغهم من نحو صناعة أو تجارة بأيديهم كما هي حال الارمن والبلغار ، الا ما كان من عليهم باللغة التركية أو العربية ومعاونة الاطباء في المستشفيات بأجرة قليلة والسهر في الليل على الرضى . والاغنياء من أهل البلاد وكبار الموظفين لم يساعدوهم بشيء ، الا بعض الامراء المصريين الذين نهجوا نهج مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة ، فانهم أملوا ببعضهم بالاموال وكانوا عوناً لهم . اما الجمعيات الارمنية والقدونية الانتقالية فالت أصحابهم وأغنياء أمتهم أعانوهم بالمال وأيدوهم بكل ما في طوقهم ، وقد علمت مما تقدم ان ميزانية الجمعية الارمنية بلغت مليون فرنك فأين هذا من جمعية الاتحاد والترقي ؟ ألا ان سبب خذلان العثمانيين لجمعياتهم هو موت الثروة الوطنية في نفوسهم وقد الحماسة القومية وكونهم لم يفقهوا معنى الاجتماع والتعاون .

غرور المايين واستعمال الاستبداد

اظهرت الحرب اليونانية العثمانية فتوة الامة العثمانية وحميتها وسلامتها من عوارض المرض أو الهرم كما يصنفها أعداؤها ، وظهر فيها من شجاعة الضباط العثمانيين ومعارفهم ومحافظتهم على قواعد النظام الحربي ومقدرتهم على ضبط أفراد العساكر وكفهم عن النهب والعبث بالآداب وغير ذلك من الافعال الحمجية ما يخلد لهم هذه المآثر في بطون التواريخ ، وبرز الجيش العثماني من الشجاعة العظيمة والصبر والقناعة المعجب والمعجز ، وامتاز بالسلامة من الابطلاء بالمسكرات كما هي عليه عساكر الروس وغيرهم من عساكر أوروبا

زاد غرور المايين واستبداده بعد خروج الدولة من ميدان الحرب فائزة منصورة ، وانتقل مركز ادارة الحكومة من الباب العالي الى سراي يلديز، وأصبح مجلس الوكلاء لاعمل له ، والنظار لا وظيفة لهم الا تنفيذ ما يقرر في السراي . على ان الالتفات والاقبال والتعريب والنفوذ كان ينتقل من الباشكاتب الى الكاتب

الثاني الى كاتب الشفرة (١) الى (الشيخ) الى (العابد) الى (الملاحه) الى غني آغا الى لطفي آغا الى فهم باشا الجبار العاتي - أولئك الذين ألقوا الرعب في قلوب المسلمين والمسيحيين وغيرهم مما دل على استبداد متقلب مذهب حيران ، حتى لم يعد لاحد ثقة بالحكومة ، وكاد الاقلاب يحدث في نفس السراي . وأكثر رجال السراي أميون ويندر في كتاب المايين من يعرف اللغة الفرنسية بله غيرها من لغات أوربا ، وهم في جل مطبق السياسة . ولذلك كثر اخلطأ السياسي وسوء الادارة واختلاس الاموال الاميرية وظلم الرعية بما لم يسبق له مثيل .

(لما بقية)

البلاد العربية والسكة الحجازية *)

بلاد العرب أوشبه جزيرة العرب مساحتها مليون ومئة ألف ميل مربع ، وعدد سكانها على أقل تقدير سبعة ملايين وعلى أكثره عشرة ملايين ، وهي من أنصب البلاد أرضا وأجودها تربة وأعظمها خيرا اذا اعتني بها وتوفرت وسائل الامن والراحة والعمران فيها . واليمن أجود بلاد العرب بقاعا وأكثرها سكانا وأعظمها ثروة وخصبا ، ولهذا كانت تسمى قديما (العربية السعيدة) الا انها محاطة بصحارى ومياه منخفضة شديدة الحرقلية المياه ، يظن السامع بها ان اليمن كلها على هذا النمط : صحارى ورمال مع ان هذه الصحارى لا تمتد الى الداخل من السواحل الشرقية والثرية أكثر من خمسين إلى ستين ميلا يمتازها المسافر في ثلاثة أو أربعة أيام حيث يرى سلسلة جبال الثراء وبلاد شعر وحضرموت وجبل صعدة وصنعا .

(١) النار : الشفرة في اللغة التركية هي الخاطبة بالارقام بطريقة لا يعرفها الا المتخاطبان وهي مأخوذة من كلمة (جفر) العربية

(*) بقلم رفيق بك العظم المورخ المشهور

حيث الوديان الفسيحة المخصبة والسهول المكسوة بالخضرة والجبال ذات النايح
الغزيرة والأشجار الباسقة

وسكان اليمن أهل نشاط وعمل متوفرون على الزرع والتجارة بقدر ما ينسج
لهم المجال وتساعدهم الحال ومع هذا فأن بلادهم مفتقرة الى إصلاح كثير
وعناية من الحكومة كبيرة ، لقد الوسائل الحديثة في تعميم الري واستنبت أنواع
الزرع وفقد الراحة والامن في أيام الحكومة الماضية اتى كانت كلها أيام خصام
وتزعج بن الحاكم والمحكوم له كادت تقضي الى خراب البلاد

واو صرفت الحكومة الآن وجهتها الى اصلاح اليمن مع توفر أسباب العمران
الطبيعية ثمة السكان لها منها مورد رزق عظيم يقدره بعضهم بيضة عشر مليوناً من
الديرات ، وأهم أصول الإصلاح التي يحتاجها رقي البلاد وعمرانها وإثراء الخزينة
والأهلين هي :

(أولاً) إن مياه الأمطار الغزيرة التي تنهمر في اليمن تكون مجاري وسبيلها
لا تصل الى البحر بل تغور في الرمال ، وأكثرها يتجمع في مخازن في باطن الأرض
على عمق أربعة أو ثلاثة أمتار ، فإذا تبعت مظان هذه المخازن وحفرت فيها الآبار
نعم استكثر من عمل الحياض والمخزانات الكبيرة في الجبال وسفوحها جعلت السقا
تامة في أكثر أطراف اليمن ونحو تلك الصحارى القاحلة الى جنات ناضرة
- افلة بالزرع والنصرع ، ويساعدها على ذلك ما منحها إياه الطبيعة من قوة الانبات
والخمسب ، وهي تصلح لكل أنواع النبات الذي ينبت في البلاد الحارة كالبن
والقمطن والنيلة وأنواع البهارات وغيرها ، ويمكن ان تزدرع في السنة ثلاث مرات
ويؤخذ منها ثلاث غلات ، والبلاد الجبلية صالحة لاستنبت جميع أنواع النبات
الذي ينبت في البلاد المعتدلة ، ناهيك بقطر عظيم كالبن اذا بلغ نظام الري
الذي فيه مائه في المصد منه يكوف بلا ريب من أغنى البلاد المعنانية
مصدر مزدرد ممددرا لثمة الحكومة والأهلين اذا أضيف الى ذلك شية

التي ان تتم زراية اليمن انى ثلاث ولايات احداها صنعاء والثانية صعدة

والثالثة نعر، لكي ينسى بهذا التقسيم ادارة شؤون اليمن ادارة مستظمة تشرف به الحكومة على أمور الرعية والبلاد اشرافا حقيقيا يضم اليه اطراف البلاد المتناية وينشر راية العدل والراحة والامن على كل البلاد، وهذا العمل مهما استلزم من النفقات التي ستقوم بها خزانة الدولة فانه يعوض على الحكومة تلك النفقات اضعافا مضاعفة في بضع سنين . ولقد أجمع على لزوم تقسيم اليمن الى أربع أو ثلاث ولايات كل العارفين بأحوال اليمن والذين اختبروا حالها من اخواننا الأتراك، فلا مندوحة للحكومة عن هذا التقسيم اذا عزمت عزما أكيدا على اصلاح البلاد اليمنية وهي عازمة على ذلك ان شاء الله

(ثالثا) إصلاح مرفأ الحديد وجعله مرمى امينا للسفن، ومد خط حديدي من الحديد الى صنعاء، ثم تعميم السكة الحديدية في البلاد بالتدريج بقدر ما يمكن ماله الحكومة لان سهولة المواصلات ضروري لبلاد متباعدة الاراء، يراد اصلاحها وتكثير موارد الثروة الزراعية والتجارية فيها، ولا سيما وان بلاد اليمن فيها كثير من المعادن والكنوز الارضية التي لا يتيسر استخراجها والعمل فيها الا بسهولة المواصلات، ولقد عرفت اليمن قديما بغناها بمعدن الذهب ويطن بعضهم ان هذا المعدن النفيس فقد منها مع انه لم يزل موجودا بكثرة فيها، ولقد رأيت بعيني رأسي قطعا منه ممتزجة اجزاء ذهبها برمل متحجر كان استحضرها صديق لي من بعض اطراف اليمن لاجل تحليلها وتقدير النسبة بين الرمل والذهب فيها ليسعى بعد ذلك بتأليف شركة لاستخراجها فاجلته المنون واصبح مطويا في التراب

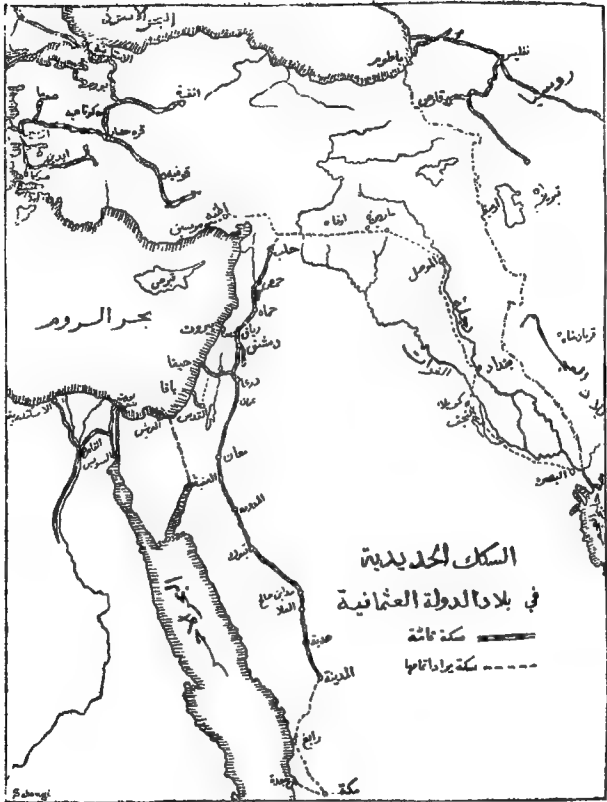
ومما لا ريب فيه ان السكة الحديدية الحجازية اذا امكن ايصالها الى القطر اليمني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة، فانها متى بلغت مكة ومد منها ناشط الى جدة سهل مدها الى الحديدة عن طريق القنفذة أو طريق آخر أقرب منها وهناك تتصل بخط الحديد الذي يتصل بصنعاء، وبذلك نكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب واقصاها في الشمال، واقترب من فصل بين خط الاستانة والحجاز بخط برجيك الموحي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الاقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ولا سيما به.

ان صار البحر الاحمر مزدحما لمدة دول اجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية ويجدر بنا أن نطلب من رجال حكومتنا النظر فيما تقدم من الامور ، وفي اصلاح شؤون بلاد العرب والتوفر على عمراتها . وقد يرون ان الدول الاجنبية تبذل مزيد الجهد في عمران مستعمراتها في أفريقيا على قلة سكانها وقلة الايدي التي تعمل فيها وضعف الامل في أن تكون تلك المستعمرات بكثرة سكانها وعمراتها والانتفاع من ثمراتها كستعمراتها في آسيا وأمريكا وجزائر المحيط ، فاحرى الدولة العثمانية بأن تنافس الدول بقطر عظيم فسبح كثير السكان متوفرة فيه مصادر الثروة ووسائل العمران اذا أعطي كل العناية والالتفات ونال حظا من الاصلاح عظيم ، ولاسيما في عصر الحكومة الدستورية التي نرجو أن تكون حكومة خير وسعادة على المملكة العثمانية جمعا ان شاء الله

أما السكة الحديدية الحجازية التي تنمى أن تكون خير واسطة لعمران شبه جزيرة العرب في مستقبل الايام اذا اتصلت باليمن فقد انتهى منها الآن قسم عظيم وبلغت المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام . وقد افتتح هذا الخط باحتفال عظيم في شهر اغسطس الماضي ، والادوات التي تلزم لاتمام الخط الى مكة البالغ ثمنها نحو ثلاث مئة وخمسون الف ليرة كلها معدة على ما نعلم ، وطول الخط من دمشق الشام الى المدينة الف كيلومتر وثلاث مئة كيلومتران يضاف اليه الخط من حيفا الى درعا وطوله مئة وواحد وستون كيلومترا ، فيكون مجموع ما تم من الخط الى الآن الف كيلومتر وأربع مئة وثلاثة وستون كيلومترا بلغت نفقاته نحو ثلاثة ملايين ليرة عثمانية ، وكانت نفقة الكيلومتر الواحد ما عدا آلات السكة نحو الف ليرة وثلاث مئة ليرة

وطول الخط من دمشق الى مكة ١٧٥١ كيلومترا وطوله الى جدة ١٨٣٠ كيلومترا

واخط يمر من الشام الى معان في سهول متبسطة وأراضي خصبة مشوثة فيها القرى والآهلة بالسكان ، الا ان حوران أكثر سكانا وعمرانا من معان وربما كانت أراضي معان أخصب من أراضي حوران



(مستعارة من مجلة المقطف الفراء)

وأحسن البلاد التي يمر فيها الخط وأجودها هواء وأعلاها عن سطح البحر هي عمان فانها تعلو عن سطح البحر نحو ١٠٧٤ مترا وفيها من الآثار القديمة والخرائب العظيمة شي . كثير ومنها الملعب (Amphithéâtre) الذي وجدوه في تلك الخرائب وخرائطه سورية المرسومة على قطعة كبيرة من الحجر (بلاطة) وهي أعجب وأبدع ماروئي في اطلال عمان وخرائبها

وسكان معان و عمان أكثرهم من عرب البادية ويشغل قليل منهم بالزراعة وفي معان بعض قرى للماجري القفقاس . ولو نشط العربان الذين في تلك الديار الى الاعمال في الارض ونشر الاصلاح جناحه على تلك الديار لكانت من أغنى البلاد السورية وأكثرها غلة وأجلها بقاعا . وقد هم كثير من الناس بابتياح الاراضي التي على جانبي الخط من الحكومة في معان و عمان لاحياء مواتها واستغلالها فأبت عليهم ذلك لصدور إرادة سلطانية تقضي بالمنع ، على أمل ان تضم تلك الاراضي الفسيحة الى الجفالك (المزارع) السلطانية أو يستأجرها أفراد من المقيمين ولم يكن شي من ذلك الى الآن . فترجو ان توفق الحكومة الحاضرة لإطلاق يد الناس في استثمار تلك البلاد بحيث لا تباع أرض إلا على شرط إصلاحها واستثمارها في برهة سنتين أو ثلاث سنين واذا مضت المدة ولم تصلح الارض وتستثمر ساغ للحكومة استردادها . وفي يقيننا ان كثيرا من أغنياء البلاد السورية يتقدمون الى إصلاح تلك الاراضي وإحيائها متى انتظمت أمور السكة الحديدية وانصرفت همّة الحكومة الى عمران تلك الجهات ورفع راية الراحة والعدل والأمان على ربوعها

ومحطة عمان الآن هي من المحطات العظيمة في هذه الطريق وفيها معمل (ورشة) لاصلاح القواطر ومحازن للسكة الحديدية ، ويلها في العظم محطة تبوك والاراضي التي بعد عمان ومعان الى المدينة ليست خصبة بل هي صحارى وقفار الا العلافات قرية عامرة ذات ينابيع وأشجار وحدائق تزرع فيها أنواع البقول والفواكه والتخيل ونحوه في أرضها فواكه البلاد الحارة كالخيل والموز والليمون ، وأهلها يارعون في فن الزراعة لان أكثرهم يذهبون الى دمشق ويزاولون فن

الزراعة عملا في غوطتها ولا سيما في قرية جوبر المشهور أهلها بالبراعة في فن الزراعة . ثم يعودون الى بلدكم لاجل الاعمال في الارض . ولقد كان بعد المسافة بينهم وبين الشام يمنهم من التوسع في إنشاء الحدائق والاكتثار من زرع أنواع الفواكه والبقول والاتجار بها واما الآن فالأمر ليس كذلك ، ولو اعتنى أهل هذه القرية بزراعة النخيل والموز واستكثروا من الجيد منها لاتفعوا بذلك كثيرا لان دمشق محرومة من هذين الصنفين من الفاكهة لان جوها لا يناسبهما في الشتاء لشدة البرد والصقيع

هذا ومن الضروري ان يمدَّ ناشط من هذه السكة الحديدية من معان الى العقبة وطول هذا الخط نحو ٩٠ كيلومترا أو من المدور وهو أقصر مسافة من ذلك لان هذا الفرع يفيد الدولة من الوجهة العسكرية جدا ريثما يصل الخط الى اليمن وكل من رأى خط السكة الحجازية لا يسمعه الا شكر القائمين بالعمل فيه كسير باشا ومختار بك وباقي المهندسين والعمال ولا سيما المشير كاظم باشا رئيس لإنشاء الخط الذي بذل من الهمة في انجازه والعناية في شأنه مالا يستكثر على رجل عظيم مثله وأنا لارجو بعد توليه منصب الولاية في الحجاز ان يساعد على اتمام هذا الخط ووصوله الى مكة ثم اليمن بما في إمكانه ليكون شكر الامة له مضاعفا جزاه الله وكل العاملين لانجاز هذا الخط خير الجزاء

باب المراسلة والمناظرة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر واخبار الاحاديث والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (٥)

(الكلمة السادسة) — في التواتر

أهم ما يظن به في وجوب التواتر فيما يعمل به في الدين مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد للتعليم وللحكم بين المسلمين والملوك . فاعلم أن خبر الواحد — كما قلنا — لا يوجب اليقين ولا يجب العمل به إلا إذا أيدته قرآن أخرى قطعية، فهو لاء الآحاد الذين كان يعيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات للتعليم ما كان يجب على الناس فيها أن يوقفوا بما يخبرونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجوز عليهم الخطأ والنسيان كما أنه يجوز عليهم الكذب أو الارتداد . وإنما هؤلاء الناس الذين كانوا في تلك الجهات يحققون أن رسول الله أرسل إليهم هؤلاء الرسل وأوجب عليهم إطاعتهم والاختصاص بهم، وقبل أن يحققوا ذلك لا يجب عليهم طاعتهم ولا الاختصاص بهم في طاعتهم لهم وأخذهم عنهم بعد تيقنهم من أنهم مرسلون إليهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إتمام مطيعون لله ولرسوله ولأولي الأمر، فإذا قالوا لهم أن الرسول قال كذا فاعملوا به وجب عليهم أخذ هذا القول عنهم كما أمرهم الرسول ووجب عليهم العمل به لا لانهم أيقنوا أن الرسول حقيقة قاله ولكن لانهم أمروا بطاعة أولياء أمورهم فلا يجوز مخالفتهم أو رفض كلامهم إلا إذا علموا بكذبهم حينئذ يرفعون الأمر إلى رسول الله فيحكم بعرضهم عن تولي أمورهم وتسقط عنهم طاعتهم فيما يروونه عن رسول الله . وعليه فهو لاء القوم ما كانوا عاملين بالظن وإنما هم مطيعون لأمر يسمعون منه أولياء أمورهم

(٥) تابع لما نشر في (ص ٨٦٦ ج ١١٩٩) من مقالة الدكتور محمد توفيق اخندي صديقي

بآدائهم فيأخذون به ويعملون به كما أمروا وسواء في ذلك أيقنوا أن الرسول قاله أولم يقله فالمهدة فيه على روايته

فان قيل إن لم يكن هؤلاء عاملين بالظن فالرسول نفسه عامل بالظن والإفكيف يوفق بأن هؤلاء القوم لا يلبثون عنه إلا ما يريدون؟ — قلت ان الرسول إن لم يعلم ذلك بطريق الوحي كما كان يخبره الوحي بحالات كثيرة مثل هذه عن اصحابه البعدين عنه كما هو مشهور في سيرته فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من هؤلاء المبعوثين الصدق والایمان وقوة العقل والعلم بالدين وقد اختبرهم بنفسه زمنا طويلا حتى علم اخلاصهم وأماليهم وأحوالهم وسبر غورهم فهو يكاد يجزم بصدقهم واخلاصهم كما يجزم أحدا — وإن كان نظره أضعف من نظر الرسول — بصدق صاحبواخلاصه بعدمعاشرته له زمنا طويلا في أحوال مختلفة . وان بقي في النفس أدنى شك في ذلك أو تجوز الخطأ أو التسيان عليهم فهؤلاء المبعوثون ما كانوا يذهبون الى جهات مقطعة عن المسلمين بل كان بينهم وبين المسلمين صلة وثيقة وعلاقة كبيرة فكان يأتي منهم الكثيرون الى المسلمين مرات عديدة في السنة لزيارة والتعارف والحج والتجارة وغير ذلك وينهب اليهم المسلمون لثقل هذه الاغراض فاذا حاد المبعوثون عن شيء مما تقوه عن رسول الله أو أخطأوا فيه وصل ذلك الى علم رسول الله في أقرب وقت فيصحح هذا الخطأ أو يعزلم او يعاقبهم . فبالوحي وبثقة الأكيدة بمن أرسله بعد التحقق منه زمنا طويلا وبأخبار الزاهين اليهم والآتين من عندهم يكون الرسول واقفا على ما يبلغ عنه في تلك الجهات ومبيناً عليهم فان حصل خطأ أو كذب في شيء منه فالعاملون به مطيعون لأولياء أمورهم وليسوا عاملين بالظن ولا يلبث هذا الخطأ أو الكذب الا قليلا فيمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرب وقت . وهذه الحالة ضرورية في مبدأ الدعوة حتى يم الدين تلك الجهات ويكون فيها وفي غيرها مشهورا مستفيضا متواترا فلا يتطرق لشيء منه بعد ذلك ريب أو شك وهي تشبه حالة التلاميذ مع معلمي المدارس وتلقيهم العلم عنهم وعلمهم به فان الامة رقية عليهم فان أخطأوا في شيء أو دسوا عليهم أمرا فسرعان ما يصل الى علم الامة وأولياء أمورها فيتلافونه في أقرب وقت

أما أحاديث الآحاد عنه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فهي تختلف عن ذلك اختلافا كبيرا لأن رواتها ليسوا أولياء أمر المؤمنين حتى يجب طاعتهم من هذه الوجهة ولم يثق بهم الرسول ولم يعرفهم ولم يمينهم لهذا الأمر ولم يقيم رقيا عليهم لا بالوحي ولا بأخبار الناس عنهم فالفرق بين الحالتين عظيم

أما رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فالغرض من ذلك إغاث نظرهم إليه وتنبههم للبحث في دعوته وتشويقهم للنظر في أمره وحالته وإلا فلا يمكن الإيمان لاجلها إلا بعد التثبت منها والتحقق من أمر الدعوة والداعي فهي كالتهميد للدعوة الحقيقية بوصول الدين اليهم متواترا على أيدي الناس كما حصل بعد وفاته

والمخلاصة أن القرآن الشريف ينم العمل بالظن كثيرا فلا يمكن أن الله سبحانه وتعالى يلزم عباده المؤمنين بالعمل بما لا يوجب عندهم اليقين وإلا كان أمرا لم بما ينم به غيرهم ويلزمهم على اتباعه

وحيث أن أحاديث الآحاد من حيث هي لا تفيد اليقين كما يبناء في الكلمة الرامة فلذا اشترطنا التواتر فما يجب علينا الأخذ به في الدين فدلينا على ذلك مبني على حكم العقل وما جاء به الكتاب العزيز

(الكلمة السابعة) — معنى السنة وبيان وجوب العمل بها

السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة فسنه صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله واقتدى به أصحابه فيها وهي واجبة الاتباع حتما على كل من آمن به وصدقه صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بما جاء في الحديث عن اتباع السنة في أقوال الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا كما لا يخفى على متأمل في أقوالهم ومن ذلك حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» أي عليكم بطريقي وطريقة خلفائي الراشدين من بعدي فلا نزاع في أن اتباع طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في الدين هي واجبة على جميع أتباعه المؤمنين أما أقواله صلى الله عليه وسلم التي لم تكن طريقة متبعة له ولا لأصحابه فهي موضوع بحثنا وهي المقصودة في مقالنا الأخيرة تلك التي رواها الآحاد وافردوا بها ولو كانت واجبة الاتباع لعلها للناس جميعا في عصره عليه السلام وجروا عليها في أعالمهم

وهذا هو أدل دليل على أنها لم تكن ديناً عاماً لجميع البشر بل هي خاصة لمن وجهت إليهم لآحوال خاصة وظروف مخصوصة أو أنها كانت للإرشاد والتدبب للواجب ولذلك لم يكن اتباعها عاماً بينهم . فهناك فرق عظيم بين لفظ (السنة) ولفظ (الأحاديث) ويجب على كل باحث في هذا الموضوع أن يدرك هذا الفرق جيداً حتى لا يقع في الخلط والخلط . وقد أدرك الإمام مالك هذا الفرق فكان — رضي الله عنه — يقدم عمل أهل المدينة على الأحاديث ويرد منها ما خالف سنتهم التي ورثوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو صحت أسانيدُها وقدرت من ذلك مئات كثيرة

أما تسمية الأحاديث مطلقاً بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين ولولا هذا الاصطلاح لما احتجنا في مقالنا إلى تقييد لفظ السنة بقولنا (العملية) فإن السنة لا تكون إلا عملية وأما القول الذي يقال ولا يكون مبدأً يجري عليه العمل دائماً فلا يسمى سنة عند المتقدمين

فاتباع سنة أي شخص هي الجري على منهجه والتزام طريقته ومبادئه وأصوله وليس معنى ذلك أن يتقيد المتبع بكل جزئية من جزئيات كلام المتبوع ، مثلاً قد أكون متبعا لسنة الأستاذ الإمام رضي الله عنه في تفسير القرآن الحكيم ومع ذلك أرى في بعض الآيات خلاف ما يرى ولا يخرجني ذلك عن كوني متبعا سنته فإن سنته هي في ترك التقليد واستعمال العقل وعدم القول بالنسخ وبخري الحق والصواب لا في التزام كل قول من أقواله التزاماً أعمى فكذلك ترك بعض أقواله صلى الله عليه وسلم في الأمور الدنيوية المحضة وما حكم فيه بالرأي والاجتهاد وما خالف المصلحة في زماننا لا يخرج المسلم عن كونه متبعا سنته صلى الله عليه وسلم فإن سنته هي في اتباع الحق والصواب وتجنب الضار ومراعاة المصالح كما دل عليه الكتاب العزيز وترادفت فيه الأخبار المتعددة المصادر المختلفة المعنى المتشعبة المعاني وكما جرى عليه عمل كبار المسلمين وعقلاؤهم في كل زمان ومكان . فسنته صلى الله عليه وسلم هي في اتباع مبادئه الشريفة والجري على خطته ومنهجه وإطاعته فيما ألوحى به إليه أم ما وافق الصواب والمصلحة من آرائه واجتهاداته وليست سنته في الجمود والتقليد

والبعد عن العقل والتفكير كما عليه أكثر المسلمين اليوم ولذلك كان أصحابه يخالفونه في كثير من المسائل في حياته وكان عليه السلام يرجع عن رأيه لأرائهم ولذلك أمر بمشاورتهم وما قال أحد بأن من خلفه منهم خرج عن سنته فإن سنته هي الشورى والتفكير ورعاية مصالح العباد ونجوي العدل والانصاف وعدم الاستبداد بالرأي . وقد خلف أصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد مماته بعض أقواله وبعض ما حكم به مراعاة للمصلحة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئا من ذلك كثيرا وقد وفيت هذا البحث في رسالة لي طويلة وفتنا الله لطبعها عن قريب

وسنته صلى الله عليه وسلم في الأمور تعلم من نصوص الكتاب العزيز ومما تواتر بين المسلمين عنه قولاً وعملاً ومن مجموع ما روي عنه من المصادر المختلفة في المسائل المتعددة . فسنته معلومة للمسلمين باليقين وواجب اتباعها على جميع المؤمنين . وهذا هو المراد بما جاء في الكتاب الكريم من الأمر باتباعه والافتداء به والجري على منهجه والافتداء بهديه صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً المراد بما ورد عن أصحابه وعن سلف المسلمين من القول بوجوب اتباع السنة النبوية

وأما أخبار الآحاد التي لم يجر عليها العمل بلا انقطاع بين المسلمين فهي موضوع النزاع في كل عصر وجيل كما يتضح لك من الكلمة الآتية :

(الكلمة الثامنة) — آراء أئمة المسلمين في أخبار الآحاد وما قالوه فيها وكيفية معاملة الصحابة لها

(١) قال الامام أحمد بن حنبل مامنه : إن الأحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها ، كما نقله عنه الحافظ السيوطي في الاتقان

(٢) وقال الامام الشافعي « إن نسخ القرآن بالحديث لا يجوز »

(٣) وقالت الظاهرية : إن تخصيص عموم القرآن بها غير جائز وأن العمل

بها غير واجب

(٤) وقال جمهور الأصوليين « إنها غلظة »

(٥) وقال جمهور المسلمين « إنه لا يجوز الاخذ بها في المقائد »

(٦) وقال كثير من الأئمة كالتقاضي عياض « إنه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة ولو كانت موثوقا بها »

(٧) وقال جميع المحدثين « إن الموضوع منها كثير وتميزه عسير وفي بعض الاحوال مستحيل » راجع ما ذكرناه في الكلمة الرابعة

(٨) وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس « ان الصحيح منها قليل جدا » حتى أنه لم يأخذ إلا بيضة عشر حديثا

(٩) وقال مالك رضي الله عنه « إن عمل أهل المدينة مقدم عليها ، وكذلك أهل الرأي والقياس يقدمون القياس الجلي عليها

(١٠) أجمع جمهور المسلمين على عدم تكفير من أنكر أي حديث منها

(١١) « إن تناقضها كثير ومعرفة ناسخها من منسوخها عسير أو مستحيل وكذلك أكثر اسباب قولها

(١٢) قام الدليل الحسي على ان الله لم يكشف بمفظها من التحريف والتبديل والزيادة والقصان

(١٣) لم يجمعها الصحابة ولم يتفقوا عليها

(١٤) لم يلقوها إلى الامم بالتواتر مع علمهم بأن اتباع الظن غير جائز في الاسلام إلا لضرورة

(١٥) « أنهم نهوا عن كتابتها وأمرؤا بحرق ما كتبوه منها كما في الروايات التي صحت عندكم

(١٦) قد نعى بعضهم عن التحديث وكرهه وكذلك علماء التابعين

(١٧) « كان أقاضهم أقل الناس حديثا ويصدقون عنه ولو كان واجبا كان هذا حالم

(١٨) « من كان من الصحابة كثير الحديث ملوا منه ونهوه وزجروه كما فعل عمر بأبي هريرة وشكوا فيه وقالوا إنه يضع الشيء في غير موضعه ونسبوه للجنون كما في كتبكم

(١٩) « إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في مذهبه كثيرا منها

(٢٠) لم يمتن المسلمون بحفظها في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف فاذا كان هذا حال الاحاديث وما قاله المسلمون فيها وما علموه بها فأى فائدة منها ترجون ؟ وأي ثقة بها تتقون ؟ وأي شيء خالفت فيه الاجماع أو ابتدعته حتى أرمى بالكفر أو المروق ؟ مع أن هذه المطاعن وأمثالها كثير لم يخل منها عصر من عصور المسلمين ولم تصدر إلا منهم . فيجب علينا أن نقدر أخبار الآحاد قدرها ولا يميننا الجمل والتعصب عن حقيقة أمرها

أما قول حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي في الجواب عن بعض هذه المطاعن إن الصحابة اختلفوا في جمع القرآن وكتابته فهو لا يرد شبهة ولا يدهض حجة . فان القرآن الشريف من عهد رسول الله الى اليوم قد حفظ حفظا جيدا في الصدور لم يسبق له مثل ولم يعرف عند أمة أخرى في كتبها . وكتب في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر منه عليه السلام وبأمره على ما عرفوه إذ ذاك من أنواع القرطاس (كل ما يكتب عليه) ولم يختلف أحد منهم في وجوب كتابته ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع سورة مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في سطورهم المحفوظة عندهم وانما كان اختلافهم بعد وفاته عليه السلام في كيفية جمعه على طريقة لم يكونوا يعرفونها من قبل وما كانوا عهدوها وهي كتابته على صحف من الكاغد (كالورق الآن) مع ضم هذه الصحف بعضها الى بعض بالطريقة المعروفة اليوم في عمل الكتب فان الكاغد وعمل ما نسميه الآن كتبنا ما كان معروفًا لم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو ورق في الصناعة التابع لرقبهم في المدينة بعد وفاته عليه السلام ولو كانوا علموه من قبل لعلوا المصاحف في زمنه ولا اختلف في ذلك منهم اثناث (راجع مقالة تاريخ المصاحف المنشورة سابقا في المنار) . ولما لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس شيئا من الصناعات وغيرها من أمورهم الدينية التي يمكنهم أن يصلوا اليها بقولهم وتدرجهم في سلم المدنية واقتباسهم أشياء من الامم الاخرى الراقية فلذا لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام بتعليمهم صناعة ما نسميه الآن ورقا وكتبنا كما أنه لم يوح اليه بتعليمهم أي

صناعة أخرى بل تركوا وشأنهم حتى يصلوا الى ذلك بمرور الزمان
والخلاصة أن القرآن محفوظ في الصدور مكتوب في السطور من عهد الرسول
وبأمره لم يختلف في ذلك أحد وإنما الاختلاف كان في مجازاة الترقى في الصناعة .
وقد ترقى صناعة عمل المصاحف شيئاً فشيئاً كما ترقى كل شيء آخر حتى وصلت
الى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي
وأما كتابة الاحاديث فقد كتبت فيها مرات وأفاض القول فيها بعلمه الواسع
استاذ المأرج فلا حاجة للتكرار

(الكلمة التاسعة) — أسباب استشهادي بأحاديث الآحاد في مقالاتي ---
لأعلم بأن من الحجج ما يسمى (بالافتاعي) وذلك ان نحتاج على الخصم بما هو مسلم
عنده كأن نحتاج على النصراني ببعض ما في الانجيل الحالي وان كنت غير معقلده .
فأنا أورد الاحاديث غالباً لا لاثبت معتقدي لنفسي بل لاقنع من لا يقنع الا بها
ولست أعول في براهيني القطعية إلا على ما يفيد اليقين فما اذ كره من الاحاديث إما
لاقتناع المسلمين وإلزامهم بها او لكثير من الأدلة بضم ضعيفها الى قواها يقوى بها مع
استعمال مبدأ الاستنتاج والنقد فيها . وقد اتبعت في ذلك خطة علماء التاريخ المصريين
فإنهم يؤيدون آراءهم في التاريخ القديم ببعض ما يعثرون عليه من الروايات ولو كانت
من الاساطير ويستنبطون منها ما لا يستنبطه الجاهل من الحقائق بعد ان يستنبطوا في
دياجير ظلماتها بمصابيح من نور العقل والعلم فانه قد جرت عادة الناس بتضمين
حكاياتهم شيئاً من حقائق التاريخ فيأتي أهل النظر والبحث فيعرفونها ويلتقطونها من
وسط الخرافات ويتنبئون من صحة ما التقطوه بالاقيسة المنطقية والقضايا العقلية فإذا
أراد بعضهم ان يعرف مثلاً أصل الحجر الاسود عندنا عمد الى رواياتنا فيه وحكمها بحك
النقد والعقل فإذا سمع رواية « ان الله استودع الحجر أبا قيس حين افترق الله
الارض زمن نوح عليه السلام وقال له اذا رأيت خليلي بيني يتي فأخرجه له فأتته
ابراهيم لحمل الحجر فأدي ابو قيس ابراهيم فجاء فخرعته فجعله في البيت » استنتج
بها بعد ان يزيل قصورها واوهانها حقيقتة هذا الحجر وهو اصله قطعة من ابراهيم
به السلام من احجار جبال ابي قيس السوداء القهرية من الكعبة عرسها في احد

اركان الكعبة علامة على الركن الذي يتدأ منه بالطواف ليعرف الطائف كم مرة طاف بالبيت وليتدئ الناس بالطواف من نقطة واحدة حفظا للنظام وتسهيلا للطائفتين (١) وكذلك يأخذ علماء التاريخ كثيرا من حقائق تاريخ اليونان مثلا مما يجدونه عندهم من الاشعار والحكايات القديمة كالياذة (هو مير) فاذا كان هذا ما فعله العلماء في الاساطير فهل يستنكر مني أن استشهد لقوم بأحاديثهم الصحيحة المسلمة عندهم وهي التي يقولون عليها في مذاهبهم ؟ وماذا يكون قولهم إذا لم أؤيد مقالتي بشيء من ذلك ؟ أما كانوا يقولون إنها محض رأي له غير مؤيد بشيء من القول ولو كان صحيحا ما خلت أحاديثنا منه فانها تكاد لا تقادر شيئا (لاني والله لفي حيرة من أمرهم !!) على ان كثيرا مما أذكره في مقالتي مروي عن كثير من الصحابة بالاسانيد المسماة عندهم صحيحة والروايات فيه مترادفة تكاد توجب اليقين والقول بأنها جميعا موضوعة لا يكفي عند الباحثين في نشوء الروايات لارواء غلثهم وإشباع نهمتهم في العلم فلا بد إذا من البحث والتنقيب . ولورفض المسلمون الآن ما ألزهم به من الأحاديث بعد تدوينهم لها في كتبهم واعتبارهم لها صحيحة أفلا

(١) حاشية للكتاب — قيل الحجر الاسود هو كتفيل آثار رجال التاريخ العظام احتراماً لهم واجلالاً لشأنهم وجا فيهم كمن يقبل سيف نابليون أودواة شكسير وقطه ان وجدت ولكل أمه آثار موروثه عن رجالهم العظام ويقبلونها وهذا الحجر هو من آثار إبراهيم في بناءه الكعبة ومحفوظ بالتواتر في الامة العربية فلذا قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبل غيره من أركان الكعبة واتبعه المسلمون في ذلك إلى اليوم وإن لم يقل أحد منهم بوجوب ذلك ولم يذكر هذا الحجر في القرآن الشريف . ومن اعتقد أن شيئا من هذه الآثار يضر أو ينفع قد خرج عن عقله وكفر بالله ورسوله . ومن العجيب أن الافرنج يسمون قفيلنا لهذا الحجر عبادة — مع أن القفيل لا يسميه أحد في الدنيا عبادة — ولا يسمون سجودهم لصورهم وصلبانهم وقديسيهم وقديساتهم والخبز في قربانهم — لا يسمون ذلك عبادة لهذه الاشياء مع أنه شتان ما بين السجود والقفيل فانظر وتعجب !!!

يكونون متعسفين ؟ وكيف إذا يكون التميز عندم بين الصحيح والضعيف والموضوع ؟
فاللهم اجعل العقل رائدنا . وأثر بصائرنا . واجعل كتابك هادينا ومرشدا . ونييك
إمامنا وقدوتنا ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المامة

﴿ بكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ﴾^(١)

لحضرة جرجي افندي زيدان

ذكرنا في مقالنا الآتف الامر الأول من الامور التي تؤخذ على المؤلف وهو
» ترده أو انكاره بعض الحقائق التاريخية البديهية في موضع . ونشبهه بتحقيق
بعض الظنون والتخرصات في موضع آخر اعتماداً على أوهام وتخيلات قامت بذمته
قط . ومثلنا للشق الاول من هذا الامر وأدحضناه بما عرفه القراء . والآن نمثل
الثاني ونأتي على بقية الامور التي تؤخذ على المؤلف فنقول :

مثال الثاني — انه عند ما تكلم على دولة البط في بطرا قل عن التوراة وعن
كاهن مبر الفرنسي وعن كوسين دي برسفال وعن آخرين ما يفيد أن الانباط ليسوا
عربا وانهم آراميون اتوا من الشرق فأجلوا الادوميين عن بطرا واحتلوها ثم رفض
كل هذه النصوص والآراء وغيرها من النصوص التي لم يذكرها مما جاء في السفر
الاول من اسفار المكابيين وفي تاريخ يوسفوس من غير ان يذكر برهانا واحدا
على تقضا واستنبط هو بنفسه انهم عرب وذكر لذلك دليلين : الاول ان اليونان
حينما ذكرهم سموهم عربا (ولعله يعني تقسيمهم جزيرة العرب إلى عرب بترية
في الشمال وسعيدة في الجنوب) والثاني ان أسماء ملوكهم عربية . وهما دليلان

(١) تابع لما نشر في ص ٦٨١ م ١١ من مقالة الشيخ أحمد الاسكندري

يتضاءلان امام النصوص التاريخية ولا سيما اذا كان ثمة ما يجعل هذين الدليلين
ينعكسان على غير مراد المؤلف فيكونان حجة عليه لاله . ونحن ننفي أولا هذين
الدليلين ثم نأتي بأدلتنا الوجودية على آرامية النبط أما الدليل الاول فان تسمية
اليونان لسكان الشمال العربي من جزيرة العرب بالعرب البترية هي تسمية جغرافية
كما اننا نسمي ما وراء اسوان بالسودان مع ان أكثرهم عرب لا زنوج وكما نسمي
الصحراء الشرقية من مصر الصحراء العربية مع ان سكانها من البشارية والبقاة
لا يعرفون العربية . على ان جميع ما عرف من حروب القائد اليوناني اتيفونوس وابنه
ديمترىوس أنه وجد حولهم قبائل يظاهرونهم ويستجيبون لصراخهم ويؤيد ذلك
ما نقله حضرة العلامة المفضل جبر ضومط عن يوسفوس (جزء ثالث . مجلد ٣٣
مقتطف) على ان سفر المكابيين من التوراة سماهم نبطا وجعل العرب احلافهم
حينما استعان بهم يهوذا المكابي وهو كان معاصرا لهم أيضا

وأما الدليل الثاني — فان ما عثر عليه من اسماء الملوك العربية لا يثبت ان
الشعب عربي فقد ثبت ان النبط في آخر أمرهم خضعوا للعرب وخصوصا قضاة
وان الملوك الذين عاصروا منهم ملوك اليونان هم عرب حكموا أمة النبط كما يستفاد
من تاريخ يوسفوس . وكما اننا لا نسمي الامم الهندية أنجليزا لان امبراطور الهند
أنجليزي كذلك لا نسمي النبط عربا لان ملوكها في بعض الاحيان كانوا عربا على
ان هذه الاسماء لم تكن خالية من التحريف والصبغة الآرامية والعبرية مع اننا
عثرنا على كثير منها مكتوب بالخط النبطي نفسه لا اليوناني الذي هو مظنة التحريف
واما كون لغة الكتابة عند النبط غير لغة التخاطب فهو ما لم يقر عليه دليل وما كان
أحوج المؤلف الى ذكره لو وجده

أما أدلتنا على ان النبط ليسوا عربا وانهم خليط من الادوميين القدماء ومن
الآراميين الذين جاءوا مع مختصر ومن اليهود ومن العرب فهي :

(١) ما هو مشاع مستفيض عن العرب قبل الاسلام وبعبه ان النبط غير
العرب وانهم كانوا يعيرون العربي بأنه نبطي واعتبر كثير من الفقهاء ان نداء

العربي يا نبطي قذف وسب ناهيك بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل عن نسه قال أنا من بلد كذا

(٢) إن لغتهم لغة خاصة بهم يخالف العربية وتقال حظا من الآرامية وحظا من العبرية وحظا من العربية . بل فيها كثير من اليونانية

(٣) إن جميع النصوص التاريخية من التوراة في إشارة أرميا وحزقيال وفي أسفار المكابيين ما يفيد ان النبط غير العرب وان الآله انتم من الادوميين وضربهم بغارة يختصر فدمر عليهم وأورث الأرض من بعدهم الكلدانيين الذين جاءوا معه من بابل وان النبط كانوا في بعض أديانهم أحلافاً لليهودا المكابيين وانهم استأجروا جيوشا من العرب يظهرونهم وهذا يدل على ان المستأجر غير الأجير

(٤) ما جاء في تاريخ يوسفوس من ان النبط بقوا مستقلين عن العرب الى أيام الاسكندر مانيوس بن اوستو بولوس بن يوحنا هرقاتوس بن سمعان أخي يوناثان ويهوذا المكابي اليهودي فانه بعد وفاة هذا الملك اخضعهم العرب وقام منهم عليهم عدة ملوك كانوا يسمون تارة ملوك النبط وتارة ملوك العرب وان كانت الجنسية متميزة بينهما وبقوا كذلك الى ان استولى عليهم الرومان سنة ١٠٥ م

(٥) حقق كل من كاتمبر الفرنسي وكوسين دي برسفال وغيرهما من علماء الآثار ان سكان بطرا بعد الادوميين هم أم نازحة من العراق وبابل ولا ينطبق ذلك إلا على زمن يختصر اذ سكان بطرا قبل يختصر لم يعرفوا إلا باسم الادوميين وبعده لم يعرفوا إلا باسم النبط مع انه من الثابت ان يختصر أباد الادوميين تحقيقا لوعيد حزقيال وأرميا النبيين من ان الله ينزل عليهم بلاءا ويجعل جبال عيصو خرابا وميرا لاذئاب البرية وانه حارب العرب حتى كاد يقضيهم فلو كان النبط عربا لما استبقاهم فيها فظهر من ذلك أن الانباط بقايا القبائل الآرامية التي سكنها يختصر في بطرا ليكونوا حراسا وقناة تجارة بابل لان فتوحاته كانت كلها تجارية ثم امتزجوا بغيرهم من اليهود والعرب وما يرى في لغاتهم من اللفاظ العربية لايرى على ما يوجد في العربية المضربة من اللفاظ العبرية

علي ان اللغتين أحسن تضعف دلتله عن تدرجه تلك الحلة التي هاجها في

(المراجع ١١٠١) نبط الشرق - الزعم بأن ميثاقا قديمة لم تعرفها العرب ٧٨٣

اكثر من خمس صفحات من كتابه مع يقينه ان المكتوب من آثارهم ليس عربيا
زعم بلا دليل ان لغة مخاطبهم غير لغة كتابهم ثم رجع وقال:

«على اننا لانظن اللغة العربية التي كان يتقاهم بها النبطيون هي نفس اللغة
العربية التي عرفناها في صدر الاسلام ولا بد من فرق بينهما اقتضاء ناموس الارتفاع»
هذا مع علمنا ان النبط دخلوا في حوزة الرومان في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد
واننا نروي كثيرا من شعر العرب وامثالهم منذ القرن الرابع من الميلاد مما يظهر لنا
تمام الاعطاف ان هذه اللغة العربية الفصيحة باعربها واشتقاقها وكثرة اساليبها التي
لا تنتهي قد تكونت بهذه الصورة قبل ذلك بكثير أي وقت ما كان النبط نبطا بل
قبل هذا الوقت ولا سيما اذا علمنا ان اللغة العربية هي لغة أهل بادية وهم أجداد الناس
عن الانقلابات اللغوية كما يصرح بذلك حضرة المؤلف في أكثر من موضع من كتابه
(٦) ان النبط الذين كانوا في الشرق في صحراء الكوفة وعلى ضفاف الفرات

وبقوا متميزين عن العرب الى ما بعد الاسلام بنحو مئة وخمسين سنة هم يشبهون
نبط الشام من أكثر الوجوه بدليل أن ما وجد من آثارهم ومعبوداتهم وخطوطهم
يدل على أنهم من عنصر واحد واطلال تدمر والخط التدمري صنو النبطي تشهد بذلك
فان كان نبط الشام خالطوا قضاة فنبط العراق خالطوا الحماة واما بكرات وغلبي وعبادا
ومن أمثلة الشق الثاني وهو تشبهه بتحقيق بعض الظنون الخ انه عندما تكلم على دول
اليمن ذكر من بينها دولة زعم ان العرب لم تعرفها وهي أهل (معين) وقضى على أثر
ذلك بأن استظهر انها أمة قديمة جدا بتبديء أخبارها منذ أربعمائة قبل الميلاد
امشورهم على أثر قديم من آثار بابل ذكر فيه بالخط المسماري « ان زام سين حمل
على مغان وقهر ملكها مضميوم » واستنتج ان مغان هذه هي مغان طورسينا وأن الميم
في « مضميوم » للتونين وبالطبع يعتقد ان اللفظ حرف واحتزل حتى صار (معينا)
وكذلك نقل عن سفر الاخبار « ان الله أعان عزريا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين
بجوار بل وعلى المعونين » أي المجاورين طبعا للفلسطينيين وكل هذه الحوادث
حدثت في بركة الشام والامة يمانية

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى
ولو كان الشبه بين لفظين يكفى ان يبنى عليه تاريخ ائمتين لهدق لنا ان قول
على التاريخ العناء

ثم اقتضب الكلام ورأى رأيا أخيرا انهم من جالية الآراميين أتوا من العراق
في هذه العصور السحيقة واستعمروا اليمن ثم اشكل عليه الامر بأن المعينين لو كانوا
من العراق لكتبوا بالخط المساري مع ان آثارهم مكتوبة بالخط المسند المشتق من
الفينيقي فلم يرحل لهذا المشكل سوى ادعائه بأنهم استبدلوا بالخط المساري الخط
الفينيقي لسهولة هذا الاخبار في نظره !! ولكن كل هذه المراقبة في القدم لم تمنه من
وصفهم في موضع آخر انهم كانوا معاصرين للسبيين الذين لم يبتديء دولتهم على
رأيه الا في القرن الثامن قبل الميلاد وتقل عن اليونان في صفحة (١١٦) ان هذه
الامم وغيرها كانت متعاصرة وان عاصمتهم (مأرب) لم ينشأ في موضع آخر بأن
القحطانيين السبيين كانوا بعد المعينين أو انهم ورثتهم أو انهم حبشان أو انهم
عماقة جاؤا من مصر هذا الى اضطرابات وتناقضات توقع طالب التاريخ في حيرة
وارتباك يهون عليه معها نبذ كل هذه التخربات والاعتقاد بأن كل هذه الامم كانت
قبايل متجاورة في مخاليف متقاربة أعظمها مأرب

الامر الثاني من الامور التي تؤخذ على المؤلف — تناقض عبارات كتابه في

عدة مواضع

منها ادعاؤه ان اسماء ملوك حمير لم يكن بينها اسماء عدنانية حتى قال في صفحة
(١٦٦) لم نجد لذلك أثرافي الآثار المنقوشة ثم قل في صفحة (١٥٩) اثر اعظيما لا برهة
الحبشي وفيه يسمي ولائه من حمير واقبالهم يزيد وكبشة ومرة ونمامة وحشاشا وعمرند
كما تقدم

ومنها تناقضه في ان الجبائين لم يعرفهم العرب بل عرفهم اليونان وحدهم ثم ذكر
في صفحة (١٣٤) ان الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قال «جبا مدينة المناخر
وهي لآل الكرندي من بين ثمامة آل حمير الاصغر» مع ان اليونان لم يذكروهم بأكثر
من انها قبيلة تجارية

ومنها تناقضه في استظهار أن السبئين حبشان ثم ذكر في صفحة (١٣٦) ان المعينين القادمين من العراق قتلوا معهم حضارة العراق ونظام حكمته وقسموا اليه الى محافد وقصور وطعموا في جيرانهم واخضعوهم وانشأوا الدولة المعينية والسبئية والحيرية

ومنها تناقضه في ان المعينين لم تعرفهم العرب مع انه قل في صفحة (١١١) عن الهمداني في كتاب الاكليل ان « محافد اليمن براقش ومعين وهما بأسفل جوف الرحب مقتبلتان فمين بين مدينة نشان وبين درب شراقة » وروى ان مالك بن حريم الدلاي يقول فيها

ونحى الجوف مادامت معين بأسفله مقابلة عرادا
وفيهما وفي براقش يقول فروة بين مسيك

أهل يحارب جدي عطيفا معين الملك من بين البنينا
وملكنا براقش دون أعلى وانهم اخوتي وبني ابينا

ومنها تناقضه في أن العرب لم يعرفوا دولة النبط في الشام ثم ذكر في عدة حوادث انهم عرفوها خصوصا في صفحة (٧٩) حيث قل عن ابن خلدون وحزبة الاصفهاني معرفتها لنبط الشام وان بطرا كانت نسي بعد الاسلام الرقيم ولم فيها شعر هذا الى مناقضات كثيرة لا تسع سردها ولا تفصيلها هذه العجالة

الامر الثالث من الامور التي تؤخذ على المؤلف جسارته على وضع الاسماء والتقسيمات التاريخية مع ضعف الاستظهار كتقسيماته أدوار تاريخ العرب وكسيميته الامة التي سماها استرابون اليوناني جرهين بالهريين نسبة الى قرية وهي اسم اليمامة قديما وهم الذين قال فيهم استرابون « انهم أغنى أهل الارض ويكثر من آنية الذهب والفضة ويزنون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والاحجار الكريمة » فتي كان أهل اليمامة أغنى أهل الارض ومتى كان لهم جدران تزين بالذهب والفضة والاحجار الكريمة ؟ اليس كلام استرابون أشبه بالخرافات التي قال عن مدينة شداد بن عاد (إرم ذات العماد) التي يكت حضرة جرجي افندي زيدان جملة مؤرخينا على ذكرهم (المتارج ١٠) (٩٩) (المجلد الحادي عشر)

لها ! ولكنه لا يكت استرابون بل لم يكنف بقوله حتى حرف لفظه (جرها) بلفظ (قرية) وجعل اهلها دولة لم تعرفها العرب وفتح بابا لها خاصا في كتابه ورسومها على المصور الجغرافي !!

الامر الرابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف ارتياب القارئ في تهجينه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة كفتوحات شمر برعش وأسد ذي كرب في آسيا وأفريقس في أفريقيا وحسان بن تبع . وتصديقه خرافات استرابون وهيريدوت مع انها لم يدخلها بلاد العرب ولم يراها . واقرأ ما نقله عن استرابون في صفحة (١٣٨) تتحقق صدق ماقول وهذا نصه :

« و ذكر استرابون ضربا من الاشتراكية عند أولئك العرب غرياني بابيه فبعد ان أورد اشتراك كل عائلة بالاموال والمنافع بين أفرادها وان رئيسها أكبر رجالها سنا قال : والزواج مشترك عندهم يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل منهم اليها أولا ترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم وقد يأتون أمهاتهم ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت . كان لاحد ملوك العرب ابنة بارعة في الجمال لها ١٥ أخا كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منعهم بعصي اصطنعها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته . فكانت إذا خرج أحدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعها على مثلها فيتوهم سائر الاخوة أنه لا يزال عندها وقد يجيء أحد يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا . فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعا في ساحة ورأى أحدهم ياب أخته عصا وليس من إخوته أحد غائبا فظن فيها السوء فشكاها إلى أبيها ولما اطلع على عذرها برأها . هذه حكاية استرابون ولم نذكرها إلا لترايتها ولا نعلم مقدار ما فيها من الصحة » اد

يذكر هذه الحكاية هنا بالتفصيل ويعتذر بهذا العذر مع انه عند ما يقتضي المقام شيئا صحيحا تاريخيا عن العرب يدبجه ويحجل فيه ويحيل القارئ على الكتب الاخرى !!

الامر الخامس سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله في صفحة (١٠) أقدم المصادر العربية المدونة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن (٩) الامر السادس من الامور التي تؤخذ على المؤلف انه أغفل مدة حكم الفرس على اليمن بعد ذي يزن فلم يذكر أحدا من عمالهم مع ان عمال كسرى استمروا يحكمون اليمن الى الاسلام فكان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن الى الاسلام الامر السابع من الامور التي تؤخذ على المؤلف كثرة شكه وتردده وتناقضه في اكثر الحوادث حتي انه لا يرى المطلع على كتابه خبرا مبرهنا على صحته بدليل مقنع ويظهر ذلك ظهورا بينا في آرائه الخاصة واجتهاداته التاريخية الامر الثامن من الامور التي تؤخذ على المؤلف تخريجه الاعلام تخريجا غريبا قال ان اسم امرئ القيس يظنه محرفا عن مرقس ١١ وان اسم الحارث ربما كان ترجمة جيورجيوس واسم صخر ترجمة بطرس ١١ الخ ما ذكر من التخريج الامر التاسع اختصاره التاريخ جدا وهو أحد العيوب التي عابها على مؤرخي العرب فلم يسلم هو منها والكمال لله وحده

أَنَّكَ عَلَى الْحَسَنَةِ

ترجمة الخنساء (*)

هي السيدة ثمأضر الصباحية الشهيرة الجليلة بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من سرة سليم ، كانت رضي الله عنها من شواعر العرب المشهود لها بالتقدم ، وإنما لقبت الخنساء تشبيها لها بالظبية لان الخنفس من صفات الظباء وهو تأخر

(*) خلاصة درس اقامه على طلاب مدرسة القضاء الشرعي الشيخ محمد المهدي الاستاذ المشهور المدرس بمدرسة القضاء

الانف عن الوجه مع ارتفاع في الارنية ، ويقال لها خناس على سبيل التلميح ، وقد كانت من أجل نساء العرب وأقصمهن ، نشأت عزيزة حرة لاتفتات عشيرتها عليها بأمر مربها دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد بني جشم وهي تنها بغيرها لها فالتحلم له على كبر سنه وانصرف الى رحله وهو يقول :

حيوا ثَمَاضَ واربعوا صبحي وقفوا فان وقوفكم حسي
أخانس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تيل من الحب
ما لم رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أيتق جرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع القب (١)
متحسرا نضخ الهناء به نضخ العير بريلة المصب (٢)
فслиهم عني خناس إذا غض الجميع هناك ما خطبي

ثم غدا إلى أيها فخطبها إليه فودته أحسن رد ثم طلب إلى أخيها معاوية أن يشفع له عندها فأبته بعد امتحانه وقالت : أترك أولاد عمي ككوالي الرماح وأنزوج شيخا من بني جشم هامة (٣) اليوم أوالند !! فألح عليها فقالت القصيدة التي مطلعها أتكرهني هبت على دريد وقد أصفحت سيد آل بدر
معاذ الله برضعني جبركي قصير الشبر من جشم بن بكر (٤)
فهبها دريد فقبل لها الاتحييدته ؟ هالت والله لا أجمع عليه أن أردده واهجروه

ومن هنا تعلم مقدار أدبها وحرمتها وعزتها عند قومها وقد كانت في أوائل أمرها تقول اليتيم والثلاثة فلما قتل شقيقها معاوية يوم حورة الأول سنة ٦١٢م وقتل أخوها لا يها صخر يوم كلاب سنة ٦١٥م في خبرين طويلين ، أكثرت من الشعر واجادت وأنسبت بهما من كان قبلها واكثرت المراثي ، وأجود مراثيها ما خلط فيه مدح بتنجيع فانه يكاد يكون الغاية من كلام الخلوقين ، كقولها في معاوية :

(١) الهناء : القطران ؛ والقب : القطع المتفرقة من الجرب في جلد البعير
(٢) النضخ كسفع : الرش . والعير اخلاط من الطيب والريطة هي الملاعة
أو الثوب اللين الرقيق ، والمصب : ضرب من البرود (٣) الهامة طائر صغير يألف
القبور (٤) الجبركي : القصر الرحلين الطويل الظهير . والشبر : الخبر والعطاء .

سأحمل نفسي على حالة
 نهين النفوس وهون النفو
 فأن تك مرة أودت به
 فيوما تراه على هيكلك
 ويوما تراه على لذة
 فخر الشوامخ من قدومه
 وكقولها في صخر

الا يا صخر ان أبكيت عيني
 دفعت بك الخطوب وأنت حي
 اذا قبح البكاء على قتيل
 وقولها فيه

أعني جودا ولا تمجدا
 ألا تبكيان الجري الجليل
 طويل التجاد رفيع العما
 اذا القوم مدوا بأيديهم
 فال الذي فوق أيديهم
 يحمله القوم ما عالمهم
 وان ذكر المجد الفيتة

ألا تبكيان لصخر ندى
 ألا تبكيان القى السيدا
 د ساد عشيرته امردا
 الى المجد مد اليهم يدا
 من المجد ثم مضى مصعبا
 وان كان أصفرهم مولدا
 تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها :

يا أم عمرو ألا تبكين معولة
 فابكي ولا تسأمي نوحا (١) مسلبة
 فقد فجعت بميمون قهينته
 فمن لنا ان رزئناه وفارقنا
 قد كان سيدنا الداعي عشيرته

على أخيك وقد أعلى به الناعي
 على أخيك رفيع الهم والباع
 جم الخارج ضرار وفساع
 بسيد من وراء القوم دفاع
 لا تبعدن فتم السيد الداعي

ورائيتها المشهورة التي تقول فيها

كأن لم يكونوا حمى يتقى
هم منعوا جارهم والنسا
بييض الصفاح وسمر الرماح
وخيل تكدمس بالدارعين
جززنا نواصي فرسانها
فن ظن بمن يلاقي الحروب
نعف ونعرف حق القرى
ونلبس في الحرب نسج الحديد
ورائيتها السائرة مسير الامثال

اغر ابلج تأتم الهداة به
جلد جميل الحيا كامل ورع
جمال الوية هباط أودية
لا يمنع القوم ان سالوه خلعت
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروم سمار
شهاد اندية للجيش جوار
ولا يجاوزه بالليل مرار

وقد فاخرتها سلى الكنانة وكذلك هند بنت عتبة في عكاظ فقهرتها

في حديث مشهور

رتبة الخنساء بين الشعراء

اجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قط قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها
ولقد كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حراء فيجلس لشعراء العرب بمكاظ على
كرسي فيشدونه ، فيفضل من يرى تفضيله ، فأنشدته الخنساء فأعجب بشعرها وقال
لولا أن أبا بصير انشدني آتفا لفضلتك على شعراء الموسم . فاعتاظ حسان بن ثابت
(رض) من تفضيل الاعشى على شعراء الموسم وقال للنابغة انا أشعر منك ومن
أيك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسع
ثم قال للخنساء انشدنيه فأنشدته فقال ما رأيت امرأة أشعر منك قالت ولا خلاه

قال حسان أنا والله أشعر منك ومن أيك حيث أقول
 لنا الجفئات النر يلعن بالضحي وأسيفنا يقطرون من نجدة دما
 ولدنا بني السقاء وابني محرقى فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنا
 هالت الخنساء ضغت افتخارك وأنزته في ثمانية مواضع، قال وكيف!! قالت قلت
 لنا الجفئات والجفئات مادون العشر هالت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر،
 وقلت النر والفرقة البيضاء في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر، وقلت يلعن
 واللعن شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت بشرق لكان أكثر لأن الاشتراق أكثر
 من اللعان، وقلت بالضحي ولو قلت بالدجى لكان أكثر في المدح، لأن الضيف
 بالليل أكثر طروقا، وقلت أسيفنا والأسياف دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان
 أكثر، وقلت يقطرون فدللت على قلة القتل ولو قلت يسبلن لكان أكثر لأن صبب
 الدم، وقلت دما والدماء أكثر من الدم، وغررت بمن ولدت ولم تغفر بمن ولدك!!
 فسكت حسان ولم يجر جوابا وقام منكسرا مقطعا، وقد سئل جرير من أشعر
 الناس؟ فقال أنا ولا الخنساء، قيل بم فضلك؟ قال قبولها

ان الزمان وما يقضى له عجب ابقى لنا ذنبا واستوصل الراس
 ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
 وكان يشار يقول: لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه قليل له او كثره
 الخنساء؟ قال تلك غلبت الفحول

الخنساء في صدر الاسلام

اتفقت كلمة الرواة على ان السيدة تهاضر الخنساء رضي الله عنها كانت صحابة
 قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وقومها بنو سليم واسلمت معهم، يد
 انها لم تدع ما كانت عليه في الجاهلية من تسليها (١) على ايها واخويها، وقد بلغ من
 وجدها على صخر انها عمت من البكاء، فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه اقبل
 بها بنو عمار عليه وقالوا يا أبا عبد المؤمنين لو نهيتها، فدخل عليها فوجدناها على ما وصفت
 من هرج مأكيها، فقال لها ما اقترح ما في عينيك يا خنساء؟ قالت بكائي على السادات
 (١) تسلب المرأة ليست السلاب وهو الحداد والسلب هو الإحداد على الميت

من مضر ، فقال حتى مني ؛ أتق الله ان الذي تصنعين ليس من صنع الاسلام ،
وانه لو خلد احد غلظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الذين تبكين هلكوا
في الجاهلية وهم اعضاء الاله وحشو جهنم ، فالت ذلك أطول بمويلي عليهم ، ثم
استندها فأشده ارتجالا :

سقى جدنا أكتاف غمرة (١) دونه من النيث ديمات الربيع ووابه
وكنت اعبر الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
فرق لها عمر وقال خلوا سبيل عجزكم فكل امرئ يبكي شجوه
وقد وآهامة تطوف باليت محلوقة تبكي وتعلم خدعا وقد عقلت فعل صخر
في خارها فزعظها وقال انه لا يصل لك لعلم وجهك ، ولا كشف رأسك ، فكفت
عن ذلك وقالت

هريق من دموعك واستغني وصبرا ان احقت ولن تطيعي
بماقية فان الصبر خير من التلين والرأس الخليق
ولا لامتها السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقالت لما ان الاسلام قد
هدم كل الذي تصنعين انشأت قول :

الا يا صخر لا انساك حتى أقارن مهجتي ويشق رمسي
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذا كره بكل مغيب شمس
قلولا ككرة الباكين حولي على إخوانهم قتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي
قد ودعت يوم فراق صخر أبي حسات لذاتي وأنسي
فالت عائشة ما دعاك الى هذا الا صنائع منه جميلة ، فالت نعم ان لشعاري
سببا ، وذلك ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر باقداح ، فالت فيها ماله
حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فالت له أقم وأنا آتي أخي صخرا ، فأبته
وشكرت اليه حالنا وقلة ذات اليد بنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي قامر به قمر
حتى لم يبق لنا شيء ، فمدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالنا فساد لي بمثل ذلك

(١) غمرة مكان والاكتاف التواحي

فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة خلت بصخر امرأته فعدله ، ثم قالت ان زوجي مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء ، فان كان لا بد من صلتها فأعطها أخس مالك فأتى هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشأ يقول :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر صدرها (١)

ثم شطر ماله فأعطاني أفضل شطريه ، فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت . وقد مكثت أكثر من أربعين سنة وهي أحزن نساء العرب على فقيد ، غير أن الاسلام اجتث جاهليتها ووجهها الى رضوان الله وابتغاء مثوبته ، يشهد لذلك ما كان من خطبتها في بيئها الاربعة يوم القادسية سنة ١٦ هـ وذلك انه لما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت مع بيئها الاربعة وحضرت الوقعة وأوصت أولادها من أول النهار فقالت : يا بني انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أبائكم ولا فضحت خالكُم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيبت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا) الآية فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لظى سباقها ، وجلت نارا على أرواقها ، فقيموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، عند احتدام خميسها ، تظفروا بالمقيم والكرامة ، في دار الخلود والمقامة . فقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجعني بهم في مستقر رحمة . ولما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أجرى عليها أرزاق

(١) الصدر ثوب بلاكين غير مشقوق تلبسه نساء العرب في الحزن ويصح

أن يطلق على ما يسميه المصريون الصديري والشاميون النصدري

أولادها الاربعة وكان لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضي الله عنه ، وكانت وفاة الخنساء زمن معاوية بالبادية سنة ٥٠ هجرية ٦٧٠ ميلادية

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ

حادثة صاحب المجلة بطرابلس الشام

(أقوال الصحف فيها)

لم تكن الرسائل البريدية والبرقية التي وردت على منشي هذه المجلة وهو في سياحته معلنة الاسف العظيم لوقوع حادثة الاعتداء بطرابلس — بأكثر مما ورد على إدارة المجلة من سائر انحاء القطر المصري ومن الشرق والغرب وسوريا أيضا والاستانة وكلها تبدي الاسياء الشديد والتعريض والتنديد وتنهى صاحب هذه المجلة بسلامته مما كيد له وتعدت نجاته غاية من الله بالعلم والاسلام واننا كما بدأنا الشكر للكاتبين الأولين نعيد الثناء عليهم وعلى الآخر بن

وقد تناولت هذا الموضوع جرائد سوريا ومصر الكبرى باهتمام زائد وإلى القراء ما كتبه بهذا الشأن :

شاع أمس في الثغرانه بوصول الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشي المنار الأغر إلى طرابلس تصدى له بعضهم وضربه بمصا فخرحه في رأسه ثم ابتدره باطلاق الرصاص فاختطأه فكان لهذا الخبر رنة أسف لدى الجميع ، وانا نبشر الكل بان الاستاذ في سلامة وعافية والحمد لله وهذا نص : تفراف تلقيناه في هذا الصباح من طرابلس بتفصيل الحادثة :

« وصل الاستاذ الرشيد مساء الجمعة فكان له استقبال حافل وعدد المستقبين بر بوعلى الحسبائة شخص ، أرسلت شعبة جمعية الاتحاد والترقي العثماني عربية

خصوصية لركوبه والموسيقى الوطنية فوصل البلدة بكل احتفاء تحفه الاهل والاحباب إلى ان اقترب الجميع من سوق الطارين قصدى كامل المقدم الذي كان ضرب صالح وأدهم رضا سابقاً ووقف امام الاستاذ وابتدره بضربة على رأسه بمصا فلم تصبه تماماً فأراد أن يضربه ثانية فلقاها الشيخ محمد الراضي بيده وتمسك بالمصاحف أخذها من كامل فما كان منه إلا أن أشهر مسدسين وخطر كل من يقترب منه بالموت العاجل فاقرب منه رجل لم تؤثر به تلك التهديدات وأراد رده فاطلق عليه عيارا ناريا فلم يصبه وبعد ذلك فرّ

وقد كان الاستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بصد ذلك لدار الشيخ محمد الراضي ولم يزل هناك

لم يهتم كما يجب من يدهم أمر الضبط، الكدر عمومي من جراء ذلك، الاستاذ لم يبد عليه أثر كدر بل يحمل ذلك بصبر كما هي عادته . لم يبق أحد من الوجوه إلا وقد هرع للسلام عليه . أمور الحكومة ليست هي على ما يرام وقد استغنى أكثر أفراد الضبطية ، التفصيل بالبوطة »

فمنئذ صديقتا الاستاذ بسلامته ونطلب من الحكومة بكل إلحاح التحري على المعتدي ومجازاته أشد المجازاة تنكيلا له وارهبا لغيره (الاتحاد العمالي)

كتب إلينا من طرابلس أن حضرة العلامة السيد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار وافى الفيحاء مساء الجمعة الماضي على انه قبل وصوله إلى الدار المعدة لتزوله هجم عليه أحد الاهالي وضربه بمصا على رأسه رغما عن شدة ازدحام الناس الملاقين حوله . ثم اطلق عياره الناري في الهواء وأخذ يطوف في الاسواق كأنه لم يأت شيئا مذكورا

تقول وهذه الحادثة السيئة غريبة في بابها ولا نظن الذي أقدم على هذا العمل الفظيع إلا مغرئ مدفوعا يد أعلى ففسى أولياء الامور ان يبخشوا ليقنوا على الحقيقة لكي يقطعوا تلك اليد أو يقيدوها على الاقل (لسان الحال)

صرف حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية ١٢ سنة في القطر المصري بعيدا عن أهله ووطنه وأصاب أهله وذويه ما أصابهم من اضطهاد المتدين كما يذكر أكثر قراء هذه الجريدة التي وقفت وقتئذ في وجه الظالمين وقفة طويلة. ولما أعلن الدستور سافر السيد رشيد الى طرابلس فر بيروت حيث قبول مقابلة شاققة جديرة به وبعد الاقامة في بيروت اياما سافر الى طرابلس فوصل مساء الجمعة ٢٩ الماضي . فنزل لمقابلته على ظهر الباخرة جمهور من مشايخ طرابلس واعضاء جمعياتها وجمهور من أهالي القلمون . وكان في انتظاره على الرصيف خلق كثير ومهم الموسيقي فاستقبلوه بكل اجلال وأعدت له في الترام عربة خاصة ركب معه خواص الحمين وهكذا سار موكب المقابلة بين عزف الموسيقي واطلاق البارود الى منزل فضيلة مضيئه الاستاذ الشيخ محمد الرافعي حيث توافد العلماء والوجهاء للسلام عليه . وحدث في في اثناء الطريق ان شقيا من أشقياء طرابلس المشهورين هجم على السيد رشيد بعصا وضربه بها فأصابته شطر رأسه ولم تؤلمه

فهجم الجمهور على ذلك الشقي كامل المقدم فأخذ باطلاق النار على الجمهور وفر هار با وكان هذا العمل مدعاة للمغامرة بالسيد رشيد ووردت عليه تلافقات التهنتة من والي بيروت وجمعية الاتحاد والترقي والوجهاء والاعيان والعلماء . وزاره القومندان واعرب عن اسفه وظهر ان الشقي مدفوع بأيدي اناس من الحساد ثم زار القومندان والضباط واعضاء نادي جمعية الاتحاد والترقي السيد رشيدا وطلبوا منه ان يحضر الاجتماع الذي عقد في النادي ففعل وألقى خطابا جميلا كان له احسن وقع وقد اهتم والي يبرت بالاعتناء على السيد رشيد اهتماما عظيما فأرسل وكلاء لتصرفية طرابلس وأمره بالقبض على الجاني فنحن اذا شكرنا أعيان طرابلس للحفاوة بعالم منهم هو فخر بلدهم بلا نزاع ولا جدال فاننا نأسف لوجود انذال في تلك المدينة يحرضون السفاحين على ارتكاب مثل هذه الجنايات وأملا ان يعاقب والي بيروت ذلك الشقي والذي أغروه عقابا صارما شديدا يكون عبرة لسواهم (الاهرام)

اعتداء دهم — ورد كتاب من طرابلس ينبي بأن أحد الاشقياء المدعو كامل

المقدم هجم على حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضا صاحب المنارينا كان جمهور عظيم يحتفل بقدمه وضربه بمصاعلي رأسه ولكن فضيلة الشيخ محمد كامل الرافعي تقى العصا قبل ان تصيب السيد رشيداً بسوء . فكان للحادث وقع كبير وازداد على أثره ميل الجمهور الى السيد رشيد وكتبت لجنة الاتحاد والترقي في بيروت الى لجنة سلانيك تستشيرها في إعلان الاحكام العرفية في طرابلس بعدحادثة السجن وهذا الحادث الموجب للاسف . أما الجاني فاهمة مبذولة للقبض عليه وعلى من يظهر التحقيق اشتراكهم معه ولقد طلب والي بيروت قوة عسكرية من دمشق لاستخدامها عند الضرورة في توطيد الامن

* * *

(الجريدة)

اتانا من غير مكاتبتنا في طرابلس الشام ان حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وصل اليها يوم الجمعة الماضي فاستقبله جمهور كبير من العلماء والاعيان ورجال جمعية الاتحاد والترقي على ظهر الباخرة ووقفت الناس على المرفأ لرؤيته واعدت له الجمعية عربة خصوصية ركب فيها والموسيقى تصدح امامه حتى قرب من دار الشيخ محمد كامل الرافعي ففجأه هناك شقي اسمه كامل بن عبد الرحمن المقدم بضربة عصا على رأسه ولكنها لم تكد تصيبه حتى تلقاها عنه العلامة الرافعي ونزعها من يد ذلك الشقي . فشهّر هذا مسدسين وجمل يطلقهما على الجماهير التي حاولت صده ثم فر هارباً ولم يصب أحد بسوء . والحمد لله . وظل حضرة الاستاذ مع ذلك ساكناً رابط الجأش كما ينتظر من امثاله من ذوي النفوس الكبيرة . وقد وردت الرسائل من انحاء سورية تهنته واستنكار فعلة ذلك الشقي . وقد طير البرق خبر ماجرى الى دولة والي يبرت وجمعية الاتحاد والترقي فيها فأرسل دوتة الوالي وكلا لمتصرفية طرابلس وطلب قوة عسكرية من دمشق بعدما ظهر احتياج طرابلس الى زيادة عساكرها وأوصى دولته بالقبض على الجاني الذي قال انه فعل ما فعل باغراء واحد من اقاربه . ولا يزال العلماء والوجهاء وكبار رجال الحكومة يؤمنون منزل الشيخ الرافعي لتهنته ضيفه الكريم بالقدوم والسلامة

* * *

(المقطع)

كان حضرة الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر قد

سافر في الاسبوع الفائت إلى بيروت ومنها إلى وطنه طرابلس الشام بعد أن حالت الأحوال الماضية دون ذهابه إلى وطنه زمنا طويلا. وقرأنا اليوم في جريدتي الاتحاد العثماني والأحوال ما خلاصته ان حضرة الشيخ رشيد رضا وصل إلى طرابلس مساء الجمعة في ٢٥ الماضي فاحتفل باستقباله حتى إذا اقترب من سوق العطارين تصدى له كامل المقدم (وفي رواية الأحوال انه عبد القادر مؤذن) وابتدعه بضربة على رأسه وضربة ثانية فتلقاها الشيخ محمد الرافعي ونزع العصا من يده فإذ كان من الرجل الا أن أشهر مسدسين ثم أطلق عيارا ناريا فلم يصب أحدا وأركن إلى الفرار وقد كان الأستاذ أدخل إحدى الدور القريبة فأخذ بعد ذلك إلى دار الشيخ محمد الرافعي ولم يزل هناك وقد اتفقت الأحوال والاتحاد العثماني على توافي من يدهم أمر الضبط في هذه الحادثة . والمؤيد يأسف لهذا الحادث ويستنكر هذا الاعتداء ويرجو أن يكون ناشئا عن تهوس فرد واحد فقط وأن يتمتع حضرة صاحب المنار بكل هناء وسرور في زيارته لوطنه

(المؤيد)

الدولة العلية وبلغاريا والنمسا

ما أكرر العبر في أعمال البشر وما أقل المتعبرين ! إن الخطيئة التي يأتيها الفرد في بيئة عسى لا يشعر بها أحد أو الذنب الذي يصدر من بدوي في العراء لا يحس به سوى خليفه أو رهطه قد يصدر من أمة برمتها ، وتأتيه حكومة بعد تقريره في دار ندوتها ! ! وإن ما يمر على الذاكرة من اشياء هذا ونظائره كثير جدا ولكن قل من يتدبر ويعي ، ذلك ان أعمال الافراد لا يلاحظها إلا علماء الاخلاق والاجتماع وهم أطباء النفوس والامم ، ولكن أعمال شعب بأسره بما لا سبيل إلى كتمانها وخفائها، بل هو مما يصل إلى كل حس ويقع تحت كل نظر

يقول الفلاسفة الاجتماعيون ان اقرار مجموع عاقل على الخطأ مستحيل ولكن هذا القول لا يصحح على إطلاقه إلا اذا كنا نذهب الاحتلاس في عرف الفلاسفة

أمرًا حلالًا طيبًا، والحق الذي لامرأ فيه أن الإنسان مهما استكنه أحوال البشر فإنه لا يحيط علمًا إلا بجزء يسير من كلِّ كبير، وعليه فلا تريب على من قال وهو يظن نفسه مصيبًا، بل على من فعل وهو يوقن أنه مخطئ،

أعلنت النمسا في السابع من أكتوبر الماضي أنها ألحقت مقاطعتي بوسنة وهرسك بمملكتهما وانما صارتا بهذا الالحاق جزءًا منها !! قلب هذا الحادث كيان السياسة الأوروبية وحول انظار الدولة الدستورية الجديدة إلى ما يراد بها فصرفها عن القيام بالإصلاح الداخلي، وكانت بلغاريا سبقها فأعلنت استقلالها قبيل ذلك بيومين، فكان هذا وما سبقه صادفًا بالدولة العلية عن الاهتمام بما تقتضيه أحوال البلاد الداخلية بله الخارجية

توقع الناس من وراء هذا الانقلاب المفاجيء في عالم السياسة حربًا ضروسًا تشتعل جذوتها في (ترنوفو) ثم تمتد إلى سائر أنحاء شبه جزيرة البلقان، وتنبأ فريق بأن ذلك قد يجعل بعض دول أوروبا الكبرى على خوض غمراتها، فيمكن أن ذاك من جناتها وكنائسها، وفي ذلك من الولايات والمصائب ما فيه على أن هذا الفكر والذهاب إليه ليس من باب الحسد والتخمين، ولولا حلم الدولة الدستورية الجديدة وأناة الامارة النزقة لحلم الأمر وجف القلم، ولكننا الآن نكتب بدل هذه الكلمات أخبار الفلج والخلدان

عظم على النمانيين صنع بلغاريا والنمسا واستغرب صدورهم آخرون، على أنه لا محل للفرابة فإن بلغاريا تحفز لهذا الأمر منذ أمد بعيد، وإنما دعاها إلى التسرع ما توقعه من سيدها (الدولة العلية) إذا هي استجمعت قواها ومضي عليها نصف عقد من الأعوام وهي دستورية حرة، فلما إذ ذاك تخشى أن تعيث بحقوقها وتستهن بسيادتها فأسرعت إلى اعلان استقلالها وهي تكاد لا تتوقع من وراء ذلك إلا احتجاجًا يتلوه سكوت ورضى، لأنها مستيقنة بأن رجال الدولة العقلاء لا يرون من الصواب الدخول في حرب أقل ما يخشونها فيها من الخسائر أن تقلب الحال إلى ما كانت عليه — لا قدر الله — وفي ذلك البلاء ألم والمصائب العم

إن استقلال بلغاريا يتألم له النماني الصادق ولكنه ليس مما يؤبه له في الحقيقة

فان بلغاريا قد استقلت فعلا في أيام حكومة الجواسيس الخائنين ، فليس من الكياسة ان يجعل استقلالها قولاً من المصائب التي نزلت بالعثمانيين ، على اننا ربما ننال شيئاً من حقوقنا التي اغتصبناها من قبل بسبب هذا الاستقلال
الا أن صنع النمسا لهو شر صنم يقع أو يتصور ، وشر منه أقوالها بعد وقوعه ، ومن العجيب أن يكون القول انكى من العمل !

لم تكد هذه الدولة التهمة تعلن الحاق هاتين المقاطعتين بمملكتها حتى قام العثمانيون من سائر النحل والملل في كل أرض يتبوأونها يعلنون استيائهم واستهجانهم عمل النمسا ، وعز عليهم أن تؤذيهم بالفعل وأن يؤذوها بالقول فصموا على الاعراض عن مشتري سلمها ، وهذه الحرب الاقتصادية — كما يسمونها — من أجل ما تحارب به أمة عدوا لها ولا سباً إذا كان هذا العدو كالنمسا : أمة تجارية بحتة . ومن دلائل الحياة في الامة العثمانية اجماعها على ذلك في جميع بلاد الدولة ، فقد كانت البواخر النمسية تنادر الاسنانة كما تنادر بيروت ويافا واللاذقية وغيرها من دون ان تأخذ شيئاً أو تعطي شيئاً حتى أضبارات البريد ، وغلا كثيرون في ذلك قطعوا يمزقون مالدبيهم من الملابس النمسية على كونها — حال تمزيقها — ملكاً لهم !!! وكان لمصر وغيرها من مدن القطر حظ من هذا العمل ، فكان لمجموع هذا الاعراض أو المقاطعة — كما يقولون — تأثير شديد في معامل النمسا ومصانها حداً بالكثيرين من اصحابها الى مخاطبة حكومتهم ناعين عليها ذلك الالحاق ، الذي يخشى ان يؤدي الى إملاق أي إملاق ، فما كان من هذه الحكومة المنصفة (؟) إلا أن أوعزت الى معتمدها في الاسنانة بأن يمتنع على حكومتها !!! طالباً منها حمل رعبنا على نبذ المقاطعة !!! هذا هو القول الذي قلنا عنه فيما تقدم انه انكى من العمل ! اليس من الاعاجيب ان تقرر النمسا في دارندوتها الحاق بوسنه وهرسك بمملكتها وسلباً من الدولة العلية جهاراً وتحظر على الامة العثمانية أن تسير وراء ميولها ورغائبها ؟ ان من المتعذر على دولة مستبدة ان تحمل رعبنا على مشتري سلعة دون أخرى قسراً فكيف يكون ذلك ميسوراً لحكومة دستورية ؟ ان في هذا لمواطن للعبر ومواضع للتذكير فهل من معتبر أو مذكر !!
حسين وصفي رضا

يقضي الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابصار

المسحاة

١٣١٥

فبشر جادى الذين يستمعون القول فيستغيروا
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « متارا » كثار الطريق ﴾

﴿ مصر - الخمس ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦ - ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ ﴾

الاسلام والمدنية الحديثة*)

هل يتفقان ؟

اني اخذت موضوع البحث في الاسلام لأول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسيين : الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية الاخرى اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطئ البحر الايض المتوسط فضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب . والثاني لأننا نحن الفرنسيين نفيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلها لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليوناً من المسلمين ولكن الانكليز لا يختلطون بهم اختلاطاً دائماً وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لا يختلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطاً يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوريون لا يقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الافريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تقدم على غيرها من المسائل الاخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم لا يكون الاستثمار موطن الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة تجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلسي وخليج قابس

*) خطبة لموسيو رينيه ميليه اقراها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فأرنا تلخيصها لقراء المتارلا فيها من الحقائق والانصاف

(المراجع ١١م ١١) الافرنجيتونهم بالشرقين والاسلام . الاسلام سرعة انتشاره ٨١٩

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنًا وأهم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تمامًا وأذكر انني كنت أسمع وانا يافع ان الامم الآسيوية لا تقوم لها قائمة وانها ستبقى وازحة تحت اعباء الانحطاط والجمود ، وفي الغالب كانوا يلصقون الهتين معا بها على ما فيها من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لا بد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لا نزاع فيها ان الصين أمة جامدة وان اليابان أمة ليس لها الامنية سطحية وان الهند لا يمكن أن تصلح شؤونها وكانوا ينهون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن مواهقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والقضاء والقدر ولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسمها كبرياء الغربيين قديتين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكن دوت في اقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكننا عليها بالموت والجمود يقفلة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستورًا وهاهي الاسنانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعه وما كان يحظر يال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطرأ تغيير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لا بد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجديدًا من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شينها بتهمة الخمول التي ألصقوها باليابان ومالبت أن اضمحلت وظهر بطلانها ١١

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي يتشع ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لا تتجاوز مالبته وقد أصبحت هذه المسألة لا نزاع فيها ولكن ماذا هؤلاء اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع بطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها ومن ذلك انه أنشأ بقوة الذاتية وبالهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم للمتدينين دمشق

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومترا وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم
فاذا كانت مدينة الاسلام هي تلك المدينة الجامدة المزعومة فيجب علينا اذ ذاك أن نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدة خلافا لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء ما يبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنة في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم (٤) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوامير الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلّت في كل مكان عكس ذلك فن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية وقودها معنا في طريق المدينة وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم
ان اماننا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكسب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر مهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة صالة المؤمن يشدها إلى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقتناع قوما بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها (الاولى) اتني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام لستنا بحاجة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

منها (والثانية) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يحميدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشراح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلو عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور يزنابطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القراول على الدولة البيزنطية من المشاكل أعقدها .

ولقد كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان دينيا يتطلع الديانات الاخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البيزنطية باب الاكلام والمهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطرة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعضع ملكهم واقتراضه . فكم أهزقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقية » ! !

وان مسألة طيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكينه واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الأولية فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهلها الخدمة العسكرية وعاقبهم من دفع الضرائب

فلم يكد يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف ومثلت جوانبها بالخلافات الدينية

إذا فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد اعتاض عن تعدد درجات الادارة بسلطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور ولم يقرر شيئاً من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى أيضاً على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا وبالجملة فقد أنى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حاله الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » وبذلك خلا الاسلام من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة استياء من تسلط الدولة البيزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يعلنون أنهم أهل التسامح مع مخالفهم في الدين لا يطلبون منهم الاضريبة يستمعون بها على اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تثبيت دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرهم عليه لان اسلامهم يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تصوروا كيف فضبت ينايع الحياة في الدولة البيزنطية واتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتشف مع انها لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الآسيوية اعتبرت ظهور الاسلام ايذانا بنجاتهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الاساتذة يقررون سرعة انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

(التارخ ١١ م ١١) الاسلام. ارشاده الى البحث. نبوغ العلماء من اهل ٨٢٣

حرية وان خيولهم جيدة تكاد نسبق ظلالها ١١ مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تقبل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الانقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

واذا كان ذلك كذلك أدركم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة .
أتى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب بجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل لي انه كانت على أبصار مسيحي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منهم من إدراك الاشياء على حقائقها
وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث .

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟
كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخالات أفلاطون، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — ولفرط تقديرهم للحياة الدنيا نبغ فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا اشعرا اذا وصفناه بأنه أرضي فذلك لانه قريب من القول يفتديها وينمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تحبط الغرب المسيحي في غمائله وأوهامه وانزوانه ١١

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما ينباد الى ذهن الباحث التزيه وهو ان الاسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب .

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدنية الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في اسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأين لكم الآن ان افترق هاتين الروحين كان وبالا عليهما

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لا يتبدل ولا يتغير فيكفي ان يدرس مستقلا عن كل عامل أجنبي عنه للوقوف على قيمته واكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقمهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبدالرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يا بني ان الملك يد الله يوثيه من يشاء وينزعه من يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصاً أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساو في حكمك وقضائك بين الفقراء والاغنياء ولا تول أمور الناس الا من عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جنك بالشدّة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لاعونا للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظل الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بمحبتك ، لانهم مورد حياتنا واهرص على حجة الرعية لك وتلقهم بك ٠٠ الخ

اني أود أيها السادة أن أسمع مثل هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمنا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لآني أخشى أن تهمنى بعمل مقارنة تشوة سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل

لبثت هذه الدنيا التي أتت بالمدهشات والتي لا يزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الاندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم الا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب . وإذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أو الثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الأتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمراً يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن (موضوع التوفيق بين المسلمين) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطئ البحر الايض وفي الاندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتآلفهما

ابتداءً هذا التعارف في الاندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتكم أن ما يرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملة لانهم يثلون « السيد » في قصة الفها (كورنيل) بطلاً مقدماً أعده قومه لمجاهدة الكفار (يريد المسلمين) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمرأ الاسلام في الاندلس يعلم ان الأمرء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبنائهم مرض وكثيراً ما كانوا يقدون الى قصور الخلفاء وقيموني بهأخى يتم شفاؤهم قرون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بة ما يرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

قد لزم مسلمو الاندلس التسامح مع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذي

٨٢٦ الاسلام في الاندلس . تسامحه . تأثيره في أوروبا (المئارج ١١م ١١)

اضمحلت فيه دولتهم وأخذ أهل المسيحيين يقصونها من أطرافها فإذا اتيج لاحدكم أن يتجول في أنحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ما شيده في دور اضمحلالهم ليستنظم من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور تضعف سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوروبا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هناك يعاقب الامراء من بأسروهم في ساحة الحرب بإلقائهم الى كلاب مقترمة تمزق أجسامهم لإرهاباً

لم يكن ذلك مقصودا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة بلثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتها مع الشرق وقطون ما استغنداه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لنا كثير من البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفى كم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى ققت الكنيسة الكاثوليكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بين الخوف الى تنازع المبادئ الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آتهم وعدوم اللدود !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية في هذه الفترة التي تعارف فيها المدينتان المسيحية والاسلامية - كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوروبا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يد في امكانها ان تدفع عن كل ما تشتره ، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوروبا في

(المراجع ١١م ١١) الاسلام . أخذ أور باعلوها عن أهله . تعصب أسبانيا على ٨٢٧

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الاكثر الى قمر أور با واعوازاها من
الحاصلات التي تبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أور بالثت ثلاث
مئة سنة تفتسهما من الاسلام وكانت المدنية الغربية تنجي ثمارها الباقية

ولكن حادثين عظيمين أوقفنا سير ذلك التيار الكهربائي الذي كان يحيط
بالبحر الأبيض المتوسط وهما : استيلاء الأتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣
واستيلاء الأسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الاتحاد الدينية حتى انك نرى آثار التعصب
الاسباني في تاريخ عرب الأندلس كالنقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة
ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الأمير يوسف جماعة القسيسين . وفي
رأبي ان تعصب الأسبانيين كان أفظم وأقل علواً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد
لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفتخر به الأسبانيون والذي يحسبونه بحمل
عصر فرديناند وإيزابلا لم يكن في الحقيقة الا عملا وحشيا بربريا لم أعهد في التاريخ
أفح منه ، خصوصا وان اماره غرناطة لم تكن تهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على
ما حولها من الأراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها - ولا
بد ان يكون الأتراك عروس الأسباني أو الطليطي رأى ان يحق هذا الجمال ويزيل
المدنية البديعة خدمة المسيحية والمسيحية بريته منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم
أخلفوها وجعوا الكتب الجليلة وأحرقوها فتلذذوا بمنظرها وظنوا أنهم بعملهم هذا
قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية
كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعهم زمرا زمرا وجسومهم في غرف واسعة ورشومهم
بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! -- ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتصرين
لا يزالون يقتنون طعموا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آت لآخر . ومن ذلك
ما وصل اليه من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اللفة العريية والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هذا الامر الاخيران الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يغفر ^{١١١} ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحكمة البناء البديعة القروش التي أمر فيليب الثاني بتهدبها حقدا منه على المسلمين ومطاعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين ١١ . في هذه الحمامات كان العرب ينتظفون وبها يتطيون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاستحمام النافع وانكم نعلمون كيف طرد المسلمون المحبرون على التنصر من وطنهم سنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسلام المتمدن بربريا نعم لما افرد الاسلام بنفسه بينما كانت أوربا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجرع ولكنها تثمر ثمارا غير جيدة هذا ولا نظنوا ان أوربا لم تتأثر من مفارقة المدينة الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة الى بيان ما وصلت اليه أوربا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن اذكركم بفظائع دخول الاسبانين أمريكا لتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الام الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوربا وانتشار نفوذها انما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرأيتم ان غرضها انما كان جمع المال لا تخرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مفادرة الاسلام لها واقتراقه عنها — ولقد بلغ من غلوها في الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحيان أنه لا يستقيم لها بلدا الا اذا استأصلت أعمله وأهلكتهم وهكذا فعلت انكلترا في أمريكا

(المنار ج ١١ ص ١١) الاسلام . امكان رجوعه الى مجده . القضاء والقدر ٨٢٩

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين أيديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يعقبوا مدنية أجنبية عن مدنيّتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالم في خطتهم الاولى وشرعوا بلمسوت خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الالهين الاصليين ومعرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف ليقا فكم على أسباب ارتقاء الاسلام قارة وأسباب أفول نجمه قارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لانا اذا قصرنا ابحاثنا على ذلك انسد أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الاشياء فنجدير بنا اذن أن نتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا قبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فن الظلم أن نحكم على تلك الامة بالسقوط الابدي وباستحالة يقظتها وارتقاءها لان الامة التي أمكنها أن تنهض في وقت ما يمكنها أن تמיד عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين ويهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدى مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قرره المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فاذا قول عنه في المسيحية ؟

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية واني أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجيب عن هذا السؤال متبعا الطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائج من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان ينتحله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربيع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء يبيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هوا قاس تحذو بأهلها الى اجماد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثأروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرّون على الخلاص منها مكتملين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالبدائي الدينية تفسرها الامم بحسب ما توحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدينة الاسلامية بعد ما أثمرت وابتعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدينة تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجنتها

أيها السادة : اذا كان الاسلام قد أخطأ فخطؤه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقد كانت في المصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها اقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحلها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عاملهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شؤون الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفترات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة ونشبت الاعمال فلا يمود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنشأته في فروعها كافة

واذا أردتم ان تعفوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكش لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا قيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصافد كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة تقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة قيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقد البتة

لاني أذكر ان سلطان مراكش السابق قضى حياته في الحروب الداخلية فضاها على ظهر جواده متقلبا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي تتبعها لاحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يمكننا ان تتبع الوسائل النظامية التي تسكفل القوة العامة بمجانيها وتحقيق غايتها هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك — ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة التي اتصفت بها مبادئ الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا يتأقفا بل قابلا بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من التنظيمات التي أنشأتها مدنيتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها

أما في دائرة الفكر فينقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

المصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان ينجح فيها اتدب له وانه يحضرنى الآن مثال على ذلك :

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الاكبر في تونس . اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لا ينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من المدينتين قلت لاحد اولئك العلماء :

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاهية زاهرة في المصور الوسطى وانها امدت أهل أوروبا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كعالم في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل ؟ »

ان السبب الذي أراه هو انكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا تتبعها في القرون الوسطى ، انكم لا تتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق فرع منها بل يعمل كل منكم معتقدا أن في امكانه محصيل العلوم كلها ، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا أن نخرج من حالتنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

لقد شاهدت بنفسى أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآتست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هذا المضمار . وكان محادثتي مع علماء تونس وترغبي لإيادهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المبتغاة لأنها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين الثبرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروها على الاعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقي اخوانهم تمار هذه العلوم

وقد سبقني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأكبر وأحد أعضاء هذه الجمعية ففطق يسرد الأدلة على اتفاق الاسلام مع المدينة الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يغوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقها القائمون بالحركة الإصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل التمدن الغربي سهلا فان هناك فرقا كبيرا يطن على هذه الحركة ويحاربها . فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار . وإنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حيث الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها في مبدأ أمرها لان كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة . وقد كثر أعضاء هذه الجمعية وصار طلبه مسجد الزيتونة بعد أن يتلقنوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يقدون إلى دار هذه الجمعية فيستنبطون بما يلقى فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لا ينافي المدينة .

بقيت مسألة جدية بان نبش فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا . واني مبرر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بجحي اليوم

ان هناك أمرا يجب أن نقف على حقيقة وهو هل قدر على إيقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكلت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تغلب علينا وتمتجه ضدنا وتم على مالا نرضاه ومالا يتفق مع صالحنا البتة

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين الذين ينهض فيها الاسلام بل هناك مصر التي حدثكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حيي فيها الاسلام حياة جديدة على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعونا الى أنف لانظر بعين الكرم والسخط الى يقظة المسلمين وهوان هذه الحياة الجديدة التي ابتدأ يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي والاسلامي وتوفق بين المدينتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض أن المسلمين يسرون في طريق المدينة الغربية سيرا حثيثا فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدينتان ولماذا لا تقضى المدينة الاسلامية في جسم المدينة الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي أساس كل مدينة ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه قد ابتدأ الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مما انسمت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من دائرة المعلوم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ما وراء المادة مكتنفا بالمدحشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملائمة للفطرة والذي سعد حظه بان امتد ظله على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديهم لم تتلبد بالغيوم كما تلبدت سماء بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلاثا في تلك البلاد المتناحية الاطراف ولم تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرائي الساطع

أيها السادة : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة قد تبنّاه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التوفسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انما يتبعون الخطأ الذي نوحىها اليهم والذي قصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية . بل أقول لكم انظروا إلى الأتراك وكيف وقعوا بين الدين وجنسياتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الإسلامية قابلة لبسبدا الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطبب مبادئ حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الإسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل بأشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقاها . انذكرون أيها السادة ما قاله الأقدمون في المسيحية؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الأديان فلو ان الاسلام أخذ شكل من أشكال الحكومات وظل باقيا عليه لا يعدل فيه ولا يغيره لآت موته أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمعوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها مسيو جوناك حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدرية وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ما هو اسمى غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

الخطبة الثانية (*)

﴿ من خطبتنا في الديار السورية ﴾

وهي من الغلب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئا في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم يغادروا لمن تأخر عنهم متردًا ، فرب فكر فيه أريد ان أقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، وجال في مجامعكم ، فقف الفكر ، ويتلعم اللسان ، ولكنتي لم أحضر تلك الجامع ، ولم أسمع شيئا من تلك الاقوال ، فاذا قلت شيئا مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يحلو ، ورب إعادة ، فيها افادة ، المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره يد من تختار من أفرادها ، لا يد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط أتدرون ما هي القاعدة النظرية التي يبنى عليها المستبدون هياكل سلطتهم الجائرة ؟ هي ان الامة كالجنون أو السفينة أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدير أموره !!!

(*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطابا ثبتت هنا مائتة ذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئا الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحقونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفية كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمورها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، ويكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والماعقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ؟

كلا إن ذلك أمر غير معقول ، وحكم استبدادي غير مقبول ، المشاهدة تقضه ، والتاريخ ينفذه ، قد قرأنا في سير النابرين ، ووأينا في حال الحاضرين ، ان أكثر الملوك والامراء المستبدين . هم أغرق أفراد أممهم في الجهل ، وأوغلهم في أفن الرأي ، وأشدهم فسادا في الأرض ،

أي قاض من قضاة العدل حكم بجنون الامة أو سفها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ؟ أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفه أو القاصر تصرف المالك في ملكه ، ولئن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواء ، فيمنع بعضهم من حقه ، ويعطي الآخر ما لا يستحقه ، كما هو شأن الملوك والامراء المستبدين !! ألا ان هؤلاء الادعياء في وصايتهم ، المعتدين في ولايتهم ، ليسئون التصرف في ملك الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، وبالقوة القاهرة بمنعوتها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي ، بل يحولون بينها وبين معرفة ما تملك ، وما لها من حق الرأي والتصرف ، لتبقى عالة عليهم ، راضية ببقاء الامر فيهم ، ولهذا يحقت المستبدون العلم ويقاومونه اشد المقاومة ، وقد رأيت ذلك في انفسكم قد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من زبانية الاستبداد أن تدمر على يوتكم قراها ، فنزل العقاب الشديد بمن اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهربون السلاح ، ويساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق ، قد كان كل ذنب مباحا أو منساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الا ذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يهرون فيها بالاوراق المضرة ،

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذا يحرمون من التمتع بذلك السلطان المطلق ، والتصرف بتلك القناطير المعنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المنصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه هو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظللا ممدودا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا ترون أن الأحكام المستبدية يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يقالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هياكل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا بعيد عنكم وأنتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرايتم لو أن أحدا همس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وأنتم تثنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان فرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافون بينهم في تدير الحيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء قانون الاسامي ، فسا هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول اكثركم انهم مجانين (مجانين مجانين) بلى ولكن قد علمم الآن علم اليقين ان هؤلاء نفرهم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فذا الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الاعوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القساوب ؟ اليس هو الاجتماع للمطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان اكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كبير من ساسة أوربا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان البصود في التاريخ أن هذه الفاية لا تال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما علمنا الآن شيئا ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وظهيرها ، فاعدا مما بدا ؟ اليس قد اتحد بعض ضباطه اهل العرفان والحمية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه بطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الامة وأهلينها القيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلا للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جدا . فاتها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة متفاوتة عظميا

في الحرية والتعليم اللذين يؤهلان الام للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه الحرية من مجموع العرب ، والارمن أرقى من الاكراد ، والاساتنة والولايات الاوربية ، أرقى من الولايات الآسيوية ، وولايات سورية وسطى بين ولايات أوربا وبين العراق والحجاز واليمن ، وانا ترى الاستعداد في سورية ضعيفا فاذا قول في امدادونها ، فكركنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الاحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعتري في أكثر المدن على من تلق قبوله لدعوتنا وودخله في جمعيتنا ، دخل في الجمعية رجالان من أهل يبروت كل منهما صديق للآخر ولم يكشف احدهما الآخر بذلك الا بعد اعلان الدستور ، وناهيك بمجرأة أهل يبروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله باقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيع له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء (المرحوم محمد باشا المحمد) قسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه وبين أولاده ليترنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياع لئلا تفاجئهم الثروة فيعوزهم حسن إدارتها وحفظها ، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لأولادهم بالتصرف في إدارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها ، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا ، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا ، كآراينا وشاهدنا في مصر كثيرا ، واذا كانت إدارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون إدارة الممالك وسياسة الام ؟

لا يمكن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنا الله من شرها ، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاا في خيرها ، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الاحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الامة

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبه ، وإنما قلت ما قلت آثا لانه الافكار الى حقيقة
حالتنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الامة العمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فان فيها من الاحرار
المرقبين في المعارف والاخلاق من جميع الشعوب من يرجى ان يقوم بهم هذا الحكم
خير قيام ، ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الامة في
كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل، واصلاح حال الملك ، ومقاومة
كيد المتفكرين ، أعوان المستبدن الظالمين ،

لا تظنوا ان الاحرار الكرام الذين نلنا الدستور بسببهم كانوا غافلين عن
هذا ، كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها ان
تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضه الى أن يبلغ أشده ويستوي ،
فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والألوية والاقضية في
المملكة ، وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل ان تنفذ الشريعة والقوانين
في دائرة الدستور، ويحفظ الامن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان . والمقصد
الثاني نفخ روح الحياقة الدستورية في الامة ونحيب الحرية البهايث الآراء والافكار
النافعة فيها بالخطب والمحاورات ، وحثها على الترية الملية والتعليم المصري الذي
يجعلها أمة دستورية بالطبع ، تأبى الاستبداد وتفر منه كما تفر من الاسقام والادواء .
فيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الامة كلها ان تساعد في سعيها فانه
لا حياة لنا الا بالترية الملية وتعلم الفنون المصرية ...



الاتقلاب العثماني *

وزريا الفتاة

٣

فتنة المايين في اكل الرشى ومنح الرتب والاروسة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطله كيرماش اورمانه كوندور يورم » أي اني أرسلاك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتقدمة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعد ان كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ، تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعو الرتب يتعمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجبه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتساقط الجرائد العربية وقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك توهم

* (تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان لقب بك توجب مجديد كقب كونت أو مركيز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تميز في جدارتهم واستحقاقهم واضطاعهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التمين التحري على موظف قادر على اداء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للقرين والمتمس لهم أولذين يخشى بأسهم ١١. فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة عن المتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك مجلس المعارف ومجلس الفتش والمائة الضابط على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي يحا من كتب الفقه كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد..... كما غيرت اسماء الموظفين من عبد الحميدوسلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخر وبمضها حرفت وكبت سلتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه البيزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكتني وضع الموازنة ١١. فكانت معاشات المعلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء، والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسمية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والعسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمية الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصاروا أكثرهم لا يجيد له كرسي للجلوس عليه ١١. وكانوا يأخذون رواتبهم وهم قائمون في بيوتهم.

اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلفت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والمساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في جباية الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتساق الموظفون الى المزادة بأعشار الاقضية والاوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزرايع والفلاحين يشون تحت اقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقلما كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون وجباة الاموال الاميرية ونصهب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

٨٤٤ نظارة المالية والديون العمومية - العسكرية - اختلاها (المئارج ١١م ١١)

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيراً من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم ونزوح بناتهم ليأخذوا صداقهن ويعطوا للعجاة ما يطلبونهن به من الاموال الاميرية ! ! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموت وجعلها خصبة بعمله وحراثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه انخصبة موثا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحينما توجهت فيها لآثرى الامروجا نضرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المايين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبحث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في أوروبا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلاً ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجوايس لها

اختلت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!
 مع ان دول أوروبا ولا سبيا المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة
 بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع أولاده وأسرته وجميع ضباط
 السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني
 الذي اتفق على شرائه الملايين كالمقد الذي يروم التهوض ولا يقدر عليه لطول
 مكثه ، فصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال
 كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سبيا في تجهيز الاسطول وشراء البواخر
 والمدركات ، وصار الترقي في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ،
 بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة
 في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندي معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،
 وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسباسة بأثمان بخسة ،
 حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حُلَّة (بدلة) العسكري التي تشتريها
 الدولة بمئات من القروش بشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلّة كان
 يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلّة
 من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للمسار فيعطيه
 هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق المسار مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون
 الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة
 والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة برئ لها . وكنت ترى ضباط البحرية
 البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في
 شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوروبا وخدموا
 الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة
 وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون
 الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين
 شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

باشا الشير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا، وأصبحت قيادة العساكر وإدارة المدارس العسكرية بأيدي أناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل إلا التجسس على أصحاب الأفكار النيرة وإبعادهم عن مركز الإدارة، وكانوا يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الإسلامية. فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات!! فكان الجواسيس ينظّمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويحتقون المسائل ويثرونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبنذها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم، وما ذلك إلا لإظهار خدمهم وإثبات تيقظهم ومقابلتهم لتليل المكافأة، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في منج كاذبة واحدا صحيحا، فإذا قالوا: «فلان له قصد سيئ بالخليفة» أو «له غيرة مع حزب تركيا الفتاة» أو «عنده أوراق ضارة» كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله وإبعاده، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكية والمسلم بحق الخلافة الإسلامية، على أنهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة إسلامية وهي المبرر عنها عند الإفراج بقولهم «بان اسلاميزم Panislamisme» كما توجد سياسة سلافية «بان سلافيزم Panslavisme» وسياسة جرمانية «بان جرمانيزم Pangermanisme» ولا تجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الإسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الإسلامية درساً تاريخياً علمياً للوقوف على أفكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية، وعلى أحوال العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية. فقصدتهم من السياسة الإسلامية انما هو كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه ببي العباس لم تباشر الحكومة أمراً جدياً لعمارة البلاد واستخراج ثروتها الطبيعية والسياسية في معارج التمدن والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد، بل عاكت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الاولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الاجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حمية أرباب المهتم تدرعا بأنها تؤدي الى الثورة والاضطراب ! فكم نظر الولاة والتصرفون شذرا الى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو الى مدرسة سلطانية استسما الجماعة أو الى شركة صناعية أو مالية عقدها الاهالي، وسرعان ما كانت تمعطل ويمحى أثرها، وكم منعوا الآباء من ارسال أولادهم الى المدارس الاجنبية أو الى مدارس أوربا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجبرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح الرافى التجارية وتطهير المستعمرات الا اجابة لطلب الشركات الاوربية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، ففتح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه يأخذ به الفرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر بحصاصياله في مقابل انما به بالذهاب من الماين الى نظارة النافمة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتعرب بهم الى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة نحتاج الى اكرام و(شوفة خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مد سكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية، وانه لم يقبل أخذ حواله على المصرف (البنك) أو قوائم قندية خوفا من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهباً عينا قال الراوي فجاءوا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرخمة عمدا عمدا وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصنوفة صفوفاً متوازية مزوزة، وللانصر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم المد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقيا على فراش الموت (تمامي) ؟ يريد هل العددهم قليل له نعم ياسيدي تام، فأخرج الختم من كيسه الملق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا !! ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المقطرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً، ويول لهمال انظر انه ان لم يدفعوها - وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتركة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعمل عليها في الاتفاق على نفسه وعياله الثقة الضرورية ، وكان ضباط المساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتعييناتهم على قلبها لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يقب في قلب الانسان تقبا ويملؤه حقدا »

سقوط هية الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولا مرعية . لاني سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فخرج أن على تهديدها حتى في المسائل المحيرة كسأله تويني دلوراندو التي أوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ إذذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلا : ماهذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكنا في المذايح الارمنية ولم تتدخلوا فيها لتوجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآن تسكيدون النقعات باحراق غم الامة وارسال الاسطول لحماية فترين من المرايين اقرضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضا في نظر رعاياها وصارا كثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يعتمدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابية الاجنبية بالتابية العثمانية

كان أرباب الحية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بميون الاسف والاستياء ويعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من نبات افكاره . فكان الاستبداد ضاغلا على جميع افراد

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفها واحرارها وحزب تركيا الفتاة قط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقرين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لبقاء النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مريضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من اذن مخصوص واردة سنية لحركاتهم الشخصية وافعالم اليتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الأفغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العام) قال : آية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتيت أكلة بقتك (شواء) أو نشر فكر في جريدة أو التزه في ناحية من المدينة لا استطع . أيتها عيش الانسان بفيرا الحرية ولهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الستانة والقوا فيه القنابل سنة ۱۸۹۶ ليلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحت واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم افنوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قاهاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غالينزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتر المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفضائها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد الامراء والضباط

الذين سببوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، قتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك اقاء القنلة في موكب صلاة الجمعة امام مرآي يلديزفانه كلهم خسائر جسيمة ، فمدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فعدت مؤتمر آفي ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان افندي الارمني الشير وقد تم اتفاقهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الخاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع رعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلاقية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقتلت المدارس وجست المعلمين ونفت التلاميذ ، وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقتصت التعليم فيها بإيجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذلة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة والعمران ، بل على الجوايسيس والجرائد المويدة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولاسيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لإيهام الناس ومخادعة أوروبا عن أحوال الممالك العثمانية .

فمنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقصدان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراقبة وقصدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المذنيات السابقة خرابا ، وأراضيها فقرا بلقما ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوروبا ومستعمرات أفريقيا ، ليقتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهاجرة والقصط أكلا العمل الذي بدى بالمذابح وانتج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فلجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية ولتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيره من المنشورات وكان الدكتور فظلي بك السلانيكي الاصل وغيره من ذوي القبرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المنشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخويف المايين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحدهم رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، فضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تداخلت الدول الأوروبية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسر وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم ونحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوزاعهم ، وكانوا يبذلون أرواحهم وأمواهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والقبرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تهاجمهم وتلاطفهم وتستبيح رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلاللا كليا أو جزئيا كرومانيا والصرب والجبل الاسود واليونان والبلغار

٨٥٢ جمعية الاتحاد والترقي - نموها - الامير صباح الدين - سياسته (المترجم ١٩١١م)

والبوسنة والمهرسك ، فاستبقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقى في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضم يراد به الا الاذلاً أن يعبر الحمي والوتد

مالنا لا فعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟ ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابهم بأن الاسلام يساعد ويحض على ذلك ، ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ، عارفين بما ينتج فعلهم من الفوائد المادية والمعنوية ، فتشكل لهذه الجمعية مركز في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، وقد بلغ عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون لا يدرون من أمرهم شيئاً ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة يعتقدون بأنه سيصيب بلادهم ما أصاب كريدو ولاية الرومي الشرقية والبوسنة والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على التظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده فاستثار فكره ، وجنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا يعرف بمحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التثبث الشخصي) ولسان حال الحزب جريدة (ترقى) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك كاتب الجمعية . فعلم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية سياسية مثل مستعمرة كندا الامريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية فيها كما أشير اليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبيل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا متظرين تنيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المسبدة ان ينتظر الأولاد دائما الاعانة من أسرهم والأسر من أر باب مجالسهم وأر باب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة الثلاثة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتسر تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الأذهان كد من الالمس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ، وفترة زائدة وبفض وحقد كامن في النفوس ، وعلم المقر بون انهم على وشك الاقتراض ، فضاقت عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهالكو على ادخار الاموال واقتناء المقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور وأمر يكا ، وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فنالوها واستفادوا من الخال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستاتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها وإلقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلية على المشايخ ذوي التيجان والعلماء ، ومنحوه الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن اتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهمل كالفيث المتواصل وانصب

كله في زرع ذاك الفرد او الاسرة دون ان يفيض منه شي على المزارع المجاورة ، ولهذا قال احد الفضلاء :

أمير المؤمنين فذلك نفسي ونفس (ابي الضلال) لما فداء
أخيه وقتلنا جميعاً لعمرك ان ذا هو البلاء
فلا والله ما هذا بمذل ولكن انت تفعل ما تشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، و باعوا امتيازات الامور النافعة للاجانب قاصروا الدولة بذلك اضراراً جمة ، وشهرت نفوسهم للعجب وتلعت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى قدوا جميع المزايا الانسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقدس ، يقلب يوم سقوطه واباده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من افعال فهم باشا وهو منفي الى بروسه الذي أهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كناأشرنا الى هذه الحالات المنكرة المكثرة ، والى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها «حكمة التاريخ» نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد ان بذل المراقب فيها وحرف كما أراد ، ظناً منه أنها تخفي ور بما خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الامر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تنفجر منه فوهات في عدة جهات ، لأن بقاء الحال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وان البلاد العثمانية متوسطة بين أوربا والشرق الاوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطنا بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الاجنبية على ثغورنا ، ومشاهدتنا صور السينياتوغراف وسماعنا اصوات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوافل والدرجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الامم وامتزاجها ، واصبحت المسافة بين الاستانة وباريس اقل من ستين ساعة بعد ان كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الاجنبية التي افتتحها الاوربيون والامريكيون في الشرق رغم منع الحكومة

المسلمين من دخولها والتصديق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك، أو في المدارس الخصوصية التي أسستها طوائف الروم والأرمن واليهود والبلغار، قطعت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الأجنبية، وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة، وأدركوا محل الخلل، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم من مشيعون بفكر الحرية ومتخلقون بالاخلاق الاوربية والحاسة الوطنية. فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجمال المستبدين بالامر، فضيقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادات كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وقتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحرب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستأون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلا منهم كان يتطلب اكثر مما ناله، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكان اذ ذاك مدهشا دمويا

انقجار بركان الحرية وحدوث الانقلاب في ٢٤ تموز

نسئ للجمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمرها مدة ولكن رأتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاخفاء، فاحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين، فأرسلت الجواسيس من الاستانة، فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن، وعينت فدايين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائم ناظم بك قومندان مركز سلانيك يئذل بمجوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذاك الى الاستانة لعرض معلوماته، ورجع منها ناثلا في قرش ضما على راتبه فزاد اجتهاده وتحريه، وطلب ثانية الى الاستانة وبينما كان على

أهبة السفر اذ فوجئ بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلايك صادق باشا وهاجر باشا وأميرالواء يوسف باشا وبعض الباورية وعدة من موظفي الملكية ، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بمضوية الجمعية ، وحبسوا ونفوا واقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم ، فقام في مناسر صلاح الدين بك قاتعقام ارکان حرب والبيكاشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من العساكر الوطنية وذهبوا للاحية (رسنه) وهي في القرب الشمالي من مدينة مناسر على مسافة ثلاثين كيلو مترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البيكاشي صهر ناظم بك قومندان سلايك وكان طلب الى الاستانة ووعده بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعة الذاتية

ثم قتل في سلايك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مقبي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال ، وضمت الى معاشه خمس مئة قرش ١١ وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بمحضور جم غفير ، وهرب الجارج من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته ، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (متروبيجه) فاختار من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من العساكر وحضر على القطار الى سلايك ومنها الى مناسر وذهب تو الى إدارة التلغراف لخبرة المايين ، فخرج عليه أحد الضباط وقتله ، وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس والملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول . ولا وصل منهم الى سلايك الثلاثة تواريخ الاوّل امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم واقضوا اليهم أيضا ، فأحس المايين بأن سوق عسكر الاناضول الى الرومي إتمام لقوة الجمعية فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلايك . ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلايك

(الملتحج ١١) اعلان الحرية بسلانيك . خلاصة اسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات غنومة بفتح الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للقد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! وأول من خطب على منطف (بلكون) فندق (أولمبوس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المحصورة (فوق العادة) بالبغاوية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة ، فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسلية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé
وكانت تترجم بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي »
وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حطلي باشا المفتش العام لولايات مكدونيه بصدد الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا ، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

(١) النار : هذا البيت من آيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالمرية ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد وافى

(الملتحج ١١) (١٠٨) (المجلد الحادي عشر)

المملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم ، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تثبت الحرية ما لم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسمونها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالاقلاب لم يضع حقوق السلطنة واخلافته كما ضيع اقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الالهية !!! حتى انتصر لها فريق من الناس وقتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم ، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الاقلاب الفرنسي وحرهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الاقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكار « ») المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة ألغيت بعد التنكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانا ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضعا وترتيا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضع ، وغير المسلمين « لم مالنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(٣) النار : يراد بكلمة (دره بكار) في التركية اصحاب الزعامة والتفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سبما في الا ناطول فان السلطة والتفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

(الماراج ١١م ١١) خلاصة أسباب الاقلاب . الفضل في حلوته للاسلام ٨٥٩

الفتح للروم وأقرهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب فضلا منهم واحسانا لا بحرب وغلبة فسيجري الاتفاق عليها بصورة حبية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعترف الازكياء منهم بمشروعية هذا الاقلاب ولزومه وقائده ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، فم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارة الطريق جماغيرا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا يتقصدونه من الرواتب ، فان هذا الاقلاب الذي بدأ بالشقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشقة والحنان أيضا في حق الظالمين لثم سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الاقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشرعية الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الاقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملم على القيام لاعادة الادارة السابقة . ٨١

افتتاح مجلس المبعوثان

❖ ثلاث خطب ارجالية في الاحتفال به ❖

بطرابلس الشام •

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيها الامة العثمانية الكريمة

أهنتك بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين واني
لاهنك بأمر عظيم ، أهنتك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول
في في ، وأجبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم
تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .
يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجسد العظيم الذي
يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة .
فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المؤلفة من جماعات بعضها أكبر
من بعض أدناها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي
متى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا
عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

• احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤
ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيتي
الحكومة الملكية والسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام
المهتئين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ما قال

(الماراج ١١م ١١) حظر الاجتماعات - زوال الاستبداد - حكم الامة لنفسها ٨٦١

الاجتماع حتى في الاسرة قد صار الالب يهرب من ابنه والابن يفر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفا من نجس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والآتم غوفا ومهددا في دار السلطنة ١١، منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين ينعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فهذا الاجتماع تحقق تكوّن الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العالم لجميع العثمانيين فالت ما عداه من الاعداد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب ، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثما كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين متمتزا بعضهم ببعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة متمتزين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر اصناف الامة من الزراع والصناع والتجار والعامل وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهني الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤون ويفبروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

ما يشاؤون لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يسدوا انتخابهم ، وانما كان هذا من الامة فهي التي أنابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من اعلام الى أدناهم مستأجرون لها بما لها لاجل ان يقوموا بما لا بد لها منه ولا غناء عنه من المصالح العمومية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الامة هذا انشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح لها ان تقول ولا ان تفعل الا ما يدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الامة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كخلافة الدولة مع الدول الاجنبية وليس منه ما رأيناه من تجبر بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لالزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين القوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا الى ما فيه خير الملة والامة .



خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة العثمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الامة ودوام الدستور: سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئي من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه يد الكائدين ، ويظفر بمراة حزب المستبدن المتهمقين ، ويسوئي بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتقليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الالسة متدفقا عن القلوب ،

انني أدعوم الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خبراً من البداية فانا لا نستقي عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكنتي أدعوا وأنا متملي القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلاً بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملأماً ، بل كان برداً وسلاماً ،

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جداً ، ان ذلك المجلس لم يكن بسعي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا أبي الحرية وبعض اخوانه الوزراء والكبراء فعم الذين وضعوا القانون الاساسي ، وبسعيهم أزموا السلطات بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منعقداً ، وفرق ما كان مجتمعاً ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من ابطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه ويمضه ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقية اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندوبه: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا متصرفين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرة وأندرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من قائلهم ان يحدثوا هنالك تألياً للناس ويحملهم على المطالبة ببقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواماً بأقوام ، فقد نلت الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابضين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

لابسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ما أصاب مدحت باشا وأخوانه من نفي واعتقال فيذهب الدستور ومجلس الامة ويموتان بموتهم . كلا إن من وراثتها ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامة على نيل هذه الرغبة ولولا لم فصل الى هذه النعمة ، من غير خطر على الدولة والامة ، ومن وراثتها احرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينغخون روح الدستور فيها

تشهد أم أوربا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدّها بأساً وثباتاً في ميادين الجلال حتى قال الجنرال مولتك القائد الالاماني الشهير الذي نكل ذلك التسيكل بالفرنسيس : اعطوني مئة ألف جندي عثماني افتح بهم أوربا كلها . ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل يتقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون . والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوفاً أن يقضوا على استبدادها حتى شنت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الماربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فخل تخاف اليوم على مجلس الامة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الامة بروحه ويذل دونها آخر قطرة من دمه ؟ كلا ان العارف بحال الدولة والجيش وبما آتته جمعية الاتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامة لا يتخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم وإنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان قوم في وجنا أوربا فتفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لا تؤمن عاقبتها ، أما وقد قمنا من الدول الاجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنة والمهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلقان الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة والله الحمد والمنة ، بل رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامة العثمانية ما جعلها تندم على ما فعلت وتود إرضاء الدولة العلية

أما المشاغب الءاخلة اللى مكر كا فى بمض الولاءاء انصار الاسباءاء من حزب القمقر كالعراق والشام والءاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعى؁ ىبر حزبه من أكلة الافاعى؁ لفسءوا فى الارض وىولبوا الاشقاء فى ولاية البصرة على الءولة فان قىامه هذا لاأأبر له؁ ولا ىمجز الءكومة الءرة اسأصالة؁ فان لءىها من الرءال من رأ بكون أكلة الافاعى؁ فلا ىمجزهم التلكل بهذا الرفاعى؁ كا نكلوا قبله بذلك الشقى الكرءى؁ فسىءط عمل المفسءىن وىسأر الامن فى جمىع الولاءاء العمانىة عن قرىب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من ىخاف ان ىفشل مجلس الامة وىمجز المبعوثون عن القىام بما نىط بهم وعهء الهم من مصالح الءولة والامة؁ واأى أصىب بأعلا صوأى ان هذا الءوف فى عىر مءله أىضا . ان المجلس السابق على ما كان علىه من الضعف وماقبل من ان جمىع أعضائه أرادوا ان ىكونوا من حزب الءكومة حأى لقبوا بكلمة ءأوت أفءم؁ لخصومهم لما ىراد منهم - على هذا كله قءظهر من بعضهم أفكار وآراء حسنة واسألال برعى خىره لوءام فكىف ىكون مجلسنا الءوم وقء ارأهأ الامة بالنسبة الى زمن المجلس الاول فى الاسأءاء والمعارف والافكار بالرغم من اضطءاء الءكومة الاسأءاءىة للعلم والءرىة حأى انها بنوع الكأىرىن من رءالها قء اسأصرأ على الاسأءاء وهو - كما قال الاسأاء الامام - فى عأفوانه؁ والظلم قابض على صولءانه؁ وىء الظالم من ءءىء؁ والناس عىبء له أى عىبء

نم ان مجلسنا الذى نأأفل باأأأحه الءوم مؤلف من طاقمة من الاءرار المنأرفىن وطاقمة من المأفظىن الجماءىن؁ وفىه عءء قلىل من العأءلدىن؁ وكأىر من رءال العلم والءىن؁ واأى أرجو - كما برءو كأىر من مءبى الاعأءال - ان ىكون تألىفه من هذه الطبأاء المأألفة اللى تمأل الامة كلها أقرب الى النعم وأبعء عن الءطر قأى أعرف كأىرا من اءرارنا المنأرفىن ىملون الى العءلة فى الاصلأ؁ وقء ىكون من المسأعجل الزلل؁ ومن تأنى نال مآمنى؁ والعءلة فى طور الاأقال من ءال الى ءال لاأألو من خطر أو ضرر فان آاب الامل (لاسمأ الله) وضف المجلس عن الاصلأ المطلوب

٨٦٦ جمعية الاتحاد كنفاتها الدستور . خطبة صاحب المنار في ناديا (المنار ١١م ١١)

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسمى عند الانتخاب الثاني وتجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من نابي الامة ونحمد الله ان في أمتنا من النابيين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ساسة الاوربيين ، ناهيك بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال

من الخطأ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الامة في زمن قريب فان التدرج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإننا واثقون — مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه — بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ، ما تقتضيه مصلحة الامة في حالها الحاضرة ، آمين

خلاصة الخطبة الثالثة لى نادي جمعية الاتحاد

اننا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للامة العثمانية ا كبر عيد

كانت أسباب سرورنا في الاشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سرورنا منذ أعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نوخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا نستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سرورنا بأننا صرنا أحرارا لا يمتنع أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سرورنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقه أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا — كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور مذ أعلن الى اليوم معناها سلبية تفسر بلا لا لا

في هذا اليوم تبدى المنافع الايجابية قد اجتمع وكلاء الامة الذين أنابهم

عنها للقيام بما يميز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا نتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينبغي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اننا ننهي أنفسنا بأن الامة قد صارت منذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؟ يجب أن نعلم بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعزبها الام بأن نحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه وتوجه اليه هو أن نتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا تتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم معاون ومساعد على ذلك ، وأن نتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كترية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن نتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابتنا ذلك الفساد الكبير فسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمد لهم خطوط الحديد ، وان اتكالت الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار منذ اليوم من اثناقص أو مما يستلزم التناقص ، فينا هي فتتخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تبرا من كل عمل لها وتلزه بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم بالقيام بأعمال مخصوصة لا تستقي الحياة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارتهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الامرين !!!

إنما فشل مجلس البعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة بقبته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

٨٦٨ نرية الامة . كفالها بقاء الدستور . التربية والتعليم . وجوبها (المنارج ١١١م ١١)

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بنرية الامة وتعليمها حتى تصبح أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وبرايتها ناشبة باطراف جسمها ، فغرموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعلموا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي . ولا يشك عاقل في كون الإصلاح اذا جاء من جانب الحكومة ، يكون أسرع من مجيء من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المئال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل الحال ،

ان الإصلاح في الأثم لا يأتي الا بالتدريج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الامم الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويحجي الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراه . ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت بأشأ وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه هممتنا وعنايتنا اليه ، ونفعل في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قبلوا لنا الحال ، وثلنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك . وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وما يندرها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى ان الصائح بكلمة الدعاة

(المآرج ١١١١) وجوب اعناد الامة على نفسها . قياما بذلك بالجمعيات ٨٦٩

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة د بادشام جوق يشاء ففتح التلاميذا فوامهم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يلا جواها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فمقد الستهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم نجهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا امثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لا يكون لهم خلف وما الموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم يتجسوا ويحيي . بمدم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الامة فان النتائج والنماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها يوجد في اكر الولايات بل البلاد الثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار المصرية ، ومعرفة طرق ترقى الامم والنيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان قدرهم قدرهم وان تستعين بهم على ما ينبغي لها في هذا الطور الجديد لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لا تبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة ما يقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع ما يحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هل أعلمك ؟ لا لا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق امة فيه بغير الجمعيات ، وحسبك ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأني برهان أقيمه لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بذكره بألسنتكم لا ينشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فعلينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئ المدارس والكتاتيب ، وان نضدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعززها الامة ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده أكثر فائدة وناهي زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء ، وإن في بلادنا ما هو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين التهرين (دجلة والفرات) التي قال هيرودس أبو التاريخ أنها كانت توثني غلتها من مئة ضعف إلى مئتي ضعف أي ان الشبل (كالاردب) من القمح كان يغل لصاحبه مئتي شبل . أيجوز ان تبقى هذه الأرض التي لا نظير لها خراباً لا يتفجع منها بشيء ؟ *

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احراراً لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستقل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سمعتم من بعض الخطباء كلاماً في الحرية فن لي في هذا المقام أن أزيد شيئاً وجيزاً على ما قالوا فان المجال ذو سعة

الحرية تقابل الرق والعبودية فعنى كوننا صرنا احراراً اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادراً على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزاً عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والأعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يحبطنا رعباً ويكون لنا كالراعي للبهائم صار يمكننا ان نكون اناسي وبشرياً يتمتعون بمزايا البشر . يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فإنه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلاً ومستمراً ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حياة عراة في صحاري أفريقيا وجبالها وفي بعض جزائر المحيط و بين هؤلاء الذين

(*) ذكرت لم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعاً باستبداده فقال له انه ذكر يخطب أثني فسأله ان يمهرا بضبعة خربة فقال لها اني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضبعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث نصير أرض الجزيرة مهراً للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي يتغل من الخراب

(المتلوج ١١م ١١) المدنية . استعداد الشرقيين لها . معاكسة السلطة لهم . الحرية ٨٧١

يخاطب بعضهم بعضاً بالقول والكتابة بواسطة الاسلاك الكهر بائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم وتنتائج المدنية الغربية ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ما وصلوا إليه من العزة والكرامة الا باطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج التكامل الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعداداً للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تغطي نور فطرتنا وتمحجراً على استعدادنا فلا نسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سخر لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً)

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً فافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محبة الفلسفة نفسه بأن يحمل إشكالات نجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليفة ليخترع شيئاً ينفع الامة اسر له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على اظهار أثر علمي أو عملي يرقى الامة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الا وجد الاستبداد له بالمرصاد ، وقاله منه ما تعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشراً ، لا غنماً ولا بقراً ، فلا تنفع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترقى بها الامة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا اتباع الشهوات ، واتباع الفواشش والمنكرات ، ولهذا كانت الحكماء ومحبو الانسانية ينشدون الحرية ، ويذبلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غرو فهم العاملون بالاسرار الالهية ، المودعة في الفرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأجاب أن أزد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس أن الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وإنما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — — قالقي والفقير ، والصعلوك والامير ، والعالم والجاهل ، والنبه والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد أن يعتدي على أحد في نفسه ، ولأماله ولا براعي الحاكم أحدا منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والفرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي يمكنهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا يد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذان العمال من أشق الاعمال وأصعبها . أفرايتهم من كان مستعدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل توجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يقذفه في النار ؟ أو توجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وإنما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

باب التربية والتعليم

❖ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ❖

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد اُجيب :

١ — تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الفاضلة وأسباب نزوله وبيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية

٢ — تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين

٣ — تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيده

٤ — تدريس أصول الفقه وبيان قواعده الكلية وتقرير تعليمه وتمرعاته

وتدريس الفروق في القواعد والاصول بين المذاهب الأربعة

٥ — تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، ومأخذ ذلك من

الأدلة الشرعية الأربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الأحكام

٦ — تدريس التاريخ الاسلامي

٧ — تدريس تواريخ الأديان المشهورة

٨ — تدريس السيرة النبوية بالتفصيل

٩ — تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة

ويلقى علم التوحيد إلقاءً عملياً يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الألوف

من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به

١٠ — تدريس الدين الاسلامي وبقية الأديان : وذلك بتدريس

المقاييس بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الأديان وقواعدها

- ١١ - تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
- ١٢ - تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
- ١٣ - تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
- ١٤ - تدريس علم الاخلاق نظرياً وعملياً
- ١٥ - تدريس علم الروح
- ١٦ - تدريس التاريخ العام
- ١٧ - تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
- ١٨ - ايضاح تثبت المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليه
- ١٩ - تعليم لقاء المواظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

بَابُ الْإِحْبَاءِ فِي الْأَنْدَالِ

رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعاً زادني في أثاثه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستمجلوني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر افراده من الشبان والكهول ، والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس ، وأكثره من الشيوخ والنساء والاطفال والمسافة كلها ساعة ونصف كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطلقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتلأوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حلقه القينا فيه نفراً من شبان طرابلس

فحبونا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابه من معنا بمثل تحنيهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لملي بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا . وكذلك فعلوا عند ما أشرفوا من رابية «ظهر الرويات» على القلون لا يذنان من بقي فيها بقدمونا وعند ما وصلنا إلى دارنا أيضا لأنهم قتل سلام المفارقة . وقد ذكرت هذا لأنه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه وكان من حفاوة أهل القلون بي أن حمل بعض نساءها بحمار العود الهندي وغيره من البخور أمامي من طرابلس إلى القلون وكان فيمن خرج للقاء ممن بقي فيها من يحمل الحمار أيضا . وقد راغني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين وبنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتصفون الطريق ويتساقون الروابي بين الأشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك أغاني مناسبة لل مقام ، وهذه العادة قديمة عند النساء بغيرين ويزغردن ولهن في ذلك أغاني مناسبة لل مقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب أن النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يضربن بالدفوف وينشدن الأناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثبات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السن وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى إلى طرابلس أكثر من واحد من هؤلاء المعمرين . وأهل القلون يعمررون لاعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الأرض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها ولله الحمد والمئة ، وهاتان الكيرتان هما افلك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ (هو الحاج علي طوط) عن سنة قال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلما وربما يجيئه قبل

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كهذه الأيام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلاً آخر (هو السيد عبد القادر علي) عن سنة قتال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاحاً في البحر فجاءه مرة علي طوط ليعمل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك المجذاف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويكمل في أرضه بالرق وشبهه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرجين في مصر وغيرها الذين يزين لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلوا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المعدنية لاجل اصلاح المعدة والمعي وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فاذا تراهم يضعون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا بهدي يتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي . ولما انتهى دور الارشاد فيهم إلى رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيبي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الامهات وثانيهما قبر بني حديثا عند عليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العليقة خرقة صغيرة يقطعونها من ثيابهم الخليفة يسمونها آثاراً لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذاك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهارهم وأعظمهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكفي بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكير في الموت والآخرة كما هو المأثور وكان أكثر النساء من غير أسرتنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لهن مكاناً أعظهن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكن أسرع امتثالاً للرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصى واحد من البلاء الخاملين فأمرت الشبان فسدحوه

سجبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فاكتفيت منه بوعده مكذوب . وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متقنون في دينهم يستحضرون مالا يستحضره كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصابدين

على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهد الزاهدين ، وبقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعبر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لوقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا . قال هذا عندما كرسفري له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ،

ولما عدت إليها في هذه الايام علمت انه قد قن كثير من أهلها قتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على يتنا من أشقياء طرابلس فأغرام هؤلاء قطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة . أغروهم بالمال وغروهم بأنهم يحمونهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضرىوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب يتنا ، وقطع الاشجار من بعض بسايتنا وكرومنا ، ونحمد الله ان كان هؤلاء المغرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهالي لم يضلهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضائل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خيالنا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والاطفال يقدون على دارنا ليلا ونهارا ومهم الضعفاء والمرضى والمخدجون يلمسون الشفاء مني باللمس والرقي وكتابة التشرات وما يصبرون عنه بالحز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأبي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر ما يسمح به المقام ويلقى بحال الخاطب وأحثهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة لاطباء عند الحاجة وقد سبق للشارح البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

الواردة في الرق كحديث إقرار الذين رقوا الملوغ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير ، ولا يتم ولو مع الإرشاد في زمن قصير ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعلنا فتنة لأنفسنا ، ولا لمن يحسن الظن بنا ،

قلت مرة لعبد الرحمن أفندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا أن نجعل بعض محبي الإصلاح المعتصمين بالكتاب والسنة شيوخا للطريق لا يمكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخا للطريقة من الطرق . قال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلا من الصالحين المستيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم الى طريق الدين السويّ قبل بعد إياه ونفور فلما رأى لإقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته قن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سببا لصلاته بدلا من أن يكون سببا لهدايتهم وخسرناه خسارة لا مطلق في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أوفي المنار)

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية فتاب الناس توبة يغلب على ظني أن أكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الإصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول . وقد الفت لهم جمعية عنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سميت بتأسيسها في طرابلس

دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تقد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا اليها كرئيس دير البند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل - بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالأغاني فتلقاهم

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ما هم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لو لم يخرج شبان القلمون للقائهم لادخلوها لان ذلك يعد من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحقوا امامها وطلقوا بهزجن و يطلقون العبارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايوبي وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لتتضي الحال ولعل اكثرها الرنجالى فانه في الترحيب بالقادى (صاحب هذه المجلة) وفيها لطراء له بالاعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القوادى المسلمين فيما أنشده عبارة معناها : لولاك يا فلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رفيق له من النصارى بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا . وقد أضحكتم هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فخبذا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حدثت عليه اهل دده هذا جيلا (للرحلة بقية)

خطاب السلطان

﴿ في افتتاح مجلس المبعوثان ﴾

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعت موضع الاجراء عند ارقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطراب الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجي عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ، ووقت عنايتي على إيجاد الرقي في جميع أنحاء بلادى ، وبفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا وبناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم تتردد — رغم الذين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور

ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تغيير طريقة الحكم الاداري اسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا .
وينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عا كفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الامانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنة والمهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاهدة برلين . فابلغت أقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثان العظيمان اللذان يخترقان حرمة المعاهدات ويمسنان الصلات . سببا لنا اسفا عظيما

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الامل انه مع معاونة الدول صديقاتنا نحل المسائل السياسية

وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية ، وتسوية موازنة الميزانية ، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام ، وابلاغ جيشنا وبحريتنا بدرجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى مستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

وعلى أمل ان مبعوثانا سيدلون كل جهدهم في هذا السبيل نعلن اليوم اذا فتح مجلس المبعوثان

ومتعنى متمننا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وأكدها وعزيمتنا الثابتة التي لا تتغير ان تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها (المار :) بعد ان تلا رئيس كتاب الماين هذا الخطاب لنطق السلطان بهذه الجمل ب صوته خافت « اني كثير السرور برويتكم مجتمعين امامي هنا وسأل الله ان يكمل أعمالنا بالنجاح والتوفيق » وقد كان للخطبة وقع سيىء في الاستانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

بغير جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صرى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٦ — ٢٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ ﴾

خطب ودروس

﴿ صاحب المنار ﴾

في هذه الديار (٥)

إن لي في هذه الدنيا وطنين : وطن المنشأ والثرية وهو سورية فاتي نشأت
في قرية القلعون المجاورة لطرابلس الشام في ساحل الكورة من لبنان وتعلمت في
طرابلس . ووطن العمل وهو مصر التي أقت فيها إحدى عشرة سنة أدعو الى
الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وقرأ الدروس واعمل في بعض الجمعيات .
ولما أقر الله عيونا مشعر العثمانيين بالحكومة الدستورية اشتقت الى زيارة
وطني الأول لرؤية الاهل والاصدقاء ولاختبار حال البلاد بعد ان اشتدت عليها
﴿ نشرت في العدد ٥٣ من جريدة الاتحاد العثماني اليروثة الصادر في

٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

وطأة الاستبداد ومساعدة محبي الإصلاح والترقي في التنبه لما يجب ان تتوجه اليه المهم .

زرت بيروت وطرابلس والقلمون ثم عدت الى بيروت ومنها ذهبت الى دمشق الشام فبطنك فخمص فطرابلس . وقد أقيمت في أكثر هذه البلاد خطباً ودروساً وجري لي مع أهل الفهم والظهور فيها محاورات كثيرة فوفقت على ما أحيت الوقوف عليه . أما المقاصد التي كان يدور عليها كلامي فهي محصورة فيما يأتي :

(١) وجوب الجمع بين هداية الدين والعلوم العصرية التي عليها مدار ثروة الأمة وعزة الدولة ، مع بيان عدم التناقض والتعارض بين دين الاسلام وهذه العلوم من رياضية وطبيعية واقتصادية

(٢) الاعتماد في هداية الدين على اتباع سيرة السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم ومن سار على طريقهم وما طريقهم إلا الاهتداء بالكتاب العزيز والسنة السنية وقد فصلت ذلك في الخطب والدروس بمطالبة العلماء بأن يعلموا الناس دينهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين به فهديه أفضل الهدى وطريقه أقصد الطرق . وينت ذلك في أسس الدين الثلاثة العقائد والآداب والأعمال

(٣) أما العقائد فينت ان الاعتماد على كتب الكلام في تلقينها للعوام لا يأتي بالفائدة المطلوبة وربما يضرهم ويوقعهم في شكوك وشبهات لا يجحدون منها مخرجاً . ذلك بأنها لم تولف إلا لحماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة كما ينه حجة الاسلام الغزالي في كتاب (الجامع العوام عن علم الكلام) وفي غيره من كتبه . وإنما يجب اتباع طريقة القرآن في تلقين المسلمين عقائدهم بالاستدلال عليها يديع صنع الله في خلق السموات والأرض وما فيها من البحار والأنهار والجبال والحيوان والنبات

(٤) وأما الآداب والأخلاق فيعتمد في تعليمها على الآيات الصريحة والأحاديث الشريفة الناهية عن الفواحش والمنكرات ، الآمرة بالمعروف والباقيات

الصلوات ، المنبهة على ما فيها من فوائد الخير ومنافعه في الدنيا والآخرة ، وغوائل الشر ومضاره في الدنيا والآخرة — وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن اهتدى بهداهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين

(٥) وأما الاعمال كالوضوء والتيمم والصلاة والحج فقد ينت انه ينبغي ان تعلم بالعمل كما ورد في الاحاديث الصحيحة ومنها حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » واذا قرأ الانسان جميع الكتب ولم يتلق الامور العملية بالقسوة فانه لا يحسنها على ان الاقوال لا يستقي عنها في كثير من المسائل

ذكرت في عدة دروس وخطب ان هذه الطريقة هي التي يمكن تعميمها في مدة قليلة ترجى فائدتها ويظهر أثرها وانه من استطاع ان يعلم الناس كلام أو بعضهم ما زاد على ذلك من كتب الكلام والفقه وغيرها فليعمل بالطريقة التي قد رحا لاتكون مانعة له بل تكون مسهلة عليه ولكني أرى ان من المتعذر تعميم تعليم هذه الكتب فليبدأ بالمكن الاسهل طريقا الذي لا بد منه لكل مسلم

(٦) الحث على تأسيس الجمعيات الخيرية لانشاء المدارس ونشر التعليم الذي يتحقق به المقصد الاول من هذه المقاصد وهو الجمع بين الدين والعلوم ولاعانة المتكويين والمؤيزين عند الحاجة لتكون طبقات الامة متعاطفة متراحة يحترم فقيرها غنيها ويرحم كبيرها صغيرها

(٧) الحث على شكر نعمة الدستور بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي على اتمام عملها العظيم في داخل البلاد من مراقبة الحكومة لأجل الثقة بالعدل وحسن الادارة ، ومن بث الآراء والافكار التي تنفخ روح محبة الدستور والحفاظة عليه في قلوب طبقات الامة العثمانية . وقد خطبت وتكلمت في الاستبداد والدستور والمساواة أكثر من مرة

(٨) تنبيه الامة الى ما يجب عليها من محبة الدولة العلية وبذل المستطاع في تأييدها وتعزيز جانبها . وموالاة الدول التي تواليا ومعاداة الدول التي تعاديا ومجازاة هذه الدول بالاقبال على بضائنها أو بالأعراض عنها حتى تصير الدول تخشى عداوتنا وترجو مودتنا فانه لا شيء يهم أوربا من بلادنا مثل رواج تجارتها فيها . ولما جاءنا

نبأ ضم النمسا ولاية البوسنة والمهرسك الى أملاكها واعلان البلغار الاستقلال التام دون الدولة العلية وتحدث الناس باحتمال محاربة الدولة للبلغار وأظهر كثير من الشبان التطوع في الحرب بينت في خطاب أقيمت في نادي جمعية الاتحاد والترقي بطرابلس وفي خطبة أقيمتها امام الكتلة العسكرية في بيروت ان الدولة انما تحتاج الى مساعدة الامة بالمال دون تطوع الرجال لان ما عندها من السكر كاف لمحاربة اية دولة عظيمة إذا وجد المال الكافي لتجهيزه . ثم رأيت بعد أسابيع من آخر خطبة أقيمتها في ذلك بعض الجرائد المصرية تقول مثل هذا القول الواضح لكل عارف بالحقيقة

(۹) بيان التفاوت بين الشعوب والملل في البلاد العثمانية في العلوم والمعارف والاستعداد للقيام بأعمال الحكومة والكسب والاستطراد من ذلك الى أن العرب أشد تقصيرا في ذلك من الترك والارمن والارناؤط كما ان المسلمين من العرب أشد تقصيرا من النصارى ، ولفت الاذهان الى مضرة هذا التفاوت اذا طال أمره لان الوحدة العثمانية لا تتحقق الا باتفاق جميع الشعوب والفرق التي تتكون منها الامة العثمانية واشترا كما في الاعمال التي تصلح بها الدولة وتعمر بلادها، وهذا الاتفاق والالتزام من نتائج التقارب في الترية والتعليم ، فلا بد من عناية العرب عامة والمسلمين منهم خاصة بالترية والتعليم بقصد مجاراة غيرهم من إخوانهم العثمانيين وتمكين رابطة الاتحاد بهم ومساواتهم في أعمال الحكومة ومجاراتهم في الاعمال الحرة والا ساءت العاقبة وخيف ان تساعد أوروبا في المستقبل كل جنس على الاستقلال وتجعل العرب تحت سيطرتها لعدم استعدادهم لتكوين حكومة مدنية

(۱۰) تكريم الشعب وتنبيهه الى انه أهل لكل مكربة وكل خير ، وان العالمى اذا أهى الله فاجتنب الشرور والمعاصي ولزم الطاعة ورغب في الخير والبر فانه يكون خيرا وأفضل من كثير من المتعلمين الذين لا يستعملون علمهم الا لجر المنافع الى أنفسهم ولو بالباطل ، وان الفقير القانع الصالح أفضل من الغني الذي لا يمتنع الامة بضائه ، ولا يقف في الكسب عند حدود الله ، وان كثير من الفقراء

يمكنهم ان يذولوا شيئا قليلا من الصدقة على قدر حالم للجمعيات الخيرية وبذلك يعدون من خدمة الأمة ونحو ذلك

هذه هي المقاصد التي كان يدور عليها كلامي وكان فيها المتعلم والعامي : هذا يفهم فهم اجمالياً ، وذلك يفهم فهم تفصيلياً ، وقد رضى بها وأثنى عليها جميع من لقيت من العلماء والأدباء وظهر لها أثر حسن في ادهاء ، لا عليه أهل بلادنا من الذكاء ، وقد سألت أكثر من واحد من أهل العلم الذين سمعوا الخطب والدروس الدينية التي كنت أقبها في المساجد : هل انتقدتم عليّ شيئا فاقني العود إلى مثله ؟ فيقولون ما يقول أهل الفضل في هذا المقام اذا كان ماسمعوا مستحسننا عندهم غير مستند . ذكرت هذه الكلمة تمهيدا لما يأتي

حادثة الشام

ذكرت جريدة الاتحاد العثماني خبر تلك الحادثة ولم تخطيء إلا في قولها انني سافرت من الشام ليلاً والصواب انني صليت الفجر فيها وسافرت في القطار الذي يخرج منها بعد مطلع الشمس . وقد علم القراء ان ذلك الرجل الذي قطع عليّ الدرس قبل اتمامه لم يدع في مجلس الدرس انني قلت شيئا وأخطأت فيه وانما تكلم كلاما مستقلاً في مسألتين لم أتعرض لها في ذلك الدرس ولا في غيره من دروسي في بر الشام بآيات ولا نفي وهما مسألة تقليد الأئمة الأربعة واعتقاد فضلهم وهدايتهم ومسألة زيارة القبور واحترام الصالحين والتوسل بهم . وقد كان صاحب الفضيلة مفتي الشام حاضراً ذلك المجلس فأيّاه اسأل دون أولئك الأنوف التي كانت حاضرة الدرس : هل سمع مني كلمة مخالفة للشرع ؟ ان كان سمع شيئا مخالفاً فاذكره بالميثاق الذي أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب « ليعتقوا » للناس ولا يكتُمونه » ان يبين لي ذلك في كتاب خاص يبعث به إليّ وأنا أنشره في المنار وغيره مع بيان ما عندي فيه ، أو في رسالة ينشرها في بعض الصحف ليظهر الحق لطالبه ولا يخوض الناس في الباطل بغير علم . وسأكتب اليه كتاباً خاصاً أسأله فيه هذا البيان وهو أعلم بما ورد في الكتاب العزيز والاحاديث الشريفة في بيعه كاتي العلم

كشف شبهتين او ثلاث

إذا كنت لم أعرض لذكر زيارة القبور والتوسل بالأموات الصالحين في شيء من كلامي في بلاد الشام فقد اشتهر عني اني كتبت كثيرا في انكار البدع المتعلقة بذلك . واذا لم أكن قد تعرضت هنا لذكر الاجتهاد والتقليد فقد علم الكثيرون اني كتبت بذلك كثيرا . وكنت أعرض كل ما أكتبه ولا أزال أعرضه لقد العلماء وأنتشر كل ما يرد علي منهم في ذلك ولا تسع هذه الجريدة لذكر شيء من ذلك وانما أريد هنا كشف شبهتين خاض فيها بعض الناس بسوءنية وبمضهم باخلاص وحسن قصد ولكن مع سوء فهم أو تصديق للكاذبين الذين يشيعون عنا الاباطيل حتى زعموا اننا ننكر وجود الملائكة وجودا مستقلا

الأولى : أشيع عني اني أطلب كل مسلم بان يكون مجتهدا مثل الأئمة رضوان الله عليهم ، وربما تطرف من يستبيح الكذب لارضاء هواه فزعم اني أطلعني في الأئمة المجتهدين . وأقول في الجواب عن هذه الشبهة انه لا يطلب الناس بمثل ما ذكر إلا من كان لا يعقل ان هذا من طلب المحال قصور استعداد أكثر الناس عن ذلك أو عدم تفرغهم له . ومن فهم اني أعني هذا بالترغيب في الاهتمام بالكتاب والسنة فهو مخطئ . قائما أعني به ان وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم ويبعث روح الدين في نفوسهم ، وأطلب المشتغلين بالعلم ان يصنوا بفهمهما ويذكروا العامة بهما ، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب كبعض طلاب العلم ومن لم يتفرغ له كأكثر العامة . ومسألة النعي عن التقليد مسألة أخرى يراء بها فهم كل قول بدليله لا ان يكون كل مشتغل بالعلم قادرا على تدوين مذهب !! . وهذا ما أعنيه بالأصلاح الديني وملخصه ان يعنى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة وفهم كلام الأئمة بدليله وان يبدلوا جهدهم بإرشاد العامة بها كما تقدم . وهذا هو عين اتباع الأئمة وقد ورد عنهم نصوص كثيرة مصرحة به وهو غير التقليد الذي نهوا عنه

الثانية : اني لم أنكر زيارة القبور وانما أنكر دائما ما يكون عند زيارتها من

٩١٠ التوسل بذوي القبور الكرامات . مواهب السنين الله (الملتاح ١٢ م ١١)

البدع التي لم تكن على عهد السلف الصالحين ، ولم يقل بمشروعيتها أحد من الأئمة المجتهدين ، وأقول ان حب الصالحين والاولياء المقربين من الاحياء والميتين انما ينفع ويكون وسيلة الى الله عز وجل إذا أفاد صاحبه التشبه بهم في خشية الله وتقواه وترك المعاصي والعمل الصالح مع الايمان الصحيح والا كان غرورا . ومن الغرور الذي يمنه الاسلام دعاء أصحاب القبور بما لا يطلب إلا من الله واعتقاد انهم يستجيبون لمن دعاهم ! وان لم سلطة غيبه وراء الاسباب والسنن الالهية ينفعون بها ويضررون ، ويعطون ويمنعون ، فهذا الاعتقاد عبادة باطلة وان سميت توسلا فان الاسماء لا تغير الحقائق

ومما يتعلق بهذه المسألة بحث الكرامات والتي لم أنكر جواز الكرامات ولا وقوعها ولكن ينت منها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير او تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بان سننه لا تبدل ولا تتحول . وانها لا تكون معتادة كأنها صنعة بيد الولي ! بل قال في الفتوحات انها لا تتكرر فان المكرر يكون معتادا لا خارقا للعادة وغير ذلك من الاغلاط التي لا دليل عليها في الشرع ولا العقل . وحذرت عوام الأئمة من الدجالين المحتالين الذين يدخلون عليها التليس من هذا الباب . فمن أراد أن يقف على التفصيل في ذلك ، فليراجع المجلد الثاني والمجلد السادس من المنار ففيها بضع عشرة مقالة مطولة في الكرامات . ومن يدعي ان شيئا من كلامنا المجلد هنا والمفصل هناك مخالف للشرع فعليه أن يكتب الينادعواه مؤيدة بالدليل لنشرها له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد رشيد رضا

باب المراسلة والمناظرة

﴿ من بحث الكرامات ﴾

الى حضرة البارع الفيور ابي عبدالله الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ايده
الله وسدد مسعاه

السلام عليكم وبعد قد طالما تشوقنا الى مناسبة المراسلة وارتباط المواصلة حتى
حان وقتها بمناسبة ما كتبتموه في جريدة الاتحاد العثماني من اجال رحلتكم الى سورية
فتمنتكم بتعاهدكم للوطن الاول واكتسابكم علما باحوال ما كان غائبا عنكم واطلعنا
على مقاصد دروسكم وخطبكم الدالة على غزارة علم وجودة براعة وحسن احساس
وشعور من تبيينهم للتعاون على البر والتقوى والتعاضد ماديا واديا والسعي في
عمارة الدارين وحضكم العلماء والمفكرين أن يكون وعظهم وتعليمهم مؤسسا على
الكتاب وما صح من السنة قهراً وعقائداً وآداباً فقد وفيتم ما عليكم من مسؤولية
قوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) الآية وقد أبلغتم
تلك النصائح بالحكمة والموعظة الحسنة فصنعكم هذا لا ينكره عالم يتحرى السنة
والجماعة ولا يستغله الا جاهل أو حاسد فنشكركم على تلك المهمة والحزم السديد

بقى بحث الكرامات ذكرتم انكم لم تعرضوا له في الشام وقد تعرضتم له الآن اماماً أحلم
عليه في مجلدات المنار فاعلم انني الى الآن ما رأيت من المنار عدداً للسبب الذي كان
حائلاً في الاستانة كما لا يخفى ولكن النقطة المقصودة هنا من بحث الكرامات جليلة من
الاجال المصنوع في الاتحاد العثماني وقد أكرمتم على أهل العلم ان يكتبوا لكم مظاهر لهم فانكم
طوقم أعناقهم امانة شديدة المسؤولية فيكون السكوت منهم وفاقاً في جميع ما هو مصطور
هناك فاخترت مكاتبتكم بما عن لي والمأمول من كالم الانصاف والرجوع الى الحق الذي
ينبئ لكم فنقول: قولكم في الكرامة « انها لا تكون مخالفة لسنن الله تعالى في خلقه بتغيير
أو تبديل أو تحويل لان الله تعالى أخبر بأن سننه لا تبدل ولا تتحول » هذا لفظكم تنصرون،

قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) تفسير هذه الآية ونحوها بعدم خرق العادة وعدم انحراف سبيل الطبيعة في الكون موجب للاسف وقد سمعت الاحتجاج بها مرارا على لسان من يدعي انحصار حوادث الكون في الاسباب انحصارا كليا ورأيت في كتب جديدة عربية وترية ولا أدري أول من دس هذا البلاء تحت هذه الآية الكريمة فهو دفع للمعجزات النبوية بالصدر لانها محض خرق العادة وما هو الا تبديل وتحويل لما هو معتاد في النظام الكوني وليس لاحد ان يفرق بين المعجزة والكرامة في أصل التبديل والتحويل لانه لا دليل على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمان دون زمان فالمراد بسنة الله في الآية نصره لانيائه ومن قضاهم ، وخذ لانه لاعدائه ومن والاهم ، ونحو ذلك من احقاق الحق وابطال الباطل . قال المحقق مجدد القرن الثاني عشر الامام الشوكاني في تفسيره فتح القدير تحت هذه الآية مانصه «فهل ينظرون أي فهل ينتظرون الاسنة الاولين أي سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل بأولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا أي لا يقدر احد ان يبدل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا منه ولن تجد لسنة الله تحويلا بأن يحول ماجرت به سنة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما ثم قال أولم يسبوا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده »

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمة الدين ولا يقال هنا العبارة بمعوم اللفظ لأن المعنى الذي زعموا تناول اللفظ اياه مناقض لا كترآيات القرآن التي قصت وقائع الانبياء وغيرهم من عجائب قدرة الله كنار ابراهيم وعصا موسى وخلق الله عيسى بلا اب وواقعة اصحاب الفيل وغير ذلك ولنا ان قول نزوعا بالآية اعتباراً بمعوم اللفظ عموما لا يقتض آية اخرى من سنة الله ان يخلق اشياء باسباب لحكمة واشياء بلا اسباب لحكمة ولن تجد لسنة الله تبديلا . واعجني ما كتبه صاحب الحية الاسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمى « الاسلام والتصرانية مع العلم والمدنية » بعد اشارته الى حديث « لتبين سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع ، قال في صحيفة ١٣٨ : ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت احكام سنن الله فيهم فهل ينتظر المتبعون سننهم السارون على أثرهم ان يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقيهم وقد قضى بان تلك سنته ولن نجد لسنة الله تبديلا. اه فان كان مرادكم سد الذريعة خوف توسيع الخرق على الواقع من جهة العامة فسد الذريعة من اصول الشريعة لكن مع السلامة من مفسدة أكبر من تلك وخوفكم على العامة بهذه المثابة إفراط فانه لا تلازم بين جواز وقوع الكرامة خرقا للعادة باذن الله وجواز ما يصل من البدع في زيارة الاولياء والعلوي في الاعتقاد. وانتم تعلمون ان الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الاسفراييني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما انكراها وانما قالوا لا تبلغ مبلغ المعجزة وبعضهم شرط ان لا تتوالى وتترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر . وكلامنا الآن في جواز اصل وقوعها امكانا وستة ، لافي عوارضها وارشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطق بذلك احد من اهل القرون الثلاثة ؟ فأملا المسألة فان خطرها كبير والماديون والطيميون بالمصاد فاذا سمعوا علماء الملة يقولون بمسدم خرق العادة فيا بشراهم ينون على هذا الاساس الموهوم ماشاموا لان مذاهبهم انزال الخلق جل جلاله عن التصرف في العالم استفتاء بالطبيعة أعادنا الله واياكم من الضلال وبالله تعالى التوفيق

محمد المكي بن عزوز بالاستانة

(المنار) إننا لا نقول بأن ما يعبر عنه بخوارق العادات غير جائز ولا غير واقم بل نقول الآن كما قلنا من قبل انه جائز وواقع وان كانت الآيات التي أيد الله بها الانبياء ليست محصورة في الخوارق الكونية وقد كانت عبارة الكرامات التي ذكرناها في المقالة التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني بمجلة لأننا كتبناها بعد كتابة تلك المقالة فأودعناها بين سطورها في المكان اللائق بها فكان إنجازها هو السبب في إيجالها ولم نر بذلك بأسا لأننا أعلنا على ما سبق لنا من التفصيل الذي يبين مرادنا . وفي تلك المقالات التي نشرت في المجلد الثاني والمجلد السادس بيان مستفيض لكل ما ألم به صاحب هذه الرسالة ومنه البحث في تأييد الدين بالخوارق (المنار ج ١٢) (١١٥) (المجلد الحادي عشر)

وفي عدد كثير من علماء الدنيا إياها شبهات على الدين ومنفرات عنه فمسي أن يطلع عليها كلها ثم يبين لنا رأييه فيها . وانا نقل الآن له شيئاً منها يتعلق بمرادنا من قولنا ان الكرامات لا تكون مغيرة لسنن الله تعالى

كتبنا في المقالة الثامنة من مقالات « الكرامات والخوارق » التي نشرناها في الجزء الأول من المجلد السادس الذي صدر في غرة المحرم سنة ١٣٢٩م انصه (ص ١٧) « أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السموات والارض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور ؟ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً . ومبلغ العلم فيها انها كما قال ابن رشد قد وجدت وقلت تقلا متواترا اعترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحرا لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المعجزة كل ما يراد به إثبات النبوة وان لم يكن من الخوارق

« فلم بهذا ان آيات الأنبياء عليهم السلام مصونة من انكار المنكرين ، واعتراض الواهين ، وانها قد انتهت فلا يخشى ان يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما انه لم يضر في الماضي وإنما كان نافعا ، اهـ من سياق الكلام في مبحث تنفير الخوارق عن الدين

وذكرنا في المقالة التاسعة التي نشرت في الجزء الثاني من ذلك المجلد (ص ٥٥ م ٦) عدة مسائل في الموضوع الأولى منها في سنن الكون وكونها عامة في ارتباط الاسباب والمسببات والثانية في كون الظن لا يعارض اليقين والثالثة في كون دوايات الاحاد تنفيد الظن . والرابعة في كون المعجائب والخوارق قد قلت عن جميع الامم ووجوب تمحيص القول وتحريرها . والخامسة في تمحيص المروي « ليعلم انه واقع حقيقة ولم يكن تخيلا للاظهار ، أو خداعا للابصار أو الافكار ، » وهذا نص السادسة :

وقد كشف العلم أسبابا لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئا من هذه الغرائب وقع لاحالة فينبغي الرجوع

لاتماس الاسباب من مظاهرها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه، ولا وجه يمكن ان يؤل اليه ، فهو الذي يصح ان يسمى خارقة أو أصجوبة ، والنظر فيه من وجهين: حال من ظهر على يده وامكان قياسه على غيره ، ثم يننا ذلك والغرض منه — كما لا يخفى — تنبيه الناس لحيل الدجالين ، وجذب مبغضي الخوارق الى الدين ، ولذلك قلنا في المسألة العاشرة (ص ٥٩ م ٦) مانصه :

« اذا فرضنا ان العلم أظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية ، وأسبابا خفية ، (أي كما يستد منكمرو الخوارق الآن) فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة أو ظهور لبطلانها ، كلا إن تحقق (تأمل) فلا يمد ان يكون نفعه مظهرا لحقيقة النبوة كأن يبين ان الارواح العالية التي تتصل بالعالم الاعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كاحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية ، وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وارادتهم كما شاؤا وكيفما شاؤا ، وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويستندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بإذنه ، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان ، وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجادلة من قومهم والخاص في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افهام السيية ، وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي العدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجهه (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا في شك مما تدعوننا اليه مريب » قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويومخركم الى أجل مسمى ؟ قالوا ان أتمم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان ميين » قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان تأتيكم بسلطان الا اذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فلهذا سنة الله في الانبياء والامم : يدعو النبي قومه

٩١٦ صدق الانبياء عليهم توفقه على الخوارق المعجزة والكرامة (المناج ١١٢)

الى الله بالينة وهي كل مايتين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيدبراً من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع المستعد لقبول ذلك، ويماند الآخرون فتحق عليهم كلمة المذاب، قال تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخوفها)

«فاذا فرضنا ان العلم أظهر سيما مقولاً لآيات موسى عليه السلام قبل يات في ذلك أنها كانت تخوفنا فرعون وقومه وجاذبة لبني إسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللاتق بأمثالم في بلادهم وجفوتهم ؟

« نعم ان مايتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لايتج على صحته الا بالعجائب وليس لاصحابه برهان على عقائدهم ، ولاستدعتوا رعلى صحة كتابهم ، أولئك الذين ينقون في كل بلاد اسلامية : ان القرآن لم يثبت ل محمد (عليه افضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة ١١ . فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحرية والسياسية وتكوين الامم ونزيتها من رجل أمي ترى يتيا في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييداً الهيا ، وبرهاناً على صدقه قطعياً ، وإنما البرهان عندهم هو تلك الحكايات التي يقولونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كتبهم أعظم منها ، اه ومنه يعلم اخوانا صاحب الرسالة موما في هذه المباحث وانها تأييد دعوة الانبياء ومحاجة منكري آياتهم ومعجزاتهم ، فهل يخاف بمرهذ ان يكون كلامنا حجة لهم ؟؟ ولا يحسبن اننا نصور شبهالم ترد علينا كما فعل كثير من علمائنا كالرازي وغيره . كلا اننا نرد على قوم موجودين وشبهات كثر الحديث فيها . وهالك نص المسألة الثانية عشرة (ص ٦١٦) :

«سبق في المقالات الاولى ان اصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لابد ان تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسونه التحدي ، والثانية لا تكون كذلك . وبأن الاولى يجب إظهارها لاقامة الحجة ، والثانية يجب إخفاؤها خوف الفتنة ، وزاد بعضهم كالتشبيهي من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاً من رضى ومكاشفة خلافاً لقول المشهور : ما جاز أن يكون معجزة لبني جاز أن يكون

(المارچ ۱۱م ۱۲) المعجزات . عدم مخالفتها السنن . صدی حادثۃ الشام تونس ۹۱۷

كرامة لولي . ولقاتل ان يقول جمعا بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل فانه
ما وقع ولا يقع بالفعل ، اه

هذا وقد بحثنا في مسألة الخوارق والسنن الالهية في غير هذه المقالات كدروس
الامالي الدينية في العقائد وينا ان السنن منها ما يتعلق بالعالم المادي ومنها ما يتعلق
بالعالم الروحاني وان من يقول ان آيات الانبياء والكرامات لآخفاف سنن الله تعالى
فراده سننه العامة لان مخالفتها للسنن المادية قد شوهد في زمن : ظهورها ونطق به
الكتاب المعصوم وهذا الذي أوردناه هنا يكفي لتفصيل مارآه اخوانا الكريم صاحب
الرسالة في مقالنا التي نشرناها في جريدة الاتحاد العماني

وانا نشكر له فضله وعنايته بما كتبنا ومراجعتنا فيما انكره منه فحسب ان يكون
الشكر مدعاة المزي من مثل هذه المراجعة المفيدة ومثله أهل لذلك . نحمدا لله العلماء
المنصفين ، وجعل سيرتهم عبرة يستفيد منها الناس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء السوء
الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فاذا رأوا عبارة يمكن انتقادها لاجمال
فيها وغموض ، أو لكونها خطأ لصدورها عن غير معصوم ، اخذوا يشنعون وبقاؤون ،
ولكنهم لا ينبهون صاحبها ولا ينصحون ، وان لم يجدوا ذلك استنبطوا واخترعوا ،
وتقولوا وكذبوا ،

ان يسمعوا الخبير أخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

صدی حادثۃ الشام

﴿ في تونس ﴾

جاءنا هذا الرقيم من أحد علماء تونس المصاحبين وقد سألنا نشره في المنار وانا ننشره
اجابة لسؤاله مع الشكر له ولاولئك الذين يحسنون بنا الظن قال :

أيها السيد الكريم

من ذا الذي يعلم خدمتك للملة ، وجهادك في سبيل ترقية الامة ، ثم لا يسجد

لله شكرا على ما نجاك من أراد بك كيدا ؟ فنهينا للعلم والحكمة ، بما أسبغ الله عليهما من النعمة ،

ولقد رأيت المصطفين الاخيار ، من نابتة هذه الديار ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وافاض عليهم من طوله ، اذ حفظ زعيم هذه الامة ، الداعي الى سبيل ربه بالموعظة الحسنة والحكمة ،

واني لأذكر بهذه الحادثة ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد من عمر بن قتيبة ، وأحب ان يذكر ذلك اسرى الاوهام دحيما كانوا ، ممن يرون هذه الحادثة اثرأ من آثار تخرج الدين عليك ، وانتظاره الفرص للانتقام منك ! فلا والله ، انك لمن أحب الناس اليه ، واكرمهم عليه ، ولو تمثل لم بشرا لرأوه يحمدهم الله حمدا كثيرا ، ويشكرهم بكرة واصيلا ، على ان الحادثة — بفضل الله — لم تزد درجاتك الارتقا ، وصيتك الا اشتهارا ، ولكنهم يفهمون الشرف مقلوبا ، والمجد مكموسا . فيالله والدين والانسانية ، وطلاب الاصلاح من بقاء الجمعية البشرية ، من هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقبضون انفسهم بالفهماء وهم لا يفهمون ، ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون .

وانا نشكر المنار الزاهر فضله في تبديد حزبه ، وتمزيق شملهم ، والاجاز على مذهبهم حتى أصبحت كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، وازداد ايماننا بما قال الله في كتابه (انزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحمل السيل زبدا وايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفا ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

والله يحفظك لحاية دينه والدعوة الى سبيله ، والسلام .

اثر انقلاب العثماني

الانقلاب العثماني

طبعت رسالة الانقلاب العثماني بمطبعة المنار في كتاب مستقل^(١)
وهذا نص المقدمة التي كتبها له شقيقنا السيد حسين وصفي رضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وشاورهم في الامر)
(وامرهم شورى بينهم)
« القرآن الحكيم »

كانت الدولة العثمانية منذ أسسها السلطان عثمان ذلك الرجل المدبر العصامي ،
الى نهاية أيام السلطان عبد المجيد العاقل الابي ، — دولة حرة بحجة ، شادت بناء
عظمتها على أسس الاقدام والشجاعة والقلب ، فلم يمض زمن كبير حتى اصبحت
من الدول ذوات البأس اللاتي يتقى غضبهن ، وتخطب مودتهن ، فأمنعت في
الفتوحات ، واسترسلت في الغزوات ، وقلا كانت ترجع من غزوة إلا وبنود الفلج
تخفق فوق رأسها ، ورايات النفر تتمايل في أيدي رجالها الكفاة صلفا وقرا ، فمز
مكاتها ، وتطاول بانياتها ، واتسع ملكها ، حتى تظلمت في أحشاء أوربا ، بعد أن
استحوذت على آسيا الصغرى وجزء كبير من إفريقيا .

(١) بلغت صفحاته ١٨٢٤ باقطلع الصنبر وهو يباع بثلاثة قروش صحيحة في
مكتبة المنار بمصر وطرابلس

كانت مريعة الخُلع في هذه السيل فسادت وشادت ، وبنت على أطلال الدولة السلجوقية دولة عظيمة قوية ، وما كان العظم في تلك العصور التي يسمونها العصور المظلمة الا بقوة المراس ، وثبات الجاش ، والنشوء بين صليل السيوف ، ومزاحف الصفوف .

أخذ بمضدها فتح القسطنطينية وكان تميا صالحا فأناف بها على الباع ، وتوغل بها سني المراتب ، تاهيك بمالك القسطنطينية اذا كانت خيرا عادلا ، وما زالت تندرج في منازل العظمة ، ومواطن السؤدد ، حتى كانت أيام السلطان سليمان القانوني ، وفيها بلغت آخر مدى ووقفت عند متهى الناي ، وهو صاحب الفضل في جعلها حكومة نظامية قانونية ، بعد ان كانت تجري على عقائد محنونة ، لا غناء بها ، ولا نظام لها ، ومن ذلك الحين دب الضعف في جسها وكان اهمال أولي الامر وجهلهم وسوءهم الرعية سوء العذاب مساعدا على غناء الضعف ، وسريانه في جسم الدولة ، الى أن تولى السلطان محمود الثاني ذلك الحب للإصلاح ، والدولة على شفا جرف هار ينذرهما بالاضمحلال والفتناء ، فانها وقد قدت تلك القوة التي كانت تباهي بها ، ولم تضرب بهم في العلم الذي أصبح السلاح القاطع والقوة الكبرى في ذلك الحين وهذا الحين ، قوم متآدبا بما في وسعه ، واصلح قاسدها بما في طوقه ، وبما يذكرك له بالثناء عليه تنكيه بالانكشارية الذين كانت وُعام الملك في يدهم لذلك العهد ، وكانوا من أشد العوامل في افساد الدولة وإضعافها ثم تولى الملك السلطان عبد المجيد والدولة في قلاقل داخلية ، ومشكلات خارجية ، تضعف الرجاء في إقالتها من عثرتها ، وانهاضها من كبوتها ، بله ارجاعها الى سابق عزها ، وسأف مجددا ، فأخذ بضبعها ، وحدد للحكومة وظائفها ، وبين للرعية حقوقها ، ويكنيه خيرا انه هو الواضع لخط « كلدخانه » المعروف

لم يكبد عبد المجيد يوارى في رسمه حتى قام السلطان عبد العزيز وهو الذي زين له حب الشهوات ، وأولع بحب السيطرة ، واشرب قلبه القسوة ، ينكت قتل سلفه ، ويصدع رأب سابقه ، وكان حونا له على هذا التخريب وزيره محمود نديم باشا ، حبيب (اختايف) السفير الروسي في ذلك العهد ، ومنفذ غاية مقاصده

ثم جلس على سرير الملك السلطان عبد الحميد الثاني ، بعد ان تولى الملك السلطان مراد مدة لم تتجاوز ثلاثة وتسعين يوما ، ولم يكد يستقر على السرير حتى أحاط به جمهور من الاحرار ، وزينوا له ان يسير على سنن أوربا ، فتكون حكومته دستورية حرة ، وكان مدحت باشا هو الرأس المدبر لهذه الحركة ، واليد العاملة فيها ، ولم تكد تقرر عيونهم بتحقيق الرغبة ، حتى فوجئوا بالنفي والابعاد ، وإلقائهم في غياهب السجون ، وإغراقهم في لجج البوسفور !!!

ابتدأت المظالم منذ ذلك الحين تحارب الامة في جميع مقومات الحياة ، والتف حول السلطان فريق من الجواسيس « يخشون الناس كشية الله أو أشد خشية » فطفقوا يرضون المخلوق بما يسخط الخالق ، واقترحوا ضروبا من الظلم ، وأفانين من الارهاق والتضييق ، كانوا يصولون بها على الأمة صيال الوحوش الضارية ، والطيور الكاسرة ذوات الخالب ، وامتد بهم الافساد الى أن سلطوا بعض رجال الامة على بعض ، فقتلوا في عضدها ، وأفسدوا أخلاقها ، حتى بات الابن يخشى ان يأتيه الضر من قبل أبيه ، والأخ يتوقع ان يحيق به البلاء من ناحية أخيه ، وكان العلم أخوف ما يخافونه ، فنكلا رجاله شر تكيل ، ففر منهم من أفلت من ظلمهم الى أوربا وأمريكا ومصر .

كان الاحرار في غضون هذه الملمات والكوارث النازلة بآمتهم قد اجمعوا أمرهم سرأ وانشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي تبوأوها ، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل ، وكلما تنديد بالحال الحاضرة ، وغلا في ذلك قوم واستخذى آخرون ، حتى قام فريق من الشبان في الاساتنة — ومعظمهم من طلاب المدرسة الطبية والمتخرجين فيها — فأسسوا جمعية الاتحاد والترقي منذ ثمانى عشرة سنة ، ثم تمت وعظمت بعد ذلك ، وانتظم في سلكها كثيرون من كبار الاحرار وخبار العقلاء . وقد كان لرجالها تكتم غريب ، وتحفظ شديد ، وحزم عظيم ، كانت بدايته السلامة من صولة الجواسيس ، ونهايته ذلك الفوز الكبير والنصر المين ، إذ قاموا بقلب أعرق حكومة في الاستبداد الى حكومة دستورية حرة ، من دون ان

(التارخ ١٢) (١١٦) (المجلد الحادي عشر)

راق في سبيل ذلك قطعة دم ، مع أن المسطور في التواريخ ان مثل هذا الاقلاب لم فصل أمة إلى ساحله الا بعد خوضها في بحر لحي من الدم ،
 لم تكن دهشة الامة العثمانية واعجابها بهذا الاقلاب بأكثر من دهشة سائر الامم الاخرى ، فقد تجاوزت صيحات (نيازي) و (أنور) بلاد الدولة العلية الى مدن أوربا وغيرها ، فالتفتت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يحظر لهايال ، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا مصعجين بهذا الاقلاب الذي لم يمر التاريخ في صدره له ضربا ، حائرين في أسبابه ومقدماته ، حتى قام اليوم الكاتب السياسي ، والاديب الألمى ، صديقا محمد روجي بك الخالدي ، عضوا القدس الشريف في مجلس النواب العثماني — بتأليف رسالة جليلة في هذا الموضوع ، أمام فيها التام عن الاسباب المجهولة ، والحقائق المخدرة ، وقد بحث فيها بحثا فلسفيا في أصل الاستبداد ونشوءه ، وشكل الحكومة العثمانية في بدء تأسيسها ، وبيان تقاليد الموروث ونظاماتها المكتسبة ، وشروع الخلل في إدارة الدولة واستبداد أولي الامر فيها ، مما أدى بها الى شر حالة ، وكان سببا في قيام الاحرار ومطالبتهم بالاصلاح ، وأفاض القول في شؤون الاحرار وتاريخ ظهورهم ، وبيان الطرق التي سلكوها ليلصقوا الى مقاصدهم ، مع تراجم مشهور بهم .
 جال المؤلف في ذلك جولة المودع الواقف على الحقائق ، واستنتج من الحوادث التي سردها أن الاقلاب هو النتيجة التي لا بد منها لتلك المقدمات التي سبقته ، فكان ما كتبه جذبرا بأن يكون رائدا لمن يأنس في نفسه شغفا الى استكناه تلك الغوامض التي ادهشت العالم ، وقلبت كيان السياسة ، وأي قارى ، ليس شغوقا بذلك ؟
 نشرت الرسالة في مجلة (المنار) فكانت موضع استحسان العلماء القلاء ، والكتاب الابداء ، وكان بدلي ان استأذن مؤلفها في طبعها على حدة لتكون كتابا مستقلا تلزم مطالعته ، وتسئل مراجعته ، فكتبت اليه راغبا في ذلك ، فرجع القول مليا للطلب ، ساعحا بتفحيح ما لا تسلم منه كتابة المتسرع ، ولا سيما اذا كان كوه لقلنا لم يُتَح له ان يعيد النظر على ما كتب ،

واني أزفها اليوم الى الناطقين بالضاد مطبوعة طبعها صحيحا ، وجاء ان يستفيدوا من تحقيق مؤلفها ، ويقفوا على أسباب ذلك الاقلاب العجيب . وخلق بأهل هذا

القطر الذين شفقوا بالدستور وقد ضلوا طريقه، ولم يهتدوا إلى بابه، أن يعمقوا في معانيها، ويتبينوا مرادها، عسى أن يتأسوا بأولئك الأحرار، ويكونوا من خير المختزين لم في هذه الديار

القاهرة في سلخ ذي القعدة سنة ۱۳۲۶

حسين وصفي رضا

التقریظ والانتقاد

حالت كثرة المواد في أجزاء المجلة الأخيرة دون التنويه بالكتب التي أهديت البناء، وذكر المجلات والجرائد التي صدرت في هذه الفترة، ولما كان هذا الجزء هو آخر أجزاء السنة التي أهديت البناء فيها تلك المطبوعات رأينا أن تنوّه بها على سبيل الاختصار، وربما نفود إلى الكلام على ما يستدعي منها الكلام في السنة الثانية عشرة :

﴿ الكتب ﴾

تاريخ معروف السكة الحجازية

ألفه صديقنا الشيخ محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية الشهيرة في ثلاث لغات : الاوردية والعربية والانكليزية وهو تاريخ مفصل لهذا المشروع الجليل

اتمام الوفاء

مؤلفه الشيخ محمد انضري المدرس في مدرسة القضاء الشرعي وهو يحتوي على سيرة الخلفاء الراشدين وقد جعله مؤلفه قسيتين : قسماً سماه عصر اتحاد الكلمة وقد ذكر فيه الفتوحات ونبذة من نظامات الأمة الاسلامية في ذلك الحين، وقسماً سماه عصر الفتن وهو ما كان في أيام الخليفتين عثمان وعلي (رض)

والكتاب يقع في ۳۳۹ صفحة بالقطع الصغير وياع بخمسة قروش في جميع المكتبات

تاريخ اسلاميت

مؤلفه الدكتور . ر . دوزي المولاندي أحد علماء المشرقيات الاعلام ومن
اعضاء المجامع العلمية في أوربا ، وهو كتاب جليل ترجمه باللغة التركية الدكتور
عبد الله بك جودت منشي . مجلة « اجتهاد » وصفحاته ٣٣٤

الشيخ السلوك

ألفه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للملك الناصر
صلاح الدين يوسف وقد طبع على نفقة أحمد زكي افندي أبو شادي ومحمد رشدي
افندي الخليل بالحاكم الاهلية وهو يطلب منها وصفحاته ١٤٠ بقلم النار

تأويل مختلف الحديث

هذا الكتاب من فائس الكتب وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوري من أهل
القرن الثالث « في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادهوا
عليها والاختلاف والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المشابهة أو
المشكلة بأدبي الرأي » وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد ان صححه
على نسخة مصححة بقلم السيد محمود شكري الأكمسي عالم العراق ونسخة مصححة
بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشير وحسب الكتاب أنه ان يكون مصححاً بقلم هذين
العالمين ، ويطلب من طابعه بمصر

نمار القلوب

مؤلفه الامام ابو منصور الثعالبي صاحب يتيمة الدهر وقه اللثة وهو من كتب
الادب التي يرغب فيها ، ومن ذا الذي لا يرغب في كتب الثعالبي من الادباء والكتاب
يقع في ٥٦٠ صفحة مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد ويطلب من طابعه احمد زكي
افندي ابو شادي بمصر

الدوة الثانية قبل الدستور وبعده

تأليف صديقنا سليمان افندي البستاني العضو في مجلس المبعوثان عن ولاية بيروت
والكتاب يصتري على فصول كثيرة من آراء المؤلف ومروياته ومراثياته ، وهو مطبوع

طبا نظیفا علی اجود ورق وصفحاته ٢٠٣ وثمنه ١٢ قرشا صاغا وهویباع فی جمیع المکتبات ویطلب من اسعد افندی البستانی بشارع صندوق الدین بمصر

ترکیا الجدیة

مولفه جمیل افندی معلوف من مشهوری کتاب السورین فی أمریکا وقد قدسه الی ستة کتب : (١) اسباب الانحطاط فی الشرق ، (٢) تفرنج الشریین ، (٣) التعلیم ، (٤) القانون الاساسی ، (٥) الدیانة السیاسیة ، (٦) ابقاء أم فناء . وخته بفصل فی حقوق الانسان وملاحظات متفرقة .

عفة الاولاد

کتاب صغیر یحتوی علی نصائح وعظات یجدر بالنابة أن تعنی بتلاوتها وتدبرها ترجمه بالمریة سلیم افندی خوری « بقلم سکرتر مالی السودان » وهو یطلب منه

جواهر المسکاة

هو مجموع رسالتین إحداهما لابن المقفع والآخری للحافظ ابن عبد البر الاندلسی جمعهما فی کتاب واحد عوض افندی واصف صاحب مجلة المحیط ویطلب منه وثمنه ثمانية قروش .

❖ الدواوین الشعریة والرائل والقصص ❖

دیوان احد نسیم

احمد افندی نسیم من شعراء مصر المشهورین وقد جمع شعره فی کتاب بلغت صفحاته ١٣٩ مطبوع طبا نظیفا علی ورق صقيل

دیوان الحمویات

نظم هذا الدیوان السید محمد الحسن الحموی وهو یحتوی علی موضوعات شتی وکثیر من المقاطیم وقد طبع بالقطع الصغیر وصفحاته ٢٠٨ ویطلب من ناظمه بجلوان

رسالة المطور

ترتیب محمد توفیق افندی عطار الدمشقی نزیل الاستانة وهي رسالة فی علم الفرائض سهلة العبارة حسنة الترتیب

تاريخ الحرمين وبيت المقدس

كراسة لأحمد حافظ افندي هدايه وتطلب منه بطنطا

المبادئ النحوية

رسالة في النحو مختصرة سهلة للشيخ مصطفى بكري الاسيوطي « مدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة »

فتح التيوم

وهي ختمة مقدمة ابن آجروم للسيد محمد بن سودة من علماء فاس

في سبيل الدستور الفارسي

كراسة تحتوي على خطب وكلمات جمعها حسين افندي ابراهيم الابراي نزيل مصر

يوم العاصب

هو الجزء الاول من مجلة حدائق الظاهر لصاحبها أحمد زكي افندي أبوشادي ومحمود افندي عباسي وثمنه ٣ قروش

ربة الجبال

قصة ترجمها باللغة العربية اسكندر افندي خوري وتباع بستة قروش في المكتبة الشرقية

﴿ المجلات والجرائد ﴾

الشرق الادنى The Near East.

مجلة انكليزية مصورة تبحث في شؤون الشرق الادنى خاصة ، وتطبع على أجود ورق ، وتشرصورا للبلاذ الشرقية ورجالها ومجالسها وغير ذلك في غاية الاتقان ، وموضوعها سياسي مالي أدبي ، وهي تصدر في لندرة وثمن الجزء منها نصف شلن ، ولم يكتب عليها اسم صاحبها أو أصحابها

الجلس اللطيف

مجلة « أدبية اجتماعية لصاحبها ومحررها ملكة سعد » تصدر في مصر مرة في الشهر

بالتنين وثلاثين صفحة وطبعها في غاية الجودة، وورقها صلب وموضوعها جليل، فخلق بالشبان والشباب التوفر على مطالعتها، وقيمة اشتراكها أربعون قرشا صاغا في السنة

بيان الحق

مجلة تركية تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية، وتنتشر أفكار الجمعية العلمية الإسلامية، وهي دينية علمية سياسية أدبية تصدر مرة في الأسبوع، وقيمة اشتراكها في السنة ٩٥ قرشا صاغا عثمانيا ونحو النسخة قرش ونصف

المباحث

صدرت هذه المجلة التي أشير إليها في (ص ٦٣٦ م ١١) وهي كما كان ينتظر من منشئها صديقنا جرجي افندي بنى وأخيه صموئيل افندي، فهي تدل على علم ويحث واضطلاع، ويقع الجزء منها في ٤٤ صفحة وقيمة اشتراكها في طرابلس الشام ١٥ فرنكا و ١٧ في الخارج

روضة المعارف

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية اخبارية تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة» في بيروت لمديرها محمد علي بك القبايني ورئيس تحريرها الاستاذ عبدالرحمن افندي سلام من علماء بيروت. جاءنا الجزء الاول منها منذ شهرين وهو مصدور بصورة السلطان ١١ وقيمة اشتراكها ريالان في بيروت و ١٢ فرنكا في خارجها

المنتقد

«مجلة عراقية اجتماعية انتقادية فكاهية» تصدر في بيروت مرتين في الشهر بالقلم الصغير، لمتنئها محمد افندي باقر ومديرها كمال افندي بكداش، وقيمة اشتراكها ٣٥ قرشا في بيروت و ١٠ فرنكات في خارجها

الاعمال اليدوية للسيدات

مجلة ذات رسوم لصاحبتها فاسيلا وأختها وقيمة اشتراكها ستون قرشا صاغا في مصر

التراس

«مجلة علمية أدبية مدرسية تصويرية» تصدر في آخر كل شهر افرنكي في الاسكندرية شهريا لـ محمد افندي فائق وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشا صاغا

الجامعة المصرية

مجلة نصف شهرية مصورة تشر محاضرات أساتذة الجامعة المصرية لأصحابها
 محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبدالله افندي أمين وقيمة اشتراكها
 مئة قرش في مصر لتغير طلبة الجامعة

المدرسة

«مجلة علمية أدبية تاريخية يقوم بتحريرها نخبة من كبار الأدباء والكتاب»
 تصدر في الشهر مرة باثنتي عشرة وثلاثين صفحة وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشا في مصر

فرعون

مجلة تبحث في شؤون القبط المليمة وتصدر في الشهر مرتين لمديرها توفيق افندي
 هيب واشتراكها ٢٠ قرشا في مصر

سجينة

مجلة أردية تصدر في حيدرآباد الدكن (الهند) لمنشئها مولوي محمد أحمد
 علي ممتد مجلس المعارف ثمة

ابوحنيفة

جريدة اصلاحية اسبوعية تشر الجدل في قالب المزل، يصدرها في تونس السيد
 الهاشمي اخذ الكتاب المشهورين ، وقيمة اشتراكها في السنة عشرة فرنكات

الحكيم

جريدة اسبوعية « حرة تبحث في كل شيء » يصدرها في كوردوبا (الارجنتين)
 عزيز افندي حكيم ولها عناية خاصة بالابحاث الفلسفية

شمس الدلالة

جريدة اسبوعية « سياسية فنية ادبية » أنشأها فريق من الكتاب بالغة العربية
 في الاساتذة، وقد سموها في هذه الايام « شمس الحقائق » وقيمة اشتراكها كالبيرة عثمانية
 في السنة

الاتحاد الثاني

« جريدة يومية سياسية ادبية اجتماعية عمرانية » بصدرها في مدينة بيروت صديقنا الشيخ احمد حسن طباره من مشهورى أرباب صناعة القلم، وهي من مثليات الجزائريين الراقية في سورية، وقيمة اشتراكها اربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

كلية الحق

جريدة عربية تصدر في الاسكندرية ثلاث مرات في كل اسبوع، انشأها فريق من الكتاب وعهدوا في رئاسة تحريرها الى ج. حرفوش، وقيمة اشتراكها ٢٥ فرنكا في مصر والبلاد الخارجية وأربعة ريالات في الاسكندرية

اوقيانوس

جريدة فارسية تصدر في طهران تحت مراقبة ميرزا عبد الرحيم الهادي وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا

الحجاز

هي جريدة الحكومة الرسمية، تصدر باللغتين التركية والعربية، ولقد سرنا باناشأتها سرورا عظيما لانها أول جريدة أنشئت في أم القرى مكة المكرمة، وقيمة اشتراكها ١٥ فرنكا في الخارج

الطلبة

« جريدة عمومية تصدر مرة في كل اسبوع » مديرها عبد الحميد افندي حمدي وقيمة اشتراكها ٥٠ قرشا في مصر

الغائب

« جريدة عثمانية علمية ادبية سياسية تجارية أسبوعية » لمديرها ومحورها حكمت بك شريف من مشهورى الكتاب في طرابلس الشام، وقيمة اشتراكها ريالان في طرابلس و١٥ فرنكا في الخارج

المقتبس

« جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية » لمنشأها ومديرها صديقنا محمد افندي كرد علي (المنار ج ١٢) (١١٧) (المجلد الحادي عشر)

الكاتب المشهور ، والمقتبس من الجرائد الممتازة بتحري الصدق والتزام النصح ،
والبعد عن سخيف القول ورذيلة التملق ، وهي تصدر في دمشق الشام وقيمة اشتراكها
اربعة ريالات ثمة و٢٥٠ فرنكا في الخارج

المحرسة

« جريدة يومية سياسية علمية ادبية تجارية » والمحرسة من الجرائد القديمة التي
ابطلت منذ زمن فأعاد اصداؤها في مصر الياس افندي زيادة ، وعهد في رواية تحريرها
الى الاستاذ ابراهيم افندي الحوداني من مشهوري علماء سورية ، وقيمة اشتراكها مئة
وخمسون قرشا صاغا في السنة

بَابُ الْحَبْلِ وَالْإِلَاءِ

جواب مجلس المبعوثان *)

﴿ عن خطاب السلطان ﴾

في افتتاح مجلس المبعوثان

يا صاحب الشوكة :

ان ادوار الفتور التي حدثت على أثر أدوار الفتوحات العثمانية وتوالي ظهور
القوائيل الخارجية من جهة وسوء الاستعمالات الداخلية التي هي أشد تأثيراً في التخریب
من جهة أخرى - كانت تبيجها استياء جميع العناصر العثمانية ، وكان من ذلك ان والدكم
المعظم قد وضع خط (كلكخانه الهمايوني) الضامن للحقوق الشخصية ، والقاضي بالمساواة
بين جميع العناصر العثمانية المختلفة ، وبهذه الوسيلة قد اكتسبت الدولة العثمانية حياة
جديدة ملائمة للحال المعصرية

« نشرنا في (ص ٨٧٩) من الجزء الماضي خطاب السلطان في افتتاح مجلس
المبعوثان ، وانا ننشر الآن جواب مجلس المبعوثان وجواب مجلس الاعيان عنه

يد انه لما كان من اللازم تأمين الحقوق البشرية وضمانها بصورة راسخة ثابتة وكان من الضروري - صيانة لهذه الضمانات - تبديل شكل الحكومة القديم وقبول الاصول الدستورية المستندة على حكم الامة الاصلي - صدرت في زمن جلوسكم السعيد ارادتم السفينة بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس النواب لإجابة لآمال خواص الامة التي هي خلاصة آمال الامة كافة

على ان طريقة الشورى هي أصل في ادارة الحكومات وان صور الحكومات التي تنابر هذا الشكل المشروع نأتجبة عن تغلب البطل على الحق والاستبداد على العدل بصورة موقفة

ثم انه مع تصريح جلالكم في الخط السلطاني بان استعداد الامة وأهليتها في ذلك الحين مسلم بهما ومع اعترافكم بان القانون الاساسي وضع موافقاً لذلك الاستعداد قام بعض رجال حكومتكم وأحدثوا مشا كل وهمية متناقضة جعلوا بها مستقبل قوة هذه الامة العظيمة عرضة للخطر مدعين انها غير أهل لصورة ولا شكل من الاشكال التي عينها (القانون الاساسي) وعليه تفرق مجلس الامة أيدي سبا !!!

ان أولئك المخادعين الذين خدعوا جلالكم بالمشكلات الوهمية التي احدثوها لم يكتفوا بالتعدي على احكام القانون الاساسي الذي هو مناط سعادة الامة وحريتها بل قد تجرأوا على بهتان آخر وهو زعمهم عدم استعداد ادمنة الامة لهذا القانون فحسنوا لجلالكم لإرجاء تنفيذه مستخفين بقوة ادراك الامة :

ولكن نشكر الله فان الامة رغمنا عن المساعي التي بذلها من نيط بهم نشر العلم والمعارف في سبيل تعطيل الادمنة وتنطية السيون قد ادركت بحسب استعدادها الفطري وقابليتها الطبيعية ان هذه الحال ستؤول الى الاقراض وانها إن لم تنل حقوقها السياسية فلانستطيع ان نحفظ مركزها في عالم السياسة والمدنية وعليه عرضت لجلالكم الآمال العامة

ونحمد الله على ان جلالكم قد أدركت كل الادراك الخطر المحدق بالدولة الذي لم يستر الا عن ابصار الرؤساء ورجال الحكومة ، ففرقم ما ينتج للدولة والمملكة بسبب اطمئنان الافكار العامة من السعادة في الحال والاستقبال ، فأصدرتم

الأمر السلطاني القاضي بالدعوة الى افتتاح مجلس الأمة واعادة الانتخاب موافقة
لاحكام القانون الاساسي بالرغم عن آراء الحالفين لفتحته ، ولذلك فان الأمة تشكر
جلالتكم هذا الشعور الذي كان سببا لا قاذ الدولة العثمانية من اقراض محقق وسوقها
الى طريق الترقى والسعادة

ولو انكم تفلتم قبلاً على خداع أرباب النيات لكانت الاراضي النامرة الموجودة
في اطراف المملكة قد أصبحت في خلال الثلاثين سنة الماضية أراضي عامرة ،
ولكننا في ارتقاء وعلاء بدل التدني والانحطاط ، ولما كانت الشريعة القليلة التي
استفادت من الاستبداد فتحت في قلب الأمة جرحا كاد يصير قرحاً ، ولكان
الوطن نال الرفاهة والسعادة من كل الوجوه ، ولكانت الدولة العثمانية استمرت
في مركزها السياسي اللائق بها امام الدول منذ زمن مديد

ان الأمة العثمانية تشارك جلالتكم في الاسف الذي أظهرتموه بسبب اعلان
امارة بلغاريا استقلالها ، وضم النمسا ولايني البوسنة والمهرسك الى املاكها ، وهما الولاياتان
اللتان كانت تدبرهما موقتا بموجب ميثاق دولي ، لان الأمة العثمانية كانت في دور
اقلابها السعيد تقطع الطرق السياسية بصورة سلبية ، وتربي صميم الآمال لتكون مظهرا
لموازنة الدول المتعددة وأهلا لانقطاعها في حياتها الدستورية الجديدة

ان هذه الحوادث السياسية التي هي إرث مشؤم من سينات الماضي المديد
سندل مجلسنا النيابي كل الوسائل التي يحفظ بها شرف حقوق الدولة لخلقها ، وسيقوم
بجميع المساعدات اللازمة لمجلس الوكلاء المحرزة للأمة والمسئول امام مجلس النيابي
ان خطة مجلسنا ستكون دائرة على ادامة حسن العلاقات بين الدولة العثمانية
وجميع الدول ، وان الأمة التي أحدثت في الدولة هذا الاقلاب السلمي الداخلي
ستري العالم أجمع بان سياستها الخارجية موفية للسلم

وان آمالنا معقودة بان دولتنا ستقي بفضل خطتها السلبية الى الدرجة التي
تليق بدولة عظيمة الشأن امام الهيبة الدولية ، وانها ستكون جديرة بالاستفادة من
الحقوق الدولية على وجهها ، كما انها ستكون مرعية الجانب أهلا لجهة الدول كافة ،

وانا نتوقع أن تنتهي المسائل السياسية الحاضرة على وجه حسن بموازرة الدول العظيمة التي ثبتت لها خطتنا السلمية ونيتنا السلمية.

ان مجلسنا سينذل الجهد بتنظيم الامور المالية التي هي من أهم المسائل الداخلية، وسيكون رقييا صادقا على الواردات، ومسيطرا غيورا على الصادرات، وسيمنع بته إعطاء درهم واحد من الخزانه على غير وجهه، كما انه سيمنع أيضا اخذ باقة واحدة من افراد الامة بغير وجه مشروع، مقتحما في هذه السبيل كل المصاعب التي سيلاقها في امر ضبط الواردات والصادرات، وذلك بسبب النتيجة الاليمية التي انتجها الاسراف والتبذير في الماضي بصورة لم يهد لها نظير في تاريخ الامة، حتى يتسنى لدولتنا ان تكتسب لقب دولة مقصدة تدبر امورها على القواعد المالية، وترفع عنها لقب دولة سفينة مذبذبة !! وانا نرى من الامور الهامة الواجبة بذل الجهد بتوطيد الامن وتأييد رفاهية العناصر المختلفة المولفة منها دولتنا، وصيانة الحقوق العامة باجراء العدالة بحراها والمحافظة على جريان القضاء بكل استقلال، وفتح المدارس في جميع انحاء المملكة واصلاح حال الموجود منها، وتربية ابناء الوطن تربية وطنية دستورية، وتزويد الوسائل الثقيلة وفتح الطرق والمعابر لتسهيل نقل الصادرات والواردات، وترقية حال الصناعة والزراعة وتوسيع نطاق التجارة

ومن الضروريات تعزيز القوتين البرية والبحرية لتكونا بدرجة مناسبة لموقعنا الجغرافي، ولتسنى لنا بها المحافظة على حقوقنا المشروعة وحكومتنا المقيدة، لا للتعدي على حقوق الغير.

ولهذه الامور الحيوية المذكورة سنبدل الجهد تدقيق التقارير التي قدمت من الحكومة لمجلسنا ونضع القوانين الموافقة لبلادنا وأمتنا

وانا مع الشكر لجلالتكم على عزمكم القطعي الثابت على ادارة المملكة بموجب احكام القانون الاساسي الكافل الحقيقي لسعادة الامة نوكد لجلالتكم بان عزم الامة الحقيقي على صيانة القانون الاساسي ثابت راسخ لا ترعزه اية قوة مهما عظمت، كما اننا نعرض لجلالتكم ما خالج افئدتنا من الاتهام والسرور بروية شخصكم الكريم ماثلا امام نواب الامة مما جاء دليلا على رفع الحواجز والحوائل بينكم وبين الامة

ان قلبنا لا يشعر بغير محبة الأمة والوطن ، وكل آمالنا الاشتغال بخير الملك والامة ، ورائدنا في ذلك مصباح المساواة والاتحاد ، وغايتنا الحق والعدل ، وقدعاهدنا ثلاثين مليوناً من العالم على المحافظة على حقوقهم ولا تخاف في القيام بهد ، وكالتنا غير تويخ الوجدان وخوف الرحمن ومن جعل الحق وجهته فالله يعينه ويؤيده

جواب مجلس الاعيان

يا سلطاننا

كانت اعضاء الاعيان كلها آذاناً مصنية وقلوباً واعية لذلك الخطاب الذي فهم به يوم افتتاح مجلس الأمة المؤلف من الاعيان والمبعوثين اقضى ذلك الزمن الذي أصيبت فيه الحكومة بادواء الخلل فزالت بزواله تلك البرازخ التي كانت حائلة دون اختلاط السلطان بالشعب وتوثيق الروابط بينهما ، وكانت تلك الحوائل لاغراض شخصية ، فالشعب اليوم يرى نفسه مغبوطاً بروية سلطانه وسماع خطابه بواسطة المبعوثين والاعيان ، ذلك الخطاب الذي ضمن فيه الدستور فلنا الشرف ان نرفع جلالكم واجب الشكر الصادر عن هذا الامر السار والحكومة الشورية تقوم على هذا الأس المتين الكافل لجميع الحقوق وليس هناك ضامن لتثبيت السلطة العليا وتنزيهاها عن التبعية الاحفظ ذلك الاساس المتين لذلك تحقق ذلك العزم الوارد في الخطاب والموجه الى الشعب والعالم بأسره وهو الاشارة الى حفظ القانون الاسامي بالميثاق البات ، وانا نقابل ذلك بالحمد والثناء الجليل

ان ما ورد في الخطاب السلطاني من الامل في بذل الهمة والماسعي لانجاح المداولات بين الدول الموقعة على عهدة برلين بشأن البوسنة والمهرسك والبغار — ذلك كله — من مهمات السلطة التنفيذية ، ولنا الامل الوطيد قيام الوزارة خبر قيام بمهماتهما ، وانا نضيف الى ذلك الامل النظر في مسألة كريد

نحن في حاجة عظيمة الى الثقة بنا ولا يتم لنا ذلك إلا بنجاح حقيقي في
النظام الاداري والعسكري، ويموزنا بذل المساعي العظيمة لتحفظ موازنة الحكومات
وتكون لنا مدنية صحيحة ثابتة

إن المساواة بين الافراد والعدل بين أفراد الأمة وجماعاتها وتعليم الشعب
وتهذيبه حسب حاجات الزمان على نخط الشعوب المتعددة والاعتماد المالي الصحيح
وضمانه حال البلاد من حيث الاقتصاد وتعزيز القوة العسكرية — كل ذلك من
الامور الضرورية التي لا تقبل التسويف والتأجيل

وان قمتا كلها موضوعة في مجلس الأمة (المبعوثان) وآمالنا بمساعيهم الحكيمة
محقة ، وسنرى منهم مشروعات وقوانين تضمن لنا وتسهل بلوغ الاماني المشار
اليها ، وبذلك يكون للأمة والبلاد مستقبل زاهر سليم من كل شائبة

ومن الضروري ألا تقصر السلطة التشريعية التي هي مؤلفة من الاعيان
والمبعوثين في العناية بالمسائل الحقيقية لوضع قوانين تسير البلاد بسبيل التقدم
والنجاح ، ولا ريب عندنا بأن مساعي الوزارة التي يناط بها التنفيذ ستنضم الى هذه
المساعي ، وحينئذ ننال السعادة التامة التي نطلبها ، وهي ذلك النرض الذي يرمي
اليه المصلحون من ابناء الوطن

وانا نتم عريضتنا هذه بتكرار الشكر لجلالاتكم لتهدكم وعزمكم الأكيد على
حفظ شكل الحكومة الشورية ، ونؤكد لجلالاتكم أن مجلس الاعيان يسند جهده
في قيامه بواجب حفظ الدستور الذي يرى حفظه من أقدم الواجبات
وانا نرض لجلالاتكم بأن مجلس الاعيان يقوم بنحوكم ونحو الأمة بكل ما يجب
عليه من الإخلاص التام



رحلة صاحب المنار

﴿ في سوريا ﴾

٣

دمشق الشام

حدث في ٢٣ رمضان الى بيروت وقاء بوعدني لأصدقائي والوالي فأقت فيها أربعة أيام كنت أقي في كل يوم منها درساً دينياً بعد العصر في أحد المساجد ، وفي اليوم الأخير استبدلت بالدروس خطبة سياسية في حفرة الموقع العسكري لإجابة لطلب الكثيرين

وفي صبيحة الخميس ٢٧ منه ركبنا القطار الحديدي الى دمشق الشام وهو قطار رديء ، الدرجة الأولى منه دون الدرجة الثانية من القطار الذي بين رفاق وحص ؛ فبلغ بنا محطة دمشق قبيل المغرب فإذا بانتظارنا صديقنا الكريم عثمان بك العظم وجمهور ممن نعرف ومن لم نعرف من المهين العلماء والوجاء ، نخص منهم بالذكر أعلم علماء الشام الأستاذ الأكبر بركة الوقت بقية السلف الصالح الشيخ عبد الرزاق البيطار والأستاذ العامل المجيد الذي قتل وقته كله في التدريس والتصنيف وتصحيح الكتب النافعة الشيخ جمال الدين القاسمي أدام الله النفع بعلومها وعلمها

نزلنا في دار عثمان بك فأقبل للسلام علينا فيها كثير من الوجاء ، فرأيتنا من أديهم وحسن محاضرتهم ما ينطبق على ما هو مشهور عنهم ، وسمعتنا منهم مذ البلية الأولى أخباراً سيئة عن جمعية الإخاء العربي التي أسست في الاستانة قال بعضهم انها أسست بإيعاز من السلطان لتكون عضداً له وعونا على جمعية الاتحاد والترقي ، وقال آخرون انها « ضد الترك » وقالوا ان ندره بك المطران جاء الشام ليدعو الى هذه الجمعية ، وهو يذم الترك ويدعو الناس الى العصية الجنسية العربية وينفر من جمعية الاتحاد والترقي - وقد كروا ان سيرة بعض أعضاء هذه الجمعية غير محمودون بعض

افرادها يحترقون وجها البلد ويفطرون في رمضان جبرا وان هذا بما يمهّد السبيل
لندره المطران ويجعل سائسه مقبولة عند كثيرين

هذا مخلص ماسمعه من أكثر من واحد وكنت أئين لهم ولغيرهم ان تغير
العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد واننا في أشد الحاجة الى الاتحاد بالترك
والاخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، على اننا أحوج إليهم منهم اليانا
فن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدونا ولم فإن كان سعيه لهواه فهو شر
الشياطين وان كان سعيه لغيره فهو شر الاجراء الخائنين ولا عجب في صدور ذلك
من بني المطران المفسدين

نعم يجب على العرب ان لا يفسدوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم
بل يجب عليهم مباراة اخواتهم في الترية التي تقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم
والفنون التي عليها مدار العمران ليكونوا يدا واحدة في إحياء الدولة وليقدروا على
ترقية شأن بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا أهلا لادارتها بأنفسهم
اذا غلب في المستقبل حزب صباح الدين افندي ابن أخت السلطان على غيره من
الاحزاب التي ينتظر ان تكون في الدولة وهو أي رأي صباح الدين ان تكون
كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة في ادارتها الداخلية ويعبر عن ذلك بعدم
المركزية (Décentralisation) ويرى بعض علماء السياسة انه لا بد في المستقبل
من استقلال كل جنس بنفسه ويروى هذا الرأي عن نابليون واذا صح هذا في
المستقبل البعيد وكان الجنس العربي غير أهل للادارة التي تقتضيها حال مدينة ذلك
العصر الذي سيكون أرقى من عصرنا هذا — وان قرب — وغير أهل لمشاركة سائر
الامم في السياسة العامة والحقوق المتبادلة بين الاجناس على أصول المساواة فكيف
تكون حاله يومئذ ؟ ألا نكون (لا قدر الله) تحت وصاية غيرنا من الاجناس المرقية
في العلوم والاعمال ؟ ومن هو الجنس الذي يتولى هذه الوصاية ؟ وكيف تكون سيرته
فيها ؟ يجب علينا ان نفكر في حالتنا الحاضرة وفي مستقبلنا القريب ومستقبلنا البعيد وان
نعلم ان حسن المستقبل متوقف على ما قبله والنهاية أثر البداية ويجب ان يكون الاساس

٩٣٨ افكار صاحب المنار التي بها بالشام . حياة الصناعات بدمشق (الملتاج ١٢م ١١)

الذي بني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية مادامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها وان نكون الآن من أشد الاعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورفقاء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديمقراطية وتسير بعد اجتماع المبعوثان على الاصول الدستورية

هذاما كنت أبته من الافكار في مثل هذا المقام واستطرد منه الى بيان وجوب العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الاهلي في جميع طبقات الاهالي وان ذلك يتوقف على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية لاجل تعليم أولاد الفقراء بغير أجره وتعليم أولاد الاغنياء بالاجرة . ثم انوه بالتعليم العالي والرحلة الى حيث توجد الى أن يوجد في كل ولاية مدارس عالية يستقنى بها عن الرحلة وهذا ما كنت أقوله في كل بلد

ومما سرني بدمشق وأهلها سرورا عظيما حياة كثير من الصناعات فيها . وكيف لا ينشرح صدري لذلك وقد رأيت ذلك الجامع الفخم الذي كان هو الأثر العظيم في هذه العاصمة لأول دولة عريضة تأسست فيها فدره عصر الظلم والاستبداد بالنار فاعاده أهل دمشق الى ما كان عليه لا يتقصه الا ما كان فيه أولاً من زينة الفسيفساء التي يحز عنها حتى الافرنج من أهل هذا العصر، ثم انني رأيت معظماً أثاث البيوت ورياشها من صنع أهل البلد حتى في بيوت الكبراء كيت عبدالرحمن باشا اليوسف أمير الحج الذي هو أوسع أهل دمشق ثروة وأعلاماً جاهاً ومنزلة فقد تأملت أثاث بعض الحجرات ورياشها في داره فلقع نظري على شيء فيها من غير صنع الشام الا السجاجيد العجمية حتى إن القناديل الكهربائية النحاسية التي فيها هي من صنع الشام فلنا ان نفتخر بصناعات الشام في النسيج والحفر والبناء والتجارة وغير ذلك وان نجتهد في توسيع دائرتها بالطرق الحديثة

رغب إلي بعض الفضلاء أن أقرأ درساً في الجامع الأموي كما فعلت في بيروت وطرابلس فأجبتهم الى ذلك لرميهم فيه عن قوس عقيدتي ومواقفهم لرغبي واستحسنتم ان يكون ذلك بعد صلاة الجمعة قليل ان هذا هو الوقت الذي يجتمع

(المارچ ۱۲م ۱۱) درس صاحب المنار الأول بالأموي . حتمه على العلوم المصرية ۹۳۹

فيه المدروسون الرسميون دووسهم فيرونك فيه مزاحما لم فيقتل عليهم قالوا لى ان يكون درسك بعد العصر ، فواضهم على ذلك . وقد صلينا الجمعة في الجامع الأموي ووجدنا ان نسمع فيه خطبة تناسب في حسنها المعنى ما في ذلك الجامع من الحسن الحسي ولكن خاب رجاؤنا فسمنا ما ملته اسماعنا من عهد الخدائة وهو مدح رمضان وتقرير العامة بحديث التقى فيه الذي بينا في المنار من قبل ما قيل في وضعه . وشهدنا بعد الصلاة دووس المدرسين لجلسنا زهاء ثلث ساعة في درس الكبري الذي حضره الرالي والمشير حسب العادة المتبعة وخلق كثير . ووقنا هنيهة على درس رجل يقال له الشيخ صالح التونسي يحضره زهاء ۱۵ أو ۲۰ رجلا ثم على درس الشيخ بدر الدين فاذا هو رجل يسرد الأحاديث الشريفة بأسانيدھا بالضبط الصحيح ويورد في معناھا كل ما قاله بعض العلماء في شرحھا أو جلّه وينقل من المسألة الى ما يناسبھا من غير تلغم ولا مكث

دوسنا الاول في الاموي

ثم خرجنا من المسجد وعدنا اليه في وقت العصر وبعد صلاة الفريضة تلا بعض اقراء آيات من الكتاب العزيز فجلّتها موضوع الدرس واستطردت منها الى غيرها من الآيات الواردة في صفات المؤمنين وما وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة مع تلييه الأذهان الى عرض أنفسنا في هذا العصر على هذه الآيات لتعلم هل هي منطبقة علينا أم لا وذكرت ما يطلب من المسلمين في هذا العصر ليحافظوا على دينهم الذي يرشدھم الى ما فيه سعادة الدارين وبعدم بذلك جزاء على نصره وقيام بحقوقه وكون ذلك يتوقف في هذا العصر على العلوم والفنون التي يرقى بها الاجتماع البشري وتمتد بها الأمة ويرفع شأن الدولة الا وهي العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والاقتصادية . وما قلته وكررت : اني أرفع صوتي قاتلا أننا لا نقوم لنا قائمة إلا بالأخذ بهذه العلوم والفنون التي يتوقف عليها امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فاننا نستطيع ان ننشئ المدرعات البحرية ونعمل المدافع والبنادق وقذائف الديناميت لأجل حماية حقيقتنا وتميز دولتنا ، وأن نصل السكك الحديدية وغيرها من الأمور التي ترقى مدنيتنا ونحفظ ثروتنا ،

٩٤٠ فوائد العلوم العصرية . الجمع بينها وبين علوم الدين (المارچ ١٢ م ١١)

وكل ذلك يتوقف على العلوم الرياضية والطبيعية التي لا حياة لأمة في هذا العصر بدونها ، إن علماءنا السابقين الذين كانوا يدمون العلوم الطبيعية وينهون عنها لم يكونوا يُعنون بها إلا تلك النظريات اليونانية التي تبحث في الآليات بحثاً يخالف أصول الدين وقواعده ، والعلوم الطبيعية في هذا العصر مبانيه تلك النظريات ونافضة لما لأن أساسها التجربة والاختبار والعمل فن فروعها علم الكهرباء الذي ترون من آثاره النور الذي يتألق في مسجدكم هذا ليلاً ، والمركبات التي تجري في شوارعكم وأسواقكم ، ومنه علم البخار الذي تسير به قطارات السكة الحجازية من بلدكم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل يمكن ان يكون هذا العلم معارضا للدين ؟ كلا انه لا يضر الدين وأهله ولكن يمكن أن يستخدم لحفظ الدين ورفضه شأن أهله فكل من يصدّ المسلمين عنه فهو إما صديق جاهل بحقيقة هذا العلم وقائده وإما عدو غاشٍ للمسلمين

ثم ننت لم ان الاسلام على جمعه بين مصالح الدنيا والآخرة دين يسر لاسر ولا حرج فيه وانه يمكن للمسلمين ان يجمعوا بينه وبين جميع العلوم والفنون العصرية التي نوهت بفائدتها اذا احسنوا التربية الدينية وأصلحوا طرق التعليم وان ذلك انما يكون بانشاء المدارس الاهلية ، وهذه المدارس لا يقوم بها حق اقيام الا الجمعيات فالذي يجب ان يبدأ به أهل بلادنا في هذا العصر هو تأسيس الجمعيات التي تنشر التعليم في جميع طبقات الامة وذكرت لم موقع دمشق ومكانها من جزيرة العرب وما ينبغي من السعي في جعلها ينبوع المعارف والمدنية فيها ثم قلت في آخر الدرس انه يمكنني ان أرين لكم في مجلس آخر كيف يمكن الجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تفصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الامة وتعتز الدولة ان شتم فأظهر الرغبة في ذلك الجمهور . وقد حضر الدرس عدد كثير من الناس يبلغ المئات على ما قدره بعض الحاضرين . ومنهم العلماء الرسميون الذين اقبلوا علي بعد الدرس بالتحية والثناء واطهار الاعجاب بالدرس والدعاء بان ينفع الله به ، والوجهاء كأحمد باشا ومحمد باشا المعلم وعلي باشا الامير وعبد الرحمن باشا اليوسف وشكروني على ما أبديته وألحوا علي بأن أعيد في اليوم التالي

درسنا الثاني في الأموي والحادثة المشهورة

تحدث الناس في الدرس الاول في ليّهم تلك وانه على غير ما يهلدون في الموضوع وهو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والاستناد على آي القرآن — وفي الأداء وهو أسلوب الخطابة ، فرغب الناس بعضهم بعضا في حضور الدرس الثاني فلم نكد نصلي العصر في اليوم الثاني ونقتل الا وقد تحلق الناس في مكان الدرس الاول (تحت القبة) وصاريلز ويزحم بعضهم بعضا فلما اتسعت مساحة القاعدين طلق الناس يتحققون حولهم وقوفاً ثم ازدحوا فصاروا كالقاعدين على غير نظام حتى صاروا يقدرون بالألوف فرأى بعض المهتمين بأمر الدرس أنه لا يمكن لإسماعيل إلا بالعود على شيء مرتفع فأحضروا الكرسي الذي قرأ عليه خطباء المسجد قصة المولد ونحوها في المواسم المحدثة في الاسلام فصعدت اليه وشرعت في الدرس بعد ذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على البشير النذير جزاء الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته كان موضوع الدرس تعريف الدين وكونه هادياً الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وكون الاسلام عاما لجميع البشر موافقا لمصالحهم في كل زمان ومكان ويان إمكان الجمع بين هديته وبين جميع العلوم والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر اذا صلحت طريقة التربية والتعليم

قلت ان القاعدة التي ينبغي لنا ان نبني عليها أساس اهتدائنا بالاسلام هي قول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » فيجب علينا ان نرجع الى سيرة الصدر الأول فننظر كيف تلقى الصحابة عليهم الرضوان دينهم عن النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كانت سيرتهم في العمل به وكيف تلقى عنهم التابعون فهتدي بهديهم في ذلك

ثم بينت ان ما جاء به الاسلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : قسم العقائد وقسم الأخلاق والآداب وقسم الأعمال من العبادات والمعاملات ، وشرعت في بيان طريقة التعليم التي ينبغي سلوكها لاهياء الاسلام في زمن قليل لا يحتاج فيه الى مدارس هذه الكتب الكثيرة في الكلام والفقه وغيرها التي لا يتفق تحصيلها في عشرات من السنين الا للعدد القليل من المقطعين لتحصيلها وهؤلاء المقطعون عشر

٩٤٢ كتب الكلام . كونها لم توضع للتعليم . سهولة التعليم بالقرآن (المنازع ١٢م ١١)

مشار الامة . فاذا كان الدين لا يؤخذ الا من هذه الكتب التي اختارها علماؤنا للتعليم العام في هذه القرون الأخيرة فكيف السبيل إلى تعليم الدين لجميع المسلمين؟ وهنا قلت كم عدد مسلمي هذا البلد؟ قال بعضهم مئتا ألف أو يزيدون قلت هل يوجد فيهم ألفا عالم فهم كتب الكلام وكتب الفقه المتداولة؟ قيل ولا ألف . قلت اذا كان هذا مبلغ تعلم الدين في مدينه تعد من أعظم أمصار الاسلام في الارض فكيف يكون حال مسلمي القرى وأهل البوادي ومثل مسلمي الصين؟

ثم شرعت في بيان الطريقة السهلة لتعليم تعليم العقائد قلت ما معناه : ان كتب الكلام المشهورة لم توضع لأجل تلقين المسلمين ما يجب عليهم اعتقاده وإنما وضعت لرد شبهات الفلاسفة والمبتدعة عن العقائد الاسلامية والاحتجاج على حقيقتها وقد اقترض أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين عني المتكلمون بأقامه الحجج عليهم وظهر بطلان مذاهبهم الا قليلا من مسائلها وحدثت لفلاسفة هذا العصر ومقلداتهم شبهات جديدة تولدت من الفلاسفة الجديدة يجب أن يُعنى متكلمو هذا العصر بكشفها ولا ينبغي ان يذكر شي منها لعامة المسلمين وللتلاميذ المدارس الابتدائية عند تلقينهم الدين وإنما يخص بذلك طلاب العلوم العاليه الذين يدرسون الفلسفة وعلم الكلام المسلم لا يحتاج الى الاستدلال على وجود الله تعالى بالطريقة الكلامية وان الدلائل التي تبنى على فرض خلاف المطلوب قد يكون إثمها أكبر من نفعها لأنها تثير الشبهات وتوقع كثيرا من السامعين في الشك وإنما الطريقة المثلى لذلك طريقة القرآن الحكيم وهي عرض محاسن الخليفة واسرارها على العقل وتذكيره بحكمة مبدعها البالغة وقدرته العظيمة وعلمه الواسع وفردته بالخلق والتكوين والرحمة والاحسان (وذكروا بعض الآيات في ذلك)

لماذا تقول للسلم الخالي الذهن من الشبهات والشكوك اولم يكن للعالم إله لازم الدور أو التسلسل وكل منها باطل فما أدى اليه وهو عدم وجود الإله باطل — ثبتت قبحه وهو ان للعالم إلهًا — ثم نحاول ان نفهم معنى الدور والتسلسل والبرهان على بطلانها وما أصعبه مركباً وبعده مطلباً! وقد رأينا كثيرين من المصدريين لتدريس علم الكلام يذكرون ما كتب من الاستدلال على بطلان الدور والتسلسل وهم لا يفهمون ما يقولون

ان الايمان بوجود واجب جل شأنه علم في البشر باديهم وحاضرهم حتى قال كثير من العلماء انه فطري مودع في النفوس بأصل الخلقة فأكثر علماء أوروبا وفلاسفتها يؤمنون بذلك وكذا المؤمنون الذين ارتقت وثبتهم كالإبراهيم والبوذية حتى اليوم ومشركي العرب في زمن البعثة ومن شذ من البشر فأنكرو وجود الباري تعالى لشبهة آثارها في نفسه قائلين دينه أو نظريات فكره الضعيفة فقولاً يمنع ان يكون لهذا الاعتقاد أصل في الفطرة البشرية قد قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى : ان الذين ينكرون وجود الله تعالى قبلون في مجموع البشر فهم مرضى الارواح - أو قال العقول - من هذه الجهة وان صحت أفكارهم من جهة أو جهات أخرى ومرض الروح والعقل عرض بطلأ على بعض الناس كمرض البدن، فرض الجسد معها كذا لا يبد هو الاصل في المزاج وكذلك مرض العقل والروح لا يبد في الاصل وأن كثر المرضى به قلنا ان أكثر البشر يؤمنون بوجود الله تعالى ويقولون ان الذين يؤمنون بالله تعالى يؤمنون بسله وقدرته وادابته ويعظمونه ويقديسونه وقلما أخطأ الكفار في غير وحدانية الالهية والربوبية من مسائل الإلهيات . فأما وحدانية الالهية أي العبادة فهي عبادة غير الله تعالى بالدعاء ونحوه، وأما وحدانية الربوبية فهي اتخاذ بعض البشر شاربين يشرعون للناس من الدين ما لم يأذن به الله . وقد بين الله لنا ذلك في كتابه الحكيم فقال في بيان عقائد مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) سيقولون لله قل أفلا تدكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من يده ملكوت كل شيء * وهو يغير ولا يجر عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنى تسحرون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق * ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) فقد اثبت لهم الايمان بوجود الله وأنه هو الخالق الذي يده ملكوت كل شيء . وقال فيهم مع ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فما هو شركهم؟ هو ما يثبت في آيات اخرى كقوله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا إليه فزنى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، ان الله

لا يهدي من هو كاذب كفار) وقوله سبحانه (و يبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قل اتوبون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في أهل الكتاب (انجذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد روي في الصحيح ان عدي بن حاتم اسلم وكان نصرانيا فلما سمع هذه الآيات قال لاني صلى الله عليه وسلم انهم لا يبدونهم قال ماصناه: اليس يحلون لم ويمرمن عليهم فيبعونهم؟ قال نعم قال فذاك - فهذا وما قبله هو الذي قن به الوثنيون والذي طرأ على أهل الكتاب وقديته القرآن الكريم تبينا قلت كل هذا تمهيدا لبيان ما يجب اتباعه من تقين المسلمين عقائد دينهم على طريقة القرآن المثل وأردت ان أشرع في المقصد فاذا أنا برجل مغربي قد اخترق جمهور الواقفين حتى انتهى الى دائرة القاعدين وصاح يا اخواننا المسلمين اسمعوا لي كلمتين وشرع في الكلام فاضطرب الناس وكثر الغلط وقام كثير من القاعدين فرغت اليهم في السكوت والاستماع له - فأما احدي كلمتيه فكانت في مشروعية زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين الى الله تعالى ليقربهم اليه - ويقضوا حوائجهم هذه واعتقاد كرامات الاولياء، والتحذير ممن ينكرون ذلك ويضلون به الناس كما ضلت الرواية، ثم ذكر ما هو شائع بين الناس من فتنة الرواية وعجالة السلطان وأمير مصر لم - وأما الكلمة الثانية فهي وجوب تقليد الأئمة المجتهدين في الدين والثناء عليهم وكون العمل بما في كتب الفقه هو عين العمل بالكتاب والسنة - وكان يقول ماثله : يا اخواننا هل الذي يتوسل الى الله تعالى بالاولياء يكون مشركا بالله؟ هل الذي يحب الصالحين ويعظمهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يؤمن بكراماتهم يكون مشركا بالله؟ هل الذي يظلم الأئمة ويعمل بمذاهبهم يكون مشركا بالله؟

فلما تم كلامه قلت أيها الاخوان: ان من يسمع كلام هذا الشيخ من حضر في اثناء كلامه يظن ان ما قاله في درسي ليس الا ردا عليّ واتي كنت أتكلم في هذه المسائل بخلاف ما قاله ومن حضر المجلس من أوله يعلم اني لم أعرض لهذه المسائل بنفي ولا بإثبات وليست هي من موضوع كلامي فان الذي قصبت اليه في هذا الدرس ووعدت به أمس هو بيان طريقة تعميم تعليم الدين لجميع المسلمين

بأسلوب سهل وزمن قليل يعمث ففهم روح الدين ولا يشغلهم عاام فى اشد الحاجة الىه من أمر الدنيا وقد أشرت فىما قلت الى أن هذه الطرىقة هى طرىقة القرآن الحكيم وسنة النبى عليه الصلاة والسلام فى تلقىن الدين لا طرىقة المتكلمىن وقد سبقنى الى ذلك حجة الاسلام الفزألى فقال بمثل ما قلته فى كتابه (الجام العوام عن علم الكلام) وغيره ، فصرأ بأن كسب الكلام وضعت لحماية العقيدة من هجمات المخالفىن ، لا لإفادتها وهربرها لامة المسلمين ، وان طرىقة القرآن هى التى يجب الاعتماد عليها فى العلم ، وكل ما قلته لىان ذلك بعبارة مأمصة قرىة من الأذهان . وما أخطر فى بالى أن أأشر فى درسى شىئا من هذه المسائل التى قطع بها الرجل على كلامى قبل ان أصل الى المقصد منه . وكأئى بأناس يقولون الكذب وىأجرمون على وأأخذون من كلامه تما يلصقونها بى فأسبى ان يعلم هذا الجمهور العظم الذى سمع كلامى عنى وىسمعوا منى بأئى ما أنكرت ولا أنكر زىارة القبور لأجل الاعتبار وتذكر الآخرة والموت كما ورد فى أديث الإذن بها بعد النهى عنها واتى أزورها بالفعل ، وأأب الصالحىن ولا أنكر ما لهم من الكرامة عند الله تعالى فان من لأجبب الصالحىن فىكون أشقى الاشقاء ، وأعظم الأئةة المجتهدىن واعتقد انهم كانوا على هدى وأخلاص فى خدمة الدين وان من التوفىق والسعادة اتباعهم فى الاهتداء بالكتاب والسنة . ثم صعد الكرسى الشىأ عبد القادر الخطىب وأراد ان ىتكلم فأنزله عثمان بك العظم عن الكرسى وصده عن التكم ووقف عليه وقال ما معناه : أبها الاخواأ انه لا فىبغى للعوام الخوض فىما فىختلف فىه العلماء فانصرفوا الى شأنكم ومن كان من العلماء فىرد مناظرة الاستاذ فى هذه المسائل أو أغيرها فىلطفىل بعد العشاء الى منزلى . ثم نزل وقال لى فىفضل فىزلت ومشىنا معا فىشى معنا جمهور عظمى من الحاضرىن وسمعت بعض من فىأبانى يقولون ما معناه لا تخف ولا تخزن فلا فىمة لهذا الرجل ولا تأثير لكلامه وبعضهم فىقول هلم واسرع . وكان اللفظ والضوضاء على أشدهما حتى أخرجنا من باب صحن المسجد وىأئذ رغب الى الشىأ أأىب فىى الدين ان أأأل داره وهى فىرب المسجد (المآرج ١٢) (١١٩) (المألأ الحادى عشر)

للاستراحة ورد الزبارة (قد كان زارني في دار عثمان بك) فأجبت به الى ذلك فلما دخلت داره طلق يقبل رأسي ويثني علي ويطري درسي ويهوت علي ما جرى ويحلف الايمان باتي ما قلت الا الحق وان ما عورضت به ليس بشيء . فصجبت من ذلك كله لا تني لم أكن أعد ما جرى في الجامع من قطع الدرس علي أمراً عظيماً ولا مصاباً يعزى عنه . وظننت ان السبب في كل ما رأيت من هف الناس وغنايتهم بتسليتي هو عدم تعودهم في تلك المدينة مثل ما رأوا من ذلك الاقيات . وخطر في بالي ان الباعث لذلك الرجل على ما فعل هو حب الظهور والشهرة أو سوء الظن والظنة فانه هو الرجل الذي ذكرت اني رأيته يقرأ درساً لا يحضره الا قليل من الناس وقد علمت بعد ذلك ان اسمه الشيخ صالح وأنه داعية لأبي الهادي الصيادي أرسله الى دمشق ليث دسائسه فيها

قيل المغرب من ذلك اليوم ذهبت مع عثمان بك الى دار عبد الرحمن باشا اليوسف لاننا كنا مدعوين للفطر عنده فلما كنا على المائدة جاء أسعد بك ييكباشي أركان حرب وهو وكيل الشرطة في دمشق وأحد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين يشكو منهم أكثر وجهاء دمشق فجلس معنا وأخبرنا انه قبض على الشيخ صالح وأودعه في السجن . فقال له عثمان بك أخطأت في هذا العمل فيجب ان نذهب بعد الفطور لأجل إخراجاه لأن ما حصل يجب ان يقف عند الحد الذي وصل اليه . وكان الامر كذلك فقد ذهب أسعد بك بين المغرب والعشاء لاجل اطلاق الشيخ صالح على ما نهنا وبعد صلاة العشاء في بيت عبدالرحمن باشا خرجت أنا وعثمان بك فركب هو مركبته وتبع أسعد بك لينظر ماذا فعل وركبت أنا مركبة أخرى الى دار عثمان بك ولما عاد عثمان بك أخبرني بأنهم أخرجوا الشيخ صالحاً من المجلس وان فتنة عظيمة أثيرت في الشام فحمل ألوف من الناس السلاح واحتشدوا في الاسواق والشوارع وذهب جمهور عظيم منهم الى مجلس البلدية وجمهور الى دار الحكومة . قال وهذا الذي كنت أخشى بادرته في الجامع فأحييت ان نختم الدرس ونخرج ولا نقيل في الرد على الشيخ صالح . قلت له ماهو سبب ذلك فان ما حصل في الجامع لا يصح ان يكون سبباً لحمل السلاح ولا لقتل لانه لا يزيد على اساءة رجل

بقطعه الدرس عليّ وأنا لا أحب الانتقام وليس لي عصبة تنتم لي ان أحيت ولا هذا الذنب مما يعاقب عليه بالسلاح وان أدري أذلك الرجل عصبة قوية عظم عليها أمر حبسه فأرادت ان تنصر له ؟ وهل يكون الانتصار في الشام دائما مثل هذا ؟ اعني اذا حبس رجل له انصار يطلب انصاره من الحكومة اطلاقه بقوة السلاح ؟!! قال اتني طمت من حال بعض الحاضرين في الدرس ان هناك فتة مدبرة يراد لإيقاعها في الجامع بأدنى مناسبة أو بخلق مناسبة ولست انت المقصود بها . وانه ليس له شيخ صالح عصبة ولا محبون والذين هيجوا الناس ودفعوهم الى المطالبة باطلاقه لم بذلك اغراض يتوسلون اليها بكل وسيلة تبسر لم لا يهمهم فيها أن يعظم من لا يستحق التعظيم ويؤذى من لا يستحق الايذاء ولا حاجة الى شرحها ولكن أقول بالاجمال إنها تتعلق بانتخاب المبعوثين . ولا أكنم عنك انه لا يكاد يوجد أحد في الشام يخرج من بيته بغير سلاح . قلت اذا ليس في الشام حرية شخصية نعمها الحكومة فأنا مسافر في الصباح حتما ، ولا أقيم في هذا البلد يوما ، فرضي مني بذلك على كره منه وحرص على ان أقيم عنده أياما أرى فيها معاهد البلد وأعرف أحواله . فهذا ما دار بيني وبينه في الليل ثم نمت طائفة من الليل واستيقظت وقت السحور ولما طلع النهار سافرت من الشام قاصدا رفاق

اجتمعت في قطار سكة الحديد يعض أدباء دمشق وتجارها فسمعت منهم شيئا كثيرا من أخبار الفتنة الظاهرة والفتن الباطنة ، منهم شبان ذكيان من محبي الإصلاح والعلوم المصرية كاشفاني بما في صدورهما وذكر لي أسماء شبان آخرين على مشربهما وقالوا انهم يكتبون ميلهم ورأيهم ولا يحبون ان يعرف شيء عنهم . ثم اجتمعت يعض باشوات الشام في بعلبك لحدثني بما يعلم من أمر الحادثة ومن أحوال الشام وهو ممن حضر الاجتماع عند الوالي ليللا . واجتمعت أيضا هناك ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فسمعت منهم انباء وآراء فطمت من ذلك ومما سمعته في حصص وقرآته من المكتوبات التي بعث بها من الشام الى حصص وغيرها جميع ما كان من المكاييد والفتن وهذا مجمل ما وصل اليّ :

اسباب فتنة دمشق

الاصل في ذلك كله امتعاض بعض الوجاء أصحاب النفوذ من أسعد بك وسليم بك الجزائري كلاهما قائد ألف « بكباشي » من أركان الحرب والدكتور جندو وكلم من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وكرهتهم لهذه الجمعية لأنها جعلت لهؤلاء منزلة ونفوذا في الشام يعلو نفوذ أولئك الوجاء المتعاضين الذين يرون أنهم سادات الشام وأنه يجب أن يكون النفوذ فيها مقصورا عليهم ومحصورا فيهم وخاصة بهم ١١٠ . قهرتهم جمعية الاتحاد بظهورها مؤيدة بالقوة العسكرية ولكنهم لم يتجروا على الوقوف في وجهها ومناجزتها جريا فترصوا بها الدوائر حتى اذا جاء زمن انتخاب المبعوثين ورأوا من ذكرنا من اعضائها يشتغلون بأمره عيل صبرهم ولجأوا الى الكيد وجراهم عليه ندره بك المطران الذي جاء الشام ليرشح نفسه للانتخاب ويستعين عليه بمن يستميلهم الى جمعية الاخاء العربي فانه كان يهون على الناس أمر جمعية الاتحاد والترقي ، ويكبر في نفوسهم شأن جمعية الافتراق والتدلي ، أي التي فرق بين الترك والعرب وتنصر الاستبداد وتحذل الدستور . فاندفع أولئك الوجاء الى الفتنة بقوة وهمة وبشوا دسائسهم في العامة الذين هم اتباع كل ناعق كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه حتى دخلت طائفة منهم الجامع الأموي مدججة بالسلاح للتكيد ببعض المشايخ المدرسين لانه ختم من بعض العوام ورقة يطلب فيها ترشيح مبعوث ولكنه كان يقول لمن يطلب منه الختم اننا نطلب بهذه العريضة ابطال رقص النساء في بعض الملاهي ١١٠ . وقعت فتن ومشاغب أخرى اطلق فيها الرصاص وأصيب بعض الناس كما قيل لنا ولا نحب ان نخوض في ذلك

ولكن موقظي الفتن ومثيري الشعب لم يكن لهم سبيل للتيل من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي فيما جرى الا بالكلام كقولهم انهم علة اختلال الأمن وحدث الاضطراب في البلد « رمتي بدائها وانسلت » وانهم يريدون ابطال الدين بتجريتهم الناس على الفطر في نهار رمضان علنا وباحتقارهم لوجاء البلد وعلائه ١١١

هذا ما كانت عليه دمشق عند قدومي اليها كانت تتمخض بالفتن التي يدبر أمرها رجال لا يزيد عددهم على عدد الذين دبروا أمر الصحيفة من قريش وكان

أشدهم افسادا أحد الباشوات الذي يرى انه بعظمة يته يجب أن يكون صاحب الأمر المطاع في البلد والقول المتبع في حكومتها وأهلها . واستعانوا على كيدهم بمعض أصحاب العلم الجاهلين الذين جعل لهم الحكم الاستبدادي . رياسة دينية علما انها لا تلبث ان تمحى ونزول في عهد حكومة العدل والشورى

وآتي هؤلاء الكائنون تحت قبة الجامع الأموي أين للناس انهم دخلوا في طور جديد من الحكومة يمكنهم ان يحبوا فيه دينهم علما وعملا واخلاقا وآدابا ، وان يرقوا فيه دنياهم حتى يكونوا فيه من أوفر الام ثروة وأعلاها جتبا ، ورأوا أن الناس قد قبلوا هذا الارشاد ولهبوا بآثاء عليه ، قالوا ان هذا السبل الأتي يأتي على ما بيننا من صروح الآمال ، ويجرف ما نضع في طريق الدستور وجمعية الاتحاد والترقي من العقبات ، ولكن الشعب يراه عذبا فراتا ، يطفي غليلا ويحيي مواتا ، فيجب ان نبادر الى تحويله عن هذه الديار ، قبل ان يروى منه القلوب والافكار ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وعهدوا الى افراد من الجمعية العلمية ان يقطعوا على الدرس الثاني فولوا وهم يعتذرون ، قالوا ان هؤلاء لا يملكون لنا نصرا ولا انفسهم ينصرون ، فما لهذا الامر الارجل يشتري ما يراد منه بالمال ، وقد مرد على أمثال هذه الدسائس والاعمال ، وما ذاك الاداعية ابن صياد الدجال ، المعروف في جميع البلاد بأبي الضلال ، فذلك المغربي يطيعكم فيما يرفع عنه أهل الشام ، اذا وعدتموه بالتعويض عن مرتبه الذي قطع في هذه الايام ، فلما لبى الشيخ صالح داعية أبي الهدى دعوتهم ، وقبل صدهم ، أوعزوا الى بعض أفراد حزبهم بأن يحضروا الدرس مستعدين للكفاح والصيال ، اذا جر الى ذلك ما ينتظرون من القبل والقال ، وقد علم هذا كثير ممن كانوا معنا في مجلس الدرس من الاهالي الواقفين على حال البلد وكان هو السبب في رغبة عثمان بك في عدم إطالة المراجعة والمدافعة وان لم يصرح لي به وفي تحويم الفضلاء علي وتسليتهم اياي كما تقدم لطف الله تعالى ولم يقع في المسجد ما كانوا يرومون من العدوان ، وعلم أسعد بك — وهو أخبر من هناك بكيدهم — أنهم لا يقفون عند ذلك الحد ، وان الخلية في هذه تدفعهم الى ما هو شر منها وان الشيخ صالحا هو الذي رضي ان يكون مثيرا لفتنتهم ورأى اعوانهم قد أدلوا اليه يوسوسون له ويمدون في النسي ثم لا يقصرون ، فظن ان

حبسه بسد باب الفتنة غلبه فطاروا بذلك فرحاً، وفتح لهم به باب جديد أقرب الى مقصدهم لانهم يصلون منه الى الايقاع بمدوم اسعد بك نفسه وجميعه بلا وسيلة ولا واسطة، فأخذوا أناساً الى المساجد يستغيثون المسلمين ويستغفرونهم لاعانة الدين وحماية علمائه من ظلم جمعية الاتحاد والترقي والحكومة الجديدة! فصاح اولئك المنفذون صيحتهم بعد صلاة التراويح، فأقبل الناس يتساءلون: أي خطب دهي الاسلام وأي بلائ نزل بالعلماء؟ ويحييهم خطباء الفتنة إن فلانا العالم الفاضل دافع عن الدين قبض عليه أسعد بك وزجه في السجن فاذا لم نبادر الى اتاذه بقوة الشعب فان هذه الحكومة تقضي على جميع العلماء ونحو دين الاسلام من الشام!! ويقال انهم أخذوا أناساً آخرين يقولون مثل ذلك في الاسواق وأعطوا كل واحد منهم «بشلكا» (١) فاجتمع الناس من كل فج حثي صاروا يعدون بالآلوف وصاروا ينادون: ليسقط أسعد بك لتسقط جمعية الاتحاد والترقي. وبلغني انهم قالوا أيضاً ليسقط القانون الاسامي وليعش الوالي! (ولكن الله أسقط الوالي ورفع الجمعية والقانون الاسامي فكان دعاؤهم في ضلال) ولولا ان توارى أسعد بك لقضوا عليه كاتيل وقد ظهر من ضعف الوالي (شكري باشا) وافن رأيه، ما لا ينتظر أكثر منه من مدمني السكر وأسرى الشهوات مثله، فانه لا رأى الجوع قد حشرت، وزمرة الوجهاء قد حضرت، وعظمت عليه الامر وأرجفت، وجفت في قلبه الرأفة، وتلبها الرادفة، فخنق لمكرهم، وخضع لامرهم، وأمر بأن يؤتى بالشيخ صالح فيجيء به، وطاف بالناس في مركبه (مركبته الوالي) من بعدما آذنه المشير بأن لديه من الجنده ما يكفي قمع الفتنة الاهلية بل لاعلان الاحكام العرفية، ولو أخذ الوالي يومئذ بالحزم، لاستقرت هية الحكومة في النفوس منذ ذلك اليوم، لأنقول في دمشق وحدها، بل في الولايات السورية كلها، فلم من هذا الشرح الذي اخذته من مصادر كثيرة اتني لم أكن مقصودا بالإيذاء الذاتي، ولا مواخذة علي قول زل به في الدرس الثاني لساني، (لاني لم أذكر فيه نعمة الدستور ولا نوهت بجمعية الاتحاد!) ولما كثر في القيل والقال لكثرة من كان يسأل بماذا دافع فلان عن الدين حتى حبس؟ فكان كل مسئول يجيب بجواب حتى كان مما سمعته في بعلبك وحمص انه نام رجل في الجامع الأموي فأنكر

(الماروج ١٢م ١١) فليج ميري فنة دمشق . أسباب عداوتهم لصاحب المنار ٩٥١

القرآن وقال آخرون انه سب الانبياء . ولكن الذي لقنه دعاة الفتنة للاكثرين هو انه دعا الناس الى مذهب الوهابية وأنكر زيارة القبور والتوسل بها . وهذا هو الذي كتبوا به الى جرائد بيروت وطرابلس ومصر والاسنانة وقد علمت انه كذب وبهتان نال محرري الفتنة من أسعد بك ما أرادوا وانتهت هذه الحادثة بخروجه من الشام وضعف جمعية الاتحاد والترقي وعجزها عما كانت تحاول من أمر الانتخاب وذلك جل ما كانوا ييغون في نفس الشام فكان من المعقول مع هذا أن يسكتوا عني لاني لم أكن الغرض الذي يرمون سهامهم اليه ، وانما عرضت بينهم وبينه فرموني لاتي فصل سهامهم اليه وحده ، فما هو السبب ياترى في استمرار عداوتهم لي ومكاتبة الجرائد بسبي وثلي ؟ يظهر لي ان لذلك أسبابا : منها أن الشرذاعة الشر وان الرجل الخليث اذا حاول شرا فتم له كما يجب تضري نفسه بالشر فاذا ظلم انسانا بالاهانة والتسخير مثلا فدل له المظلوم ولم يجد له نصيرا فانه يستمر على إهائته وتسخيره له استلذاذا بذلك وتبجحا ، ومنها انه اغتم هذه الفرصة رجل من أدياء العلم حاقد علي فزج نفسه في حمة هذه الفتنة وطق يكتب ويستكتب غيره مقالات في الطعن علي ولكن الجرائد ترفضت عن نشر ما يشوا به اليها من السخف فلم قبله الا مثل جريدة بيروت التي هي جريدة المتقهرين أعداء حكومة العدل والدستور وأعداء الاصلاح . ذلك الرجل الذي كان استأجر أحد أبواب العثم فكتب له رسالة في الرد علي المنار في مسألة طهارة الكحول زاد هو فيها مازاد فرد عليه المنار يومئذ ردا صريحا صرح فيه باسمه فضح جهله وجمل من كتب له (١) ولعل هذا الرجل هو الذي تصدى للكتابة بيده وماله ، واعانه عليها نفر من أقاله ، ولي ههنا استدراك وهو ان اكثر الجرائد التي انتصرت للحق في هذه الحادثة قد اسندت البغي والمدوان فيها الى أهل دمشق الشام على الاطلاق لاستخفاء المتدين منهم وذلك تساهل في التعبير أدى الى خلاف ما يريد الكاتبتون فبني عليه حكم فاسد خفي عن الاكثرين فسادة خلفاء المراد من العبارة التي اخذ منها . أعني انه صار يقال ان أهل الشام ناصبوا صاحب المنار العدا وآدوه بالكلام وإن أهل بيروت انتصروا له وأهانوا

(١) راجع مقالات طهارة الاعطار ذات الكحول (ص ٨٢١ و ٨٢٦ م ٤)

أهل الشام بما كتب في جرائدهم ودار في محافظهم ... والصواب ان صاحب المنار لم يسمع من أحد من اهل الشام كلمة شاذة عن الزاخرة والادب بل سمع من كل من لقيه منهم أرق الكلام واعذبه وألطف عبارات الترحيب والتناء، وإنما تصدى قلع دوسه وإلهاهم العامة أنه اخطأ فيه رجل غريب عنهم لم يكن محبو باعندهم لانهم يعدونه من جواسيس الشيخ أبي الهدى والدعاة له، وشاب آخر من طلاب العلم اراد أن يسأل عن شيء سؤال متبرم مستاء فكفاه ذلك الرجل الغريب ما كان يريد من ذلك . واما زعماء الحركة الذين اشرنا الي كيدهم أنفا فهم لا يتجاوزون جمع القلة على اتني لم اكن غرضهم وإنما عرضت أمام غرضهم كما تقدم . على اني لو بقيت في دمشق لتصدوا لا يذائي بتحريض العامة على ذلك ولكن لا يؤخذ من هذا ان اهل الشام فعلوا ذلك . وقد زارني في ليلة الحادثة بعض الوجهاء المحيين للمنار الذين كانوا يقرؤنه في زمن الاستبداد ونصح لي بأن اسافر ثم كتب اليّ بعد ان عدت الى طرابلس كتابا قال فيه « واني لحنجول وإيم الله من فضيلتكم ومقابلتي اياكم بدار عثمان بك تلك المماثلة لكن ربنا عليم بأنني لم أحضر تلك الليلة لمقابلتكم وتكليفكم السفر الا خوفا عليكم وحفظاً لكرامتكم من سفاهة المتهربين بزينة العلم والعلم بعيد عنهم بعد السماء عن الارض فرى ان الواحد منهم يظن أنه اذا كبر العامة وطول الذقن ووسع أكتاف الجبة وركب البغلة وغش البسطاء بهيكله — وان لم يكن نحت القبة ولا حجة — انه صار عالماً » ومع هذا كله اقول اني لست على يقين من طعن رجل معين من أهل الشام في الا ذلك الحاق الذي اشرت اليه آنفاً ، فاهل الشام ليسوا خصما لي ولا لاهل بيروت وليس أهل بيروت خصما لهم

وجلة القول ان الذين ابتغوا الفتنة من أهل الشام فخر لا يخرجون من مضيق جمع القلة ومن صدقهم من العامة ينذر في الجملة وانه لم يتصد أحد من علمائهم للرد عليّ في شيء سمعه مني أو قرأه من كلامي مظهرا نفسه ميئاً اسمه وقد حضر كثير منهم درسي فان كانوا يعلمون اني أخطأت فلماذا سكوتوا لي على الخطأ وقد سألت مفتيهم وكان من حاضري درسي ان يكتب اليّ ميئاً خطأي ان كنت أخطأت . سأله ذلك في مقالة نشرتها في جريدة الاتحاد العثماني وأسأله هو وسائر علماء الشام ذلك

لسان المتر وأنا أنشر لم ما يكتبون في المتر وأذن له إن كان حقا وأين ما عندي فيه إن كان خطأ . وهذه هي حجتى عليهم فإذا هم سكتوا عن هذا اليأس فم لا يخرجون عن أحد أمرين : إما أنه لم يثبت عندهم أنني قلت شيئا مخالفا للشرية . وهذا كافٍ لتكذيب أولئك المذاعين الذين خاضوا في الالتم ، وإما أنهم يكتبون الحق وهم يعلمون ولا يخفى عليهم ما ورد في القرآن والأحاديث من وعيد السكاتين (تنبيه) — سقط اسم السيد (حسين وصلي رضا) من ذيل مقالة التقارظسوا إذا هو السكاتب لها

(تصحيح) وقعت اغلاط في الجزئين ١١ و ١٢ وهذا يانها فتصحيح بالقلم :

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠٢	١٩	لوصفهم	فوصفهم	٨٧١	١٢	قال	قال له
٨٠٣	٢	المعتدين	المعتدين	٨٧٢	٦	ولا يراني	ولا يجوز ان يراني
٨٠٥	١٧	تزرع	تزرع	٨٧٥	٢٥	وسبعون	وتسعون
٨٠٨	٢٤	في وعيد	من وعيد	٨٨٣	٥	هذا المتبادر	هذا هو المتبادر
٨١٠	٧	له	إلى	٨٨٣	١٤	تتقوى	تتقوى
٨١٢	٢٢	يستوي	تستوي	٨٨٤	١٥	دخلت	دخلت
٨١٥	٦	الذين	وهم الذين	٨٨٥	٢٥	قاتلوا	قاتلوا
٨٣٦	١١	كأن	لها	٨٨٦	١٥	ظاهر	ظاهراً
٨٣٧	١٢	حال	مال	٨٨٦	١٦	الواجب	لوجب
٨٦٤	١٦	دونها	دونها	٨٨٧	٥	التنزيه	التنزيل
٨٦٤	٢٤	الحرب	من الحرب	٨٨٧	١١	قالوا وفي	قالوا الواوفي
٨٦٥	١٩	عدد قليل	عدد غير قليل	٨٨٨	١٦	ويدل على	ويدل أيضا على
٨٦٧	٩	التي يفرضها	التي لا يفرضها	٨٩٢	٢٢	البشرى أو	البشرى
٨٦٩	١٤	قدم	قوم	٨٩٦	١٥	فألق	فألق
٨٧٠	١٢	أو انا	وانا	٨٩٧	٢١	يكتب بكلمة : ويجمع	هذه الفقرة (بينه وبين القول الاول)
٨٧٠	١٤	من	في	٩١٣	٢١	يا فكلان	يا فكلان
٨٧١	١٤	منه	متاجي	٩١٥	٨	الحققة	الحققة
				٩١٥	٩	التي تصل	التي تصل
						المجلد الحادي عشر	

خاتمة السنة الحادية عشرة

بمجد الله وشكره نختتم السنة الحادية عشرة من سني النار ، فهي وله الشكر الاسنى ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعمها فأنحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، فكان تلك السنين العشر ، غير معدودة من العمر ، وكأن هذه السنة الاولى من العقد الثاني للسجلة ، هي اللؤلؤة الاولى من العقد الاول لما ولله ، كيف لا وهي سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحرآية ليل الظلم بأية العدل والنور ، فبرى القارىء هذا المجلد من النار طافحا بأخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون الاساسي ، وأسباب ما حدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب الاحتفال ، وذكر سياحة صاحب النار في البلاد السورية ، وبعض ما أقامه فيها من الدروس والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم النار أو صاحب النار ، يعد من اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسنلم في فأنحة السنة القابلة ، بتاريخ النار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي قدمت في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستعدين لمشربه ، اذ كانت الاخطار توابث من يطالع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين والجامدين ، والمنصفين والحاسدين ،

ما اتفد على النار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه اتفد على النار شي لم ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخلدوية ينكر فيه علي ما كتبه في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعملاء الرجال بمصر من انكلو نصب القنايل للوئى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أني طعنت في اهل طرابلس فيما كتبه عن سباحتي

نصب التماثيل الموق

احتج علي طالب الحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة
تحریم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، وانما قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية
اليها . ويرى المتقدم ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا
تثبيطا للذين دعوا المصريين الى الاكتساب لنصب تماثيل لمصطفى كامل لما كان
بيني وبينه من اختلاف السياسي . ويرى هو ان اقامة تماثيل لمصطفى كامل ولنبيه
مما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية . هذا مجمل ما كتبه المتقدم كما أذكر .
فاما ما ذكر من حكمة تحریم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المار قبل نشر رحلة
الاستاذ الامام (بلرم صقلية) بسنين . ولو تأمل المتقدم ذلك الرد الذي بنى عليه
انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفا مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم اوعلته
لا ينقض شيئا مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل
يؤيده ، فقد صرح بأن المقي لا يقي بمجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقا

وهناذين للستدوامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله
الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما نشره من ذلك في المار إنما تقصد به بيان
حكم الاسلام ومواقفته لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات
التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه ، الا من ظهر له الدليل على
شيء فأخذ به لاعتقاده أنه هو الحق ، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبعين
للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم
اليه . فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحریم التصوير ونصب التماثيل يقتضي
إباحة نصب تماثيل لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المتقدم مستقداً ذلك
فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله باحتشاش عرا ؟
كلا . إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الانفرار بما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن
دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ا كان
ما وافق هواهم حلالا ام حراما !

٩٥٦ خاتمة السنة الحادية عشرة .وجه حرمة نصب التماثيل (المنازع ١٢م ١١)

المسلمون قسمان : الاول المقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم ونهباء المذاهب الاربعة وهؤلاء يجرمون نصب التماثيل ، أفليس من أمتهاتهم ان يدعوا دعوة عامة لعمل محرم عندهم ؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخاصة نفسه ، وليس له ان يثبت على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة ، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكم ، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه وينظر المنكر عليه فان اقمعت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتاج على المتقدم بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فقول :

ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يتعرف المتقدم بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه وبعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك ، فلما يأتى غلوهم قدرا ولا اعتراضا جماعه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكفاء بموازن العروض ، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمس على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثال ديني خيالي غريب ، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم ، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة ، وانه ظهر له في طفولته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على « باحثة بالبادية » التي اقترحت بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر . أفرايت من غلا حزه فيه هذا الغلو ، وجعلوه في هذا الأفق الخيالي من الغلو ، أيستغرب اقتتان العامة بتمثال في بلاد تلمس فيها البركات ، ودفع المضار وقضاء الحاجات ، من نمل الكلثني وباب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة وبعض الآبار العتيقة ؟!

لا أرى وجبا في ذلك التعليل لنصب تماثيل لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والعلوم ، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

حلل الخيالات الوهمية والخرافية ما نمجوده أقلامهم وناهيك بمجود الشعراء في الكلام !
ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم نظما
دنويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها
الحاجات ، فسد الدين هذا الباب سداً محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ
صورة ولا تماثلا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على
الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالتطب والتشريح وعلم وظائف
الاعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها
الالفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فان احالة الكثير من كتب
اللغة العربية في تفسيرها على المرفة لا يفيد فاذا قيل : السرطائر معروف والقاب
طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو السر وهذا هو القاب لا يفيدك
قول اللغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكماء على حفظ
الأمم وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي
كان يقول الاستاذ الامام ان الاسلام يحل عن تحريمها وأذكر انني فاخرت بعض
علماء طرابلس فيها قبل هجري الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير
فوافقتني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد
صحيحة لا يحرمها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من المنصفين ما كتبناه عن طرابلس فقالوا انه يان صحيح لحالها
 واعتذار عماري به أهلها من اللوم والذم لذنباته شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن
 تلك الكتابة ساءت ففرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من
 الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتموا من الكتائب تهيج أهل
 طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانتهم أجمعين ! وبلقي انهم كانوا يطوفون على الأدباء
 ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المثار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر
 ما يرد عليها من الرد !

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة الناشر عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن الناشر بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسموا في الجرائد قدما الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا قلناه لترده ونقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا قولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفاك اقتراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبه عن الجمعية الخيرية البنانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبه أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبه عنها هو أقل ما سمعته وبلغني ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتني هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تطلقا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل بشر بأنهم ماقدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة اكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فاذا كانت عبارة الناشر تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أتروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة الممارات في جهة التل والبقية على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالمناسبة وسأراجع الناشر

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في الناشر بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تتعوده سوريا كما تتعوده مصر . قلت انه قد صحح

(المخرج ١٢م ١١) خاتمة السنة الحادية عشرة - اختصار جملة الصلاة على النبي ٩٥٩

والفرض منه صحيح وهو ان يتنبه أهل بلدنا الى ما يجب عليهم لتدارك ما أصابهم في الايام الماضية . وان ما كتبه الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض ولا بد ان نعود قومنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي لا يكتب فيها الا المدح والاعطاء ، لأجل الاستمالة والاسترضاء ، أو الذم والمهجة ، لأجل التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ، والرد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد عليهم ، ويان قصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ وهل تكون الصحف مفيدة الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ما أئذ ذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في العدد الآتي من طرابلس للتصل من نشر ما يريد نشره المتقدون ؟ فاتفقنا على ان يكتب اتني ينشئ له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا عنهم خلافا لما فعم بعض الناس واتني سأين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد كتب هو ذلك ونحن ينشئ هنا المراد كما ينشئ له وفاة بالوعد وجريا على سنتنا من نشر ما ينشئ علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

وبلغني ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم » بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر الاستاذ الامام ، والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لا نذكر كلمة « رضي الله عنه » عند ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما تذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ، وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تكرر وكثيرا ماتذكر غير مختصرة . والاختصار يوفق شيئا من وقت الكتاب ومن الورق فيسع من الفوائد أكثر مما يسعه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها المهد في كتب المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والامانة . وكانوا يختصرون الجملة هكذا « سلم »

٩٦٠ خاتمة السنة الحادية عشرة . دعوة المنار الى انتقاده . الاشتراك (المارچ ١٢م ١١)

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفا منها فاستحسن ان استبدل بها حرف (ص) ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلعم) حرفي « عم » بمعنى عليه السلام كما يختصرون جملة « رحمه الله » بحرفي (رح) وجملة « رضي الله عنه » بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فعم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لا خزال انطط لأجل نقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من القوائد وهي خاصة بمن يتصدون لذلك كحرفي الجرائد

دعوة المنار الى الانتقاد عليه

اتنا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد على المنار ولكننا لا قبل قدا مبنا على ما يتقوله بعض الناس على المنار ، ولا قد يخرج فيه المنتقد عن موضوع ما ينتقده من قهره ، وإنما يقبل الانتقاد على قرة تقبل بنصها من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطاها

طلب الاشتراك وقيمه

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها قائنا لمزدها وان كانت جميع الاشياء ازدادت هلا . في هذا القطر . ولكن أمرا طالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهبون عنه ذلك اننا صرحنا مراراً بأن المنار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفاً ، واننا لا نقص من قيمة اشتراكه شيئاً لأحداً ، ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ! فنحن نكرر القول هنا كما كررناه مراراً بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقاً

هذا واننا نختتم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل ونسأل الله ان يلهيها الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن تبعهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني



Bibliotheca Alexandrina



0551735